جامعة جيلالي ليابس –سيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

الرحلات وأثرها في انتشار التصوف في الجزائر العثمانية (10-13هـ)،(16-19م)

رحلة الورثيلاني أنموذجا.

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في

التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الباحث

- زروق جيجيك

إشراف :

أ.د/ محمد مكحلي

أعضاء اللجنة المناقشة

أ.د/كريم ولد النبية	جامعة سيدي بلعباس	رئيسا
أ.د/ محمد مكحلي	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
د/بومدين دباب	جامعة سيدي بلعباس	مناقشا
أ.د/ محمد دادة	جامعة وهـــــران I	مناقشا
أ.د/ حمدادو بن عمر	جامعة وهـــــران I	مناقشا
أ.د/ لويس فيرناندو بيرنابي بونس	جامعة أليكانتي /إسبانيا	مناقشا

السنة الجامعية 2019-2020 م/1441-1442هـ

{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} .

سورة المجادلة .الآية 11

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلـــــــى

أمي حفظها اللّه

أبي حفظه اللّه

أخوتي حفظهم اللّه

إلى روح عمّي الشيخ أحمد الزين رحمة اللّه عليه.

إلى فقراء المسلمين الذين سُلبت حقوقهم ظلما وجورا فلن يتمكنوا من الاطّلاع على هذا العمل .

إلى روح ساداتنا من العلماء والصّوفية.

شـكـر و عـرفـان

الشـكـر للّه في الاول والآخـر عـلـى ما أنعـمـه عـلـينـا من نـعـمـه الـتـي لا تـعـد ولا تـحـصـى

أتـقـدم بجـزيـل الشـكـر إلى كـلّ من قـدم لي يـد الـعـون بـدايـة بالأسـتـاذ المشـرف محـمـد مـكـحـلـي لما قـدمـه لي من نـصـائـح وتـوجـيـهـات وعـلـى رحـابـة صـدره.

وأتـقـدم كـذلـك بجـزيـل الشـكـر كـذلـك إلى الأسـتـاذ Luis Fernando Bernabé Pons

عـلـى قـبـولـه الإشـراف ومـا قـدمـه لي من مـسـاعـدات في إسـبـانـيـا من خـلال تـوجـيـهـاتـه ونـصـائـحـه.

إلى كـلّ من سـاهـم في هـذا الـعـمـل ولـو بـكـلـمـة طـيـبـة.

قائمة المختصرات بالغة العربية والأجنبية

أ/اللغة العربية:

دس: دون سنة

تح:تحقيق

تقد: تقديم

تر:ترجمة

تع:تعليق

م و ك : المؤسسة الوطنية للكتاب.

ط: طبعة .

ج: جزء

اللغة الأجنبية :

R.AF: revue Africaine.:

N : numéro.

V : volume.

T :tom.

Op.cit. : ouvrage précédent citée.

S: serie.

Ed: Edition.

R: revista.

مقدمة

المقدمة:

سعى الإنسان في حياته عبر التاريخ لتحقيق مآربه وأُفُقِه وفق نمطيْ الحركة والسكون ،متفقدا وباحثا عن الأفضل والأحسن، فوجد من الترحال وسيلةً لتغيير أوضاعه القائمة ممّا أهّله بالتعرف على أنماط الحياة لدى الشعوب الأخرى ،فاكتسب منها ثقافة جديدة ترصن توارثه عن أجداده من عادات وتقاليد تخص بيئته .فحفظ الإنسان بقاءه ببقاء تاريخه ومجده حيّا وذلك بالاحتفاظ به، وتلقينه لأفراد مجتمعه وتوارثه شفهيا بين أبناء البلدة وإن كان هذا نوعا من أساليب حفظ الهويّة الثقافية والتاريخية من الضّياع والاندثار ،إلا أنّه ما يصل للأجيال اللاحقة أقل ممّا تُرك، فنجد ما ضاع أكثر مما حُفظ ويكون أسهل للتشويه والتزوير، فأوجدَ الإنسان التدوين الذي يحفظ ويترك آثرا بارزة وواضحة المعالم للمطّلع على أحوال الأوّلين.

مسّت الرحلة في مضمونها الإنسانيةَ جمعاءَ، ما جعلها القاسم المشترك بين الشعوب والعلوم ، إذ أنّ الشعوب أثرت وتأثّرت بمختلف الثقافات والديانات وسافرت بأقوامٍ إلى أقوامٍ أخرى بها تصاهرت و تمازجت الذهنيات ،وتشاركت العلوم في النّص الرحلي فجلّ العلوم الإنسانية واللغوية التي ارتبطت بالإنسان أصبح جزءً مكوَّنا في الرحلة وبالتالي لا يمكن حصرها في علم واحد دوّن الآخرين فهي إرث عصارة الفكر الإنساني، والفكر الإنساني متشعب ومتعدد المجالات ،فالرحّالة المسلمون على العموم رحلاتهم خليط متجانس بين العلوم لكونهم علماء ومتعددي التخصصات والعلوم التي تمكنوا منها.

فالرحلة وعاءٌ جامعٌ لمختلف الثقافات، الديانات، العرقيّات، الأجناس والعلوم ،فلا تحدها الحدود الجغرافية ولا الخصومات التاريخية ولا الاختلافات الفكرية ولا حتى الاتجاهات الدينية ،فهي الورد الذي يملأ به الظمآن عطشه من المعارف . وقد تختلف زوايا النظرة للرحلة من الجانب التاريخي الأدبي، الأنثروبولوجي ،الابستمولوجي ،الاجتماعي ،الجغرافي والفلسفي وغيرها من التخصصات التي اهتمت بعلم الرحلة بحكم أنّ مواضيعها متعددة وتمس مختلف الجوانب التي يعيشها الإنسان في حياته اليومية ،فلا يمكن اقتصار دراسة الرحلات الخاصة بالجزائر في أي فترة من الفترات التاريخية من جانب واحد ووفق منظور معيّن ،فوجب أخذ الموضوع بزوايا متعددة. فالدّارس للرحلات الحجازية الجزائرية في الفترة الحديثة يجب أن تصحبها أبحاث جماعية في ظل فِرق بحثية ويكون التعاون بين الباحثين كل حسب تخصصه للوصول إلى الحقيقة الكاملة التي تنطوي وراءها أسطر وصفحات الرحلة.

شَكَّلَ موضوع الرحلة الحجازية في ثنايا أدبيات التاريخ مُنعرَجا هاما في تدوين المعلومة التاريخية لأجل

الوصول للحقيقة المطلقة التي قام عليها البحث التاريخي الرّصين، ومن هذا المنطلق تعد الرحلة الحجازية المغاربية بصفة عامة والجزائرية بصفة خاصة عاملا من عوامل التواصل الحضاري بين ضفتي الأراضي الإسلامية ،فاستطاع أهل المغرب الإسلامي استقطاب علوم المشارقة وآدابهم ونقل الفكر المغاربي والأندلسي الذي دخل لشمال إفريقيا أثناء وبعد سقوط الأندلس وقاموا بإيصاله للمشرق الإسلامي باعتباره مهد للحضارة الإسلامية ومنطَلقها.

عرَف المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات الإسلامية في العهد العثماني ركب الحج ،والذي أصبح أكثر تنظيما وانضباطا بعدما أصبح تحت مراقبة وتنظيم الدولة العثمانية التي ضمت جلّ أرجاء البلاد الإسلامية ،ما جعل ظاهرة الرحلة والتنقل تزداد وتعرِف انتعاشا كبيرا خاصة في فترة الحج، لهذا الشأن تميّز الحج برحلة خاصة به وأُطلق عليها "بالرحلات الحجازية" نسبة إلى الحجاز قصد زيارة بيت الله الحرام بمكة المكرمة وأداء أحد أركان الإسلام الخمسة، فعلى الرغم من تعدد أنواع الرحلات وكثرة الرّحالة الجزائريين في هذا العهد إلا أنّ عدد رحلاتهم قليلة مقارنة بالمغرب الأقصى، فإنتاج رحّالاتهم يفوق بكثير عدد الرحلات الجزائرية ويعود هذا الأمر لعدم الاهتمام البليغ بمسألة التاريخ و التدوين لدى الجزائريين ،وهذا ما ذكره الورثيلاني أنّ مجتمعه غير مكترث لمسألة تدوين ثقافته وتاريخه ومسيرة علمائهم ،ما جعله يقوم بكتابة رحلته، ومن جانب آخر أن جلّ الرحلات مفقودة أو مبتورة الأجزاء ما يجعل الاعتماد عليها صعب وقيمتها العلمية تنقص وتبقى في طيّ النسيان. فالشيء الذي لا يُدرّ على النّاس بالخير يُنسى ويصبح في خبر كان ، و تبقى بعضا من الرحلات الحجازية الأخرى تامة وغير ناقصة لكنها تعدّ على أصابع اليد الواحدة وهي :رحلة الورثيلاني، رحلة أبي راس الناصري ،رحلة المقّري ،وتعدّ الرحلات الوحيدة التي يمكن لنا دراستها ومنها نستطيع استقراء تاريخ وأنثروبولوجيا المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية.

فالرحلة الورثيلانية، رحلة صوفية دينية، علمية وتاريخية، ثقافية وجغرافية ،قدّم فيها مؤلّفها الحسين الورثيلاني صورة جامعة عن الأوضاع العامة بالوطن الإسلامي من الجزائر إلى مكة المكرمة، مرورا بتونس، ليبيا، مصر والحجاز، فشخّص المجتمع وقدّم الدواء الذي يُشفي الداء انطلاقا من خبراته السابقة وممن عاصره مستمدّا ذلك من علماء وفضلاء أخذ عنهم العلم عن طريق القراءة عندهم أو بالاطلاع على مؤلّفاتهم، فارتأينا من خلال دراساتنا هذه الموسومة بـ" **الرّحلة وأثرها في انتشار التصوّف بالجزائر العثمانية– رحلة الورثيلاني أنموذجا–** هذه الرحلة التي لم يُعط من حقها إلا القليل كونها رحلة متشعّبة العلوم لا يمكن لأي متخصّص في مجال واحد تقديم دراسة مستفيضة عنها لأنّ مؤلفها رجل موسوعي ،فلذا وجب تظافر الجهود من أجل تحقيقها تحقيقا علميا

نظير قيمتها ومكانتها العلمية، ومن الجوانب التي اهتمت بها وطغى عليها الجانب الديني والصوفي بحكم أن مدوّنها رجل دين ومنتسب لطريقة صوفية ،ما جعل همّه الوحيد وشغله الشاغل تدوين كل ما يتطرق بموضوع التصوّف والجانب الديني بصفة عامة . ولهذا كان اهتمامنا بهذا المجال كونه يغطي جزء مهمّا من التاريخ الصوفي الخاص بالجزائر، وقد ساهمت عدة عوامل في اختيار هذا العنوان كونه عدم وجود دراسة خاصة حول الورثيلاني ورحلته لتُقدم فيها الصورة الكاملة عن هذه الشخصية التي ظلت مهمّشة ومغمورة مقارنة بما أنتجه من فكر علمي وديني، فجّل الدارسين للورثيلاني قدّموا عنه إشارات ومقتطفات وأحيانا نجد فصولا من أبحاث تتناوله لكنه عبارة عن إعادة لما قِيل وكُتِبَ ،فهو اجترار علمي للمعلومة التاريخية ما أثار في نفسيتنا أن نظهر قيمة الرحلة وأن نعطي للرجل حقه في المجال البحثي والعلمي ،فعلى الرغم من تواجد بعض الدراسات الجزئية حول الورثيلاني إلا أننا لا نكاد نجد دراسة قيميّة ومعمقة حول التصوف من خلال رحلة الورثيلاني ،ويبقى التساؤل قائما إلى يومنا، لماذا بقي الورثيلاني مجهولا لدى القارئ والباحث ،بالرغم من ما ألّفه ومكانته التي حُظِيَ بها بين العلماء؟

تداخلت العديد من الأسباب التي جعلتنا نخوض غمار هذا البحث ،وهذا رغبة منا في إظهار المنتوج العلمي للورثيلاني من خلال اطّلاعنا على مخطوطاته التي بقيت حبيسة الزوايا وبعض العائلات المرابطية التي تساهلت نوعا ما معنا . والأمر الآخر الذي حفّزنا على هذا هو مجال تخصصنا حول التاريخ الثقافي والديني والاجتماعي للجزائر خلال العهد العثماني رغبة في إتمام ما بدأناه في مشروع الماجستير وبتوجيه من الأستاذ المشرف بحكم أنّ الرحّالة و الباحث ينحدران من نفس المنطقة ممّا يساعد على تقديم الأفضل والوصول إلى مخطوطاته بحكم علاقة القرابة والمجاورة.

والواقع أنّ ما لفت انتباهنا للموضوع ،أنه مجال خصب للبحث لاحتواء الرحلة على عدة مواضيع وجوانب مختلفة ،وبالرغم من قلة المصادر التاريخية المحلية في الفترة العثمانية وعلاقتها بالتصوف ،فجّل ما دُوِّن عبارة عن شروحات وحواشي للنصوص الدينية والفقهية تاركا التاريخ جانبا، إلا أنّ الرحلة الورثيلانية غطّت جانبا مهمّا في هذا الموضوع فيمكن من خلالها دراسة موضوع التصوّف والزوايا الدينية بمنطقة القبائل بالخصوص، بالجزائر، والوطن العربي على العموم، فمن خلال هذا حاولنا ربط العلاقة بين التصوف والرحلة الحجازية و مدى مساهمتها في نشر الفكر الصوفي بالمنطقة.

وللخوض في البحث قدمنا مجموعة من التساؤلات التي انطوت تحت الإشكالية العامة للبحث ،لغرض وضع الإطار العام للدراسة وتوجيهها توجيها علميّا بحتا وهي :كيف ساهمت الرحلة الورثيلانية في نشر الفكر

الصّوفي بالجزائر؟ وما مدى اهتمام الورثيلاني بموضوع التصوف في رحلته؟ ولتوضيحها وتبسيطها نضع بعضا من الأفكار العامة:

-طبيعة العلاقة القائمة بين التصوف الإسلامي في الجزائر العثمانية و ارتباطه بالرحلات الحجازية من خلال اهتمامهم بمظاهر التصوف وتجلّى ذلك ضمنيا في محتوى مؤلفاتهم.

-تقديم نظرة تعمّقية ودراسة شاملة حول سيرة وشخصية الرحالة الحسين الورثيلاني منطلقا من خلال مخطوطاته الخاصة و المخطوطات المتواجدة في زاويته ببني ورثيلان.

-الفكر الصّوفي الدّيني بالجزائر جدّ منتشر خلال العهد العثماني، راجع لعدة أسباب من بينها: إسهام هؤلاء الرّحالة في نشر ما أخذوه من علم وطرق صوفية بالمشرق، فعملوا على ترسيخه ببلاد المغرب ،ما يُعدّ سبيلا من سبل ربط المغرب الإسلامي بالمشرق في ظلّ حكم الدولة العثمانية.

-مدى تأثير البيئة الأسرية والاجتماعية على الفرد في تكوين شخصيته، فمنطقة القبائل بالجزائر بصفة عامة لم تكن ضمن الحكم العثماني ولم تنتشر في بداياته الطرق الصوفية ،فاقتصر الأمر على ظاهرة المرابطين والأشراف فقط ،فكيف كان للورثيلاني نصيب من بعض الطرق الصوفية؟

-القطيعة شبه تامة بين المجتمع الجزائري والنظام العثماني في مجال الثقافة والتعليم —ماعدا بعض البايات- ما جعل البلاد تعاني ركودا ثقافيا، دينيا وعلميا، فما كان للمتصوفة إلاّ أن يُظهروا للعَيان دورهم، فأصبحوا من روّاد الدين والثقافة رغبة منهم في إصلاح هذا الجانب الذي تم تهميشه من طرف الفئة الحاكمة.

للإجابة عن هذه الإشكالية وتوضيح هذه الأفكار وجب علينا تقديم مجموعة من التساؤلات الجزئية التي بها نصل إلى توضيح الهدف المراد الوصول إليه :

-ما هي دوافع تدوين الرحلات الحجازية الجزائرية في العهد العثماني ؟

-كيف أثّر الرحالة في نفوس العامة ؟

-من هو الورثيلاني ؟ هل الورثيلاني نفسه الذي عرَفناه في مخطوطاته والذي درسنا عنه؟

-بما تميزت رحلة الورثيلاني عن سائر الرحلات ؟

-ما مسار رحلة الورثيلاني ؟

- هل الورثيلاني من المتصوفة ؟ لماذا انتقدهم ؟

-الورثيلاني ينتسب إلى المرابطين ؟كيف كانت علاقته مع أهل الطرق الصوفية؟

-كيف كانت الحركة العلمية والثقافية بالجزائر ؟

-كيف كانت علاقة الورثيلاني مع السلطة الحاكمة ؟

-ماهي أهم الانطباعات التي قدمها الورثيلاني عن التصوف ؟

لتغطية الموضوع بصفة معمّقة ودراسته بشكل أوفى في مجاله الزماني، أوردنا أن تكون الفترة التي ندرسها خلال العهد العثماني من القرن 16إلى غايةالقرن19م باعتبار أن ذروة التصوف حدثت في هذه الفترة وأن الورثيلاني عاصرها وفيها دوّن رحلته وجلّ الأخبار التي حدّثنا عنها وأوردها تخص الفترة العثمانية سواء في الجزائر، تونس، ليبيا، مصرو الحجاز كلها كانت مترابطة زمانيا ومكانيا.

الدراسات السابقة ونقدها :

حقيقة أنّ موضوع الورثيلاني والتصوّف ،موضوع قديم جديد، مستهلَك وخِصب ،ومعنى ذلك أنّ مسألة التصوف دُرست منذ العهود الوسطى للدولة(الدويلات)الإسلامية وفي الفترة الحديثة نجد الكمّ الهائل من الدراسات في الماجستير والدكتوراه ما أصبح الكثير منها اجترار لما قيل فيما يخص تعريف التصوّف، امتداده، جذوره وانتقاله وعلاقة المتصوفة بالحكّام وغيرها من الأمور ،ونفس النظرة التي نراها تجاه موضوع "الورثيلاني ورحلته" فنجده مستهلكا ولكن أيما استهلاك ؟ استهلاك جعل من نفوس أهل بلدته يثورون لتصحيح ما قيل عنه ويظهرون ما أضمر عنه .ففي قناعاتي الشخصية كلّ الدراسات السابقة لم تعط حقّها ،لا للورثيلاني ولا لرِحلته ، فهذا ما جعله مستهلكا ،إذ نجد العشرات من المقالات العلمية وعديدا من الأجزاء تتناوله في الرسائل الجامعية إلاّ أنها تبقى جزئيةً فلا نكاد نجد موضوعا حول تصوّف الورثيلاني .

الشيء الذي يحّز في النفس أن هناك العديد من الأمور نُسبت للورثيلاني ،وهو بريئ منها وهذا نتيجة لعدم اطّلاع الباحثين على المصادر التي اعتمد عليه في رحلته، فالورثيلاني اقتبس العديد من الأمور، وكما أحصينا فقد قارب نصف الرحلة مقتبس من الرّحالة السابقين ما يعني أن ذلك ليس كلامه ولا يدخل ضمن أعمال الورثيلاني، فقمنا بحذف تام لكل ما تم اقتباساه ونقله من الآخرين ما عدا الذين أشار إليهم بصريح العبارة ،فنوضح للقارئ أن هناك العديد من الأمور منها الفتاوى، شرح المصطلحات، تعريف بالشخصيات والأماكن تم تغييبها في هذه الدراسة كونها مقتبسة ولا ترتبط برحلة الورثيلاني بل وبالأحرى تلك الأماكن لم تطأْ قدمه ولم يلتق بهؤلاء الشيوخ فذلك الكلام والحديث يعود عامة لأبي سالم العياشي أو الناصري.

الأمر الثاني الذي يدعو إلى الحيرة والاستغراب وهو عدم تحقيق رحلة الورثيلاني على الرغم من أهميتها وقيمتها العلمية، فالأوروبيون حاولوا ترجمتها للفرنسية أمّا في الجزائر بقيت مهمّشة ماعدا ما قام به ابن شنب من إخراجها من النّص المخطوط إلى المطبوع وتصحيح بعض المصطلحات التي قوبلت بالنُّسَخ الأخرى وبنسخة رحلة الناصري بحكم أنه اقتبس منه، وعلى هذا نجد العديد من النسخ والعناوين في المكتبات حول الورثيلاني وكلّها نُسَخ نُسخت عن ما صحّحه ابن شنب ،ومؤخّرا قام مجموعة من الباحثين بإضافة حواشي ابن مهنا لها ، و عليه وجب على الباحثين الجزائريين أن يتكتّلوا من أجل تحقيقها ،فهي تحتوي على عديد العلوم فلا يمكن حصرها في تحقيقها من طرف مؤرّخ أو أديب ،من مواضيع سيسيولوجية، دينية ،صوفية، أنثروبولوجية، جغرافية وغيرها من العلوم المتداخلة من خلال كل هذا يجدر بنا القول و تكراره ،أنّ الورثيلاني هُمّشت علومه ومؤلفاته ولم يُقَدّم له حقُّه من الاعتبار و عليه فعملنا من خلال هذه الدراسة على إبراز شخصيته العِلمية التي حيّر بها علماء المشرق عامة والمغرب.

فلهذا أحصينا في المكتبات الوطنية والعالمية بعضا من الدراسات الهامة وأظهرناها ،كما بيّنا بعض الأخطاء الواردة فيها بأدلّة من مخطوطات الرحّالة وقد دوّنا مبحثا حول اهتمامات الباحثين بالرحلة الورثيلانية –فلا نريد تكرار الكلام – فسنذكر الدراسات الهامة و التي وظّفناها بكَثرة لأهميتها ومنها:

-**مختار بن الطاهر فيلالي**[1]: قدم دراسة في كتاب مطبوع والأرجح تكون في الأصل رسالة ماجيستير أو دكتوراه بعنوان" **رحلة الورثيلاني، عرض ودراسة**" تعد الدراسة الأكاديمية الوحيدة التي اعتنت برحلة الورثيلاني وبرحلته فأبرز الجانب السياسي، الاجتماعي، الاقتصادي والثقافي للوطن الإسلامي على ضوء الرحلة بالإضافة إلى التعريف بالمؤلّف ، إلاّ أنّ موضوع التصوّف لدى الورثيلاني لم يَتطرّق إليه. وفيما يخص الجزء الأول من بحثه حول شخصية الورثيلاني أنّه اعتمد على مضمون الرّحلة وبعض الأعمال الجزئية السابقة ما جعل معلوماته حبيسة الشيء الموجود ،فلم يطّلع على مخطوطاته على الرغم أنه قد ذكَر في بحثه أن زار بني ورثيلان والتقط صورة لضريحه ومسجده ،إلّا أنّنا وجدنا العديد من الهفوات في نسبِه، عائلتِه ،مسارِ رحلته، مخطوطاته يجب إعادة النظر فيها ،ولكن يبقى العمل الوحيد الذي فتح المجال للباحثين من أجل إبرازه وتطويره والعمل على البحث أكثر، وقد اعتمدنا في الجانب الاستقرائي للرحلة من خلال الجانب الاجتماعي، الاقتصادي، الثقافي والعلمي.

[1]- مختار الطاهر فيلالي، رحلة الورثيلاني، عرض ودراسة، دار الشهاب، باتنة ، الجزائر ،1978.

-**أحمد ظريف**[2] :كتاب " قراءة في الرحلة سياحة في أغوار رحلة الورثيلاني : يعد عمله عباره عن قراءة للرحلة واستباط الأحكام والقواعد ،فأعاد تبويب الرحلة بشكل أبسط إلاّ أن عدم معرفته لأعراش المنطقة وشيوخها وعائلاتها يصعّب الأمر في تدوين معلومات عن الورثيلاني.

-**BALA(S)**[3], Soufisme et voyage : l'Algérie du dix-huitième siècle à travers al- rihla al warthilaniyya d'al –Husin al sharif al-warthilani(1125-1713/m.1193ou 1194-1779), thèse de doctorat, spécialité arabe, discipline : étude arabe et islamiques, université Marc Bloch. Strasbourg 2.France.

-أطروحة دكتوراه حول: التصوّف والرحلة في الجزائر القرن 18م على ضوء رحلة الورثيلاني، للباحث صادق بالة، يعد العمل المنجز بوابة للبحث في هذا المجال وهيأ القاعدة في الربط بين الرحلة والتصوّف ، وما يهمنا الجزء الخاص بالورثيلاني، رحلته وتصوفه إذ وجدنا أن جلّه مرتبط بالرحلة وانعدمت فيه مصادر الورثيلاني ومخطوطاته ووجدنا نفس الملاحظات لدى نفس الباحثين فجلّ السابقين اعتمدوا على تحليل وترجمة "الحاج الصادوق".

-Hadj Sadok(M)[4],A travers la berbérie orientale du 18 siècle avec le voyageur Al Warthilani, La revue Africaine, Volume95,Alger,1951

-**الحاج الصادوق**، مقالة علمية تناول موضوع الرحلة الورثيلانية في جزئها الخاص بالمغرب الإسلامي(الجزائر ،تونس، ليبيا) وهي في حقيقة الأمر ترجمة و تلخيص لمضمون الرحلة مع بعض التعقيبات والتوضيحات على الهامش، ساعدنا هذا العمل في توجيه مسار الرحلة من خلال إعداده لخريطتين وضحتا مسار رحلتي الذهاب والإياب ،ويعد هذا المقال من أوائل الدراسات التي ترجمت للورثيلاني ورحلته ويعد المصدر الأول للباحثين، فكلّهم استمدوا معلوماته من هذا المقال.

-Carol Wittwer[5], wer trinkt schon nicht gerne kaffee? methodisches vorgehen bei der interpretation der reisebeschreibung von al-wartïlânï.

-دراسة الباحث كارول فيدفار من جامعة برلين الألمانية في شكل مقالة علمية منشورة بمجلة ألمانية تابعة لجامعة برلين حول :مسألة القهوة ومنهجية النّص الرحلي لدى الورثيلاني ، فقد أفادنا البحثُ وإن كان جدّ مختصرٍ حول أسلوب الورثيلاني في معالجته للأمور الاجتماعية منها مسألة القهوة.

---

[2]- أحمد ظريف، قراءة في الرحلة، سياحة في أغوار رحلة الورثيلاني، دار هومه، الجزائر،2005.

[3] - BALA(S),Soufisme et voyage :l'Algérie du dix-huitième siècle à travers al- rihla al warthilaniyya d'al –Husin al sharif al-warthilani(1125-1713/m.1193ou 1194-1779), thèse de doctorat, spécialité arabe, discipline : étude arabe et islamiques, université Marc Bloch. Strasbourg 2.France.

[4] - Hadj Sadok(M),A travers la berbérie orientale du 18 siècle avec le voyageur Al Warthilani, La revue Africaine, Volume95,Alger,1951.

[5] - 321)Carol Wittwer, Wer trinkt schon nicht gerne kaffee? methodisches vorgehen bei der interpretation der reisebeschreibung von AL-WARTÏLÂNÏ, Universität Bern.

المنهج العلمي

لدراسة الموضوع دراسة أكاديمية موضوعية وجب علينا اعتماد منهج علمي خاص يقتضي مع طبيعة الموضوع، فبحكم أن الموضوع سيعتمد على رحلة خاصة وهي الورثيلاني فوظفنا عدّة مناهج منها الوصفي أو السردي ، التحليلي والاستقرائي ،فاعتمدنا المنهج الأول في سرد ووصف الأحداث والوقائع التي وصلتنا من خلال الرحلة منها وصف العمران ، وصفة الحياة الاجتماعية ، التعريف بالشيوخ و المتصوفة المذكورين في الرحلة ، أمّا عن المنهج الأكثر استعمالا فهو الاستقرائي مع التحليلي ،فقمنا باستقراءٍ تامٍّ للمعلومات التي تضمنتها الرحلة وخاصة المتعلقة بالتصوف وقمنا بتحليلها تحليلا تاريخيا و ربطها بالواقع ومقارنتها بالآراء والأفكار التي تقاسمها النظرة وتخالفها في الأسلوب، فقمنا باستنباط المعلومات التي تهم البحث وذلك عن طريق وضع فهارس وعناوين فرعية جديدة للرحلة و إعادة ترتيبها وتبويبها بحكمها غير محققة وفي هذا الاطار حاولنا قدرا لإمكان إبراز الجانب النقدي من شخصية الورثيلاني بحكم أنه كان كثير النقد للمتصوّفة ،الحكام ، الخارجين عن حكم الله ورسوله.

البحث العلمي الاكاديمي الرّصين البعيد عن الذاتية والقريب إلى الحقيقة أو الباحث عن الحقيقة وجب استعمال واستغلال كل الإمكانيات المتاحة وأحيانا حتى غير المتاحة وذلك بتوظيف مختلف المصادر والمراجع التي توصلنا إلى تقديم نتائج أفضل وتوسع في أفق البحث، وعلى هذا اعتمدنا على بيبليوغرافية متنوعة تخدم الموضوع منها مخطوطات تعود للشيخ الحسين الورثيلاني وقد كان لنا شرف السّبق والاطّلاع عليها وذلك بحكم علاقة العمل التي ربطتنا مع متحف بني ورثيلان وكذلك في إطار الأنشطة الثقافية التي نظّمناها ،فمن خلالها تمكنّا من جمع مخطوطات المنطقة وفهرستها وتم عرضها في مختلف التظاهرات الثقافية ،هذه المخطوطات التي مهّدت لنا الطريق في التعريف بشخصية الورثيلاني وعن حياته الشخصية وهذا ما غاب عن السابقين فلم يحظوا بالاطّلاع على مخطوطاته بل اكتفوا برحلته .بالإضافة لذلك اعتمدنا على الرحلة وهي المصدر الأساسي في عملنا مع عديد المصادر الأخرى باللغة العربية واللغات الأجنبية وخاصة الإنجليزية، الإسبانية، الفرنسية، الألمانية والتركية منها :

-الحسين الورثيلاني، شرح وظيفة سيدي يحي العيدلي، ج1، ورقة 08، محفوظة لدى خزانة الشيخ الموهوب أولحبيب تالة وزرار، بني ورثيلان، تحت رقم TZ009 ،يعد من أنفس مخطوطات الورثيلاني، تعد وظيفة سيدي يحي العيدلي المصدر الأساسي في التعليم الديني بمنطقة القبائل بالخصوص ولاقت انتشارا واسعا، فقد لخصت المرجعية الدينية الجزائرية ،ما جعل الورثيلاني يقوم بشرحها وتبسيطها وتعد من نصوص التصوف والزهد.

– ابن فرحون، في كتابه الاعتبار وتواريخ الأخبار والتعريف بالنسب إلى النبي المختار صلى الله عليه وسلم ، مخطوطة محفوظة عند اهل بني ورثيلان ،تعد من اهم مخطوطات الاشراف والمرابطين بمنطقة القبائل، فهو مخطوط أرّخ للمرابطين الذين انحدوا من ادريس الثاني وتفرقوا بشمال إفريقيا ومنه استقرأنا تاريخ المرابطين و سلالاتهم ،وبحكم أن الورثيلاني من الاشراف ومنطقة القبائل كثر فيها الاشراف ما جعلنا نعتمد عليه لما تختلط الرؤى وتختلف النُظر.

–الحسين الورثيلاني، الكواكب العرفانية وشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية، مخطوطة محفوظة في الزاوية العثمانية بطولقة، ورقة رقم 01، قام بتحقيقها محمد بن عبد الكريم عن دار الخلدونية طبعة 2012.

–الحسين الورتيلاني، شرح الرسالةالسمرقندية،1165هـ.

–داود الصنهاجي، الأجرومية ، نسخها محمد الصغير العياضي ، بتنبذار ،عام 1340هـ .

–الورثيلاني الحسين ،نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم 2743.

–الصنهاجي ، مخطوط نور السراج في إعراب مقدمة الصنهاجي، نسخها: محمد البشير بنعبد الرحمان،1334

–مخطوطة في الوقف ، فتاوي مرابطي منطقة بني ورثيلان محمد بن العياضي.

–أحمد البوني، كتاب في المواريث، مخطوط تحت رقم F0054، بخزانة الشيخ المولود أولحبيب بمنطقة بني ورثيلان ولاية سطيف.

كل هذه المخطوطات التي تعلقت و اهتمت بالورثيلاني وظفناها في إظهار وتصحيح الأخطاء التي وردت في الترجمة الخاصة بشخصية المؤلف وكذلك تحديد الكثير من الأمور التي تعلقت بمبادئه وأفكاره و نظرته للتصوف. فالملاحظ أن الدراسات السابقة لم يعتمدوا على مخطوطاتهم وأن جلّهم لم يزُوروا منطقةَ و لاقريةَ الرّحالة للاحتكاك بحفدته وعائلته وجلب المعلومات الشفوية والمخطوطة والاطلاع على مكتبته ،وإن كان بعضهم زارها فكانت زيارة سياحية أكثر من عِلمية لاغير ،وتجلّى ذلك فيما دوّنوه فلم يقدموا أي شيء دقيق، ما عدا صورةً لضريحه وقريته، فنجد حتى مسقط رأسه وقع فيه التباس وخلط إذ ينتمي فقط لعرش بني ورثيلان.

وفي استقراء الرّحالة الجزائريين قمنا بدراسة رحلاتهم واستنباط معلوماتٍ وقمنا بتكييفها وترتيبها وقدمنا تحليلا لمضامين رحلاتهم ونتأسف لغياب وضياع بعض الرحلات وبقيت في طيّ النّسيان كونها مفقودة:

-ابن عمار ، نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب، من خلالها استقرأنا ترجمة لصاحب الرحلة، و كما قدم مضمون الرحلة وما تعلّق بأمور التصوّف و رؤية المشاهد الدينيّة.

-لدراسة سيرة أبي راس الناصري وتوثيقها وجب الاعتماد على مخطوطات ومؤلفاته ومنها عرضنا السيرة الشخصية الخاصة بالرحالة و استنبطنا مضمون الرحلة وأقسامها ، منها: فتح الاله ومنّته في التحدّث بفضل ربي و نعمته "حياة أبي راس الذاتية والعلمية"، حققه و ضبط عليه محمد بن عبدالكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، و يعتبر المصدر الأساسي للتاريخ عن رحلته العلمية وفيها ضبط حياته الشخصية والعلمية، ونجد أيضا زهر الشماريخ في علم التاريخ، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 1632.

-أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ويعد من أنفس الكتب بفضله تم التعريف بعلماء الجزائر وفقهائها، وكان له السبق في التعريف بالورثيلاني وإظهاره للباحثين فمن قبل كان الورثيلاني مغمورا، وقد استطاع الحفناوي جعل موسوعة مصغرة عن علماء الجزائر.

-أحمد البوني، الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، مخطوط تحت رقم HB 06، بخزانة الشيخ المولود أولحبيب بمنطقة بني ورثيلان ولاية سطيف وقد أفادنا المخطوط في التعريف بشخصية الرّحالة وأهم العلوم التي أخذها وبحكم أن رحلته مفقودة فاستقرأنا منه بعض ملامح رحلاته في الجزائر وإلى المشرق معتمدين على بعض الإشارات.

-أحمد المقّري، رحلة المقّري من المغرب إلى المشرق، تعدّ هذه الرحلة المخطوطة والمحقّقة حاليّا من أهم المصادر التي تؤرخ لرحلة أبي العبّاس المقّري ووضحت لنا مسار تنقّلاته في المشرق ومراسلاته مع علماء المغرب وبيّنت لنا مكانة الرحّالة في المجتمع الإسلامي ،بالإضافة إلى المصدر التاريخي الذي أرّخ لعلماء الأندلس قاطبة والمغرب وعرّف لنا بأهله وأسرته في كتابه الموسوم :نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،

-عبد الرزاق ابن حمادوش، لسان المقال في النبأ عن النّسب و الحسب والحال، ساهمت رحلة ابن حمادوش بتقديم الوضع العلمي للجزائر والمغرب في العهد الحديث وأظهر لنا حالة العلم و العلماء من خلال أوضاعهم الاجتماعية وعلاقاتهم مع الحكّام والعلاقة بين العلماء في ما بينهم ،وأيضا تعدّ رحلةً شخصيّةً من جوانب أخرى فوصف لنا حياته اليومية ومشاكله التي يعانيه منها بالرغم من أنه يعدّ من أقطاب العلم في تلك الفترة بشهادة الغرب الأوروبي على ذلك.

هذا بالنسبة لكتب الرحلات الحجازية و المغاربية، ومن جهة أخرى اعتمدنا على المصادر المحلية التي عاصرت هؤلاء الرّحالة وساهموا بمؤلفاتهم وقدّموا نظرةً أخرى للمعلومات التي أجادوا به ومن أهمها:

-عبدالكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، مصدر مهم فقد عرفنا بأشباه المتصوفة والدخلاء الذين شوّهوا التصوّف الإسلامي والملاحظ أنّ نفس الأمر الذي دعا إليه الورثيلاني فقد حاربهم ودعا إلى مقاطعة مجالسهم لأنهم أدعياء على التصوف لإلهام الناس فقط.

-محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق محمد بنعبد الكريم.

-محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح المهدي البوعبدلي.

وعن المراجع فهي كثرة ومتعددة منها المطبوع، المحقق والمترجم وعلى كثرتها ارتأينا الاعتماد على ما يصبّ في صلب الموضوع مباشرة وهذه نبذة عن بعض المراجع باللغة العربية التي ساعدتنا في توضيح رؤى البحث:

-محمد بن عبد الكريم، المقري وكتابه نفح الطيب، يعد من أهم الأعمال والدراسات التي ترُجمت للمقري ورحلته ،وبيّن مضمون الرحلة وقد اعتمدنا عليه كثيرا في الفصل الخاص برحلة المقّري.

أبو القاسم سعدالله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري: حياته وآثاره، بعد أنّ حقق رحلته قدّم دراسة مختصرة ووجيزة عن الرّحالة ابن حمادوش ،فحلّل مضمون الرحلة وبسّط رموزها وأعاد ترتيبها.

أحمد ظريف، قراءة في الرحلة، سياحة في أغوار رحلة الورثيلاني،دارهومه،الجزائر،2005،

-سعدالله ابو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي ،موسوعة عن التاريخ الثقافي للجزائر ،فكثيرا ما تناول الأمور الثقافية والصوفية للجزائر في العهد العثماني ، فاعتمدنا على جلّ أجزائه وفي كل أجزاء الدراسة.

-سميرة أنساعد، أدب الرحلات الحجازية النثرية في الجزائر من القرن الحادي عشر إلى الثالث عشر (17-19م)،رسالة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي ، دراسة جدّ قسمة وضحت فيها أهم الرحّالة الجزائريين وأهمية الرحلة وقد افادتنا كثيرا في مدخل الرسالة.

أمّا عن المصادر والمراجع الأجنبية فهي كثيرة ومتعددة المشارب وقد أفادتنا في جلّ متن البحث وان كان اعتمادنا عليها بشكل جزئي باعتبارها دراسات جزئية للموضوع ومن أهم هذه المؤلفات نجد:

Carlos GonzalbesCravioto,Rabita y Zawiya en la Ceuta medieval :Similitudes y diferencias.

وظفنا هذه الدراسة في ابراز دور الرباط والزاوية بالمدن الاسلامية وتوضيح الفروقات الموجودة بينهما باعتبار الثاني مكمل الأول.

Juan Cañavate Toribio, Algunos morabitos, zawiyas y rábitas en el Reino de Granada

قدّمت لنا هذه الدراسة أنّ دور الرباطات التي تحولت إلى زوايا لمتكن دورها مهتم بالعبادة فقط بل هناك من جعلت من الجانب الاقتصادي في ظل حركة السفن بالموانئ المتواجدة بها.

Doutte (E) .Note sur l'Islam Magribhen Marabout

يعتبر الكاتب مؤسس المدرسة الانتروبولجية الدينية في الجزائر خلال العهد الفرنسي، فتعد كتاباته دراسات ميدانية لما عاشه وما عاصره من طرق صوفية ،فقدم لنا عدة وجهات نظر في مسألة أصول المرابطين ويعد من الأقلام القليلة التي تناولت هذا الموضوع.

Féraud(L), Notes sur Bougie, légendes- traditions.

نشر العديد من المقالات العلمية في المجلة الإفريقية وأعاد جمعها ونشرت في كُتب متفرقة ، قدّم لنا معلومة جدّ مهمة حول الورثيلاني كونه زار المنطقة ووظّفنا أيضا مؤلفاته فيما يخص مسألة هجرة الأشراف من وإلى بجاية أثناء الاحتلال الإسباني.

Sakina Missoum ,la vivienda tradicional de la medina de Argel en la época Otomana(siglos xvi-xix) y sus antecedentes Hispano-Magrebíes", tesis doctoral, Universidad politécnica de Madrid.

تعد دراسة جدّ قيمة في مجال التراث الديني للجزائر خلال العهد العثماني وعلاقة البناء الصوفي بمخلفات الأندلسيين بإسبانيا وقد استفدنا من هذا البحث في مجال العمران الديني الذي تناوله الورثيلاني كثيرا منها المعمرات والزوايا والتي انتشرت بكثرة.

-DEVOULX ,Notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieux d'Alger.

أسهمت مقالات ديفوليكس في المجلة الإفريقية أو الكتاب الذي جمع فيه مقالات المجلة ونشره في إبرازا لمعالم الدينية للجزائر في العهد العثماني فأحصى لنا عدد المراكز الدينية مع الأوقاف التي جُعلت لها، فتُعَدُّ دراسة إحصائية شاملة

MÍKEL DE EPALZA, La espiritualidad militarista del islam medieval el ribat, los ribates, las rabitas y los Almonastires de Al-Andalus,

أعانتنا هذه الدراسة في توضيح الصورة الخاصة بالمنشآت الإسلامية في القواعد الأمامية التي يستعملها الجنود وعبارة عن مراكز متقدمة للمراقبة وهي الرباطات وكيف ساعدت على توفير الجو النفسي الروحي لهؤلاء الجنود من خلال التعبئة الدينية والسيكولوجية

Doutte (E),L'Islam algérien en l'an1900

تطرق الباحث ومؤسس المدرسة الانتروبولوجية الدينية في الجزائر إلى مسألة الدين المغاربي والجزائري وفيه وضّح معاليم التدين عند المجتمع الجزائري على ضوء الانتشار الكثير للطرق الصوفية واعتلاء بعض الجهّال ومنتسبي التصوف ، فقدم لنا صورة جلّية عن الوضع الديني و الطقوس التي تُقام.

TRUMELET, l’Algérie légendaire en pèlerinage çà & là aux tombeauxdes principaux Thaumaturges de l’Islam(Tell et Sahara)

أعاننا هذا الكتاب في تحديد أصول الأشراف الأدارسة إذ وضّح لنا أن الامتداد الأندلسي المورسيكي له صلة كبيرة في انتقال هؤلاء الأشراف إلى شمال إفريقيا ، وقد وظّفناه في الفصل الثاني من الباب الثالث.

Petit(L).Les confréries religieuse musulmanes

الدراسة بعنوان" الطرق (الإخوانية) الصوفية الدينية في الجزائر ، تناولنا فيه التعريف بالطرق الصوفية التي انتشرت بالجزائر تزامنا بالتي ذُكرت في الرحلة الورثيلانية.

Depont(O) et Coppolani(X).Les confréries religieuse musulmanes

يُعد ثاني مؤلف تخصّص في مسألة الطرق الصوفية بعد مؤلف "لويس رين" وقد عُنون بـ" الاخوانيات الدينية الإسلامية ، عالج مسألة التصوف وامتداده التاريخي في الديانات السماوية والوضعية ووضّح لنا أمهات الطرق الصوفية في العالم وكيف انتشرت وأهم قواعدها و الأماكن التي انتشرت بها.

-Rinn(L), Marabout et Khouane. études sur l’islam en Algérie

المرابطون والإخوان، دراسة حول الإسلام ، تعد الدراسة الفرنسية الأولى من هذا النصيب فقد عمل على جرد جميع الطرق الوصفية المتواجدة بالجزائر و إحصاء على زواياها واتباعها ومواردها وعلاقاتها بالأنظمة وزعماء القبائل واثرى العمل بمراسلات و تقارير بين مشايخ الطرق الصوفية و الإدارة الفرنسية وبين مشايخ الطرق فيم بينهم وقد أفادنا في موضوع الطرق الصوفية والمرابطين ، فتناول الجانب المرابطي إلا أنه لم يعمق ويحلل في هذه المسألة كثيرا.

KAMEL FILLALI, Algérie mystique, des marabouts fondateurs, aux khouaninsurges15-19 siècles

اهتمت دراسة الباحث كمال فيلالي بمسالتي المرابطين والطرق الصوفية والأشراف المتواجدين بالجزائر وبالموضوع الصوفي عامة وقد عالج فيثنا يا هذا الكتاب العديد من الإشكاليات وقد أفادتنا في الباب الثاني والثالث بحكم أن جلّ موضوع الأطروحة حول هذه المسائل.

خطة البحث .

بغية الوصول إلى نتيجة علمية وتصحيح الأمور التي يمكن تداركها بتوفّر المادة العلمية المصدرية مع الاستئناس بالمراجع والأعمال التي رافقت البحث ،فيجب إعداد خطةٍ علميّةٍ محّكمة لأجل تسطير العمل وتأطيره في إطاره العلمي مع الحفاظ على مكونتي الزمان والمكان حتى لا يخرج عن الإطار المنشود، وعلى هذا أدرجنا خطة عمل مكونة من: مقدمة، قسمين، خاتمة وقائمتي للملاحق والمصادر والمراجع وهي عبارة عن بيبليوغرافية المستعملة في ثنايا البحث:

القسم الأول بعنوان : **التواصل الصوفي** واحتوى على فصلين، الفصل الأول معنون **بـ" الرحلة، المصطلح والدّلالات"** حاولنا فيه القيام بتقديم تعاريفَ مختلفة لمصطلح الرحلة منها اللغوي ،الاصطلاحي والديني والذي يقصد من هذا الأخير التعريف بالرحلة كما جاءت في القرآن الكريم وكما عرّفها أهل التصوف وهو التعريف الأقرب والأنسب لموضوع دراستنا ، وبحكم أنها تنوّعت واختلفت. فأسردنا مجموعة من أنواع الرحّالة والرّحلات وقسّمناها حسب إطارها الزماني والمكاني والتأليفي باعتباره تختلف من مؤلف إلى آخر و باختلاف دوافع وأسباب التأليف باختلاف الظروف.

الفصل الثاني والذي عُنْوِن بدوره بـ: **نماذج عن الرحلات الصوفية الجزائرية في العهد العثماني "** ، والذي احتوى على خمسة فصول وتناولنا فيهم إسهامات الرحالة الجزائريين في العهد العثماني منهم :أبو راس الناصري،

أحمد بن عمّار، أحمد البوني، ابن حمادوش، أحمد المقّري ،هؤلاء الخمسة أهم رحّالة الجزائر وقد دوّنا فيهم حياتهم الشخصية كما وجدناها في مخطوطاتهم وكذلك من المصادر المعاصرة لهم وأضفنا على ذلك قراءة في مضامين رحلاتهم التي كان جلّها للمشرق الإسلامي ماعدا رحلة ابن حمادوش التي ضاع منها الجزء الأول إذ تناول رحلته للمشرق وبقي فقط الجزء الثاني الذي تناول بإسهاب كثير رحلته للمغرب الأقصى.

القسم الثاني : والذي عُنون بـ "الورثيلاني ناظرا ومنظورا" واحتوى على فصلين ، الفصل الأول " **جزائر المتصوفة من خلال رحلة الورثيلاني** " وبدوره انقسم إلى ثلاثة فصول رئيسية تناولنا فيهم ، التعريف برحلة الحسين الورثيلاني وهي دراسة حول بيوغرافيته متطرقا إلى نسبه وعائلته ومساره التعليمي والتدريسي ولأهم رحلاته وتنقلاته وإجازاته ومؤلفاته العلمية ، وفي الفصل الثاني الذي كان حول مؤلفه الشهير والمشهور" الرحلة الورثيلانية" قدمنا فيه قراءة في الرحلة من خلال الدراسة الشكلية وأهم دارسيها ومسار الرحلة ذهابا وإيابا وكذلك الاهتمام بأهم اقتباسات الورثيلاني في هذا الأمر الذي فصلنا فيه كثيرا وتركنا جانبا مما اقتبسه الورثيلاني ونقله عن الآخرين بحكم أنه ليس كلامه ،فتركنا فقط على ما زاره وصرّح به أنه اطّلع عليه. وفي الفصل الأخير الذي تناولنا فيه الجوانب العامة التي تطرقت إليها الرحلة من خلال وصف وزيارة الورثيلاني دون الاعتماد على الكلام المنقول فأدرجنا الجانب الجغرافي ، الاجتماعي والاقتصادي ، السياسي والعسكري، الذي تعلق بالجزائر.

الفصل الثاني :بموضوع: التصوف والرحلة عرض حال ، تناولناه في ثلاثة فصول وعرّجنا في الفصل الأول على مظاهر التصوّف بالجزائر ووضّحنا معالمَ العمارة الدينية المنتشرة التي انتسبت للصوفية سواء عن طريق التأسيس أو عن طريق الطقوس الصوفية المقامة بها مثل السّماع الصوفي والذكر وتلقين المريدين أساليب الولوج في الطريقة، من الجانب الباطني أو الداخلي أما من الشكل الظاهري لدى عامة النّاس فتولدت طقوس يقوم بها العامة وإن لم يكن منتميا لأية طريقة نتيجة تأثير الفكر الصوفي في المجتمع .فنجد الوعدات والزردات وظاهرتي الزيارة والتبرك للولي أو الضريح مع التصديق بكرامات الأولياء . أما الفصل الثاني تناولنا فيه "مؤثرات التصوّف من خلال الرحلة متطرقين إلى ظاهرتي المرابطين والنسب الشريف المنتشرة بكثرة في فترة الورثيلاني و بمنطقة القبائل خصوصا، وقدمنا تعريفا لأهم المتصوفة والمرابطين الذين تطرق إليهم في رحلته، أما الفصل الثالث والأخير والذي كان حول تجليات التصوف في رحلة الورثيلاني ،فيها وضّحنا معالمَ التصوف وطرق انتشاره وكيف ساهمت الرحلة الورثيلانية في نشره من خلال الفتاوي التي تضمنها والعلوم التي عمل على نشرها مبيننا نظرته تجاه التصوف وعلاقته مع المتصوفة.

الصّعوبات:

لا يخلو أي بحث علمي من صعوبات علمية وأخرى إدارية في ظل التعسّف والبيروقراطية المنتشر في الإدارات والمراكز البحثية ،فأكبر عائق هو الوصول إلى المخطوطات سواء في المكتبة الوطنية وبالخصوص لدى العائلات المالكة للمخطوطات، فالكثير منهم امتنع عن ذلك لأسباب وظروف شخصية ما جعلنا لم نستطع التطّلع إلى حقيقة أفضل ،ما يبقى البحث في بداية الطريق للباحثين ، وأهم صعوبة واجهتنا في تداخل محتوى الورثيلاني وعدم الفصل بين الحديث المنقول وحديث الرّحالة ما جعل تتبّعنا لمسار اقتباساته جدّ صعب ،بالإضافة إلى انعدام تحقيق الرحلة مما جعلنا نلمس غموضا في المعلومات، الشخصيات ،الأسماء وحتى الأماكن.

الباب الأول : التواصل الصوفي

الفصل الأول: الرحلة ، المصطلح والدلالات.

الفصل الثاني : نماذج عن الرحلات الصوفية الجزائرية في العهد العثماني.

الفصل الأول: الرحّلة، المصطلح والدّلالات.

أولا :مفاهيم حول الرحلة.

تشعبت التعاريف والمفاهيم حول مدلول مصطلح الرحلة في شقيه اللغوي والاصطلاحي ، ومن جهة أخرى نجد تباينا آخر في تعريفه من علم إلى آخر فالتعريف الأدبي والتاريخي والأنثروبولوجي والصوفي مختلف على الرغم من تقاسمهم في الفكرة والهدف التي نسبوا إليه الرحلة ،نتيجة ارتباط أدب بالرحلة بعدة من العلوم والآداب ما جعلها تتعدد في المفاهيم إلا أن مضمونها في الأصل واحد ،فمن خلال هذا سنحاول تقديم دراسة حول هذه الجوانب من عدة زوايا منها :

1-1-التعريف اللغوي: الاشتقاق اللغوي من المصدر الثلاثي "رحل" والرحل مركب البعير والناقة وجمعه أرْحُلْ ورِحال[1]، رحل عن البلد برحل ورحيلا وترحالا أي شخص سار ورحل إلى مكان بمعنى انتقل[2]

ارتحل القوم عن المكان، ارتحالا: إذا انتقلوا، والرحلة بالضم والكسر، يقال أنه لذو رِحلة إلى الملوك ورُحلة أي ارتحال بمعني تنقل أو الرحلة بالكسر الرِحلة: الارتحال للمسير، يُقال دنت رحلتنا بمعني قرب وقت مسيرنا أي انطلاقنا والرُحلة أيضا هي السّفرة الواحدة[3].

يُقال رحل فلان من رحلة لا يعود وعند المولِّدين قصة يكتبها المسافر عما جرى له وما رأى في سفره، يُقال فلان اشتكى من رحله أي من سفره[4] والمراد منه تعب وإرهاق السفر، الرُحلة وهي الجهة والوجهة التي يقصدها المسافر في سفره .تقول "دمشق رُحلتنا أي الجهة التي نقصدها" والرحلة هي الارتحال ،عبارة عن قصة يدوِّنها صاحبها أثناء تنقّلِه من مكان إلى آخر[5]

فعلى العموم مصطلح الرحلة في اللغة هو ارتباطه بالتنقل والرغبة في السَّفر والانتقال من مكان إلى آخر بغية مآربَ تقتضيها ظروف الرِّحلة.

---

[1]-ابن منظور، لسان العرب، مجلد 11، دار صادر بيروت، دس.ص.274

[2]-بطرس البستاني، محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت.1987. ص.327

[3]- مرتضي الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 14، تح علي شيري ،ط1، دار الفكر بيروت،1414هـ. ص. 273.

[4]- بطرس البستاني، المصدر السابق، ص.328.

[5]-المنجد في اللغة والأعلام، ط45، دار المشرق، بيروت، 2012، ص.253.

1-2- التعريف الاصطلاحي: التعريف الاصطلاحي مرتبط باللغوي فبعد فحص اشتقاق المصطلح والذي اتفق عليه العامّة والخاصّة أنه ضد السّكون والإقامة والذي يعني الحركة والسير والتنقل في الأرض ، فهي صنف تأليفي يختص بتتبع الراحل في لحظات تنقّله من أمكنة وأزمنة معينين فيتم رصد الراحل لذكرياته أثناء هذا التنقل في وصفه للمسالك والممالك، في الحديث عن الطرق والمجتمعات التي يتصل بها والظروف المحيطة بها أثناء ذلك[1]

المراد بها قيام الرحّالة بتدوين الأحداث والمشاهد التي يراها ويعتمد على الملاحظة والتجربة وتختلف طريقة التدوين فمنهم من يُدون أثناء السّفر مباشرة ومنهم من يقوم باسترجاع الذكريات ويكون بعد وصوله والتفرّغ للكتابة ورصد مختلف عادات وتقاليد المجتمع فتُخرِجنا من المجهول نحو المعلوم ومن اللّاوجود إلى الموجود فهنا يظهر لنا علم المعرفة [2].

فتنقُّل الفرد من مكان إلى آخر مختلف عنه ،عرّفه بثقافة غيره ، فهي الهجرة، الانتقال ،الاستكشاف والسياحة .فهذه الأخيرة هي الضّرب في الأرض بقصد العبادة والتنزّه أو الانتقال لكشف أمور علميّة أو تاريخيّة[3] ما يجعلها تتداخل مع الجغرافيا في وصف المدن ، التضاريس ، المسالك والممالك فهي منابع ثرية لمختلف مظاهر الحياة ومذاهب أهلها على مرّ العصور. حقيقة الرحّالة يعدّ ناقلا للأحداث والظواهر ليقدِّمها للقارئ والمستمِع له[4] ، ما يجعلها نصًّا يمزج بين شكله الأدبي ومضمونه العلمي، تتكامل لتشكل نمطا خاصّا من أنماط القوْل الأدبي الذي يستمدّ موضوعاته من أرض الواقع فيحكي الرحّالة أحداث سفره وما عاشه من ملوّنا ذلك بانطباعاته الذاتية وصفا للمعالم والشخصيات التي التقى بها[5].

فالرِّحلة مرتبطة بالزمان والمكان والمجتمع فتُعدّ العناصر الأساسية لاستحضار الرّحلة من طرف الرحّالة إذ يعد المكان أداة لوصف المشاهد ووصف الأشياء من طبيعة وعادات. وكذا الزمان فهي مرتبطة بفترة زمنية معينة ، قابلة للاستمرارية فالأخبار التي يوردها رحّالة القرن 16م ،تختلف عن الأحداث التي يوردها رحّالة القرن 18 مع وصف المكان فيكون الاختلاف نتيجة التحوّل والتغيّر أمّا العامل الثالث هو المجتمع الذي يتأثّر ويؤثِّر حسب البيئة

[1]- عبد الله المرابط الترغي ،الرحلة الفهرسية نموذج للتواصل داخل العالم الإسلامي رحلة أبي سالم العياشي ماء الموائد نموذجا، ضمن كتاب جماعي السفر في العالم العربي الإسلامي – التواصل والحداثة ، تنسيق عبد الرحمان المؤذن وعبد الرحيم بحادة،ط1، منشورات كلية العلوم الإنسانية والآداب ، 2003. الرباط ، المملكة المغربية.ص.16.

[2]- جيجيك زروق ،المسيلة وضواحيها على ضوء رحلة الورثيلاني ، أعمال الملتقى الوطني الخامس حول تاريخ وأعلام المسيلة تحت شعار المسيلة حاضرة التواصل بين المشرق والمغرب ،يومي 6و7 ديسمبر 2016. ص.42.

[3]- محمد ماكمان ، الرحلات المغربية ،ق17و18م، ط1، مطبعة الأمنية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،2014.الرباط ، المملكة المغربية.ص.19.

[4]- نفسه ،ص.19.

[5]- عيسى بخيتي ،أدب الرحلة الجزائري الحديث مكونات السرد، دار هومه،2014.الجزائر.ص،ص.16،17.

الاجتماعية للفرد فالذات تنتقل من مكان إلى آخر فلا يمكن لها ان تُغيِّب ذكرياتها الأصلية المخزّنة في ذهن الرّحالة والتي تشكلت ضمن الأُطُـر الاجتماعية المنبثقة من بيئته.

فهي نقلة في المكان والزمان حتى تصبح وثيقة فنية تاريخية حين يُقبِل الرّحّالة على تدوين الأحداث التي صادفتهم ووصف الأقطار التي مروا بها ،وما واكب هذا الانتقال من وصف جغرافي وعمراني واجتماعي وبشري ،فهي تجمع بين الإفادة والامتناع بهدف اكتساب المعرفة[1]،والانتقال من محدودية التصوّر إلى سعة الأفق الكَوني ورحابة التمثّل والتفكير [2].

فالرحلة على العموم هو السّفر الذي يتوخّى من ورائه الاطّلاع على آفاق جديدة من المناطق المجهولة من خلال تسجيل ما ترصُده حواسّه في تقرير مُدوَّن يصبِح بعد مرور الوقت وثيقة تاريخية وجغرافية لعملية كشف النِّقاب عن المجهول من الأرض والناس[3]

1-3- التعريف الصّوفي: كثيرا ما اهتمّت الدراسات والأبحاث الصوفيّة بمسألة الرّحلة إلا أنَّ المصطلح يختلف في التعبير عن الرِّحلة ،فيعبَّر عنه بمدلول السَّفر والذي يُعبِّر عن التنقل ويكمن الاختلاف في طريقة .

الرحلة في المفهوم الصّوفي تختلف عن السَّفر خلافا في اللّغة والاصطلاح فاشتقاقهما المعنوي واحد.

فالرِّحلة في المفهوم الصوفي يُقصَد بها رحلة المريد إلى حضرة الحق ومعناها ' الذِّكر' أي من كثرت أذكاره ودامت فقد صفّت أسراره ومن صفّت أسراره كان في حضرة الله قراره[4]

السّفر : سُمي سفرا لأنه يُسفِّر عن أخلاق الرِّجال فهذا ما حضرني من آدابهم في أسفارهم[5]، وهو ينقسم إلى نوعين سفر البدن وسفر القلب ، الأول يُقصَد به الانتقال من مكان إلى آخر وهو نفسه التعريف اللّغوي ، أما القسم الثاني فيُقصَد به الارتقاء من صفة إلى صفة وهو سفر غير منتهي وقد جسده "ابن عربي" في الفتوحات المكية ويكون داخلي لأجل الوصول إلى الحقيقة ويعد أيضا طريقة أو منهج[6]، فنجد في القسم الأول العديد ممن يسافر وهذا نتيجة الحركة وبِغية التنقل في الأرض ،أما في الثاني فنجد ثلة من الناس فقط.

---

[1]- نادية الازمي، الآخر في الرحلة المغربية "الرحلة التطوانية إلى الديار المقدسة" للشيخ عبد الله الصفار "الرحلة الحجازية" للشيخ ماء العينين أنموذجين،ط1،منشورات جمعية النجاح للتنمية الاجتماعية، 2016،مراكش.المملكة المغربية.ص.22.

[2]- نزيهة جابري، الرحلة المغربية المكية لأحمد بن محمد الصبيحي السلاوي،ط1،دار الامان،2016، الرباط، المملكة المغربية.ص.13.

[3]- عمر علوي عمراني، الرحلة كوثيقة من بين اقدم الوثائق المكتوبة في تاريخ المغرب القديم، ضمن كتاب جماعي بعنوان :أدب الرحلة في التواصل الحضاري ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس،1993،المملكة المغربية،ص.13.

[4]- رفيق لعجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، 1999.لبنان .ص 391.

[5]- أبي نصر السّراج الطوسي ، اللُّمع ، تح :عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديث ،1960.مصر،ص.250.

[6] - Antonio Gonzalo Carbo,la teoría de los «centros sutiles» en el sufismo del shaykh ahmad sirhind .88.

فيكون السَّفر بتوجه القلب إلى الحقّ وهو أربعة أنواع :الأول السير إلى الله من منازل النفس إلى الوصول إلى الأفق المبين ونهاية مقام القلب ومبدأ التجليات الاسمائية، الثاني هو السير في الله والاتصاف بصفاته والتحقق بأسمائه إلى الأفق الأعلى وهو نهاية الحضرة الواحدية، الثالث هو الترقي إلى عين الجمع والحضرة الأحدية وهو نهاية الولاية ، الرابع والأخير هو السير بالله عن الله للتكميل وهو مقام البقاء بعد الفناء والفرق بين الجمع[1]

فالسفر عند الصوفية سياحة روحية ، فلا ينتقل الصوفي للتنزه وطلب الرزق وإنما سفره للحج أو الجهاد ويقصد به جهاد النفس عن المعاصي فهذا ما جعلهم يبيعون أنفسهم لله محبة وابتغاء في حبه ونعيمه وفي السفر لقاء بالصالحين والأولياء والعلماء[2] ويأخذ نفس الرأي "ابن عربي" إذ يرى أن السفر توجه القلب إلى الحق تعالى بالذكر وهو نفس التعريف الذي اتفق عليه جلّ الصوفية ، إذ يقسِّمه إلى نوعين النوع الأول السفر الصوفي أن يرحل العبد من منزلة قوله إلى منزلة سمعه ليسمع ما يجيبه الحق تعالى على قوله وهذا هو "السفر" ، والسفر عمل قلبا وبدنا ، معنى وحسّا ،أما الثاني "عامة" والمراد به أن المسافر يسافر بفكره في منازل مقدماته وطريق ترتيبها ، حتى ينتهج له الحكم في المسألة المطلوبة ، يقول في موضع آخر أنّ السفر هو التنزه الذي ينتقل به من تلفظك به، في التعليم ،إلى سمع المتعلم السامع حصول ذلك العلم ، وتعد الأعمال أيضا سفر فكما سافر العقل بنظره الفكري إلى العالم ،سافر العامل بعمله واجتمعا في النتيجة.[3]

يقرن الحسين الورثيلاني صاحب الرحلة المشهورة بالرحلة الورثيلانية "السفر" أن يكون من الخلق إلى الخالق ومن طبائعه الردية إلى السجايا السنية ولا يكون هذا إلى بالتوجّه في رحلة إلى بيت الله [4]، فنجده أنه وظّف مصطلح السّفر في رحلته التي عنونها بالرحلة فقَصْده السفر الصوفي الذي يهدف إليه المتصوِّف وهو التقرب إلى الله والوصول إلى بيته الحرام وزيارة أوليائه وعلمائه.

نفس الموضع يراه القشيري في مؤلفه "الرسالة القشيرية" إذ يقول أن السّفر نوعان سفر بالبدن وسفر بالقلب ،فالأول هو الانتقال من بقعة إلى أخرى ، أما الثاني فهو الارتقاء من صفة إلى صفة ،فترى ألفا يسافر بنفسه(ببدنه) وقليل من يسافر بقلبه. وبهذا الصدد يفرق الصوفية في حديثهم عن السفر .فسُئل مرة أحد مشايخ الطرق الصوفية هل سافرت أيها الشيخ ؟ فقال: سفر الأرض أم سفر السماء ؟ سفر الأرض لا، أما سفر السماء بلى[5] .

.

[1]–عبد الرزاق الكاشاني ،معجم اصطلاحات الصوفية ،تح عبد العال شاهين ،ط1، دار المنار1992،القاهرة ،مصر.ص122.

[2]– حسين الشرقاوي ، معجم الفاظ الصوفية ، ط1،مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ،القاهرة .مصر ، 1987.ص.175،174.

[3]– سعاد الحكيم ، المعجم الصوفي الحكمة في حدود الكلمة ،ط1، دندرة للطباعة والنشر ،1981، بيروت . لبنان.ص.581.

[4]– الحسين بن محمد الورثيلاني ، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث ،ط1، 2011، الجزائر.

[5]–أبو القاسم عبد الكريم القشيري ،الرسالة القشيرية ،تح :عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ،ج 2،دار المعارف.دس، القاهرة ،مصر. ص451.

1-4-الرِّحلة في القرآن الكريم

اهتم القرآن الكريم بالرّحلة والسفر فنجده قصّ العديد من القصص لأقوام وشعوب عبر الزمن فقاموا برحلات وهجرات وخص بها الأنبياء والمرسلون فكانت مختلفة الأهداف وسرد منها ما حدث في الجزيرة العربية عند بيته الحرام من تنقلات داخلية لأهل مكة وخارجية من مختلف الأمصار الإسلامية إلى بيت الحرام لأداء فريضة الحج ويشترك في التعريف الاصطلاحي والذي يشمل على التنقل من بقعة جغرافية إلى أخرى بغية تحقيق أهداف ، فذُكر مصطلح الرِّحلة ظاهريا ومستترا يُفهم من خلال المعنى :

في سورة قريش يقول الله تعالى :**{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)}**[1]، يفسرها الطبري اعتياد أي موالفة أهل قريش بالرحلة في فصل الشتاء إلى اليمن وفي فصل الصيف إلى الشام وتركهم عبادة رب هذا البيت الذي أنعم عليهم بنعم كثيرة لا تُحصى[2] ، فالغرض من الرحلة هو التجارة وتبادل السِّلع ثم يرجعون آمنين في أسفارهم إلى ديارهم من قطاع الطرق السرّاق ولعظمهم عند الناس كونهم من سكان بيت الله الحرام ،فمن عرفهم احترمهم بل من سار معهم أمن بهم وهذا حالهم في أسفارهم ورحلاتهم[3].

فهذا نص صريح على أن الرِّحلة تعني التنقل فأهل قريش يقطنون بمكة ويتنقلون إلى أماكن أخرى وأهمها : اليمن والشام ،فلكل رحلة هدفها المنشود منها العلمية ،الدينية ،السياحية ،الدبلوماسية والتجارية ،فرحلة أهل قريش تجارية لتسويق البضائع وتبادل السلع.

وورد أيضا بمصطلح السفر في سورة البقرة قوله تعالى :**{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَو عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185)}**[4]وهنا يوضح "أَو عَلَى سَفَر" أي متنقلا عكس المقيم ، فأباح للمسافر أن يفطر لمشقة السفر والمشقة تأتي من التنقل بواسطة وسيلة تساعده أو بنفسه من مكان إلى آخر فيُجهد الإنسان ويُدهر طاقاته فكما هو معلوم

[1]- القران الكريم ، سورة قريش ، الآية 1 إلى 4. رواية ورش عن الإمام نافع.

[2]- الطبري ، مختصر تفسير الطبري "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، تح الشيخ محمد على الصابوني وصالح احمد رضا ، مج 2، ط2،مكتبة رحاب ،1987، الجزائر.ص.558

[3]- ابن كثير، تفسير القرآن الكريم ، ج4،ط1،دار الكتاب الحديث ،د.س،الجزائر، ص 2314.

[4]- القران الكريم،سورة البقرة،الآية185،رواية ورش عن الإمام نافع

أن السفر قطعة من العذاب وبالخصوص في تلك الفترة لانعدام وسائل النقل ماعدا البهائم والحيوانات التي لا تقي من حر الصيف وبرد الشتاء ،فقد رخّص للمسلم الذي يكون في حالة السفر فله أن يفطر وعليه القضاء[1].

يقول الله تعالى:{ **قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُو وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24)**}[2] والتي يقصد بها اهبطوا وهو الانتقال والتّرحال من الجَّنة إلى الأرض فهذا نوع من التنقّل إذ يُعَدّ سيدنا آدم أول شخص تنقَّلَ إلى وعلى سطح الأرض وتبعته العديد من الرحلات والتنقلات بين الأمصار مثل سيدنا يوسف ورحلته إلى مصر وسيدنا إبراهيم الخليل الذي تنّقَل من بابل إلى فلسطين وبيت الله ثم مصر ومنهم من تنقّل عبر البحر نجد سيدنا نوح عليه السلام عبر السفينة فمسار الرّحلات أخذ مسارين عبر البرّ والبحر.

في موضع آخر يقول الله تعالى:{ **لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (13)**}[3]فكان الرسول عليه الصلاة والسلام إذا استوى على البعير خارجا في سفره كبّر ثلاثا ثم قال هذه الآية، ويربطها بدعاء مقرون بها وهو :اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البِرَّ والتقوى ومن العمل ما ترضى ،اللهم هوِّن علينا سفرنا .. اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل...اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب ، فالسفر مقرون بالتحرك عكس الإقامة وهذا ما نجده عند المسلمين في أدائهم للشعائر الإسلامية وخاصة الحج[4].

يُقصَد بالمسافر في القرآن الكريم بابن السبيل الذي أوجب حقه في الأموال لأن السبيل هو الطريق، والذي يسير عليه هو ابنه أي سالك الطريق، وصاحب الطريق ولذلك يُسمِّي الصوفية السالك المريد الصادق، ويُسمى الشيخ "صاحب طريق"[5].

ثانيا :نشأة الرحَلات في العالم الإسلامي وتدوينها

عرَف المسلمون عامّة والجزائريون خاصّة الرَّحَلات منذ فترات تعود إلى الفترة القديمة والتي عاصرت الإمبراطورية الرومانية في أوروبا والممالك الأمازيغية نحو أوروبا أو الشرق أين انتقل الأمازيغ إلى مصر في عهد الأسرة الثانية والعشرين والتي تعد رحلة جماعية من مملكة نوميديا إلى مصر الفرعونية فهي هجرة وتمكنوا من بسط يدهم على عرش مصر بتولية واحد منهم وهو سيشنق الأول الذي سيطر على الدلتا وبعدها انتقل إلى القدس وسيطر

[1]- ابن كثير، ج 1، المصدر السابق، ص.214.

[2]- القرآن الكريم ، سورة الأعراف، الآية:24.رواية ورش عن الإمام نافع.

[3]- القرآن الكريم ، سورة الزخرف ، الآية 13، رواية ورش عن الإمام نافع .

[4]- القشيري ، المصدر السابق ، ص.450.

[5]-حسن الشرقاوي ، المرجع السابق.ص.175

عليها[1]ما ولّد استقرار العديد من العائلات التي انتقلت في بداية الأمر لنتيجة غزو أو حملة حربية ،ودلَّت النقوش التاريخية المحلية على تواجد حركة تنقُّلٍ واسعة جدا في إقليم مملكة نوميديا فهي رحلات داخلية لأغراض معظمها تجارية وشخصية مقارنة بالأولى التي تعد رحلةً خارجية تُدرج ضمن الأهداف الحربية والعسكرية .

تُعدّ التجارة في العالم من أهم أسباب الرحلات فنجد شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الديانة الإسلامية على المعتقد الوثني ومنهم اليهودية والمسيحية فوطّدوا علاقاتهم الدينية والتجارية نحو العديد من الأمصار، باعتبار أن الإنسان مرتبطٌ بالمجتمع ومُحِبٌّ للاستكشاف والتعرف على الأخر ، فعُرفت بحركة مزدهرة جدا بين الحجاز والشام واليمن فتعد رحلات تجارية لتبادل السلع وحتى الثقافات ،فيصِف لنا التاريخ مدى أهمية هذه الرحلات في توطين العلاقات فاشتهروا بالتجارة مع سكان إفريقيا شمالها وشرقها وفي شرق الجزيرة حتى الهند وما ورائها فيضرب لنا التاريخ أن الإسكندر الأكبر فكّر في غزو الجزيرة العربية عن طريق موانئها لقطع صلاتها التجارية الخارجية مع الهند وشمال إفريقيا[2]

فحسب المؤرخين والجغرافيين يُعد ظهور الإسلام وانتشاره أحد أسباب تزايد عدد الرحلات وتبنيها الخاصية الدينية والتعليمية ،فيُعد الحج أكبر رحلة يشهدها العالم كل سنة فيأتيه الناس من كل فج عميق وتكون فردية أو جماعية وقد دوّن العديد من المغاربة رحلاتهم في مؤلفات خاصة فارتبطت بالدين والإسلام فيعد نداءً ربانيّا إلى عباده الموحِّدين يحثُّهم على التنقل إلى بيته الحرام قصد التقرب منه ونيل الثواب والأجر لمن كانت له القدرة على التنقل فيقول تعالى :{ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27)}[3] فهذا ما نجده لاحقا أنّ جلّ الرحلات المغاربية مرتبطة بالركب الحجازية فهدفها الأسمى هو الوصول إلى بيت الله وتأدية مناسك الحج الذي يعد من قواعد الإسلام.

2-1-أهم رحّالة المشرق والمغرب الإسلامي :

ظهر فن جديد في الأدب والتاريخ يُطلق عليه بالسير والتراجم والرحلات ، فاعتلى أدب الرحلة مكانا مرموقا بين الفنون والعلوم ما أهله أن يُخصَّصُ له جانب خاص به لدراسته والتنقيب في أخباره فالكمّ الزاخر الذي أنتجه الرحالة المغاربة في العصرين الوسيط والحديث والتي تعد رحلات استكشافية جغرافية أقرب منها تاريخية جالت مختلف الأمصار الإسلامية غيرها وارتبطت بالتدوين منهم:

[1]- محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة ،دار هومه،2013.الجزائر.ص.34.

[2]- فؤاد قنديل،أدب الرحلة في التراث العربي،ط2،الدار العربية للكتاب،القاهرة،2002،مصر.ص.25

[3]- القرآن الكريم، سورة الحج ، الآية 29، رواية ورش عن الإمام نافع.

اليعقوبي (ت 284هـ،897م):أبو العباس أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي يُروى أن والده كان يعمل في البريد فأخذ نفس طريق والده ، تعد رحلته الموسومة بـ " البلدان" فجال المغرب والمشرق ،زار الهند ، العراق ،الشام ، أذربيجان، الصين ،مصر وشمال أفريقيا عامة وجُلّ البلاد الإسلامية ، فقدم دراسة وصفية للجغرافية من سهول وجبال وأودية ومختلف أوضاعِ الحياة الاجتماعية منها السياسية ،العسكرية ، الاقتصادية والاجتماعية[1]برحلته هذه فيعدّ اليعقوبي من أوائل رحّالة المسلمين في القرن الثالث للهجرة.

ابن خرداذبة (207هـ –300هـ): هو أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة ، فارسي الأصل أسلم على يد البرامكة . منصِبه ساعده وأهّلُه أن يكون رحّالة وجغرافيًّا ، فاشتغل في البريد مثله مثلَ حال اليعقوبي ، فكان البريد أبان الخلافة الإسلامية منتشرا ومزدهرا نتيجة التوسع الإسلامي والرقعة الجغرافية الممتدة من الشرق إلى الغرب ما جعل الخلفاء يهتمون بالبريد لإيصال الأخبار ومعرفة شؤون الرعية ، من أهم مؤلَّفاته التي تضم فنّ الرحلة نجد "المسالك والممالك " فتناول فيه الحديث عن الأرض وعن خط الاستواء وعن ملوك وخلفاء العالم عبر التاريخ ،فانتقل إلى ما ارتبط برحلته فدوّن لنا الطرق التجارية البرية والبحرية في الهند وفي الغرب الإسلامي وكان حريصا على تقديم المسافات والأبعاد[2] ، إذ يُعَدّ مؤلَّفه هذا من أبرز ما أنتجه الجغرافيون المسلمون ما جعل الذين لحقوه أمثال ابن حوقل ، الإدريسي يُعد مادة أساسية ومصدرا يُستأنس به في أبحاثهم ورحلاتهم.

المسعودي (364هـ–956م) يُطلق عليه "بهيرودوت العرب" يُعدّ من رحّالة القرن الرابع وهو علي بن الحسين بن علي اختلف المؤرخون في نسبه بين البغدادي والمغربي إلا أنّ معظم النصوص تضعه من بغداد، علمه ومعرفته وحبّه للعلم أهَّلَه أن يكون من خاصته فزار البلدان للعلم والاستكشاف وإتقانه للعديد من اللغات منها الفارسية، الهندية ،السريانية واليونانية فدوّن عن الطرق البرية والبحرية وتعد مؤلَّفاته ثروة تاريخية وجغرافية عن شعوب تلك البلاد[3] فلخّصها في عدة مصنفات وأهمها "مروج الذهب ومعادن الجوهر" فقسمه إلى جزأين ،فوصف فيه الخليفةَ وقصص الأنبياء ثمّ انتقل إلى وصف الأرض والبحار والطبيعة على العموم وبها من الأديان والعلوم والثقافات.

خصّ الجزء الثاني بتاريخ الإسلام من عهد الراشدين إلى أواخر عهد الخلافة العباسية ، اهتم الغرب والمستشرقون بهذه الدراسة فقام بترجمته المستشرق باربيه دي مينار إلى اللغة الفرنسية وطبع بباريس1782 في تسع مجلدات ونقله "سبير نغر" إلى الإنجليزية عام 1841م جزءً واحدا فقط[4]، نتيجة القيمة التاريخية والجغرافية ولفوائده المتعددة

[1]– احمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي ،البلدان، مطبعة بريل،1890،ليدن المحروسة .ص..ص2. 3.

[2]– ابن جردانبة، المسالك والممالك ،مطبعة بريل ،1889،بمدينة ليدن المحروسة.ص.03 وما ورائها.

[3]– فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص.211.

[4]– نقولا زيادة ،الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، 1987،لبنان،ص.154.

خاصة بعد الكشوفات الجغرافية التي بادر إليها الغرب الأوروبي والذي تطلب منهم العودة إلى كتب الجغرافيا التي دونها المسلمون.

ياقوت الحموي (574هـ – 626هـ) :أبوعبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، اهتم بالأسفار والتجارة بعدما تم عتقه وابْتاعه أحد تجار بغداد ، زار العديد من البلدان والأمصار[1] منها عمان، الشام ،فلسطين ، مصر ، خراسان ،ما وراء النهر، بفضل التجارة التي يقتات منها عند سيده والذي يُعد من كبار التجار فكانت سفرياته ورحلاته غير منقطعة [2]،فدون كل هذه الأحداث في مؤلَّفه الشهير بـ" معجم البلدان" ، يقول عنه سكونفسكي :"إنه كاتب مدقق مجتهد، نَدين له بحفظ آثار قيّمة في التاريخ والجغرافيا وفي العصور الوسطى أبدى الكثير من الغيرة والحماس في دراسة الأوضاع الجغرافية والاثنوجرافية والسياسية"، فهو دائرة معارف جغرافية متعددة تتسلل إليها لمحات تاريخية، أدبية، لغوية ودينية كما تقدم لنا صورة مدققة عن مختلف الشعوب من مجالات الفكر، العلم، الأدب، السياسة والدين ، من الذين اهتموا بدراسة معجم البلدان المستشرق "سنسكوفسكي" و"فيردناند فستنفلدا" الذي قام بإخراج أول طبعة كاملة[3].

أهم الرحالة المغاربية:

وعلى هذا لم يكن الغرب الإسلامي غائبا في مجال الترحال والرحلات فكان هناك العديد من الرحالة الذين قدّموا إضافاتٍ للبحث الجغرافي والاستكشافي منهم:

ابن بطوطة (ت 779هـ . 1377م) : هو شمس الدين أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المكنى بابن بطوطة[4] ولد بطنجة (المغرب الأقصى) ، استغرق في السفر مدة تزيد عن الثلاثين سنة عبر ثلاث مراحل بداية بزيارة شمال إفريقيا مدة 25 سنة كاملة وبعدها انتقل إلى مصر والحجاز وشبه الجزيرة العربية مرورا بالشام إلى الأناضول ومنها إلى القسطنطينية انتهت بما وراء النهر في شبه الجزيرة الهندية وكذا الصين .

ورحلته الثانية كانت إلى بلاد الأندلس فزار مختلف مدنها واحتك بعلمائها وأما الثالثة والأخيرة فكانت إلى إفريقيا نحو السودان الغربي[5].

---

[1]–خير الدين الزركلي ،الأعلام قاموس تراجم لا شهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15،دار العلم للملايين ،ج2002،8.لبنان،ص.131.

[2]–ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1،دار صادر،1977.بيروت،ص.06

[3]–فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص.434.438.

[4]– ابن بطوطة،تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المشهورة "برحلة ابن بطوطة"،ط1،المطبعة الخيرية.1322هـ.د م.ص.03.

[5]– ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين،ط2، دار البصائر،2014 الجزائر.ص.200.

الإدريسي(493هـ – 560 هـ):محمد بن محمد بن عبد الله بن عمر بن إدريس والذي ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب ويُلقب بالشريف نسبة إلى إدريس الأول ، ولد بالمغرب الأقصى زار العديد من البلدان في أوروبا على غرار إنجلترا ،فرنسا، صقلية وآسيا الصغرى وشمال إفريقيا دوّن رحلاته في مؤلَّفه الضخم والمهِم والمعنون بـ" نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" والتي تعد مصدرا لا يستغنى عنها في معرفة الجغرافيا والتاريخ .

يقول عنه البارون دوسلان "أنّ كتاب الإدريسي لا يمكن أن يوازى به أي كتاب جغرافي سابق له، وإن ثمة بعض أجزاء من المعمورة لا يزال هذا الكتاب دليل المؤرخ والجغرافي في الأمور المتصلة بها" فكان المرجع الأول في أوروبا لمدة قرون[1] .

عرف العالم الإسلامي عبر قرون عديدة الكثير والعديد من الرحلات الجغرافية وكان للغرب الإسلامي نصيب منها وقد قدمنا ثُلة من أشهر الرحّالة في المشرق والمغرب الإسلاميين ومعظمها اهتمت بالجغرافيا والتاريخ واتصلت بها العديد من الفنون والعلوم حتى أصبح يُلقب بأدب الرحلات.

ابن خلدون (732هـ –808):أبوزيد عبد الرحمان بن محمد بن خلدون من المهاجرين المورسكيين إلى شمال إفريقيا ولد بتونس وتعود جذور أسرته إلى أصول يمنية حضرمية ،تقلدت أسرته مناصب جد عالية في الصعيدين السياسي والعسكري، أخذ العديد من العلوم نتيجة رحلاته المختلفة جال في شمال إفريقيا بين المغرب والجزائر تونس ومصر تولى القضاء وخالط أهل البلاط[2] ، توفي بالقاهرة . قام برحلات عدة إلى الأندلس وشمال إفريقيا ومن الحجاز إلى الشام ووصل إلى القدس ولكن لم يتم تسليط الضوء عنه أنه رحالة [3]، فعُرف بعلمه الغزير ومؤلفاته الضخمة فيُعد مؤسِّس علم الاجتماع والعمران من خلال مؤلفه كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" ،أما كتابه عن الرحلة فعنونه "التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا" ويُقر ابن خلدون بضرورة التنقل والترحال العلمي وبالخصوص لأهل البداوة إلى الأمصار المستبحرة بالعلم لاستنباط المسائل [4] والعلوم ولقاء المشيخة فهي كمال العلوم.

---

[1]- فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص.244.

[2]–عبد الغنيم غربي،الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، تر محمد الشريف بن دالي حسين، المؤسسة الوطنية للكتاب،1986.الجزائر،ص.9.

[3]– عبد الوهاب محمد إسماعيل العمراني، رؤية يمنية في أدب الرحلات مشاهدات وانطباعات من الشرق إلى الغرب ،ط2،مؤسسة الرسالة ناشرون،2013.لبنان،ص.21.

[4]– ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر العبر دار العودة ،د.س،بيروت.ص.344.

ثالثا : أنواع الرحلات وتقسيماتها:

تنقُّل الإنسان عبر حياته يختلف عن الآخر ،فالمآرب والمشارب تتباين ما جعل هناك تنوعا في الرحلات، فتنوع غرضها فاقتضى منها بعض الخصائص التي تميزها عن الأخرى في المكان والحدث والمنهج، تقاسِمها الأطُر الأساسية وهي الزمان والمكان والإنسان ،فمن أهمّ الرحلات التي عرفها العرب والمسلمون عامة عبر العصور والجزائريون بالخصوص نجد منها ما ارتبط بذات الفرد ومنها ما تعلّق بالدول والحُكم . وعلى هذا تم تقسيم الرحلات إلى أربعة أقسام وكل قسم إلى عدة أصناف تختلف في أربع نقاط أساسية هناك نوع يهتم بالغرض منها التجارية، العلمية، السفارية، الزيارية، الصوفية، الحجازية.. وتقسيم آخر من حيث طبيعة تدوينها ومنهج الكتابة منها النثر والشعر ، التقسيم الثالث عبر الإطار الجغرافي الخاص بالرحّالة منها الداخلية والخارجية والتقسيم الأخير من حيث زمن التدوين والتسجيل .

1- التقسيم الأول الرحلات من حيث الغرض.
2- التقسيم الثاني الرحلات وطبيعة تدوينها .
3- التقسيم الثالث الرحلات ومسارها الجغرافي.
4- التقسيم الرابع الرحلات وزمن تدوينها.

من خصائص ومميزات التقسيم الأول فن أدب الرحلة تنوع تنوعا غزيرا، فنجد في ثنايا الرحلات تعدد الأهداف ويمكن للرحلة الواحدة أن تتداخل فيها العديد من الأصناف الأخرى فيصعب التمييز بينهما ومن أهمها نجد:

1- التقسيم من حيث الغرض:

أ-**الرحلة الحجازية:** من اسمها يُفهم أن المقصود من ورائها الحجاز ،فلماذا بلغ الأمر إلى تخصيص الأدب والتاريخ فرعا كاملا من الرحلات يُطلق عليه بالحجازية؟ لماذا ارتبط العديد من البشر بالحجاز؟ إن هذه الأسئلة تطرح إشكالية سبب اهتمام الرحّالة بالحجاز .

فالرّحلة الحجازية مقترنة بالجانب الديني وتخص المسلمين الذين يرتادون بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج والتي تعَد من قواعد الإسلام، فموضوعها الرئيسي زيارة الأماكن المقدسة ووصفها بعد تدوين كل المشاهدات والتي تعتمد على عامل الملاحظة فيُقدم لنا معظم الرحالة مسار طريق الركب إلى الحج ،حيث جمع الرحّالون بين آداء فريضة الحج والتحصيل العلمي ومعرفة البلدان والاستفادة من المشاهد المتنوعة[1]، فجمعوا ذلك في مؤلفاتهم التي

[1]- نادية الازمي، المرجع السابق.ص.28.

تعتبر من أهم المصادر التي تعطي لنا صورة عن المشرق ويعد ابن جبير الكناني الأندلسي[1] أولَ من كتب الرحلة الحجازية في أواخر القرن السادس هجري[2].

ب– الرحلات العلمية : يكون الهدف منها طلب الحصول على العلم والمعرفة عن طريق التنقل إلى الحواضر العلمية والعمل على التحصيل العلمي ولقاء العلماء والمشايخ والحصول على إجازات علمية ويقوم بتدوين رحلته أثناء مكوثه بالمعهد أو بعد رجوعه ،فيسردَ لنا مناقب العلماء والعلوم المتواجدة والتي تحصّل عليها على ضوء الإجازات التي أخذها على مشايخه.

تشير المصادر التاريخية أن أول من دوّن رحلته العلمية (الدراسية) الربيع بن سليمان[3] إلى شيخه الإمام محمد بن إدريس الشافعي ومما رواه" وأقبلت أطوف العراق وأرض فارس بلاد العجم ،وألتقي الرجال حتى كتبت وأنا ابن إحدى وعشرين سنة"[4] وهذا النوع محتضن ضمن الرحلة الحجازية ولكنها لا يقترن مسارها في اتجاه واحد مقارنة بالحجازية فهي ذات مسلك أحادي.

ج – الرحلات الفهرسية: مشتقة من فهرس لأن صاحبه يقدم فهرسا عن المخطوطات والمصنفات التي درسها أو حتى التي تواجدت في رفوف المكتبات، فهي عبارة عن سجِّل علمي جمع فيه الأدبيات وتراجم العلماء وكتبا مشهورة ،فبرنامجه يخلو تماما من الوصف الجغرافي والمجتمع مثلما ما أورده **الرعيني** في رحلته الموسومة "كتاب الإيراد لنبذة المستفاد من الرواية والإسناد بلقاء حملة العلم في البلاد على طريق الاقتصاد والاقتصار" فهو عبارة عن برنامج أورد شيوخه الذين تلقى عليهم العلم في المشرق حيث أفرد كل علم بشيوخ ضمن فروع منفصلة عن الأخرى وقدّم تراجم لهؤلاء العلماء[5]

د– الرحلات السفارية: ظهر هذا النمط من الرحلات بعد قيام الدولة الإسلامية وإقامة علاقات مع دول وممالك أخرى تربطهم علاقات سياسية واقتصادية ويكون التواصل عبر سفارات ويتولى أفراد القيام بالوظيفة ، فمحتوى

---

[1]– ابن جبير الكناني الأندلسي :محمد بن أحمد بن جُبير مولده يوم السبات العاشر ربيع الأول عام 540هـ ببلنسية (الأندلس)، سمع من أبيه وعن الشيخ أبي الفضل ب"شاطبة" علم القراءات والآداب فتقدم في صناعة القريض والكتابة وأخذ عدة علوم حتى باع صيته، انتقل إلى الحجاز وزار الشام وأخذ عن شيوخها ودرّس بعديد الأمصار منها مصر ، توفي عام 614هـ من شهر شعبان ، للمزيد ينظر: أبي الحسن بن محمد بن جبير، رحلة ابن جبير،ط1، ملتزم الطبع عبد الحميد أحمد حنفي، مصر،2007،ص.08.

[2]–محمد ماكمان، المرجع السابق،ص.21.

[3]– الربيع بن سليمان: الربيع بن سليمان بن عبدالجبار بن كامل المراديّ مولاهم، الشيخ أبومحمد المؤذن، رافق الامام الشافعي ولازمه في بيته بحكم العمل عنده، تعلم وأخذ عنه الكثير ، ولد 174هـ، عمل مؤذنا بجامع الفسطاط بمصر، عُرف شيخه الامام بكثرة الترحال والتنقل ما جعل خادمه يدون له رحلة.

[4]– محمد ماكمان، المرجع السابق،ص.22.

[5]– عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية،1996.الرياض.ص.109.

مضمون الرحالة يصبّ ضمن الجانب السياسي وشؤون الرعية، فتعد ضرورة حتمية يقوم بها الحكام لعقد المهادنات والاتفاقيات ،ويشترط في اختيار السفير قوة الحجة والبلاغة والفصاحة والذكاء ويتمتع بصفات التميز عن الآخرين ولعل أقدم رحلة في هذا النوع هي كتاب "ترتيب الرحلة للإمام أبوبكر بن العربي المعافري دفين فاس ويرجع سببها لسفر والده موجَّها من قبل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى الخليفة العباسي أحمد المستظهر[1].

فقد أضافت الرحلة السفارية بعدا ثقافيا وسياسيا لأدب الرحلات ورؤية جديدة للعالم والقائمة على التبادل والمصالح المشتركة ، فيقوم السفير بتقديم انطباع على المجتمع الذي يعيش فيها مع وصف دقيق للمسار وللجانب الطبيعي للمنطقة ،فعرفوا من خلالها أخبار مجاوريهم معرفة دقيقة، فتولت هذه الرحلات أمر العلاقات الخارجية للمسلين مع غيرهم من الممالك غير الإسلامية[2].

هـ – الرحلات التكليفية: بعد توسع الرقعة الجغرافية للخلافة الإسلامية خلال الحكم العباسي التي قامت بالتفتح على الفكر الآخر في الغرب المسيحي وشرق أسيا فأنشأت بما يُسمى رحلات تتبناها إدارة الدولة لتحقيق مقاصدها في الاطِّلاع على شؤون بلاد العالم النائية ، فهذه الرحلات أشبه بوفود تبعثها السلطات إلى الممالك والأمصار وتحمِّلها مسؤوليات ومَهمَّات يقوم بها ،إما سياسية، ثقافية، اجتماعية، اقتصادية، دينية وثقافية[3].

و– الرحلات الرسمية (السياسية) : مرتبط بالأمور الرسمية والمعينة من طرف رجال الدولة والحكام والملوك ويكون عبر سفر رسمي ومنظم ومؤطَّر ويكون داخلي أو خارجي سواء ضمن الإقليم الجغرافي للدولة أو خارجها إلى الأمصار الأخرى ويُكلف الحاكم أحدا من المرافقين بالقيام بتسجيل أحداث الرحلة بداية من خروج الموكب إلى عودته وتتضمن أعمال الحاكم ومساره فيشبه حاليا ما يقوم به الصحفيون في تغطية خروج الحاكم في زيارة رسمية.

ي – الرحلات السياحية (استكشافية): الهدف منها السياحة والتعرف على الأماكن الأخرى ،فيقوم الرحالة بوصف دقيق للأماكن التي تجلب السياحة كانت طبيعية أوأماكن مقدسة والرغبة في البحث واستطلاع أخبار أمم غابرة من خلال آثارها المنقوشة على الأحجار ومعرفة أحوال بلدان لم تكن معروفة من قبل ، فمن دوافعها تكون ذاتية رغبة في اكتشاف المجهول وهذا الصنف من الرحلات معروفة كثيرة عند المسلمين وغيرهم ، تكون الحروب بدايتها في حملات استطلاعية استكشافية لمعرفة ثغور العدو ومراكز ضعفهم مما يُسهل عملية الاحتلال وهذا ما نجده عند الغرب إذ اهتموا بترجمة ودراسة النصوص الجغرافية التي دُوِّنت من طرف المسلمين وكانت تلك الرحلات بدواع سياحية وبحثية إلا أن غيرهم استفادوا منها في جوانب أخرى.

[1]– نادية الازمي، المرجع السابق،ص.29.

[2]– عيسى بخيتي ، المرجع السابق،ص.22.

[3]– جمال الدين فاتح الكيلاني، الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي دراسة تاريخية، دار الزنبقة،2014.مصر.ص.39.

ز – الرحلات الصوفية (الزيارية) : الزيارة ويُقصد بها زيارة الأماكن المقدسة كالقدس الشريف ،مكة المكرمة، المدينة المنورة بالإضافة إلى أضرحة الأولياء الصالحين والعلماء ومساجد الأنبياء وقبور الصحابة، مع ذكر فضائلهم وكراماتهم[1]بُغية التقرب منهم لنيل البركة ،وهي في الأساس تعتمد على الزيارة ،فتكون مميزات رحلتهم البحث عن المكاشفة الصوفية والمشاهدة ،فتجدهم يذكرون أصحاب الطرق الصوفية ومؤسِّسيها ويسردون كراماتهم ويصِفون المساجد والقُبَب والأضرحة وصفا دقيقا يليق بمقام أهلها مع ذكر الأوراد وسلسلة الشيخ وهنا يمكن أن تتداخل الرحلة الصوفية ضمن الرحلة الحجازية.

عُرف الرحّالة الذين دوّنوا رحلاتهم برِحالات الفكر وأشادوا بزيارات العلماء والأولياء، من مشايخ الصوفية الأحياء والأموات وكشفوا عن كراماتهم وأعمالهم وحثوا على زيارة المزارات والتبرك بها[2]

س – الرحلات الجهادية : عرف المسلمون الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام ،فهي عبارة عن غارات جهادية للدفاع عن ثغور الدين الإسلاميِّ ، ومنها فتح الأمصار غير المسلمة فكانت بداياتها عبارة عن رحلات جهادية ،فوصلوا إلى أقصى شرق آسيا شرقا والأندلس وغرب بلاد الغال غربا ،فيُمكن اعتبارها رحلات جهادية لإعلاء كلمة الحق ، ومنهم من استعمل الجوسسة هدفه جمع أخبار العدو وإيصالها لأهل الرأي ، فلا يمكن لقائد الحرب أن يفتح دولة دون علمه بأسرار أمنها وقوة جيوشها ، فالرحلة الجهادية تشتمل على الحرب والجوسسة .

ع –الرحلات الدعوية : فهي أقرب إلى الجانب الديني ،مَهمَّتها نشر الدعوة الدينية فهذا ما نجده عند كل الديانات والفِرَق الدينية في المسيحية واليهودية والإسلام تعتمد على الدعاة في نشر المعتقَد ،ونجده منتشرا كثيرا في إطار دعوة الخوارج فأرسلوا دعاة في كل البقاع الإسلامية فوصلوا إلى الصِّين شرقا والمغرب غربا فعملوا على نشر المذهب والفكر العقائدي في مجتمع ما والعمل على ضمِّهم إلى عقيدتهم .فالتاريخ الإسلامي غزير بهذه المذاهب فنجد في شمال إفريقيا دعاة البيت العباسي والبيت الأموي بغض النظر عن أهل الخوارج والشيعة فأسسوا دويلاتهم على مبدأ التقية والدعوة السرية فظهرت دولة الرستميين بتيهرت وبني مدرار بسجلماسة.

ق – الرحلة التجارية: هي أشهر أنواع الرّحلات يشارك فيه العامة والخاصة ،رأس مالها المال ومرتبطة بالأسواق ، فعرف العرب والمسلمين التجارة منذ عهد قديم فكانوا بمثابة الوسطاء بين الشرق الأسيوي والغرب الأوروبي وحتى إفريقيا جنوب الصحراء ، فكثرت القوافل والركب التجارية فأقاموا محطات خاصة لاستراحة المسافرين عبر أماكن محددة ومعروفة لدى أهلها ، ورُسمت لها مسارات خاصة بها عبر البرِّ والبحر ،وفي العهد العباسي تم تنظيم التجارة

[1]– نزيهة جابري، الرحلة المغربية المكية لأحمد بن محمد الصبيحي السلاوي،ط1،دار الامان،2016.المملكة المغربية.ص17.

[2]– سعيد محيجي، الرحالة أبي سالم العياشي الفيلالي ،مجلة زمان. مارس2017، المملكة المغربية،ص.74

أكثر فأصبح لها عمال يسهرون عن تسهيل أمور التجار فكانت منظمة وفي أوقات معينة، وأكبر رحلات العرب كانت إلى الشام واليمن في الصيف والشتاء .

فرحلة التجار المسلمين لم يكن هدفها يقتصر على تبادل السِّلع والسعي إلى الثروة وجمع المال بل تعدّى إلى الدعوة ونشر الإسلام من خلال معاملتهم الحسنة لأهل الأمصار وترك خلق متحضِّرٍ وإنسانيٍّ ما ساهم في دخول العديد من الشعوب إلى الإسلام عن طريق التجار المسلمين وبالخصوص في شرق آسيا مثل إندونيسيا وإفريقيا جنوب الصحراء مثل السودان الغربي فأخذوا بتعاليم الإسلام التي تنص على أن الدين المعاملة.

2- التقسيم الثاني الرحلات وطبيعة تدوينها .

رحلات شعرية(المنظومة): اختلف الرحَّالة في أسلوب تدوين رحَلاتهم إلى رحلات نثرية وأخرى شعرية وهذه الأخيرة نجد منها القليل ،فالنصوص التاريخية وكتب السِّير والتراجم أرخَت لها فتكون في قالب النثر ويُطلق عليه بالشعر الملحون فيصف ما رآه إذ تتقاطع مع الرحلة النثرية في جلّ الأمور وتختلف في نمط التدوين ،على سبيل المثال رحلة محمد بن مسايب واحد من رموز الشِّعر الملحون ،انتقل من الأندلس إلى فاس واستقر بتلمسان توفي 1776م [1]،فمن خلال قصيدته الشعرية وصف لنا رَحَلات الجزائريين ومسالك الطريق للوصول إلى بيت الله الحرام إذن هي رحلة حجازية فوصف مختلف المشاهد الدينية التي زارها ورآها في طريقه، وحديثه عن العلماء والمرابطين والمتصوفة ما يكشف عن تكوينه العلمي الديني متجليا في رحلته إلى البقاع المقدسة من تلمسان إلى مكة[2] ،نجد أيضا رحلة عبد الرحمان المجاجي[3] في قالب شعري ورحلة عبد الكريم الفكون إلى الحج والذي كان أميرا لركب الحج الجزائري ببايلك قسنطينة نظم ديوانا كاملا عن رحلته يمدح فيه النبي في عام 1621م [4]، فهي في مقام الموشحات مثلما ما نظم ابن عمار في رحلته الموسومة" نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب[5]،ورحلة ابن سعيد المنداسي التلمساني الذي هاجر إلى المغرب الأقصى وأصبح من أهل البلاط نبغ في الشعر الموزون الملحون ووضع أسس المدرسة الحوزية التلمسانية اشتهر بقصيدته الميمية الموسومة بـ "العقيقة" في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام بعد عودته من سفرته الحجّية تتميز عن غيرها من الرحلات استعمال الوزن والقافية وبحور الشعر فوجب على صاحبها اعتماد قواعد نظم الشعر بها أثرى الشعر الصوفي المتعلق بحب الله والأولياء والشوق إلى بيته الحرام[6].

---

[1] -Hamidou(A),Aperçu sur la poésie vulgaire de Tlemcen les deux poètes populaire de Tlemcen Ibn Amsaib et Ibn triki, R.AF.V 79.T2.1936.P.P.1015.1016.

[2] -Ben Cheneb (M), Itinéraire de Tlemcen a la Mekke par Ben Messaib(18eme siècle), R.AF.N44.1900.P.261

[3]- عبد الرحمان المجاجي ،رحلة المجاجي، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر نسختين : نسخة الأولى رقم 1565، النسخة الثانية رقم 1564.

[4]- آل السيد الشيخ سعاد، رحلة المجاجي دراسة وتحقيق (1063هـ - 1652م)،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية جامعة وهران.2007-2008.ص.48.

[5]-ابن عمار ،نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم :2757.

[6] -DELPHIN (G.) les séances d'el-Aouali , journal asiatique recueil et mémoire et de notice relatifs aux études orientales, tome 04 , série 11.Paris.1914 p371.

الرحلات النثرية: المقصود بها غير الشعر تلك الرحلات التي دُوِّنت في قالب السرد والوصف واعتمادها على المصادر المعرفية الأخرى من مصنفات ومخطوطات ويكتبها الرحالة في شكل كتاب هذا النوع الأكثر انتشارا في العالم الإسلامي وفي الجزائر خلال العهد العثماني نُظم هذا النوع بكثرة قادها رجال التصوف في رحلاتهم إلى الحج وأشهر هذه الرحلات "رحلة الورثيلاني"[1] والتي تنتسب إلى صاحبها الحسين الورثيلاني ورحلة أبوراس الناصري الموسومة "فتح الإله ومِنته في التحدث بفضل ربي ونعمته" وهذا النوع ما يهمنا في موضوعنا باعتبارها رحلات صوفية وحجازية خلال العهد العثماني وسنقوم بالتفصيل فيها لاحقا.

يتّخذ الرحّالة النثر وسيلةً لحكي وقائع رحلته وقد سلك العديدَ من الرحالة هذا النوع ابتغوا من ورائها أهدافا[2] وهي :

-يُسقِط النثر على الكاتب كل قيود القافية والوزن فيكتب بكل حرية وطلاقة.

-يتيح النثر للرحالة جلبَ نصوصٍ وشعائرَ جديدة من معارفَ سابقة، فكثير من النصوص تكون منقولة من مصادرَ أخرى مثال الورثيلاني" وقد قال الشيخ عبد الكريم الزواوي في شرح الوغليسية هذا حاصله: إن التبرع من الولاة بمال المسلمين الذي جمعه ظلما وعدوانا من غير وجه شرعي.....[3]"فيعد نقل من كتب أخرى ،وقال في موضع آخر: قال شيخ شيوخنا سيدي أحمد بن ناصر ما نصه فائدة، قال الشيخ محمد بن علي شارح الشقراطسية ناقلا عن البكري، ويذكر أن تفسير طرابلس بالأعجمية ثلاث مدن...[4]ويمكن له أن يملأ تأليفه بما يختار من قصائد عن الورثيلاني يقول الشعر[5]:

حقي على الأوطان بالرعاية وحقهم علي بالهداية

ما أصعب التوديع للأحباب وعنده بالحزن واكتئاب

وكل نفس تزعج للافتراق لفقدان المألوف باختناق

فلهذا الأسباب فضّل الرحالة الكتابة بالأسلوب النثري، فالرحلات النثرية أكثر انتشارا بكثير من النُظمية في الجزائر خلال العهد العثماني فنجد منها رحلة الحسين الورثيلاني الموسومة "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، رحلة أبي العباس المقري الموسومة "رحلة المقري إلى المغرب والمشرق"، رحلة أبي راس الناصري المعسكري الموسومة"

[1]- الورثيلاني الحسين ،نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ،مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم 2743.

[2]-محمد الحاتمي، المرجع السابق،ص.98.

[3]- الورثيلاني ، الرحلة...، المصدر السابق، ج3. ص.348

[4] الورثيلاني ،المصدر السابق، ج1،ص.327.

[5]- نفسه،ص.181.

فتح الإله ومنّته في التحدّث بفضل ربي ونعمته، رحلة ابن عمار الموسومة" نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب"، رحلة عبد الرزاق بن حمادوش الموسومة "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والمال"، رحلة ابن هطال التلمساني الموسومة "رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي"، رحلة ابن الدين الأغواطي الموسومة "رحلة الأغواطي"، رحلة أحمد البوني الموسومة "الروضة الشهية في الرحلة الحجازية ".

3- التقسيم الثالث: الرحلات ومسارها الجغرافي.

اعتمدنا في تقسيمنا هذا على الإطار الجغرافي للرحلة فوجدنا رحلات داخلية وأخرى خارجية .**الرحلة الداخلية** : تكون داخل الوطن (البلد)، أنها لم تتجاوز الحدود والثغور الإقليمية لدولة ما ، فرحلة محمد الكبير إلى الجنوب تُعد رحلة داخلية في إيالة الجزائر وبايلك الغرب الجزائري ،فلم تتعد رحلته غلى الأمصار والشعوب الأخرى ،فهذا النوع من الرحلات انتشر محليا ولأغراض شخصية ،فأخبارها ومضامينها لا تتعدى أمور دولته فتكون منحصرة في إطار جغرافي محدد وضيِّقِ المجال وقلَّما تكون علمية ولا نجد العديد مَن دوَّن رحلاته الداخلية ،ونجد أيضا رحلة الأغواطي في الجنوب الجزائري ،فأخبار هاتين الرحلتين لا يتعدان مجال الجزائر، فدواعي هذا النوع من الرحلات لتأليفه[1] أهمها:

-الرغبة في التنقل لهدف ديني أودنيوي.

-الرغبة في زيارة الأولياء والصالحين ولقاء الأحبة.

-الظروف الاجتماعية التي تدفع بالفرد إلى التنقل من مسقط رأسه إلى مدن مجاورة أخرى.

-الظروف السياسة التي تجعل الرحالة تضطر لمغادرة بلده تعبيرا عن رفضه لمنهج الحكم القائم.

الرحلات الخارجية : تمتد من الوطن إلى ما بعده وما أكترها فاجتازت الحدود والأقاليم منها رحلة الورثيلاني وابن حمادوش والمقري فوصلوا إلى الحجاز ، فمواضيع رحلاتهم أوسع وأشمل من الأولى نتيجة مرورهم على العديد من الأمصار والدول فأرّخوا لنا وقدموا لنا صورة جلية وواضحة عن مختلف الأوضاع السائدة في تلك البِقاع.

4- التقسيم الرابع: الرحلات وزمن تدوينها.

ارتباط الرحالة بتدوين رحلاتهم أثناء سفرهم يجعل من وصفهم أكثر دقة ووضوحا وتعمقا وفي المقابل نجد رحّالة آخرين يعتمدون على الذاكرة في صياغة رحلته وتكون بعد رجوعه إلى بلده ، فبعد دراستنا لمختلف الرحلات توصلنا إلى بعض طرق تدوين الرحلات وهي أربع:

[1]- محمد ماكمان، المرجع السابق،ص.71.

-**رحَلات دُوِّنت أثناء السفر**: فصاحب الرحلة يُدوِّن الأحداث والأخبار في حينها وكل ما شاهده فبنيتها المعرفية مرتبطة بوحدة الزمان وتكون أكثر دقة ووضوحا في الوصف والمشاهدة ومن جانب التدقيق المعرفي والتحصيل العلمي تكون أقل وثوقا وصدقا لاعتمادها على الرواية والملاحظة والسماع ما يُغِيب عنصر المقابلة والمراجعة دون التحقيق من صِحّة الخبر أونفيه، فيخضع فيها التسلسل لنظام الرحلة ومفاجآتها وما قد يطرأ عليها من قضايا وما سيلقاه الرحالة من أشخاص وما سيشاهده من بلدان .

يمثِّل هذا النوع من الرحلات "العبدري" الذي يصف في قوله لقاءَه بابن دقيق العيد في القاهرة والذي حصل على إجازة بقوله "ووقف على ما تقيد من هذه الرحلة واستحسنه وأفادني فيها أشياء وقيد منها وفاة الشقراطسي صاحب القصيدة المشهورة حسبما تقيدت في موضعها مما تقدم"[1] فهذا دليل على أن العبدري كان يُدون رحلته وأحداثها أثناء سفره ومشاهدته وسماعه أو ملاحظته فمنذ انطلاقه من تلمسان وعند وصوله إلى القاهرة قدَّم عمله لابن دقيق والذي أجاز ما دوَّنه في شطره الأول من رحلته الحجازية ،بل واستفاد من بعض الأخبار الجديدة منها وفاة الشقراطسي.

رحلات كتبت من مُذكِّرات : هذا النوع يقوم الرحّالة بتدوين رحلاتهم أثناء السفر ولكن لا يخرجها للعامة إلا بعد وصوله وإعادة تركيبها وصياغتها من جديد بإضافة بعض الأمور فينقحها أولا، فهذا ما نجده في استهلال الرحلات الصوفية تبتدأ بالدعوة إلى الحج وفضله وسرد مناسكه مع التمثيل فهذا يدل أنّه قام بإعادة تنقيحها مقارنة بالرحلات التي تُدوّن في السفر فيكون موضوع الحج عند وصوله وليس عند استهلال الرِّحلة ، هنا يتأخر إخراج الرحلة ،ما نجده عند ابن رُشيد في رحلته أنّه دوّن العديد من التواريخ والقصائد والأشعار فعِند وصوله كتَب رحلته ووظفهم فلا يمكن له أن يحتفظ ذهنه بذلك الكم الهائل من القصائد ، ونفس الشيء ما فعله "التجيبي" في مستفاد الرحلة يشير إلى أحداث وقعت عام 704هـ مع أن الرّحلة كانت عام 696هـ[2].

رحلات كتبت من الذاكرة: دُونت بعد رجوع الرّحّالة ووصوله إلى وطنه فيقوم بعملية الاسترجاع بالاعتماد كليا على ذاكرته وتكون مرويةً شفويًّا للنسّاخين ومنهم من يُدوِّن لنفسه أو تكون جزئيا وقد احتفظ ببعض الأجزاء في طريقه كما فعل ابن قنفذ في رحلته "أنس الفقير وعز الحقير" فكل ما ذكره عن سيدي أبو مدين حصل عليه من رحلاته داخل المغرب[3]والرّحلات المروية شفويا والمحفوظة في الذاكرة مع الاعتماد على مصادر البحث نصادف الرحالة الجزائري سيدي الحسين الورثيلاني ، فدونها النسّاخون بعد عودة الرّحّالة من الحجاز ونقّحها وأضاف عليها

[1] – الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني ،ج1،منشورات عكاظ،1990،الرباط.ص.56. للمزيد حول الموضوع ينظر: العبدري، الرحلة المغربية، تح محمد الفاسي،الرباط،1968،ص.139.

[2] – نفسه.ص.57.

[3] – إكرام بلعباس، صورة الجزائر في الرحلات الجزائرية والمغربية خلال العهد العثماني، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سيد بلعباس.2008-2009،ص.13.

معلومات من مصادر سبقته أما وصفه لمشاهد الضيافة واللقاء والوداع كانت من مخيل ذاكرته ومنسوخة بيد النسّاخين فنجده يتخلل في تسلسل الأحداث ويخلط بعض الأمور في ترتيبها الزماني ويعود مستذكرا يقول "فلنرجع على ما كنا بصدده فعن عجائب مصر لا يسعها ديوان"[1] وفي مواضع أخرى يستدرج حديثه بشكل منقطع دليل على أنه دون بعض الأجزاء في طريقه بقوله "وقد حضرتني أبيات ونحن على شاطئه مع جملة من أصحابنا[2].

يُستثنى بعضهم من هذا الصنف من شقه الوصفي للمشاهد فيرجعون إلى ذاكرة المريدين وحتى المرافقين في الركب لاستذكار الأماكن وبعض الأحداث التي ينساها الرحالة وخاصة أسماء الأماكن والأشخاص. فرحلة أبي يعقوب الباديسي تعد مثلا يُقتدى بها فاعتمد في بعض أجزائها على ذاكرة أتباعه فيقول "واذكر من ذلك ما نضافر الجم الغفير على نقله أو ما سمعته ممن أتق بدينه وعلمه".

أما من اعتمد على ذاكرته في استرجاع الأحداث فتكثر فيه الأخطاء وتقل الدقة والوضوح ويكثر فيها الظن والتأويل وأمثلة ذلك ابن رُشيد في رحلته يتحدث عن البطرني الذي لقيه بتونس يقول" ولم يحضرني الأن عنه مما سمعته منه إلا ما أنشدني عندما ودعته بتونس راحلا للحج"[3].

رحلات كتبها غير أصحابها:

العديد من الرحالة زاروا ودوّنوا مذكراتهم ولكن بقيت حبيسة أدراجهم لسبب ذاتي يخص البحث أو لغيره متعلق بالجانب الأمني والسياسي ،فكانت مبادرات من ذوي الهمم وحُبهم للكشف المبهم عملوا على تدوينها بطلب منهم أمثال رحلة ابن بطوطة فلولا أهميتها العظيمة لما طلب منهم أبا عنان ذلك لضاعت والأمثلة كثيرة كابن جبير.

يقول كاتبها "وليست في تأليفه فيما يذكر لشيخنا الغافقي إنما قيد هو حاصلها من ذكر المراحل والانتقالات، وأحوال البلاد لنفسه تقييدا لم يصل به التأليف، فرتبه بعض من أخذ عنه، وأتقنه مؤسسا"[4].

في الجزائر أمثال ابن هطال التلمساني الذي صاحب باي وهران محمد الكبير في رحلته نحو الجنوب الغربي الجزائري فدوّن الأحداث السياسية والعسكرية التي قام بها الباي ، فتعد رحلةً دونت من غير أصحابها.

---

[1]- الحسين الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية، ج3،المصدر السابق.ص.259.

[2]- نفسه.ص.104.

[3]- الحسن الشاهدي، المرجع السابق .ص.58. للمزيد من المعلومات ينظر: ابن رشُيد السبتي ،رحلة ابن رشُيد السبتي، دراسة وتحليل، أحمد حدادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية،2003.المملكة المغربية.

[4]-نفسه ،ص.59.

رابعا :دوافع الرحلة في العهد العثماني :

اهتم المغاربة في العهد العثماني بتنظيم الرحلات فرادى وأفواجا ، فأوضحنا سابقا أنواع الرحلات التي اعتمدها المسلمون عامة فكل نوع ارتبط بدافع خاص به ، فالمدقق في أنواعها يُدرك دوافها ودواعي قيام أصحابها بالرحلة ، فكتب التراجم والرحلات لمحت إلى بعض الأسباب وبعض الرحالة أنفسهم بيّنوا سبب رحلاتهم وعلى هذا الأساس نسرد بعض الدوافع وإن كانت في حقيقة الأمر هي نتائج لأقسام الرحلات وأهمها :

الدافع الديني :أقرّ الإسلام في الكثير من الأحاديث النبوية والقرآن الكريم الدعوة والحث على الترحال، السّفر والتنقل في أرض الله الواسعة ، فجعل مواسم للقاء بين عباد الله المسلمين في مكان واحد واختار الله سبحانه وتعالى بيته الحرام الذي ببكة مباركا ، فأصبح قبلة المسلمين يحجون إليه كل عام ويدخلونه أفواجا، رغبة وشوقا إليه وتعلقهم بالأماكن المقدسة المسجد النبوي، القدس الشريف ،قبور الأنبياء والصحابة وأداء مناسك الحج فلا تخلو رحلة حجازية صوفية تدعو إلى تلبية نداء الله، ما جعل من الرّحّالة مقصدهم الأول هو الحج[1].

فلا يوجد موطن استقطب خمس الإنسانية في طموحاتها الفكرية وتطلعاتها الروحية مثل الحجاز، الوطن الروحي لكل مؤمن ،فإدعاء الاغتراب في مهبط الوحي ومنطلق الرسالة المحمدية هو شذوذ في عقيدة كل مؤمن وقد تجلّت هذه النفحات في آلاف الرحلات والفهارس التي دوّنها المسلمون ،فيعد الحج أكبرَ دافع للهجرة لزيارة الأقطار الإسلامية ولقاء علماء الأمة[2]

ساهمت الحركة الصوفية والمرابطية في الجزائر خلال العهد العثماني في دعم حركة التنقل نحو المشرق ،فبغضّ النظر عن أداء مناسك الحج فتعد زيارة مزاريه وصوفية للقاء الأحبة ومشايخ الطرائق الصوفية وتفقد أحوال الأتباع والمريدين ، فنجد جلَّ الرحلات المغاربية بدءً منذ نهاية الفترة الوسيطة قادها متصوفةٌ ينتسبون إلى طرق صوفية منهم رحلة عبد الله بن موسى البسكري المغراوي[3] خلال القرن 12م والذي نظَم رحلته على شكل قصيدة المسماة "دار الحبيب" فوصف فيها مكة والمدينة ومن شدة حُبِّه وشوقه لبيت الله استقر بمكة ولم يعُد لموطنه الأصلي.

الدافع العلمي: التحصيل والاتصال المباشر بالشيوخ المشاهير وربط السّند بعلومهم وكتبهم بواسطة رواياتهم ومحفوظاتهم ،يضاف إلى ذلك نقل المسائل العلمية المطروحة، الإفادات الأخبار، التراجم، والروايات

[1]Salah M'Ghirbi ,Les voyageurs de l'occident musulman de XIIe au XIVe siecles, Publication de la Faculte des lettres –Manouba,Tunesier, 1996.P.37.

[2]–عبد العزيز بنعبد الله، الرحلات من الغرب وإليه عبر التاريخ، ط1دار نشر المعرفة،2001،الرباط.المملكة المغربية،ص.45.

[3]–ذكره أبوالعباس بن عمار الجزائري ،قام برحلة حجازية من بسكرة إلى مكة وبقى فيها، ينظر: الحفناوي، المصدر السابق،ص.231.

الشعبية، فتعد فرصة سانحة للطلبة يتم فيها اللقاء بين الطلبة وبين العلماء وطلبة البلد المستضيف فتتكون مجالس العلم وحلقات البحث لتدرس العديد من المسائل المتعلقة بالعلوم العقلية والنقلية[1] وفي شتى المواضيع التي تعود بالفائدة على طلبة العلم رغبة في الاستزادة وتطلعهم إلى التحصيل العلمي الجيّد لسبب ولآخر نتيجة افتقار أوطانهم لمعاهد ومدارس ولعلماء أكفاء فالعالم الجليل والفقيه يمكث أين تتواجد كبار الحواضر العلمية للاطلاع على خزائن وذخائر المكتبات الزاخرة بالمخطوطات والمصنّفات العلمية[2] ومنهم من يتنقل أيضا للحصول على أكبر قدر من الإجازات العلمية التي تؤهّلهم لتصدر مجالس التدريس والفتوى وهذا لن يكون إلا بقصد أكبر قدر من الحواضر العلمية المنتشرة في الأمصار الإسلامية[3].

إن تعاليم الإسلام السمحة توطدت في نفوس المسلمين فألزمتهم البحث والدعوة إلى العلم والتنقل طلبا له امتثالا لأوامر الله ولوصايا الرسول عليه الصلاة والسلام التي تحثّ المسلم على طلب العلم وقطع مسافات لبلوغه كونه فرض على كل مسلم ومسلمة، كما هو معلوم أن العلم منتشر في كبريات المدن والحواضر الكبرى ،فوجب على سكان أهل البوادي والريف السفر إليها ،فيرجع ابن خلدون ذلك إلى انقطاع سند تعليم العلم عندهم يقول " لم يتصل سند التعليم فيهم فعسر عليهم حصول الملَكة والحذق في العلوم[4].

الدافع السياسي: ساهمت الأوضاع السياسية للدول الإسلامية في فرض الترحال على الأفراد والتنقل إلى الأماكن التي يكثر فيها الأمن ، وقد عرف المغرب الأوسط ودويلات شمال إفريقيا صراعات داخلية قبل التواجد العثماني في الشمال الشرقي لإفريقيا ما نتج عنها هجرات نحو المشرق وينتهي الأمر بعد دخول العثمانيين فبقيت الصراعات وإن قلّت من المغرب الأقصى والدول الصليبية المسيحية وبالأخص إسبانيا أمثال الرحالة الجزائريين الذين رحلوا نتيجة تدهور الأوضاع الأمنية والسياسية أمثال "عيسى الثعالبي انتقل إلى المشرق وطلب الأمان في الحرمين الشريفين واستغل تنقله إلى الحجاز فعرّج في مساره إلى مختلف المعاهد والحواضر العلمية بتونس والقاهرة وأخذ الإجازات من العلماء والفقهاء فأصبح لديه سجل يُدون فيه أحداث رحلته وما عاناه في بلده وأثناء سفره ،فسماه

---

[1]–فاطمة خليل، من ملامح الرحلة المغربية التفسير في الرحلة الكبرى لمحمد عبد السلام الناصري، مجلة البحث العلمي، العدد 40،يصدرها المعهد الجامعي للبحث العلمي الرباط.1990-1991، المملكة المغربية.ص.223.

[2]–عبد القادر زمامة، قراءة في رحالات لرحالة مغاربة ،مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة فاس، العدد الثامن،1986. المملكة المغربية، ص.08.

[3] - Salah M'Ghirbi ,Les voyageurs de l'occident musulman de XIIe au XIVe siecles,op-cit.P.39.

[4]–عبد الصمد عزوني، الرحلة في المغرب العربي (دوافعها، أنواعها، روادها)، مجلة دراسات أدبية، العدد 08، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، الكويت، نوفمبر 2010،ص.134.

"كنز الرواة"[1] وعلى حسب الباحثين أنه ضاع ولم يعثر عليه ويحدثنا عنه تلميذه الرحالة المغربي العياشي والذي يُقّر الورثيلاني بشيخ مشايخنا أنه له كنز الرواة أورد فيه مختلف مشايخه وإجازاته العلمية فتعد من الرحلات الفهرسية إلا أن سببها سياسي.

تمازجت العديد من الرحلات وأخذت نصيبا من الجانب السياسي ،فالرحلات الدعوية التي قامت للمذهب الفاطمي الشيعي في بلاد المغرب الأوسط ،انطلقت من فكرة رحلات دعوية وتبلورت إلى فكرة سياسية لإقامة دولة معادية لحكم قائم وتمثل ذلك بإقامة الفاطميين لدولتهم بمصر بعد انتقالها من شمال إفريقيا ، ونفس الأمر لحلّ الدويلات التي ظهرت في المغربين الأوسط والأقصى من الدعوات الصفرية والإباضية، يسجِّل لنا البيذق مختلف الأحداث التي وقعت في رحلة المهدي بن تومرت من المشرق إلى مراكش وما صاحبه من فكرة تأسيس دولة إذ يذكر لنا عبد الواحد المراكشي في رحلته «كان قد رحل إلى المشرق في شهور501هـ في طلب العلم وانتهى ببغداد، ولقي أبا بكر الشاشي فأخذ عليه شيئا من أصول الفقه وأصول الدين وسمع الحديث عن علي المبارك بن عبد الجبار ونظرائه من المحدثين وقيل أنه لقي أبا حامد الغزالي بالشام أيام تزهده[2]"

الدافع الاقتصادي: التجارة عمود الاقتصاد الذي يقوم على التبادل ومن شروطه التنقل ما جعل السفر أو الرحلة شرط أساسي في ازدهار التجارة ونموها بحثا عن الأسواق والسلع الجديدة رغبة في تحديثها أو جلبا للجديد ،فعرف البشر الأسواق منذ القدم ،بل جُعلت لها مواسم وأشهر خاصة بها وأماكن محددة ، ما جعل أمر الترحال وجوب له ، والأدلة في تاريخ العرب تُقر على ذلك إذ نجد سوق عكاظ ومكة واليمن من أكبر الأسواق التي يتنقل إليها الجميع، نفس الأمر عرفته منطقة شمال أفريقيا فازدهرت الأسواق والحركة التجارية التي كانوا يسيطرون عليها من خلال جلب سلع من السودان الغربي ليعيدوا تصديرها عبر البحر المتوسط إلى الدول الأوروبية فيربحون أموالا طائلة بقيامهم بدور الوسيط[3].

[1]- أبوالقاسم سعد الله، على خطى المسلمين حراك في التناقض،ط1، عالم المعرفة،الجزائر2009،ص.38.

[2]-نواف عبد العزيز الجحمة، رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن هجري (12-14م)،دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارت .2008 ص.35.

[3]-هوارد، اشهر الرحلات غلى غرب إفريقيا، تر عبد الرحمان عبد الله الشيخ،ج1،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر.1996.ص.28.

نتج عن الكثير من المعاملات التجارية لتجار المسلمين إنشاء وتطوير العديد من المستوطنات والمستقرات العربية والإسلامية ونشروا الإسلام في أغلب مراكزهم التجارية[1] فوصل الإسلام إلى العديد من الشعوب عن طريقة التجارية في إفريقيا جنوب الصحراء.

فكانت التجارة دافعا مُهما للرحلة خاصة بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية وعدم وضع حدود وحواجز بين الأمصار ما سهّل الأمر على الجميع[2]، وعمل الخلفاء على توفير الجو الملائم لنشاط التجارة من خلال توفير مراكز الراحة للتجار وحفر آبار في المسالك التي تمر فيها القوافل التجارية تسهيلا مشقة السفر.

فالتجارة من أهمّ الأسباب التي دفعت بالرحالة من أجل تدوين رحلاتهم أثناء السير من أجل تقديم وصف وانطباع دقيق على مجريات الطرق التجارية البرية والبحرية والمسالك التي تُسهل على التاجر التنقل دون صعوبات يتلقاه أثناء سفره وتوجيهه للمراكز والأماكن التي تُوفر له الأمن والراحة.

الدافع الشخصي : بحث الإنسان عن الحرية والتعرف على الآخر ما جعل العديد من الرحّالة يرغبون في استكشاف المجهول ومعرفة ما ورائهم وحُبهم للتطلع والتعرف ما جعل معظم الرحالة إن لم نقُل جلُّهم في العصر الوسيط أن رحلاتهم عبارة عن استكشاف ، ومنها تحوّلت وأخذت منحنى آخر وغلب عليها طابع الوصف والدهشة والتعرف على عادات وتقاليد مجتمعات تختلف عنه في شتى المجالات، فيكون السفر بمحض إرادة المسافر وليس طلبا منه وعلى الرغم أننا نجد ونصادف العديد من الرحلات ذات هدف معين على أن مشاهد التمتع والإعجاب تكون حاضرة وحتى في الرحلات الحجازية وصف الآثار والأماكن المقدسة والاستمتاع بمباني المدن التي مروا عليها يقول الورثيلاني " ومن عجائب الإسكندرية السواري والملعب الذي كانوا فيه في يوم من السنة ويرمون بالإكراه على أن تقع في حجر واحد منهم إلا ملك مصر[3] ..." فمصدر الإعجاب هو عدم وجوده في الجزائر وحتى في المناطق التي مرَّ عليها ما جعله يخصص جزءً من رحلته لوصف كل ما رآه في طريقه من مناظر تريح النفس وتتوق لها القلوب، فعرف سكان بلاد شمال إفريقيا بحبهم للعديد من العلماء فكانت رحلتهم لذات العالم ولعلمه وعلى سبيل المثال حُبّهم وورعهم بالإمام "مالك بن أنس" فعُرف العديد من الناس أنهم رحلوا إلى المشرق من أجل اللقاء به والسماع لدروسه والأخذ من علمه.

[1]–جمال الدين فاتح الكيلاني ، المرجع السابق .ص.46.

[2]– بخيتي عيسى، المرجع السابق،ص.35.

[3]– الورثيلاني ، الرحلة الورثيلانية، المصدر السابق،ج3.ص.190.

الدافع الإداري :عرف المسلمون بعد إقامة دولة في خلافة الرسول عليه الصلاة والسلام نُظُما من أجل تسييرها وحسن تدبير أمورها وتنظيمها رغبة في العدل والمساواة ، تجلّى في تعيين من يستحق لذلك بعد ازدياد أعباء الدولة لتضاعف مساحتها الجغرافية لانتهاج الخلفاء فتح البلدان الأعجمية والتي على غير ملّة الإسلام، فتطلب على مركز الخلافة إقامة قواعد وصِلات تواصل وترابط بينها وبين الأمصار التي فتحوها والتي تختلف لغويا، عرقيا وثقافيا فبفضل الإسلام تم القضاء على الخلاف بين الشعوب، فنصَب الولاة مراكز البريد لتسهيل معرفة شؤون الرعية والاهتمام بانشغالاتهم وإيصال البريد.

البريد في الاصطلاح أن يجعل الخيلَ في أماكن مضمرات فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى المكان الآخر وقد تعب خيله يقوم بأخذ خيل كانت قابعة في المكان نفسه الذي وصل إليه ، فهي عبارة عن محطة راحة وتغيير وسيلة النقل وأحيانا حتى المرسول، للحفاظ على سرعة إيصال البريد وعدم إرهاق الخيل و المرسول ربحا للوقت، يعد البريد أول من خدم نظام الرحلة في تاريخ العرب بعد مجيء الإسلام فأصبح للبريد شأن هام فسعى الخلفاء على جعل محطات خاصة للبريد وتوظيفهم حتى في أمور الجوسسة والإشراف على أمور دولته [1]بواسطتهم كان يتعرف على أمور ولّاته ويقدمون له معلومات دقيقة ووافية عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع نتيجة عبورهم للعديد من الأماكن والأمصار فهي رحلة وظيفية ذات أبعاد مختلفة ومتعددة تصُبُّ في الجانب الإداري.

توطّدت علاقة الدولة الإسلامية مع الدول والممالك الأخرى منها الشرقية والغربية فأنشأت السفارات للتبادل وتسهيل الأمور بين الدول وإن كان هدفها الخفي هو التجسس ومعرفة أمور الدول الداخلية ومصدر قوتها وضعفها وتتجلى على العموم الدوافع الإدارية في جلب الضريبة والخَراج وتقدير الثروات إذ يُكلف الحاكم أحد موظفيه القيام برحلات تفقدية لجمع البيانات والحقائق وتقديم التقارير ،فمنهم ابن بطوطة والذي بدأت رحلته بالجانب الديني والاستكشافي وانتهى به المطاف ليختاره ملك الهند سفيرا له في الصين[2].

فلكل رحلة مميزاتها ، دوافعها وأسبابها الخاصة إلا أنها تتداخل المبتغى وهو خدمة أطرف تكون عامة أو خاصة وعلى هذا الأساس نلخص دوافع القيام بالرحلة في :

-الرغبة في الزيارة إلى العالم المجهول والاستكشاف .

[1]- عيسى بخيتي ، المرجع السابق.ص.24.25.

[2]-يسمينة شرابي، الموروث الثقافي في أدب الرحلة نماذج من رحلات القرن العشرين، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي ،كلية الآداب واللغات، جامعة البويرة،2012-2013،ص.29.

- الشوق إلى الأماكن المقدسة والتقرب من خلالها إلى الله .

-جلب المصلحة للوطن وخدمة الرعية .

-تسهيل مأمورية التنقل وتوجيه الناس إليها والتخفيف عنهم .

-تقديم نصوص تاريخية توثق لفترة معينة ولمجتمع ما.

-تقديم نظرة مدققة عن الجغرافيا وما فيها من تضاريس ومسالك.

الدوافع الجهادية (الحربية): يُعد الدفاع عن النفس من واجبات الفرد على نفسه وتجاه وطنه ودينه وعرقه، فقد أقرّت جلّ الشرائع السماوية مسألة الجهادية وحتميتها وفق شروط تحددها الظروف الداخلية والخارجية ، فعرفت الجزائر هجرات خارجية تجاه الاضطهاد والحروب التي قادتها محاكم التفتيش في الأندلس بعد سقوط غرناطة 1492م آخر معاقل الأندلس ونزوح فئة اجتماعية أُطلق عليها الموريسكيون ،معظمهم من العلماء والمثقفين فأثّروا كثيرا في بلدان المغرب الإسلامي بشتى المخطوطات والرسائل التي تناولت مختلف ونقلهم للفكر الأندلسي[1].

من جهة أخرى عرف المسلمون والصليبيون حروبا مقدسة طيلة عقود من الزمن ، ما جعل كل فريق يحشد قواته وجنوده دفاعا عن معتقداته ومقدّساته ما ولّد تنقلات وحركة لمعرفة خبايا العدو والقيام برحلات جهادية استطلاعية ،فهي عبارة عن رحلة للجيش من معسكره إلى منطقة أخرى تحضيرا للمواجهة العسكرية سواء في استرداد الأرض التي أُخذت أو الدفاع عنها بُغية عدم استلابها.

يعد الجهاد أمرا حتميّا فنجد سيدي أبي مدين الغوث لما احتل النصارى القدس وزحفوا بحملة صليبية تجاه المسجد الأقصى انتقل من المغرب الأوسط(الجزائر) رفقة أبناء شمال إفريقيا لمساندة جيوش المسلمين في المشرق واستجابة لنداء الله وخليفة المسلمين في الأرض، فابن بطوطة أيضا تنقّل إلى الأندلس من أجل الجهاد في سبيل الله يقول" توجّهت إلى مدينة سبتة فأقمت بها أشهرا، وأصابني بها المرض ثلاثة أشهر ثم عافاني الله فأردت أن يكون لي حظ من الجهاد والرباط، فركبت البحر من سبتة في شطي لأهل أصيلا، فوصلت إلى بلاد الأندلس حرسها الله تعالى حيث الأجر موفور للساكن، والثواب مدخور للمقيم والظاعن كان ذلك إثر موت طاغية الروم ألفونس وحصاره للجبل لعشرة أشهر وظنه أنه يستولي على ما بقي من بلاد الأندلس للمسلمين"[2].

[1]- جيجيك زروق، مراكز المخطوطات بالجنوب الجزائري –الأليات والوسائل، مجلة الذاكرة، العدد 04،مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، جامعة ورقلة، ديسمبر 2016. الذاكرة ص.203

[2]- الحسن الشاهدي، المرجع السابق،ص.76.

الفصل الثاني: نماذج عن الرحلات الصوفية الجزائرية في العهد العثماني

أولا: الرحّالة أبوراس الناصري:

1-1 مولده ونسبه : هو محمد أبوراس بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر بن علي بن عبد العظيم بن معروف بن عبد الله بن عبد الجليل[1]المعسكري الجزائري حافظ المغرب الأوسط ورحالته[2]، هذا النسب متصل إلى عمرو بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم[3]، يذكره بعض المؤلفين "بالناصري" بالنسبة على الرغم أنه حرص على ذكر سلسلة نسبه "الناصر" دون ياء النسبة[4] فقد ضبط اسمه بالناصر كما يذكر في عديد من المواطن وفي كثير من مؤلفاته ففي "زهر الشماريخ في علم التاريخ فقال "أما بعد: فيقول المذنب القاصر محمد أبوراس بن الناصر أسعد الله مأواه وأوطانه[5]" ويقول في فتح الإله ومنّته في التحدّث بفضل ربي ونعمته يقول: "أبو الفضل محي الدين محمد أبوراس بن الناصر[6]..."،أما عن مولده فاختلفت المصادر التاريخية في سنة ميلاده فالأرجح يكون 1150هـ الموافق 1737م[7] فكما يقول في رحلته "وقد ولدت بعد المغرب ليلة الأحد مستهلّ

---

[1]- محمد أبوراس الناصري ، فتح الاله ومنّته في التحدّث بفضل ربي ونعمته "حياة أبي راس الذاتية والعلمية"، حققه وضبط عليه محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،د.س،ص.25.

[2]-عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم و المشيخات والمسلسلات، اعتناء إحسان عبّاس،ج1،ط2،دار الغرب الاسلامي،بيروت،1982،ص.150.

[3]-أبوراس الناصري، فتح الاله ومنّته في التحدّث، المصدر السابق، ص.25. يتقاطع مع مخطوط الباحث حمدادو بن عمر، أبوراس الناصري المعسكري وكتاباته التاريخية(1737-1823)، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران،2002-2003 ص56. نقلا عن مخطوط سيدي محمد الشريف روضة الأزهار في التعريف بآل محمد المختار، ناسخها محمودي البشير، البرج، معسكر، دون ذكر رقم الورقة.

-حمادوش عبد القادر، الدرر في أخبار السيد الإمام أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مخطوط، متواجد بخزانة محمودي البشير، البرج، معسكر، دون ذكر رقم الورقة.

[4]- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر،ج2، المرجع السابق ،ص.377.

[5]-أبوراس الناصر المعسكري، زهر الشماريخ في علم التاريخ، تحقيق حمدادو بن عمر، منشورات مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية،الجزائر،2016،ص.40.

[6]-بكاري عبد القادر، منهج الكتابة التاريخية عند أبي راس الناصري من خلال مخطوط زهر الشماريخ في علم التاريخ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران،2008-2009،ص.29

[7]- أبو راس الناصري، فتح الإله... ، تقديم المحقق محمد بن عبد الكريم ،ص.11.

رجَب الفرد وذلك سنة تسع وأربعين وثمانمائة[1]"فأبو القاسم سعد الله يرى أنّ 1165هـ[2] هو تاريخ ميلاده ولا نعلم من أين استقى المعلومة.

وُلد في منطقة ريفية جبلية وزَّغْت [3]بين جبل كرسوط[4] وهونت[5]بقلعة بني راشد بمعسكر كما أخبرته أخبرته الحرة الصالحة أمة الله أخته حليمة، له أخوين السيد عبد القادر والسيد عمر وهو الأكبر سنا ، انتقل رفقة والده إلى متيجة وبها فقد والدته التي قال عنها "وهي الصالحة الكاملة التقية العاملة أطول النساء يدا وأكملهن هدايا وهدى ،كانت من أجمل نساء البدوية وكانت يضرب بها المثل في السخاء والصلاح كرابعة العدوية نشأت في بيت علم وصلاح وبركة وصدق وإصلاح وهي أمة الله :زولة بنت السيد الفرح ابن الشيخ القطب السيد أعمر بن عبد القادر التوجاني[6]، جبل" التوميات[7]" –بحري أرض حسناء.

نشأ أبوراس الناصري في بيئة صعبة وقاسية فعرف الفقر والجوع منذ الصغر فيقول عن نفسه لما انتقل مع أخيه إلى المغرب[8]"وقد استمررت سنين عريانا :لا لباس لي إلا خرق كالعدم، وما لبست نعلا إلا أن قرب صومي ولما قدرت على السعي صرت أطلب من البيوت ،ثم أبيع وأكسى"[9] فيوحى لنا إلى فقره الشديد والتماسه الصدقات من الأخرين ولم تكن زهدا وتصوفا منه وإنما للحاجة رغم صغر نفسه فلم يبلغ الحلم بعد، فعلى الرغم من حالته الاجتماعية المزرية فلم تمنعه من العلم وطلبه والبحث عنه ،ففي طريقه وهو صغير السن

---

[1]– نفسه، ص16. إلا ان التاريخ الذي دونه أبوراس بنفسه هو849هـ يبدو بعيد جدا عن تاريخ ميلاده المتعارف عليه ما جعلنا نعيد النظر في المخطوط المحقق ووجدنا الباحثة بوشيبة ذهبية تشير إلى نفس المعلومة ونفس المقتطف مع تعديل في خطأ السنة اذ تقول على لسان ابوراس " وقد ولدت بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب الفرد وذلك سنة تسع وأربعين ومائة والف "أي 1149هـ وهو الأقرب إلى التاريخ المتعرف عليه ولا ندري على نسخة اعتمدت الباحثة ، بوشيبة ذهبية، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني "أبي راس الناصري نموذجا"، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة سيدي بلعباس،2008–2009،ص.319.

[2]– أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق ،ص.377.

[3]–منطقة وزَّغْت تقع بين الجبلين المذكورين ، يذكرها ابوراس باسم "ويزغت" يقول :" صاحب تربتنا وروضة مقبرتنا ويزغت التي بها أكثر اسلافنا وأجدادنا، أبوراس ،فتح الاله، المصدر السابق،ص.27.

[4]–كرسوط : جبل يقع في منطقة معسكر بالغرب الجزائري ، غرب وادي التاغية.

[5]–هونت : جبل يقع في نفس المنطقة التي يتواجد جبل كرسوط يقابله في الموقع الجغرافي وما بين الجبلين مولد ونشأة ابا راس الناصري.

[6]– أبو راس الناصري، فتح الإله... ، تقديم المحقق محمد بن عبد الكريم، المصدر السابق، ص.18

[7]–جبل التوميات أو الجبلان التوأمان يقعان في بلدية البنيان ولاية معسكر على الجنوب الغربي حيث يفوق ارتفاعه 950 م عن سطح البحر، به تضاريس صخرية.

[8]–دوّن في رحلته المغرب وفي شروحات المحقق يذكر الغرب الجزائري والمقصود به خروجه من بلدته الفقيرة وانتقاله إلى مدن الغرب الجزائري مثل اقليم أم عسكر ،وهران ، تلمسان ...أما أبو القاسم سعد الله فيرد به المغرب الأقصى.

[9]–أبو راس الناصري، فتح الإله... ، تقديم المحقق محمد بن عبد الكريم، المصدر السابق ،ص.19.

محمول على أكتاف أخيه السيد عمر وعلى أكتاف بعض الطلبة وهو يقرأ عليهم القرآن ويسلك[1] لهم ألواحهم ألواحهم ويسأل لهم من البيوت ما يأكلون ،وإن عجز عن السؤال في البيوت بعضا الأيام ، ضربوه[2].

حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة جدا فلم يبلغ ثماني سنين[3] إذ يقول "فقرأت القرآن في حال صغري، صغري، قرأت أحكام القرآن وحفظتها على ظهر قلبي"[4].بعد وفاة والدته زولة انتقل أبوراس مع والده وأخته وأخويه إلى حوز مجاجة[5] أين اعتكف والده على تعليم القرآن للرجال والصبيان وتزوج هناك عدة نساء إلى أن مات وقبره بروضة الشيخ أحمد بن عبد الله بأم الدروع[6]، فبطبيعة الحال يكون قد تعلم على والده في مجاجة فهول م يذكر أنه تعلم ودرس القرآن في مجاجة إلا أنه لما عرّج على مشايخه جعل والده أول الذين تعلم عليهم.

من المعتقدات الشائعة في بيئة أبي راس وفي الجزائر العثمانية عامة أخذ المولود إلى كبار مشايخ المنطقة تبركا به وحفظ المولود من المكاره والدعاء له بالصّلاح والحفظ فهذا ما نقلته أخته حليمة بعد مولده يقول:" ولما وُلدت بالموضع المار حملتني أمي ووالدي إلى الشيخ الصالح الولي الذي كاد أن يكون كالجيلي[7]- شيخ بعض شيوخي- الشيخ علي بن موسى اللبوخي أحد صلحاء أرض اليعقوبية، فبارك عليّ وأخبر بغيب خوارق وعادات تكون لي مولدات من علم وعمل وصلاح وغنى وحفظ وإصلاح شيخ طلبة ولفيف ودرس وخطابة وقضاء وتصنيف[8].

نسبه يعود إلى الأشرف هذا ما وجدناه في شجرته وما دونه بنفسه في رحلته فيقول" قد شهد لي بالشرف السني والمنتمي الحسني والنسب النبوي، والبيت العلوي وقد شهد له الشيخان :الشيخ المصطفى بن المختار، وسيدي عبد القادر بن السنوسي[9]

---

[1]-أسلك ، كلمة بالدارجة ويقصد بها أصحح ألواحهم ،ينظر فتح الاله إحالة رقم 75،ص.33.

[2]- نفسه ،ص.19.

[3]-نفسه،ص.16.

[4]-نفسه،ص.19.

[5]-مجاجة :ضواحي الشلف غرب الجزائر العاصمة وشرق معسكر .

[6]- ابوراس الناصري، المصدر السابق،ص.19.

[7]-يقصد به المتصوف الكبير وشيخ شيوخ الطرق الصوفية عبد القادر الجيلاني ، صاحب الطريقة القادرية.

[8]- أبوراس ، فتح الاله ، المصدر السابق،ص.19.

[9]- نفسه ،ص.29.

1-2 أسرته :عاش أبوراس الناصري يتيم الأم ولم يزد عن فقدان الأم كثيرا حتى فقد والده في سن مبكرة ، فتكفل به أخوه الأكبر "عمر" وما فتئ أن صحبه للمغرب، فأسرته أهل علم وتصوّف وصلاح وتقوى فيقول عن سلسلة أسرته وقد عرف عنه أنه من النسابة فكتب أنساب منطقة معسكر وضواحيها وشكّك في العديد من المنتسبين للنسب الشريف وهذا ما نراه في الجزء الخاص بمؤلفاته، فحرص الناصري على ذكر نسب شجرته والتعريف بهم وهم:

والده :اسمه أحمد فكان من القرّاء الماهرين والأساتذة المشهورين ومن أهل الحزم في القرآن والجِدّ ،ساعي في مساعي الأدب والجد ،أما تقاه وصلاحه فمشهور.

جَدُّه: الشيخ عبد القادر كان أعجوبة زمانه في الولاية والصلاح والفضل والفضيل، كاد أن يكون كابن عياض الفضيل وكان مذهبه في رسم القرآن على طريقة المشارقة: كل محذوف يثبته، وكل تعويض يتركه ويبينه.

زوجة جده: اسمها السيدة زينب :الصالحة الولية القانتة الزكية، ذات الأحوال والأخلاق النفيسة ،كادت أن تكون كالسيدة النفيسة المسماة "أم قاسم" بنت الحسن ،فكانت في إجابتها للدعاء من أعجب العجب أي أنها كثيرة الاستجابة من الله، ذات المنصب الأفخم الجليل بنت الشيخ السيد عبد الجليل ذي المزايا العظام والمناقب الجسام.

جَدُّ والده[1]:اسمه الشيخ محمد ، ويضرب به المثل في معرفة الفقه والفتوى وبالخصوص علمَ الفرائض، وقد بيَّن عديد المسائلَ التي صعبت على غيره من الفقهاء في القول والعمل ، فيسرد قائلا : أنّه كان جالسا مع ولده العالم ويقصد به الشيخ عبد القادر المشهور الذي طار صيته في أقطار المعمور ،المبلغ المعالي كل قاصر الشيخ أحمد بن ناصر ،وإذا بعلماء من بني عامر بينهم خصام شديد ونزاع مديد فقال أحدهم :عبْدَ هذا جَنى على يدِ عبدي عمْدا، فقال أيها العلماء أحضروا العبد الجاني، لأن ما يتعلق برقبته لا يجيب عنه إلا هو، وكان لابنهما المذكور ولوع بشرح الشيخ عبد القادر بن أقتيت المعروف عند الطلبة بالسوداني، وكان هذان السيدان رأسا في الفتوى.

أبوه: نقصد به والد الشيخ محمد ، اسمه الشيخ أحمد، كان من الزهّاد والصالحين، متفرغ للعبادة منقطع عن حديث الناس، لا يميز في شؤون الدنيا ولا يبين أمتعتها، حدثتْ له يوما طريفة أنه كان في زاوية بيته عكّة مملوءة

[1]- نفسه، ص.26.

بالسمن والعسل فظن ذلك من القاذورات فذهب بها إلى نهر وأتى زوجته ووبخها فتعجبت من بلاهته وصكّت وجهها وقالت :يا ويلتها غدر الصبية في إدامهم.[1]

جدُّه الناصر[2]: وإليه يُنسَب إلى الناصري، وكثيرا ما يحرص على ذكر نسبه إلى "الناصر" وهو الجد الأكبر الذي تفرّع منه فقد قال عنه الكثير ومجمله: الشيخ الإمام، العامل، العالم، الولي الكبير، العارف، المحقق، الواصل، قطب زمانه وفريد عصره وأوانه، الجامع بين شرف العلم والنسب، والدين المتين، والأخلاق المرضية، والصفات الرحمانية، والطريق الواضحة المستقيمة السنية، والمآثر الحسنة السنية العظيمة، فهو الرافع لمجادتنا وواسطة عقد قلادتنا، ومنوه ذكرنا، وعماد فكرنا، وجامع شملنا، وباني قواعد عزنا المؤسَّس.

هو أول من ميّز المصلّى التي في بلادنا غربي النهر، وحوّزها بأحجار كبار لتدريس العلم ولصلاة العيد، فسُميت تلك البقعة بها...ولهذا القطب نسبتنا الناصرية وعمدتنا الهاصرية[3]،وهو صاحب تربتنا وروضة مقبرتنا "ويزغت" التي بها أكثر أسلافنا وأجدادنا الصالحين، ذوي الأضرحة المباركة التي هي من أعظم المزارات وإجابة الدعوات والتماس البركات، وكانت لنا هناك مدرسة لقراءة العلم أثرها باق إلى الآن، أسفل المقبرة من جانب الواد، وقد سمع من ثقات أنه لهم سبع مجالس وأول من أنشأ ذلك جدنا هذا وهو القطب الظاهر شيخ الطريقة السيد الناصر.

والد القطب الناصر: الشيخ علي، من خيّار العبّاد وثقات العباد، ذو الهداية والرشاد، كثير القراءة والذكر آناء الليل وأطراف النهار، ضريحه بويزغت[4] .

والد الشيخ علي[5]: سيدي عبد العظيم، فقد ذكره مثلما ذكر جده القطب وأضاف عليه أنه عظيم الكرامات وخوارق العادات في أهل الوبر والمدر، إمام زمانه وقطب أوانه، ذو الإشارات الغيبية واللحظات الوهبية، العالم العارف، الولي المكاشف...قطب دائرة الحضرة وعليه مدارها.

---

[1]-نفسه، ص.26.

[2]-نفسه، ص،ص.26،27.

[3]- في نسخة أخرى الماصرية والأقرب والأنسب تكون الناصرية ويقصد بهم جدهم الأكبر الناصر والذي ينسب إليه نفسه.

[4]-نفسه، ص.27.

[5]-نفسه،ص.28.

جده الشيخ عبد الجليل[1]: القطب الرباني وزاجر الطير، ولي الله الشيخ عبد الجليل، ضريحه في مقبرة ويزغت غير معروف، قال عنه الشيخ عيسى بن موسى التوجاني[2]:

وَعَبدُ الجَلِيلِ حَلّ نَحْو حَبِيبِهِ وَعَبدُ الكَرِيمِ صِهْرُهُ خَيرُ أَيبِ

جده الشيخ عبد الله[3]:ضريحه مشهور "بإيزاء قوائر أزناين" يقابل "قوائر المشماشة" في حافة غربي النهر الكبير، ولي من أولياء الله، وقد شاع وفشا عند من قام ومشى أن من صنع ظفيره من الحلفاء الخضراء، ويكون أعسر اليسرى ويحطها على شاهد رأسه...أن حاجته تُقضى كما يحِبّ ويرضى.

1-3لقبه: يُلقب أبوراس **بالحافظ** لشدة حفظه وغزارة علمه وقدرته على الإقناع في المناظرات العلمية، فالشائع عنه أنه لا يزيد على مرة في مطالعة أي درس أو أي كتاب لما منحه الله من سيلان ذهنه وسِعة حافظته[4]،فأثنى عليه العديد من العلماء فالتقى بالعالم الشيخ السيد محمد بن الحفاف ودخل معه في مناظرة نحوية ولغوية في محل "إعراب العبد الفقير المضطر لرحمة ربه" فاستدل أبوراس بمصنفات علمية منها ابن عصفور والأزهري ما جعل الشيخ محمد بن الحفاف يصمت فقال" ولما سمع مني هذا زاد في إكرامي واعترف لي هو وأهل مجلسه بالنبل والفضل ولقَّبوني بالحافظ أَصْدَقَهُم الله في ذلك[5] وفي حادثة أخرى بمصر اجتمع بعلماء مصر في الجامع الأعظم الأعظم فقالوا له من لُقِّب بالحافظ لابد أن يختصّ بشيء عن غيره، فقال أحفظ كذا وكذا متنا من العلوم، فقالوا لقينا كثيرا من الناس يحفظ هذا، فقلت: "أحفظ ألفية بن مالك" و"منظوم البيان" ما من باب فيهما أو فصل أعرف كم من بيت فيه، فامتحنوه: فأخرج أحدهم كتاب الألفية وفتحه وخرج له "باب التصغير" فقال لي كم من بيت فيه، فقلت اثنان وعشرون بيتاً ،فحسبوه فوجدوه ثلاثا وعشرين بيتا، فضحكوا وصاحوا، فناولت الكتاب فإذا فيه بيت من جمع التكسير أدخلت فيه سهوا من الكاتب وفي أولها "الخاء" وآخرها "طاء" بالحمرة دليل على الخطأ، فطالعوا نسخا أخرى غيرها وحسبوا ولم يجدوا سوى اثنين وعشرين بيتا، فألقوا السلام واعترفوا لي بالفضل والنبل[6].

---

[1]- نفسه، ص. 28.

[2]- في كتب السير والتراجم : التيجاني صاحب الطريقة التيجانية بالجزائر.

[3]- نفسه، ص.29.

[4]-ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ 4 العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984، ص202.

[5]- أبو راس الناصري، فتح الإله... ، تقديم المحقق محمد بن عبد الكريم، المصدر السابق، ص.95.

[6]-نفسه، ص.116.

تذكُـره المصادر التاريخية كلها بلقبه الحافظ فهذا صاحب دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران يقول:" قال الحافظ أبوراس (في الشماريخ) ورأيت في بعض التواريخ أنهم المغول" ويقول في موضع آخر يقول :"قال الحافظ أبوراس في موضع آخر (في الشماريخ)ورأيت في بعض الكتب المعتمدة[1]..."

يقول مؤلف فهرس الفهارس عن أبي راس الناصري "وقد حدّثني مفتي وهران أنَّ الشيخ الحبيب بن عبد الملك المغربي الأصل، عن شيخه عالم وهران السيد الحبيب بن البخاري الوهراني عن أبيه وقد عاصر الشيخ أبا راس أنَّ جماعة من تلاميذه تذاكروا في قوة حافظته وكأنهم اتهموه بالاختلاق فركبوا ،فنطق كل واحد منهم بحرف منه وجعلوه اسما لملك، وسألوا الشيخ عنه فأملى عنهم سيرته وترجمته وأعماله، فاتفقوا على أن الشيخ كاذب، ولما طالت المدة وقف أحدهم على الاسم والسيرة في كتاب تاريخي على ما أملاه الشيخ أبوراس عليهم، فعلموا أنّ الشيخَ صادقٌ وهم مقصرون متّهِمون الشيخ مما هو منه بريء، وهذه حالة كبار الحُفّاظ مع القاصرين والجاهلين"[2]، ويقول عنه في تعريفه" هو محمد أبوراس بن أحمد بن عبد القادر ابن محمد بن أحمد بن الناصر الجليلي المعسكري الجزائري حافظ المغرب الأوسط ورحالته[3]،يذكره صاحب مؤلف تعريف الخلف برجال السَّلَف بقوله:" وكان يُدعى في زمانه بالحافظ لقوة حفظه وتمكُّنه متى شاء من استحضار مسائله حتى كل العلوم كتبت بين عينيه[4]" ويقول في التعريف به "العلامة المحقق الحافظ والبحر الجامع المتدفق[5].."

هناك من لقَّبه بغير الحافظ فيقول "أما العلامة الشرقاوي فلقبني في إجازته بشيخ الإسلام[6].

1-4تعلّمه ووظائفه: جعل أبوراس الناصري همّه وشغله الشاغل طلب العلم فمنذ صغره حفظ القرآن والمتون ومختصرات الفقه، فتنقّل بين الأمصار بحثا عن العلماء وتقرّب من الفقهاء وجالس الكبار فانتقل إلى كبار الحواضر العلمية والمدن لأنّ العلم في البادية قليل وجُلّ العلماء المعروفين يُدرِّسون بالمدن، فكانت بدايته بمسقط رأسه بأم عساكر أين تعلّم على والده القرآن الكريم وإتقانه لأحكامه، انتقل لقراءة الفقه على علماء أم عساكر، فكانت المرحلة الأولى من تعليمه مقتصرة على القرآن الكريم ومتونه وأحكامه على روايتي ورش وقالون ودراسة

---

[1]-محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح المهدي البوعبدلي، دار عالم المعرفة للنشر والتوزيع،الجزائر،2012،ص.224.

[2]-عبد الحي بن عبد الكريم الكتاني ، المصدر السابق،ص.151.

[3]-نفسه،ص150.

[4]-أبي القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة بيير فونتانة الشرقية،الجزائر،1906،ص.333.

[5]- نفسه،ص.332.

[6]- أبوراس الناصري، فتح الإله... ، تقديم المحقق محمد بن عبد الكريم، المصدر السابق ،ص.116.

الفقه ولم يبلغ سن العاشرة من عمره، فكانت منطقة معسكر حاضرة العلم والدين فانتشرت بها العديد من الزوايا والمدارس الدينية وتخرج منها الفقهاء والعلماء، تعد قلعة بني راشد وغريس من أعرق الحواضر الدينية بالجزائر فانتقل مع والده إلى متيجة ثم مجاجة بضواحي الشلف ومنها إلى المغرب[1]بعدما أن سافر مع أخيه وكان مُلمّا بالقرآن فكان يُصحِّح للطلبة وهو على أكتافهم، بعد عودته اتجه إلى منطقة القيطنة بأم عساكر التي كانت تمثل منارةً للعلم ومقصدًا للعلوم الدينية والشّرعية[2].

من سمات العالِم التَّرحال والسفر وقصد العلماء المشهورين والنهل منهم فلا يكون الرجل عالما حتى يسمع ممن أسنّ منه، وممن هو مثله، وممن هو دونه[3]فانتقل إلى مازونة ومكث بها ثلاث سنوات طالبا ومقرئا على الطلبة، فكانت قِبلة العلماء ففيها الكثير من المجالس والطلبة، فكان سفره الأول حين بلوغه أداء فريضة الصوم لأخذ الفقه بها فأتم بها مختصر "خليل" فحفظه حفظا على ظهر القلب ففهمه فهما ومعنى، ففي طريقه إلى مازونة التقى بأحد المشايخ وهو على زي الأولياء فسأل منه الدعاء والتوفيق فدعا له أن يجعل له مصنف خليل وغيره كاللقمة في فمه، فتحقق له ذلك وبعد سنة من مكوثه بمازونة أصبح يُدرس الطلبة الفرائض وفي عامه الثالث كما يقول صرت في المصنف لا يشق عني غباري ولا يجري سابق في مضماري، يحظى مصنف الخليل بمكانة في المغرب فقيل عنه" لما كان علم الفقه أفضل العلوم بعد كتاب الله وسنة رسوله الذي به تعرف الأحكام، ويتميز الحلال من الحرام، فقد صنف فيه الأئمة دواوين لا تحصى، وأحسن ما صنف في ذلك مختصر خليل اذا قبلت عليه الطلبة غربا وشرقا[4]

فبدأ على يد الشيخ محمد بن هني ثم الشيخ محمد بن ابراهيم ثم الشيخ مصطفى بن يونس فوجدهم مشهورين بمعرفة مختصر خليل والبعض مقصور على الفرائض لا يتعداه، ووقف على شرح مطول في الفرائض للشيخ الزياني

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين، دار البصائر،الجزائر،2013. ص493.

[2]-بوركبة محمد، قراءة في وثيقة شمس معارف التكاليف في أسماء ما أنعم الله به علينا من التأليف للشيخ أبي راس الناصري المعسكري الجزائري، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا جامعة وهران ،العدد 10،ديسمبر2013 ، ص 254.

[3]-بكاري عبد القادر، الرحلة ودورها في التدوين التاريخي الجزائري، رحلة أبوراس الناصري نموذجا، العدد 19-20، مجلة عصور جديدة، جامعة وهران، 2015. ص214.

[4]- المهدي البوعبدلي، جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني من القرن(10هـ إلى 13 هـ)، جمع و إعداد: عبد الرحمان دويب، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع،الجزائر،2013.ص28.

وقرأ على الشيخ البدالي وهو معروف بالفرائض، فجلس في حلقة العالم الكبير الشيخ ابن علي بن الشيخ أبي عبد الله المغيلي [1].

عاد إلى أم عساكر وذاع صيته بمعرفته للمصنف وتحقيقه في المشارق والمغارب ودخل أم عساكر وليس معه شيء سوى الفقه ودخل قريته، منها تلقّى مختلف العلوم على يد عالمها عبد القادر المشرفي[2].

اشتغل أبوراس الناصري في عدة وظائف منها التدريس والقضاء إلاّ أنّ الحظ لم يحالفه فبقي على فقره وسوء حالته الاجتماعية، فكانت بدايات تدريسه بمازونة الفرائض منها إلى أم عساكر أين قلّد مَهمَّة القضاء على تلك الجهة ويقصد بها القيطنة، ولما رأى أن هذه المهنة تشغله عن العلم والتأليف من جهة ومن جهة أخرى، أن البادية آفة العلم مستندا إلى ما يقوله الشافعي "لا تسكن الريف، فيذهبَ علمك وتهتك حرمتك" وأخذ بالنصيحة وانتقل إلى أم عساكر فاشتغل بالتدريس بها مدة ست وثلاثين سنة ولم يتأخر يوما واحدا ما عدا صبيحة يوم الاثنين لأمر رباني، فاجتمع عليه الطلبة ولا يحضر معه كتاب ويُدرس من حافظة ذاكرته، حتى صار مجلس حلقته يضاهي مجالس العلم في الشام، العراق ومصر، بعدما أن ذاع صيته وأقبل عليه الطلبة من كل فج عميق جعل له بايات الغرب الجزائري كرسي التدريس فاستعان عليه كل الاستعانة ثم سُمي الشيخ بصاحب الكرسي الدوّار[3]، ولما ظهرت عليه علامات النفع للطلبة تنافس عليه الأشياخ لتدريس أبنائهم فآثر شيخه الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي فعاد مجدّدا إلى القيطنة، اجتمع به الطلبة فكان شيخه يعظِّمه ويقدُّم له ما لذَّ وطاب من القمح والدراهم والسمن والزيت والكباش، بعد وفاة الشيخ غادر أبوراس إلى الشيخ السيد محمد بن عبو بن عيني ودرس عليه مدة سنة، وفي أواخر القرن الثاني عشر تفرّغ للتدريس بأم عساكر وفي سنة 1204هـ ذهب لأداء مناسك الحج وبعد عودته من الحج تقلّد مناصبَ منها الفتوى ثم القضاء والخَطابة وتمّ عزله سنة 12011هـ (1796-1797م)[4] بسبب حروب درقاوة التي نشَبت ضد الأتراك[5] وجعل منها

---

[1]-المهدي البوعبدلي ، المرجع السابق،ص.91

[2]-موصودق خديجة، مخطوط الإبريز في علم التفسير، لابي راس الناصري المعسكري،العدد06،المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران،2009، ص.196.

[3]-أبوراس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تحقيق: بوركبة محمد،ج1،منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف،الجزائر،2007،ص.15.

[4]- نفسه،ص-ص.21-24.

[5]-طيبي نور الهدى، قراءة في مخطوط :شرح دعاء القنوت على مذهب مالك وأنه في الصبح من إملاء أبي راس على طلبته، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد09، جامعة وهران،ص.122.

حركة تمرّدية هدفها زعزعة نظام الحكم وخلق فتنة، قد دفعه موقفه على تدوين مؤلفه المعادي لثورة درقاوة الموسوم "درء الشقاوة في حرب درقاوة"[1].

على الرغم من أن أباراس كان من الموالين للأتراك ووقف إلى جانبهم ضد الدرقاويين وأثنى على حكم الأتراك وبايات المغرب ،فلم ينجُ من هذه الفتنة حتى الموالين كأمثال أبي راس الناصري فأصابته بعض شظايا هاته الفتنة فعُزل عن منصبه فأصبح الأتراك يكيلون التّهم لجميع رؤساء الدين باعتبار الثورة ذات نزعة دينية صوفية[2]

1-5شيوخه:

أثنى الحافظ أبوراس على شيوخهم وذكرهم في رحلته الموسومة فتح الإله وخصّص بابًا خاصا به مُعنْوَن "في ذكر أشياخي النافضين عني قشب أوساخي شريعة، وحقيقة، وقرآنا وطريقة، فقدّر فضلَ الشيخ على الطالب فقال "اعلم أني ببركة الشيوخ، ومحبة أهل الرسوخ واجهتُ كلاًّ منهم بآداب وتأملتُ فيه وأمعَنتّ النظر فيما زبر في كتابه فذكْر الشيوخ أصبح مفخرة الطالب ومازال الناس يفتخرون بكَثرة الشيوخ، فكان للإمام مالك تسعمائة، وللبخاري أكثر، فاسترد قول الملك الإسكندر اليوناني قيل له: أراك تعظم شيخك ارسوا على والدك، فقال والدي سبب الحياة الفانية، وشيخي سبب الحياة الباقية، وأنشد أبيات من قصيدة الإمام الشريشي قائلا:

وَلِلشَيخِ آيَاتٌ إذا لَمْ تَكنْ لَهُ فَما هُو إلَا فِي لَيَالِي الهَوَى يَسْرِي

إذَا لَمْ يَكُنْ عِلمٌ لَدَيْهِ بِظَاهِرْ وَلاَ بَاطِن فَاضْرِبْ بِه لُجَجَ البَحْرِ[3]

أول شيوخ والده حسب رحلته فسنقوم بجردهم وذكرهم حسب ترتيب سفره وتنقلاته:

أحمد بن أحمد أول شيوخه والده، أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر بن علي بن عبد العظيم بن معروف بن عبد الله بن عبد الجليل المعسكري الجزائري هذا النسب متصلا لعمرو بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول ا لله صلى الله عليه وسلم،

---

[1]-بوشنافي محمد، أبوراس الناصر المعسكري وقضايا عصره من خلال مؤلفاته، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد الثاني، جامعة سيدي بلعباس،2015ص.213.

[2]- محمد سي يوسف، دراسة مخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لابي راس الناصري، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 2،جامعة الجزائر،1986.ص.136.

[3]- هو أبو العباس ت(641هـ- 1244م بن خلف القريشي البكري، علامة زمانه في مختلف العلوم والفنون، من مؤلفاته: "أسرار الرسالة، ورسالة الأسرار"، في أصول الدين "شرح الجزولية"، في النحو "شرح المفصل" للزمخشري، و"عوارف الهدى وهدى العوارف" وهي من بحر الطويل، نقلا عن أبي راس الناصري ،فتح الإله، المصدر السابق..،ص.41.

تعلّم على يديه أولى آيات القرآن الكريم وبدأ معه بسورة الانفطار "إذا السّماء انفطرت"[1] فقرأ عليه إلى غاية "تلك الرسل فضلنا..."[2] فلم يتعلم حروف اللغة على والده مستدلا أنه لم أقرأ أ، ب، ت، ث...وتعلق في حفظي ما تحتها من غير تعليم ولم يعلِّم لي أحد الحروف بنقشها، ولم أتبعها ابدأ بل بدأت من السورة المذكورة أكتب بيدي.

تعلم القرآن الكريم على شيوخ المنطقة بمعسكر وسهل غريس والقيطنة والوطن الراشدي، هذه المنطقة التي أنجبت علماء أجلاء وبرزت عائلات توارثت العلم والدين والفقه والوظائف الدينية وأسّسوا بها زوايا تُعلم العلوم النقلية كالقرآن والحديث والفقه والتصوف والنحو والخطابة والصرف والسيرة النبوية والعلوم العقلية كالحساب والفلك والجبر والهندسة والطب[3]، فمكث بها لفترات متقطعة ولم يستمر طويلا فمنهم الشيخ علي التلاوي مدة يوم، إذ دخل عليه فلم يحسن كتابة حرف الفاء فقرعه على رأسه من ذلك اليوم لم يعد لحلقة الدراسة، ومنهم الشيخ منصور الضرير صاحب القراءة المتقنة والأحكام الموقنة الذي قرأ عليه وكان يُقرئ أولاد الشيخ ويخدمه في داره ،فتعلم على يد خمسة شيوخ وهم طلبة الشيخ لأنه قال له صحّح لوحتك عند تلاميذي الخمسة، فدعا له بقريحة، فتقبل الله منه ونسخ له فرائض" ابن شعيب" فمن مجموع ما تعلم على مشايخ القرآن ثمانية[4]، عند وفاة الشيخ منصور رثاه أبوراس بقصيدة مطلعها:

لَعُمرِي لَقَد أتى الزَمانُ بِصَدمَةٍ وَأَمرٍ فَضِيعٍ لاَ يُقَاسُ بِهِ سَخَطٌ

بِمَوتِ إمَـامِ الوَقـتِ فِي غُربِنـاَ وَبَـحرِ عُلُـومٍ لاَ يَبِـينُ لَهُ شَطٌ

أُستَـاذُنَا مَنصُور المنيبُ لِرَبِـهِ كَكَوكَبِ سَعْدِ سَاطِعِ نُورُهُ يَسطُوا[5]

جلس في حلقة الشيخ محمد ابن مولاي علي بن سحنون[6] ليقرأ الفقه عليه ثم انتقل إلى حلقة الشيخ السيد علي بن الشنين.

الشيخ أبي عبد الله المغيلي: الصادق بن علي المغيلي المازوني: عالم، قاض، من فقهاء المالكية، من أهل مازونة، تعلم بها وبمعسكر، ثم رحل إلى المشرق فتعلّم بالأزهر الشريف. وعاد، فوليَ قضاءَ مازونة، ثم قضاء وهران[1]، صاحب القراءة الصحيحة.

---

[1]- القرآن الكريم، سورة الانفطار، الاية:1، رواية ورش.

[2]-القرآن الكريم، سورة البقرة، الاية:253،رواية ورش

[3]-يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب،ج1،دار الهدى ،الجزائر،2009،ص.140.

[4]- ابوراس، فتح الإله... ، تقديم المحقق محمد بن عبد الكريم، المصدر السابق ،ص.ص.42،41.

[5]-نفسه،ص.56.

[6]- قاضي أم عساكر.

العربي بن نافله :صاحب الأصول والفروع، قرأ عليه المختصر ثلاث ختمات في ثلاث سنين، فكان يُدرس دون كتاب معه، وابنه السيد أحمد بن نافلة أخ العربي فكان لا يقل مكانة عن شيوخه أيضا فلا يقل مكانة عن أبيه في العلم والحفظ، فكان يُسّهل عليه ما صعب عليه في حلقة والده[2]

محمد الصادق بن أفغول :الجامع بين العلم والدين انتهت إليه رئاسة التدريس وشدت إليه الرحال من حوالي "زواوة إلى غريس ،تنحدر أسرته من نواحي البرج شرق معسكر من مؤلفاته "عقد الجمان اللامع من عقد البحر الجامع" مقدما في معرفة الحديث على أقرانه، منفردا بهذا الفن النفيس في زمانه، أوقف نفسه على تدريس العلوم. وابنه السيد محمد فمن رآه قال كمثل والده، فكان لا يجلس الحافظ وإلا بمجاورته في حلقة أبيه فهو بمثابة المعين على الأمور التي تكون مبهمة في حلقة الدرس.

بهذه المنطقة حضر العديد من المجالس العلمية التي درّس بها العديد من العلماء منهم مجلس قاضي مازونة السيد محمد بن عبد القادر القاضي، مجلس الولي الصالح السيد محمد بن عوالي الزلماطي يومي الخميس والجمعة، وحلقة الشيخ محمد أبي طالب مدة ثلاثة أيام توقف عنها لقوله للطلبة اذهبوا لأرضكم تدرسون[3]

أحمد بن عمار: علاّمة الجزائر ومحدثها، صاحب الرحلة الحجازية التي طبع أولها بالجزائر، رحل إلى الحجاز عام1172هـ، أخذ الطريقة الشاذلية عن أبي عبد الله محمد المنور التلمساني[4]، تولى وظيفة الفتوى على المذهب المالكي بالجزائر عام1180هـ، صاحب "رحلة اللبيب"[5]،بقي في الحرمين حتى توفي بها.

الشيخ محمد بن جعدون: ابن عبد الله محمد ،شيخ الجماعة وقاضي مدينة الجزائر، يقول عبد الحي:" وقفت على إجازة الشمس له الحنفي له بالطريقة بتاريخ 1117هـ وثبت له نسبه الشيخ السنوسي[6]،فكان للفقه مشمرا وفي السن معمرا، تخرج على يده معظم طلبة مدينة الجزائر.

محمد بن عبد الرحمان التلمساني القاضي: ينحدر من نسل عالم المذاهب الأربعة الشيخ أحمد بن الحاج المانوي، علم تلمسان وعالمها، وعاملها وقاضي الجماعة بها، رحل إلى مصر لطلب العلم على يد العديد من

---

[1]-عادل نويهض، المرجع السابق، ص.440.

[2]- ابوراس، فتح الإله... ، تقديم المحقق محمد بن عبد الكريم، المصدر السابق ،ص.45.

[3]-نفسه،ص.46.

[4]- فهرس الفهارس، المصدر السابق،ص.121.

[5]- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر،ج2، المرجع السابق،ص.225.

[6]-حمدادو بن عمر، أبوراس الناصري المعسكري...،المرجع السابق،.ص.72.

العلماء الأجلاء كالشيخ السمان ومحمود الكردي، رحل إلى المشرق مرتين، شغل منصب القضاء وعزل عنها، ونبذ تلمسان واستقر بالحرمين إلى أن توفي هناك[1].

العربي بن قيزان: العربي بن الهاشمي العزوزي الزرهوني الفاسي، دفين الصويرة عام 1260هـ، قاضي فاس ومفتيها، شارح المرشد أخذ عن محمد بن العربي القسنطيني وابن عبد السلام[2].

أحمد بن عبد الله السويسي: التونسي دارا، المغربي نجارا في عام 1225هـ طلب منه الحافظ أن يكون ضمن تلامذته وإن لم أكن من لذلك أهلا، فيكون ذلك منك لنا وبلاكي تهب عليا نفحاتكم وسناء بركاتكم، فأجازه في كل ما يتعلق بالدين وأصوله وفروعه ووصائله ومسائله، ولما توفي الشيخ ترك ألفي كتاب ومائتين[3].

محمد قاسم : أبوعبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الحفيظ بن هاشم القادري الحسني الفاسي[4]، تولى الفتوى والقضاء بتونس مع أبيه أيام الباشا علي بن حسين داي رئيس المفتيين، توفي عام 1243هـ-1827م[5].

محمد بيرم: محمد بن حسين بن أحمد بن محمد بن حسين بن بيرم الحنفي، التونسي أقام مفتيا بتونس خمسا وأربعين سنة، من مؤلفاته "اختصار أنفع الوسائل في تحرير أنفع المسائل، توفي 1214هـ-1800م[6]،قرأ عليه فقه أبي حنيفة بـ "مختصر الكنز"[7]، بارع الخطابة، عذب التلاوة، الإمام في الآداب والبيان والإعراب، والتاريخ واللغة والأنساب، الفرائض والحساب، يذكر صاحب مؤرخ تونس أبي الضياف من مصنفاته "رسالة في السياسات الشرعية[8]" .

---

[1]- ابوراس، فتح الإله... ، تقديم المحقق محمد بن عبد الكريم، المصدر السابق ،ص.49.

[2]-بوشيبة ذهبية، المرجع السابق،ص.360.

[3]-أبوراس، ، فتح الإله... ، تقديم المحقق محمد بن عبد الكريم، المصدر السابق ،ص.51 ويقصد بها عدد الكتب التي يمتلكها الشيخ في خزانتها وليس المقصود بها مؤلفاته.

[4]- عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، المصدر السابق،ج2،ص403.

[5]- ابوراس، فتح الإله... ، تقديم المحقق محمد بن عبد الكريم، المصدر السابق ، إحالة رقم 128،ص.81.

[6]- نفسه،ص.81.

[7]-يقصد به كنز الدقائق، من فروع الحنفية للشيخ الإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي المتوفى 710هـ 1310م،وهذا الكتاب مختصر لكتاب الوافي.

[8]-أحمد بن ابي الضياف، اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك أهل تونس وعهد الامان،ج2،تح لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية والاخبار،تونس ،1963،ص30.35.

عبد القادر بن عبد الله المشرفي: ولد بالقرط عاش مدة طويلة بمنطقة معسكر، تخرج عليه كثير من العلماء، من تأليفه المعروفة تصنيف في التاريخ "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب ك"بني عامر" عرّف ببني عامر وبعلاقاتهم مع الإسبان[1]،يدعى شيخ الجماعة وإمام الراشدية، عُيِّن مُدرِّسا بمعهد الشيخ محي الدين في زاوية القيطنة وبعد ذلك أسّس لنفسه زاوية ومعهدا علميا في مسقط رأسه، شارك في مقاومة النصارى الإسبان بوهران بقيادة الباي مصطفى بوشلاغم[2]، توفي بمسقط رأسه يوم الخميس 10رمضان1222هـ الموافق لـ.02أكتوبر 1778م[3].

تعلم أبوراس الناصري اللغة العربية وعلومها على يده، بل ألحّ عليه تعلم اللغة أولا فلما انتصب للتدريس بعد رجوعه من مدارس مازونة كان يجهل العربية تماما، ولحّن مرة أثناء الدرس فضحك بعض الطلبة عليه، فكان الشيخ عبد القادر يحضر دروسه في مختصر الخليل ويُلِحُّ على أبوراس الناصري بضرورة تعلم اللغة العربية وعلومها وآدابها[4].

المرتضى الزبيدي: هو الشيخ مرتضى بن محمد بن عبد الرزاق الحسني الأموي الزبيدي النسب المكنى بأبي الفيض وبأبي الوقت، الملقب بمرتضى بن محمد بن أبي الغلام محمد بن القطب أبي عبد الله بن محمد بن الولي الصالح الخطيب أبي الضياء، ولد1145هـ بالحرم، حجّ مرتين أخذ عن ثلاثمائة شيخ[5]،من تصانيفه شرح كتاب "القاموس" في عشرة أسفار، شرح كتاب "الإحياء" في خمسة عشر جزء، لما عدتُ من الحج قرأتُ عليه "البخاري"، "الرسالة القشيرية"، "الكنز"، "مسلم" فأجازني في الباقي، رثاه الحافظ بقصيدة مطولة مبتدئة[6]:

وَقُدوَتِي مُرتَضى شَيْخِي وَمَورِدِي إِمَامُ الأَنَامِ الزَاهِدُ المتَعَبِدِ

محمد الأمير(1154هـ-1232):شيخ الشيوخ، علامة الديار المصرية، أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عبدالقادر الأمير المالكي الأزهري، تعود أصوله إلى مازونة بالجزائر، دان له بمصر كل رئيس ووزير، برع في

---

[1]-ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984.ص250.

[2]-يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة،ج2،دار البصائر للنشر والتوزيع،الجزائر،2009.ص.231.

[3]-Marcel(B).Notice historique sur les arabes soumis en espagnols pendant leur occupation d'Oran par si Abdelkader El Mocherfi.R,AF,V65,1924.P.220.

[4]-أبو القاسم سعد الله، رسائل في التراث والثقافة مراسلات الشيخ المهدي البوعبدلي(دراسة وتعليق)،دار عالم المعرفة،الجزائر،2015،ص.159.

[5]-خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين من النساء والرجال، مجلد 7،ط5،دار العلم للملايين،بيروت،1980،ص.70.

[6]-أبوراس، فتح الإله... ، تقديم المحقق محمد بن عبد الكريم، المصدر نفسه،ص.58،59.

الحديث وفي جميع فنون العلم وحاز الرئاسة والسياسة بدوام الدراسة، طار صيته في المغرب والشام والعراق، إمام مصر بل كل الأمصار، وفقيه عصره في جميع الأقطار[1]، من مؤلفاته" المجموع وشرحه" و"حاشية عليه" و"حاشية على شرح الزرقاني على المختصر"[2]

عبد الله الشرقاوي الشافعي: عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشرقاوي الأزهري الشافعي، ولد حوالي 1150هـ توفي 1228هـ،له العديد من التآليف منها: اختصار الشمائل وشرحه، شرح تجريد أحاديث الصحيح للشرجي، تاريخ مصر، طبقات الشافعية[3]، حافظ المتون، كثير الفنون، شيخ الجامع الأعظم بمصر المعروف بالأزهر[4]، شارك في الدفاع عن مصر بعد الحملة الفرنسية لمدة ثلاث سنوات[5].

الشيخ عثمان الحنبلي (ت1290هـ1873-: عثمان بن عبد الله بن عثمان بن أحمد بشر النجدي، الحنبلي أحمد فقهاء نجد ومؤرخيها، من مؤلفاته: عنوان المجد في تاريخ المجد، فهرس طبقات الحنابلة، حاز معظم فقه ابن حنبل [6].

أخذ أبوراس العلوم الدينية على العديد من علماء الحجاز في مكة والمدينة وانتقل إلى الشام وفلسطين فطاف بالعلماء وأجازوه فمِن أهمِّ العلماء الذين ذكرهم وجلس في حلقاتهم: **الشيخ عمارة العلاف الينبعي** أحد حَمَلة الحديث، منهم أيضا: **عبد الرحمان التادلي** أصلا ونجارا، المكي منشأ ودارا ووفاةً و**الشيخ عصام الشامي** الذي لقيَه بالمدينة المشرفة، و**الشيخ عبد الغاني** مفتي الشافعية بمكة المكرمة و**الشيخ عبد الملك الشامي ثم القلعي** مفتي مكة المكرمة على المذهب الحنفي، والشيخ **السيد حسين المغربي** مفتي مكة[7].

---

[1]-نفسه،ص.60،61.

[2]-بوشيبة ذهبية، المرجع السابق،ص.362.

[3]-عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، المصدر السابق،ج2،ص.1071، حول مواقفه ينظر عبد الرحمان الجبرتي، عجائب الأثار في التراجم والأخبار، ،تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان عبدالرحيم،ج3،دار الكتب المصرية، مصر، 1998،ص،452،616،420. وينظر كذلك نفس المصدر،ج4،ص.261،201،169،102،22.

[4]- أبوراس، فتح الاله، المصدر السابق،ص.61.

[5]- محمد ابوراس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تحقيق محمد غالم،ج1،منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية،الجزائر،2008،ص.15.

[6]- ابوراس الناصري ، فتح الاله، المصدر السابق،ص62.

[7]-نفسه،ص-ص،62-65.

1-6 إجازاته: تعد الإجازات العلمية من مقاصد الطالب الباحث المجِدِّ، فتحصيلها لا يكون إلا بالتلقين الجيد والإقراء على الشيخ أو السماع منه، فبفضلها يتصدر مجالس التدريس والفتوى في المجتمع، ما أهَّله أن يتبوأ مناصب عليا في الفتوى والقضاء والتدريس ،فقد حرص كثيرا أبوراس الناصري على ذِكر إجازاته العلمية من كِبار الشيوخ والفقهاء فتزيد من مكانة العالم وقد أجازه العديد من كبار العلماء منهم : الشيخ المرتضي الزبيدي فقرأ عليه أوائل الصحيحين، ورسالة القشيري، مختصر العين، مختصر الكنز الراقي، وأجازه في بقية المصنفات والعلوم، أما نص الإجازة :إني أجزْت الفقيه العالم المتفنن الحافظ .....ذاكرني في فوائد جمّة وذكّرني بمطالب مُهِمّة ،أجازه أيضا الشيخ محمد الأمير ولقبه في أجازته بالحافظ، والعلامة الشرقاوي أجازه ولقبه بشيخ الإسلام[1]،في ينبوع البحر أجازه العلامة الرباني عمارة العلاف فقرأ أجزاء من صحيح البخاري وأجازه في البقية، وفي مكة المكرمة أجازه علماء الحرم منهم الشيخ السيد عبد المالك الحنفي المفتي الشامي القلعي وقد قرأ عليه نبذة من الحديث وجزء من الكنز وشيئا من التفسير في سورة النور وأجازه في البقية.

فقد أُجيز الحافظ أبوراس الناصري في العديد من المصنفات الدينية التي قرأها على العديد من أعمدة العلم والدين فمن أهم المدونات التي أُجيز عنها على العموم نجد "صحيح البخاري"، "مختصر الخليل"، "الكنز الراقي"، "رسالة القشيري".

نص إجازة المرتضي الزبيدي في "صحيح البخاري" يروي الشيخ أبوراس الناصري عن السيد المرتضي عن الشيخ الحفني وهو العلامة الفاضل العارف بالله الكامل الشيخ محمد بن سالم بن أحمد الحفني المصري إمام الأبهة وريس الطريقة الخلواتية، والحفني يروي عن الزيادي والبديري المعروف بابن الميت والسيد مصطفى البكري ومحمد السلماني المغربي، والشيخ العزيزي والعشماوي والشبراوي والشيخ أحمد الجوهري وغيرهم وهو أي الحفني يروي البخاري مسلسلا بأهل مصر بطرق تفوت العشر، من أجلها روايته عن شيخه الزيادي عن الباقلي عن السنهوري عن الغيطي عن زكريا الأنصاري عن أبي حجر عن العراقي عن أبي علي شاهد الجيش عن عثمان بن رشيق عن هبة الله البصير عن محمد بن هلال السعيدي عن أم الكرامة كريمة بيت أحمد الكشميهني عن الفريزي عن البخاري[2].

---

[1]-أبوراس، فتح الاله، المصدر السابق،ص.116.

[2]- حمدادو بن عمر، الكتابة التاريخية، المرجع السابق،ص.77،ينظر أيضا بوشيبة ذهبية، الحياة الثقافية..، المرجع السابق،ص.369.للمزيد من نصوص الإجازات العلمية التي قُدمت لابي راس الناصري ينظر: الشيخ عبد القادر بن مختار الخطابي الجزائري، الكوكب الثاقب، مخطوط محفوظ عند صاحبه الإمام أبوعبد الله بمسجد المدينة الجديدة، وهران، ورقة رقم 64.

من علماء الراشدية بمعسكر الشيخ عبد القادر بن دحو الذي قرأ عليه الحافظ أبوراس "الألفية" قراءة بيّنة بالنقول وفيّه من أولها إلى نصف الإضافة واكتفى بتدريسه هذا الجزء، وقال له: يكفي لك هذا وستبلغ أعلى المراقي وأجازه بالباقي[1].

1-7 تلاميذه: أفنى الحافظ حياته بين الدراسة والتدريس فدرَس على العديد من العلماء فدرّس هو بدوره بعد تلقيه العلوم والإجازات العلمية ما أهّلته أن يكون عالم عصره ووحيد زمانه فكانت له المشيَخة وترأّس كرسيَّ التدريس في العديد من الأمصار وله الكثير من الطلبة والتلاميذ فكانت حلقته عامرة فيقول اجتمع عنده أكثر من سبعمائة وثمانون طالبا منهم :

-الشيخ عبد القادر بن السنوسي بن دحو، تلميذه في الفقه المنقول وشيخه في علم المعقول.

-الشيخ بن عبد الله سقاط المشرفي إمام في الفقه والحديث تولى القضاء في عهد الأتراك وبعد الاحتلال الفرنسي عمل سفيرا لدى الأمير عبد القادر.

-السنوسي بن السنوسي بن عبد الله بن دحو بن زرفة بن درس الفقه في حلقة خاصة[2].

-الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله ابن زرفة الدحاوي، كاتب الباي محمد الكبير، تولى القضاء، شارك بنفسه في تحرير مدينة وهران[3].

-الشيخ محمد بن يوسف الزياني، تولى القضاء عام1886عمّ الشيخ أحمد بن يوسف الزياني، عائلة توارثت العلم والقضاء.

- الشيخ أبو حامد العربي المشرفي صاحب كتاب بهجة الناظر.

-الشيخ عبد القادر الهزيل .

-محمد بن عبد الله سقاط حفيد عبد القادر المشرفي[4].

---

[1]-لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثماني،1518-1830،دارسنجاق الدين للكتاب،الجزائر،2009،ص.134.

[2]-بوكعير تقي الدين، دراسة وتحقيق مخطوط للعربي المشرفي في الرد على ابي راس الناصر في قضية نسب أسرة المشارفة، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ تخصص الدولة والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران،2013-2014،ص.86.

[3]- يحي بوعزيز، المرجع السابق،ص.231.

[4]-موصدق خديجة، المرجع السابق،ص.197.

منهم أيضا: الشيخ عثمان الموسوي الهزازي البغدادي منشأ قدم إلى المغرب الأقصى وأجازه أبوراس الناصري ،ودرس عليه شيخ الجماعة بالحضرة المستغانمية الشيخ بن القندوز والشيخ بن تكوك من أنصار الطريقة السنوسية درس عليه أيضا علم التوحيد[1].

1- 8 رحلاته: سافر أبوراس الناصري إلى المشرق مرتين، طاف بالعديد من الأمصار مرورا بتونس، مصر، الحجاز، الشام، فلسطين وله العديد من الرحلات في الجزائر والمغرب الأقصى ، يمكن تقسيمها إلى قسمين رحلات داخلية وخارجية :

1-8-1رحلات داخلية: المقصود بها تلك الأسفار والرحلات التي قام بها في نطاق وطنه وإقليمه الجزائر فيستذكر **أول رحلته كانت من مسقط رأسه بأم عساكر إلى مازونة** فكانت رحلة علمية من أجل الاستزادة والتعلم أما بقية الرحلات في داخل وخارج منطقة معسكر فكانت للمناظرات العلمية والحصول على إجازات العلماء، هذا ما نجده في **رحلته للجزائر العاصمة** الذي التقى بعلمائها وشيوخها ومفتيها وعالم الجزائر ورحالته ابن عمّار صاحب رحلة "نخلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب" والقاضي الشيخ محمد بن مالك وخطيب مدينة الجزائر السيد الحاج بن الأمير والسيد محمد بن الحفاف فقيه وخطيب الجزائر، وقد لقي استقبالا من أهلها وأثنوا على علمه وعلى سِعة حفظه واستطاع بعِلمه وذكائه مناظرتهم ،بل حتّى إقناعَهم بضرورة العدول عن أفكارهم والتصحيح للعديد من المسائل والقضايا الاجتماعية وحتى في المسائل النحوية واللغوية، ومنها التقى بعلماء البليدة منهم الشيخ الجزولي[2]

رحلته إلى قسنطينة: دخوله إلى قسنطينة هي استمرار لرحلته التي قادته للعاصمة ،فنزل عند العلامة الشيخ سيدي محمد ابن الشيوخ والشيخ عبد الكريم الفكون، وعند سماع علماء قسنطينة بقدومه هبوا عليه للترحاب وإكرامه تقديرا لعلمه ومكانته العلمية منهم قاضي الجماعة الشيخ الحاج علي الونيسي[3] فتحادثوا وتناظروا في العديد من الأمور الفقهية والتاريخية، ولقائه بأبي العباس الشيخ أحمد العباسي.

---

[1]- حمدادو بن عمر، الكتابة التاريخية ....، المرجع السابق،ص.84.

[2]-ابوراس ،فتح الاله...المصدر السابق،ص.91-97.

[3]-عبد الحق زريوح، أبوراس الناصري الجزائري ومؤلفاته، مجلة التراث العربي، العدد 98، اتحاد الكتاب العرب دمشق، سوريا ،جوان 2005،ص.231.

ثم قصد **مدينة وهران** في عهد بالباي السيد محمد باي بن عثمان ولقائه بعالم اللغة والنحو، السيد محمد بن حسن فقال له قل "كلا شيء" بكسر الهمزة، ألا ترى أنك تقول جئتك بلا زاد بكسر الدال "ومن هنا تفطن الحافظ وألّف كتابا وسماه "بغية المرتاد، في كل شيء وجئت بلا زاد"[1].

وزار تلمسان بعد عودته من المغرب وسُئل عن علمائها وملوكها ومن اختطها فقال أول من اختطها بنو يفرن قبل الإسلام ثم شاركهم أخوتهم مغراوة فيها واستدرج تاريخها إلى غاية أخذها من الأتراك، تناقش مع علمائهم في مسألة كتابة كلمة "نظم" بالضاد أو بالظاء فكان الأصح لأبي راس بالإشالة[2].

ب/ رحلات خارجية:

رحلته إلى فاس: رحل إلى المغرب في فترة صباه مع أخيه إلى مدينة فاس ،ثم عاد إلى أم عساكر، وعاد إليها ثانية عام 1801م والتقى بعلمائها ورحبوا به كثيرا وسعدوا بحضوره واجتمعوا حوله وطلب منه أحد كبار علمائهم مصنفه "درة الحواشي على شرح الشيخ الخراشي" فأبى ولما ألحّ عليه الطلب أقرضه له ونسخ منه نسخا، وشاع بفاس قدومه إلى أن سمع به السلطان فطلبه إلى قصره وأحضر علماء حاضرة فاس وفقهائها وعلى رأسهم الشيخ العلامة الطيب بن كيران، وجادلهم في كلمة "صحة" والتي تقال بعد الفراغ من الشراب والأكل فاستدل على ذلك بحجج وبراهين مقتبسة من أمهات الكتب، فاعترفوا بفضله وبصحة نقله وحفظه، وحديثه عن حكم الأكل بالملعقة وشروطها وآدابها، وتكلم مع أديب فاس الشيخ حمدون فتناظرا في حادثة "دب الشُلُوَلَة" ولقائه بالفقيه الشيخ محمد بن ينيس وكذا الفقيه الهواري.

من هناك التقى بأمير المؤمنين مولاي سليمان العلوي عام 1803م ومجلسه عامر بالعلماء فلما قرأ القارئ "ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة "فقال الحافظ وجب أن يسكت قليلا عند إسحاق ثم يتم، فأكرمه الملك وأثنى على علمه، وسأله ثلاث مسائل أولها عن حد المغرب الأقصى فقال كما قال ابن خلدون :حدّه وُجدة، وثانيتها أن أهل بني قحطان من اليمن ،فرد أنهم ليسوا من نسله، والثالثة عن ملوك السعدية وبني وطاس وبعض من الزوايا[3]،فأكرم نُزله وعرض عليه الإقامة فاعتذر لكثرة عياله وأهدى له نسخة من مخطوطاته العتيقة فأجازه إجازة سنية وأتحفه تحفة مرضية[4].

---

[1]-أبوراس ،فتح الإله...المصدر السابق، ص-ص،98-100.

[2]-نفسه،ص.ص.107،108.

[3]-نفسه،ص-ص،101-107.

[4]-المهدي البوعبدلي، التعريف بالكتب والمخطوطات، المرجع السابق،ص.176.

رحلته إلى تونس: نزل عند الشيخ العلامة الشيخ السيد محمد بن المحجوب واجتمع بعلمائها في جامع الزيتونة المعمور، واجتمع بعالم تونس العالم الفقيه الزاهد السيد إبراهيم الرياحي الذي طلب منه سلطان تونس القضاء فرفضها، فاجتمع بعلمائها فتناظروا وتناقشوا وترافعوا وتشاجروا وتقابضوا في جميع الفنون والعلوم فسألوه عن أسئلة فقهية فرد وأجاب دون تلعثم أوخطا، فلما سمع بقدومه ومناظراته الباي حمودة باشا طلبه فقال الحافظ: لما رآني فرح بي، وأجلسني وأكرمني ثم سألني عن أشياء كثيرة منها عن قصر الأجم فقلت: بناه هنادسة الروم والفرنج، وعن قسنطينة فقلت: حصن من حصون أفريقية، ثم سألني عن القيروان فقلت اختطه عقبة بن نافع في القرن الأول ، ثم سألني عن المعلّقة والحنايا وبرقة فأجبت بما عندي. فكما هو معتاد فقد دبّ الشك والدغن في نفوس الكثير من العامة من طلب الباي للحافظ إلا أن مقام أبي راس الناصر لا يسمح له بالاهتمام بالأمور الشكلية ، فهَمُّه الاستزادة من العلوم والوصول إلى أعلى المراتب في العلم[1].

رحلته إلى مصر :من تونس وبعد فراغه من لقاء الباي حمودة باشا ركب البحر إلى مصر والتقى بالعديد من العلماء فقرأ عليهم وأجازوه ،منهم الشيخ المرتضي والشيخ الشرقاوي والشيخ الأمير[2]،فدخل في نقاش مع عديد علمائهم بعدما علموا أنه الملقب بالحافظ فحاولوا إسقاط هذا اللقب عليه بامتحان مدى قدرة ذاكرته على الاسترجاع وكنا قد ذكرنا الحادثة هذا سالفا.

رحلته إلى الحجاز: وصوله إلى ينبع البحر والتقى بالعالم الفقيه الشيخ عمارة العلاف الذي وصفه بأعظم الشيوخ، بعدها انتقل إلى أم القرى مكة المكرمة زار مختلف الأماكن المقدسة منها بئر زمزم ومقام إبراهيم الخليل ،فاجتمع بعلمائها وفقهائها منهم الفقيه العالم السيد عبد المالك المفتي الحنفي الشامي القلعي وقد أجازه ومفتي الشافعية السيد عبد الغاني وعلامة الحجاز الشيخ عبد الرحمان التادلي المغربي ،زار أبوراس الحجاز مرتين فالرحلة الأولى كانت عام 1204هـ-1790م والثانية كما يقول 1226هـ -1811م ففي حَجّته الثانية التقى بعلماء الوهابية التسعة ،آخرهم الشيخ علي وأفضلهم[3]وناظرهم وتغلب عليهم وأظهر مدى قصرهم في التضلع في الفقه وفي الدين عامة فهم خارجون عن المذاهب الأربعة في الفروع، ثم انتقل إلى طيبة فزار ضريح النبي صلى الله عليه وسلم وضريح أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهم وزار الصحابة بالبقيع وكانت له أبحاث ومناظرات مع علماء المدينة.

---

[1]-نفسه،ص.108-115.

[2]-نفسه،ص.115-117.

[3]-أبو القاسم سعد الله، على خطى المسلمين حراك في التناقض، ط1،دار عالم المعرفة،الجزائر،2009،ص.40.

رحلته إلى الشام: تكلم مع علمائها في مسألة " الحبس" وبعدها رجعوا إلى قوله بعد نقاش طويل ولما أراد السفر جمعوا له الدراهم وودعوه.

رحلته إلى فلسطين: كانت الرملة ،أولى محطاته فالتقى بعلمائها وتحادث في شأن الدخان والقهوة فأقنعهم بنص أبي السعود فأكرموه ومنها إلى غزة فزار قبر سيدنا هاشم ثالث آباء النبي عليه الصلاة والسلام ،فالتقى بعلمائها وأمرائها وتناظروا في أمور شتى فضيفوه وأكرموه واعترفوا بفضل علمه وحفظه، ثم ارتحل إلى العرائش وهي آخر محطة من رحلة الرحالة والحافظ أبي راس الناصر المعسكري الجزائري فلم يجد عالما وفقيها يستأنس به بمناظراته ويكون التعويل عليه[1].

فالملاحظ من استقرائنا لرحلة الناصري بالتفصيل أنها مختلفة عن الرحلات الأخرى فلم يهتم بوصف مسلك الرحلة والأخطار والمزارات والمشاهد فكان حديثه عن العلماء واللقاءات والمناظرات وذكر المشايخ الفقهاء فعلى هذا يمكن إدراج رحلة الناصري ضمن الرحلات الفهرسية التي تُثني وتُذكر بمناقب العلماء ومؤلفاتهم ومهما يكن فرحلته يطغى عليه الطابع الصوفي من خلال أحكامه وعدم معارضته للطقوس الصوفية.

ثانيا: قراءة في رحلته "فتح الاله ومنّته في التحّدث بفضل ربّي ونعمته":

دوّن أبوراس الناصري رحلته العلمية إلى المشرق في مؤلفه الموسوم "فتح الاله ومنّته في التحّدث بفضل ربّي ونعمته" والذي قام بتحقيقه الباحث محمد بن عبد الكريم والذي اعتمد على ثلاث مخطوطات تحصل عليها من طرف الشيخ عبد الحي الكتالي المغربي وهي متواجدة بالخزانة العامة بالرباط، والنسخة الثانية مخطوطة المؤرخ عبد الرحمان الجيلالي والثالثة والأخيرة مخطوطة الشيخ أحمد جلول البدوي الجزائري ،وقد صدرت الرحلة محققة عام 1983 بالجزائر.

يقول أبوراس الناصري في مطلع رحلته عن أهميتها "وإني عزمت على تأليف عظيم الجدوى، بليغ الفحوى[2]، يحتوي على أبواب وأسئلة فتوى وفي ختام الرحلة يقول: وهذا ما حضرني من الأسئلة في وجهتي وأثناء رحلتي التي هي ملء العيبة في طول الغيبة، إلى مكة وطيبة وغيرها من الجزر من مصر والشام[3]".

---

[1]- أبوراس الناصر، فتح الاله...، المصدر السابق،ص.ص،118-121.

[2]-نفسه،ص.15.

[3]-نفسه،ص.165.

إن المتمعن والمدقق في رحلة الناصري يجدها عبارة عن سيرة ذاتية لشخصه ،فعرّف بنفسه وبيئته وبمساره العلمي وبتنقلاته الداخلية والخارجية وحافظ على الترتيب في الأحداث ،وأرّخ أيضا لمشايخه ولمن أجازه من العلوم حسب تنقلاته ودوّن مناظراته مع كبار العلماء والفقهاء وما لقيهم منهم وقدّم لنا معلومات في التاريخ وفي الأنساب وعن المصنفات المنتشرة في المشرق والمغرب الإسلامي، مبينا مدى أهميتها وعن العلوم المنتشرة بمختلف الأمصار[1]، أما "فتح الاله" فيكشف بجدارة وتفوق عن الأسباب النفسية الكامنة في اللاوعي، ويرسم بدقة ذلك التحتم الوجودي بين الطموح وبين الواقع بكل تعقيداته وتداخلاته وتناقضاته، فارتكز على أربعة محاور : البيئة أو التشكل الاجتماعي، القيم بمعرفة الحياة عن كثب، المعاناة وهي غريزة التفوق والسمو، الإفراغ ويكون بالإنجاز والإشباع[2]

2-1 أقسام الرحلة :تنقسم رحلته إلى خمسة أبواب[3] مفصلة وهي:

الباب الأول: بعنوان ابتداء أمري ،تناول فيه سيرته الخاصة واقتداءه بمنهج السابقين في تدوين السير والتراجم، فتحدّث عن مولده، نسبه، تنقلاته، تعلمه، لقبه، ما لقي من مصاعب في حياته وعن المصنفات التي حفظها وبعض الكرامات التي سمعها ورآها.

الباب الثاني بعنوان: في ذكر أشياخي النافضين عني قشب أوساخي: شريعة وحقيقة وقرآنا وطريقة، في هذا الجزء قدم دراسة فهرسيه لشيوخه وعلى من تعلم عليهم منذ صغره إلى أن أصبح يناظر العلماء والفقهاء، فالشيء الملاحظ في رحلته أنه دائم الحفاظ على الترتيب والتسلسل الزمني والتاريخي إذ يستطرد بقوله أول شيوخي...إلى أن وصل إلى آخر شيوخه، ونبّه إلى إجازاته العلمية التي تحصل عليها من مختلف الأمصار ومن عدة علماء وفي علوم متشعبة.

الباب الثالث بعنوان: في رحلتي للمشرق والمغرب وغيرها ولقاء العلماء الأعلام وما جرى لي معهم من مراجعة وكلام ،هذا بيت القصيد فأرّخ لرحلته الداخلية بالجزائر بكل من معسكر والغرب الجزائري ثم مدينة الجزائر وأخيرا قسنطينة وعرّج عن حياته بالمغرب الأقصى ومنها إلى المشرق الذي زاره مرتين فتحدث عن

---

[1] -أحمد العراقي، رحلة محمد أبي راس المعسكري إلى فاس زمان السلطان العلوي المولى سليمان، مجلة دعوة الحق، العدد 412، السنة الرابعة والخمسون، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، يوليو2015،ص.155.

[2] -محمد بشير بويجرة، التسامي والعبقرية عند أبي راس قراءة في فتح الاله وفق المنهج النفسي، مجلة قراءات، العدد الأول، كلية الآداب واللغات، جامعة معسكر،2008،ص.98،97.

[3] - أبوراس الناصر، فتح الاله...، المصدر السابق،،ص.15.

الأحداث التي مر بها في تونس ومصر والحجاز ثم الشام وأخير فلسطين، فاهتم بذكر أسماء الفقهاء والعلماء اللذين التقى بهم .

الباب الرابع بعنوان: في الأسئلة وما يتعلق بها: دوّن مختلف مناظراته العلمية ونقاشاته وبعض طرائف مع المشككين في حفظه وعلمه ،فتناول قضايا دينية فقهية، فلسفية، اجتماعية واقتصادية، تاريخية، نحوية أدبية، ومنها حتى السياسية.

الباب الخامس بعنوان: العسجد والابريز في عدة ما ألّفت بين بسيط ووسيط ووجيز: فذكر جل ما دونه من مصنفات في شتى علوم القرآن، الحديث، الفقه، النحو، التوحيد والتصوف، الأصول، التاريخ، القصائد...

مؤلفاته :خلّف العلامة الحافظ أبوراس مصنفات علمية جعلته من القلة القلائل الذين ورثوا كل هذه المؤلفات إذ ترك مكتبة ثرية قلّما يؤلِّفها كبار العلماء فلا يعلم من غيره أكثر منه في التأليف إلا الإمام السيوطي الذي فاق الثلاثمائة تأليف فدوّن في مختلف المجالات، أما في الجزائر حسب علمنا باستثناء أحمد البوني الذي تجاوزت تآليفه المئة، وغلب على أبي راس الناصري في تآليفه طابع عصر التأليف في العهد العثماني فشرح المتون وحشا الشروح ،بل جعل للمتن الواحد عدة شروح واعتمد على حفظه فأكثر في تآليفه من التكرار والاستطراد وذكر العجائب والغرائب واللطائف تماشيا مع عصره[1] ،فقد عددت تآليفه في رحلته وذكرها في القسم الخامس وعددناها فوصلت إلى السبعين مخطوطة[2].يرى الباحث يحي بوعزيز في مخطوطة عثر عليها خطّها أبوراس الناصري بيده والتي سجل فيها قائمة نتاجه الفكري بعنوان" شمس معارف التكاليف في أسماء ما أنعم الله به علينا من التآليف" ووصلت عدد تآليفه إلى 136[3] مصنف في مختلف العلوم.

لكثرتها وتعددها نشير إلى العلوم التي دوّن فيها وعدد المصنفات في كل علم، أما أسماء تآليفه فتطرق إلى ذكرها العديد من الباحثين ولا نريد إعادة ذكرها فقد جمعها الباحث يحي بوعزيز في مقاله حول الانتاج الفكري لأبي راس الناصري.

القرآن الكريم وعلوم:12مخطوطة.	المنطق:01 مخطوطة.

[1]-ابو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج2،عالم المعرفة، الجزائر،2009،ص.338.

[2]- ابوراس، فتح الاله...،ص.179.

[3]-يحي بوعزيز، الشيخ أبوراس الناصري وإنتاجه الفكري والأدبي، المجلة التاريخية المغربية،عدد54-55،تونس،1989،ص.ص،245-253.نقلا عن أبوراس الناصري، " شمس معارف التكاليف في أسماء ما أنعم الله به علينا من التآليف ،مخطوطة محفوظة لدي الباحث يحي بوعزيز، وهران.

الحديث: 08 مخطوطات.	الاصول:02 مخطوطات.
الفقه: 11مخطوطة.	العروض:01 مخطوطة.
النحو:05 مخطوطات.	التاريخ:34 مخطوطة.
المذاهب:07 مخطوطات.	الفلك:03 مخطوطات.
التصوف والتوحيد:10 مخطوطات.	الجغرافيا:01 مخطوطة.
اللغة:03 مخطوطات.	الأدب:02 مخطوطات.
البيان:01 مخطوطة.	القصائد:33 مخطوطة.
المعاني:01 مخطوطة.	البديع:01 مخطوطة.

وفاته:

توفي مجدد العصر وفقيه زمانه أبوراس الناصري المعسكري الجزائري يوم الأربعاء الخامس عشر شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف (الموافق لـ 27أفريل 1823م)، صلى عليه العلامة الأسد الهائج فريد وقته المعبر عنه بالراشدية بالخرشي الكبير السيد أحمد الدايج، دفن بعقبة بابا علي من المعسكر فنُسبت له تلك العقبة ووضعت على ضريحه قبة.

وفي تلك السنة 1238هـ رفع المطر عن العباد بعدما فرغوا من الحراثة إلى أن بقي للصيف شهر واحد فأرسل الله مطره النافع للعباد، وأزال ما بهم من التخمين والكساد، ونبت الحبّ وتمت الصابة وحصدوا، فسُميت تلك السنة بصابة الشهر وتعاطى اسمها في البدو والحضر[1].

[1]–الاغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق يحي بوعزيز، ج1،دارالبصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،2009،ص.351.

ثانيا :الرّحالة أحمد بن عمّار الجزائري.

1-1مولده ونشأته :هو أبو العباس أحمد بن عمار الجزائري، المولود بمدينة الجزائر حوالي 1119هـ-1707م[1]، لم تذكر المصادر التاريخية تاريخ ميلاده ووفاته وحتى مصنفاته العلمية، فضاعت سيرته الذاتية والعلمية ولا نعلم عنه إلا القليل فلم يَرِد لنفسه تعريفا في مقدمة رحلته مثلما جرت عادت الرحالة والنسّابة، فحاولنا الوصول إلى بعض المعلومات المتعلقة بشخصية من خلال النبش في بعض المصادر التي دونت له.

فيقول عنه صاحب كتاب "تعريف الخلف برجال السلف" أنه مفتي مالكية الجزائر العلامة المحقق الفهامة المدقق أبو العباس سيدي أحمد بن عمار ،كان من نوابغ عصره وأفاضل مصره، وهبه الله حظا من سيلان القلم وطلاقة اللسان زاحم بها الحريري والهمذاني، ذُكر في المشارق والمغارب، أغنى أهله عن الإطراء وتلفيق المناقب[2]، ويذكره تلميذه أبوراس الناصري أنه عالم الجزائر، كان غاية في الحديث والأدب، ينسل إليه من كل حدب، تولى بها زمن الخطابة والفتوى والإمامة، ثم عزفت له بها الإقامة، فرحل للحرمين الشريفين بعد ما أخرج بالجزائر الأساتيذ من التلاميذ والفقهاء النحارير، والعلماء الجماهير[3]،فيذكره صاحب فِهرس الفهارس والأثبات بعلاّمة الجزائر ومحدّثها ومسندها[4].

يذكر ابن حمادوش في رحلته أنه في عام 1159هـ أقرض كتب الدرر على المختصر لابن حمادوش[5] ونجد تاريخ آخر يؤرخ له بسنة إجازته لمحمد خليل المرادي الشامي عام 1159هـ .ويذكر ابن حمادوش أنه أهل علم وتقات ولا يحمل حسدا ويرجح الباحث سعد الله أن يكون عمره في عام 1159هـ حوالي أربعين سنة وبذلك يكون قد ولد عام 1119هـ[6].

يذكر الشيخ المهدي البوعبدلي في رسالة أرسَلها إلى الباحث أبو القاسم سعد الله بعد صدور مؤلفه "تاريخ الجزائر الثقافي" وتناوله لرحلة ابن عمّار فأوْرَد له بعض التعليقات حول أصله مستدلا على إجازة من

---

[1]-أحمد بن عمار، مختارات مجهولة من الشعر العربي، تقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، ط1،دار الغرب الاسلامي،لبنان،1992،ص.24.

[2]-الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، المصدر السابق،ص.83.

[3]-أبوراس الناصري، فتح الاله ومنته...المصدر السابق،ص.48.

[4]-عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، المصدر السابق،ص.121

[5]- ابن حمادوش، عبد الرزاق ابن حمادوش، لسان المقال في النبأ عن النّسب والحسب والحال، تح وتق وتع: أبو القاسم سعد الله ،م وف م،الجزائر،1983ص،259.

[6]- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي،ج2،المرجع السابق،ص.225.

شيخه الشيخ محمد بابا عمر المفتي المالكي بالجزائر 1388هـ ،فقال بعد الديباجة فقد أجَزْت سيدي المهدي[1] بما صحَّت به روايتي من سند الصحيحين ،وغيرهما بواسطة شيخنا المنعم المرحوم سيدي أمين قدور بن محمد عن أستاذه مفتي الحنفية بعاصمة الجزائر سيدي محمد بن أحمد بوقندورة عن أستاذنا شيخ الإسلام ومفتي الأنام ...إلى قوله وقد صحّت لي رواية عن الإمام البخاري من طريق أخرى مسلسلا عن الإمام العلامة أبي العباس سيدي أحمد بن سيدي عمار قدّس الله سرّه إلى أن قال..."الشيخ أحمد بن عمّار وأرويه بالسادة المالكية عن شيخي الإمامين خالي شقيق أمي الخطيب التقي الصالح الناسك الأبر سيدي محمد بن الشيخ الإمام سيدي محمد الشهير بسيدي هَدِيَ، هكذا كان لقبه مُركَّبا من اسمين لا ينفكّ أحدهما عن الآخر، المالكي وعن الشيخ أبي عبد الله محمد بن الهادي المالكي كلاهما عن والده الشيخ الإمام شيخ الإسلام سيدي عمار "هكذا اسمه مقرون بالسادة لا ينفك عنها أصلا ابن عبد الرحمان ابن عمّار المالكي عن الشيخ العلامة أبي عثمان سعيد بن أحمد المقري مفتي تلمسان. ومن هذا يتبيَّن لنا أن الشيخ أحمد بن عمّار هو ابن الشيخ عمّار(المستغانمي أو التلمساني) الذي ذكره ابن رجب إذ الصهر الذي اشتكى منه هو محمد الشهير بسيدي هدِيَ ينحدر من أسرة علمية عميدها مدفون بجبل أبي زريعة ومن هذا السند تترجح نسبة عمّار إلى تلمسان بدلا من مستغانم[2]

عاش أحمد بن عمار حياته الأولى بمدينة الجزائر، الذي ينحدر من عائلة تتمتع بالاحترام والتقدير، فوالده من أهل العلم والجاه وعلى قدر كبير من التديّن وهنا يشير الشاعر أحمد الغزّال في مدح والد أحمد بن عمار قائلا :

هَلُمّوا إلى مَأوَى المفاخِرِ وَالعُلاَ هَلُمّوا إلى الأسمَى ابن عمّارِ أحمدِ

بِوَالِده دينًا وعِلماً قَد اقْتَدى لَقَد جَلّ نَجلٌ كَان بالأَبِ يَقتَدي

فَأَكرِمْ بِهِ من مَاجِدٍ وابن مَاجدٍ وَأنعِم بِه مِن سيْدٍ وابنِ سَيّدٍ

[1]- يقصد به الشيخ المهدي البوعبدلي وهو المجاز من طرف شيخه الشيخ محمد بابا عمر عام 1388هـ.

[2]- أبو القاسم سعد الله، رسائل في التراث والثقافة..، المرجع السابق،ص.166،165.فنفس السند ينتهي إليه عبد الحي بن عبدالكبير الكتاني، فهرس الفهارس....المصدر السابق، ص.121

هذا عن والده، أما خاله فيعرفنا به ابن حمادوش في رحلته التي حققها الباحث سعد الله أنه أحد العلماء البارزين في مدينة الجزائر العثمانية[1] وذكر الفكون في كتابه منشور الهداية "أن عالما اسمه أحمد زروق بن عمار كان مفتيا بمدينة الجزائر عام 1028هـ وعن عالِم آخر بنفس المدينة اسمه أحمد بن سيدي عمّار بن داود قد وَرد إليهم إلى قسنطينة[2] ربما يُرجَّح أن يكون أحَد أجدادهِ.

فكانت دراسته الأولى على يد العديد من المشايخ والعلماء حتى أضحى فقيها وأديبا شاعرا، دارسا للعلوم اشتغل في مناصبَ دينية متعددة ،منها الفتوى على المذهب المالكي وشهد له العديد من العلماء بالنزاهة والاستحقاق وبالنبوغ في شتى العلوم العقلية والنقليَّة[3].

1-2- اشتغل ابن عمار طيلة حياته بين التدريس والفتوى والقضاء، فتولّى الفتوى على المذهب المالكي بمدينة الجزائر ما بين 1180هـ إلى 1184هـ وجلس للتدريس في الجامع الكبير بالعاصمة وانتصب للخطابة والإمامة بحكم وظيفته، ولأسباب سياسية أبعدته عن الفتوى والقضاء ما جعله يتفرغ للتدريس والتنقل وقيامِه برحلتِه إلى الحِجاز وبعدها الاستقرار فيها وتفرُّغه للتأليف والكتابة[4]

إنّ المناصب الإدارية تقيِّد صاحبَه وتجعلُه حبيس وظيفته منعزلا عن البحث والتأليف مرتبطا بوظيفته، فسلك أسلوب العلماء والمؤلفين فتنحى جانبا وتفرَّغ للكتابة شأنه شأن جلّ العلماء الذين تنازلوا وتخلوا عن المناصب الإدارية وتفرّغوا للبحث والتأليف كأبي راس الناصري وقد عاصر ابن عمار العديد من علماء الجزائر منهم :المفتي عبد الرحمان المرتضي، المفتي علي عبد القادر بن الأمين، والقاضي محمد بن مالك، محمد بن نيكرو، ورفيقه في الرحلة الحجازية الأولى الرحالة سيدي الحسين الورثيلاني والرحالة عبد الرزاق بن حمادوش وتلميذه الرحالة أبوراس الناصري ومحمد بن ميمون كلهم شهدوا له بالعلم ورجاحة العقل ونبوغه في مختلف العلوم

[1]-عجوط امحمد، دلالة المشتقات في الشعر الجزائري خلال العهد التركي(محمد بن علي وأحمد بن عمار نموذجا) دراسة وصفية تحليلية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، جامعة الشلف، 2007-2008.ص15.

[2]- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج2،المرجع السابق،ص.226.

[3]-مسعود كواتي، محمد الشريف سيدي موسى، أعلام مدينة الجزائر ومتيجة، ط1،دار الحضارة،الجزائر،2007،ص.17.

[4]- أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1983. ص.63.

ومعلوم أنه بارع في نظم القصائد والموشحات[1] في مدح خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم ،حيث كانت تنشد موشّحاته في مختلف ساحات المساجد والمحافل العظيمة وله ديوان شعري وقصائد في مدح النبي.

1-3- رحلاته : عُرف ابن عمار بكَثرة تنقلاته ورحلاته ،زار المشرق الإسلامي والحجاز ثلاث مرات ، كنت **أولى حجاته**[2] **عام 1166هـ** فسافر رفقة ركب الحج الذي دوّنه الرحالة الحسين الورثيلاني وذكره أنه كان مرافقا له في سفره وأخذا العلم في القاهرة على يد الشيخ العلامة خليل المغربي فقال الورثيلاني "وزرت أيضا شيخنا المحقق الشيخ خليل المغربي...وقد أجازني بخط يده في سائر العلوم والذي أخذ معنا عليه هو الفاضل بالاتفاق والعلاّمة على الإطلاق سيدي أحمد بن عمّار[3] "وبعدها عاد إلى الجزائر وتولى منصب الفتوى على المذهب ،فلم يستقر له المقام في الجزائر **فعاد مرة ثانية إلى مكة عام 1172هـ**[4] وبقي بها إلى غاية 1180 دخل إلى الجزائر وتقلد منصب الفتوى لمدة أربع سنوات 1184هـ وهذا ما أخبره أحمد الغزّال 1182هـ لمّا زار الجزائر للصُّلح بين الجزائر والمغرب أنه حضر أحد دروس ابن عمار بالجامع الكبير[5] فأُعجب أشدَّ الإعجاب به ثم قرّر التنقل وبصفة نهائية إلى تونس 1195هـ قصد الاستقرار بها ويذكر تلميذه إبراهيم السيالة أنه قد جاءهم إلى تونس في هذه السنة ،ومما يؤكد صحة قول تلميذه أنه في تلك السنة موجود بتونس تقريظ ابن عمار لكتاب ألّفه صديقه الوزير حمودة بن عبد العزيز في التوحيد وكان ذلك بتاريخ أواسط صفر الخير من شهور سنة ستة وتسعين ومائة الف[6].

لم تدُم إقامة ابن عمار طويلا بتونس ولم تكن وفاته كما يذهب بعض الباحثين، بل غادر تونس لأسباب نجهلها أو مثلما التي جعلت ابن مسايب يغادر فاس ،ضغينة وحسد العلماء من وصوله إلى بلاط الحكام ومجاورته للوزير حمودة بن عبد العزيز وتقرب الباي علي منه ومصاحبته له ما أدى بكثرة الوشاة والحسّاد له، ودخوله في مناظرات علمية مع علماء المنطقة وفي نفوسهم حاجة لإضعافه وإبعاده عن بلاط الملوك ،ويمكن أن تكون لوفاة علي باي الذي ألَّف فيه ابن عمار أحدَ كتبه ما أدّى به إلى الانتقال خارج تونس وهنا تسكت

---

[1] -ليلى غويني، التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2010-2011،ص.48.

[2] -عادل نويهض، المرجع السابق،ص.151.

[3] الحسين الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية، مع تعليقات ابن مهنا القسنطيني، دراسة: محفوظ بوكراع وآخرين، ج2،دار المعرفة الدولية، الجزائر،2001،ص.89.

[4] - عبد الحي بن عبدالكبير الكتاني، فهرس الفهارس....المصدر السابق، ص.121

[5] -أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي،ج2، المرجع السابق،ص.225.

[6] أبو القاسم سعد الله ،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج5،دار عالم المعرفة،الجزائر،2009،ص.214.

المصادر التاريخية هل واصل طريقه إلى مكة المكرمة مباشرة أم عاد إلى الجزائر وهنا تشير الباحثة "انساعد سميرة" أنه عاد إلى الجزائر من تونس ولكن لم تُشِرْ على ماذا تحصلت لتصل إلى هذه النتيجة، وبعدها رحل في رحلته الحجازية الأخيرة واستقر هناك، فتشير الوثائق والمخطوطات أن ابن عمار أجاز الشيخ محمد خليل المرادي الشامي أواخر ذي الحجة الحرام متم الشهور سنة1205 [1]ويمكن أن يكون مكان إجازته بالشام أو مكة المكرمة.

توفي علاّمة الجزائر ومفتيها بعد سنة 1205هـ ، بعد هذه السنة تنقطع أخباره إطلاقا ،ويذكر تلميذه أبوراس الناصري في مؤلفه فتح الاله أنه بقي مجاورا للحرمين حتى توفي بهما[2].

1-4- شيوخه: تلقى ابن عمار العديد من العلوم في الجزائر وخارجها ،ما يوحي بثقافته الواسعة وإجادته للغة العربية والفصاحة وتمكنه في العديد من الفنون، فأخذ العلوم بمسقط رأسه من القرآن الكريم واللغة العربية والعلوم النقلية بصفة عامة فيقول عنه شيخه المفتي ابن علي[3] :

يَا شَاعراً سُحِرتَ بِه بَلاغة شِعرِهِ مُتَجَاوزاً فِيهِ مَدَى مِهيَارِ

عَقدَ العُقُل عقَار نَظُمُه فَاتئدْ لِأَفيقَ مِن طَرَب وَأَسكَارِ[4]

قَسَمًا بِمَن قَسّم الفَضَائِلَ بَالوَرى مَا أنت إلاَ دُرَة الأَفكَارِ

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب...،المرجع السابق،ص.68وفيها نص إجارة ابن عمار لمحمد خليل المرادي.

[2] -أبوراس الناصري، فتح الاله، المصدر السابق ،ص.49.

[3] - ابن علي: محمد المهدي بن رمضان بن يوسف العلج (أحيانا يطلق عليه الكرغلي)، لا تذكر المصادر تاريخ ميلاده ووفاته، توجد شذرات عن حياته دونها تلميذه ابن عمار في رحلته وكذلك ابن حمادوش، فهومن المرجح أن عام 1751 كان حيا، فهوم مفتي الحنفية بالجزائر في القرن الثاني عشر هجري، أما نسبه ينتهي من خلال كنيته الكرغلي أو العلج والذي ينتسب إلى الأتراك من جهة، فقد اثنى عليه العديد من العلماء والفقهاء لعلمه وفصاحته وبلاغته، فكان خطيبا فقيل عنه أنه أديب العلماء وعالم الأدباء، محي طريقة لسان الدين بن الخطيب، الإمام الخطيب ابن الإمام الخطيب ذي القدر العلي، أبي عبد الله محمد بن محمد المعروف بابن علي، ورث عن أسرته العلم والأدب والإفتاء، فكان والده وجده بنفس مرتبة حفيدهم، يُكنيه ابن عمار بشيخ الإسلام ،وله العديد من الألقاب منها العالم ، المفسر، الخطيب، الحافظ.. وقد برع ابن علي في الشعر وله ديوان شعري في المدح النبوي والغزل وقد استلمه ابن عمار كما يذكر في رحلته نحلة اللبيب ص 73،وقد رتبه وذكر العديد من القصائد في رحلته. ينظر: عادل نويهض، المرجع السابق ص،373، ابن عمار، المصدر السابق ص37 وما بعدها، عجوط أمحمد، المرجع السابق،ص10-14، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج2،ص،299-305.

[4] - ابن عمار، نحلة اللبيب أخبار الرحلة إلى الحبيب، تحقيق ابن شنب، مطبعة فونتانة الشرقية، الجزائر 1902،ص.63.

ما نجد الرحالة الحسين الورثيلاني يُثني على علمه، وأجازه عالم مصر الشيخ خليل المغربي في رحلته الأولى إلى الحجاز. والقارئ لنصوص قصائده وشعره نجده مُلِمًّا بالتاريخ والجغرافيا والفلك والعلوم العقلية أيضا إذ يستخدم كلمات وألفاظ ويقارن من حضارة إلى أخرى، وتعلّم على عدة شيوخ أجلاء منهم أحمد بن محمد الورزي المغربي وعمر بن أحمد المكي والمفتي ابن علي والشيخ عيسى الثعالبي الجزائري دفين المدينة المنورة.

شيوخ ابن عمار في الحجاز منهم من درس عليهم في الحرم المكي والمدني والديار المصرية الذين ذكرهم في إجازته للشيخ محمد خليل لمرادي الشامي منهم السيد عمر بن أحمد عن جده لأمه الشيخ عبد الله بن سالم البصري، الشيخ أبو الفضل حسن بن الشيخ محمد السعيد عالم وفقيه الحرم المدني وعن عمّه الشيخ الطاهر، الشيخ أبوعبد الله محمد الحنفي شيخ الديار المصرية، والشيخ أحمد الدخلي وأجازه الشيخ أبو المودة خليل بن محمد المغربي المعروف بالشيخ خليل المغربي[1].

ولابن عمار تلاميذ لا يحصون فيقول أبوراس عنه أنَّ جلّ علماء وطلبة الجزائر تخرَّجوا على يده، وحلقته عامرة بالطلبة ويقصده البعيد قبل القريب ومن مختلف الأمصار ومن أهم تلاميذه الحافظ أبوراس الناصري المعسكري الجزائري، الشيخ أحمد الغزال، محمد خليل المرادي الشامي، ابراهيم السيالة التونسي.

1-5- مؤلّفاته: خلّف ابن عمار العديد من المؤلفات في الشعر والنثر ولسوء الحظ أنّ معظمها ضاع ولم يصلنا، فله دواوين شعرية ومؤلفات، وأضخم عمل قام به تدوينه لرحلته الكبيرة فلم يخرج عن نطاق بضاعة أهل عصره من الشروح والحواشي:

- لواء النصر في فضلاء العصر (التراجم) على نهج كتاب عقائد العقيان ترجم فيه لأهل مائتي سنة تقريبا[2]

-نخلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب ، طبعت بمطابع فونتانة بالجزائر، تحقيق محمد بن أبي شنب،1902 وضاعت الأجزاء الأخرى، وصلتنا فقط المقدمة[3].

-حاشية علي الخفاجي شرح الشفا للقاضي عياض ،ذكرها تلميذه أبوراس الناصري .

---

[1]- الورثيلاني، الرحلة ، المصدر السابق، ص،286.

[2]- الكتاني، فهرس الفهارس، المصدر السابق،ص.121

[3]- ابن عمار، نخلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب ، تحقيق ابن شنب، مطبعة فونتانة الشرقية، الجزائر 1902، وهي نبذة من هذا الكتاب تحتوي على المقدمة فقط وبها 250 صفحة.

-رسالة في تفسيره قوله تعالى: "إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك"، حلاها بأدبه المعهود وذكرها تلميذه السيالة وأبو راس الناصري.

-تاريخ الباي علي باشا بن حسن (تونس) ،ذكره تلميذه السيالة.

-رسالة في الطريقة الخلواتية نسبها له الكتاني وقال عنها أنه عمل نادر.

-رسالة في مسألة الوقف ،مطبوعة ضمن رسالة الردّ على الوهابية لإسماعيل التميمي، تونس.

-رسائل وإجازات وتقاريظ[1].

-ديوان شعر في المدائح النبوية والموشحات[2].

-ثبتة المسمى .

-شرح على البخاري وقد ذكره ابن أبي شنب في مؤتمر المستشرقين 1905.

-مقاليد الأسانيد في وصل الأجزاء والمصنفات والأسانيد[3].

ثانيا :رحلة ابن عمار:

ألّف العلامة ابن عمار رحلته الموسومة "نِحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب" قام محمد بن أبي شنب بإخراجها وطبعها عام 1903 بمطبعة فونتانة بالجزائر الشرقية في 282 صفحة أضاف عليها فهرسة أسماء الرجال وأسماء الكتب مع جدول لتصويب بعض الأخطاء، فالنسخة المخطوطة متواجدة بالمكتبة الوطنية بالحامة تحت رقم 2757 في 245 ورقة، فقد ذكر اسمه في بداية تدوينه للرحلة فتطرق إلى أسباب الرحلة وعوامل تدوينها وسنة تدوينها.

2-1 تسمية المخطوط وأقسامه: يقول مؤلف هذا المخطوط عن سبب وماهية تسمية هذا المخطوط بهذا العنوان قائلا"[4]**وكثيرا ما كان يصدر عني في هذه الحالة من المقطعات الشعرية والموشحات السحرية**

---

[1] حول الموضوع ينظر: تقريض ابن عمار لحمودة بن عبد العزيز، ابو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج5،ص.201.وللاطلاع على اجازة ابن عمار لمحمد خليل المرادي الشامي ،ينظر: أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة،ص.63.

[2] -ابن عمار، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب ، المصدر السابق، ص.27

[3] -عجوط أمحمد، المرجع السابق،ص.28.

[4] - ابن عمار ،نحلة...،المصدر السابق، ص 4.

والمراسلات الشحرية والتقريضات الزهرية ما تثيره الأشواق المغالبة وتجره الدواعي المناسبة فأحببت أن أُدخل ذلك في خبر الرحلة تتميما للفائدة وزيادة في النحلة، ولما شرعت في التقييد والجمع لما يجتليه البصر ويتشنقه السمع عزمت على تسمية ما أسطره وأثبته في هذه الأوراق وأحرره: بنحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب".

ذكر صاحب الرحلة أقسامها ومحتواها فهي تتكون من ثلاثة أقسام من مقدمة وعرض وخاتمة ،أما القسم الأول والمتمثل في المقدمة فقط وصلنا وتم تحقيقه وهو القسم الوحيد الذي وصَلنا، أما بقة الرحلة فهي في عداد المفقود إلا جزء يسيرا وقد سمّاه الناشر بنبذة من رحلة" يقول ابن عمار عن تقسيمها

"ورتبتها على مقدمة حاتمة وعرض مقصود وخاتمة، فأما المقدمة ففي ذكر ما أنتجه العزم وتقدم على الارتحال، وأما العرض ففي ما يحدثه السفر إلى الإياب وحط الرحال، وأما الخاتمة ففي ما نشأ بعد السكون وانضم إليه وجره الصدر من العجز ورده إليه، وأنا أضرغ إلى من لا يخيب آمال الآملين ولا يرد صفرا أكف السائلين وأتوسل إليه بالوسيلة العظمى المبعوث للخلق رحمة ونعمة، أن يجعل حركتنا أسعد حركة مصحوبة باليمن والبركة وأن يقينا مصارع السوء والوبال وأن يحمينا من مواقف الخزي والنكال وأن يجعل رحلتنا لوجهه الكريم لا لعرض فان وأن يكحل بأثمد رؤية ضريحه الشريف صلى الله عليه وسلم منا الأجفان وأن يسدد منا الأفعال والأقوال ويصلح بفضله منا الأحوال إنه مولى الهداية والتوفيق والمرشد لسواء الطريق"

صَرفُ بَقَّايَا العُمرِ فِي طَاعَه ولاَ يَغُرّنك كَيدَ الغَرور

وارحَل إِلَى الأُخر رضى بِزَادِ التُقَى فَإِنَمَا الدُنيَا مَتَاعُ الغُرور[1]

2-2- سنة التأليف :دوّن ابن عمار سنة تأليفه لرحلته في مصنفه هذا فتاريخه معلوم 1166هـ[2] لما عزم على آداء مناسك الحج فقال" **اعلمْ وفقني الله وإياك لمرضاته وعصم كلا منا من الخطأ والخطل والزلل في حركاته وسكناته ولحظاته، إني عزمت على الرحلة إلى الحجاز عزما نسخت حقيقته المجاز أوائل سنة**

[1]- نفسه،ص.05.

[2]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج2،ص.225.

1166[1] ست وستين ومائة ألف وأنا لا أوى من القلق إلى منزل ولا أسكن إلى أُلف قد شبّ عمر وشوقي على الطوقي وحملني الحنين إلى الحنين على الطوق"

والشَوقٌ أعظَمُ أَن يُحِيطَ بِوَصفِهِ قَلَمٌ وأَن يُطوَى عَلَيه كِتَابٌ

وَالله مَا أَنَا مُنصِفٌ لَوكَانَ لِي عَيشٌ يَطيبُ وَجِيرَتِي غِيَابُ

2-3-نسبة المخطوط إلى ابن عمار: فبعد حمد الله والثناء عليه والحديث عن فضل الحج قال **"وبعد فيقول العبد الفقير المضطر لرحمة ربه المولى القدير مثقل الظهر بالأوزار الراجي عفوه سبحانه أحمد بن عمار أكفه الله رضاه وأتحفه القرب من مرتضاه لما دعتني الأشواق، النافقة الأسواق إلى مشاهدة الآثار والأخذ من الراحة بالثأر، وإن أهجر الأهل والوطن وأضرب في عراص البيد بعطن وإن أخلع عن السائلين الساكنين الكرى وامتطى ظهر السهر، والسرى لبيت داعيها وأعطيت كريمة النفس ساعيها علما مني أن ليس يظفر بمراد من لم يتابع الإصدار للإيراد وليس يحظى بمأمول من لم يصاحب الحمول وليس يجني ثمر الوصل من لم يتجرع كؤوس الفصل، ولما أنبر هذا العزم وأنبرم والتظى لاعج الشوق وانضرم وباح الوجد بالسر المكتوم وصاح حيّى على الوصل القضاء المحتوم شرعت إذ ذاك في المقصود وأعددت طلسم ذلك الكنز المرصود وأخذت في أسباب السفر والسعد عن وجه الأماني قد سقى وإذ فقدت لذيذي العيش والوسن وخلعت في ميدان الهيمان الرسن وناب الذكر عن القوت وأشبه الصبر حجر الياقوت نزلت نفسي منزلة من يفرى أديم البيد وأنشدت معجزا صدر بيت لبيد:**

إلَا كُلّ شَيءٍ مَا خَلاَ الله بَاطِل وَكُلَ فَتَاة دُونَ لَيْلَايَ عَاطِل[2]

2-4-محتوى مقدمة الرحلة ودواعي التأليف:

يبقى الجزء الأهم من رحلة ابن عمار من المفقود ما جعلنا نعتمد على مقدمة رحلته والتي سماها المقدمة، فأثناء قراءتنا ودراستنا لمضامين الرحلة توصلنا إلى إبراز مجموعة من العناوين والأفكار الأساسية باعتبار أن ما قدّمه ابن عمار عن محتوى مقدمة رحلته يبقى غير كاف ،وتحدث بصفة المجمل لا التفصيل وقد ذكرنا هذا سابقا، أما عن المحقق ابن أبي شنب فلم يضع لمقدمة الرحلة فهرسا بها، أما الدراسة التي حققت رحلة ابن عمار من طرف

[1] ابن عمار ، نفسه،ص.10.

[2] نفسه، ص 3،4.

الباحث عبد الجليل شقرون[1] وما قدّمه لنا من دراسة وتحقيق للمخطوط ومحتواه إلا أنه لم يربط نص المخطوط المحقق بأوراق الرحلة المخطوطة ما جعَلنا نعيد قراءة نص المخطوطة لعدة مرات واستنباط صفحات أوراق المخطوطة وربطها بمتن المحقق من طرف الباحث. فعلى العَموم محتوى مقدمة الرحلة يتمحور حول الحج وزيارة قبر الرسول والحديث عن المولد النبوي الشريف فأهم ما توصلنا إليه هو:

تقديم الرحلة وأسبابها[2]: أسرد في الحديث عن مؤلف الرحلة ودواعي تأليفها وسبب إقدامه على أداء فريضة الحج وأهمية رحلته في تقديم مختلف أصناف العلوم وسبب اختياره لهذا العنوان[3] وسنة تدوينها فعرّج كثيرا على أتعاب ومعيقات السفر إلا أن رؤية بيت الله والتشوق لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم يُنسي عناء التعب وبعد المسافة واختتم حديثَ تقديمه عن مقدمة رحلته بالدعاء لنفسه ولمن رافقه بالوصول سالمين غانمين ويَقيَهم سوء المنقلب والأحوال وأن يجعل رحلته لوجهه خالصة ولابتغاء مرضاته والتقرب منه، وأن يحميه من مواقف الخزي والنكال.

وجوب الحج وفضله والحذر من تأخيره[4]: تجلى حديثه في الاقتباس من القرآن الكريم ومن الكتب الدينية بضرورة أداء مناسك الحج للقادر على ذلك ومشروعيته في الدين الإسلامي والفضل والثواب الذي يعود على صاحبه.

زيارة قبر الرسول وماله من فضل[5]: فضل زيارته وأقوال العلماء والفقهاء في مشروعيته منهم أبو عمران الفاسي وابن فرحون وبعض من الأحاديث النبوية التي تدعو إلى زيارة قبره والنيل من بركته ،وأضاف بعضا من الأشعار والقصائد التي تمدح قبره وزائره.

الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وما قيل عنه[6] : دعا ابن عمار لمسألة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف حيزا هاما لها ،فقد أخبرنا أن من دواعي وأهداف رحلته الشوق لزيارة قبر الحبيب المصطفى فأهم ما ذكر عنه:

---

[1]- عبد الجليل شقرون، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب لابي عمار أبي العباس سيدي أحمد دراسة وتحقيق، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تحقيق المخطوطات، جامعة تلمسان،2016-2017.

[2]- ابن عمار، المصدر السابق ،ص.3 إلى 5.

[3]- أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء...ج1،المرجع السابق،ص.184.

[4]- ابن عمار، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب ، المصدر السابق ،ص.05 إلى 07، ينظر أيضا: عبد الجليل شقرون، المرجع السابق ،ص.74.

[5]- ابن عمار، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب ، المصدر السابق ،ص.7إلى 15.

[6] -نفسه،ص15 إلى 152.

ذكر العلماء القائلين بمشروعيته ووجوب الاحتفال[1] بيوم مولده وماله من ميزات عن باقي الأيام، وأعاب عن بعض الصفات القبيحة التي لا تتصل بالإسلام ولا بالاحتفال بالمولد فقد عارضها وذمّها منها اختلاط الرجال بالنساء، وأظهر طريقة ونهج السلف الصالح في الاحتفال به وذلك بإظهار المحبة والسرور وشكر الله على نعمة الإسلام ، وأفضلية أيام الله على عباده وعن عادة أهل مدينة الجزائر قديما وحديثا الاحتفالُ بالمولد النبوي[2]

من شدة حبه وولعه قارن بين أفضلية ليلة القدر وليلة المولد لما لهما من عظمة وشأن في ظهور الإسلام والدعوة المحمدية واختتم حديثه بجملة من المدائح والقصائد الدينية التي تعظم شعائر الدين الإسلامي منها القصيدة الشقراطسية مستعرضا وقائع السيرة النبوية وحياة الدعوة الإسلامية من نشأتها إلى أن عمّت المعمورة فهي من باب نظم السير [3].

إلا أن ابن عمار لم يلتزم الترتيب في سرده وذكره لأخباره فتارة يتحدث عن المدح والشعر وينتقل إلى ذكر بعض الشخصيات ومنهم شيخه ابن علي فقدّم لنا ترجمة عن حياته والتي تكاد مفقودة عن غيره، فنجده يستعرض بعض أشعاره وطرائفه التي حدثت معه وينتقل من أشعار المدح إلى الغزل بعد أن تحدث عن رغبة ابن علي في الزواج من احدى النساء التي شغفته حبا بها لدرجة أنه انعزل عن العامة وترك الأكل والنوم ما جعل ابن عمار يصف حاله وينشد شعرا في الغزل عن محبوبته ،ويذكرنا أنه تناول ديوانا شعريا من ابن علي وقد ذكر العديد من قصائده في مقدمة رحلته واثنى عليه كثيرا[4]،مع استطراد تاريخي في ترجمة العلماء لاسيما الذين أجادوا في فن المديح الديني مع استعراض بعض قصائدهم[5].

الاحتفالات بالمولد في البيت الزياني: ذكر كثيرا عادات أهل وملوك البيت الزياني بتلمسان ،أثناء الاحتفال بليلة المولد النبوي أنه يُحظى بمراسيم خاصة منذ قيام هذه الأسرة الحاكمة مستذكرا أهم العادات والطقوس وماجرت عليه عادة أهل الأندلس أيضا، التي تقام في حضرة الملوك الزيانيين مفصلا في الأحداث منذ ليلة 760 هـ إلى غاية 788هـ[6].

---

[1] عبد الجليل شقرون، المرجع السابق،ص.77.

[2] – ابن عمار، المصدر السابق،ص.15، أيضا أبو القاسم سعد الله ،ابحاث..ج1،ص،184.

[3] – عبد الجليل شقرون، المرجع السابق،ص81-88.

[4] ابن عمار، المصدر السابق ،ص 35إلى 93.

[5] - أبو القاسم سعد الله، على خطى المسلمين حراك في التناقض، المرجع السابق،ص.39.

[6] نفسه، ص 129-166.

ترجمة لبعض ملوك البيت الزياني ومدحهم: ترجم ابن عمار لبعض ملوك الدولة الزيانية منهم الشريف التلمساني، أبو حمو موسى الثاني، عبد الرحمان أبو تاشفين، استشهاد أبو حمو موسى، مدح السلطان أبي تاشفين.

في الأخير قدم لنا بعض المساجلات الأدبية كما تغنى بصفات ومناقب الرسول عليه الصلاة والسلام وذكر بعضا من معجزاته في شكل نص شعري، ثم اهتم بوصف الطبيعة وبعدها عاد مستدركا نبذة عن حياة شيخه ابن علي ومقتطفات من أخبار المعتمد مع شهادة أبوزيد عبد الرحمان الجامعي الفاسي بابن علي[1]

تبقى رحلة ابن عمار من المصادر التاريخية التي لازلت في المجهول ،فيقول ناشر نبذة عن أن هناك احتمال وجود نسخة كاملة تتضمن مختلف الأقسام بالحرمين الشريفين والقاهرة وتونس ،لأن مؤلفه أقام بكل منهما، وعلى هذا يبقى القسم الثاني الموسوم "الغرض المقصود" الأهم في الرحلة يسرد فيه ما يحدثه المسافر في الإياب وحط الرحال وكما يبدو من خلال حجم المقدمة أن القسم الثاني يكون أكثر بكثير من حجم ما ذُكر.

[1] عبد الجليل شقرون، المرجع السابق،ص.90-111، أيضا ابن عمار، المصدر السابق،ص.167-254.

ثالثا: الرحّالة أحمد البوني

إذا كانت رحلة ابن عمار شبه مفقودة لافتقاده لجزئين أساسيين فرحلة أحمد البوني تعد من المفقودات والتي لم تصلنا إطلاقا، وصلتنا شذرات من معلومات من بعض المصادر التي عاصرت المؤلف أو ممن تتلمذوا عليه .

1-1- مولده ونشأته :هو أبو العبّاس أحمد بن قاسم ابن أبي عبد الله محمد ساسي التميمي البوني[1]، المولود سنة 1036هـ ببونة وتوفي بها عام 1139هـ ،فقيه مالكي عالم بالحديث [2]،نشأ في أسرة ميسورة الحال حيث كانت عائلته تنتمي إلى مجموعة بشرية واسعة ممتدة غربا إلى نواحي قسنطينة وشرقا إلى نواحي الكاف وباجة فأخذ العلم في هذه النواحي[3].ينتمي إلى أسرة معروفة بالعلم والأدب والفقه، فكان أبوه أحمد قاسم علاّمة عصره وجده قاسم سارت بعلوم الركبان وضربت إليه أكباد الإبل [4]، ارتبط اسم عائلة ساسي بالنفوذ الروحي والسياسي في المنطقة فكان يوسف باشا حاكم الجزائر يتوسط لمحمد ساسي في عصيان أهالي مدينة عنابة بعد توقفه عن حروب الاسترداد ضد الاسبان بوهران وتفرغه للفتن والحروب الداخلية أثناء ثورة ابن الصخري في شرق البلاد، فراسل الباشا محمد ساسي طالبا منه التدخل لنفوذه القوي بالمنطقة ما جعله يطلب من الباشا أن يُهدئ الأمور بعد التعرض للسكان بالقوة وهذا ما فعله احتراما وتقديرا لمكانته[5] العلمية والدينية وهذا ما يجعلنا نستنتج أنها عائلة تنتمي إلى الأشراف والمرابطين الذين كانت كلمتهم مسموعة ورأيهم مطاع في كل حال.

1-2تعلمه ورحلاته: أخذ علومه الأولى على يد شيوخ المنطقة وعلمائها ،وعن والده قاسم وجده محمد ساسي وبعدها انتقل إلى الحجاز مارا بعدة أمصار تونس، مصر وأخيرا مكة فأخذ العلم فعلّم وتعلّم مثله مثل سائر الرّحّالة الجزائريين الذين توجّهوا للمشرق بغرض أداء مناسك الحج والاستزادة في العلم فمن أهم المشايخ الذين تعلم عليهم العلامة أحمد البوني الإمام يحي الشاوي المليانى والعلامة الخرشي والشيخ الأجهوري وإمام الديار المصرية الشيخ عبد الباقي الزرقاني[6] وغيرهم من المعلومات فالمصادر التاريخية لم تؤرِّخ لسيرة هذا العالم فلربما سيرته مدوَّنة في رحلته المفقودة شأنها شأن الرحلات التي لم تصِلنا، فيقول ولده أحمد الزروق والذي أخذ

---

[1] بونة والمقصود بها عنابة حاليا، أسسها الفينيقيون وبعدها أصبحت خاضعة للنوميد، وفي وقت من الفترات التي كانت تابعة روما أصبحت مقر الأسقفية الدينية المسيحية ومن أسمائها هيبون وبونة ثم عنابة حاليا.

[2] – عادل نويهض، المرجع السابق ،ص.78.

[3] –أحمد البوني، الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تقديم وتحقيق: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر،2007 ،ص.12.

[4] –الحفناوي، تعريف الخلف ج2،ص.512.

[5] - أبوالقاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2،ص.61.

[6] – أحمد البوني، المصدر السابق،ص.13.

العلم عن والده وأصبح عالما وفقيه بونة قائلا عن أبيه "ولي أشياخ عدة ينيف عددهم على العشرين وإن يسّر الله تعالى عرّفت بهم وقد ذكرتهم في تأليفنا المسمى بالروضة الشهية في الرحلة الحجازية"[1]، فولده أحمد الزروق من طلبته وقد ذكره في الألفية الصغرى وخصه بالإجازة ،كما أنه هو الذي أجاز الزبيدي بالمراسلة من عنابة والورثيلاني.

أثناء رحلته إلى الحجاز دوّن رحلته الموسومة" بالروضة الشهية في الرحلة الحجازية" فمن خلال عنوانها توحي أنها ذات طابع ديني صوفي ،مستمدا ذلك في التربية الدينية الصوفية التي نشأ بها ومبينا في ذلك من خلال مؤلفاته العديدة التي تناولت الجانب الصوفي، ما جعلنا نخمن في مضمون الرحلة أنها تقارب مضامين رحلة أبي راس الناصري والتعريف بمشايخه والعلوم التي أخذها والأماكن التي زارها شأنه شأنَ الورثيلاني في رحلته الحجازية وتبقى رحلته من الرحلات المفقودة فهي الرحلة التي نصَح ابنه الزروق الناس بقراءتها والاطلاع عليها لأن فيها طرفا وظرفا[2]

1-3- تدريسه : أثناء رحلته الحجازية تصدّر للتدريس بالأزهر الشريف وبمصر وغيرهما ثم عاد إلى الجزائر أين تفرّغ للتأليف والتدريس بمدينته عنابة، فله حلقة عِلم يقصدها الطلبة من كل مكان ،وأخذ عنه جماعة من العلماء منهم :عبد الرحمان الجامعي، عبد القادر الراشدي صاحب مؤلف "المعقول والمنقول "وكان عليه المرجع في الفتوى وعليه المعول في حل المسائل [3].

من الذين أجازهم الشيخ أحمد البوني العلامة والأديب أبوزيد عبد الرحمان الجامعي الفاسي والذي حضر دروسه وحلقته في بونة ، ونزل عنده طلبا للعلم وقد ذكر شيخه في رحلته الموسومة "نظم الدرر المديحية في محاسن الدولة الحسينية" و"التاج المشرق الجامع لتواقيت المشرق والمغرب" قال: "لما دخلتها يعني بونة أممت دار الشيخ الرباني العالم العرفاني الذي بنيت هذه الرحلة المباركة على قواعد بركته أساسي أبي العبّاس أحمد بن الولي الصالح البارّ الناجح أبي عبد الله قاسم ابن الولي الصالح أبي عبد الله محمد المعروف ساسي، فوجدته طلق المحيّا، وأنزلني بمنزل لإكرام أضيافه مُهيئً، فأقمْت عنده ينزهني في كل يوم في رياض تآليفه الحديثية وغيرها، وينثر عليّ كل ساع .ومن فرائد فوائده ما تبخل به على الغائصين قعور بحرها، وكنت أحضر في تلك المدة مجلس رواية الصحيحَين

[1]-أحمد الزروق، تعليق على فتوى في الحضانة لأحمد البوني، مخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية الحامة، رقم 2116، ورقة 06 نقلا عن أنساعد سميرة، المرجع السابق،ص.25،احالة رقم 39.

[2]--أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2،المرجع السابق،ص.62.63.

[3]- الحفناوي، تعريف الخلف، المصدر السابق،ص.512.

بين يديه، مع مشايخ بلده وولديْه، ومما رويت فسح الله في أجله وأسهب أنّ تآليفه بلَغَتْ ما ينيف على المائة ما بين مختصر ومسهب، ولما وقفت في علم الحديث على البحر العباب، والعجب العجاب، سألته الإجازة فيما وقفت عليه وعلى غيره من تصانيفه[1]..

1-4- مكانته :يحظى العلاّمة أحمد البوني بمكانة عالية في مجتمعه عند العامة والخاصة من أهل الحل والعقد ،فهو أهل المشورة في الرأي وصاحب المواقف السياسية ،فلم ينعزل للعلم والتدريس والتأليف ، فحذا حذو أجداده فكانت له علاقات سياسية مع حكام أتراك الجزائر ،راسل الداي محمد بكداش بعد انتصاره على الإسبان واسترجع مدينة وهران عام 20 فيفري 1708 بقيادة الباي بوشلاغم بدعم من حاكم الجزائر الداي محمد بكداش الذي وجده خير معين فأعد لحَملة من ثلاثة آلاف رجل وذخيرة كبيرة أُرسلت إلى الباي بوشلاغم[2]، فكاتبه الشيخ المحدث أبو العبّاس سيدي أحمد بن الشيخ سيدي قاسم الملقب "بابن ساسي البوني قائلا[3] في قصيدة موجّهة للداي بكداش فلا داعي لذكرها كاملة .اخترنا أهم الأبيات التي تُدعِّم بحثنا وفكرتنا هذه، مطلعها:

الحَمدُ لله العَلِّي الأَبَدِيَّ الأَزَلِيِّ

ثُمّ الصّلاةُ وَالسّلاَم كلّ عَلَى نُور الظَلاَمِ

مبينا اسمه أنه راسل القصيدة إلى مرسله الداي بكداش مع ذكر فحوى الرسالة طالبا منه النظر في شؤون مدينة عنابة التي مَسّها الظلم والجور من حكامها البايات وتقديم العون والمساعدة لأهلها فقد مسّهم الضرّ وتفاقم الفقر والجوع هذه بعض من أبيات القصيدة :

أَحمدُ نَجلُ قَاسمِ بُنِي ذُو مآثِم

إِلَى تَمِيمٍ يَنتَمِي بَابَ الإِلهِ يَحتَمِي

أَعمَدُ إلى الظَّرِيفِ بَكدَاشِ الشَّرِيفِ

أُرِيد أَن أُخبِرَكُم أَدامَ رَبِّي نَصرَكُم

---

[1]-الكتاني، فهرس الفهارس، المصدر السابق،ص.237.

[2]- يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، دار البصائر للنشر والتوزيع،الجزائر،2009،ص.54.

[3]- محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق محمد بن عبد الكريم، ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981،ص.127.

بِحَالِ هَذِهِ القَرِيَةِ[1] بالصِّدقِ لَا بَالفِرِيَةِ

قَد صَالَ فِيهَا الظَّالِمُ وَهَانَ فِيهَا العَالِمُ

فكافأه على هذه الدرر، بمنقوش في صفحة القمر، وأعطاه فوق ما طلب[2]، وكمل له المقصود والأرب ثم أنَّ المولى أعزَّه الله طلب منه أن يُتحِفه ببعض التحف، فراسله بقصيدة أحلى من المن وأجلى من البدر وألطف[3]مطلعها :

بـِ بِسمِ الله أَبدَأُ فِي نِظامِ وَحَمدٍ مَعَ الصَّلاَةِ وَالسّلاَمِ

فكانت له علاقة وطيدة جدا مع محمد بكداش منذ قدومه من تركيا إلى الجزائر المحروسة فأول ما نزل بها عنابة فلقي بها الشيخ سيدي قاسم بن ساسي فسماه محمدا[4]، فكان لا يعرف إلا باسم بكداش والذي يعني في اللغة العربية الحجر القاسي.

1-5- مؤلفاته :فاقت المائة مصنف في الشعر والنثر، وفي مختلف العلوم ومن أهم العلوم التي دون فيها الشيخ أحمد البوني ما ألَّفه في تأليف خاص سماه "التعريف للفقير بما له من التواليف " منها ما كمل ومنها ما لم يكمل ومنها القصير الذي لا يتجاوز الكراسة ومنها الوسيط والطويل[5]من أهمها ما ذكرها صاحب فهرس الفهارس: فتح الإغلاق على وجوه مسائل مختصر خليل بن إسحاق، فتح الباري في شرح غريب البخاري، الإله أموال انتباه في رفع الإيهام والاشتباه الكائن في البخاري، الثمار المختصرة في مناقب العشرة، تنوير السريرة بذكر أعظم سيرة، نفح الروانيد بذكر بعض المهم من الأسانيد، تخميس القصيدة المسماة قرة العين بمدح الصحيحين، النفحات العنبرية بنظم السيرة الطبرية، طل السحابة في الصحابة(مبتور)، التيسير في إسنادنا في كتب جمع من

---

[1]- يقصد بالقرية التي يسكن بها أي بونة ،عنابة حاليا.

[2]-كان قد طلب في قصيدته التي أرسلها وذكرنا مطلعا إعانة مالية واصفا إياه حالته الاجتماعية المزرية من فقر ودين بقوله :

ذَالٌ وَدالٌ شَتَتَا فِكري وَفِيهِ نَبَتَا

ذَنبٌ وَدينٌ كَثُرَا وَالغمّ فِيه أَثَرٌ

يَا رَبُ يَا ذُا القُدرَةِ سَهّل لَنَا فِي بَدرَةٍ

والبدرة المقصود بها عشرة آلاف درهم فأعطى له الداي ضعف أضعاف ما طلب.

[3]- محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق،ص.133.

[4]- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا،1492-1792،دار البعث، م.و.ن.ت، الجزائر، د.س.

[5]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ،ج2،ص.62.

التفاسير، الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة[1] ،زاد المسير إلى دار المصير، إظهار نفائس ادخار يالمهيأة لختم كتاب البخاري، اختصار مقدمة ابن حجر للفتح[2].

من مؤلفاته أيضا: إعلام القوم بفضائل الصوم، تلقيح الأفكار بتنقيح الأذكار، تعجيز التصدير وتصدير التعجيز، إعلام أرباب القريحة بالأدوية الصحيحة، إعلام الأحبار بغرائب الأخبار، إظهار القوة بإحكام الباب والكوة. الفتح المتوالي بنظم عقيدة الغزالي، نظم تراجم كتاب الشمائل للترمذي، تحفة الأريب بأشرف غريب، رفع العناء عن طالب الغناء(مبتور)، الترياق الفاروق لقراء وظيفة الشيخ زروق مبتور، نور الشمعة المذهب لظلام أهل الرياء والسمعة، نهاية الآمال في فضل الأعمال، النور الضاوي على عقيدة الطحاوي، النفحة المسكية في نظم العقيدة السبكية، فتح المعيد بنظم عقيدة ابن دقيق العيد، النفحات الصنبرية في نظم السيرة الطبرية، تليين القاسي من نظم الإمام الفاسي، الغرر في شرح الدرر، نظم الجمان في مدح سيدي عبد الرحمان، الجوهرة المضية في نظم الرسالة القدسية، نظم العقيدة الوسطى، نظم عقيدة الرسالة، الفتح المولدي بشرح حزب النووي، اللمحة البارقة بذكر السيرة المحمدية، فتح المعين بذكر مشاهر النحاة واللغوين، نظم أخلاق الصّوفية، نظم الأجرومية، أنس النفوس بفوائد القواميس، الدرة المكنونة في علماء بونة، نظم عقيدة ابن الحاجب، المنهج المبسوط[3]،كتاب في المواريث[4].

يذكر الباحث Ricardo Gonzalez Castrillo أن مخطوطة بغية المسلم في(تاريخ) رجال أهل ،الأندلس ،لأبي جعفر أحمد بن يحي بن أحمد بن أمير الضبي تحتوي على خمسة مخطوطات أخرى، فالأولى فيها 25 ورقة ،وذكر في الورقة اسم مؤلفها أبو العبّاس أحمد البوني[5]

ويبقى أهمُّ مصدر أرّخه، رحلته للحجاز والتي لم تصلنا،وبقيَت مفقودة إلى يومنا هذا، فذَكر فيها مسار رحلته والأماكن التي زارها ودرس ثم درّس بها ومن أجازه من العلماء سمّاها بـ الروضة الشهية في الرحلة الحجازية.

---

[1]- أحمد البوني، الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، مخطوط تحت رقم HB 06،بخزانة الشيخ المولود أولحبيب بمنطقة بني ورثيلان ولاية سطيف ،ينظر الملحق رقم 01. تم نشره من طرف ابن أبي شنب وحققه الباحث سعيد بوفلاقة.

[2]- عبد الحي الكبير الكتاني، فهرس الفهارس، المصدر السابق ،ص.236،237.

[3]-عادل نويهض، المرجع السابق،ص.78،79.أيضا: الحفناوي،ج2،ص.512.محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، مصر 1349،ص329.

[4]- أحمد البوني، كتاب في المواريث، مخطوط تحت رقم F0054، بخزانة الشيخ المولود أولحبيب بمنطقة بني ورثيلان ولاية سطيف،ينظر الملحق رقم 02.

[5]- Ricardo González Castrillo, Los manuscritos árabes de la Real Biblioteca de Madrid, At Granada, Volume: Los manuscritos árabes en España y Marruecos. Homenaje de Granada y Fez a IbnJaldun, ISBN 8496395162, p.85.Mayo 2015.

رابعا :الرحّالة ابن حمّادوش الجزائري

1- التعريف بالرحّالة

رحلة ابن حمادوش الجزائري تختلف عن الرّحّالة الذين تطرقنا إليهم، فهي تختلف في المسار وتتقارب في المضمون والشيء الذي جعلنا نعهدها ضمن هذا الفصل أنها رحلة علمية تجارية قاربت في الجانب الصوفي في محتواها، والأمر الثاني الذي جعلنا أن نعدها حجازية وهي في الأصل مغاربية ،فضياع الجزء الأول من الرحلة وحصولنا على الجزء الثاني منها قد يوحي أنه تناول رحلته إلى المشرق والحجاز عامة في جزئه الأول وترك الجزء الثاني خاصا بالمغرب وهذا بعد عودته من الحجاز.

1-1-مولده ونسبه: عبد الرزاق بن محمد بن محمد بن حمادوش الجزائري الدار، ولد بالجزائر عام 1107هـ الموافق لـ 1695م كما يذكر في رحلته أنّه بلغ سن الثامنة والأربعين عام 1156هـ الموافق لـ 1743 مسيحية و2054 اسكندرية، ابن حمادوش عندما يذْكُر السَّنة يؤرِّخ بعدة تقاويم منها أيضا القبطية والفارسية[1]، يذكر في موضع آخر تذكيرا وتأكيدا بسنة ميلاده "في هذه السنة في رجب كانت ولادتي 1107هـ"[2] فقد ضبط المؤلف اسمه ونسبه في الإجازات التي تحصل عليها فيقول الشيخ الوزري في إجازته له "أنّ الشريف الفاضل العلامة سيدنا ومولانا عبد الرزاق بن محمد بن أحمدوش الجزائري دارا ومنشأ[3]" ويذكر في موضع أثناء عقد قرانه الأول" تزوج على بركة الله وتوفيقه المكرم الشاب عبد الرزاق ابن الحاج محمد بن حمادوش" وفي عقده الثاني يقول الموثق " تزوج على بركة الله ... السيد الحاج عبد الرزاق ابن السيد محمد بن حمادوش[4].

تُشير بعض من الكتابات الغربية التي تُرجمت للمؤلف إلى اسمه منهم الباحث الإسباني خوان زاليز في كتابه مشاهير مسلمي مدينة الجزائر، ويرى الباحث سعد الله أن خوان زاليز تحصّل على نسخة من الرحلة ليست تلك الموجودة في المغرب فقد كتبه "عبد الرزاق بن محمد بن أحمدوش[5]ونفس الاسم اتبعه غابريال كولان، فالاختلاف

---

[1]-عبد الرزاق ابن حمادوش، لسان المقال في النبأ عن النّسب والحسب والحال، تح وتق وتع: أبو القاسم سعد الله ،م وف م،الجزائر،1983. ص،29، الورقة الأولى من المخطوطة وهي متواجدة بالمغرب الأقصى في الخزانة الملكية بالرباط

[2]- ابن حمادوش، المصدر السابق،ص.226.

[3]- نفسه،ص.37.

[4]-نفسه،ص.242،241. ورقة 199،200 من المخطوطة.

[5]- أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري: حياته وآثاره، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص. ص،15 ،16. ينظر أيضا: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1،ص.222.

فالاختلاف كما يبدو في لقبه فقط أما عن ضبط نسبه فهو دقيق فبإمكاننا الاستغناء عمّن ترجم له بحكم وجود المصدر وهي رحلته التي دوّنها بنفسه ووثقها بعقود شرعية وإجازات علمية من كبار العلماء وشهد له العامة على ذلك.

يُنسب ابن حمادوش إلى فئة الأشراف والنسب الشريف المرتبط إلى الرسول عليه الصلاة والسلام فيقول عن نفسه أنه الشريف نسبا، وهذا ما نجده في الكثير من أحاديثه وإجازاته يُذكر بنسبه الشريف ويثمن مآثرهم ويمقت من يمقتهم فهذا مفتي الحنفية ابن علي الذي لا يراه من شأن الأشراف فلما دخل على ابن حمادوش وابن ميمون فوصفه الرحالة بجلة من الصفات الذميمة وختمها بقصيدة يذم فيها ابنه ويفتخر لنفسه فيرى الأول تركيا ليس شريفا والثاني أحق بالمكانة لرفعة نسبه فقال "إذ دخل علينا الرافل في ثوبه الزاهي بكبره وعجبه، الذي يعد الأشراف أرضا...مفتي الحنفية بالوقت ابن علي المستحق المقت ،فأنشد شعرا يذمه ويذم كل من يمس بكرامة الأشراف أو ينتقص منهم:

خَرجتُ ذَلِيلاً لاَ أَعُودُ لِمِثلِهاَ وَهَل يَجمَعُ السيفَانِ، وَيحك فِي غَمَدٍ

فَإنِي في اللائِينَ فَوقَ الثَرى تُرى وَاَنفُسُنَا فِي العَرشِ تَابِعة المَجدَ

فَلاَ يُدرك المجد المؤثل غَيرَنَا وإن أدرَكَ الدُنيَا وحَازَهَا إلى الأَبَدِ

بَنُوهَاشِم خَيرُ القَبَائلِ مِنهم إمَامُ الهُدى جَدّ الحَسنَيَينِ المهدِ

أَهَنتَ دمَ الأشرَافِ حَيثُ وَجَدتَهُ بِخير شَفيعاً غبر جدناَ في الأندِ[1]

فهذه جملة من قصيدة في ذّم ابن علي الذي ينسب إلى الكراغلة الأتراك والذي كما يقول ابن حمادوش أنه يُهين الأشراف ومنهم هو نفسه، فعاب كثيرا أشراف الجزائر وامتعض منهم لما رآه مما حظي به أشراف المغرب الأقصى فلهم الجاه والمكانة والحكم خلاف أشراف الجزائر.

عاش ابن حمادوش حياة الفقر واليُتم منذ صباه، فَقَدَ والده منذ صغره ولم يحضر عقد زواجه فكفله عمّه الحاج أحمد الدبّاغ الذي زوّجه ابنته فاطمة عام 1125هـ وهو في سن الثامنة عشر بصداق مبارك قدره ما بين نقد محضر وحال منظر ،على أن يلزم بشروط العقد منها أن يلتزم والد البنت بإسكان ابن حمادوش وتوفير الرعاية لهما ،أن لا يتزوج على غيرها تسترا من دون رضاها إلا بإذن منها فهذا ما شهد عليه الزوج ووالد الزوجة

[1]- ابن حمادوش، المصدر السابق، ص، 256. للمزيد حول موضوع النسب الشريف ينظر: جيجيك زروق، المرابطون والطرق الصوفية في الجزائر من خلال كتابات الفرنسيين، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس،2014-2015.

وكاتب العقد القاضي محمد السعدي[1] ما يوحي إلى الحالة الاجتماعية السيئة والأوضاع المزرية التي يعيشها خلال فترة شبابه، والراجح من خلال شوقه لما كان متواجدا بالمغرب وبعض إشاراته في رحلته أنه رُزق بأبناء منها ولم يفصح عن أسمائهم وعددهم فذكر مرة حادثة ختان ابن له بإحضار الحلّاق إلى المنزل وأشار مرة أخرى إلى ابن له يقرأ القرآن في الكتاتيب وبعد أن بلغ الطفل سورة الجن فأخذه إلى مكتب الشماعين، ومنها ذكر فقره ومتاعبه في الغربة وترك أبناءه وأهله للفقر، مستذكرا ذلك في قصيدة نظمها في مدح السلطان المغربي عام 1145هـ قائلا[2]:

وَشمرت سَاق الجّد رجلاً وَحافيًا فصرت كَمجنون أُكَابَدُ فِي السّيرِ

وَقُلتُ لَعَلِيَ أُدركُ العزُّ عِندَهُ وأتركُ أَولاَدي وأَهلي بِذي فُقرٍ

بعد ثمان وعشرون سنة تزوج للمرة الثانية من زهرة بنت محمد أنكحها إياه شقيق المكرم السيد أحمد الصفار، أمين جماعة الصّفارية عام 1153هـ بشهادة القاضي أحمد بن دحمان ولم يذكر لنا أسباب فراق زوجته الأولى إن كان طلاقا أو وفاتها، فكانت حالته غير مستقرة مع زهرة بعد زواجه منها ورزق بولدين الحسن والحسين وهما توأمين[3] وتوفي أحدهما الحسين عام 1156هـ[4]، لم يكن سعيدا بزواجه من زهرة فأكثر الشكوى منها لإيثاره العلمَ على المالِ والتجارة ونفس الحالة وجدتها مع بقية أسرته أمّه وأخته[5]،فكما يبدو أنها غنية ، وتزوجها لمالها ونسبها لتحسين حالته الاجتماعية الفقيرة، فكثيرا ما كانت تنعظ من اهتمامه بالكتب والقراءة وتفريطه في تجارته ما جعلها تنفر منه وتهجره بعد عودته من المغرب وأخبرها أنه لم يفلح في تجارته وانكب على الكتب والدراسة، فتوسطت والدته ويقول أنها حضرت إلى منزله وباتت عنده فأخذت تلوم سعدها وسعد ولدها حتى قالت " يا ليتني لم ألدكم ذكورا لسوء سعدكم"[6] ونفهم أيضا أنَّ له إخوة ذكورا ولم يتطرّق إليهم في رحلته شأنهم شأن والدهم ،ما يشير أن مهنة والده وإخوته أقلّ من يذكرهم لأنهم لم يهتموا بالعلم ، ولم تكن أسرة توارثت العلم والفقه ولم يتولوا مناصب سياسية ودينية لدى الدولة ،فجرت العادة لدى المترجمين والنسّابة أن يُهمِّشوا من لم تكن له صلة بالمناصب والشهرة ، فترجمة العلماء أيضا فيها نوع من التاريخ الطبقي للعلماء فكان

[1]- ابن حمادوش، لسان المقال، المصدر السابق، ص ،240،241.

[2]- نفسه،ص.117.

[3]- نفسه، ص 114.

[4]- نفسه،ص.149.

[5]- صالح فركوس، تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفنيقي إلى غاية الاستقلال،ج1،دار ايدكوم للنشر والتوزيع، الجزائر،2013، ص.467.

[6]- ابن حمادوش، لسان المقال، المصدر السابق، ص ،،ص.115.

ابن أسرة حرفية من عامة الناس ،فالمؤرخون يهتمون بالعلماء المشاهير والملوك وأصحاب المناصب لدى الحكام وابن حمادوش لم يمتلك أي صفة منهم [1]،فكان يمتهن التجارة وابن الدباغ وصاهر عائلات من مِهَن الصفّارين والدّبّاغين والحرّارين، هذا ما جعله يحتقر والده وأسرته فلم يذكرهم في رحلته إلى المغرب فكان يكتفي بإظهار النسب الشريف والانتساب إلى آل بيت رسول الله.

لابن حمادوش أخت أكبر منه اسمها آسيا البكر بنت الحاج محمد الدباغ ابن حمادوش أواخر عام 1119هـ ودوّنها القاضي في السجل عام 1122هـ لصغر سنها والمرجح أن الحاج محمد الدبّاغ حضر عقد زواج ابنته[2]،فوفاته كانت ما بين 1119هـ و1124هـ زوّجها للسيد علي الحرار بن الحاج علي أمين الحرارين.

1-2- وظائفه: لم يكن ابن حمادوش مثل أقرانه من الرحالة والعلماء كالمفتي بن عمار الجزائري وأحمد البوني والحسين الورثيلاني المتصوف أو العالم ذو التآليف أبوراس الناصري الذين ورثوا عن عائلاتهم وعن آبائهم وأسرهم فكانت بيوتات علم ودين وفقه، تتوارث العلم والمناصب، فكل مجتهد وصاحب عِلم يُحظى بمناصب دينية لدى الحكام العثمانيين، فلم يكن ابن حمادوش مثلهم فقد امتهن التجارة وسافر إلى المغرب ومعه بضاعته قصد بيعها والعودة بربح يُنسيه فقره وسوء حظِّه، فدخل تطوان معه ثلاثة وأربعون تزينة[3] ششية تونسي وسبعة عشر حرام حرير وقصاب زبد والذي يبلغ رأس ماله 280 سلطاني ذهبا منها ثمانية وعشرون قرضا والبقية ملكه الخاص[4]، الخاص[4]، فقام ببيع سلعته في المغرب ومقايضتها ببضاعة محلية جلبها إلى الجزائر، فاستطاع أن يتجاوز دفع المكس وهي ضريبة تدفع على السلع والبضائع بعد مراقبتها من طرف الجمارك فعدّها عادة قبيحة واعتبر ذلك أكل أموال الناس بالباطل[5] ،وعند عودته إلى الجزائر أحصى سلعته التي استقدمها من المغرب ليبيعها في الجزائر وهي مائة ذراع مغربية وخمسة أذراع ملف وربع قنطار ونصف ربع قشينية، فعند عودته للجزائر عاد وفتح دكانه وتهرب من دفع المكس بفضل توسط ابن عمته الذي له صلة مع خوجة الملح[6].

لم يكن ابن حمادوش تاجرا أو مهتما بالتجارة ،فكانت مصدر قوته وسدّ حاجياته فقط فاهتم في رحلته بطلب العلم والدراسة والتدريس فلم يذكر تفاصيل الأسواق والمنتوجات وحتى الأثمان وأهم البضائع، فكان همّه الوحيد

---

[1] -أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ،ص.18.

[2] - نفسه،ص.244،243.

[3] تزينة، مصطلح بالدارجة والمقصود به كل ما تواجد شيء فيه بالعدد 12 يُسمة تزينة.

[4] - نفسه ،ص 32.

[5] -المازوني محمد، رحلة ابن حمادوش، مجلة دراسات، العدد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، المغرب،1987،ص.61.

[6] - ابن حمادوش، لسان المقال، المصدر السابق،ص.114.

الحصول على الإجازات والتقرب من العلماء ومجالستهم ،فاستأنس بالتجارة ما جعله يُضايق زوجته وأمه فعند عودته من رحلته لم يحظ باستقبال من أهله لأن معظم ماله ضاع ونفقه في شراء الكتب والمخطوطات وخسر في تجارته التي لم يهتم بها إطلاقا ،ما ضيّق من عيشه حتى أيقن أن الهلاك مآله فلما قدم إلى زوجته وجد نفس الأمر فلم تفرح بقدومه لأنها أيقنت أن جلّ مالِه ذهَبَ في العلم ولم يبق منها غرض فيه ولم تنظر إلى عِلمه وإجازاته المختلفة المدونة في الجزء الأول والثاني من رحلته من عدة علماء وفي علوم مختلفة [1].

لم ينل حظا وافرا من تجارته فالخسارة والفقر أقرب إليه من الربح والغنى فمن شدة حاجته أن زوجته هجرته ولم تعد لبيته مدة بسبب تكاسله في تجارته وتردي المستوى المعيشي للبيت ، ما يُظهر جليا ذلك أنه ختن ابنه جعله أمرا سرا عن أهله وجيرانه رغبة في عدم إقامة وليمة لفقره الشديد ،إلى أن فتح الله عليه مرة وتحسن حاله وباع بضاعته من الملف وبقي معه القشينة فقط[2] وعادت زوجته ،وتحسَّن حاله.

لم يُظهر شوقه وحنينه إلى أهله وهو في الغربة ضائق به الحال وسلعته كاسدة فلا يمكن أن يأخذ منها قوت يومه وقلة ما يباع ،واشتغال الناس بشؤونهم وهو يرثي نفسه بأبيات من الشعر واصفا قلته وحزنه.

اشتغل بعضا من الوقت قبل أن يرحل من الجزائر وظيفة "حضور البخاري" وهي وظيفة بالمسجد يشتغل فيها صاحبها بقراءة صحيح البخاري وروايته للجمهور ويختم الكتاب في رمضان وكما يذكر أنه أذن لصاحب الوظيفة أن يعود إلى منصبه قائلا" وشرعت فيه في شعبان من هذه السنة وحكى عن وصفه تقاليد الجزائر في الاهتمام بشأن صحيح البخاري ومدارسته رواية ودراية[3]، فهذا ما نجده كثيرا ما يتحدث عنه ولايزال حتى يعود إلى حديثه عن صحيح البخاري بقوله ونعود إلى ختمه أو قراءته.

وذكر مرة أنه جلس للتدريس في تطوان بعد أن أذن له الشيخان البناني والورززي فدرّس كتاب "المقنع في علم أبي مقرع" ويبدو أنه شرح محمد بن سعيد السوسي على نظم محمد بن علي المعروف بأبي مقرع وابتدأ ختمة للطلبة[4]،ويذكر مرة أنه جلس في تطوان قبل أيام من عودته للجزائر يُدرس الطالب محمد بن علي فأخذ يعلِّمه من كتاب روضة الأزهار فبقى معه حتى أتمَّ ختمه ومنها سافر إلى الجزائر[5]،وقام بتدريسه الحباك في الهندسة

---

[1]- نفسه ،ص.115.

[2]نفسه،ص.118.

[3]- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر...،ج4،المرجع السابق،ص.215.

[4]- ابن حمادوش، لسان المقال، المصدر السابق، ص ،35.

[5]-نفسه،ص.104.

لقاضي قسنطينة[1] ومرة طلب منه موقت جامع النجارين بمكناس عبد القادر الفاسي أن يُعلمه مما له من علوم الفلك والمواقيت فامتنع عن ذلك ابن حمادوش[2].

1-3- شيوخه وأسفاره : لم تشِرْ المصادر التاريخية ولا كتبَ التراجم والسير لشخصية ابن حمادوش ماعدا ما دوَّن في رحلته في جزأيها الأول والثاني ، فتُقَسَّم مرحلة تعلُّمِه إلى قسمين فالقسم الأول أخذ العلم ومبادئ القراءة والكتابة شأنه شأن كل أبناء بلده على يد علماء الجزائر وبلدته ومنها انتقل إلى المشرق لأداء فريضة الحج ومنها عرّج على العديد من الفقهاء وأجازوه وهو في طريق الذهاب والعودة من مكة المكرمة إلى الجزائر وهذا الجزء بقي مفقودا حبيس القسم الأول من رحلته والتي لم تصلنا ،أما القسم الثاني من تعلُّمه والذي أخذه من المغرب الأقصى وقد استطرده في رحلته التي وصلنا منها الجزء الثاني .

في الجزائر، أخذ بدايات الكتابة والقراءة على يد شيوخ المنطقة في الكتاتيب وحلقات الدرس بالمسجد والزوايا التي تعلَّم بها مبادئ الدين الإسلامي من قرآن ولغة وحديث وبعض المتون والشروحات على فقه الإمام مالك وبعض المصنفات منها الموطأ وشرح الخليل ، فيكون أخذ قسطا من العلوم النقلية والعقلية مثل الحساب والقواعد شأنه شأن طلاب عصره ،فعصره كثرت فيه الزوايا والكتاتيب وانتشار كبير للتصوف والطرق الصوفية ولم يأخذ العلوم الأولى على يد والده أو أحد من أفراد أسرته ما جعله يُغيبهم في رحلته ولا يَذكرهم إطلاقا كونهم من أهل الصنائع والحرف لا علاقة لهم بالعلم ، فبعد أن تمكن من بعض العلوم ورغبة في الاستزادة انتقل إلى المشرق الإسلامي منتقلا بين الأمصار والحواضر العلمية الكبرى بالزيتونة والأزهر الشريف إلى مكة المكرمة وإلى تركيا وإيران في رحلته العلمية والدينية مفتخرا بنفسه أمام السلطان المغربي عام 1145هـ بقوة علمه وثناء علماء المشرق عليه بل تفوقه عليهم مبينا ما زاره من الأمصار والبلدان قائلا:

قَطَعتُ بِحَاراً مُوهِلات ودُونِهَا قِفَاراً لاَ تُؤوِيهَا الوحُوش مع الطّيرِ

وجُبتُ بِلاد التُرك والعَرب والعَجمِ على قَدمِي طُوراً وَطُوراً على الحِمَرِ

فأخذ في الجزائر على عدة شيوخ منهم علاّمة الجزائر ومفتيها أحمد بن عمّار والذي شهد وأجازه في مؤلفه المختصر على شهادة شيخه الورززي بعد قدومه إلى الجزائر وكان يجتمع به في مدرسة الجامع الكبير إما بالجامع

[1]-ص.119.

[2]-ص.78.

الكبير[1] ،من شيوخه أيضا محمد بن ميمون صاحب كتاب التحفة المرضية في الدولة البكداشية والذي أثنى عليه ابن حمادوش كثيرا فأكثر من ملازمته وزيارته إلى بيته وحضور مجالسه فعند ذكر اسمه يصفه بشيخنا سيدي محمد بن ميمون ويذاكره في الأدب واللغة وفي مسائل شتى فكانا يجتمعان بمنزل ابن ميمون، وكان شيخه يطلب من ابن حمادوش الحضور إلى منزله وكان يصطحبه خادم ابن ميمون كل مساء ، فقرأ عليه مرة تاريخ الكردبوس ، فكثرت اللِّقاءات العلمية بينهما وتوطّدَت علاقتهما ما يوحى أن ابن حمادوش كثير الثقافة والعلم إلى درجة أنَّ ابن ميمون يطلب حضوره لمنزله كل مساء ليتذاكر ويستفيد منه[2]،فأرسل في طلبه مرة لفك لغز صعُب عليه.

عاصر ابن حمادوش العديد من علماء الجزائر وتبادل معهم الرسائل والمسائل منهم أحمد الزروق البوني ابن أبي قاسم البوني وراسله في مسألة حل لغز[3]، وناظر الشاعر المفتي ابن علي الذي يعده من خصومه واستحوذ على المنصب دون الشرف والعلم.

في تونس أخذ على عالمها ومفتيها الشاعر أبي عبد الله زيتونة وأضرابها فكثيرا ما كان يستذكره ويقارنه بعلماء المغرب منهم الشيخ البناني في مسألة رفع الأيادي عند الدعاء وفي حادثة أخرى أثناء خطبة العيد بمسجد تيطوان، بقيت صورة شيخه في ذهنه والمرجح أن يكون صاحب الفضل في بدايات تعليمه هو الشيخ محمد الشافعي[4]ومنها إلى مصر في حجته الأولى عام 1130هـ أخذ عن علمائها ولم يذكر أسماء المشايخ فاستفاد في معرفة علوم صناعة العقاقير والمضادة للسموم منها مادة "باذ زهر" ويشير أنه عاد إلى مصر ثانية عام 1161هـ وأخذ عن الشيخ أبي العبّاس أحمد بن مصطفى بن أحمد الصباغ الإسكندري[5].

فلا شك أنه أخذ العديد من العلوم من كبار العلماء وتحصّل أيضا على إجازات علمية عديدة وما يوحي بكثرتها وهذا قبل ذهابه للمغرب بسببين وهما، أنه لما تقدم بطلب الإجازة إلى" الشيخ البناني" بالمغرب قدم فهرسة خاصة به وفيها مجمل العلماء الذين درَس عليهم ومختلف الإجازات التي تحصّل عليها والأمر الثاني الذي يرشدنا أنَّ ابن حمادوش لما انتقل إلى المغرب كان مُلِمًّا بالعلوم فلم يكن طالبا فقط وإنما ناظر الشيوخ والعلماء . ففي إجازة شيخه "الوززي" ذكره بالعلامة سيدنا ومولانا وهو في الأصل والمتعارف عليه في إجازة الشيخ لطالبه يذكره بصفته

---

[1]- نفسه، ص.259.

[2]- نفسه،ص.216،166،160،95.

[3]-نفسه،ص.138.

[4]-أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء...ج1، المرجع السابق،ص.225.

[5]- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، دار الأمة،2الجزئر،2010،ص.214.

وهي الطالب ولكن ذكره بصفة العلامة والسيد ما يدل على غزارة علمه وكثرة إجازاته في الجزائر والمشرق في إطار رحلته الحجازية والتي دوَّنها في الجزء الأول من رحلته[1].

في المغرب، الظاهر في الأمر أنه كان مُلِمًّا بعدة من العلوم وأصبح متمكنا فيها ،كونه تعلّم في الجزائر ثم استزاد في المشرق ما جعله يناظر ويجادل شيوخه في المغرب، فقصد كبار العلماء في ذلك العصر فأخذ كما يذكر على أربعة في كل من فاس وتطوان، فأول الشيوخ الذين تعلّم عليهم أثناء نزوله بمدينة تطوان عند "الشيخ الورززي" في جامع "لكاش" فقرأ عليه البخاري ومسلم وموطأ مالك[2]،والشيخ محمد البناني الفاسي كانت له حلقة علم وقت الضحى يقرأ مختصر الخليل[3] ومنهم الشيخ أحمد السرائري فدرس على يده ألفية العراقي[4] في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام ولم يجد من يحسنها غيره وأخذ عنه في علوم شتى ومنهم أيضا سيدي أحمد المبارك فقرأ عنده مختصر السنوسي في المنطق فلم ير مثله في تحقيق المسائل وغيرها وقرأ أيضا عنده كتاب الخبيصي في المنطق [5]

عُرف ابن حمادوش بكثرة تنقلاته وأسفاره فزار المشرق ،كما يذكر مرتين أحدهما عام 1130هـ وهو ابن ثلاث وعشرين سنة والثانية عام 1161هـ[6] ومنها انتقل إلى المغرب الأقصى مرتين (1156هـ و1156هـ) على الأقل[7] فيذكر عام 1145 لما دوّن قصيدة للملك المغربي السلطان عبد الله أثناء توليته الحكم والثانية عام 1156 فترة سفره إلى المغرب والتي دامت إقامته إلى غاية مارس 1157هـ[8].

1-4- أهم العلوم التي تعلّمها: اختلف ابن حمادوش عمّ عرَفه العلماء المغاربة ومثلهم المسلمون على صعيد الخاصة فغلب على العامة اهتمامهم بالعلوم الدينية وكثيرا ما ترتبط بالدين الإسلامي وبجانب الروحانيات وتقليد في التصانيف والمصنفات من شروح وحواشي وتفسير، استطاع ابن حمادوش أن يخرج عن هذا النطاق وأن يهتمّ

---

[1]- فهذه أول إجازة تحصل عليها في المغرب ولم يدم طويلا منذ مكوثة أيام معدودة جدا تحصل عليها وبعد يوم آخر قدم بطلب للشيخ البناني فأجازه فذكره في الإجازة بأنه الفقيه والعلامة والمدرس والشريف كل هذه الصفات تدل على انه عالم وفقيه أخذ العلوم قبل قدومه للمغرب وكان هذا في المشرق في حجته الأولى، سنفصل في مسالة إجازاته لاحقا.

[2]- ابن حمادوش، لسان المقال، المصدر السابق، ص،35.

[3]-نفسه،ص.34.

[4]- نفسه،ص.69.

[5]-نفسه،ص.85.

[6]-Lucien(L),Histoire de la médecin arabe, T2,Ernest Leroux ,Paris,1876,P.308.

[7]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي...،المرجع السابق،ص.466.

[8]-أبو القاسم سعدالله، ابن حمادوش الطبيب...،المرجع السابق،ص.24،23.

بالعلوم العقلية منها ، الطب ،الفلك ،المنطق ،الصيدلة وحتى التنجيم ، فخالف القاعدة وحافظ على الأصل أنه لم يترك الجانب الديني فتفرغ أيضا لعلوم الفقه والتفسير والحديث والتصوف، استأنس بالمصادر المحلية وفتح مجالا جديدا بقراءته للكتب الغربية المعربة من اليونان والإغريق إلى اللاتينية، فكسّر الطابوهات التي تعيق كبح الفكر البشري فاقتحم مواضيع الفلسفة الإسلامية التي توقفت في عهد ابن رشد وابن عربي، فكان موافقا للشريعة ومتفتحا على العقل والمنطق والفكر ككل، ما أهّل مصنفاته أن تُتَرجم إلى مختلف اللغات العالمية وتحظى بتشييد ودراسة من عديد الباحثين في الدول الغربية منها إسبانيا وفرنسا.

فانصب اهتمامه أثناء رحلاته على أخذ العلوم العقلية أكثر من النقلية، لا يقرأ نظريا بل يستعمل الملاحظة والتجربة واللتين تعدان من شروط صحة العلوم العقلية وكان يطبق ما يقرأه في مختبراته وتجاربه المختلفة في الطب والصيدلة[1]، فقرأ كتبَ التراث العلمي العربي واليوناني منهم اقليدس، بول، غاليان، ابن سينا، الأنطاكي، البيطار، القلصادي، والحسن المراكشي[2]، ما أكسبه ثقافة خارقة في المجال الطبي والعلمي ،فاستحق لقب الطبيب الصيدلي وعُد آخر ممثل للطبِّ العربي عند المسلمين في فترة تراجع المسلمين عن البحث وتطوير العلوم الطبية[3].

يمكن تقسيم حياته العلمية في المغرب الأقصى أثناء رحلته إلى مرحلتين، مرحلة قراءة وشراء الكتب ونسخها وشرحها وفيها نقوم بذكر جميع المصنفات والمدونات التي اطّلع عليها وأكثرها في المنطق والفلك والأدب والمرحلة الثانية الخاصة بذكر التجارب العلمية التي أجراها والمهارات التي تعلمها في الطب والأعشاب والصيدلة[4].

أ/لا يُستثنى من هذا إهماله للعلوم النقلية الدينية المتمثلة في العلوم الشرعية فنجده اهتم بالفقه المالكي فقرأ مختصر الخليل في فقه الإمام مالك على الشيخ البناني، ومصنفات البخاري ومسلم وموطأ الإمام مالك والرسالة القشيرية والكتب الصِّحاح أبا داوود، الترمذي، النسائي وابن ماجة وأحمد بن حنبل وفهرسة الإمام ابن غازي المكناسي ثم الفاسي وفهرسة الشيخ محمد سليمان السوسي ثم المكي المعروف بصلة السلف وفهرسة الشيخ ابراهيم الكردي

[1] – صالح فركوس، تاريخ الثقافة الجزائرية، المرجع السابق،ص.469.

[2] –مقدم فاطمة، الخصائص السردية في رحلة ابن حمادوش، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة وهران،2010-2011،ص.08.

[3] -Lucien(L),Histoire de la médecin arabe ,op.cit .P.310.

[4] - Djamil (A), Médecine, Botanique et Pharmacopée au Maghreb,en Les Manuscrits Scientifiques du Maghreb, Edition: Département Expositions Ed., Ministère de la Culture, Tlemcen/Alger.2012.P.107.

ثم المدني صاحب فهرس "الأمم لإيقاظ الهمم" على شيخه الوززري[1]،واقتنى مؤلفات مضحكات ابن عاصم الغرناطي وهو صاحب رجز تحفة الحكام المعروف بالعاصمية في الفقه المالكي ،فهي مصنفات في التاريخ والفقه والتفسير.

اشتغل بكتب **الحديث والتاريخ والسير واللغة والأدب** منها ألفية العراقي وحاشية سيدي عبد الرحمان الفاسي على البخاري فقام بنسخها وأتم كتاب ابن فارس على أحوال المصطفى في التاريخ والسير وكتاب السيوطي في أجداد النبي عليه الصلاة والسلام ،وشرائه لمقامات الحريري، واشترى نسخة من كتاب الشفا للقاضي عياض تناول فيه تاريخ السيرة النبوية والصحابة والتابعين، وأثناء عودته في ميناء تطوان اشترى أيضا شمائل الترمذي لمؤلفها مخلص مع شرحها ومفيد الحكام لابن هشام وفي اللغة اقتنى كتاب مختصر القزويني للقزويني ،وفي القضاء اشترى ميارة على لامية الزقاق وختم أنس العشيق في الأدب[2]وأسرد لنا أجزاءً من كتاب تاريخ الخلفاء لابن الكردبوس، وفي اللغة الغربية كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في أوصاف بني آدم وشيات الحيوان لابراهيم الأجدلي،

في المنطق والفلسفة قام بنسخ وشرح كتاب النجاح لابن سينا فيا لمنطق وقرأ مختصر السنوسي في المنطق على شيخه ابن المبارك ،وأتم أيضا حاشية حسن اليوسي المسماة" نفائس الدرر في حواشي شرح المختصر في المنطق" ، وانتهى من نص ايساغوجي في المنطق[3] وكتاب الخبيصي في المنطق .

نظّم في الفلك وعلم المواقيت فنسخ ما وجده من مؤلفات عند مؤقت الجامع الكبير سيدي عبد القادر الفاسي منها تأليف الشكبي وابن معشر وكلاهما في علم المواقيت، ونسخ كتاب البعقلي على الروضة والمحادي لها لابن القاضي وأتم كتاب روضة الأزهار للجادري في الفلك أيضا، ودرس أيضا مؤلف القلصادي في الإسطرلاب وأتم شرحه، ومؤلفات الدواني الذي نعُدّه من العلماء الفلاسفة الكبار الذين دوّنوا في المنطق، نسخ أيضا مؤلف صورة الكرة لافندي رضوان.

في الطب جالس الحكيم الكبير سيدي الحاج عبد الوهاب أدراق وهومن أبرز أطباء عصره، طبيب السلطان مولاي اسماعيل فأخذ عنه من نصائحه وعلومه وتجاربه ومن الأسئلة التي تورد إليه.

[1]- ابن حمادوش، لسان المقال، المصدر السابق،ص.34-36.

[2]- نفسه،ص.111.

[3]- نفسه،ص.70.

في التنجيم والقصص قرأ كتاب الدر الفائق في المواعظ والرقائق وأسرد العديد من القصص به واطلع أيضا على كتب الطلاسم والتنجيم فكان له باع كبير فناظر منجمي فاس وتغلب عليه وأظهر قلة علمهم وذكائهم فاستمد معلوماته من كتاب الأحكام والطلاسم لابن البنا[1]

في الهندسة درس مؤلفات الحبّاك في الهندسة وقام بتدريسه لسيدي محمد الحنفي [2] الذي كان قاضيا على قسنطينة ما يُطلعنا أنه كان متمكنا في الهندسة فأصبح مُدرّسا لها وفيما بعد ألّف كتابا فيها.

في الحساب نسخ مقالات اقليدس[3] مجمل ما نسخه 453 صفحة فأتم هذا العلم وسُئل مرة على مسألة حسابية مرتبطة بالمواريث وبعض أثمان الأقمشة[4] التي صعبت على الآخرين فأجاب عنها وقدم شرحا رياضيا وافيا عنها وهي في الأصل مسألة فراضية.

ب/ الخبرات والتجارب العلمية: استطاع ابن حمادوش أن يتعلّم العديد من التجارب بفضل قوة ملاحظته واعتماده منهج المقارنة واستعمال قواعد البحث التجريبي القائم على المعاينة والملاحظة والتجربة ففي فترة وجيزة وبفضل العلوم التي قرأها وتعلّم من أمّهات الكتب العربية والغربية أهّلته ليكون عالما في مختلف العلوم منها

-استعماله للروزنامة[5]وهي تقويم لحساب الأيام والشهور، اعتمد على عدى تقويمات منها الهجري، المسيحي ، الإسكندري، الفارسي والعبري والقبطي والملكي واستطاع معرفة ارتفاع الكواكب وتحركاتها.

-تعلمه للأعشاب فخرج مع جماعة من الإخوان ممن يمتهن صنعة الأعشاب الطبية فتعلم الأفيون وجلب منه معه ليختبره ،ويجرب عليه ما تعلمه ويضيف عليه مما درسه وما تعلمه في كتب الطب[6]،وخرج مرة أخرى مع عشّاب من أبناء بلدته فتعلّم منه ما كان قد تعلّمه من غيره يقصد ما أخذه من علوم في المغرب على يد الطبيب والعشّابي، فكانت كل الأعشاب معروفة عنده، فهو عشّاب وصيدلاني وطبيب في بعض الأمراض[7].

---

[1]- ابن حمادوش، لسان المقال، المصدر السابق،ص.120.

[2]- نفسه،ص.119.

[3]-نفسه،ص.254.

[4]-نفسهً،ص.151.

[5]-نفسه،ص.110.

[6]-نفسه،ص.120.

[7]- ابن حمادوش، لسان المقال، المصدر السابق، ص،164.

-تركيبه للمعاجين والأشربة، ركّب معجون على منوال معجون الفلاسفة سمّاه معجون الصّلاح ،وطبخه لشراب المصطكي وهومن أفخر الأشربة أخذه عن الشيخ سيدي الحاج عبد الوهاب أدراق وهذا الشراب يقوم في منافعه مقام الخمر، وهو نافع جدّا وقدّم طريقة تحضيره وشرابه[1].

-تعلّمه صنع البومبة (القنبلة) في باب الجزيرة مع العلج حسن فطبق ما تعلمه نظريا عند الشيخ سيدي عبد الرحمان الفاسي، وتعلّم رميَها مع محمد ابن البومباجي بباب الواد فأخذ علم البومبة وأصبح من علمائها وقال عن هذه التجربة" فتتمّت ما بقي لي، والحمد لله وأخذت علم البومبة بارتفاعها وتعميرها ورميها وعجن بارودها، فأنا من علمائها، والحمد لله".

- في اليوم الموالي من تعلم رمي البومبة ،خرج في ناحية باب الواد لتعلم القوس الإنجليزي ،فأخذ مقاسات الارتفاع بالعود الذي يأخذ به النصاري.

- تعلّم علوم البحار(البلوط) وما اتصل بها من كرق بحرية وكيفية الاهتداء بها وجمع فيها الكثير من المعلومات ورسمه خريطة رياح البحر بعد معرفته بالطرق البحرية والاتجاهات لمعرفة اتجاه الرياح في البحر[2].

-صعنه لميزان الماء، فرسم موجفا من زجاج وضع فيه حبات صغيرة من الرصاص ووزن فيه أنواع المياه المختلفة منها المعتدلة والخفيفة والقفيلة فاستنتج أنّ مياه البحر أخفّها وأنّ مياه الحامة وتالاتملي[3] بالجزائر من أعدل المياه المياه لأنه أثقل من ماء البحر بستة درجات، وماء المطر والآبار أثقل من ماء البحر بسبعة درجات، فصنّف المياه حسب ثقلها[4] وخفّتها وجعل من ماء البحر محور قياسه.

1-5- إجازاته العلمية : حرص الطلبة على دوام الاطّلاع على العلوم ومجالسة العلماء وحضور حلقات العلم والدروس رغبة في الاستزادة والتفقّه في العلوم من جهة ومن جهة أخرى رغبة في التحصيل العلمي بإجازة علمية تؤهّله للدخول إلى معاهدَ عليا وتدريس علوم ذات مستوى عال ومنهم من يؤوله المآل إلى الحصول على وظيفة بتلك الإجازة العلمية.

---

[1]- نفسه،ص،121.

[2]-نفسه،ص،255،254،253.

[3]- يكتبها تالاتملي وهي في الاصل تليملي وهو احد أحياء بمدينة الجزائر.

[4]-أبو القاسم سعد الله، ابن حمادوش الطبيب الرحالة، المرجع السابق،ص.38. ينظر: ابن حمادوش ،المصدر السابق،ص.218. مع رسم توضحي لعمل ميزان الماء.

نهج ابن حمادوش نهج العلماء الأوائل ، فحرص على طلب العلم ومناظرة العلماء وإظهار قدرته على الجدال والنقاش والنقد وطرح أفكار مغايرة لما كانت تسود المجتمعات الإسلامية وتعمقه في علوم قلّ البحث فيها والتنظير بعد تراجع الحركة الفكرية والعلمية لدى المسلمين فعمل على حذو علماء الغرب الأوروبيين في إطار النهضة العلمية السائدة بها مقارنة بالركود الفكري والعلمي الذي يسود البلاد الإسلامية عامة والعربية خاصة.

فأولى اهتماما كبيرا للإجازة فكثيرا ما يُقدم طلباته لشيوخه لإجازته في العلوم التي تحصّل منها إجازة الشيخ الورززي فسمع منه التفسير ومختصر سيدي خليل ونص إجازته كما صوّرها" الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله، يقول الفقير إلى سبحانه وتعالى أحمد بن محمد بن عبد الله الورززي دار ومنشأ الديلمي الحميري نسبا،...أن الشريف الفاضل العلامة سيدنا ومولانا عبد الرزاق بن محمد بن أحمدوش الجزائري دارا ومنشأً...فأسمعته موطأ مالك بن أنس وأسمعته بعض صحيح مسلم بن الحجاج القشيري وأجَزْته سائره، ورغبني أيضا أن أجيزه في كل ما صحت لي روايته من مسموع ومجاز فأسعفته، فأجزته أن يروي عني الكتب الستة، أعني البخاري ومسلما وأبا داوود والترمذي والنسائي وابن ماجة وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل... وأوصيه بصدق اللّسان غاية، أن لا يخاف في الله لومة لائم، وأن يرفع كل ما ينزع به من مهم، صرفه الله عنه، فيرفعه إلى الله سبحانه قبل أن يستعمل شيئا من الأسباب في رفعه... وكتب أحمد المذكور، ضحى الخميس سابع عشر المحرم، عام 1156هـ بمدينة تطاون(تطوان)، أمنها الله وحرسها بمنه آمين[1].

رفع إجازة الشيخ البناني مع فهرسة خاصة به تشمل مختلف الإجازات والعلوم والمشايخ الذين درس عليهم فأجازه بالبيت ووعده بإحضار كراسة(فهرسة) تذكر نسبه ومشايخه ليدونها ثم يجيزه مرويًّا بعد اطّلاعه على إجازة الشيخ الورززي أجازه بالبيت الآتي:

أَجزتُ لَكمْ مَرويًا مُطلَقًا وَمَا لَنَا، سَائِلاً أَن تَتَحَفَوا بِدُعاءٍ

فكتب قصيدة إلى شيخه يُذكره بفضله في نيل الدرجات ودرجته العلمية التي تفوق علماء المشرق والمغرب والرغبة في نيل الشرف والمكانة من عنده فأنشد قائلا :

سموتَ فلم يَكن بِقربِكَ نَازلُ فَكنت في أَوجّ العّز تُمطِر بالسُؤلِ

وَقد حَسد الشرقُ المغاربَ فيكُم فأرسَلَني نَروي الرِوَاية بِالنّقلِ

[1] – ابن حمادوش، لسان المقال، المصدر السابق،ص37،38.

أيَا شَيخنَا البَنَاني الاسم محمّدُ فَقَد شَهِدَتْ لكَ الأَكَابرُ بَالفَضلِ[1]

بعد أن دوّن ما طلبه الشيخ أجازه بالنص الآتي: الحمد لله الذي شّيد بصحيح الإسناد منار الإسلام ورفع دعائمه على كواهل صدور أئمّة الأعلام والصّلاة والسّلام على خير الأنام من أجاز السائل بأفضل مما رام، وعلى آله وأصحابه السادات الكرام. وبعد ،فإن الفقيه الأجل، العلاّمة الأفضل، المدرِّس الأحفل، الشريف الأمثل، السيد عبد الرزاق الجزائري المالكي المذكور أعلاه، قد تردَّد في طلب العلم الشريف، وحضر لدي في غير ما درس للعلم المنيف، حضور استفادة وتحصيل، جادًّا في الطلب بأيما تأصيل، رافضا للشواغل الصادة ومجانِبا للأمور المضادة... ثم قلت أجزت الفقيه المذكور جميع ما يجوز لي وعني رواية مقروء ومسموع ومجاز، كل ذلك بشرطه عند أهله، وأذنت له أن يُحدث عني بكل ما سمعه مني وأبلِّغه عني من مؤلفات كشرحنا على كتاب الأكتف للإمام الكلاعي المسمى بمغاني الوفاء بمعاني الاكتفاء المضمن في ستة أسفار، ورشحنا على اللامية الزقاقية في الفقه...إجازة تامة مطلقة وأسأله أن لا ينساني من صالح دعائه وأوصيه ونفسي بتقوى الله ومراقبته في السر والعلانية...قاله وكتبه محمد بن عبد السلام البناني، غفر الله له، أواخر المحرم الحرام فاتح و–ن–ق– ش، يعني 1156هـ[2].

إجازة الشيخ أحمد السرائري لابن حمادوش ،قدم إجازة الشيخ البناني للشيخ السرائري فاطلع عليها وإجازة بنفسه ونص الإجازة كما هو: "الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ونبيه ومصطفاه وبعد ،فقد طلب مني الفقيه النجيب، الأديب الأريب، العلامة الأوحد، سيدنا ومولانا عبد الرزاق بن محمد بن حمادوش الجزائري دارا ومنشأ، طلب مني الإجازة...فأجزته فيما سمع وفي غير ذلك مما يصحّ لي وعني رواية إجازة تامة عامة، ثم قال: والله سبحانه يوفقنا وإياه ويعاملنا برحماه، وكتب الفقير إلى رحمة مولاه أحمد بن محمد السرائري، كان الله له، وفي أواخر المحرم من عام ستة وخمسين ومائة وألف 1156هـ[3].

---

[1]– بعضا من أبيات القصيدة اخترنا منها التي تُذكر بفضله وذكر اسم شيخه والقصيدة في اثنى عشرا بيتا، للمزيد: ينظر ابن حمادوش، الرحلة ، المصدر السابق،ص.39، قدم هذه القصيدة طلبا للإجازة لكن الشيخ احضر له فهرسا خاصا به فلم يدونه ابن حمادوش واكتفى بتلخيصه لكثرته ما جعل الشيخ يتأخر في تحرير الإجازة فأضاف له فهرسا ثانيا، فندم ابن حمادوش على فعلته الأولى فعزم على تدوين الفهرسين ،فأخبره أن شيوخ الإنسان في العلم آباؤه في الدين ووصلة بينه وبين رب العالمين.

[2]– نص الإجازة كاملا مدون في الرحلة ص 62و63 أما في المخطوطة رقم 33و34، سنة تدوين الإجازة عام 1156 وكتبها بحروف الغبار وهي ون ق ش . والحروف الغبارية عند المسلمين مقترنة بالحروف العربية مثلا حرف الواو يمثل العدد 6، والحرف نون يمثل العدد 5.

[3]– نص الإجازة مذكور في الرحلة ص،68،67. الملاحظ في إجازات ابن حمادوش كلما أجازه شيخ يقدم الإجازة للشيخ المراد ان يُجيزه، فيطلع عليها أولا ثم يجيزه فهذا ما نجده في إجازة الشيخ البناني اطلع على إجازة الشيخ الورززي ونفس الأمر في إجازة الشيخ السرائري اطلع على إجازة الشيخ البناني، وليس المراد به أن كل شيخ قرا على آخر ويمكن أن نرجح الأمر أن تكون فهرسة الطالب.

إجازة الشيخ أحمد ابن المبارك المعروف بالسجلماسي عُدّ من علماء فاس وكِبارها، حضر ابن حمادوش دروسه فقرأ مختصر السنوسي في المنطق، فكان يُدرّس دون كتب مما استحضره ما بين عينيه فلم ير مثله في تحقيق المسائل وتحريرها، فدوّن ما كان يمليه وما صعب عليه يفهمه ولما يتفرغ في منزله يرتبه ويصوغه ويدوّنه ،فمنذ لقائه الأول قدم له قصيده يمدحه ويُثني عليه قائلا:

أَيَا شيخَنا شيخ البَرية كُلهَا أسيد أحمدُ المبارك في الدّهرِ

عَلَوتَ على أَعلاَ ذُرى المَجدِ رِفعةً فَكنت في أوَج العزِ كَالكوكبِ الدّري

وبعدها بيوم ، ابتدأ معه قراءة وشرح الخبيصي في المنطق ومنذ ذلك الحين مرض الشيخ وفي اليوم الموالي تفقده ابن حمادوش فأراد أن يبادئه عن الإجازة إلا أن الحال لا يسمح بذلك فنسي الشيخ وفي صبح الغد توفي الشيخ، فأقيمت الجنازة ولازال ابن حمادوش يفكر في أمر الإجازة، ورثيَه بقصيدة مطلعها:

أَفَلتَ يَا شمس الغرب في حَجبِ الثّرى وأَبقَيتَ فَاسًا فِي الظلامِ وفِي الغمّ

كان الشيخ قد وعده بالإجازة إلا أن قضاء الله وقدره سبقه، جعل ابن حمادوش يفكّر في أمرها طويلا فاهتدى إلى أن يطلب من القاضي أن يشهد له بما سمع من الشيخ ورآه فلبى طلبه وأجاب دعوته، فشهد القاضي بوخريص لابن حمادوش ،فقال القاضي: الحمد لله وحده والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على مولانا رسول الله...دفع الفقيه الأجل العلامة الأمثل المجاز أعلاه(كتب ابن حمادوش في أعلى الصحيفة قبل أن يدوِّن فيها القاضي ما يلي: وأنا الفقير إلى الله عبد الرزاق بن محمد بن محمد بن حمادوش الجزائري الدار والمنشأ) هذه الإجازة المسطور...أجَزْت الفقيه لما رويته عن الشيخ المذكور وغيره من معقول ومنقول...وكتب عبيد ربه وأسير ذنبه عبد القادر ابن العربي بوخريص السجلماسي بتاريخ سابع وعشرين من جمادى الأولى عام ستة وخمسين ومائة وألف[1].

[1]– الإجازة طويلة جدا ،قام القاضي بإيجازه ابن حمادوش باسم الشيخ أحمد ابن المبارك بعدما عرض على القاضي ما تعلمه من الشيخ واطلع على القصائد والفهارس التي دونها، فحرص كثيرا ابن حمادوش على هذه الإجازة لما للشيخ من مكان وقدر من العلم، فتسابق الطلبة للحصول على الإجازات من كبار العلماء فترفع قدرهم ، نص الإجازة كاملا مدونا، ينظر: ابن حمادوش، رحلة ..المصدر السابق،ص.90،91.

على هذا نحصي لابن حمادوش مدة إقامته بالمغرب ثلاث إجازات من كبار علمائها بتطوان وفاس مقرّ إقامته، خلال رحلته التي قادته إلى المغرب فكل العلماء أثنوا عليه ،أنه العلامة والفقيه والأديب والعالم، فكان كثيرا ما يُظهر تفوقه على الآخرين ويُقلِّل من علِمهم وشأنهم، فكلما ناظر أحدا إلا وأن قللّ من شأن عِلمه.

1-6- تلاميذه.

هل لابن حمادوش تلاميذ؟ هل تصّدر ابن حمادوش للتدريس حتى يكون له تلاميذ؟ ذكرنا آنفا أنّ ابن حمادوش لم يتصدّر للتدريس ، بصريح العبارة ولم يكن موظفا بمعنى الوظيفة ويتقاضى عليها أجرا وإنّما امتهن التدريس كحِرفة حرة ،فعمل على تدريس بعضا ممن طلبوه وذكرناهم بالتفصيل في العنصر الخاص بوظائفه، فنجده يتدارس مع ابن ميمون في مسائل علمية وأدبية وتدريسه لقاضي قسنطينة لما حلّ عنده وجلوسه في تطوان لتدريس عبد الله جنان احدى مؤلفاته في الفلك والرياضيات لمدة أيام قليلة جدا ،وجلس مرة بتطوان فدرّس كتاب المقنع بموافقة من شيخيه، فلا يمكن للشيخ أن يكون له طلبة أن لم تكن له حلقة علم ومجلس خاص للتدريس حتى يقصده الطلبة لأخذ العلم، فابن حمادوش كثير التنقل بين البلدان والأمصار فلا يكاد يستقر في مكان حتى يرتحل ويتنقلَ في طلب العلم، فحياته جلّها ذهبت في التنقل سعيا للكتب والعلماء، فلا نكاد نجد أثرا أنَّ له طلبة .

1-8- مؤلفاته[1]:ترك ابن حمادوش العديد من المؤلفات وفي العديد من العلوم منها الطب، الصيدلة(الأعشاب)، الهندسة، الفلك ،الرياضيات ،الرحلة، التاريخ، الأدب وغيرها ، هنا يظهر ابن حمادوش عن غيره من علماء عصره فلم تبق ثقافته محصورة في الجانب الديني (العلوم النقلية) فقط ، بل امتد إلى علوم أخرى منها:

-كشف الرموز في شرح العقاقير أو الأعشاب: بمثابة قاموس عام للطب يشمل العديد من الوصفات العلاجية عن طريق الأعشاب، فذَكر أسماء الأعشاب ومفعولها وكيف تناولها، اعتمد على سابقيه من علماء الطب المسلمين كابن البيطار، الأنطاكي، وأضاف عليه ما تعلمه من خرجاته الميدانية مع العشّابين في المغرب وفي الجزائر، وزاد عليه تجاربه العلمية التي أقامها في مختبره الصغير بمنزله، فاهتم به أطباء الغرب فترجموه إلى اللّغات

[1]- اعتمدنا في ذكر مؤلفاته على رحلته التي دونها بنفسه، وأضفنا بعض المعلومات من كتاب ابن حمادوش الطبيب الرحالة والذي عبارة عن قراءة وشرح لرحلة ابن حمادوش وكذلك اعتمدنا على لوسية في كتابه تاريخ الطب العربي.

الأوروبية لما له من أهمية في الطب والصيدلة[1]، نال به الباحث غابريال كولين Gabriel Colin شهادة الدكتوراه في الطب عام 1905م بجامعة مونبلييه بفرنسا[2] ويعد هذا الكتاب جزء من الكتاب الكامل "الجوهر المكنون من بحر القانون".

-تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج: الذي دوّنه بمصر عام 1748م الموافق لـ 1161هـ وتناول فيه ما يعكّر صفوة ومزاج الإنسان بشقيه الداخلي والخارجي[3] وهي في الأصل عبارة عن رسالة صغير الحجم في وظائف واضطرابات الجهاز التناسلي[4].

-الجوهر المكنون من بحر القانون: يحتوي الكتاب على أربعة أجزاء وقد بدأه أول ذي الحجة عام 1157هـ هو مرتب كالآتي:

- الكتاب الأول في السموم وذوات السموم وعلاجها.

- الكتاب الثاني: في الترياقات وما يجري مجراها إن وجد من الباذ زهرات وبعض المعالجين الذي يضطر إليه المرء.

- الكتاب الثالث: في الأمراض، يتناول فيه الأسباب والعلاجات والعلامات ،لم يتمّـه بعد.

- الكتاب الرابع: نوى (لم يبدأ به بعد)، أن يكون في حلّ ألفاظ المفردات وتعريبها.

ويقول في يوم الاثنين الثامن عشر من ربيع الأول (1158) أتممت الجوهر المكنون من بحر القانون في الطب[5].

-ألّف في الروزنامة[6] (التقويم).

- الدرر على المختصر: في المنطق وكان تاريخ تأليفه في يوم الثلاثاء السابع من ربيع الثاني 1156هـ [1]وقد شهد الشيخ الورزازي والعلامة ابن عمار الجزائري على هذا المؤلف ، وما له من أهمية بالغة ما جعل العديد من الحسّاد يُبغضونه[2].

---

[1]-Lucien(L),Histoire de la médecin arabe,op.cit .P.308.
[2]-djamil (A), Médecine, Botanique et Pharmacopée au Maghreb,op. cit.108.
[3]- Lucien(L),Histoire de la médecin arabe, op.cit .P..309.
[4]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي...، المرجع السابق،ص.467.
[5]- ابن حمادوش ، الرحلة، المصدر السابق،ص.162،161. للمزيد ينظر: ابو القاسم سعد الله، ابن حمادوش الطبيب الرحالة، المرجع السابق،ص.82،81.
[6]- ابن حمادوش، لسان المقال، المصدر السابق،ص.110.

– تعليق على ألفاظ الديباجة الواردة في منظومة ابن سينا.

– مباحث الذكرى في شرح العقيدة الكبرى.

السانح في حواشي المتن والشارح، حاشية على ألفية مالك في النحو.

– شرح على قصيدة الربع على كرفر.

–ديوان شعره[3].

– كتابه في الطاعون بشهادة أحد الجزائريين (الأهالي) أنه اطّلع على مؤلف الطاعون لابن حمادوش[4]

–فتح المجيب في علم التكعيب.

–شرحه على منظومة ابن غرنوط:

بعد إتمامه وإخراجه سماه: بغية الأديب في علم التكعيب.

– يؤلف في الرخامة الظلية: في الحساب وهو مستخرج من كتاب النصارى.

– في دعوَتَيْ الفاتحة واللطيف وبعض الأوراد الصوفية وجمعها في مؤلف واحد.

– تأليف في صورة الكُرة:بعد نسخه ،تبيّن له أن يحرِّك بعض كواكبه فألّف فيه تأليفا.

– تأليف في قوس الشّمس: قوس يستخدمه النصارى ولم يذكر عنوان مؤلفه.

–تأليف في الفلك، لم يذكر عنوانه جمع فيه كل معارفه واستخدم فيه سبع تواريخ[5].

–تأليف في البومبة: جمع ما تعلّمه على محمد ابن البومباجي وما تعلّمه من كتاب عبد الرحمان الفاسي.

–تأليف في علم البلوط : ما تعلّمه من علوم الخاصة بالطرق في البحر.

---

[1] –نفسه،ص.119.

[2] – نفسه،ص.258،259.

[3] – أبو القاسم سعد الله، ابن حمادوش الطبيب...،ص.55،56.

[4] - Lucien(L),Histoire de la médecin arabe,opcit .P.310.

[5] – ابن حمادوش، لسان المقال، المصدر السابق،ص.264،265،266.

– رسمه لخارطة (كارطة) رياح البحر[1].

– رحلة ابن حمادوش الموسومة: لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والمال: في جزأين كما يذكر مؤلفها ،فلم يعثرْ على الجزء الأول وأغلب الظن أنه خاص برحلته نحو المشرق وما عاشه في الجزائر والجزء الثاني الخاص بالمغرب وبعد عودته للجزائر وقد حققه الباحث سعد الله وعليه اعتمدنا في بحثنا هذا.

فالملاحظ من خلال مؤلفاته أن معظمها في الجانب العلمي، وكان كثير الثقافة إذ يقرأ كتاب فلا يكاد ينتهي منه حتى يقوم بتلخيصه وشرحه ويبدأ في كتابة مؤلف جديد في نفس العلم، فألّف في الجانب وليس بالشكل الغزير والمتداول بين علماء عصره، فكان عالما في الدين تصدّر لتدريس البخاري بالجامع وعاصر كبار فقهاء الجزائر منهم ، ابن علي وابن ميمون وابن عمّار، إلاّ أنه لم يؤلف في هذا الصنف ؟ هل رغبة منه في التميز والانفراد عن غيره؟ أَمْ رغبة منه في الابتعاد عن الاجترار فيم دُون؟ فكان كثيرا ما يفتخر بمؤلفاته ويذكر أنه لم يسبق أحداً في شرح وتفصيل عدة مسائل في العلوم.

والمؤسف أنَّ العديد من مصنفاته التي ذكرناها ، لازالت في عداد المفقودة ماعدا البعض التي وصلتنا وتم تحقيقها وترجمتها للّغات الأوروبية.

1–8– وفاته: تبقى تاريخ وفاته مجهولة، تذكر الكتابات التاريخية من خلال استنتاجات انه عاش طويلا زهاء التسعين سنة وهنا بعضا ممن يقول انه هاجر إلى الحجاز ، وبقي هناك إلى أن توفي بها وتبقى سنة وفاته بالتحديد مجهولة، لقلّة المصادر التي ترجمة عنه وقد ذكرنا الأسباب التي جعلت مؤلفنا قليل الترجمة لدى مؤلفي التراجم والسير.

2–رحلة ابن حمادوش : محتواها وقيمتها التاريخية .

2–1– تسمية المخطوط: اتفقت كل المصادر التاريخية في العهد العثماني ،التي تناولت الحديث عن رحلة عبد الرزاق بن حمادوش حول صِحّة صاحبها، فعلى الرغم من فقدان الجزء الأول من الرحلة الذي يتضمن مقدمة عن الرحلة وصاحبها وكل المعلومات الخاصة به ،منها الغرض من تدوينها وقيمتها العلمية ودواعي التأليف، إلاّ أنّ الجزء الثاني أوْرد بعضا من المعلومات التي تخصه في ثناياها، مبينا في بداية المؤلف بعد البسملة يقول" يقول عبد الرزاق بن محمد بن امحمد بن حمادوش الجزائري الدار والمنشأ الأشعري عقيدة المالكي مذهبا الشريف نسبا،

[1]– نفسه،ص.253،254.

الجزء الثاني من رحلته (لسان المقال في النبأ عن الحسب والنسب والحال)[1] ،فهذا ما يجعلنا أن لا نشكّك في نسب هذه الرحلة إلى عبد الرزاق بن حمادوش على الرغم من وجود بعض الغموضات فيم يخص كلمة الرحلة في عنوان الكتاب[2].توجد المخطوطة الوحيدة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ك 463، كما يذكر محققها الباحث سعد الله ،فقد قام بتحقيقها الباحث أبو القاسم سعد الله عام 1982 م باعتماده على النسخة الوحيدة وتحفظه تجاه هذه النسخة الوحيدة، فالتحقيق الأكاديمي قائم على مقارنة العديد من النسخ للوصول إلى النسخة الأصلية، إذ لم يستطع الوصول إليه الباحث المحقِّق مع إصراره على الوصول إلى نسخة الباحث الإسباني خوانزليز الذي ذكر معلومات في كتابه مشاهير مسلمي الجزائر ،واقتبسها من ابن حمادوش وهي غير موجودة في الرحلة التي بحوزتنا ما جعل المحقّق يقتنع أن ما حققه ونشره عبارة عن جزء من رحلة ابن حمادوش فبهذا أولى اهتماما كبيرا لهذه الرحلة وإخراجها من العدم إلى الوجود ، من جهة أخرى قام أحد الباحثين من المغرب بتقديم الرحلة المحققة ولم يأت بالجديد فقام بتلخيص ما ذكره المحقق في تقديم الكتاب وأعاب على المحقق أنه يستعمل كثيرا كلمة ..من الظاهر، الدالة على التشكيك وعدم اليقين، فما نراه أنه ليس عيبا ،لأن المحقق ذكر في البداية الصعوبة التي صادفته منها أنّ الجزء الأول مفقود، وأنّ حوادث الجزء الثاني كثيرا ما ربطها ابن حمادوش بالجزء الأول .فلا يمكن إثبات شيء بدون حضوره ما جعله يستعمل كلمة مصطلح عدم اليقين لأنه حقيقة لم يطله على الجزء الأول حتى يتأكد من صحة المعلومة ودقتها ، وأثناء بحثه لم يصادف مع عمل على إظهار هذه الرحلة ليكون له مرجعا معينا في البحث[3].

قدّم الباحث سعد الله دراسة حول الرحلة وصاحبها في مؤلفه الموسوم ابن حمادوش :الطبيب الرحالة الصادرة عام 1982ونشر جزءً منها في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الثاني.

---

[1]-عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق،ص29. المخطوطة ورقة الأولى.

[2]- ان المطلّع على نص الرحلة المخطوط في الخزانة العامة بالمغرب يجد ما ذكره محقق المخطوطة ان كلمة الرحلة ليست مدونة في نفس السطر التي ذكر عنوان كتابه هذا، وتوجد كذلك تحت العنوان كلمات تم شطبها فلا يمكن قرائتها ويخمن المحقق ان تكون عبارة تملك الشيخ المفتي احمد العمالي الجزائري وأن الذي أزالها هو الشيخ عبد الحي الكتاني بعد ورود النسخة اليه، وكما هو مبين في اعلى الورقة الأولى عبارة تملكه الحاج على ابن الحاج سعيد.

للمزيد حول الموضوع ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج2،ص.426 وما بعدها، كذلك: ابن حمادوش ، الرحلة، تقديم المحقق،ص.13،14.وحذى نفس الحذو كلا من المؤرخين: أحمد الهواري، دليل الحج والسياحة،ط1،تقديم عبد الحي الكتاني، المطبعة الرسمية، الرباط، 1935. وكذلك : محمد داوود، تاريخ تطوان، ج1، معهد مولاي الحسن،المغرب،1959.

[3]-المازوني محمد، رحلة ابن حمادوش، المرجع السابق،ص.157-165.

2-2- سنة التأليف: بداية تأليفه للجزء الثاني من رحلته نحو المغرب في أول ليلة الاثنين فاتح عام 1156هـ عربية الموافق للرابع عشر فبراير ثاني شهور سنة 1743 مسيحية وخامس شهور سنة 2054 اسكندية، ويضيف على ذلك أنَّ هذه السنة متزامنة مع بلوغه سن الثامنة والأربعين من هذا العام ،وبداية الرحلة كانت يوم خروجهم من الجزائر نحو تطوان مرورهم بالقرب من غرناطة فكان يوم العاشر ويوم الاثنين السادس عشر ألقوا المراسي بجبل طارق[1]، وانتهى ابن حمادوش من تدوينه الجزء الأول[2] من هذا الكتاب في الثالث والعشرين من رمضان الموافق للثامن عشر من أكتوبر عام 1157هـ،أمّا الجزء الثاني فلم يُقدِّم نصا صريحا عن تاريخ نهاية تأليفه وهذا لفقدان الصفحات الأخيرة من الكتاب ، والتي غالبا تقدم فيها العديد من المعلومات الخاصة بالناسخ، والمؤلف وسنة التأليف ومكانه ونسب المؤلف، والراجح أن سنة تتمة التأليف كانت على حسب قول ابن حمادوش والذي لم يُبرز فكرته إلى ما توحي بقوله" وكتبت هذا الخميس والجمعة ثاني وثالث جمادى الأولى، موافق آخر أبريل وأول يوم من مايه، رزقنا الله الهدى فيما بقي وسامح وعفا فيما مضى[3]" هذه الخاتمة الوجيزة قبل أوانها توحي أنّه أتم التأليف فمن عادته عند الانتهاء من صياغة مؤلف لا يقدم عنه خاتمة مثل هذه ، فتبقى سنة الانتهاء من تأليف هذا الكتاب غامضة لتداخل السنوات المذكورة ،وحتى أنّ صفحات المخطوطة تداخلت فيم بينها

لم يقدم لنا تاريخ فراغه من الجزء الثاني وعن مكان تدوينه لرحلته ويمكن أن تكون في المغرب أو الجزائر وحتى بمصر

3-3- أقسام الرحلة ومحتواها:

بعد القراءات المتأنية في مضامين الرحلة يمكن تقسيمها زمنيا إلى مرحلتين: مرحلة تواجده بالمغرب والعودة إلى الجزائر، أما من حيث المضمون والأحداث فتقسم إلى ثلاث مراحل. فما يهمّنا هو المحتوى والقيمة العلمية التاريخية والعلمية لهذه الرحلة فمن الأجدر أن نقسمها كما ذكرنا إلى ثلاثة أقسام وهي :

---

[1]- ابن حمادوش، لسان المقال، المصدر السابق،ص.30،29.

[2]-نفسه،ص.124.

[3]- نفسه،ص.266. على كل حال لا يمكن لنا التثبت من صحة هذا التاريخ انه سنة الانتهاء من تدوين الجزء، فغياب الصفحات الأخيرة التي تتواجد بها تلك المعلومات تبقى مجرد تخمينات وفقط، لان القارئ للفقرة التي سبقها وهي الانتهاء من تأليف بعض الأوراد الصوفية ، فقوله كتبت هذا يوم الخميس... التاء المذكورة هل تعود على كتاب الأوراد الصوفية؟ ام إلى كتاب الرحلة، فنفس التشويش الذي حدث لمحقق الرحلة، فنترك الأمر على حاله حتى ظهور الصفحات المبتورة من الرحلة.

القسم الأول: تواجد المؤلف في المغرب.

القسم الثاني: تواجده بالجزائر.

القسم الثالث: نصوص منقولة من كتب مختلفة ووثائق .

القسم الأول: وهو الجزء الخاص بالرحلة نجده يمتد من الورقة الثانية (الصفحة 30 من كتاب المحقق) إلى غاية الورقة رقم 75 (الصفحة 114) وهذه نقسمها إلى مراحل وهي :

مرحلة تواجده بتطوان[1]:خرج من الجزائر يوم الأحد العاشر من محرم 1156هـ ودخوله تطوان عبر جبل طارق يوم السابع عشر من محرم 1156هـ، تناول فيها بإسهاب خروجه من الجزائر متجها إلى المغرب الأقصى بغية تحسين أوضاعه الاجتماعية ، قاصدا من وراء ذلك طلب العلم والتجارة مصطحبا معه سلعة جلها تونسية متمثلة في الملابس والأقمشة، فخرج على سفينة فرنسية رفقة أصدقاء له الحاج عبد القادر بن كرشال وأبي صابر التلمساني وحاج عبد السلام الصفاقسي، إذ توفي الحاج عبد القادر بن كرشال بوباء الطاعون الذي ضرب الجزائر ،فعرض علينا مدة إقامته بتطوان وما تعلمه من علوم على يد شيوخها منهم الشيخ الورززي والبناني والسرائري والإجازات العلمية التي تحصل عليها .وكان حريصا على استلامها، ويصف لنا الكتب التي اشتراها ونسخها التي اطلع عليها ومعظمها في المنطق والأدب والسيرة ماعدا في الفلك والطب فتطوان تخلو منهما...

كان ابن حمادوش في بداية رحلته عالما ولم يكن كسائر الطلبة طالبا للعلم، فكان يستزيد فقط، فقد تصدّر تدريس كتاب المقنّع ومناظرته لشيخه الورززي في مسألة أفضلية الملائكة والرسل والتي كشف فيها أن الشيخ البناني كان من معارضي فكر الشيخ الورززي بقوله "ما لك ولذلك المعتزلي وطلب من ابن حمادوش أن يلتزم بما جاء في الكتاب وإجماع أهل السنة في نقاشاته مع الشيخ الورززي، فلم يخفْ ابن حمادوش وصف شيخه البناني للورززي بالاعتزال، فسأله أي مذهب تتبع؟ فقال الورززي لا أتبع أحدا. فقال له فلم تُدرِّس سيدي خليل؟ فقال الشيخ أما في الفروع فأقلّد مالكا وأما في الأصول فلا. فقال الرحالة: فما يقال فيك؟ قال الشيخ أنا رجل محمدي، فمن أهم الانطباعات التي قدّمها الرحالة لنا مسألة المكس وهي عادة قبيحة فعدّها من أكل أموال الناس بالباطل لأنها تأخذ من صاحبها خمسة لكل مائة مكسا.

[1] – مرحلة مكوثه بتطوان والتي تعد أولى محطاته بالمغرب من الورقة الثانية إلى الورقة الأربعون من المخطوطة ومن الصفحة (30– 71 من الرحلة المحققة).

من تيطوان إلى مكناس[1]:بدأت الرحلة يوم السبت الثامن عشر من صفر أخذ مسار الرحلة متجهًا من تطوان إلى مكناس عبر: وادي بوصفيحة (مبيت)، وادي الخروب، وادي المخازن، القصر[2]، سيدي علي العسر(مبيت)، أول المرج الطويل، سيدي سيعيد بن علي(مبيت)، وادي سب، محلة العبيد، النوينيات، شاهد ابن حمادوش العديد من العجائب والغرائب في هذا الطريق منها:

-حصد الشعير في الخامس من أبريل وأن سعر السمك في المرج الطويل يُباع بموزونة واحدة لتسعة اسماك مقلية.

-ملاحظاته الدقيقة على أنواع الطيور المائية منها الغر وبوغطاس وأخرون ، أنهم لا يلِدون إلا فوق الماء والماء لا يلامسهم بوضع عشٍّ فوقه وإذا مسّه الماء فسد البيض ، وبيض الغر عظمه قوي مثل الدجاج ولونه أشدّ بياضًا من لون بيض الحجل، أما البط والغرنيق في الجزائر يلِد في وسط الماء لا عليه.

-الحكم الفقهي في طير البر مثل طير البحر لا يؤكل ميتة لأنه يعيش خارج الماء لا داخله، أما حكم السمك فمعروف، فهذه مسالة قلّما من يجدها.

- وصفه لقوارب الصيد في المرج الطويل ورسمه، وما تحمله من سلع ،وكيفية صُنعها وما مدى تحملها الأثقال، وطريقة ربط السِّلع مع الركاب، فثمن الرحلة كاملة موزونة ونصف لكل حِمل.

-وصْفه لثورة حاكم تطوان الباشا أحمد الريفي على السلطان عبد الله مبرِزًا أسبابها في الرغبة في الحكم وإقرار المكوس [3]،إلاّ أنه أدرك أنه لن ينتصر لأنّ الحكم يؤول للأشراف في المغرب فالعامة والجيش لا يطيعون إلاّ الأشراف. وانتفاضة أخي السلطان المستضيء بنور الله الذي تحالف مع الريفي وحاصروا مدينة فاس في الشتاء، ما جعل علماء فاس يحرضون العامة الجهاد وقتال الظلمة والمرتدّين وأنّ قتالهم أولى من محاربة النصارى فلبى نداء العرب والبربر فانتصر السلطان مولاي عبد الله في حربه، فلم يتعرض الأعراب لابن حمادوش لأنّه رجل شريف وأنّ كبار الأعراب نهوا إن يمسوا الشرفاء بسوء.

---

[1]- امتدت الرحلة من تطوان إلى فاس من يوم السبت 18 صفر إلى يوم الاحد السادس وعشرون صفر أي مدة تسعة أيام، تبدا لرحلة من الصفحة 71 إلى الصفحة 77 وفي المخطوطة من الورقة رقم 40 إلى 45.

[2]- مدينة غير آهلة بالسكان، الحر الشديد بها، كبيرة المنشأ، بها ثلاثة عشر صومعة، مهدمة البناء،

[3]-المازوني محمد، رحلة ابن حمادوش، المرجع السابق،ص.159، ينظر أحمد الناصري السلاوي، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، ج07،الدار البيضاء، المغرب،1956،ص.106، رحلة ابن حمادوش،ص،76،75.

وصوله إلى مكناس[1]:دخل مدينة مكناس في السادس والعشرين من صفر عام 1156هـ الموافق للعاشر من أبريل 1743م ولقائه بعلمائها منهم، مؤقت المسجد الشيخ عبد السلام القباب، وحديثه عن انتصار السلطان على المتمردين، ووصف لنا بعضا من المظاهر الاجتماعية السِّلبية التي يعيشها مجتمع مكناس فيَروي عن انتشار القينات واختلاط النساء بالرجال في الخانات ،ووصف لنا ما قرأه وتعلمه في مكناس من مؤلفات فختم المقامات وأتم الأربعين نووية، وحضر دخول الباشا حميد الظي ولّاه السلطان عبد الله على مكناس .

دخوله فاس: دخل مدينة فاس[2] يوم الجمعة بعد المغرب في الأول من جمادي الأولى 1156هـ الموافق لـ الثاني والعشرين من أبريل عام 1743م ، فأول من التقى بهم المنجم القسنطيني وطبيب مولاي إسماعيل سيدي الحاج عبد الوهاب أدراق والشيخ سيدي أحمد بن المبارك وحضر جنازته ورثاه بقصيدة ،وعمل جاهدا على حصوله على إجازات علمية من علماء فاس وكان له ذلك، وعاد في الحديث عن ثورة الريفي وما لحق بأهل فاس من فرح وسرور مستذكرا عادات أهل فاس أن رجالهم لا يتعمّمون وعمائم نسائهم كبيرة موضِّحا أنواع الألبسة المنتشرة في مدينة فاس وأجواء الفرح يوم عيد الفطر وما يحصل من فيه زينة واللعب وركب الخيل وكان ابن حمادوش سعيد بانتصار السلطان على أعدائه فكتب قصيدة يهنئه بانتصاره فامتنع عن تقديمها لما رآه من غلظ حجابه، فقام ببيع سلعته مقايضة مقابل مائة وخمس أذرع ملف وردي بل عكري وسبعة وثلاثين رطلا ونصف قشينية.

العودة من فاس إلى تطوان :خرج من فاس أقصى تقدير يوم السبت الثالثة عشر من شوال الموافق لـ التاسع عشر من نوفمبر، على بهيمتين اكتراهما بسلطان ذهبي ، كان مسار رحلته عبر: دوار عرب (مبيت)، بني وريا كل، جبل الطليب، مروره على أماكن بها البلوط لم يذكر أسمائها، (مبيت)، وصفه لأشجار البلوط والديلم ، ملاحظته الدقيقة في وصفه لجسد القطة بعد ذبحها من طرف الحمارين(صاحبا الحمارين) . لم يسلك نفس مسار الذهاب في عودته.

[1] – بقي ابن حمادوش في مدينة مكناس اثنتا عشر يوم ابتداء من يوم الاحد 16 صفر إلى غاية يوم الخميس 28 صفر، تبدا إقامة المؤلف في مكناس من الصفحة 77 إلى الصفحة 80.

[2]- خرج من مكناس ضحى يوم الخميس ودخل فاس يوم الجمعة بعد المغرب، فقضى في الطريق مدة يوم ونصف .بقي ابن حمادوش في فاس مدة قرابة سبع اشهر ينقص أربعة أيام. على الرغم من بقائه مدة طويلة والتي ناهزت السبعة اشهر ألا ان محتوى ما ذكره فقير جدا مقارنة بالمدة الزمانية فحديثه قصير جدا ولم يذكر من علماء فاس إلا القليل فلا نشك في ندرتهم، تبدا فترة مكوثه بفاس من الصفحة(80الى ص98) وفي النسخة المخطوطة من الورقة (48 إلى 63).

دخوله تطوان: دخل مدينة تطوان يوم الأربعاء 17 شوال 1156هـ الموافق لـ للفاتح من ديسمبر وقد وجده هذا التاريخ مقيدا عنده في احدى كناشته فهذا ما يدل على أنّ المؤلف قام بعملية نقل من مذكرات عبارة عن مسودات يدوّنها أينما حلّ، فوجد شيخه أحمد السرائري قد توفي.

قام المؤلف بالإطلاع على العديد من الكتب والمؤلفات العلمية منها الفلك ،الرياضيات وجلوسه لتدريس بعض الطلبة واهتم أيضا بقراءة القصص منها قصص من كتاب الدر الفائق، واستعرض ما اقتناه من كتب في تطوان ما دونه أيضا.

كثيرا ما تمنى العودة إلى الجزائر في عجالة من الأمر وشوقه لأهله ووطنه فانشد قصيدتين فيهما، صادف ابن حمادوش عيد الفطر بمكناس وعيد الأضحى بتطوان ،فشاركهم فرحتهم في استعراض الخيل والضرب بالبارود فكان ينوي قضاء العيد بين أهله لسوء حظه أن المرسى تكسرت بهبوب رياح قوية على ميناء تطوان، توسّط له الشيخ الورززي إلى قائد تطوان بعدم دفع المكس بالمرسى ، فإن هذا اجتمعت فيه ثلاث خلال كل واحدة منها لو انفردت لأوجبت عليك أن لا تتعرض له في شيء، الأولى: النسب، رجل شريف من آل بيت النبوة، الثانية أنه رجل عالم. الثالثة: قلة ذات اليد، فعفى عنه وأحصى سلعته.

القسم الثاني: تواجده بالجزائر[1].سافر من مرسى تطوان يوم الخميس الخامس من صفر1157هـ ودخل الجزائر يوم الاثنين التاسع من صفر الموافق لـ الثاني عشر من مارس، وهذا الجزء معظم أخباره غير منظمة ومرتبة وهي مرتبطة بحياته اليومية من لقاءات علمية مع علماء عصره وعمله بالتجارة والقيام بتصفيف كتبه وتبيضها وتدوين بعضها وحصوله على بعض الإجازات العلمية والثناء على مؤلفاته العلمية وبالخصوص الطبية، وما ارتبط بحياته الشخصية مع زوجته الثانية ووفاة أحد أولاده وما عاناه مع والدته وزوجته بسبب الفقر الذي لازم طول حياته، وذكر ما تعلم من صنائع وفنون في مدينة الجزائر، فهذا الجزء لا يمكن أن نسميه رحلة فهو عبارة عن توثيق للأحداث اليومية التي يعيشها، ويسوق لنا بعض الأحداث التاريخية في هذا الجزء منها : تواجد حاكم تونس وحاكم تطوان، محمد باي وأخوه محمود باي فارين من تونس من ابن عمهم علي باي بالإضافة إلى حاكم تطوان عبد الواحد ابن الباشا علي بن عبد الله الريفي الذي هرب من مولاي عبد الله بعد أن قتل أباه، وأشار إلى حادثة تاريخية حلّت بالجزائر متمثلة في الصلح بينها وبين الدانمارك[2].

[1] –دامت رحلة ابن حمادوش من الجزائر إلى المغرب ذهابا وإيابا من الأحد العاشر من محرم 1156هـ إلى الخميس الخامس من صفر1157هـ.

[2] – ابن حمادوش، لسان المقال، المصدر السابق،ص.257.

القسم الثالث والأخير: وهي عبارة عن نقول من مؤلفات سابقيه ،فنقل نصوصا من كتاب تاريخ الدول للملطي ،الأكتف لابن الكردبوس، أنس الجليل للعليمي، تاريخ الخلفاء للإسحاقي، وأضاف العديد من عقود الزواج الخاصة به وبأخته وبعضا منها عبارة عن نماذج عقود زواج لبعض الأندلسيين، ومجموعة من خطب الزواج، فسرد كثيرا حول التاريخ الإسلامي في عهد الدولة العباسية ، نقله لفهرسة أحمد الصباغ الإسكندري ،وقيّد لنفسه بعضا من القصائد التي أنشدها.

تبقى رحلة ابن حمادوش من أهم المصادر والنصوص التاريخية التي تؤرخ للعلاقات الجزائرية العثمانية مع المغرب الأقصى، فيعد من قلة قلائل الرحّالة الذين دوّنوا حول المغرب الأقصى، فأسهَمَ بقسط وافر في تقديم العديد من المعلومات التاريخية ،وفي العديد من الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية وعلى الصعيدين المحلي والخارجي، إلا أنها تبقى مبتورة بغياب الجزء الأول وبعض صفحات الجزء الثاني.

خامسا : الرحالّة أحمد المقرّي.

عُرف أحمد المقري في أوساط العلماء والمحدثين من أهل اللغة والتاريخ والدين أنه علاّمة عصره وداهية زمانه، فأثنى عليه الغرباء قبل أهل البلد، فأصبح عَلَما يُشار له بالبنان أينما حلّ في مغارب الأرض ومشارقها، فعِلمه الغزير وقلَمه السيّال وذكاؤه جعل الملوك وأمراء بلاط السلاطين والحكام يتنافسون عليه ،ما جعله عرضة للحَسَد من شبه أنصاف العلماء وأهل الدين إن أصحّ تسميتهم .

1-1- نسبه:

العالم الجزائري "أحمد الـمَـقّري" ينحدر نسبه من قرية "مَقرة" بفتح الميم وتنطق لدى عامة الناس عند أهل البلد بـ مقرة، فهي احدى قرى مدينة المسيلة الجزائرية الواقعة شرق جنوب مدينة الجزائر، والتي تبعد عن مدينة تلمسان بحوالي 1000كم، وإن كان عامة الناس وخاصته يعرفونه أنه من تلمسان، فأسرته انحدرت من منطقة المسيلة وبعد هجرات سكانية انتقلوا إلى مدينة تلمسان واستقر بها جده، فلم تتوالى الهجرات السكانية عبر الحقب تتوقف، فهي مرتبطة بمدى تحسن الأوضاع والاستقرار بها، فانتقالهم إلى المسيلة لم تكن أولى هجرات عائلة المِقري بل سبقتهم هجرة من شبه الجزيرة العربية إلى تلمسان[1]، فتذكر العديد من المصادر التاريخية عن صحة نسبه إلى قبيلة قريش وقد أكّد ذلك صاحب الرحلة بقوله في مسألة نسب جده بعنوان" هل المقري الجد قرشي؟" وقد صرّح به الكثير من رِجالات العلم والدين والأنساب منهم ابن خلدون في كتابه تاريخ العبر، ابن الأحمر في نثير الجمان في شرح البردة عن قوله: لعلّ رحمة ربي حين ينشرها، ومنهم أيضا الشيخ ابن غازي والولي الصالح سيدي أحمد زروق، الشيخ علاّمة زمانه سيدي أحمد الونشريسي ،ومن الذين أَلّفوا حول جدّ أبي العباس المقري وأطال في التعريف به وبتاريخه عالم الدنيا "ابن مرزوق" الذي سمى تصنيفه بـ "النور البدري في التعريف بالفقيه المقري"[2]، وإن كان المقري لم يفصح عن ذلك مباشره ما جعله يسند قوله إلى صاحب كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للوزير لسان الدين الخطيب الذي تطرّق إلى حياة شيخه ،وهو جد المقري الحفيد فقال عنه هو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحي بن أبي بكر بن علي بن (داوود) القرشي المقري المكنى أبا عبد الله،

[1]-Brosselard (CH),Les inscriptions arabes de Tlemcen, Tombeaux des familles El-Mekkari et El-Okbani,Rev Af, N 5, année, novembre 1864 ,P.402.

[2]-أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح :إحسان عبّاس، المجلد الخامس، دار صادر بيروت،1988،ص.204.

قاضي الجماعة بفاس وتلمسان[1]، ومن بين الذين ترجموا لأبي العباس المقري نجد أبا عثمان سعيد المقري والذي تناول مسألة نسب عائلته وأوضح أنها انحدرت من أصول عربية قريشية مستذكرا في مطلع القصيدة بقوله:

هُو المقرّي الذِي سمَا فِي قُريش وَقَد حَازَ فِي العِلمِ أَسمى المَراتِب[2]

اختلفت الروايات بين المؤرخين والنسّابة حول قريشية نسبه ومدى ارتباطها بمنطقتي مقرة بضواحي منطقة المسيلة والتي انتقل منها جده عبد الرحمان بن أبي بكر بن علي في القرن السادس إلى تلمسان صحبه الشيخ المعروف بسيدي مدين الغوث التلمساني ومن هنا بدأ ارتباط العائلة بمنطقة تلمسان التي استقر بها، والأرجح حسب أصل جده أنه من قريش ومنها انتقل إلى مقرة وانتهى به المطاف بتلمسان، وهذا النسب الأصلي الأقرب إلى الواقع والحقيقة، فنجد العديد من الإجازات العلمية التي تحصل عليها المقري من طرف مشايخ وعلماء حاضرتي فاس ومراكش تذكر هذا النسب وفي عدة مواضع فهذا الشيخ ابن القاضي أجازه مذكرا نسبه قائلا "ما ذكره السيد الفقيه المشارك المتفنن الحافظ النبيه أبو العباس أحمد بن السيد الأجلّ الأكمّ لأبي عبد الله سيدي محمد المقري القرشي صحيح"[3].

1-2- مولده وكنيته: هو أبو العبّاس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحي بن عبد الرحمان بن أبي العيش بن محمد المقري القريشي، وُلد عام 986هـ الموافق لـ1578-1579م بتلمسان بأقصى الغرب الجزائري والتي يُقر بها في كتابه "نفح الطيب في موضوع الحنين إلى الوطن بقوله "أحمد بن محمد بن أحمد الشهير بالمقري، المغربي المالكي الأشعري، التلمساني المولد والنشأة والقراءة ،نزيل فاس الباهرة ثم مصر القاهرة[4]، ففترة مولده لم تعرف المنطقة كما عُرفت من قبل بانتشار العلم ودور الثقافة كما صورها مؤرخو الفترة الوسيطة، فدخلت المنطقة في فترة صراعات بين الدولة المرينية وأحيانا الحفصية ،بسبب انقسام المسلمين وضعفهم وعدم توحّدهم تحت راية واحدة، فاستدب اللاّ أمن والصراعات وتدَخّل الإسبان على السواحل الممتدة على البحر المتوسط ما جعلها

---

[1]-لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، تح :محمد عبد الله عنّان،ط1، المجلد الثاني، مكتبة الخانجي ،القاهرة،1984،ص.191

[2]-أحمد بن محمد المقري التلمساني، رسائل المقري، تحقيق :أسماء القاسم، الجزائر،(د.س)، ص.98.

الذين ترجموا للعباس المقري واثبتوا أنه قريشي النسب ، ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان،ص.154، أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج،ص،420.

[3]- أحمد بن محمد المقري، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من لقيته من أعلام الحضرتين فاس ومراكش، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور،ط2، المطبعة الملكية الرباط، ،ص-ص،289-297.

[4]-أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب ،ج1، المصدر السابق،ص.13.

تدخل تحت حكم الأتراك[1]، فأحمد العبّاس المقري ابن عائلة معروفة بالعلم والدين وتولي القضاء، تلقب أبو العباس المقري بعدة ألقاب بعض منها مرتبط بلقب عائلته والآخر بوظائفه التي اشتغل بها والبعض الآخر لمنزلته العلمية والدينية بين العلماء والسلاطين، فمن أهم الأسماء والألقاب التي ارتبطت به نجد:

-**أبو العبّاس** :كُتب التراجم لم تخبرنا أن لأبي العبّاس ولدا اسمه العبّاس، فما نقله لنا من خلال رحلته ومن خلال الكتب المدونة أنّ له بنتين أحداهما من زوجته المغربية والأخرى من المصرية، وعن أولاده الذكور له طفل سُمي بمحمد المكي ،والذي وُلد بمصر من زوجته الثانية ، ففيما تكمن علاقة الكنية برابطة الولد؟ نفترض أن اسم الولد اسمه العبّاس وليس محمد المكي مع العلم أن النصوص المدوّنة في الرسائل التي تواصل بها مع علماء المشرق ،تذكر الاسم بصريح العبارة محمد المكي، فالكنية أُطلقت عليه بتلمسان وفاس قبل مغادرته إلى المشرق ، فهذا يدل على أن ليس هناك خطأ في اسم الولد وإنّما عبارة عن لقب شرفي والأرجح في الأمر أنه كان يُلقّب بهذه الكنية قبل زواجه وهذا ما يثبته الباحث محمد بن عبد الكريم في كتابه "المقري وكتابه نفح الطيب" أن محمد الوجدي كان يراسله بهذه الكنية بعد عودته من رحلته الأولى بفاس إلى تلمسان[2].

- المقّري : بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة، فكلمة المقري مرتبطة مكان تواجد عائلة الشيخ، فالأنثروبولوجيا الثقافية للفرد مرتبطة بالمكان، فثقافة ربط الإنسان بالمكان موروثة لدى سكان شمال إفريقيا منذ القدم ، فمن جهة يعطي صبغة تاريخية للشخص ومن جهة أخرى يثبت مدى تمسكه بأرض انحداره ومدى حبه لبلدته، فالمقّري لم يخرج عن دائرة الثقافة المشرقية عامة التي حافظت على ربط الإنسان بمكانه، فبلدة مقّرة كما ذكرنا متواجدة بإقليم الزاب في الجنوب الشرقي الجزائري، وتقع بين مدينتي المسيلة وبريكة وتبعد عن المسيلة بحوالي 55 كم غربا، وعن مدينة باتنة 120 كم، وعن ولاية سطيف بـ 70 كم وبها استقرت عائلة المقّري التي انتقلت من شبه الجزيرة العربية.

-**الشيخ**: كلمة الشيخ لا تطلق على عامة الناس، فهي مخصّصة لفئة العلماء والمتصوّفة وأصحاب الرأي والهمّة ، فالمكانة الدينية والاجتماعية التي حُظي بها أبو العباس المقّري بين أوساط العامة والخاصة من العلماء والسلاطين، جعلته يتقلّد لقَب الشيخ ،فهذا دليل على عظمة علمه ونباغته وذكائه وتفوقه على أقرانه من العلماء، فالأمثلة كثيرة فنجد ابن عربي أطلق عليه اسم الشيخ الأكبر...، فهو يعد مدرسة وإمام العارفين وَجَبَ عليه احترامه

[1]-أحمد بن محمد المقري، روضة الآس ...المصدر السابق، تقديم المحقق الصفحة ط.

[2]-محمد بن عبدالكريم، المقري وكتابه نفح الطيب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، د.س، ص.103.

وتقديره وتمييزه عن الآخرين، فكلمة الشيخ في المجتمع المغاربي تدل على احترام ذلك الشخص وتقديره، وإن كان الأمر يختلف نوعا ما عن المجتمعات الأخرى، ففي عَموم المعنى يطلق على الشيخ الطاعن في السن والذي له تجربة الحياة فأصبح خبيرا بشؤونها يقصِده العامة للاستفادة من خبراته وتجاربه، فالملاحظ في ثقافة سكان شمال إفريقيا أنّ كنية الشيخ مرتبطة أكثر بالجانب الديني، فأبو العبّاس جمع العديد من المواصفات ما أهّلته أن يطلق عليه كنية الشيخ، ومنهم من يرى أنّ اسم الشيخ مرتبط بممثل القبيلة ومتصدر مجلس القوم.

شهاب الدين :وهي من ألقاب العرب التي يطلقونها على أبنائهم الأكْفَاء الذين يتّسِمون بصفات النُّخوة والشجاعة والرجولة ، فمعنى شهاب الدين في اللغة العربية أنّ كل شيء مضيء يولد ضوء أو نهار يشتعل و ينطفئ تارة ، يتصف بالسرعة والمباغتة ،فمثل شهب السماء التي تشتعل وتنطفئ، وعامة العرب في شبه الجزيرة أسقطوا اسم شهاب الدين على الرجل المحارب في المعركة لأنه ينتقض من أعدائه مثل انقضاض الشهاب في السماء ، فيظهر تارة ويختفي تارة أخرى، فغيابه يترك فراغا وحضوره يوَلِّد راحة وطمأنينة في نفوس الآخرين ،فيقول العرب في كلامهم" فلان شهاب حرب"[1] فالمقري شهب من شهاب العلم والدين والفراسة ، فغيابه يجعل البلدة جهلا وحضوره يضفي العلم والنور الهدى، فالعالم بمثابة السراج الذي ينير درب الأخرين، والأرجح في القول أنه مرتبط بالمكانة العلمية والدينية .

القريشي : ارتبط المقري بأصله كما ذكره المؤرخون وذكرناه سابقا، فأصوله تعود إلى قريش ما جعله يحتفظ بلقبه الأصلي المستمد من موطن جدّه الأول ،فالتزم العرب بهذه الثقافة للحفاظ على النسب.

التلمساني: الألقاب: المقري، القريشي والتلمساني كلها تتشارك في أمر واحد أنها مرتبطة بالأرض والمكان، من يثبت أن أبي العباس من أصول قريشية ؟ فانتقلت عائلته إلى مقرة فأخذ منها كنيته المقري وبعدها كان ميلاده بتلمسان وحياته هناك ما جعله يرتبط مرة أخرى بلقبه تلمسان فهذا اللّقب ليس مرتبطا بالعائلة فقط بل بشخصه كونه من مواليد هذه المدينة وتعلّم أولى العلوم بها، فكثيرا ما نجده لدى المؤرخين المتأخرين الذين لم يعاصروا المقري فربطوا اسمه بتلمسان، فبِحكم أن العائلة متسلسلة ومتوارثة من جهة ومن جهة أخرى نجدها منتقلة فوجب على الأفراد ربط عائلاتهم بموطن تنقّلهم ،فعائلة أبي العباس لم تخرج عن عادة أهل المنطقة، فهو تلمسانيُّ المولد والنشأة وقد ذكر ذلك عدة مرات في رحلته، منها في رسالة الحكم في زيادة العلم من الشيخ أيوب للمؤلف بقوله" هذه رسالة الحكم في زيادة العلم جعلتها واسطة المحبة، وعلاقة القرابة بيننا وبين الأخ في

[1]–محمد بن عبد الكريم، المقري...،المرجع السابق،ص.102.

الله الحبيب القريب والنجيب اللبيب، هو سيد العلماء بالمغرب الأقصى، وعَلَم الحكماء في الاستقصاءات الحقيقة بالاستقصاء، الجامع بين الأصول والفروع ...الشيخ أحمد المقري التلمساني الأصل والمنشأ، الفاسي الدار[1].

1-3- أسرته: تعَدّ الأسرة أو العائلة ،البيئةَ الأولى التي تساعد الفردَ على الظهور والتميُّز، فبفضلها يُكوِّن نفسَه ويتمرن على أخذ العلم والأخلاق الفضيلة، فالملاحظ في علماء المسلمين عبر الحقب التاريخية أن جُلّهم ورِثوا العلم والدين والخلق عن آبائهم وأجدادهم، فلا نكاد نجد إلا القلّة القليلة التي خرجت عن هذه القاعدة وهذا ما يدل على أن العلم متوارث ،فالعالم لا يُورث لا مالاً ولا جاهًا وإنما ميراثه هو العلم لأبنائه وسائر أبناء المسلمين فكما يذكر لسان الدين ابن الخطيب في كتابه الإحاطة أن الغوث أبا مدين شعيب قد دعا لجد أبي العبّاس المقري بصلاح ذريته وحفدته بحسن القبول والصّلاح وقد صدقت دعوته فأصبح المقري الجد صاحب جاه ومال وعلم وقد جمع بين العلم والثقافة والتجارة وتمكن من شق طرق التجارة نحور السودان الغربي والمشرق الإسلامي.

فمن منطلق هذه القاعدة نجد عائلة أبي العبّاس المقري من أجَلِّ العائلات نفوذا في العلم وفي تولي مناصبَ سامية في القضاء والحكم لدى الحكام المسلمين بمنطقة الغرب الإسلامي عامة.

جده: أبوعبد الله المقري: عُرف بهذه الكنية ،فاسمه الأصلي هو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيي بن أبي بكر بن علي بن (داوود) القرشي المقري المكنى أبا عبد الله، قاضيا لجماعة بفاس وتلمسان، فهو شيخ صاحب الوزارتين لسان الدين الخطيب الذي أثنى عليه كثيرا ووصَفه بأرقى الصفات فقال عنه" بعيد عن المراء والمباهتة، قابل بفضل أولى الفضل من الطلبة، يقوم أتم القيام على العربية والفقه والتفسير، ويحفظ الحديث، ويتهجّر بحفظ الأخبار والتاريخ والآداب، ويشارك مشاركة فاضلة في الأصلين والجدل والمنطق ويكتب ويُشعر مُصيبا في ذلك غرض الإجادة ويتكلم في طريق الصوفية كلام أرباب المقال ويعتني بالتدوين فيها، شرّق وحجّ ولقى جلّة واضطبن رحلة مفيدة، ثم آب إلى بلده، فأقرأ به وانقطع إلى خدمة العلم[2]"،له العديد من المصنفات في الفقه، التصوف، وتقلّد مناصبَ عليا بفضل عِلمه وذكائه فأصبح قاضي الجماعة بفاس وتلمسان وتقرب من الملوك والأمراء، فكان شيخَ زمانه وعالم عصره، تخرَّج على يده عديد العلماء منهم ابن خلدون، لسان الدين ابن

[1] العبّاس المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تح: محمد بن معمر، دار الرشاد للطباعة وللنشر، سيدي بلعباس، الجزائر،2004،ص.27.

[2] -لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة...،ج2، المصدر السابق،ص.195.

الخطيب، الوزير أبوعبد الله بن زمرك، العلامة أبوعبد الله القيجاطي، العالم أبوعبد الله محمد بن سعيد الصنهاجي الزموري، والنظاّر أبو إسحاق الشاطبي والشيخ الكبير محمد بن عبد الله الرندي[1] وغيرهم.

عمه: أبو عثمان بن سعيد بن أحمد المقري، عالم تلمسان، ولا يضاهيه أحد من العلماء بالمنطقة، خاصة أن الفترة التي عاش فيها أحمد المقري وعمّه سعيد المقري تعد فترة ضعف العالم الإسلامي وانحطاطه ودخوله في ويلات الحروب والتصدعات، فلم نعثر على ترجمه عليه إلا على ما ذكره أبي العبّاس المقري فقد خصّه بعلمه عن سائر علماء تلمسان عامة ،فكان لا يثق في أي عالم إلا في الشيخ سعيد المقري[2]، تقلّد منصب الفتوى بمدينة تلمسان لمدة ستين سنة وخطيب مسجدها لأكثر من أربعين سنة[3].

زوجاته : حدّثتْنا المصادر التاريخية حول حياة المقري أنه كثير الترحال والتنقل منذ صغره ،فلا يسمع بحلقة العلماء إلا وقصَدها، فانتقل بين الشرق والغرب الإسلاميين، ومن عادة الرحّالة العلماء اهتمامهم بأمور البحث وتفرّغهم للتدريس والعلم وزُهدهم عن الحياة الدنيا وملذّاتها، فالشيخ المقري التزم بنفس الطريقة وحذيَ نهج الأوّلين، فالرحالة المتصوفة كثيري التنقل فأحيانا يصحَبون زواجاتهم وجلّ الأوقات يخيرونهم بين الانتظار أو تطليقها باعتبار أن الرّحلة العلمية غير مضمونة العودة، فمن باب سدّ الشك والابتعاد عن الظن يقومون بتطليقها لتكون حرّة في حياتها. وبحكم الزمان والمكان اللّذان يختلفان باختلاف تنقل الإنسان يجعلانه معرضا لتأثيرات خارجية ممّا جعل معظم الرحالة يتزوجون بعدة نسوة فأينما حلّوا جعلوه مقر الاستقرار ويرغب في البقاء فيتزوّج ،إلا أنّ حنين الترحال يدفعه للتنقل ما يجعله يتنقّل ويترك أهله ليتفرّغ للعلم والتدريس، فأحمد المقري نجده تزوّج عديد النسوة ومن مختلف الأمصار، تلمسان، المغرب الأقصى، مصر والشام، هذه الأماكن الأربعة التي استقر بها كثيرا جعلته يتزوج بعدة، فالمصادر التي أرّخَت عن الشيخ المقري تذْكر أنه تزوج مرّتين أحداهما مغربية والثانية مصرية.

الزوجة الأولى تلمسانية بنت المفتي محمد بن عبد الرحمان بن جلال التلمساني، مقتي تلمسان وفاس ، لم تذكر المصادر التي تَرجمت للمقري هذه الزوجة إلا نصٌّ فريدٌ أورده المقري في رسائله أوفي رحلته المسماة رحلة المقري

---

[1]- أبي العباس المقري، نفح الطيب...ج5، المصدر السابق،ص.340،341.

[2]-محمد بن عبد الكريم، المقري...،المرجع السابق،ص.130.

[3]- محمد بن معمر، تجربتي في تحقيق مخطوط "رحلة المقري إلى المغرب والمشرق"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد 08، جامعة وهران 1،2011 ص،08.

إلى المغرب والمشرق، وفي النص الرّحلي لم يذكر سنة زواجه ومكان عقد القران وأغلب الظن يكون بتلمسان وأقلّه بفاس.

الزوجة الثانية مغربية، بنت القدياري، والتي تزوجها بفاس، أنجبت له طفلة عام 1026هـ، وقد تركهما ولم يعد إليهما واستقر بمصر، وقد أرسل رسالة إلى الشيخ الدلائي عام 1041هـ الموافق 1631م يخبره أن زوجته أعطاها حق الطلاق ولم تعُدْ في عصمتِه بعدما أن تعذّر عنه الرجوع إلى المغرب الأقصى بقوله" أما أمها فقد كنت ملكت أمرها قبل، فلم ترض، والآن وقد غلب عليّ الظن أني لا أقدر على القيام بما لها من فرض ،إذ قدومي متعسر، والعكس متيسر ولا يليق بي تأخير العصر إلى الاصفرار، ولا الهروب من مواقف الأبطال والفرار، والحزم وعدم الاغترار فلها طلقت مملكة إن شاءت[1]..".

الزوجة الثالثة مصرية، من عائلة السادة الوفائيين وقد تزوّجها لما استقرّ بمصر، وتعد من عائلة أهل علم وشرف، فهم ينحدرون من سلالة الأشراف نسبة إلى محمد وفاء الإمام المشهور المتصل بنسب أدراسة ملوك المغرب الأقصى، فكان معها بنتٌ مثلها مثل المغربية، يشير كثير ممن ترجموا للمقري أنه طلّق زوجته المصرية بعدما أراد التنقل إلى الشام والاستقرار بها، وهذا ما ذكره المحبي في كتابه خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر بقوله" ثم طلّق زوجته الوفائية وأراد العود إلى دمشق للتوطن بها، ففاجأه الحِمام قبل المرام" ما يفنّد هذا الرأي أن المقري باغتته المنيّة قبل أن ينتقل إلى الشّام للاستقرار بها وما يثبت هذا أنه توفي بمصر ودفن بها، وقد استبعد فكرة تطليق الزوجة المصرية الباحث محمد بن عبد الكريم، ومن جهة أخرى نجد أن فكرة تطليق زوجته المصرية واردة جدّا، لأنه تزوج بزوجة رابعة وهي شامية ما يعطي لنا بعض من الإشارات إلى صِحّة فكرة تطليق الزوجة المصرية.

زوجته الرابعة وهي شامية فلمْ يكن هذا إلا بعد أن انتقل إلى الشام ما نجده في رسالة المقري التي أوفدها أحمد الشاهيني ليلة زفاف جارية وكنت قد اشتريتها من الشام وانتقل هو وغيره من الأعيان لوليمتهما فيقول:

أمَولايَ لَازَال الهَنَاء مُلاَزماً عَنكَ يَرويه الثَّنَاء وَمَا يَحكي

وَلاَزَالت الأَيَّامُ جَاريَة بِمَا يَسُرُكَ كَي يَلقَاك بالبِشر والضَحك[2].

[1]-محمد بن عبد الكريم، المقري...،المرجع السابق،ص.95.

[2]-المقري، رحلة المقري، تح محمد بن معمر، المصدر السابق، ص40.

أبناؤه :

لا يختلف اثنان في مسألة الحياة الخصبة لأبي العبّاس المقري فهي تبقى غامضة وغير مكتملة الحلقات، لأنه لم يهتم بكتابة سيرته الشخصية والذين عاصروه لم يدققوا في معلوماته الشخصية ما جعل مسألة زوجاته يختلفون فيها ،وبحكم المنطق يختلفون في مسألة الأبناء، هل للمقري أبناء؟ توجد بعض الإشارات في الرسائل المتبادَلة التي راسلها أصدقاؤه ومحبيه يهنّـئونه بازدياد مولود أويُعَزّونه بوفاته، ومما وصَلنا من هذه الرّسائل التي دوّنها المقّري في كتابه الأخير والذي ضاع منه العنوان، على الأرجح أن له ثلاثة أبناء ،لكل ابن أم خاصة، ومختلفي الجنس، بنتين وذكر واحد وإن كانت جلّ المصادر لم تذكر أنّ للمقري ولدا إلا أن المخطوط الأخير الذي دوّنه المقري والذي هوعبارة عن رسائل ذكر في أحد مضامينها أنّ له ولدا، فالبنتين الأولى من أم مغربية والثانية من أم مصرية، فالأولى وُلدت عام 1026هـ ،وقد خاطبَه والفقيه أحمد الخزرجي الفاسي بقوله:

يَا بَدرُ تَم العلمُ دم نيرًا تَقتَبسُ الأعلام من محفَلِكَ

واهنأ بِذي شَمسِ التي أصبحت أَنوارُهَا تَلتَاجُ فُي مَنزِلِكَ

وابشِر بَبدر طَالع بَعدهاَ يَكمُل الأرابُ من مأمَلِكَ[1]

قد تركها بفاس وبقي قلبه معلقا بها وقد بعث برسالة من القاهرة إلى شيخه محمد الدلائي بالمغرب عام 1631قائلا: "نعم بقلبي، يا سيدي سلمكم الله، حسرة جلت وحيرة حلت، خلفته في كربة وفي بلاد غربة وتخلت، وهي أمر البنت التي بفاس وقد ضاقت وحق لها من أحلها الأنفاس، إذ لم يمكن إليها الوصول، وتعسر مجيئها على تزويجها بلائق من حضر، وهذا غاية المقدور بل ومنتهى المرام ونفثة ومصدور، كم حسرات في نفوس وكرام" فهذا النص يثبت أن للمقري بنت من زوجته المغربية التي تركهما بفاس إلاّ أن هاجس الخوف والقلق ينتابه كثيرا لعدم وجود أهل أوأقارب ليتكفلوا بزوجته وبنته ما جعله يوصى على بنته وكلف الشيخ الدلائي بتزويجها[2].

البنت الثانية : من أم مصرية وقد ولدت بمصر في ظل استقراره بمصر لمدة من الزمن، لم تعمر هذه البنت كثيرا فقد توفيت في حياة والدها وأغلب الظن أنها توفيت عام 1038هـ الموافق لـ 1629م لأن في هذه السنة توفيت جدة البنت من أمها ولم تمر فترة طويلة حتى ماتت البنت.

[1]- أسماء القاسم، المرجع السابق، ص.119.

[2]-محمد بن عبد الكريم، المقري، المرجع السابق،ص.98،97.

أما النقطة التي لم يُشرْ إليها الباحثون والمؤرّخون ،أن زوجته المصرية أنجب منها ولدا وقد سماه محمّد المكي ، ولم يدوّن هذا الاسم في كل كتب المقري وحتى الذين عاصروه لم يتحدّثوا عنه، إلا أن هناك بعضا من النصوص وقد ذكرها الباحث محمد بن معمر في تحقيقه رسائل المقري أن هناك ثلاثة مواضيع تشير فعلا أنّ للمقري ولدا من زوجته المصرية ولم يعمِّر طويلا وتوفي في حياة المقري وهذه الإشارات هي :

-في رسالة أرسلها محمد الغريسي إلى المقري وهو بمكة المكرمة عام 1033هـ، يسأله فيه عن حالة ولده محمد المكي وأمه، وفي الموقف الثاني حين خاطبه القاضي ظهير الدين الحسنى يمدحه فيها ويدعو له ببقاء وَلَده ، أمّا الثالثة من مفتي الحرمين الشريفين عبد الرحمان بن عسى بن مرشد إلى المقري وهو يعزيه في وفاة ابنه محمد المكي الذي توفي صغيرا، والرسالة مؤرخة عام 1034هـ[1].

وإن كان المقري قد رُزق بولد ولم يعمر طويلا، فشوقه للولد بقي أملَه ،حتى المؤرخين ترجموا له أنه لم يكن له ولد إطلاقا وذاك لرغبته في أن يكون له ولد حتى أن أحد تلامذته أحمد الشاهيني دعا إلى الله أن يرزق شيخه بولد يثلج صدر المقري ويطفئ نارَ قلبه في خطبته قائلا:" أسأل الله تعالى أن تكون هذه الخطبة قافية الخطوب، وهذا الندب المبرح آخر الندوب، وأن يعوض سيدي عن حبيبه المبرقع المقنع، حبيبا معمما تتحرى النجابة منه المصنع وأن يبدله عن ذات الخمار والخصاب بمن يصول بالحراب ويسطو باليراع ويشتغل بالكتاب"[2]، فهذا ما رآه الباحث محمد بن عبد الكريم والذي أقرّ أنّ المقري لم يرزق بولد قط، إلا المخطوط الأخير الذي ظهر وقد حققه باحثيْن توصلا أن حقا للمقري ولد اسمه محمد المكي ولم يعمر طويلا وكان هذا المخطوط آخر كتاب دوّنه المقري.

1-4-تعلمه وشيوخه: المقري ابن مدينة العلم والعلماء، وابن عائلة أهلها من خاصة العلم ،فسار على دربهم وجعل من العلم والقراءة أولى النظرات التي أشرقت عليه، فاتخذ من بلدته تلمسان بداية مشواره العلمي، فتعلّم في مساجد وزوايا المنطقة على يد أبنائها من شيوخ الصوفية وفقهائها، وككل أي مبتدئ فتمرس على العلوم الدينية واللغوية وبالخصوص المساجد والزوايا اهتمت بالعلوم النقلية أكثر من العقلية لخصوصية معلِّميها ، فتعدد الشيوخ الذين أخذ منهم العلم لكثرة ترحاله وتنقّلاته، فأخذ من مسقط رأسه تلمسان، المغرب الأقصى، ثم

[1]- المقري، رحلة المقري...، تح : محمد بن معمر، ص.10.

[2]- محمد بن عبد الكريم، المقري...، المرجع السابق،ص.96.

المشرق وبهذا أتم حلقة البحث والترحال ومن أهم الشيوخ الذين درَس عليهم وخصّهم بالذكر عمه عثمان سعيد المقري وبعضا من علماء فاس :

شيوخه بتلمسان: حفظ القرآن الكريم وتعلم أصول الدين واللغة علي يد عمّه أبي سعيد المقري عالم تلمسان ومفتيها، فكان كبير السن ذو علم وافر ، يقصده الغريب والبعيد، فجعله المقري سنده وشيخه الوحيد، فكلما ضاقت عليه مسألة وأراد الاستزادة إلا وحضر عنده ،وحتى أنه كان لا يثق في العلماء الآخرين حتى يستشيره.

عمه أبوسعيد المقري[1](و.928هـ-) في تلك المسألة وبعدها يأخذها، فجعله المثل وقدوته فيقول فأخذ الخرقة الصوفية عن الشيخ حاجي الوهراني، المنطق والأصول والفقه عن الشيخ محمد بن عبد الرحمان الوعراني، واللغة العربية عن الشيخ عمر الراشدي وأخذ التصوف على يد الشيخ علي بن السلكسيني، بعد كل هذه العلوم التي أخذها أصبح علامة التوحيد والفقه، وكان ذا عفة وصيانة وهمّة وقريحة وأتقن كل علم ،حافظا اللغة العربية والشعر، والأمثال وأخبار الناس، ومذاهبهم وأيام العرب، وسيَرها وحروبها، ذاكرا لأخبار الصالحين وسيرِهم وإشارة الصوفية ومذاهبهم[2]..."

وقد أخذ العديد من العلماء في بلدته على يد عمه، حتى صار عوده وبلغ صداه المغربين الأدنى والأقصى فقال:

وقَد أَخذتُ جَامِعَ البخَاري وَمُسلِم عَن حائز الفخَار
عَمِي سَعِيد وَهُو عَمَن يُدعى بالتَنسي قَد أفَادَها الجَمعاَ
عَن حَافِظِ الغَربِ الرِضَا أبيهِ عَن ابن مرزُوق عَن النَبيه
الحَافظُ المبجَــل العِراقـــيُ وَقَد سَما فِي سلم المرَاقِي[3]

قرأ على عمه صحيح البخاري سبع مرات، الكتب الستة بسنده عن أبي عبد الله التنسي عن أبي عبد الله ابن مرزوق، عن أبي حيان، عن أبي جعفر بن الزبير، عن ابن أبي الربيع، عن القاضي عياض بأسانيده المذكورة في كتابه الشفا، في التعريف بحق المصطفى[4]، فكان المقري قد أخذ من العلوم ما أهّلته أن يراسل

[1]-هو سعيد بن أحمد بن أبو يحي عبد الرحمان بن أبو العياشي المقري، ولد حوالي 928هـ، أحد أكبر علماء تلمسان، تولى إمامة الجامع الكبير، تضلع في عدة علوم منها العلوم الدينية والمواريث والحساب، توفي عام 1011هـ . للمزيد ينظر :
Brosselard (CH), Op,cit.P.405.:

[2]- ابن مريم التلمساني، البستان، المصدر السابق،ص.105،104.

[3]- محمد بن عبد الكريم، المقري.....، المرجع السابق،ص.131.

[4]-أحمد بن محمد المقري، روضة الآس العاطرة الأنفاس ....، المصدر السابق، مقدمة الصفحة :ط.

علماء المسلمين ومجادلتهم بل راسلوه يطلبون منه تقديم حلول لمسائل تيسّرت عليهم ،فراسله الشيخ محمد الوجدي الذي أرسل له لغزا في شكل أبيات طالبا من المقري فكّه وأجابه على شكل أبيات مماثلة وكان هذا قبل رحلته العلمية الأولى إلى فاس ،قائلا: وكتب إليّ محمد الوجدي وأنا بتلمسان المحروسة قبل أن أعمل الرحلة إلى حضرة الإمامة أحاطها الله ،بهذا اللغز في اسم برنية "الباذنجان"[1] ، ولم يكن محل صدفة بل راسله مرات أخرى منها طلب منه تفسير لغز آخر وأجاب عنه وكانت إجابة المقري مثلها مثل إجابة الشهاب [2]

قال المقري عن شيخه عمّه السعيد :وخصوصا شيخهم الذي لا يفتقر إلى دلالة، عمّنا مفتينا سيدي السعيد بن أحمد المقري، شكر الله خِلاله، فهو شيخ أولئك الأعلام الذين ورثوا العلم عن غير كلالة وعمروا ربوع المجد وتفيئوا ظلاله، وأرشدوا غلى سبل الهُدى، وأزاحوا عن الضلالة...عصر يكاد يكلمنا فيه الجمّاد وتُروينا الثماد وتُحيينا العشيات والبكر ولا تنتابنا العتلات والبكر"[3].

أ/في المغرب الأقصى:

أقام المقري بفاس مدة من الزمن، تنقّل بينها وبين تلمسان عُدة، خالط أهلها وجالس علماءها وملوكها، تشعّب من العلوم هناك، الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الرحمان بن عثمان السلسي، أبوعبد الله محمد ابن أبي بكر بن محمد الصنهاجي الدلائي، وأبو القاسم بن محمد بن أبو القاسم بن محمد أبو نعيم الغساني، أبوعبد الله محمد بن أبي القاسم بن علي القيسي المعروف بالقصار، أبو العباس أحمد ابن محمد بن محمد بن أحمد بن علي العافية المكناسي المعروف بابن القاضي ،أبو العباس أحمد بن أحمد المعروف بالتنبكتي والشيخ أبو فارس عبد العزيز محمد الفشتالي وأبو محمد الحسن بن أحمد بن الحسن بن يعقوب بن محمد المصطفوي[4].

ذكر أحمد المقري جلّ شيوخه في حضرتي فاس ومراكش وقدم ترجمة تاريخية عن كل من التقى به هناك من العلماء وممن جالس وناظر وممن حضر له دروسه، فجرد لنا أربعة وثلاثين عالما من علماء المغرب الأقصى بفاس ومراكش- نكتفي بترجمة أهم الشيوخ الذين تعلّم عليهم وهم :

---

[1]- أسماء القاسمي ، المرجع السابق،ص.104.

[2]- المقري، روضة الآس، المصدر السابق،ص.258.

[3]- المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: مصطفى الشفا، ابراهيم الابياري وآخرون، ج1، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة ، مصر ،1939،ص.10.

[4]-MOURAD KACIMI,ABŪ-L-ʿ ABBĀS A Ḥ MAD IBN MU Ḥ AMMAD AL-MAQQARĪ AL-TILIMSĀNĪ : SU VIDA, FORMACIÓN Y OBRAS," Revista Argelina ,N 1,Univrsidad Alicante, España, Otoño 2015.P. 66.

-**عبد العزيز الفشتالي**: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي، كاتب الدولة المنصورية وحافظ أسرارها، (ت 1662م)،أخذ العلم عن جهابذة العلم والدين في عصره كالإمام أبي العباس أحمد بن علي المنجور، والقاضي الجليل أبو مالك عبد الواحد الحميدي والفقيه الأستاذ النحوي أبو العباس أحمد الزموري، تمكن في العديد من العلوم النقلية والعقلية وتضلع في المنطق وجمع بين فصاحتي القلم واللغة ، من مؤلفاته كتاب مناهل الصفا، في مآثر موالينا الشرفا، كتاب تقديم الإمام، ترتيب ديوان أبي الطيب[1].

-الشيخ أحمد ابن القاضي(و.960هـ):أبو العبّاس أحمد بن محمد بن أبي العافية الشهير بابن القاضي الملقب بشهاب الدين، تضلّع في علوم الفرائض، الحساب والهندسة، الفقه، اللغة، أصول الدين، أخذ العلم على أكابر الشيوخ كالشيخ أبي يوسف اليعقوب البدري، أبو العباس أحمد بن المنجور، الفقيه أبوز كريا يحي السرّاج، وأتمّ رحلته إلى المشرق وأخذ العلم على عدة شيوخ ،حضر المقري دروسه وتعلّم من العلوم التي تفقّه فيها الشيخ شهاب الدين[2].

-أحمد بن أبي القاسم التادلي: أبو العباس أحمد بن أبي القاسم التادلي(ت1013هـ)، فهو الشيخ العارف النّاسك الصّالح، كثير الطاعات ليلا ونهارا، حافظا للقصص والحكايات التاريخية ومهتمّا بالأخبار وبالتاريخ، وله وُلوع باقتناء الكتب ومطالعتهم، تقصده الناس من مشارق الأرض ومغاربها لعلمه الفيّاض، فيزدحم عليه طلبة العلم يوم الجمعة قادمين من مختلف الأماكن، يلتقونه بجامع الكتبيين من الحضرة الإمامية طالبين منه الدعاء ويقبلون يده الشريفة، وله عدة تآليف في عدة علوم منها سراج الباحث في شرح المباحث، الدرة النفيسة في فضائل الأدعية الشريفة، والزهرة المنيفة في فضل حزب المريد الحادق، لباب اللباب في معاملة الملك الوهّاب، الزهرة العالية في فضائل الوسيلة الكافية، بداية المريد المقدام، مقدمات الإحلام في تحقيق مبادئ الإسلام، تصحيح البداية وتحقيق النهاية، نزهة الناظرين ومصباح السالكين وشمس العارفين في بعض معاني مقام السالكين وله تصانيف أخرى قد ذكرها المقري كاملة.

أحمد بابا التنبكتي السوداني: أبو العبّاس أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت (ت1032هـ،1623م)، التقى به الشيخ المقري وانتفع بعلومه الكثيرة، وكثيرا ما يرافقه في زيارة الأضرحة والقباب وقبور الصالحين والأولياء، وأعاره جُملة من الكتب الفريدة التي يحتفظ بها في خزانته ،وصفه الشيخ المقري

---

[1]-المقري، روضة الآس، المصدر السابق،ص،ص.164،163،112.

[2]- نفسه،ص.ص.285،240.

بالشيخ المؤلّف الكبير المصنّف العلم الطائر الصيت، وله عدة تآليف منها: تنبيه الواقف على مسألة، تعليق على الألفية مسمى بـ النكت الوفية بشروح الألفية، فتح المحي في مسألة حي، نيل الأمل في تفضيل النية على العمل، وفي التصوف نجد : اختصار شرح صغرى السنوسي، المواهب القدوسية في المناقب السنوسية، وفي التراجم والسير نيل الابتهاج بتطريز الديباج[1]، وله تصانيف أخرى.

-محمد القصار القيسي: (**ت،1012هـ،1603م**)أبوعبد الله محمد بن قاسم بن علي القيسي الشهير بالقصار لقبا لا حرفة، لقيه أبو العباس المقري بفاس، اشتغل بمنصب الإفتاء والإمامة والخطابة، اشتهر علمه في البيان وعلم الأنساب ،أخذ العلم عن كبار علماء عصره كالإمام المعقولي الشهير، أبوعبد الله اليستثيني وأجازه العديد من العلماء[2].

علي بن عمران السلاسي:(**و،960هـ،ت 1018هـ الموافق(ت1609م)** أبو الحسن علي بن عبد الرحمان بن أحمد بن عمران السلاسي، فهو الفقيه القاضي المفتي أعجوبة زمانه، قاضي الحضرة الفاسية ومفتيها ،مولى العلوم على أحسن وجوهها لطلابها، حافظ لا تدرك غايته ،متضلّع في التفسير والبيان والنحو، تعلّم على يد كبار علماء المغرب الإسلامي، فقال عنه المقري ،أنه آية من آيات الله في السير فكاد أن يحفظ اكتفاء الكلاعي عن ظهر قلب حتى لا يند عليه منه شيء، فقال عنه أبو حامد محمد العربي الفاسي وفي سنة ثمان عشرة وألف حضرنا عليه تلخيص المفتاح، كان يجلس له بعد العصر في المسجد المجاور لداره بالعقبة الزرقاء، وكان يحضره العلامة وحيد عصره أبو العباس أحمد بن محمد المقري[3].

-أبو القاسم بن أبي النعيم الغسّاني(ت 1032هـ،1609م): أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن أبي النعيم الغساني، قاضي حضرة فاس، عُرف بتضلّعه في شتى العلوم المتعارف عليها في زمانه حتى انفرد بعلم البيان فذاع صيته، فأصبح مقصد الطلبة لأخذ علم البيان منه، فهو علامة عصره وفريد زمانه، وعز نظيره في الأمصار ، فهو العالم الأديب المتصوف ،درّس المنطق، اللغة العربية، العروض والتفسير، استلهم العلوم من كبار الشيوخ كالقاضي الحميدي، المفتي السراج...وغيرهم، قال عنه المقري" فهو أحد القواسم المشهورين في المغرب والثلاثة الباقون، سيدنا الماهر أبو القاسم الوزير، والقاضي أبو القاسم بن سودة رحمه الله، والعروضي

---

[1]- نفسه،ص.303،304.

[2]-نفسه ،ص.316.

[3]- محمد بن عبد الكريم، المقري...، المرجع السابق،ص.260، للمزيد ينظر : المقري، روضة الآس، المصدر السابق،ص.332-336.

القاسم بن ابراهيم المدجن القصري وصاحب الترجمة(أبو القاسم الغساني) أدراهم، إلا أن أبا القاسم الوزير اختص بمعرفة علم الطب وصاحب الترجمة شارك في سائر العلوم[1]، التقى به الرحالة المقري وقرأ عليه نحو النصف من التلخيص وأخذه عنه، فجالسه واستفاد من علمه الغزير.

ب/شيوخه بالمشرق:

امتدّ علم المقري مغربا ومشرقا، فلم يترك مكانا به حاضرة من حواضر العلم وإلا كان بها، فارتحل إلى المشرق، مكَث بمصر وتردَّد بين مكة والشام وبيت المقدس، فالتقى بالعلماء والصلحاء، فدرس ودرّس بها، فمن جملة العلماء الذين أخذ عنهم العلوم بالمشرق وكانوا كثرا ،إلاّ أنّ ترجمته في مؤلفاته نجده نادرا ما يذكر شيوخه وإجازاته، فمن الذين أشاروا إلى شيوخه بالمشرق نجد الكتاني في كتابه فهرس الفهارس الذي ذكر أن المقري درَس على ثلاثة شيوخ أجلاء، الشيخ عبد الرؤوف بن تاج الدين بن علي بن زين العابدين المناوي(ت،1622م)،الشيخ أبو السعود نجم الدين محمد بن أحمد بن عبد الله بن مفرج العامري الغزي (ت 1651م)، والشيخ أبو الإرشاد نور الدين علي بن زين العابدين بن محمد بن زين العابدين ابن عبد الرحمان الأجهوري (ت1656م)[2]، هذه جملة شيوخه في المشرق وأغلب الظن يكون أكثر من هذا وإن كان المقري متمكنا من العلوم لما ارتحل إلى المشرق، حتى عند انتقاله إلى فاس لأول مرة جادل العلماء وجالسهم فلم يكن بمرتبة الطالب الذي يتلقى فقط.

1-5- إجازاته:

استفاض الشيخ المقري العلم من عدة مشايخ وقد ذكرنا بعضهم ،بل اقتصرنا على ذكر كبار المشايخ الذين عُرفوا في عصره، والمقري من العلماء الأجلاء، فعلمه معلوم فلا يأخذ العلم إلا ممن هو أعلى منه مرتبة وعلما، فمن عادة الطلبة والعلماء أن يجازوا طلبتهم بعد امتحانهم لتثبت لهم مدى قدرة استيعابهم لدروسه، فأُجيز المقري من عدة علماء وخاصة بالمغرب فقد ذكر شيوخه الذين أجازوه في عدة علوم ، فممّن أجازه شفهيا مكتفيا بالقول ومنهم من أجازه خطيا وهذه أهم الإجازات العلمية:

[1]- المقري، روضة الآس...المصدر السابق،ص.336،335.

[2]-عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس،ج2،ص.575.

إجازة الشيخ عبد العزيز الفشتالي[1]: طلب المقري من شيخه أن يجيزه في كل نظمه الشعرية والنثرية، فأجازه الشيخ بإجازة لفظية دون خطية لضيق الوقت وكان يوم خروج المقري من فاس ،وتمنى اللّقاء به مرة أخرى.

إجازة الشيخ أحمد بن القاضي: أجازه الشيخ أبو شهاب في كل العلوم التي أُجيز فيها والتي نبغ فيها، وكتب بذلك بخط يده ثلاث مرات، مرة في فاس ومرتين بحضرة مراكش المحروسة، وكان ذلك في يوم عرفة من هام 1009هـ، أما إجازة فاس فكانت بعدها بشهر.

قرأ عليه كتاب أبي القاسم الحوفي في علم الفرائض، وأجازه أيضا عن المنتوري صاحب الفهرسة، وتلخيص ابن البناء، وأجازه أيضا في جميع تآليف ابن البناء، وأجازه في حديث الرحمة المسلسل بالأولية ، وأجازه أيضا في كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس، وأجازه في صحيح البخاري، وهذا نص الإجازة التي دوّنها الشيخ ابن القاضي للمقري قائلا" الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله، ما ذكره السيد الفقيه المشارك المتفنّن الحافظ النبيه أبو العباس أحمد بن السيد الأجلّ الأكمل أبي عبد الله سيدي محمد المقري القرشي صحيح، وكتب أقلّ عبيد الله تعالى أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرحمان بن أبي العافية المكناسي الشهير بابن القاضي خار الله له وهيأ له رشدا من أمره، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، وأجزت له الفهارس التي أذكرها بأسانيدها إلى أربابها وما اشتملت عليه من المقروآت والمجازات والمسموعات وغير ذلك ، منها فهرسة الشيخ الإمام أبي عبد الله بن أحمد بن غازي العثماني المكناسي، فهرسة الإمام شيخ الإسلام الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المصري، فهرسة الإمام عبد الله المنتوري، فهرسة أبي جعفر بن الزبير، فهرسة الشيخ أبي عبد الله محمد بن جابر الوادي ءاشي، رحلة ابن رشيد، مصنفات العراقي، مصنفات أبي العباس أحمد بن أبي محمد البرنسي الشهير بالشيخ زروق، مصنفات خليل بن إسحاق المالكي، وهذا نص كتابه حفظه الله حسبما كتب لي بذلك خطه ورواياته حفظه الله في جملة أحاديث وفي قصائد مسلسلات، وغير ذلك وهو كثير جدا لا تسعه هذه العجالة ، ولا يبقى ببعضها غلا تأليف مستقل[2].

[1] – المقري، روضة الآس، المصدر السابق،ص.163.

[2] – المقري، روضة الآس، ص–ص،289–297.

إجازة الشيخ أحمد بن أبي القاسم التادلي : جالس الشيخَ واستفاد من علومه، وقد طلب المقري منه الإجازة فأجازه بما تجوز له وعنه روايته وجميع تأليفه وما أخذه عن شيوخه كالإمام الشهير أبي عبد الله الخروبي الطرابلسي وغيرهم[1].

إجازة الشيخ أحمد بابا التنبكتي السوداني : التقى به بحاضرة مراكش، أخذ من علومه ،أهداه مسودة من كتابه " نيل الابتهاج في تطريز الديباج و "كتبَ له الإجازة على ظهر أول ورقة ، وهذا جملة من نصها" الحمد لله كما هو أهله ،وأفضل صلاته على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم، يقول كاتبه الفقير أحمد بابا ابن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت لطفه الله بهم ووفقه لمرضاته، أجزت الفقيه الحافظ المتفنن النبيه سيدي أبي العباس أحمد بن محمد المقري من قرابة الإمام العلامة أبي عبد الله المقري قاضي الجماعة رحمه الله ونفعنا به آمين، أن يروي عني هذا التعليق في التاريخ وجميع ما جمعته من الفنون، ذكر حفظه الله في هذه الإجازة جميع التآليف المتقدمة وزاد الحواشي على خليل، جلب النعم ودفع النقم في مجانبة الظلمة ذوي الظلم....كتبه الفقير أحمد بابا بتاريخ أواسط محرم من عام عشرة وألف 1010هـ.

وكتَب له نص آخر يوم خروجه من مراكش ، يجيزه على مصنفات أخرى ،يقول أحمد بابا التنبكتي في نص الإجازة الثانية:" الحمد لله وكفى والسلام على سيدنا المصطفى وآله وصحبه أولى الخير والوفا، وبعد فيقول العبد الفقير ، ذو القصور والتقصير، أحمد بابا ابن الفقير أحمد ابن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت خار الله له في أموره ،وحفظه من غير الدهر وشروره آمين، لما يسّر لله تعالى لي ملاقاة السيد الفقيه المتفنن اللبيب المحصل الحافظ أبي العباس أحمد بن محمد المقري من ذرية الإمام الأكبر، العالم الأشهر أبي عبد الله المقري التلمساني نفعنا الله ببركاته، جالسته وحادثته واستفدت منه فوائد، طلب مني أعلا الله شأنه أن أجيزه في الحديث وفيما لي به رواية من كتبه.....أجزت الفقيه المشار إليه..." فمن خلال نص الإجازة نجد أن الشيخ التنبكتي أجازه في عدة علوم ومعارف، من كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس، الصحيحين البخاري ، وكتاب الشفا لأبي الفضل عياض وغيرها من الكتب الستة وغيرها من كتب الفقه، وأجازه أيضا يروي الكتب التي قرأها عليه[2].

إجازة الشيخ محمد القصار القيسي :أجازه الشيخ في جميع ما يجوز له وعنه روايته بشرطه، فقد أجازه في عدة علوم بعد أتم عدة مصنفات عرّف بها وقراها عليه، فمنها الحديث المسلسل بالأولية، كتاب الموطأ للإمام مالك

[1] - نفسه،ص.300.

[2] - المقري، نفسه،ص.304-306.

بن انس، الصحيحين البخاري ومسلم، المنفرد بالمنطق والكلام وأصول الفقه والبيان بفاس ،وأجازة في مؤلفات عديدة حول التصوف والدين والفقه، فأنشد بيتا من الشعر يوم أن أجاز المقري وإن كان في عجالة لخروج المقري وسفره إلى تلمسان قائلا:

أَجزتُ لَكُم مَروينَا مطلقا وَمَا لَنَا سَائلاً أَن تَرحَمُوا بدُعَاء[1].

1-6- وظائفه: تقلّد أحمد المقري مناصب في الإفتاء، الإمامة والخطابة بجامع القروين عام 1613م بحاضرة فاس لمكانته العلمية والدينية ،التي يُحظى بها لدى السلاطين والعلماء إلى غاية عام 1618م بعدما أن غادر المغرب إلى المشرق، فكان عالمَ عصره، فتصدر لمجالس التدريس في فاس ،وتفرّغ للتأليف والكتابة بعدما أن تحصل على أنفَس المخطوطات بخزائنِ فاس ومراكش، ثقُل عليه الرحيل أن يغادر فاس كما هان عليه مفارقة تلمسان، فلكل زمن ظروفه ولزمان المقري ظروف خاصة به، فتوسّم منه العلماء والأصدقاء البقاءَ بمعمورة فاس كيف لا وهو صاحب الثلاثة مناصبَ بالحضيرة وفي هذا بيتٌ من الشعر متحسرا فراسله صديقه أبو الحسن علي الخزرجي قائلا:

أَشمسُ الغَربِ حَقًّا مَا سَمِعناَ بِأَنَكَ قَد سَئِمتَ مِنَ الإقَامَة

وَأَنّكَ قَد عَزَمْتَ عَلَى الطّلُوع إلَى الشَّرقِ سَمَوتَ به عَلاَمة

لَقَدْ زَلْزَلْتَ مِنَا كُلّ قَلبٍ بحَق الله لاَ تُقِم القيَامة[2]

اشتغل بالتدريس في جلّ الأمصار التي زارها، فنجده تصدّر مجلس تدريس صحيح البخاري بالمسجد الأموي بالشام، وكانت حلقاته مكتظة بالطلبة ويقصدونه من مختلف الأمصار لحضور دروسه والاستزادة من علمه، ودرّس أيضا بجامع الأزهر الشريف برواق المغاربة لقّن به الطلبة علم العقائد، وكذلك في الإسكندرية أثناء فترة إقامته بها، وحين دخل الحجاز استقر لها مدة قصيرة وتردّد بين مكة المكرمة والمدينة المنورة فجلس في مجالسها محاضرا ومرشدا وموجّها.

تفرّد بتدريس العقائد بصحن الجامع الأزهر، وفي شهر رجب يفتتح مجلسا لتدريس صحيح البخاري، وكان للمقري منهج خاص في تقديم دروسه ومحاضراته ،فكان يتخلّل مجلسه أبياتا شعرية تنسي المستمع والطالب الملل

[1]-نفسه،ص.322-333.

[2]- أسماء القاسيمي، المرجع السابق،ص.130.

والكلل وتعيد له النشاط والتركيز لتجدّد انتباههم وتشحَذَ قرّاءهم [1]،فتهافت عليه الطلبة وتسابقوا لوضع أشعارٍ لشيخهم يمدحونه.

في شهر رمضان يعتكف على تقديم دروسه لعامة المسلمين، فمن عادته يختم الشمائل النبوية في حلقة يحضرها الجميع ، مثلما ذكر في رمضان عام 1030 بمصر، وأنشد بها قصيدة بعد ختمها قائلا:

وَرَوينَا شَمَائلا لَكَ مِنهَا فَاحَ مِسكُ الخِتَامِ فِي رَمَضَان

فَأَجرناَ وَالحَاضرينَ معًا يَا إلهي بِهَا مِنَ النيرَان

في مكة المكرمة كان يختم صحيح البخاري في شهري شعبان ورمضان وقد انتهى من اختتامه يوم الثلاثاء من شهر رمضان من عام 1033هـ وأنشد قصيدة يقول فيها:

وَتَجراً وأنت أَعظَم مَن أَغظَى بِدرسِ الحَديثِ مِن رَمَضَان

فِي صَحيحِ الحِبرِ البُخاري ذي القَدح المُعَلَى فِي الحِفظِ وَالإتقَانِ

فَأنلنِي وَالحَاضرينَ مُرَادِي وَأَجرُنَا مِن أوجَبَاتِ الهَوَانِ

وَحَنيفُ الدينِ النَجيب المُرَجى قَارئ الدّرس سَابقُ المَيدَان

ابن شَيخِ الإسلامِ مفتِي البَرَايَا عَالم العَصرِ عَابد الرّحمَان

ابنُ عِيسَى ابنُ مُرشِدُ دَامَ كُل مِنهَا وَفِي على رفعَة شَان

فختمه في شهر رمضان وكان يحضر درسه مفتي الحرم الشيخ عبد الرحمان المرشدي مع أخيه الشيخ أحملة مع أعيان مكة المكرمة وقارئ الدرس الشيخ حنيف الدين ابن المفتي الشيح عبد الرحمان المرشدي[2].

جاوَر بيت الله في مكة المكرمة وتصدّر مجلس تدريس الحديث النبوي عام 1039هـ، وقدّم دروسا في مآثر التبرّك وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم والأماكن المقدسة والأضرحة والمزارات، فجعل عِلمه لعامة المسلمين ولنفسه، لما يتفرّغ للتدوين والكتابة وقد ألّف كتبا أثناء مجاورته للكعبة الشريفة منها كتاب "فتح المتعال في مدح النعال" وكتاب "أزهار الكمامة في أخبار العمامة" وغيرها، فسار على نفس درب جده وقد سعى أن يكون مثلَه في العلم.

[1] –محمد بن عبد الكريم، المقري...، المرجع السابق،ص.167.

[2] – المقري، رحلة المقري...، تح : محمد بن معمر ،ص،84-87.

حياة المقري بقيت غير مستقرّة، فهو في ترحال مستمر فلا يستقرّ في مكان، فبقي مترددا بين مكة ومصر وبين مصر والشام غريبا مستغربا عن وطنه وأهله، حتى زوجاته طلّقُهنّ لكثرة تنقلاته وانشغالاته، فمعظم وقته متفرغ للتأليف والتدريس ومناظرة العلماء.

إن كانت فترة إقامته بدمشقَ قليلة إلا أن محطّة التدريس لم يتوقف عليها ، فتصدّر مجلس تدريس صحيح البخاري بجامع الأموين وتناول مواضيع في علم العقائد والحديث وكان مجلسه عامرا لا يتخلف عنه أحد حتى صار المكان لا يكفِ لكثرة الطلبة الوافدين ما جعله ينتقل إلى صحن المسجد وبعد أن أصبحوا بالآلاف قاموا بنقل حلقة الدرس إلى وسط الحصن إلى الباب الذي يوضع في العلم النبوي في الجمعات من رجب شعبان ورمضان وأتوا بكرسي الوعظ وجلس عليه[1]،وعند ختمه لصحيح البخاري راسله الشيخ محمد الكلشني وهو أحد كبار الصّوفية وصاحب المصنّفات الصّوفية مُضنيا على علم المقري ومكناته العلمية بين علماء الشام ومدى اهتمام أهل الشام وطلبة العلم بحلقته، فأورد أبيات من الشعر قائلا:

إنّ الإمَام المـــقري أحمد قد حاز أنواَع العلوم والحكم
رَوَى أحاديثَ البُخَارى كَمَا قَالَ النَبيُ المُصطَفى ومَا كَتَم
وَمن صَحيحِ النَقل فِي إسنَادِهِ مُسَلسِل عَنِ الرُوّاة مُغتَنمُ
في الجَامِعِ الكَبيرِ فِي دِمَشق قَد أَجَادَ إذ أَفَادَ فيمَا رَسَم
وَكَانَ من صِيَام الشّهرِ قَد مَضَى تِسعُ وَعشرونَ بأنواعِ النعم[2]

درّس المقري العديد من المصنفات الدينية والعقلية في مختلف الأماكن التي مرّ منها، ومن أهم ما ذكره لنا أنه دوّن كتابه الموسوم "إضاءة الدجنّة في عقائد أهل السنة" فقد علّمه لطلبته بمصر، مكة المكرمة، المدينة المنورة ودمشق وكانت حلقة هذا الدرس جدُ عامرة، ويحضرها أفاضل أهل العلم وأسياد القوم فقال:

سّميتُهَا إضاءة الدّجنة وَقَد رَجوتُ أن تَكونَ جنّة
وَبَعدَ أَن أَقرأتُهَا بِمصرَ وَمَكَة وَبعَضًا من أَهل العَصر
درّستُهَا لَمَّا دَخلتُ الشاما بِجَامِعٍ في الحُسنِ لاَ يُسامَى
وَكَانَ في المَجلسِ جَمعٌ وَافرٌ من جُلّة بِدُورِهِم سَوافِرُ[3]

---

[1]-أسماء القاسيمي، المرجع السابق،ص.148.

[2]- المقري، رحلة المقري...، تح: محمد بن معمر، المصدر السابق ،ص.33.

[3]- المقري، نفح الطيب ...، المصدر السابق،ج2،ص.424،425.

1-7-تلاميذه : تضلّع الإمام المقري في التدريس بعديد الأوطان والأمصار، فصال وجال بين المساجد وقاعات التدريس، فلا ينكثّ عن تقديم دروس الفقه والحديث لطلبته، وعُرف بتوافد الطلبة من كل فج لحضوره دروسه العلمية ما جعله قِبلة لكل طالب علم، فأصبح اسمه مشهورا في مشارق ومغارب البلاد الإسلامية، ما يجعله وبكل تأكيد يكون له طلبة وشعبية .لكنّ المقري لقي معارضة وحسدا في أواسط الكثير من العلماء والسلاطين ،حتى أنه وُجد علماء افتقدوا تدفق الطلبة عليهم ، وأصبحت حلقاتهم فارغة من الحاضرين، فكثر الحسّاد والبُغاض الذين جعلوه شغلهم الشاغل والمقري ازداد تضلعا في العلم حتى أصبح الألاف من الطلبة يحضرون عنده بل ما زاد عن ذلك أن المكان أصبح لا يسَعهم مثلما حدث له في جامع الأمويين بالشام كما حدّثنا تلميذه عبد الباقي الحنبلي الشامي "دخلت مصر سنة 28هـ فوجدته في صحن الجامع الأزهر يقرأ العقائد وله مجلس عظيم فلم يستنكر عليه ما كان يورده من الأعاجيب، لأن العقائد فن أهل المغرب[1]" حتى خرج إلى صحن المسجد، ما يؤكد كثرة الحاضرين لمجالسه، أمّا تلامذته فلم تشِرْ إليهم مصادر السير والتراجم فأشارت إلى ثلاثة أو أربعة تلاميذ كانوا ملازمين مجالس المقري ويراسلونه في فترات ترحاله، كابن القاضي، الشيخ حنيف الدين، الشيخ زين العابدين، خطيب الحرم، فمجالس المقري لم تكن ثابتة يظل متنقلا بين الأماكن ، فلم تكن له حلقة دائمة وثابتة يواظب عليها التلاميذ والطلاب ومنها يؤسس مدرسة خاصة به ،ينشر أفكاره واعتقاداته منها، فعائق التنقل وكثرة مجالسته العلماء والفقهاء وانفراده للكتابة والتدوين جعلت حلقته التعليمية غير منتظمة، فطلبته هم مؤلفاته فجّل الصوفية سخّروا أوقاتهم للتدوين والكتابة لتبقى أثرا لمن ينتفع بهم.

1 -8-تلامذته:

-أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن محمد ابن أبي بكر الأنصاري السجلماسي أصلا السلاوي والجزائري قبرا، درّس على يد المقري أثناء تواجده بفاس، وعند انتقال المقري إلى المشرق بقيت الصلة بينهما عبر المراسلات ، وقد ذكره المقري على ضوء رسالة أرسلها إلى شيخه قائلا"...شيخنا ومعلمنا مفيدنا وحبيب قلوبنا ،مولانا شيخ الشيوخ أبو العباس أحمد بن محمد المقري المغربي التلمساني نزيلُ فاس ثم الديار المصرية..." وقد راسله وهو في مصر، وقد توفي أبو الحسن بالجزائر عام 1054هـ،1645م بالطاعون[2].

[1]- الكتاني ، فهرس الفهارس، المرجع السابق، ج2،ص.574،575.

[2]- محمد بن عبد الكريم،ص.280، المقري، نفح الطيب، ج3، المصدر السابق،ص.237.

-**أبوعبد الله محمد بن أحمد مياره:** تتلمذ على يد المقري بفاس، وشاءت الأقدار أن يصبح من ذو شأن بفاس ودوّن كتابه الموسوم "الدرّ الثمين" وقد استشهد بشيخه الأكبر وأشاد به كثيرا وبنظمه الشعرية بقوله "وأجاد شيخنا المقري رحمه الله في النظم المذكور في هذا الفصل".

-**أبو العبّاس أحمد بن شاهين القبرصي ثم الدمشقي:** ولد بدمشق من أصول قبرصية، والده قبرصي اشتراه أحد الأمراء وتبنّاه وجعله أحد أبناء دمشق، تتلمذ على عدة مشايخ منهم الشيخ الحسين البوريني والشيخ عبد الرحمان العمادي، كان شاعرا مشهورا وكاتبا مترسلا، اقترح على المقري كتابة مصنفه الضخم "نفح الطيب" تتلمذ على المقري أثناء تواجده بدمشق وارتبط به كثيرا ورافقته في فترة بقائه بالشام، فيذكر المقري أن رحلته رسالة أرسلها بن شاهين إليه قائلا:

مَرحَباَ بالشيخِ مَولايَ وَشَيخِي وسُمَيي

مَرحَبَا بالمَقري المالكي الملَكي

مَرحبًا بالدين والدنيا وَبالعَدل التُقي

مَرحبًا بالعنصر الطاهر والأصل الزّكي

تحية العبد المشتاق المنتصب لخدمة سيده على أقوام ساق، أحمد بن شاهين[1].

وفي موضع آخر يترجى شيخه ومتشوقا له وراغبا في البقاء معه والاستئناس لحديثه ودروسه ولعلمه، فقال فيه "أني أشوَق إلى تقبيل أقدام شيخي من الظمآن للماء، ومن الساري لطلعة ذكاء.. وما زلت ألهج بما أفادنيه شيخي من أماليه.." والملاحظ أنه كثير التمسّك بشيخه وولوعه به والرسائل التي كان يرسلها للمقري وهو بمصر تثبت ذلك.

في ذكرى حلول المقري إلى بلاد الشام فبدأ في البحث عن الإيجار، شرط أن يكون قريب من المسجد الأموي فأرسل إليه أديب الشام فردّ الموّالي المدرسين ساحب أذيال الفخار المولى أحمد الشاهيني بمفتاح المدرسة الحقمقية قائلا:

كَنَفُ المَــقَري شيخِي مَقري وَإليهِ الزّمَانِ مَفَرِي

كَنَفُ مِثلُ في صدره اتسَاع وَعُلُم كالدّر في ضمن بحر

[1]-المقري، رحلة المقري، تح، محمد بن معمر،ص.38، للمزيد حول التعريف بالشخصية ينظر: المحبي، خلاصة الاثر،ج1،ص،210-217.

أَي بَدر قَد أطلعَ الغربَ مِنهُ ملأ الشَرقَ نُورَه أي بَدر

أحمَدُ سيدي وشَيخي وَذُخري وَسَميّتي وَفَوقَ ذلك فَخري[1]

أبو القاسم جمال الدين محمد المسراتي: أخذ عن المقري وقد أجازه في القاهرة عن علمه ، توفي عام 1065هـ، وقد ذكره المقري إجازته له في رحلته.

الشيخ يحي المحاسني: هو يحي بن أبي الصفا بن أحمد المعروف بابن محاسن الدمشقي الحنفي الفاضل الأديب، أخذ العديد من العلوم على علماء أجلاء، ترعرع في بيت علم وورع ورثهما عن أبيه وجده ،ثم تولى على المدرسة الغزالية ودرّس بها العلم ، لم تطلْ مدة إقامته للتدريس بها، كانت وفاته عام 1053هـ[2]، كان مواظبا على حضور دروس الحديث وشرح صحيح البخاري في المسجد الأموي بدمشق، فأورد عنه المقري قصيدة بمناسبة إجازته قائلا:

وكَانَ قاري الحَديث النبوي لديّ في الجَامِع أعني الأموي

بِمَحضَر الغزير الوَافر ممن وُجوه فَضلِهِم سَوافرُ[3]

1-9- أحمد المقري مُجيزاً

عِلمُ الإمام المقري فاق بلاد المغرب والمشرق، امتد اسمه إلى سائر الأقطار الإسلامية، فاشتغل مُدرّسا في تلمسان، المغرب الأقصى بحاضرتي فاس ومراكش، ومرّ على تونس ممتهنا نفس المنصب ولم يتوان في مزاولة وظيفة التدريس بمصر ومكة المكرمة ،على الرغم من مسؤولياته الكثيرة من تأليف، فأفتى وتولىّ القضاء، فنجده أيضا حريصا على التدريس في بلاد الشام بدمشق وحتى بغزة وبيت المقدس، فأينما حلّ أسّس مجلس العلم والفتوى، فكثر طلابه وعمرت حلقاته، فقصده الطّلاب من كل منطقة، فالمقّري كان طالبا وأصبح مُدرِّسا، تحصل على إجازات من كبار العلماء إلى أن أصبح منهم وأصبح يُجازي طلبته، فمن أهم الإجازات التي أوردها الرحّالة في مؤلفه الأخير والذي بُطر في صفحته الأولى وعنوانه غير موجود ووُضع من طرف المحققين كنتيجة استنتاجية فقط، منهم من أولها إلى "رحلة المقري إلى المغرب والمشرق" وآخرين عنْونها "برسائل المقري"، وما يهمّنا في هذا العنصر أنه أورد لنا العديد من إجازاته لطلبته وقد وصلت إلى واحد وعشرين وهي:

---

[1]- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2، المصدر السابق، ص.414.

[2]-المحبي،خلاصةالاثر،ج4، المصدر السابق ص.463.

[3]-المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2، المصدر السابق، ص.431.

-**إجازته لخطيب الحرم الشيخ تاج الدين بن أحمد بن ابراهيم المالكي المكي**: تصدر للخطابة والتدريس بالمسجد الحرام، أجازه الشيخ المقّري بكل ما رواه وما حرّره مثل موطأ الإمام مالك بن أنس وقد قرأ عليه جزءً منه، وكذا الصحيحين البخاري ومسلم والكتب الستة ،وقد ذكره في رحلته قائلا: وقلت أحمد من زين تاج الدين بجوهر الرواية الثمين...أمثله يطلب ذا من مثلي مع قصوري وعظيم جهلي، ولست أهلا أن أُجاز فضلا عن أن أُجيز من يجوز الخصلا وإن أكن كمن إلى أن صنعا جلبا وشيا، فقد أسعفته بما طلب، وها أنا أجزته بكل ما رويته وبالقصور معلما على شروطه التي قد قُررت لدى ذوي الفن وقد ما حررت مثل الموطأ الإمام مالك عمدة كل مقتف وسالك، فقد قرأ عليا منه صدرا، وهو بما قد نال مني أدرى، كذا الصحيحان وباقي الستة مع المسانيد التي في الستة، وكل ما صنفته من نثر مع النظام قله والكثر، وما رويت عن شيوخي طيرا.[1].."

إجازته للشيخ أحمد بن القاضي[2]: هو أحمد بن القاضي شهاب الدين المشهور بالعجمي، واظب على حضور دروس المنطق والأصول، أجازه الإمام المقري عن كل ما أُجيز فيه وبكل ما يجوز له أن يجيزه له وعن روايته من مؤلف ومجموع، مقروء ومسموع وكان ذلك عام 1033هـ.

إجازته للشيخ زين العابدين: أجازه الشيخ المقري في جميع العلوم التي تضلع فيها مسموعة وقراءة، نثرا وشعرا فيم أخذه عن شيوخ المغرب الإسلامي قائلا:

جَزت الشَيخ زِينَ العَابدينَا وَقَاهُ اللّه شرّ الحَاسِدينَ

بِمَا أَرويه طرًا عَن شُيوخ بمَغربِنَا زَكُّوا عِلمًا وَدينًا

وَمَنظُومِي وَمَنثوري وإن لَم يَكن لِلعِلمِ والتَقوَى خَدينَا [3] .

إجازته للشيخ حنيف الدين :هو الإمام الشيخ حنيف الدين بن عبد الرحمان بن عيسى بن مرشد، خطيب الحرم المكي، عالم الحجاز ومفتيها، تضلع في العلوم إلى أن وصل إلى مرتبة خطيب بالمسجد الحرام، ورِث العلم عن والده ابن عيسى الفقيه وخطيب المسجد الحرام على المذهب الشافعي، وقد قرأ على الإمام المقري موطأ الإمام مالك بن أنس والصحيحين البخاري ومسلم والكتب الستة وقد أجازه في كل ما علّمه وتعلّمه سمعا ورواية، وقد ذكره المقري في قصيدة نذكر بعض الأبيات :

---

[1]- المقري، رحلة المقري...، تح : محمد بن معمر ،ص.90.

[2]-من كبار علماء مصر، ولد عام 1014هـ، توفي عام 1084هـ، متضلع في العلوم، عارف بالأنساب والأصول، أخذ العلم على كثير من علماء مصر حتى اصبح منهم، أجازه الامام المقري، للمزيد ينظر: المحبي، ج1، المصدر السابق، ص 176.

[3]-نفسه،ص.82،83.

أَحمَدُ مِن أُولى الهُدى حَنيفاَ وَأُسنِدَ العِلمُ لَهُ مُنيبَا

الأوحَدُ الفَردُ حَنيفَ الدِينَ دَامَ مُعززًا بِكُلِ حِين

نَجلُ الإمَامُ عَابِدُ الرَحمَـــــــن مُفتِي الوَرَى فِي مَذهَب النُعمَان

خَطيبُ سَرحِ البَلَد الحَرَام لَازال بَالغًا قَصرَ المَرَامِ

وَقَد رَوَى عَنِي مُوطَأ مَالك إمَامُنَا مُنيرَ كُلَ حَالِكَ

مَعَ الصَحِيحَينِ اللَذاَن حَازَا سَبِقَ العُلاَ رَاوِيَهُمَا وفَازَا

وَسَائرَ السّتَةِ لَمَا قَرَءا عَلَيّ بَعضَهَا بِوفقِ مَا رَءَا

وَقَد أَجزتُهُ بِهِ مَعَ كُلِ مَا قَد صَحّ عَني بِقُصُوري مُعَلِمَا[1].

إجازته للشيخ محمود بن أحمد العمادي الخليلي: أجاز الإمام المقري الشيخ العلامة محمود ابن العالم والفقيه أحمد العمادي الخليلي، وقد التقى به بالقدس، طلب من الرحالة الإجازة، فاعتذر على ذلك أنه ليس أهلا أن يجيزه وكيف أن أُجيزك؟ وهذا لعِلم الإمام المقري بمكانة وعلم الشيخ العمادي، تواضعا منه وتأدبا ،إلا أن أصرّ عليه فقَبل أن يجيزه قائلا:

أَجَازَكَ العَبدُ يَا مَن هُو مَحمُود جَميعَ مَا قَد رَوَاه وهو مَعدُود

وَكُل نَظم أو نَثر قَد تُكَلِفهُ كَذلكَ مَاهُو بالتأليف مَقصُود

فِي الفِقه والنّحو والتاَريخ قَد تَمت فِي عِلم الحَديثِ وَشَرطُ الكُلُ مَوجوُد

إجَازَة أَطلَقَت فَلتَرو جُملَتَهَا فِي كُلُ ماَ صحّ وَالتَفصيلُ مَفقود

فقد أجازه الشيخ المقري كما يذكر في عدة علوم منها الفقه وعلم الحديث وقد أضاف عليه علم التاريخ وفي اللغة النحو، وقد طلب منه الشيخ أن يدعو له بالقبول وأن يرفع عن قلبه حجابه[2].

إجازة الشيخ محمد بن نور الدين الرشيدي: وقد أجازه مرّتين على شكل قصيدة، فذكره في البيت الأول في قصيدة بها اثنتا عشر بيتا وفي قصيدة أخرى بها ثلاثة أبيات، وقد أجازه في كل العلوم التي تمكن منها المقري قائلا:

أجزت الرّشيدِي الذِي بَهُرَت خِلَاله الأوحَدُ الدَاركُةُ الفَهم

مَا أَخَذتُ عَن شُيُوخي مِن كُل العُلُوم التي تُروى وتُغتُنُم

---

[1]- المقري، رحلة المقري...، تح : محمد بن معمر ،ص.81،82.

[2]- نفسه،ص.71.

وَمَا كَتَبتُ مِنَ الأوضَاع مِن عُمري نظمًا ونَثراً وبَحر العَجزِ يَلتَطِمُ[1]

وفي قصيدة أخرى ذكر اجازته

أجَزتُ الوَحيدَ اللُوذعِي مُحَمَداَ أَجلٌ فَقيه يَنتَمي لرَشيد

جَمِيعُ الذِي أَرويه عَمن لَقَيت مِن شُيُوخ بَنُوللعِلمِ مِن كُل مشّيد

وَذاَكَ ابن نُور الدّينِ لَازاَل في الوَرَى يَؤُمُ بِنَثر يَرتَضي وَنَشِيدُ[2]

إجازة الشيخ الرجراجي: محمد بن عبد الواحد بن أبي عبد الرحمان الرجراجي المراكشي، من عائلة العلماء ورثوا العلم أبًا عن جدٍّ، التقى المقري بوالده الفقيه وعمه أيضا بالمغرب الأقصى، وكان عنه قاضيا أيام المنصور السعدي ولهذا توطدت العلاقة فيم بينهما، وطلب الإجازة فأجازه الرحالة قائلا:

يَا نُخبَة الفقَهاء والفُضَلاَ وَنَتيجَة الأعلاَم والكِبَراء

وَهُو الوَسيلَةُ لِي المُعُظّمُ قَدرُهَا إنسَانُ عَينُ السّادة العُلَماَءُ

هَذَا مُحبُكُم العفيف ببَابِكُم إذ أنتَ حَقًا مَلجئ الضُعَفَاء

وبعد هذه الأبيات كتب نثرا يطلب فيها الإجازة، فأجازه الشيخ بما تعلّم من علوم[3].

إجازته للشيخ تاج العارفين العثماني التونسي [4]:تعد من أهم الإجازات التي قدّمها الإمام المقري إن صحّ القول لطلبته ،فالشيخ تاج العارفين اسمه يفي بالغرض، فلما أجازه المقري كتب فيه قصيدة طويلة يثني عليه ويتواضع لنفسه من جهة أخرى، لقيمة ووزنه العلمي ولرصيده الديني ولسمعته في البلاد المغاربية عامة، فكانت الإجازة عام 1028 بمدينة سوسة[5]،فقال عنها المقري في قصيدة بلغت ثلاثة وأربعين بيتا منها:

أَرَقَت لِبَرق شَمتِ مِن جَانِب الخَضراَ أضَاءَ فأَذكَى الشوقَ في كَبَدي جَمراَ

وَلَم أنسَ تَاجَ العَارفينَ وَلَيلَةً بِمَغنَاهُ رَاقَت منظَرا وَذَكَت نَشراً

وَلَستُ بأهل أن أُجَازَ فَكَيفَ أَن أَجيزَ فَكَانَ العَجزُ عَن ذَاكَ بي أَجرَى

---

[1]– عماري فضيلة، في مشروع الخطاب القديم في الجزائر في عنوان فن الاجازة عند أحمد المقري التلمساني، مذكرة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية، جامعة وهران،2009-2010،ص.1، القصيدة الكاملة ينظر إلى احمد المقري، الرحلة، المصدر السابق،ص.152.

[2]– المقري، الرحلة ، المصدر السابق،ص.149.

[3]– نفسه،ص.124.

[4]– **الشيخ تاج الدين العارفين العثماني التونسي:** هو أبو عبد الله محمد تاج الدين ابن أبي بكر العثماني التونسي، تفقه في العلوم، أجازه الكثير من كبار العلماء، تقلد عدة مناصب منها إمامة جامع الزيتونة، وهومن عائلة ورثت العلم والخطابة والإمامة، وبقي منصب الخطابة في جامع الزيتونة منحصرا على نفسه وبينيه لمدة مائة وثلاثة سبعين سنة لعلمهم الفياض ، للمزيد ينظر: محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، المرجع السابق،ص.293.

[5]–عماري فضيلة ، المرجع السابق، ص.12.

وَلَوَلا رجَاني منه نفع دعَائه لَماَ كَتَبتَ يُمنَايا مِن طَرسهِ سَطراً

أجزتُكَ تاَج العاَرفينَ جَميعَ مَا رَوَيتُ عَن أعلامِ الهُدىَ قلاً أوكَثراً[1]

إجازته للشيخ يحي المحاسني :أخذ العلم على عدة شيوخ، لازم الإمام المقري أثناء إقامته بالشام، وقد طلب الإجازة من الشيخ فأجازه عام 1037هـ،بقصيدة مطولة منها:

ابنُ المَحَاسن الذِي قَد طابَقاَ منهُ مُسَمَى الاسمِ إذ تسَابَقَا

اللُوذعِي الألمَعي يَحيَ لَازَال رَسمَ المَجد مِنهُ يَحياَ

وَبَعدَ ذَلكَ استَمطرَ الاجَازة مِن نُوء وَعدي واقتضَى انتجازه

فَلَم أَجد بُدًا مِنَ الاجَابَة مَعَ أَنَني لَستُ بذي النَجاَيه

فَليَروِعَني كُلُ مَا يَصحُ لِي بِشرطِهِ الذي يُزَيّن كَالحُلي

في عَام ألف وثلاثين خلت من هجرة الهَادي وسَبعة تَلت[2] .

إجازة الشيخ عبد الرحمان العمادي[3]: أخذ العلم على عدة شيوخ منهم الإمام المقري ،وطلب منه أن يجيزه وأبناءه الثلاثة في علومه التي تضلّع فيها، وقد أجازهم وذكرهم في قصيدة مطوّلة نأخذ بعضا من أبياتها التي تثبت أنه أجازه وفي أي علوم تم إجازتهم:

مُفتِي الوَرَى فِي مَذهَب النُعمَان بِهَا الوَجيهُ عَابدُ الرحمَان

أَن يَأخذوا بَعضَ الفنُون عنّي بمَا اقتَضَاهُ مِنِي حُسن الظن

مَعَ أنني والله لَستُ أَهلَا لذَاك، والتّصدير ليس سهلا

وَكَانَ من جُملتهم أبنَاؤُهُ عماد دينٍ قَد عَلاَ بِنَاؤه

وَصنوُه الشهاب مَن تَوَقدا فهمًا وابراهيم سبّاق المَدى

وهوالذي قَد ابتَغَى الإجَازةَ لَهُم بِوَعد طَالبه انجَازَه

فَلقَد أجزتُهُم بِمَا رَوَيته طُراً أَوما ارتجَلتُ أَورَويتُه

---

[1]- المقري، الرحلة، المصدر السابق،ص.154،153.

[2]-المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج2، المصدر السابق،ص.432،431،430، ينظر كذلك:
المقري،رحلةالمقري،ص.164،163 وهي نفس الإجازة التي ذكرها في نفح الطيب.

[3]-عبد الرحمان بن محمد عماد الدين بن محمد بن محمد بن محمد بن عماد الدين العمادي الحنفي الدمشقي ،من أسرة العلم والدين ، توارثته ابا عن جد، تقلدوا مناصب الفتوى والخطابة والإمامة، للمزيد ،ينظر :المحبي، خلاصة الاثر، ج2،ص.381.

وقد أجازهم عام 1037هـ وقد خطها المقري بيدها[1]، وذكرها في مصنفيه الرحلة و"نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب".

إجازته لأحمد بن شاهين: قد مرّ التعريف به، يعد من أهم التلاميذ الأكثر تعلقا به، فنجد الكثير من المراسلات التي خصت به مع شيخه المقري، وأثناء دخوله الشام أول من هيّأ له مقر الإقامة والاستضافة كان تلميذه أحمد بن شاهين ، هذا الأخير الذي خدم شيخه وسمى نفسه بالعبد المطيع لسيده وشيخه، فكثرت المراسلات فيم بينهم وتأسّف لفراقه للشام وطالب شيخه البقاء بدمشق على أنّ ألم الشوق ازداد بعد رحيله، وما يهمنا فيها إجازاته العلمية التي أخذها من الإمام المقري ،وقد نصّ عليها كتُب المقري بعد أن قرأ عليه عقيدته المسماة" إضاءة الدّجنة في عقائد أهل السنّة" قائلا في قصيدة طويلة أخذنا منها بعض الأبيات الدالة على ذلك:

أَحمَدُ مَن أَطارَ فِي جَو العُلاَ صيتَ ابنَ شَاهينَ الذي زَانَ الحُلَى

العَالم الصَدر الأجّل المولىَ مَن وَضَفهُ المـَمدوح يُعَيي القَولاَ

وَهُو ابن شَاهين ومَا أدراكَ من بّذ جنس العرب والاتراكا

وَرَامَ مَن مثلي بِحُسن الظّن إجازة فيماَ رَواَهُ عَني

وَقَد أجزتُهُ بِكُلِ مَالِي يَصُحُ مِن ذَاكَ بِلا احتِمَال

أجازه الإمام المقري في كل العلوم التي أُجيز منها، وكانت إجازة ابن الشاهين من عام 1037هـ[2] .

إجازته للزاهد عبد المنعم: أجاز الإمام المقري أحد الزهّاد وقد ذكرنا اسمه عبد المنعم قائلا:

أَجزتُكَ عبد المُنعم الزّاهد الرّضيّ جَميعَ رِوَايَاتي إجاَزة إطلاَق

وَكُل الذِي أَرويه عَمَن لَقيتُه مِن أَشيَاخ غَرب ذِكرُهُم في الورَى باق

وَلَستُ بأهل أن أُجازَ فكيف أن أُجيزَ وفكرِي لَيسَ في العِلمِ بالرّاق

لم يكتف المقري بذكر أسماء طلبته أو الذين أجازهم ،فذكر في قصيدة أخرى أنه أجاز العديد من طلاب العلم ومن الذين يقصدون عِلمه، فقدّم لهم الإجازات ولم يذكر أسمائهم أو صفاتهم[3]، فالمقري ليس حريصا على الإجازات حتى إجازاته الشخصية التي تحصل عليها وهو في مرحلة التحصيل لم يكن يتنقل من أجلها فكما

---

[1]-المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2، المصدر السابق،ص.428،427،426، وينظر أيضا: المقري، رحلة..، المصدر السابق، ص.164،165.

[2]- المقري، نفح الطيب، نفسه،ص.245. وهي نفس الإجازة التي أوردها في كتابه الرحلة ،ص.167.

[3]- المقري، الرحلة، ص.175.

ذكرنا عديد المرات يطلب الإجازة في آخر يوم من إكماله للدراسة ويأخذها شفاهية لفظا من شيخه فهذا يكفيه، فالغرض لديه هو العلم وليس تحصيل وجمع الإجازات فقط.

إجازة أبي القاسم المسراتي[1]:أجازه المقري وهو في القيروان قائلا:

أقول وحمدُ لله قَدَمتُه رَعيَا لمَا جَاء فيهِ قد اجزت بلا .....

أبا القَاسم نجل الجَمال الذي سمت بأَرجَاء قطر القيرِوَان بِه لَقيَا

جَميعَ الذي ارويه عَمَن لَقَيتُه مِنَ العُلَمَاء العَارفينَ ذَوي العُليَا

وَكُلُ تَصانيفِي وَنَثرِي وإن هِيَ وَنظمِي وإن حَازَ الفهَامَة وَالعُلياَ

وَقَد خطّ هذَا أَحمَدُ بنُ مُحمّد هُو المقري زَكّى الاله لَهُ سَعيَا[2]

إجازة محمد بن يوسف الكريمي[3]: خاطب الإمام المقري بقصيدة، يذكره فيها بخصائله ومآثره وقيمته العلمية والدينية وشمس الغرب سطا على الشرق، وسعد بقدومه إلى الشام، وطلب منه الإجازة ، فردّ عليه الشيخ بقصيدة مماثلة وأجازه فيها قائلا:

إنّ مَولاَنَا الشّهير السّامِي الماجِد المولَى نبيه الشّام

سَالكَ نهج السّنة القويم محمد بن يُوسَف الكَريمي

يَسأَل من مثلي بهَا الإجَازة بشرطهَا عند الذي أجاَزه

مُستَمسكاً بعُروة الصّواب وَلَم أجد بُدا مِنَ الجَواب[4]

إجازة الشيخ محمد بن يوسف التاملي المراكشي[5]: أحد الفقهاء المغاربة، جال وصال بين حاضرتي مراكش وفاس طالبا ومُدرسا للعلم، راسل الإمام المقري طالبا منه الإجازة بمدينة فاس بمقر إقامة الإمام فكتب له قصيدة وهذه بعض الأبيات منها قائلا:

---

[1]هو أبو القاسم محمد بن جمال الدين بن خلف المسراتي القيرواني، توفي بمصر عام 1065هـ، وقيل أنه حجّ سبعة مرات.

[2]– المقري، رحلة المقري، المصدر السابق،ص.176.

[3]– محمد بن يوسف بن يوسف الكريمي الدمشقي، أديب الزمّان، تضلع في علوم اللغة والشعر، أخذ عل عدة علماء منهم الامام المقري، الشيخ عبد الرحمان العمادي، وآخرين، ناظر العديد من الشعراء لتضلعه في الشعر ، اهتم بالموسيقى واللغة فتعلم اللغة الفارسية والتركية، وانتقل في عديد أرجاء المعمورة، درس بالمدرسة العزية بالشرف الأعلى رفقة والده، قم انتقل إلى الروم فكلف بمهمة قائد الركب وبقي مترددا بين الشام والروم وتقلد عدة مناصب، عرف بذكائه الداهي، المحبي ، خلاصة الأثر، ج4،ص.273،274.

[4]–المقري، نفح الطيب، ج2،ص.436،437.

[5]–محمد بن يوسف المراكشي التادلي المالكي، هو أحد الفقهاء المغاربة، له باع في الأدب والبلاغة ،فاصبح عرّاب البلاغة ،درس بمراكش وفاس، أجازه العديد من علماء عصره، وأجازه الامام المقري، لم تذكر المصادر التاريخية سنة وفاته ،إلا أنّ صاحب الأثر رجّح الأمر أنه من رجال هذه المائة اي فيما بين 1000و1100هـ، وأجازه الامام المقري أيضا بفاس عام 1026هـ.، ينظر المحبي، خلاصة الأثر، ج4،ص.271،272.

أَموقِظُ جَفَنَ العِلمِ مِن بَعدمَا أَغفَى وَبَاسَط كَفَ البذل من بَعدِمَا كَفَا

وَيَرغَبُ مِنكُم إجازتَكُم لَهُ بِمَرويُكُم عَسَى تَكُونَ لَهُ زَلفَى

فأجابه الإمام المقري بقصيدة طويلة وهذه بعض من أبياتها الدالة على ذلك قائلا:

وَلَستُ بِأهل أن أَجَازَ فَكَيفَ أَن أَجيزَ وَلَكنَ الحَقَائقَ قَد تَخفَى

وَلَولاَ رجاء مِنكُم صَالِحَ الدّعَاء لمـَا سَطَرَت يُمنَايَ فِي مِثلِ ذَا حَرفَا

وَهَا أنَا ذَا أشهدَتُ أنِي أَجزتُكُم عَلَى السُنَن المَعلُومِ والمقَصد الأوفَى

ففي هذه الأبيات يقِرّ الإمام المقري أن حقا أجاز الطالب في كل ما أُجيز به شيخه من كتاب الإمام موطأ والصحيحين البخاري ومسلم والكتب الستة وكل ما رواه المقري عن شيوخه الأوائل[1].

هذه عن أهم الإجازات التي أوردها المقري في كتابيه الرحلة إلى المغرب والمشرق وكتابه الثاني نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، فالمقري أجاز العديد من العلماء والطلبة بالمشرق والمغرب، وحاز على أرقى المناصب أينما، فليس بالجديد أو الغريب عن إمام جلسته العلمية يحضرها الداني والقاصر، البعيد والقريب وما في أنفسهم غاية سوى النهل من علم المقري، فقصده الطلبة طالبين علمه وإجازاته، فعلمهم وأجازهم.

فقيمة هذه الإجازات التي أجاز بها العلماء وجلّهم من طلب منه الإجازة ، لم يكونوا في مستوى الطلبة بل كانوا علماء وفقهاء وخطباء ما جعل المقري يستحي أن يجيزهم ويرى أنها مهانة لأنفسهم وقلة احترام لنفسه، فكيف له أن يجازي علماء العصر فهذا ما يثبت حقا كفاءة المقري وأحقيته في تولي المناصب التي تولاها، فهذه الإجازات التي ذكرنا بعض منها وجدناها ترفع من قيمة الإمام المقري.

1-10- تصانيفه ومؤلفاته:

قيمة الإمام المقري لا تُختزل في مؤلفاته فقط، بل إلى الآلاف من العلماء الذين تخرجوا على يده فهم مصنفاته أيضا، فالصوفية يرَون أن ينشأ الطالب أو المريد وتلقينه أحسن العلوم يُعد تأليفا أهم من تأليف كتاب، فالأول يمتد ويتكاثر بترقي الطالب إلى مصف العالم ،فهذا ما جعلهم يهتمون بالتدريس ويتفرغون للتأليف، فلا عيب إن لم يكن للعالم مؤلفات ،إلا أنّ الإمام المقري قد جمع بينهما وكم يصعب الجمع بين متناقضين لضيق الوقت والرغبة للتفرغ ،فقد ترك المقري خزانة من المصنفات تعَد من ذخائره ،منها ما دونها بفاس ومراكش ،مصر، الحجاز والشام فهومن الكُتاب الذين ألفّوا فأجادوا وصنّفوا فأفادوا وهي:

[1]- المقري، رحلة المقري، المصدر السابق،ص.192،193.

-روضة الآس، العاطرة الأنفاس، في ذِكر من لقيتهم من أعلام الحضرتين: مراكش وفاس ،ألفه ما بين عام1011-1013هـ.

-أزهار الرياض في أخبار عيّاض، ألّفه ما بين عام 1013-1027

-نفحات العنبري في وصف نعال خير البرية، ألفه عام 1030هـ بالقاهرة.

-فتح المتعال في وصف النعال، ألفه عام 1033هـ بالمدينة المنورة وأتمه في مدة 15يوم.

-خلاصة فتح المتعال والنفحات العنبرية، ألّفه عام 1033هـ بالمدينة المنورة.

-أزهار الكمامة في أخبار العمامة، ونبذة من ملابس المخصوص بالإسراء والإمامة ،ألّفه عام 1033هـ بالمدينة المنورة.

-زبدة أزهار الكُمامة ،وهو خلاصة كتابة أزهار الكمامة في أخبار العمامة ،ونبذة من ملابس المخصوص بالإسراء والإمامة .

-إضاءة الدّجنة في عقائد أهل السّنة، ألّفه عام 1036هـ بالقاهرة.

-إتحاف المغرم المغزى، بتكميل شرح الصغرى ،ألّفه عام 1028هـ بالإسكندرية مدة 10 أيام.

-إعمال الذهن والفكر في المسائل المتنوعة الأجناس، الواردة من سيدي محمد ابن أبي بكر بركة الزّمان وبقية النّاس.

-أسئلة وأجوبة شريفة، حوت رقائق لطيفة ودقائق منيفة.

-حاشية على شرح أم البراهين للسنوسي.

-كتاب إعراب القرآن .

-حسن الثنى في العفو عمن جنى.

-القواعد السّرية في حلّ مشكلات الشجرة النعمانية.

-المقرية، قصيدة طويلة جدا بها حوالي 100 بيت وهي ميمة، ألّفَها 1038هـ.

-رفع الغلط عن المخمس الخالي الوسط،

-نيل المرام المغتبط لطلب المخمس الخالي الوسط(منظومة)

-تاريخ الأندلس.

-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب.

-كتاب الرّحلة إلى المغرب والمشرق ، هذه المخطوطة مبتورة العنوان، فالعنوان من وضع صاحب الفهرسة.

-المفقودة منها[1]:

-قطف المهتصر من أفنان المختصر ، وهو شرح لمختصر خليل.

-البداية والنشأة.

-الدرّ الثمين في أسماء الهادي الأمين.

-الغث والسمين، والرث والثمين.

-شرح مقدمة ابن خلدون.

-اتحاف أهل السيادة بضوابط حروف الزيادة.

-أنواء نيسان في أنباء تلمسان.

-الجنابد.

-كتاب الأصفياء.

-كتاب الشفاء في بديع الاكتفاء.

-روضة التعليم في ذكر الصّلاة والتسليم على من خصه الله تعالى بالإسراء والمعاينة والتكليم.

-عرف النشف في أخبار دمشق.

-شرح المقرية.

-النمط الأكمل في ذكر المستقبل.

-نظم في علم الجدول والطلاسم.

-حاشية علي، مختصر خليل في الفقه المالكي.

-كتاب في علم الهيئة.

-أرجوزة في الإمام.

للمقري العديد من المؤلفات ضاعت لم تصلنا ،وهناك مخطوطات أخرى نُسبت إليه هي في الأصل ليست له، ذكر في احدى رسائله مُجيزا احدى طلبته ذاكرا عدد مؤلفاته قائلا:

وَلِي تآليف على العِشر ينَا زادَت ثَمَانيَا حُوت تَعنِينَا

[1]-كل هذه المصنفات مفقودة، لكن مذكورة في عديد كتب التراجم والسير، فقد ذكر منها المقري كثيرا في كتبه التي وصلتنا، وذكر هذه المؤلفات المفقودة حاليا كل من: المحبي في خلاصة الأثر، الغدادي في هدية العارفين، محمد مخلوف في الشجرة الزكية، محمد ظافر الأزهري في اليواقيت الثمينة، اليوسي في المحاضرات، محمد مياره في الدر الثمين والمورد النعيم، الحبيب الجنحاني في المقري صاحب نفح الطيب وغيرهم، للمزيد ينظر: محمد بن عبد الكريم، المقري، المرجع السابق، ص –ص،271-289.

فَلْيَرَوها إن شَا بِلاَ استِثنَاء وَالله أرجُو نَيلَ قَصد نائِي.

وبهذا يكون عام 1038هـ قد ختم المقري حوالي 28 مصنفا له وأصبحت منشورة للعامة، إلا أنه لم يتوقف عن التدوين بعد هذه الفترة.

1-11- تصوف الرحّالة أحمد المقّري:

ارتبطت الرقعة الجغرافية بذهنية الفرد المغاربي ،فإن لم تكن عامة فهي خاصة، فجلّ الرحّالة المغاربة الذين توجّهوا للمشرق الإسلامي لطلب الاستزادة في العلم ونشره امتزجوا بالتصوّف، فالفقيه أو العالم الديني مقترن بالتصوف، فالتصوف محتوى في أنثروبولوجيا الإسلام، فلا يمكن الاستغناء عنه أو بالأحرى لا يمكن الفصل بينهما فهما مترابطان- أقصد التصوف السني- الذي سلك طريقه جلّ العلماء والفقهاء في مغارب الأرض ومشارقها ،فمن تفقّه ولم يتصوّف فقد تزندق ،ومن تصوّف ولم يتفقّه فقد تفسّق، ومن تصوّف ولم يتفقّه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقّق، فالتصوف الحقيقي يقرّبنا ويجعلنا أكثر قربا للإسلام وليس زندقة كما ادّعى أشباه المتصوفة وأعداؤها .فهذا الشيخ الورثيلاني ،والعالم أحمد بن عمار وابن حمادوش وأحمد المقري، وإن اختلفت درجات التأثّر والتمسّك بالتصوّف.

هل أحمد المقري ارتبط بالتصوّف؟ المتصوف العالم أحمد المقري، هل كان صوفيّا؟

قبل الإجابة على السؤال، يتضح لنا من خلال شخصيته وأخلاقه وتنشئته الاجتماعية والدينية، فالمقري ابن أسرة عريقة ، فجده الأكبر هو الشيخ عبد الرحمان المقري خادما ومريدا للغوث أبي مدين التلمساني ببجاية قبل أن ينتقل آل مقري إلى تلمسان، فخدم القطب بمدينة بجاية أين تولّى التدريس هناك ، وامتدّت سلسلة العلم والتصوّف إلى فخر العائلة وقطب أقطابها وعالم زمانه الإمام العالم عبد الله محمد المقري الكبير جدّ الرّحالة، فقد أخذ العلوم على كبار المتصوفة المغاربة منهم أبو عثمان سعيد الخياط، أبو محمد عبد الله المجاصي، وقد التزم جده بمبادئ التصوف بعد أن أخذ أورادها وقواعدها ،وتدرج في رتبها إلى أن تمرس عليها وأصبح أهلا لها، فألبسه شيخه الخرقة على يد الشيخ المتصوف أبي عبد الله محمد بن مرزوق العجيسي، ولم تنتهي عائلته عند جده الأكبر فقط واقترانها بمسألة التصوّف ولبس الخرقة، فعمّه الذي دَرّسه وعَلّمه وكان قدوته في الحياة ولا يستشير غيره في مسائل العلم إلا عمّه سعيد المقري، هذا الأخير مفتي تلمسان أخذ العلم والتصوف على كبار المتصوف وأخذ الخرقة الصوفية على يد شيخه العلامة حاجي الوهراني.

فالإمام المقري أخذ مبادئ التصوف على يد عمّه سواء بطريقة مباشرة أو غيرها، فألهَم من أدب وخلق المتصوفة بل ودعا إليها وحتى مظاهر ثقافة المقري تظهر ذلك التعلق بالتصوف، ففي حاضرة مراكش، مقرّ دراسته تدرّج

على عديد العلماء وأخذ منهم الخرقة الصّوفية من شيخه أبو العباس أحمد بن أبي القاسم التادلي الذي أجازه في مختلف العلوم التي قرأها عليه، والشيخ من كبار الصوفية ومؤلفاته تفي بالغرض ،فقبل مغادرة المقري لمراكش وأثناء إجازته له صافحه وشابكه كما صافح وشابك مع الشيخ الخروبي وأَذِن له بلبس الخرقة الصّوفية عن طريق سيدي عبد القادر وسيدي أبي الحسن الشاذلي وسيدي أبي مدين شعيب الغوث التلمساني ،وكتب له ذلك بخط يده يوم السبت الخامس عشر من ربيع الثاني من عام 1010هـ[1].

فالإمام المقّري عُرف بزيارته للعلماء المتصوفة الأحياء وحتى الأموات، فكان كثير التردّد على أضرحتهم ويستشعر علمهم ففي دخوله دمشق زار ضريح العالم والشيخ الأكبر ،شيخ المتصوفة ابن عربي أحمد المقري أنه ذات يوم خرج خارج المدينة لزيارة قبر مُحي الدين ابن عربي، فقال فكان خروجنا بعد صلاة الصبح ووصلنا إلى المزار عند طلوع الشمس ،فلما جلسنا عنده قال لي الشيخ المقري: إني ابتدأت عند خروجنا إلى الزيارة ختمت من القرآن لروح هذا الشيخ وقد ختمتها الآن." وهذا الأمر ليس بالغريب على العلماء، فالعديد منهم يتم ختمة القرآن في سويعات ،فالإمام المقري كثير التردد على الصالحين والتعلق بهم ورسائله وزيارته تدل على ذلك[2] ، ونجده زار العديد من أضرحة الأولياء بالمغرب منه ضريح أبي العباس أحمد بن عاشر دفين سلا بالرباط والشيخ أبي العبّاس أحمد بن جعفر السبتي دفين مراكش[3].

لم يذكر الرحالة انتمائه لأي طريقة صوفية بصريح العبارة، لكن المتمعِّن في شخصيته وثقافته الدينية يُدرك أتمّ الإدراك أنه على الطريقة الشاذلية ،فأخذ العلم من الزاوية الدلائية وأخذ الخرقة من شيخه أبي العباس التادلي بمراكش ،وكان زواجه بمصر من عائلة الوفائيين ،ومصر كما هي معروفة بها أكابر شيوخ الطريقة الشاذلية وجموع غفيرة تتبنّاها، وهذه العائلة معروفة أنها من أتباع الطريقة الشاذلية ،فالمغرب بلاد الأولياء ،فانتشرت الطرق الصوفية وانتشر الزهّاد والمتصوفة بكثرة، ما جعل عامة النّاس وخاصتهم ينتسبون للتصوف ومنهم عائلة المقري أيضا.

راسل المقري شيخه صاحب الزاوية الدلائية بالمغرب الأقصى عديد المرات بينه وبين شيخه فيذكر في إحداهن شدة تعلقه بالزاوية وبشيخها وبأولاد الشيخ ،متشوّقا للتبرّك بالشيخ لما آله من الغربة والشوق إلى مراكش وشيخها، فهو خديم آل الله والأولياء البررة أمثالكم، ومن كرامات شيخه(شيخ الزاوية الدلائية) عن كلام

---

[1]- المقري، روضة الآس، المصدر السابق،ص.302.

[2]- محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب ،ج3، دار الغرب الاسلامي،لبنان،1996،ص.1304.

[3]- محمد بن عبد الكريم، المقري، المرجع السابق،ص.198.

المقري" أني كتبت له بعض المكاتيب وهو يبني قنطرة وادي أم ربيع وبحضرته آلاف من الناس وتلك القنطرة يعجز عن بنيانها أكابر الملوك، وكم بنى مثلها بل بنى مدينة الدّلاَ وهَي من أكبر المدن، فحين جاء الرجل بكتابي قال له قبل أخذه منه: هذا كتاب المفتي ومفتي المغرب، فقال :يا سيدي بل صاحب هذا الكتاب ليس بمفت وإنما مفتي المغرب غيره، فقال: لا، بل صاحب هذا الكتاب هو مفتي المغرب، فقضى الله أن توفي مفتي المغرب تلك الأيام وتوليت مكانه بعد قول الشيخ ذلك الكلام بقريب والله الموفق[1]".

1-12- مكانة المقّري :

حُظي الإمام المقري بمكانة جد رفيعة أينما حلّ ،فمنذ أن كان بتلمسان قبل أن يرتحل إلى فاس، ذاع صيته بحكم أن شيخه قاضي ومفتي تلمسان عمّه سعيد المقري، وكان يراسله العلماء من فاس طالبين منه فكّ مسائلهم وألغازهم، فذكر حادثة وقعت له بتلمسان مع شيخه الوجدي الذي راسله لمنزلته التي عُرف بها بأواسط تلمسان، وكعادة العلماء والصوفية يتشوّق إليهم أهل البلد ويطلبون منهم البقاء تبرّكا بهم ورغبة في تعليم أهل البلد أصول الدّين وتثبيتهم على الحقّ، فالمقري لا يكاد ينفث يغادرا موطنا حتى يترك قصائد الشوق والحنين إلى البلد. ويتكرّر المشهد نفسه عند العودة بالاستقبال والفرح وإقامة أفراح بعودته، فأثناء عودة الإمام المقري استُقبل بأعيانها وعلمائها تقديرا لتاريخ وشخصية الرّحّالة، فهو يتشوّق إلي أهلها ومدارسها ومجالسها فقال عنها:

حَيَا تِلمسَان الحَيا فَربوُعِهَا صَدَفٌ يَجُود بدُرّة المِكنُون.

مَا شئت من فضل عَميمٍ إن سقَى أَروَى ومَن ليسَ بالمنُونِ[2]

فكان مُكرَّما معزَّزا فعند زيارة العلماء والفقهاء إلى تلمسان ،يُستدعى بل هومن يُكرم بهم ويستقبل الأعيان والعلماء ، مثلما حدث بتلمسان بعدما زارهم الفقيه سيدي علي بن محمد بن علي أبهلول ، تمّ استدعاء الأعيان وفضلاء القوم وعلماء تلمسان ، لاستقبال الفقيه وأخذه إلى زيارة مدرسة أولاد الإمام والاطّلاع على خزاناتها ومخطوطاتها ومشاهدة آثارها ورسومها .وكان الإمام المقري على رأس الوفد المستقبل للفقيه ولا يُستدعى في مثل هذه الزيارات إلى الأجلاء والفضلاء والإمام المقري أولى بها[3].

فعلماء الجزائر عامة شهدوا له بنبوغه وعرضوا عليه البقاء في مدينة الجزائر ، لتقديم دروس النحو واللغة عام 1027هـ،بها إلا أن عزمه على السفر جعله يتراجع عن ذلك وكان منهم العالم ومفتي الحنفية الخطيب محمود بن

[1]- المقري، الرحلة، تح :محمد بن معمر ، المصدر السابق،ص.61.

[2]- المقري، أزهار الرياض، ج1، المصدر السابق،ص.7.

[3]- المقري، الرحلة، تح :محمد بن معمر ، المصدر السابق،ص140.

حسين قرمان الشهير[1].

من علماء الجزائر عبد الكريم الفكون الذي راسله وهو بالمشرق فقد أثنى عليه كثيرا ومدحه نثرا وشعرا ، من بين ما قاله عن الإمام المقّري شعرا:

يَا نُخبةَ الدّهر فِي الدراية عِلمُ تُعاضده الرواية

لازلت بحراً في كلّ فنّ يَروي به الطَالبونَ غاية

لَقَد تصدرتَ في المعَالي كَمَا تَعَاليتَ في العنَاية

أُعجوبة مَالهَا نظيرُ في الحفظ والفهم والهداية

يَا أحمد المقريُ دامَت بُشرأُك تَصحبهَا الرعايَةُ[2]

ففي المغرب لا يقلّ مكانة بل أرفع مكانة من قبل، لما عُرف عنه وتقرّب أهل البلاط لديه وأصبح من أهل الملك وأصبح يطلق عليه بمفتي الغرب وعالم الغرب ، فتعدّت مكانته اهتمام العلماء والفقهاء به إلى اهتمام أهل الحكم والسياسية فعند مغادرته المغرب إلى المشرق ،راسل ملك المغرب سلطان مكة وأمير الحجاز برسالة يُذكر بها أهل القوم بمكانة المقري وعلمه والعمل على تهيئة أحسن الظروف له للإقامة فقال" بسم الله الرحمان الرحيم، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله، من عبد الله تعالى الإمام أبي محمد عبد الله الغالب بالله أمير المؤمنين....إلى...السيد حسن العلوي الهاشمي...المحدث النحوي، الباني، الأصولي الكلامي، التاريخي، الأدبي، الإخباري، الحجة أبو العبّاس أحمد ابن الشيخ المرفوع الرأس أبي عبد الله المقري، ابن ساداتنا المقربين بين علماء الإسلام...فإذا وصل جنابكم الرفيع، يؤمل عاطفه القبول وحسن الصنيع، فاعمروا خزائن علومكم بجواهر كلماته المنضدة، وأنشروا على عساكركم ألوية طروسه المعقودة على جنود أسطره المجندة وليس على مزيد التبيان وما يغني الخبر عن العيان[3]"،فجل حاضرتي فاس ومراكش أثنوا على علم ومكانة الإمام المقري، وحتى بعد مغادرته المغرب إلى المشرق ظلّ التواصل بينهم قائما والمراسلات المتبادلة بينهما تظهر ذلك، فعديد العلماء المغاربة طلبوا منه الإجازة العلمية وذكروا في رسائلهم قيمته ومكانته العلمية[4].

---

[1]-نفسه،ص.72.

[2]- المقري، نفح الطيب، ج2،ص.482.481.

[3]- نفسه،ص.54،53، الرسالة طويلة جدا وقد نشرها المقري في رحلته، فالملك المغربي أثنى كثيرا على الرحالة وأوصى سلطان الحجاز بتقدير مكانة الرحالة وتسهيل عليه الأمور هناك .

[4]- راسله العديد من العلماء المغاربة وهو في المشرق لعلمه، فمنهم أحمد القاضي، الامام أبو الحسن الخزرجي ،وشيخ الطريقة الدلائية مجيزا لأبنائه ، فذكرنا العديد منها في موضوع أحمد المقري مُجيزا ،تفاديا للتكرار.

وَرِدَ على المقري مجموعة من الرسائل من علماء المغرب الأقصى وهو بدمشق، فقال فيها شيخ العلوم الإمام محمد بن يوسف المراكشي التاملي" إلى السيّد الذي وقع عليه محبة الاتّفاق، وطلعت شموس معارفه في غاية الإشراق، وصار له ميدان الكمال في حسن الاستباق، الصدر الكامل العالم العامل، الفقيه الذي يهتدي به الفقهاء بعلمه وعمله، البليغ الذي تقتدي البلغاء ببراعة قلَمه، ناشر ألوية المعارف ومسدي أنواع المعارف، العلاّمة إمام العصر..." وقد جاءته مراسلا كثيرة تشيد به منها الشيخ عبد الواحد الأنصاري[1]...

ونال نفس التقدير في مصر، مكّة، المدينة المنوّرة، القدس ودمشق ،فالمقري مثل الغيث أينما حلّ ،حلّ العلم والخير، فعلماء مصر ترجو بقاءه أثناء قدومه على السّفر إلى الشام ،فعُرف بمناظراته لعلماء الأزهر وقد تغلّب عليهم بالحجة والدليل وقوة الإقناع والحفظ، ما جعلهم يزكونه وأصبح مدرسّا بالإسكندرية وبالقاهرة وحلقاته لا تفرغ من الطلبة أينما حلّ، فقد تقرّب إليه الكبار ما جعل الحسّاد وضعاف القلوب يقسون عليه ويأتمرون عليه مثلما حدث له بفاس وهذا شأن جلّ العلماء ، فنفس الأمر حدث للشيخ الورثيلاني بمصر وتونس وسمّاه بحسد العلماء والعلم ، ما جعل إقامته بين فترة الراحة ولهدوء وفترة التعب والنميمة، فكثيرة الأقاويل والإشاعات ، ما جعلته يتردّد كثيرا على الحجاز والشام وقيل أنه في الأخير آثر الرحيل إلى الشام لولا المنية قد سبقته، فرسائل الطلبة والمجيزين تخبرنا عن مقدار الحب والتقدير الذين أكنّه العلماء وأهل مصر له عامة ،فعِلمه من أوْصَله إلى هذه الدرجات وليس نسبه أوصله أو ماله فمما قيل عنه بمصر:

يَا وارِثَ عِلم الرسوُل لك الفدا ... من السّوء والأعداءِ فِي غَايَة الردا

لَقَد فُقتَ أهل العِلم مِن كُلُ جِهة ... بحل رُمُوز مشكِلاتِ على العِدَا

سلالة مَقَّري فقرت عُيوُنَنَا ... بِرُؤيَتِكُم والعيش صَار مُنضَدَا

فَأظهَرتَ شَرعَ الله بعد خِفائِه ... فَأنتَ الكَريمُ السّر لاَزلتَ مُرشِدَا

فَأَنت الذي جَددتَ للخَلق دينَهم ... وتَاريخَهَم وافى بِسعد مؤبدا[2]

وقال عنه الشيخ أبو الإسعاد يوسف بن وفاء إمام العصر في المغرب والشرق وخطيب جامع الفاضل الأزهر المشرق، أدام الله نفائسه العليّة وجعله ومصنفاته نفعا لسائر البَريّة وزاده منحا وأسرارا ورزقه في هذه الديار المصرية

فعلماء تونس أيضا اثنوا عليه من خلال طلب علمائهم وطلبتهم إجازات من الامام المقري ومنهم الشيخ الأكبر تاج العارفين العثماني التونسي ، للاطلاع على القصيدة، ينظر المقري، الرحلة ،155،154،153.

[1]- المقري، نفح الطيب,,، ج2، المصدر السابق، ص—ص،470- 485.

[2]- المقري، الرحلة، تح :محمد بن معمر ، المصدر السابق، ص 61،62.

قرارا.[1]،وكتب له الشيخ حمّاد وهومن الشيوخ الأجلّاء بمصر قصيدة يُثني عليه قائلا:

يا أَحمَد الأوصَاف يَا كَنزَ الدّرر يَا عَالمَ التَوحيدِ ويارَاويَ الخَبَر

يَا كَوكَبَ الَأنوَار يَا شمس الهُدى يَا بَدرها السّامي ويا نجمُ زهرُ

وَبِدرسُك الجّم الغفيرُ ذُو العُلى شَهِدوا بان لك المقام المستقر

صدر المعارف والعوارف حزتها معنى بلا حس لك المولى نظر[2]

في مكة تولّ الخطابة والتدريس وأثنى عليه علماء الحرم وكان يحضر دروسه علماء الحرم ومفيتها بل أجاز علماء الحرم وأثنى عليه أمير مكة وسلطان الحجاز والذي قال فيه كلام قلّ ما يُقال من سلطان إلى عالم ،فالنّصّ طويل اخترنا بعض العبارات الدالة على مكانة المقري لدى علماء وحكام الحجاز منها "شمائل الشيخ الإمام العلامّة، الحبر الهمّام الفهّامة، صدر المدرسين إمام المحدّثين، مفتي المسلمين، الشائع نبأ فضائله في الأقطار، لساري صبا شمائله في الأمصار، مولانا الشيخ أحمد المقّري، أدام الله مجالس العلم به مشرفة المبادئ، وأقام مدارس الفضل معمورة النادي..[3].

في الشام مقرّ التدريس،أين غصّ به المقام بالطلبة والعلماء والأمراء ،فمكانته ازدادت كثيرا ،بعدما سمعوا عنه من أقاصي المغرب وفي أواسط الحجاز، فدخل من الباب الواسع إلى دمشق. ما ذكره العالم وطلبه أحمد شاهين في كل المراسلات التي تواصل مع شيخه ،ونفس الأمر أثبته الشيخ عبد الرحمان العمادي قائلا:

فَازت دمَشقُ الشّام بالمقَري الألمعي اللّوذعي العبقري

علّامة العصر بِلَا مُفتَرى وَواحد الدهر بِلا مُفتَرى

ويذكره الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الكريم قائلا:

شمسُ المحَاسن شَرقي أو غَربي سَعِدَت مَنَازلِنَا بِشَمس المغربِ

المقري الَعالم النّدب الذي لِسوَى اسمه درجُ الحُجَا لم يَكتُب

علاّمة ملأ البلاد بعلمه وَاَفَاده لَمَشرقٌ ومَغربٌ

بَحر الهُدى والعلم إلا أنه صفو من الأكدار عَذب المشربِ[4]

فمدحه العديد من العلماء وطالبوا منه البقاء بدمشق ، فارتاح لهم وارتاحوا له، إلا أنه لما غادرها تأسف الجميع

---

[1]- أسماء القاسمي ، رسائل المقري، المصدر السابق ، ص.173.

[2]- المقري، الرحلة، تح :محمد بن معمر ، المصدر السابق ،ص،26.

[3]- نفسه،ص.240.

[4]أسماء القاسيمي ، المصدر السابق،ص.178.

لرحيله وبقي في نفسه حب الاستقرار بدمشق إلّا أنّ القدَر سبَق مشيئته.

1-13- رحلاته: تعددت رحلات المقري بين الغرب والشرق ، فامتدت من تلمسان بالجزائر إلى المغربي الأقصى ومنها إلى المشرق الإسلامي مرورا بالجزائر، تونس، مصر، مكة المكرمة، المدينة المنورة، بيت المقدس وسوريا وانتهى القرار به بمصر أين توفي ودُفن فيها. فمسار رحلته طويل، وحقيقة الأمر أن المقري عاش في ترحال مستمر فلم يستقر إطلاقا حتى في مصر. فكان كثير التردّد على الحجاز والشام ومصر، فهذا ما جعله معروفا لدى العامة والخاصة وطلبته منتشرين في كل الأقطار ، ورحلته التي دونها والتي كانت آخر مصنّف دوّنه ذَكر فيه جميع رسائله وإجازاته وشيوخه ولخّص بعض ذكريات من مؤلفاته السابقة، وعلى هذا سنتطرق إلى المحطات التي مرّ بها في رحلاته المختلفة وفي الأخير نتناول رحلته الموسومة "رحلة المقري إلى الغرب والشرق" إن صحّ عنوانها؟. سنقسم مسار رحلته إلى قسمين، القسم الأول برحلات إلى الغرب ونقصد به إلى المغرب الأقصى ،والقسم التاني هوالرحلة إلى الشرق الإسلامي ونقصد به المشرق مصر، الحجاز والشام .

رحلاته إلى الغرب الإسلامي

أ/ رحلته الأولى إلى المغرب الأقصى :

انتقل الرحالة المقري من مدينته تلمسان إلى فاس عام ودخلها عام 1009هـ من شهر صفر، وكان الشيخ عبد الوهاب الحميدي أول من استقبله وسهّل أمور إقامته بمدينة فاس[1]، وإن تعدّدت أسباب رحلته إلى فاس فالغرض يبقى واحد وهو الحصول على العلم والإجازات العلمية فقد دعمّه عمه سعيد المقري الذي درّس بفاس وألهَم من علم تاريخ جدّه المقّري الكبير الذي كان قاضي الجماعة بالحضرة المراكشية،

وهذا ما نجده في رسالة أرسلها عالم فاس أحمد ابن القاضي إلى عمّ المقري قائلا فيه:

أَرسلتَ للغَرب القَصّي بدرّة فقد أبهَرتَ وغَلَت لها الأَسوامُ

جَمَع العلوم على حداثة سنّه قَد بارَكا لله به الأعلام

أكرمُ بِهِم نعَا المعَلامة جَمَعَا لعُلوز كتبِه الأحلاَم

فَجَزيت خَيرا أبا سعيدَ عنِ الوَرى بابن الأخ العلاّمة الصمصام

أدّبته هذّبته علّمته مَا أن يقاَس بعلمِه بَهرامُ[2]

فاهتم أحمد المقري بالعلم وجعله الشّغل الشّاغل، فتردّد على جلّ العلماء والفقهاء والشعراء، جالَسهم، جادَلهم،

[1] - المقري، روضة الاس،ص223.

[2] -محمد بن عبد الكريم،المرجع السابق ،ص.151،152.

ناظَرهم، تعلّم منهم، أخذ العلوم وزار الأضرحة والأولياء ، وتعرّف على تاريخ الأمة الإسلامية ما جعله يهتمّ بالتاريخ، وزار مكان تمدرسِ عمّه وجدِّه وعلماء تلمسان، فالمقري رجلُ علمٍ ودينٍ. فلمْ يرتبط بالسياسية وإن كانت موازية له فآثر الابتعاد عنها والانشغال بالعلم والتدريس، فجعل حواضر العلم فاس بجامع القروين وحاضرة مراكش من أهم الأقطاب التي استقرّ بها كثيرا، فاستلهم العلوم وجلب المخطوطات وأنفاس الكتب ،بقي المقري بها مدة سبعة أشهر كاملة في تحصيل العلم ، ففي قلب المقري رغبة في زيارة مراكش أين يتواجد بها أكابر العلماء والفقهاء ، لتواجد مقرّ الحاضرة المراكشية باعتبار عاصمة السعديين فبها بلاط الملك أحمد المنصور[1]،وتَشاءُ الصُّدف أن يرسِل الملك المنصور أحد قادته لبناء سدّ لفاس، فتوطّدت علاقته مع القائد أبي اسحاق إبراهيم في فاس وكان في مهمَّة بناء "سد بوطوبة" وبها أنشد المقري قصيدة في مدح الملك بطلب من القائد الذي طالب من فقهاء فاس إنشاد قصائد للملك بعد الإنتهاء من السّدّ، فرافق المقري القائد إلى الحاضرة مراكش ومنها أصبح ابراهيم بن محمد الأيسي واسطة بينه وبين الملك[2].

المقري في الحاضرة المراكشية

دخل المقري حاضرة مراكش في شهر رمضان من عام 1009هـ وإن لم يكن مؤَكَّدا، بحكم أنه دخل "المسرة " في هذا التاريخ وقد ذكره دخوله إلى المسرة" ودخوله إلى مراكش في نفس الموضع، فرأى العجب العُجاب من الأشجار، البنايات والصهاريج[3]...فانبهر بما رآه في حاضرة السعديين، فجالس الفقهاء والعلماء، فدخل على الملك أمير المؤمنين، فالتقى بعديد العلماء من مشارق ومغاربها واغتنم فرصة المولد النبوي والذي يحضر فيه علماء الشام والحجاز والمغرب للاحتفال بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم وقد صادفه عام 1010هـ فحضر المجلس مع العلماء وبها توطدت علاقته بعلماء المشرق[4]، فاستحسن المقام في حضرة بلاط الملك لما وجده من متّسع في العيش وغدق من مال وكان يزور الأضرحة والأولياء الصالحين ويتردّد على المكاتب والخزائن لجلب المخطوطات والكتب، وعلى هذا يكون المقري بقي بمراكش من رمضان 1009هـ إلى غاية ربيع الأول 1010هـ الموافق لعام 1601م وشهد كارثة الطاعون وغادرها متوجّها إلى فاس.

المقري بفاس:

دخل المقري مدينة فاس قادما من عاصمة السعدين مراكش، وأوفد أمير المؤمنين إلى ولي عهده المأمون بفاس

---

[1]-نفسه ،ص،143.

[2]-المقري، روضة الآس،ص.23.

[3]-نفسه،ص.24.

[4]للمزيد من عن تفاصيل حول مناسبة المولد النبوي بمراكش، ينظر: المقري، روضة الآس،ص.13-16.

رسالة توصية على المقري فبها زكاه لعلمه وخلقه وذكائه فقال عنه

وافي إليكَ فقيهَهَا وأديبَها وَنَبيهَهَا المعدُود في الأخيَار

المقَري عَلى مَقامَك وافِدًا وَمُؤملاً مَا عَز مِن أوطار

وبفاس لم يمكث طويلا بها بقي بها مدة سبعة أشهر إلى غاية يوم الخميس خمسة عشر من شهر ذي القعدة من عام 1010هـ بعد أن تحصل على إجازة من شيخه القصّار [1] وقد ذكرناه سابقا.

المقري في تلمسان

يذكر لنا المقّري في كتابه روضة الآس أنه بعد حصوله على الإجازة عاوَده الشوق والحنين إلى وطنه ومسقَط رأسه تلمسان، فخرج من فاس من شهر ذي القعدة من عام 1010هـ وهذا ما أثبته المقري بنفسه، وهذا ما أكّده الباحث محمد بن عبد الكريم بعدما أن صحّح أخطاء الذين ترجموا للمقري كونهم لم يطّلعوا على مؤلفات المقري، ونفس الأمر بالنسبة للرحالة الورثيلاني فلم يطّلعوا على مخطوطاته فجعل ترجمته ناقصة وتشوبها بعض من الأخطاء.

بقي المقري بتلمسان مطّلعا على جديد المصنّفات والمؤلّفات ومحافظا على علاقاته العلمية مع علماء المغرب، وبها جادت قريحته بكتابة روضة الآس ،مستذكرا شيوخه وكل من لاقاهم في حاضرتي فاس ومراكش ومترجما للملك المنصور، وقد أُعجب بدولته غاية الإعجاب وسَرّه البقاء بها، ما جعلته ذكريات المغرب راسخة في ذهنه لما لقاه من ترحاب ووقار وكذا لملاقاته للعلماء وتبادله مجلس العلم والنقاش، فالعالم يجد راحته بين العلماء ،يرتاح في مجالس النقاش والعلم ،فتلمسان إن كانت حاضرة فقد بدأ ينطفئ نورها بتدهور أوضاع الجزائر ودخولها في صراعات داخلية وخارجية فلم يبق منها علماء وفقهاء وكان آخرهم عمّه السّعيد الذي علّمه فيمكن اعتباره آخر علماء تلمسان الكبار[2] ما جعل مؤسساتها الدينية تتراجع والحياة الفكرية والثقافية تعرف تراجعا رهيبا.

رحلته الثانية للمغرب الأقصى:

غادر الإمام المقري مدينته متوجهاً إلى حاضرة فاس العلمية لأسباب ذاتية وأخرى خارجية، رغبة في لقاء العلماء والصلحاء وزيارة أهل العلم بحاضرة فاس بجامعها المعروف القروين والذي يحج إليه طلبة العلم، ومن جهة أخرى للأوضاع السياسية والفكرية التي يعيشها المغرب الأوسط، ما أدّى إلى تراجع الحياة الفكرية والعلمية ما جعله يقّر أن عمّه السعيد قاضي المدينة أنه من بقية العلماء الذين بقوا متمسّكين بالتدريس والتأليف

[1] – المقري ،روضة الآس،ص.322، حول إجازة الشيخ ينظر إلى العنصر الخاص بإجازات المقري وكذلك ينظر إلى المقري ، نفسه،322.

[2]-Brosselard (CH), op,cit,P.405.

ولم يكن غيره يماثله ما يثبت أن هناك ضعفا في الجانب العلمي وإن كان المقري لم يوضِّح لنا سبب مغادرته تلمسان بصريح العبارة ،إلا أن هناك عدة إشارات منها توصية عمّه لشيوخ فاس برعاية ابن أخيه ،وهناك رغبة في التحصيل العلمي مثل جدّه المقري الأكبر الذي حُظي باحترام كبير من الملك المنصور وجعله قاضي ومفتي حاضرة مراكش . هل كان المقري يطمع في ذلك في المنصب وفي تلك الشهرة والجاه؟ ذكر لنا الرّحالة في كتابيه روضة الآس وأزهار الرياض أنه جِدّ متأثر بجده المقري الأكبر لما لاقاه من تقدير في مراكش ولم يلاقِه في تلمسان فقال عنه" فألقيت بها عصا التسيار–وقاها الله من الآفات والأغيار– واقتفيت في ذلك سُنن بعض سلفي الأخيار، إذ كان أشهر أسلافنا الشيخ الإمام، صاحب التصانيف الشهيرة التي اقتادت المحاسن بزمام القاضي الشهير العلّامة الأظهر، سيدي أبوعبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقري القرشي التلمساني النشأة والقبر، تنتقل إليها أيام السلطان المرحوم أبي عنّان فارس، فولّاه قضاء جماعتها وبنى له أعظم المدارس ..."[1]وفي كتابه روضة الآس يقول: وفي ظل مولانا المنصور أمير المؤمنين أيّده الله الذي وجد في دولته أهل الرياسة هذه المثابة يتفيأ العفاة حالي الأحلاء والأمرار، نسأل الله سبحانه أن يزعجنا عاجلا إلى حضرته المقدسة الطاهرة من أدناس الجور والحيف، فنطوف بكعبة العدل ونرمي جمار الشوق بمنى إقباله وننزل بذلك الخيف بمن الله وكرمه"[2] والقصد في هذا القول الرغبة في الاستقرار بمراكش بعدما أن زارها رفقة قائد فاس وانبهر لما رآه هناك من ضخامة البنيان وكثرة العلماء وتقدير الملك له ولعائلته.

بقي بفاس مدة أربعة عشر عاما بعدما أن دخلها عام 1013هـ،تفرغ بها للتدريس والتأليف ووُلي مناصب الإفتاء والإمامة والخطابة بجامع القرويين عام 1022هـ بعد وفاة شيخه محمد الهواري وبقي على هذه المناصب إلى غاية 1027هـ، فطلب الاستعفاء من هذا المنصب لأداء مناسك الحج، بعد أن قضى فيه مدة خمس سنوات ونيفا[3]واستأذن من الملك فأذِن له، وكتب رسالة إلى أمير الحجاز بشأن أحمد المقري [1]مُعرفا به

---

[1]– أسماء القاسمي، المصدر السابق،ص.128، للمزيد: المقري، أزهار الرياض 5/1،حول مسالة رغبته في الحصول على هذا المنصب في مراكش ورغبته في العيش بحياة البذخ والترف وتولي المسؤوليات، ينظر إلى : محمد بن عبد الكريم، المقري وكتابه..، المرجع السابق،ص.140.

[2]–المقري، روضة الآس، المصدر السابق،ص.111. المقري في زيارته الأولى للحضرة المراكشية أو للمغرب الأقصى عامة لم تكن في نيته البقاء بها وخير دليل على ذلك أنه بقي بفاس لمدة سبعة اشهر ونفس المدة مكث بها بمراكش وآثر العودة إلى فاس لطلب العلم وما يثبت ذلك رسالة من الشيخ القاضي إليه عمّ السعيد بتلمسان يُثني على ابن أخيه ويشكره لحسن اختياره لفاس لطلب العلم، وبعدها عاد إلى تلمسان، أما رحلته الثانية والتي جعلها للاستقرار بها بعدما ذاع صيته وشهرته بين العلماء بالمشرق والمغرب ما جعله يفكر ويطمح أن يكون مثل جده في العلم والخلق والمنصب والجاه، فالرحلة الثانية تختلف عن الرحلة الأولى وتتقاسمها في هدف طلب العلم والثانية تزيد عن الأولى في طموح الوصول إلى أعلى المراتب والمناصب

.

[3]–المقري، نفح الطيب، ج7،ص.264،265، قائلا" وتوليت الخطابة والإمامة بجامع القروين...مضافين إلى الفتوى....وأقمت على ذلك خمس سنين وأشهر ثم توقت الرحيل إلى المشرق".

ومُقدّرا لمكناته وتمنى أن يُحظى بنفس المكانة والتقدير الذي حُظي به لدى ملك المغرب ،فهي رسالة تزكية وتوصية بشأن الرّحالة، ولما سمع أهل فاس باستئذان الملك للمقري بالذهاب إلى المشرق ،تأسفوا لرحيله وأنشدوا هذه الأبيات:

أَشمسَ الغربِ حَقًّا مَا سَمِعنَا بِأَنَكَ قَد سَئِمتَ مِنَ الإقَامَةِ

وَأنّك قد عزمتَ عَلى الطُلوع إلى المشرقِ سَمَوتَ بِه علامة

لَقَد زَلزلتَ من كلّ قلب بِحقِ الله لَا تُقمْ القيامَة[2]

فهذا ما يَنفي نفيا قاطعا في شأن ما قيل عن المقري أنه هرب متخفيا من المغرب إلى المشرق، لاضطرابات سياسية حدثت بالمغرب منها اتهامه بميله إلى عرب الشراقة الذين عاثوا في الأرض فسادا وتمردوا على حكم أمير فاس، والتهمة الثانية بحادثة العرائش، فالحادثة الأولى قد وقعت عام 1020هـ ،وخروج المقري كان عام 1027 وبينهما ثمان سنوات ،فتلك الحادثة جعلت من أهل فاس ينتقمون من الأعراب وأهل تلمسان الذين سكنوا جهة الشراقة لفسادهم الديني والأخلاقي ،فكيف لأهل فاس أن يتركوا المقري يصل إلى مناصب الخطابة والإمامة وهومن أهل تلمسان، ومن جهة أخرى كيف للإمام العادل المقري أن يقف إلى جانب الطغاة والمفسدين ؟ أما مسألة العرائش فقد حدثت عام 1019هـ ويذكر مؤرخ المغرب الأقصى والذين عاصروه أن الإمام المقّري امتنع عن الفتوى لصالح المأمون بتسليم العرائش للإسبان مقابل أن يفدي أولاده الذين تركهم كرِهان عندهم، فالمقري وبعضا من الفقهاء منهم الإمام أبي عبد الله محمد الجنّان اختفوا مدة من الزمن حتى صدرت الفتوى من فقهاء البلاط ثم ظهروا مجددا،[3] وبقي بفاس تسع سنوات وبعض أشهر.

خروج المقري من المغرب الأقصى كان برغبته الشخصية ، وقد علم الناس جميعا من الفقهاء والعامة وبلاط الملك فقد ذكرنا ذلك سابقا، وقد استفاض الباحث محمد بن عبد الكريم في هذه المسألة وردّ على المشكّكين في مسألة خروجه، فالمقري حدّثنا بنفسه في أزهار الرياض، روضة الآس عن طريقة خروجه فلم تكن لها أي علاقة بالجانب السياسي بل رغبة في زيارة المشرق الإسلامي والمقدسات الإسلامية ومجالسة علماء الأزهر الشريف والحرمين والشام وقد كان له ذلك، فكان شوقه لزيارة البِقاع المقدسة وقد ذكر هذا عدة مرات في

وقد فنّد الباحث محمد بن عبد الكريم كل الأقاويل التي تقول أن المقري تولي هذه المناصب خلال حكم الملك المنصور، فشهادة المقري في كتبه أوثق من ذلك.

[1]- المقري، الرحلة، تح :محمد بن معمر ، المصدر السابق ،ص.51.

[2]-أسماء القاسمي، المصدر السابق،ص.131، وقد ذكرها المحبي في خلاصة الأثر ،ص.203.

[3]- محمد بن عبد الكريم، المقري،ص،159-188، حول حادثة العرائش ينظر: أحمد السلاوي، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، ج6، الدار البيضاء، المغرب،1955ً،ص,22.

نفح الطيب، فخرج المقري من بلاد المغرب.

المقري في الجزائر: خرج المقري من فاس متوجها إلى شمال المغرب تحديدا إلى ميناء تيطاوين، فكان سفره بحرا منها إلى ميناء الجزائر، ويذكر لنا أنه توقف في مدينة الجزائر وزار منطقة "تافورة" أين يوجد الميناء والتقى بعديد علماء الجزائر منهم مفتي الحنفية الإمام المولى محمود بن حسين بن قرمان الشهير، وقد وثقها المقري تلك الزيارة التي كانت يوم الخميس 25ذي الحجة من عام 1027هـ[1].

ب/ الرحلة إلى المشرق

ارتحل المقري في عديد الأمصار بالمشرق محتفيا العلماء والأولياء والآثار الإسلامية، فعرف بكثرة تنقله وترحاله فجاب عدة محطات أساسية مصر، مكة، المدينة، القدس، دمشق ،فلم تكن محطات عبور فقط ،بل إقامة قصيرة المدى ومنها طويلة المدى وفي ثنايا هذه المحطات تتخلّلها سفريّات قصيرة.

المقري في تونس: يذكر المقري ،أنه مرّ على تونس وسافر منها إلى سوسة في سفينة أكبر من التي جاء فيها من المغرب ودوّن الفترة التي قضاها في سفره من المغرب إلى المشرق في قصيدة نظمها في أربعة عشر بيتا منشورة في كتابه "خلاصة فتح المتعال"[2].

المقري في مصر:

أوَّلُ ما دخل على مصر مدينة الإسكندرية وحلّ بها عام 1028 من شهر رجب، ومنها انتقل إلى القاهرة وأخذ في التدريس بجامع الأزهر الشريف والتقى بعديد العلماء بها وبقي مدة من الزمن بها لمرض أصابه ومنها توجّه إلى الحجاز لآداء مناسك الحج.

المقري في الحجاز: أدى سنّة العمرة في شهر ذي القعدة من عام 1029هـ ومنها فريضة الحج بعدها، وزار مختلف البقاع المقدّسة وتبرّك بآثار النبي صلى الله عليه وسلم وتشوّق كثيرا لرؤية الكعبة الشريفة وأنشد فيها قصيدة فاقت المائة وسبعة بيتا في عظمة المكان والشوق إليه ، ولما انتهى من الزيارة الدينية عاد إلى مصر عام 1029 من شهر محرم ومكث بها شهرين مستعدا للسفر من جديد.

المقري في بيت المقدس وغزة :

غادر مصر متّجِها إلى بيت المقدس في عام 1029[3]من شهر ربيع الأول، ودخل المسجد الأقصى وشاهد مختلف الآثار الدينية هناك، فلم تَطُل زيارته أياما قليلة فقط ،وفي طريقه عرّج على غزة قائلا: وقلت بغزة المحروسة

[1]- المقري، الرحلة، تح :محمد بن معمر ، المصدر السابق ،ص.72.

[2]- محمد بن عبد الكريم، المقري وكتابه..، المرجع السابق،ص.191

[3]-المقري، الرحلة،ص.26.

سنة 1029..[1]وأنشد بها قصيدة ،ومنها **وعاد إلى مصر** وبقي متنقلا بين مصر ومكة المكرمة فقد حجّ خمس مرات ووفد على المدينة المنورة سبع مرات درّس بها الحديث وصحيح البخاري وأقام حلقات للتدريس في مصر وبمكة والمدينة المنورة وكانت آخر حجة له عام 1037 من شهر صفر، فقضى كل هذه الفترة متنقلا بين التدريس والزيارة والتأليف فألّف العديد من الكتب منها "فتح المتعال"، أزهار الكمامة في أخبار العمامة" ففي هذه الفترة تزوّج بمصر من عائلة الوفائيين.

المقري في غزة: بقي مدة أسبوع في غزة عند الشيخ الغضين الغزي ، ومنها أتمّ طريقه إلى بيت المقدس للمرة الثانية رغبة في الزيارة والتبرّك، وبقي بالقدس مدة 25 يوما والتقى العديد من العلماء وأقام حلقات دينية في القدس، وتدخّل بين حاكم المدينة وأهلها من أجل مساعدة أهل وطلبة العلم ، من القدس الشريف أتم طريقه إلى الشام.

المقري في الشام وعودته إلى مصر: التقى في دمشق التي تشوّق إليها كثيرا للقاء أصدقائه وطلبته والمغاربة هناك، بأفاضل القوم وعلمائهم وجالسهم وألقى الدروس وجادَلهم –كما ذكرنا سابقا– فدخلها في شهر شعبان من عام 1037هـ،وبقي بها مدة من الزمن فاقت الشهر بأيام وخرج منها في شهر شوّال من نفس السّنة، ومنها ودّعها وعاد إلى مصر.

عاد إلى مصر ودخلها في أواخر شوّال من عام 1037هـ وبدأ في تدوين كتابه "نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب "،بإيعاز من أهل دمشق بعد أن شوّقهم في دروس المسجد على تاريخ الأندلس وحضارة المسلمين ،وانعدام المصنّفات التاريخية التي أرّخت للفترة الأخيرة بعد سقوط غرناطة وانعدام الإنتاج العلمي للمورسكيين حول تاريخ الأندلس وعلمائها وحضارتها ،ما جعل الإمام المقري يأخذه الحنين ويؤرِّخ لهذه الحقبة ويقوم بإعادة التجسيد والتعريف بالثقافة الأندلسية[2]،وقد بدأه في شهر ذي القعدة من نفس السنة وأتمّه في 27 من عام 1038 هـ الموافق لـ 1340م[3]،وقد جعله هديّة لأهل الشام نظير الكرم والضيافة وحسن الاستقبال الذي لاقاه رغبة منه في رد الجميل،وبقي في مراسلات مع أهل المغرب وأهل الشام.

المقري في بيت المقدس والشام ثم مصر.

---

[1]–نفس،ص.139، المقري اكدّ لنا بصريح العبارة أنه في عام 1029 كان بغزة ،فغزة زارها على الأرجح تكون ثلاث مرات مثل عدد زياراته إلى بيت المقدس، باعتبار أنه سلك نفس مسار الطريق، فالملاحظ أن الباحثين الذين درسوا شخصية المقري وحتى الذين حققوا رحلته لم يُبتوا أن المقري دخل غزة للمرة الثانية.

[2]-Bernabe Pons (L.F), la cultural de mudejares y moriscos, https://www.youtube.com/watch?v=uUIqbUsyT-k

[3]-Ahmad b Muhamad Al-Ruhuni al-Titwani, Al lu'lu' al-jatib bi – ijtisarnafh al- tib (resumen del celebrenaf Al- tib de Al-Maqqari, manuscrito de Historia, en bibliotica municipal de cordoba, P.02. annex N 03.

انتقل إلى الشام عبر بيت المقدس وزار القدس للمرة الثالثة والشام للمرة الثانية ، فقد ذكر في رسالة أرسلها إلى الشيخ الدلائي بالمغرب قائلا:...ثم زرْت بيت المقدس ثلاث مرات مواطن الأنبياء والصحابة التابعين لهم بإحسان بالشام مرات، ثم عدت في هذا الوقت(ربيع الأول 1041هـ) بقصد الرحلة بالعيال إلى الشام والله المسؤول..."[1]فقد اتخذ الباحث محمد بن عبد الكريم هذه السنة كتاريخٍ لتواجده في الشام ونفس الأمر اتخذته الباحثة أسماء القاسمي ،إلّا أنّ المقّري أورَد لنا تاريخ تواجده في الشام "...لما حلَلْت الشام 16 رمضان المعظم 1040هـ وكان يوم جمعة...[2] أمّا تاريخ ربيع الأول 1041 الذي ذكره المقري أغلب الظن يكون تاريخ وقت دخوله مصر والرسالة توضّح ذلك ...ثم عدت في ذلك الوقت(ربيع الأول 1041هـ إلى مصر..،

من الشام عاد إلى مصر في نفس السنة إلى أن توفي بها، وكان في قرارة نفسه الاستقرار بالشام إلا أنّ الأجل سبقه.

2 – كتاب رحلة المقري

ألّف العلامة المقري العديد من المصنفات الدينية والعلمية، فختمها برحلة دوّنها قبل وفاته بأشهر ،ويمكن أن تعَد آخر مؤلَّف أنتَجه، فبقيت هذه الرحلة مفقودة وغير معروفة لدى الباحثين الذين أرّخوا عن المقري، فحقيقة الأمر أن مسألة هذا المخطوط جدّ معقد في تسميته باعتباره مبتور المقدمة وعديد مخطوطات المقري مبتورة ، الأوراق الأولى والأخيرة، إلاّ أنّ هذا المخطوط لا يحتوي على الوحدة الموضوعية فلا يمكن الوصول إلى استنتاج عنوانه من خلال المحتوي العام له، ومن جهة أخرى فالقارئ والمطّلع على المخطوطة لا يجد أثرا للعنوان داخل المحتوى ،كون صاحب الترجمة دخل في صُلب الموضوع مباشرة دون المقدمات المعروفات لدى المؤرّخيين ورجال الدين.

2–1– اسم المؤلف: المخطوطة ألّفها ودوّنها أبو العبّاس أحمد المقري، وما يشير إلى ذلك النصّوص التي تتناول مواضيع خاصة منها عن حياة المقري ومراسلاته الشخصية بينه وبين أصدقائه وبين علماء المشرق والمغرب، فالأمر واضح لا يتطلب التبرير، فالاطّلاع على الرّحلة يوحي بذلك مباشرة، فجّل الرسائل والإجازات ممهورة باسم المقري.

2–2– سنة ومكان التأليف: دَأَبَ المؤلّفون على تدوين سنة التأليف ومكانه في ذيل المخطوط ونادرا ما يوضع في بداية المخطوطة ،وللأسف الشّديد ،حالة المخطوطة مبتورة البداية والنهاية ،ما جعلنا نستنتج من خلال

[1]–محمد بن عبد الكريم، المقري، المرجع السابق، ص.224،223.

[2]– المقري، الرحلة، تح :محمد بن معمر ، المصدر السابق، ص،38.

رحلته الأخيرة بين الشام ومصر، أن المخطوطة قد أتمّها بمصر وفي عامه الأخير 1041هـ قبل وفاته، فلهذا لم تُذكَر في مؤلَّفاته ولم يطّلِع عليها أحمد شاهين بعد أن أهدى لأهل دمشق مؤلفه "نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب".

2-3-عنوان المخطوطة: المخطوطة مبتورة العنوان، فلا نملك الأوراق الأولى والأخيرة، ما جعلها في حكم الغائب، إلا أنّ هناك محاولات من بعض الباحثين والمحقّقين ،الذين اهتدوا إلى العنوان الذي وجدوه في قائمة مخطوطات المستشرق الفرنسي جورج ديلفان والموسوم "رحلة إلى المغرب والمشرق لأبي العبّاس المقري، وبما أنه لا يوجد عنوان في محتوى المخطوط حافَظ محقّق المخطوطة الباحث محمد بن معمر[1] على هذا العنوان ،ونفس الأمر في فهرسة المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية بقي بنفس العنوان، والملاحظ أن الباحثة أسماء القاسيمي والتي حقّقت نفس المخطوطة بسنوات بعد تحقيق الباحث الأول وقد توصّلت إلى إيجاد مخطوطة أخرى عند الشيخ محمد بن عزور القاسمي ببوسعادة وهي مُعَنْونة ب" رسائل أحمد المقري[2]" وهذا العنوان أيضا من وضع صاحب الخزانة، وهناك تطابق بين النسختين واختلاف في مسألة ترتيب بعض الأوراق، وتتقاسمان مسألة غياب تقديم وتذييل المخطوطة، وقد توصّلا إلى نفس النتائج والمعلومات ، وآثرت وضع عنوان آخر وهو "رسائل أحمد المقري" اقتناء بأثر صاحب الخزانة من جهة ومن جهة أخرى سعيها إلى إبراز أسلوب المقّري أنّ مواضيع المخطوطة عبارة عن مراسلات بينه وبين العلماء الآخرين وأن أسلوب المخطوطة لا يتوفر على عناصر الرحلة منها توظيف عوامل المشاهدة ووصف الأماكن والجغرافيا...

2-4- مكان تواجدها: تتواجد نسخة وقد اطلعنا عليها في المكتبة الوطنية الجزائرية ،جناح المخطوطات وهي تحت رقم 3191، وقد دخَلت إلى المكتبة الوطنية عام 1993م بعد أن قدّمتها حفيدة المستشرق الفرنسي "جورج ديلفان" ، وأضافت الباحثة أسماء القاسيمي في بحثها أنها اطّلعت على نسخة أخرى لدى مالِكها الشيخ محمد بن عزور القاسمي ببوسعادة وهي مُعنونة" رسائل أحمد المقري".

أما مسألة عنْونتِها بالرّحلة أو رسائل ،فغياب مضمون المخطوطة عن مُشاهد الرّحالة كوصف الطريق، الطبيعة، المشاهد والآثار ،فهذا ما نجد أيضا في رحلة أبي راس الناصري ،فتختلف مضامين الرحلات حسب منهج مؤلفها، فرحلة المقري رحلة علمية أدبية ثقافية بيّن من خلالها تنقّلاته وسفرياته بين الجزائر، المغرب الأقصى، تونس، مصر، الحجاز والشام ، الحياة الفكرية والثقافية وقد جمَع عديد المسائل التي طرحها في مؤلّفاته السابقة

[1]- المقري، الرحلة، تح :محمد بن معمر ، المصدر السابق ،ص.9.

[2]-أحمد المقري، رسائل المقري، تح اسماء القاسمي، المصدر السابق،ص.25، في حقيقة الأمر هي نفس المخطوطة ونفس المحتوي ،إلا أن كلا من الباحثين وضع عنوان المخطوط كما وجده عند صاحب الخزانة.

ونجدها تتقارب مع رحلة أبي راس الناصري الذي عرّج على شيوخه وعلماء عصره. فالمقري لم يخالف النهج فواظب على ما دأَب عليه الأوّلون فعرض لنا إجازاته العلمية ،كما بيّن لنا شيوخه وتلامذته من خلال مراسلاته، ما يجعلنا نميل إلى رأي عنوان الرحلة على الرسائل ، فالرسائل هي جزء من أسلوب الرحلة.

2-5- مضمون الرّحلة :

تناول الإمام المقري في رحلته عدّة مواضيع متشبّعة ،في مجمَلها انحصرت على الجانب الثقافي والفكري للعالم الإسلامي خلال فترة حياته، فأورَد لنا معلومات تاريخية عن الوضع الفكري السائد في المنطقة وعن طبيعة العلوم المنتشرة ومدى تطور العلوم بين المشرق والمغرب ،وعن طبيعة الحكّام وعلاقتهم بالعلم والعلماء.

أ/ الجانب الجغرافي:

أورد لنا المقري الجانب الجغرافي في رحلته مبينا كيفية وصوله إلى المشرق وعبر ماذا، فأوضح لنا أنه انتقل من تلمسان ثم إلى فاس ومنها إلى مراكش وعاد إلى فاس ومنها إلى موطنه الأصلي تلمسان، وكررّ الرحلة ثانية إلى فاس ومنها إلى تطاوين قاصدا المشرق ،فمرّ وتوقف بالجزائر وتونس ومنها سوسة إلى الإسكندرية وحدثنا عن تنقّلاته في المشرق بين مصر ومكة والمدينة المنورة ومنها إلى مصر قاصدا بيت المقدس عبر غزة ومن بيت المقدس إلى الشام وعائدا إلى مستقره الأخير بمصر، فلّمح لنا إلى العمران المشيد بالحضيرة المراكشية بعد أن أقام بها وانبَهر لما رآه.

ب/ الجانب الثقافي :

جلّ مضمون الرحلة انحصر في الجانب العلمي والثقافي مبينا أسلوب الإجازات التي اعتمدت في تلك الفترة فأجاز وأُجيز من طرف العديد من العلماء، وأنّ هناك تقارب وتواصل بين علماء المشرق والمغرب ووجود زيارات متبادلة بينهما ومراسلات علمية، وبيّن أيضا مكانة وقدر العلماء المغاربة في الحجاز والشّام لما لاقوه من ترحاب وتعظيم من أهل هذه الأمصار.

ظاهرة التلغير: يبرز لنا انتشار ظاهرة التلغير في عصره وقد وجدناه منتشرا في سائر الفترة الحديثة ابن الحكم العثماني للأمصار الإسلامية عدا المغرب الأقصى ، فتبادل المقري العشرات من الألغاز منذ أن كان شابا متعلِّما في تلمسان إذ جاءه لغز من المغرب الأقصى ،فتُظهر لنا كثرة المراسلات وفيها العديد من المسائل الدينية والاجتماعية على شكل لغز.

الإجازات والتقريضات : أفادنا الرّحالة المقري أنّ الإجازة كانت جدّ منتشرة في العهد العثماني بالجزائر، فبتلمسان توجد معاهد وتكون بها شيوخ أجازوا طلبتهم ونفس الأمر بالحواضر العلمية الكبرى كفاس، الزيتونة،

الأزهر ومكة ،فالمقري تعلّم من علماء القطر الإسلامي وأجاز طلبتهم عامة، ما يثبت لنا أنّ هناك علاقات علمية بين المشرق والمغرب، وأنّ المدرسة المغاربية حقا كوّنت وأثبتت ذلك من خلال المكانة التي تبوّأها المغاربة في المشرق فقد حظوا باحترام كبير من أهل العلم والسياسة، ومن جهة أخرى الإجازة تعَد معيارا يُقاس به مدى كفاءة الشيخ ومهاراته العلمية. فكان الإمام المقري أحدا منهم، وأضاف على ذلك هناك تقريضات للكتب التي تؤلَّف من طرف علماء آخرين فيرفعون من قيمة الكتاب والكاتب ما يجعله أكثر قراءة ومصداقية لما فيه.

تبادل المؤلَّفات: تبادل الإجازات والطلبة بين القطرين المشرقي والمغربي جعل حركة التأليف والنسخ جد منتعشة، ما جعل الرحّالة يهتمون كثيرا بالكتب بل وقد جعلوهم شغلهم الشاغل، فتبادل المؤلفات بين الرحالة والطلبة والعلماء، حتى أن هناك مراسلات ومساعدات بين أهل العلم، فيذكرنا المقّري أنْ تلقّى مخطوطات من المغرب الأقصى من طرف علمائها.

الجانب الصوفي:

المقري لم يُعَدْ من المتصوفة في نظر من ترجموا له، فمن خلال سلوكه وبعض مميزاته نجده يميل لأهل التصوّف من خلال أخلاقه وتواضعه ومجالسه لأهل العلم والنهل منهم، فيكفي أن استلم الخرقة من شيخه شيخ الزاوية الدلائية بفاس وكان يقرأ الحزب وهو طالبا، فجعل من رحلته إلى مختلف الأمصار وخاصة فاس ومراكش لزيارة الأولياء والصلحاء ومشايخ الزوايا في فاس، تسلا...ووصفه مظاهر الاحتفالات الدينية دخول شهر رمضان ، الاحتفال بالمولد النبوي والطقوس الدينية التي تقع فيه فكان للمولد النبوي الشريف تظاهرة احتفالية خاصة به في الحاضرة المراكشية وفاس ، فكان بمثابة حجّ أصغر يقصده العلماء والفقهاء وتقام به زيارات ،وعدات وجلسات علمية[1]، وفي المشرق واضب على نفس الأمر متجلّيا في توطيد علاقاته مع عائلة الوفائيين المنتسبين للطريقة الشاذلية بمصر، ومنها أتمّ زيارة العديد من الأضرحة والقبور متبرّكا بالشواهد والآثار المقدسّة، وفي الشام زار قبر العلامة ابن عربي وقد ختم ختمة من القرآن لروح الشيخ الأكبر.

تناول مسألة الكرامات ولم يُخْفِ موقفَه منها ولم يعارضها بل أنصفها وصدّق بها ،فنجده في كرامة شيخه شيخ الزاوية الدلائية لما أخبره أنّه مفتي المغرب وبعد أيام أصبح مفتيا المغرب كما أخبره، فتقرّب للصّوفية وتعلّم على مشايخ الصوفية ودوّن مؤلفات تصب في النمط الصوفي.

الجانب السياسي :

علاقته بين الملوك والحكام وبين ملك المغرب الأقصى وأمير مكة في مسألة قدوم المقري ما يثبت أنّ العلاقة

[1]-Pâques Viviana. Les fêtes du mwūlūd dans la région de Marrakech. In: Journal de la Société des Africanistes 1971, tome 41, fascicule 1. P.135.

أخوية ووطيدة ويبرز ذلك من خلال الكلمات والمصطلحات المستعملة الدالة على التقدير والوقار والاحترام.

وفاته :

توفي الإمام الرّحالة أحمد المقري بمصر بعد عودته من رحلته الأخيرة إلى الشام عبر بيت المقدس، وفاته بعد تأليف آخر مؤلّفاته وهو الرحلة إلى المغرب والمشرق، وكانت منيته عام 1041هـ بمصر، فهذا ما ذكره طلبته بقوله "..فاخترت منه المنيّة بمصر، ودفِن بتربة المجاورين سنة أحدى وأربعين[1].

[1]- المقري، رسائل المقري...، تح أسماء القاسيمي، المصدر السابق،ص.211.

الباب الثاني:

الورثيلاني ناظرا و منظورا إليه.

الفصل الأول : جزائر المتصوفة من خلال رحلة الورثيلاني.

الفصل الثاني : التصوف والرحلة عرض حال .

الباب الثاني ..... الورثيلاني ناظرا ومنظورا إليه.

الفصل الأول : جزائر المتصوفة من خلال رحلة الورثيلاني.

أولا: التعريف بالرحّالة الحسين الورثيلاني

1- نسبه ومولده: هو الحسين بن محمد السّعيد بن الحسين بن محمد بن عبد القادر بن يحي بن أحمد الشريف بن علي البكائي البجائي، الورتلاني[1] دارا، البجائي نسبا[2]، ينتهي نسبه الديني إلى جده أحمد الشريف إلى شرفاء تافيلالت بالمغرب الأقصى[3] ، وينتهي نسبه العائلي بداره بني ورثيلان إلى جدّه أحمد الشريف دفين بني عشاش[4].

فهو الشريف الحسني كما خطّ بيد والده ، ومن ثقات أهل العلم و النسّابة ،وخطّ أيضا نسبه في مؤلَّفاته باعتبار أنّ الاهتمام بذكر النّسب و خاصة الشريف لدى المتصوِّفة والرحّالة من أبرز مظاهر تلك الفترة .فهذا ما وجدناه عند ابن حمادوش والذي غالب في ذكر نسبه والاعتزاز به ،فهذا ابن عمار وأبوراس الناصري وجلّ الرحالة المغاربة منهم العياشي و الناصري والمكناسي والفاسي.

فكانت ظاهرة العصر لوجوب توثيقها لكثرة الأشراف المزيّفين الذين ينسبون أنفسهم إلى البيت الشريف ،لكسب ودّ العامة والإحضاء باحترام كبير و تقديس من جهة و تقرّب من السّلطة الحاكمة من جهة أخرى، فالورثيلاني دوّن لنفسه في رحلته وفي مخطوطاته المنتسبة له منها شرح لوظيفة سيدي يحي العيدلي فقال: سيدي الحسين بن الشيخ الفقيه الكبير محمد السعيد الشريف الورثيلاني[5] وأكّد على ذلك في مؤلّفه

---

[1]- تعريف بني ورثيلان :تنطق عند أهل المنطقة بـ آيث ورثيران ، تقع في شمال ولاية سطيف، تابعة إداريا لولاية سطيف منذ 1984 بعدما أن كانت تابعة لبجاية، تبعد عن بجاية بـ95 كم ،و عن سطيف بـ80 كم، تقع في محور بين ثلاث ولايات سطيف، بجاية و برج بوعريريج، تعد في السلم الإداري دائرة تضم أربع بلديات: بني ورثيلان، بني موحلي، عين لقراج، بني شبانة، تحدها كل من بني معوش (ولاية بجاية شمالا)، عين لقراج وبني شبانة شرقا و الجنوب الشرقي، قنزات(بني يعلي) جنوبا، ايلماين (ولاية برج بوعريريج) في الجنوب الغربي، تمقرة وبوحمزة(ناحية اقبو) غربا والشمال الغربي مع بني معوش. تحتوي بني وثيلان على 37 قرية. **للمزيد ينظر:** جيجيك زروق، أعلام الفكر والثقافة بمنطقة بني ورثيلان، محاضرات أعمال الملتقى الدولي حول الشيخ الفضيل الورثيلاني، مديرية الثقافة لولاية سطيف،2015، ص.74.

[2]- الحسين الورثيلاني، شرح الرسالة السمرقندية،1165هـ، تحت رقم BA003، محفوظة بخزانة الشيخ الموهوب اولحبيب، تالة وزرار، بني ورثيلان. ورقة رقم :04،ينظر الملحق رقم :02.

[3]-الحسين الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تصحيح محمد بن أبي شنب، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1908 ص603، ينظر الملحق رقم 03.

[4]- تعريف بني عشاش :تابعة إداريا لبلدية عين لقراج التابعة لدائرة بني ورثيلان ولاية سطيف، تحدها كل من بني حافظ(قرية العلامة الشيخ المولود الحافظي)، وبني يعلي، قرية الشرفة، و بني براهيم، عرفت هذه المناطق بانتشار الزوايا و كثرة الأشراف والمرابطين بها. وهي موطن ميلاد الرحالة الحسين الورثيلاني و توجد قبة جده أحمد الشريف إلى يومنا هذا معروفة.

[5]-الحسين الورثيلاني، شرح وظيفة سيدي يحي العيدلي، ج1، ورقة 08، محفوظة لدى خزانة الشيخ الموهوب أولحبيب تالة وزرار، بني ورثيلان، تحت رقم TZ009، ينظر الملحق رقم 04.

الكواكب العرفانية وشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية أنه" الحُسين بن محمد السعيد بن الحسين الشريف[1]، فوثَّق بنفسه أنه من زمرة الأشراف التي انبثقت من إدريس الأكبر، فهذا ابن فرحون في كتابه "الاعتبار وتواريخ الأخبار والتعريف بالنسب إلى النبي المختار صلى الله عليه وسلم" قدوم الأشراف من أولاد النعمان فرقة إلى زواوة وفرقة إلى صنهاجة و فرقة إلى بني براهيم[2] يقال لهم عمر بن النعمان بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الله بن عبد الكريم بن محمد بن عمار بن عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن عيسى بن سالم بن مروان بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم[3]، وهذا ما يؤكده أهل المنطقة أيضا.

عرفت عائلة الحسين الورثيلاني ترابطا أسريا ودينيا مع مختلف العائلات الشريفة بالمنطقة ،ما يؤكّد صحة نسبه الشريف ولازالت إلى يومنا هذا على هذه الطريقة ،فنجد لها ترابطا مع أشراف بني براهيم ،بني عشاش ،أما ببني ورثيلان قرى (فريحة ،امزين ، اولموثن ،أمدون)، تمقرة (ايث عيدل)، الشواثرة وايلماين ببرج بوعريريج ،فكما هو متعارف أن المرابطين والأشراف عامة المصاهرة تكون داخلية بينهم لأجل الحفاظ عن النسب الصحيح وتجنّب دخول الدّخلاء على العائلة ،فالعرف السائد أن الوالد لا يُزوِّج ابنته إلا لغير مرابط أو شريف لكن هناك عديد من فقهاء وعلماء المرابطين عارضوا هذه الصيغة ،كونها تعدّ تُولدا للطبقية والتفرقة بين المسلمين ،والإسلام ساوى بين المسلمين ، ولِهذا بيّن لنا الورثيلاني أنّ لها دلالات دينية أخرى كما وضّح في رحلته أن القبائل الأخرى (غير الأشراف والمرابطين) لا تلتزم بشرع الله كتعطيل حدود الله كالميراث ،صلاة الجمعة ،كثرة الاقتتال، سبّ الدين ، تبرّج النساء ، الاختلاط بين الرجال والنساء هذه الصّفات الذميمة والشنيعة جعلت المتصوّفة والعلماء يُصاهرون الطبقة المتديّنة والمتعلِّمة والتي تحتكم لكتاب الله وسنّة رسوله، فزوال الشرط يؤدي إلى زوال الطلب.

---

[1]-الحسين الورثيلاني، الكواكب العرفانية وشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية، مخطوطة محفوظة في الزاوية العثمانية بطولقة، ورقة رقم 01، قام بتحقيقها محمد بن عبد الكريم عن دار الخلدونية طبعة 2012،ينظر الملحق رقم 05.

[2]- بني براهيم : نسبة إلى عرش من بلدية عين لقراج حاليا، تفرع منه العديد من الفرق البشرية و هي متواجدة بنواحي المنطقة و ترتبط نسبيا مع القرى المجاورة لها منها الشرفة(الشرفاء) العليا والسفلى ، وبني عشاش و تليها أيضا بني حافظ ،فجد الحسين الورثيلاني من منطقة بني عشاش القريبة جدا من بني براهيم و اللتان تقعان في نفس العرش .،فإلى هنا يعود نسبه، فهو من أشراف المنطقة.

[3]-ابن فرحون، في كتابه الاعتبار وتواريخ الأخبار والتعريف بالنسب إلى النبي المختار صلى الله عليه وسلم ، مخطوطة محفوظة عند اهل بني ورثيلان و نسخة عندي ،ورقة رقم :09 ، ينظر الملحق رقم 06.

وُلد الحسين الورثيلاني بقرية "بني عشاش"[1]ببني ورثيلان الذي قال عنها أي بني ورثيلان" فوطننا طيب فيه العلم وبعض الكرم للغريب، وفيه الزيتون والعنب والتين بكثرة والحرث، غير أن الوطن عزيز غال وسبب ذلك كثرة الناس غير أنه خال عن السلطان وأحكامه، فالوطن سائب عَمره الله بالأحكام الشرعية وأزال منه ذلك وبدله بالعافية الدائمة وكذلك الغالب فيها البرد والثلج، وبالجملة نسأل الله تعالى أن يعمره على يد سلطان عدل[2] " ويقول أيضا "وبلدنا كثير الشّجر من زيتون وعنب وتين وكثيرة الفواكه إلا النخل والليم فليس فيها"[3].

الحسين الورثيلاني من مواليد عام 1125هـ الموافق لـ1713م[4]، بقرية "بني عشاش" بعد ان انتقل جدّه الأول أحمد الشريف من بجاية إلى بني عشاش، لم تذكر المصادر التاريخية سبب انتقاله ؟ هل أنه صوفي آثر السكن في الرّيف من أجل التعبّد و الزّهد و الابتعاد عن المدينة أم لسبب آخر، فكما هو معلوم في هذه الفترة بجاية تعد حاضرة العلم و التصوف والعلماء .فالنظرة التاريخية تستبعد هذا الأمر، والراجح يعود إلى الحملات العسكرية الإسبانية التي غزَت سواحل شمال إفريقيا و بالخصوص المغرب الأقصى والجزائر منها مليلة 1497م،المرسى الكبير بوهران عام 1505م، وهران و بجاية 1509م، مستغانم ،تنس و حصن البينيون بالجزائر ،شرشال عام 1510م ما دفع بالإخوة خير الدين وعروج بالتدخل لحماية السواحل الإسلامية بطلب من سكانها[5]، فأدّت بالكثير من العلماء بالهجرة إلى المناطق الجبلية، ومنهم أحمد الشريف جدّ الرحالة وما يوافق ذلك الأمر أن انتقاله كان في بداية القرن 15،ما تثبته المصادر الإسبانية أنّ هناك هجرة

---

[1]–موطن ميلاد الرحالة الحسين الورثيلاني :الخطأ الشائع في كل الأبحاث و الدراسات التي عثرنا عليها ان ميلاد الرحالة كان بمنطقة "انو" وهذا نتيجة تواجد زاويته وضريحه لكن الأصح بمنطقة بني عشاش موطن جده الأول أحمد الشريف وأبيه محمد السعيد بزاويتهم المشهورة بتلك المنطقة، أما قرية "انو"، وبأسفل الجبل يتواجد ضريحه وهو معروف إلى يومنا هذا و بيته بالقرب من مسجد القرية المتواجد بأعلى الهضبة عند المدخل يمينا، و به زاوية يعرف المسجد باسمه ، يسكن القرية أحفاده بلقب حسنين مع أصهارهم بن جدو التي تحولت من لقب آل العياضي بالإضافة إلى عائلات أخرى، وجلّ سكانها من الأشراف المرابطين، فهي قرية الشهيد الفضيل الورثيلاني الذي يعد أحد حفدته و تم إعادة ترميم بيته، مسجد القرية لازال مستعملا إلى يومنا هذا، وإمامه احد حفدة صهر الحسين الورثيلاني و هو الشيخ عبد المجيد بن جدو حفظه الله، أما الزاوية فلم يبقى لها اثر الآن.

غيّر الورثيلاني موطنه الأصلي من قرية "بني عشاش" إلى "آنو" القرية الجديدة التي أنشأها وأسس زاويته الجديدة وبها توفي بعد أن عاد من رحلته ووجد أهلها خرجوا عن طاعة الله ورسوله ما جعله يجنّد قوات من حاميات الجيش العثماني فأحرق القبيلة وبعض القرى المجاورة ومنها انتقل إلى موطن آخر فعاش بها إلى أن مات ،ما جعل كلّ الدارسين يتوهمون بأن "آنو" هي قريته الأصلية بحكم تواجد حفدته ،زاوته ،ضريحه ومسجده.

[2]– الحسين الورثيلاني ، الرحلة، المصدر السابق،ص.28.

[3]– نفسه،ص.81.

[4]– نفسه، كلمة المصحح.

[5]–Bernabé López García, El mundo Arabo –Islámico contemporáneo una historia política, Editorial Síntesis, Madrid, España, 1997.P.30.

جماعية عام 1510م إثر حملة الكونت "بيدرونافارو"Le comte Pedro أين فرّ ملك المنطقة و سكانها نحو المناطق الجبلية القريبة وبعد مدّة طلبًا العون و المساعدة من بربروس وقام ملك بجاية بالنزول من الجبل رفقة ثلاثة آلاف موري من أجل استرداد المدينة[1].

بعد حملة "الكونت بيدرو" خُيِّر سكان المنطقة بين الدخول تحت حكم الإسبان أو الانتقال نحو المدن القريبة أو الاحتماء في الجبال القريبة من بجاية ،فلم تكنْ بالمنطقة قوة عسكرية منظّمة من طرف الدولة أو النظام المحلّي لضعف الدويلات المغاربيّة و بقيَ نفوذ الحكم الديني المتمثِّل في الطرق الصوفية و مرابطي المنطقة[2]،و في هذا الصدد يذكر أنّ أحد أجداده وهو "يحي "انتقل إلى منطقة مجّانة و سكن زمورة ثم خرج منها و عاد إلى موطن آبائه ضواحي بجاية مستقرا بها – هنا يخلط المؤلف تنقلات أسرته ما صّعب علينا الوصول إلى تحديد نهائي لمسار الهجرات العائلية، بحكم أن صاحب الترجمة أقرّ بأن نسبه يعود إلى الساقية الحمراء، وهو نسب كل الأشراف والمرابطين، يتساءل الباحث وما بعد الساقية الحمراء من أين يرجع نسبهم ؟ أفادنا الباحث ترومليTrumelet أنّ مؤسسي الساقية الحمراء يعود إلى المهاجرين الموريسكيين من شبه الجزيرة الإبرية إلى المغرب الأقصى و اتخذوا الصحراء للابتعاد عن ملاحقات الإسبان وحتى شعروا أنهم غرباء عن المجتمع الجديد، ما جعلهم يختارون "واد درعا" ومنها أسسوا بالساقية الحمراء حاضرة علمية ومنها انتشر الموريسكيون في شمال إفريقيا وبالجزائر ،ويقول صاحب نظرية هجرة الموريسكيين أنهم كانوا من العلماء والأطباء والفقهاء، فلهذا أسّسوا حاضرة علمية لنقل علومهم ومعارفهم إلى شمال إفريقيا[3] ، ما جعل مدينة بجاية تتبوأ صدارة المدن العالمية في ميدان العلم والثقافة وهذا ما أثبته الفرنسيون والإسبانيون بعد أن غزوها

---

[1]-Fray Diego de Haedo, Histoire des rois d'Alger, Tr par De Grammont(H-D),Ed Adolphe Jordan ,Alger,1881,P.P.10,11. للمزيد ينظر:

-Féraud (Ch) ,conquête de bougié par les espagnols d'après un manuscrit arabe, la revue africaine , volume12,Alger,1868,P.255.

[2]-Gaid(M), L'Algérie sous les turcs, Ed 02, Edition Mimouni ,Alger,1991,P.28.

[3]- Trumelet (C). l'Algérie légendaire en pèlerinage çà & là aux tombeaux des principaux Thaumaturges de l'Islam(Tell et Sahara). librairie Adolphe Jourdan imprimeur-libraire-diteur 4, place du gouvernement, Alger. 1892.P.P.5.6.

عام 1510م ،مثبتا ذلك في تسميتها ببجاية إذ تعود أصل التسمية إلى وجود مصانع الشمع التي تستعمل للقراءة والتزود بالضوء وكذا استعمال المحركات بها ، وتقوم بتصدير الشمع عبر مينائها[1].

أخذ الشيخ الحسين مبادئ العلوم من هذه الزوايا التي أسّسها أجداده الأوائل وعلى شيوخ المنطقة وعلمائها، نظرا لتواجد العديد من الأسر و العائلات المرابطة التي أنشأت زوايا ومعمرات لتدريس القرآن و العلوم النقلية و بعض من العلوم العقلية، منها زاوية جدّه ببني عشاش التي تعلّم بها و تتلمذ على يد والده.

بعد عودته من الحج انتقل من بني عشاش إلى قرية "آنو" ببني ورثيلان والتي توفي بها ،و من أسباب انتقاله خروج أهله بني عشاش عن طاعة الله ورسوله وولي الأمر وظهرت بهم الفواحش والمنكرات فقال" أما بنو عشاش من بقية عبيد جدِّنا وقد خرجوا عن طاعتنا وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرجت طائفة باغية من بني براهيم وهي وسر وأولاد الخلف ومن أراد الحرابة والزنى والسرقة فليتحصل بهؤلاء العروش أخلى الله منهم الأرض، وقد أعانني فيهم المجاهد في سبيل الله القامع للمتمردين سيدي" أحمد باي" إذ نصرني وأعطى أمر المحلة في يدي وأحرقت أولاد الخلف وقرية وسر وسكانها وبني عشاش وفي تلك السنة جعلت عليهم و أمرت الخليفة أن يأخذ منهم مائة وسبعين إلى أن يتوبوا لله ولرسوله ويرجعوا إلى الأحكام الشرعية أزال الله منهم ذلك"[2]، فعُرف الورثيلاني بحبه للحق ونصرته و بغضه للظلم وللبدع .فقد ترك رَكْب الحج الجزائري وانتقل إلى الرَكْب المصري لما رأى من ظلم الحجّاج الجزائريين لبعضهم و عدم تدخل العلماء لنهي المنكر والأمر بالمعروف[3]،و لهذا الشأن جعله يترك عرشَه بني عشاش و ينتقل إلى قرية "آنو" .

2- زوجاته وأبناؤه: عاش الورثيلاني قرابة الثامنة والستين عاما من عمره، قضى أكثر من نصفه في الترحال و التنقل بين العلماء والمتصوّفة من جهة و من جهة أخرى بين الزوايا و المزارات، أما عن نفسه فقد تزوّج عدة مرات فتارة يذكرها بصريح العبارة وتارة مبهمةً لا يوضح الأمر جليّا، فقد صاهر عدة عائلات ذات شرف ونسب وحسب، فذكر مسألة زواجه وزوجاته وأصهاره في اثنتي عشر موطنا من الرحلة وصفحاتها هي(ص: 18،599،602،659،703،80،85،112،172،210،234،529) ومن خلال هذا الجرد توصلنا إلى عدد زوجاته ومن أهمّ أصهاره:

---

[1]-FELICIANO PÁEZ-CAMINO, Españoles en Argelia: conquistas, migraciones, exilios, Universidad de Mayores de Experiencia Recíproca, Madrid, 2013,P .07.

[2]- الحسين الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.75.

[3]- نفسه،ص.374.

-زوجته عويشة بنت عبد الله بن رحاب من أولاد سيدي الشيخ سيدي رحاب من أولاد دراج ومسكنهم الوجلة تحت جبل بوطالب، أخذها معه إلى الحج في المرة الثالثة وتوفيت في طريق العودة بتونس، وقال عنها الورثيلاني: "وهي الحرة الجليلة الكريمة الطيبة النخبة الشريفة المتطلبة فأنها تقرأ نحو الربع وتحفظ بعض الأذكار كوظيفة الشيخ زروق، وكانت تحفظ الصغرى للشيخ السنوسي وكذا بعض الرسالة لابن أبي زيد حاصله في غاية الأدب والفهم والفطانة بنت الشيخ الفقيه النزيه الفاضل الكامل صاحب الفضائل والفواضل الشريف تحقيقا سيدي عبد الله بن رحاب من أولاد سيدي أولاد رحاب، المتوطن في أولاد دراج و محلهم الوجلة فوق قمر تحت جبل بوطالب ...واسمها عويشة"[1].

لعويشة أخت اسمها فاطمة تزوجها ابنه "محمد" وقد توفيت أيضا بتونس بعد العودة من الحج ، إثر مرض أصاب الأختان ودفنتا هناك. عن زواج ابنه محمد ووفاة زوجاتهما يقول" ومن أولاد سيدي رحاب الفاضل إلى الله وقد تزوجت بنته الفاضلة الحرة الشريفة الجليلة الطالبة عويشة، وتزوج ابني محمد أختها الفاضلة الجليلة العابدة الطالبة فاطمة، ماتتا في تونس رحمة الله عليهما[2]".

-زوجته عائشة بنت المسعود بن عبد الرحمان، من بني عيدل بالقبائل الصغرى، والدها فقيه وعالم ومصلح، خطيب، محدث في أصول علم الكلام ،جدّها الشيخ محمد الصالح الدكالي من علماء المنطقة وفقهائها. تعلم على يد شيوخ أجلاّء منهم أبو مدين الغوث التلمساني[3]، وموطنهم من تمقرة ببني عيدل بحوض الصومام، وقد رافقته معه في حجته الأخيرة فقال:"...وكذا زوجتي المذكورة والأخرى الفاضلة الحرة عائشة بنت الفاضل الكامل سيدي السعيد[4]".

- زواجه من بنت سيدي بركات من بني يعلى، يقول في ذلك:" سيدي بركات، فدخلت بيته وزرت زوجته، نخبة تعلى ،وهي صهرة لي، من الصالحات القانتات الصادقات، الصابرات[5]"فمن خلال حديثنا يتضح لنا أنها توفيت قبل مغادرته للحجة الأخيرة ،فما يدل على ذلك عند عودته عرّج على بني يعلى ومعه زوجه عائشة ،لم يصحبها إلى موطنه بني ورثيلان فقال "فمررنا على دار الولي الصالح المحقّق الورِع المدقّق سيدي

[1]-الحسين الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.529.
[2]-نفسه،ص.602.
[3]-نفسه،ص.529.
[4]- نفسه،ص.603.
[5]-نفسه،ص.80.

بركات وزرت الصالحة الطيبة الفاضلة صهرتي زوج سيدي بركات[1]..." ونفس الشيء فعله عند الذهاب مرّ على صهره ودخل إلى منزله وزار صهرته زوج سيدي بركات ولم يحدثنا عن زوجته، فأغلب الظن تكون توفيت قبل رحلته الأخيرة.

– مصاهرته لأولاد الشيخ محمد أمقران من منطقة حوض الصومام ، ذكر ذلك بعد زيارته إلى بجاية قبل سفره إلى الحج بأيام قليلة فعند مروره على هذا العرش قال" فلما وصلت إلى أولاد الشيخ سيدي محمد أمقران في محلهم إذ هم أنسابي[2]".

من هنا نتوصل أن عدد زوجات الورثيلاني كما ذكرها أربع زوجات إحداهن من بني عيدل والأخرى من بني يعلى و الثالثة من أولاد دراج، والرابعة من حوض الصومام بمنطقة القبائل الصغرى، وكلهن من الأشراف وعائلات علم و تقوى وإصلاح وتصوّف و يُعدون من البيوت الشريفة العلمية.

أبناؤه: للورثيلاني ولد اسمه محمد، سافر معه للحج و تزوج من أخت عائشة "فاطمة بنت عبدالله بن رحاب من أولاد سيدي الشيخ سيدي رحاب من أولاد دراج فهي من النساء المتعلمات فقال عنها الرحالة الشريفة الجليلة الطالبة فاطمة، و ابنه شبّ على والده ، تعلّم أصول الدين و العلوم المختلفة و أجازه العديد من العلماء و هو في سن مبكرة .منهم الشيخ العفيفي بمصر ولقنه الذكر على طريق الشاذلية[3]، لم يذكر الورثيلاني في رحلته سوى ابنه محمد، فحفدة الورثيلاني ببني ورثيلان يتواترون أن له بنتا اسمها زينب، وثلاثة أبناء آخرين بالإضافة إلى محمد الشريف الذي ذكره وهم: يحي، أحمد عبد العظيم، أحمد الزين[4] تبقى الشجرة العائلية للورثيلاني مصدر بحثنا التي لم نتوصل إليها، فلا يمكن أن يترك ولدا واحد وداره عبارة عن زاوية عامرة بالضيوف و الوفود التي تأتيه من كل فج، فالقيام بشؤون الزاوية يتطلب عدّة من المال والرجال. وأنه قد تزوّج من أربعة نسوة على الأقل ، وما يدل على كثرة أولاده في دعائه عند توديعه لطلبته فقال" عمرهم الله تعالى على الدوام بالعلم والعمل مع أولادنا الذكور إلى غابر الدهر بجاه من ذكرناه[5]".

---

[1]– نفسه،ص.703.

[2]–نفسه،ص.18.

[3]–نفسه،ص292.

[4]– اعتمدنا على ذكر أولاده على حفدة الورثيلاني، الذين يتواترون هذه الفكرة ، و من سمعنا من ثقات القرية المذكورة ان هناك شجرة عائلية لنسب الورثيلاني من الأصول و الفروع، للأسف لم نتمكن للوصول اليها، استقينا معلوماتنا من كبار شيوخ القرية و من حفدة الرحالة، أما عن أبناءه أحد كبار شيوخ القرية اطّلع على الشجرة العائلية وأخبرنا أن له أربعة أولاد وبنت.

[5]– نفسه،ص.28.

3- بيئته : ساهمت البيئة الأسرية والاجتماعية التي تربّى وعاش فيها الورثيلاني في تكوين شخصيته الدينية والعلمية و الصوفية ،متجليا في عدة ظروف وأسباب منها المتعلقة بالجانب الجغرافي ،التاريخي ،السياسي و الديني .

أ/ **البيئة الاجتماعية:** وُلد وعاش الورثيلاني في بني ورثيلان ،فكثيرا ما تكون العوامل الاجتماعية سببا في بزوغ و انفراد الطالب واجتهاده نتيجة تأثره بالمحيط الذي ترعرع فيه "فالفرد ابن بيئته يتأثر بها وفيما بعد يؤثّر فيها، فبلدة الحسين الورثيلاني بها العديد من البيوت العلمية المنتشرة بالقرى الجبلية وهي عبارات عن معمرات وزوايا دينية تعليمية جلها تنتسب إلى زوايا المرابطين ، فتسييرها ذاتي ليس مرتبطا بأية طريقة صوفية وهذا لا ينفى ارتباط أحد شيوخها بطريقة صوفية لكن دون أن يؤثر على منهج تعليم الزاوية أو فرض ورد معين على طلبته، فهذه الأرض الطيبة زاخرة بالمرابطين وهم من الأشراف الذين قدموا من الساقية الحمراء ومنطقة القبائل بها العديد منهم ،جلّهم من العلماء والفقهاء وهذا يعود إلى نسبهم الموريسكي[1] .و يعد بيته من أهم البيوت العلمية بالمنطقة و المناطق المجاورة منطقة حيث زارها الشيخ الحسين و جالس أبناءهم و أفاضلَ القوم وسمع عنهم من خلال ثقات القوم وهذه جملة من المقرّبين فقط وسنعود للحديث بالتعريف عن مرابطي المنطقة:

-**سيدي الصادق وأبناؤه** :يقول فيه "الولي الصالح والقمر الواضح له بركات ظاهرة وأحواله باهرة وأسراره مشتهرة سيدي الصادق[2] ضريحه في الواد معلوم[3] يُزار وهو من القرن العاشر أعني أواخره ولا أدري هل بلغ الحادي عشر أم لا"[4]، وأولاد سيدي الصادق أعلام أجلة كالفاضل الولي والفقيه العلي سيدي يحي بن الموهوب[5] ومثله في الفضل سيدي محمد الموهوب وسيدي تواتي[6] والفقيه سيدي يحي بن الواثق وهو في

---

[1]- Trumelet (C). L'Algérie légendaire en pèlerinage……op-cit.P.P.7.

[2]- سيدي الصادق: ابن سيدي تواتي البجائي الأب استقر ببجاية و في أواخر القرن 15م انتقل ابنه سيدي الصادق إلى قرية لعزيب .

[3]- يقصد به واد بوسلام ، يقع ضريح الشيخ الصادق بقرية لعزيب و التي أخذت من اسمه "قرية لعزيب سيدي صادق" ، حاليا تابعة إداريا لبلدية بني معوش ولاية بجاية قبلها كانت تابعة لدائرة بني ورثيلان ، تقع في المنطقة الحدودية بين بني ورثيلان(ولاية سطيف) و بني معوش ، انتقل هذا الولي من بجاية و هو ابن سيدي تواتي البجائي، والذي انتقل إلى المنطقة الجبلية بسبب الحملات الإسبانية وغزو بجاية.

[4]- الحسين الورثيلاني ، الرحلة ، المصدر السابق،ص،58،59.

[5]- سيدي يحي بن الموهوب ،أحد أبناء سيدي الصادق ، مقامه معلوم و مشهور بقرية حيذوس (ببني معوش) و هو أحد علماء وصلحاء المنطقة ، و المنطقة تجاور عرش بني ورثيلان.

[6]-سيدي محمد الموهوب و سيدي تواتي من أبناء سيدي الصادق، نزلا بأحد جبال بني ورثيلان و أسسا قرية تُسمى "امزين" و أقام سيدي تواتي تواتي بها زاوية، و امتد عطائها إلى غاية 1956م بعد أن تحولت إلى مدرسة تابعة لجمعية العلماء عام 1954م و تم تدميرها اثر قنبلة القوات الفرنسية للقرية ،بعد الاستقلال تم إعادة إعمار القرية و تفعيل الزاوية و المسجد و ضريح سيدي تواتي بمقبرة القرية غير معلوم، لا قبة عليه،

غاية الفقه"، والدهم سيدي تواتي البجائي[1] الذي سكن بجاية وله زاوية عظيمة يقول عنه الرحالة" أما الشيخ سيدي تواتي فهو من القرن التاسع أيضا ولي صالح كبير الشأن عالم على الإطلاق وله مؤلفات كما كنا نسمع عنه وهو عند أهل بجاية من أهل التصريف وقد سمعنا أن فتواه لا ترد من توزر" وهو المعاصر للشيخ سيدي يحي العيدلي وله زاوية وطلبة إلى الأن وخدام في الجبل[2]

-**سيدي محمد الصالح**[3]: يقول فيه الرحّالة: "مُحي الفنون و مُجدد العلم و الدين بعد الدراسة على التعيين، المتصف بعلم اليقين، أتقى المتقين، بل أنه انشرب من عين اليقين، حتى صار من أهل التمكين، علامة زمانه وقدوة أوانه، بركة الأوائل قد زحلق وأخر لقابل لحكمة ربانية يعلمها مرسل صاحب الشمائل الولي الواضح سيدي محمد الصالح، كاد أن يجدد الدين في وقته وعلمه مشهور وفضله منشور توفي في القرن الحادي عشر[4]"،ابنه سيدي الحسين الذي كادت أوصاف سيد الخلق أن توجد فيه و قد تخلق بمعاني الأسماء و الأوصاف الإلهية و له من الكرامات الكثير.

-**سيدي يحي بن موسى**[5]:يعد من العلماء المشهورين في المنطقة ، مؤسس زاوية ،وهي عامرة إلى يومنا هذا، قال عنه صاحب الرحلة: ومنهم الولي الصالح والبدر الواضح سيدي يحي بن موسى فقد ظهر أمره ظهورا فاشيا، يُزار دائما وسيفه ماض على من يتعدى على أولاده....وهو من القرن التاسع .ربى أولاده على

للمزيد ينظر: **ونوغي صونيا، قرية مزين بمنطقة سطيف، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، في الأثار الريفية والصحراوية، جامعة الجزائر،2011-2012،ص.10.**

[1]- يطلق عليه البجائي نسبة لمدينة بجاية التي استقر بها في القرن 15م، أما ابنه سيدي الصادق فقد انتقل إلى المناطق الجبلية المجاورة بعد الاحتلال الإسباني لبجاية و من أبنائه "تواتي" الذي سُمي على اسم جده الأول ، سيدي تواتي الحفيد استقر بقرية امزين ببني ورثيلان وله زاوية معلومة إلى يومنا هذا. **للمزيد ينظر: خيرة بن بلة وآخرون، زوايا ومدارس الجزائر، دراسة أثرية معمارية فنية، منشورا الكراسك، الجزائر،2014،ص.58.**

[2]- الحسين الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص،28.

[3]- سيدي محمد الصالح، ولي مشهور ،أسس زاوية دينية بقرية أجلميم Aguelmim و هي قرية بعرش بني جماتي ،بلدية بني شبانة، دائرة بني ورثيلان، علامة عصره ، توفي في القرن 17م ، عاصر الحسين الورثيلاني أبناؤه الفضلاء فترة من الزمن، و بقيت زاويته عامرة إلى العهد الاستعماري، فبعد الاستقلال تم التخلي و اصبح تم التخلي عنها و أصبحت آثارا شاهدة عن قيام زاوية عظيمة .

[4]-الحسين الورثيلاني، الرحلة ، المصدر السابق،ص.60.

[5]-سيدي يحي بن موسى: عاش في القرن 9هـ/15م، مؤسس زاوية قرية فريحة ،تبعد عن مقر بلدية بني ورثيلان بـ 16كم، تعد من أكبر زوايا المنطقة، تستقطب العديد من الطلبة فاقت المئات منهم، عرفت بنظامها الداخلي و قامت بجلب أساتذة و معلمين كبار، فاهتمت بالعديد من العلوم النقلية والعقلية، في خضم الحركة الإصلاحية تحولت إلى مدرسة تابعة لجمعية العلماء المسلمين، **ينظر: يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة،ج1،المرجع السابق،ص،145.**

العلم وإطعام الضيف والطاعة والفضل سيّما العالم الفاضل الكامل الولي الكامل سيدي يحي بن حمود...تلميذ سيدي علي بن طالب....وكذا أولاد سيدي يحي بن حمود سيدي أبو القاسم وسيدي أحمد، كلاهما على العلم والفضل والكرم والنصيحة والأخلاق السنية"[1] تعد زاوية سيدي يحي بن موسى من الزوايا التي تعتمد على إيواء الطلبة مجانا فكانت مقصد العديد من الطلبة ،أما ابن سيدي يحي بن حمود[2] ،وأعني به أحمد أوحمودي و الذي ذكره في نسخة أخرى حمودي فهو مؤسس زاوية قرية اولموثن والتي كانت عامرة و خرجت العديد من العلماء والفقهاء ، فهي من العائلات التي توارثت العلم من الجد الأول أحمد أوحمودي.

–سيدي أحمد الزين[3]: من صلحاء وعلماء المنطقة قال عنه الرحالة: "منهم العالم الفاضل والصالح الكامل والورع العدل...ومثله في الفضل والعلم والأدب النحوي اللغوي الفقيه سيدي أحمد الزين...تلميذ أبي ومثلهما صلاحا وعلما وحالا وورعا وفقها وفهما[4]".

–سيدي يخلف[5]:يقول عنه صاحب الرحلة" فقد كثرت عليه الخلوة والاعتزال بحيث إذا بقي في موضع مرئي للناس جازوا عليه ولا يرونه أصلا، وهو صاحب كشف عظيم، لا يكاد يُخفى عليه أمر كما أخبرني من رآه وصحِبه".

---

[1]– الحسين الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.72،74.

[2]– احمد بن حمود : ذكره في نسخة أخرى حمودة، و في نسخة أخرى حمودي، و الأقرب للصحة أوحمودي، فهي عائلة علم و شرف، أسست زاوية بقرية اولموثن ،حج مع الحسين الورثيلاني وكان رفيق دربه، تبعد عن بني ورثيلان بـ 8كم ، ابن الشيخ يحي اوحمودي مؤسس زاوية قرية فريحة. أنجب هذا البيت العلمي العديد من الصلحاء و العلماء منهم يحي أوحمودي الأول ابنه عبد الله ويحي الثاني ابن هذا الأخير، أحد الأعضاء الإداريين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ينظر: **محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر القطاع القسنطيني،ج1،ط1،دار الأمة، الجزائر،1999،ص.200.**

[3]– عاش في القرن 17م، من أشراف المنطقة ،سكن بقرية "أمدون" ببني ورثيلان، أخذ العلم على يد العالم محمد السعيد والد الحسين الورثيلاني، تعد من البيوت العلمية في المنطقة أبا عن جد ،ظهر منهم العديد من العلماء والفقهاء و المفكرين عبر التاريخ منهم حديثا المفكر عبد الحميد بن الزين.

[4]– الحسين الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.692.

[5]– عاش في القرن 17م، أصله من المغرب ، قدم إلى قرية اسمامن ببني ورثيلان، هذه القرية لا تملك زاوية ، بطلب من علمائها جعلوا وقف القرية القرية تُرسل لصالح زاوية الحسين الورثيلاني "بأنو" والراجح في الأمر من أجل تدريس أبناء هذه القرية وهذا ما وافق عليه مرابطي المنطقة و مفتي قسنطينة على الونيسي ،وهذا بعد فترة من الزمن رفض سكان مدشر اسمامن إخراج عطاء الوقف لصالح زاوية سيدي الحسين "بأنو"، المخطوطة مؤرخة في شهر محرم عام 1198 الموافقة لـ ديسمبر 1783م أي بعد وفاة شيخ الزاوية بأربع سنوات، ينظر: **مخطوطة في الوقف ، فتاوي مرابطي منطقة بني ورثيلان محمد بن العياضي مختومة بقاضي قسنطينة علي الونيسي، نسخة محفوظة عندي،ينظر الملحق رقم 07.**

-سيدي يذير بن الحاج[1]:العالم الفقيه، قال عنه الرحالة: "الولي الصالح سيدي يدير بن الحاج الفقيه الفاضل ابن المسن المتعبد ذي النسك سيدي أحمد نجل سيدي محمد السعيد والفاضل سيدي محمد البهلولي"[2].

هذا بعض صلحاء منطقة الحسين الورثيلاني الذين استمدّ منهم تعاليم التصوّف وسمع عنهم منذ الصغر ما أثّر على نشأته و سلوكه في مجال التصوّف والزهد منذ الصِغر، فآثرنا ذكر البيوت العلمية المنتشرة بمنطقته خلال الفترة التي سبقته مباشرة فهي التي مهّدت في بزوغ التصوف و انتشار الزوايا نتيجة العوامل السياسية التي ذكرناها سابقا.

البيئة الأسرية المتمثلة في الأهل والأقارب، بدءً من جده الأكبر ببني عشاش أحمد الشريف وصولا إلى أبيه محمد السعيد، فكانوا بيت عِلم وشرف وتصوّف، فأخذ عليهم مبادئ التصوف و العلم، فمن جهة الأم نجد أخواله وأجداده من ثقات العلم والصلح وصلحائه من بني يعلى فكانت لهم زاوية تُدرس العلم والدين .كلها عوامل ساهمت في تبوئه مكانة عالية بين العلماء والعامة في الجزائر وفي القطر الإسلامي عامة.

هذه البيئة الاجتماعية كانت أرضا خصبة للعلم والفقه والتصوف ،فبني ورثيلان وما جاورها من مناطق آيت عيدل موطن العلامة و الولي الصالح يحي العيدلي بقرية " تمقرة"[3] صاحب زاوية ومدرسة قرآنية

---

[1]- سكن قرية جبرني ببني ورثيلان، عائلة ذات علم و تصوف، عرفت بتوارث العلم والدين اليهم ينتسب عائلة فضلاء منهم الحسن فضلاء، فهم من أسرة البهاليل الذين سكنوا قرية جبرني، لذين انحدروا من جدهم الأول إيدير بن الحاج، إلا أن والدهم أحمد انتقل إلى قرية اولموثن ما جعلها منارة الفقه والعلم، فهم من المرابطين و ينتسبون للنسب الشريف، فهي أسرة توارثت العلم، ينظر: **السعيد أبهلول، الشيخ السعيد أبهلول الورتلاني في مجموعة من رسائله ومجالسه وفتاويه، تصحيح وتعليق: محمد الطاهر فضلاء، دار هومه، الجزائر ،2004،ص.10،09.**

[2]-الحسين الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.601.

[3]- قرية تمقرة: تقع في منطقة حوض الصومام بالقرب من منطقة اقبو بولاية بجاية، تواجد بها زاوية سيدي يحي العيدلي منذ منتصف القرن 15م، عاش الشيخ يحي العيدلي في القرن 15م (ت 1477م/881هـ)،تعلم على أحد أعمدة شيوخ المذهب المالكي احمد بن ابراهيم البجائي(ت1437م/840هـ)،عاصر العالم الشيخ تواتي البجائي عالم بجاية وفتواه لا ترد من بجاية إلى تونس، أسس بقرية "تمقرة" زاوية علمية دينية على المذهب المالكي وهي مقصد العديد من الطلبة، من مؤلفاته: وظيفة يحي العيدلي، شرحها الحسين الورثيلاني، ينظر: Judith SCHEELE et Djamil AÏSSANI, Les sources écrites et orales autour de Yahia al-Idli ,Colloque international Le Savant-Soufi Yahia al-Aydli (m. 881h./1477): Son œuvre, son école et son influence, Béjaia/Tamokra, 19 – 20 Mai 2010.

قال عنه الورثيلاني: مررنا على قبر الشيخ الولي الصالح والقطب الواضح رحمة الله عليه، وطننا وغيث بلادنا سيدي يحي العيدلي نفعنا الله به أمين، وقد شهد بقبطانيته، الشيخ الولي الصالح ذو التأليف المفيدة سيدي عبد الرحمان الصباغ شارح الوغليسية وقد شرح البردة أيضا بان اختصر شرح

تخرّج منها الآلاف من علماء المالكية ولازالت إلى يومنا حاضرة العلم والثقافة، فجلّ علماء منطقة زواوة و الجزائر بالأحرى تخرجوا منها، بغض النظر عن منطقة آيت يعلي إذ تتواجد زاوية عظيمة بها. فمشايخ الزوايا وعلماء الدين هم من حافظوا على مقوّمات و ثوابت الأمة من لغة ودين وتاريخ ... وصمدوا في وجه الغزاة والمحتلين الذين مرّوا على هذه الأرض فبقيت الثوابت و العادات لدى سكانها بفضل هؤلاء الذين لازموا وعكفوا على تدريس وترسيخ هذه الهوية وكما يقول الباحث "محمد أركون" عن طمس الثقافة المحلية من طرف الغزاة الغربيين "أن الثقافة الفرنسية مؤيِّدة للعلمنة الروحانية بشمال إفريقيا[1] ولتشتيت الدين ،فساهم المتصوفة والمرابطون في الدفاع عن الدين الإسلامي منذ سقوط الخلافة الإسلامية وضعف الدويلات الإسلامية بشمال إفريقيا إلى يومنا هذا.

أفراد أسرته: أسرة الورثيلاني من الأسر الشريفة المرابطة المحافظة على الدين ، الشرف والعرف منذ جدهم الأول الذي سكن منطقة بني ورثيلان، توارث العلم والدين، فأينما حلّ أسّس زاوية أو معمرة لتدريس العلوم المختلفة ، فأثّر هذا على شخصيته كونه فرد من بيت علمي ما جعله يتوارث العلم و من أهم الشخصيات التي تصدرت هذا البيت :

–جده أحمد الشريف: إذا صُلُح الأصل صلح الفرع، فالجد الأول للعائلة هو أحمد الشريف، صاحب زاوية ببني عشاش، وقد سبق ذكر تاريخه و أصله، فأسس زاوية بمحله بني عشاش ويقصدها الطلبة من كل الجهات فوصل عدد طلابها إلى خمس مائة طالب، وعند قراءة القرآن من تلك القرية الجبلية، يُسمع صوت القرآن من القرى البعيدة والمقابلة لها من الضفة الأخرى من الجبل من جهة قرية" الخميس" ببني يعلى، ما يظهر كثرة عدد الطلبة بها، الشيخ أحمد الشريف صاحب الكرامات المشهورة لدى أهل عصره ويُقال أنه يجتمع برجال الغيب، من تلاميذه الشيخ عبد الله أخذ عنه الفقه وأصوله وأصبح فقيها، وأيضا الشيخ يحي .

الإمام ابن زروق التلمساني عليها، بعلوم سبعة ورثاه بقصيدة عظيمة وشهد له أيضا بالعلم الظاهر والباطن وأنّ له كرامات عظيمة، وشهد له أيضا ذلك بحر الولاية والعلم سيدي عبد الرحمان الثعالبي رضي الله عنه و مثله في العلم والولاية سيدي تواتي البجائي ، الرحلة،ص.08

[1]Mohammed Arkoun, Lenguas, sociedad y religión en el Magreb independiente, in las culturas del Magreb, Edición de María- Ángels Roque, Agencia española de cooperación internacional, Madrid.1994.P.72.

جده يحي: سكن مجانة لمدة عشرين عاما، وكان من أهل العلم و الجاه، له خدم وعبيد ما يقارب الثمانين، وله خزانة عظيمة من الكتب [1] لا توجد عند غيره وضاعت منه بسبب الوباء الذي حلّ بالمنطقة، فورث عن أبيه أحمد الشريف العلم و الدين وله كرامات عديدة.

– جده الحُسين: شيخ زاوية، إذ ترأّس زاوية والده بعد وفاته، فأصبح الموكل عليها و المدرس بها و المدبر لأمورها، ألزَم نفسه التدريس إلى أن توفي. فكان مفتي المنطقة دون مقابل ، زاهد في الدنيا، قانع بما قسمه الله، لا يقبل الهدايا نتيجة تقديمه للمساعدة ، كالفتوى أو الإصلاح ذات البين، فعُرف عنه الورع والقناعة وحب الخير. ملَك خزانة من الكتب وجعل لنفسه ناسخا اسمه سالم، يقوم بنسخ و تدوين كل ليلة نصف كراسة من القالب الكبير. أخذ العلوم على عدة مشايخ منهم الشيخ سيدي علي بمنطقة تمقرا وكان ذلك في القرن الحادي عشر هجري[2].

جده من أمه: فجلّ الذين ذكرناهم من جهة الآب، لم يخْف الورثيلاني شرف أسرته ونسبه من جهة الآب والأم، فمن عادة الأشراف أنهم حافظوا على مرّ الزمان على سلالتهم ونسبهم الشريف عن طريق الزواج الداخلي، فجده كان فقيها يحفظ العقائد الثلاث متنا وشرحا، ومن طلبته محمد الزرقاني ابن الشيخ عبد الباقي شارح موطأ وشارح المواهب اللدنية وكان من أكبر المحدّثين .

حُظي بمكانة دينية وعلمية جليلة فلا تُفتتح جلسة الحديث إلا بحضوره في مجلس الشيخ الخرشي والذي يحضره الشيخ عبد الباقي وابنه محمد الزرقاني، ولُقب بمالك الصغير، لتضلعه في علوم الفقه وأصوله، أما مسائل الأعراب والتصريف و البيان على طرفي اللسان، فحدثت له قصة أن طلب منه الزرقاني إعراب جملة" كل إنسان وصنعته وكل صانع ما صنع، فتعذر على الشيخ (جد الورثيلاني) إعرابها إعرابا تاما، ما جعل طالبه يتفوّه بكلام لا يليق للشيخ ،فأدّبه والده(الشيخ عبد الباقي) وزجَره إلى أن تدخّل الشيخ فقال له دعْه إنه صغير، وأدرك أن أولاد الأمصار و المدن ألسنتهم طويلة[3]، فيكفي فخرا وشرفا أن جده تصدر للتدريس بمصر ومصر تعج بالعلماء و الفقهاء.

---

[1]– الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق، نفسه،ص.75.

[2]–نفسه،ص.39.

[3]–نفسه،ص.549،550.

– والده محمد السعيد: نشأ على سيرة والده، فقد أخذ العلم ومختلف علومه على كبار علماء عصره منهم الشيخ المحدث محمد العربي الذي قال فيه :"شيخ والدنا الفاضل النحوي اللغوي المحدث المفسر الأديب الفقيه الجامع بين المعقول و المنقول ، الولي الصالح، البرهان الواضح ذو الأحوال الفاخرة ،شيخ شيوخنا المغرب العربي"، فكان مثل شيخه محبا للسُّنة و متبعا لمنهاج الرسول عليه الصلاة والسلام فقال ابنه عنه" وكان والدي في غاية الاتباع أكثر من أبيه، تُؤخذ السنة من كلامه وأفعاله، ومن شيوخه مؤلف كتاب المدخل الوغليسي، والشيخ عبد الله بن أبي جمرة، ابن عطاء الله، والشيخ زروق[1]، فهم من ثقات القوم وعلماء العصر من نهل منهم كفاه عن غيره، قرأ على عديد الشيوخ بمصر منهم" الزعتري" فعرض عليه القصيدة الخزرجية في علم العروض والقوافي ونقاية السيوطي وذلك عام1076 في حجته الثانية[2]

قيل أنه يُعرف الرجل من أصدقائه، فالعالم جلّ أصدقائه من أهل العلم والخلق، ومنهم الشيخ محمّد السّعيد" علي بن جاب الله" مثلا يضرب به في العلم و العبادة، فكان غاية في الترقي والعبادة وتهذيب النفوس والأخلاق، ومنهم أيضا الشيخ أحمد الزروق، عالم عصره، فريد زمانه، اعتزل الخلق وزهد بنفسه، فقيه متكلم وعُرف بجودة خطِّه في الكتابة، أحبَّه العامة و الخاصة من العلماء، وجالسه المحدثين و المتكلمين من أهل الذكر والعقل، فلاطفَه أولياء الله وهذا الشيخ الموفق الصالح الولي خديم الطلبة في زاويته[3] ،فأحبّ الشرفاء منهم والده محمد السعيد، ومن أصحابهم أيضا الشيخ" علي بن الصالح" الذي قويت أسراره وعلمه وفضله ظاهران فقد درّس وأسّس وعلّم وأنِس نبراسَ زمانه وعبقري أوانه، وليث مكانه[4]،ومن الفضلاء الذين لزِمهم وأكثر من مجالستهم "الشيخ الحسن" الزاهد عن الدنيا، المنصف للحق، صاحب الكرامات، مصلح الأمة، مهذّب النفوس، صاحب الفضل والخير، متبع السنة والورع والتقشف[5].

من آثاره إتباع السنة ،فعند قدومه إلى بجاية يوم الجمعة لا يؤدي صلاة الجمعة بها فكان يصليها ظهرا لإدراكه أن الأئمة معظمهم وصلوا إلى ذلك المنصب عن طريق الرشوة و المحاباة و لا يجوز الصلاة وراء إمام وصل إلى منصبه بغير طرق الحلال، فالإمام صلاته باطلة و من اقتدى به أيضا، فكان مقتفيا للسنة

---

[1]- نفسه،ص.76.

[2]-نفسه،ص.250.

[3]-نفسه،ص.34-36.

[4]-نفسه،ص.50.

[5]نفسه،ص.63.

النبوية حتى صارت له طبيعة من طبائعه[1]، ومن تلامذته المشهورين "أحمد الزين" من بني ورثيلان صاحب الفقه و الفضل.

–الشيخ محمد الصغير: عّم الرحالة، من طلبة الزاوية ،درس الفقه من المختصر بشرح الأجهوري[2]، عاصر الورثيلاني و كان علامة زمانه، وفي خضم هذا الجو العلمي ظهر التنافس والصراع الفكري بين أفراد العائلة ،فذكر الورثيلاني حادثة بينه و بين والده فقال" وقد وقع بيننا و بين الوالد رحمة الله نزاع في بعض المسائل من مسائل الفقه، فاستظهرت أنا والعلامة الفاضل والمحقق الكامل عمنا سيدي محمد الصغير أمرا، والوالد جزم بفهم آخر وهو قول خليل...[3]".

جدته: من الشريفات الصالحات مثلها مثل والدته، متبعة للدين، حريصة على العبادة، مقيمة لشعائر الإسلام، كانت تقسم الليل ثلاثا، ثلث للصلاة، وثلث للنوم والثلث الأخير للذكر[4]،فآثرنا الحديث عن الصفات الدينية و العلمية لزوجاته اجتنابا للتكرار فقد ذكرناه في موضوع زوجاته وأصهاره.

لم يتوقف توارث العلم و الفقه عند الحسين الورثيلاني بل امتدت إلى الجيل الذي بعده و بقيت إلى يومنا هذا ،و من العلماء والأفاضل الذين عاصرهم الورثيلاني و هم من أفراد عائلته ابن عمه الصديق و ابنه العلامة محمد صالح، وابن عمه محمد الشريف الفقيه الأديب، و ابن عمه الفقيه اللغوي الشاعر المتكلم والحافظ للشعر أحمد الشريف و أبناء عمومته الشيخ أبو القاسم و عيسى الشريف، فهذا من جهة أبيه وعن جهة أمه من أخواله يذكر العالم الفاضل "عبد العزيز" نجل خاله محمد بن الحاج الشريف، ما يثبت حقا أنه نشأ في بيت علمي توارث العلم و أورثه لحَفدَته فجلّ عائلتهم متضلّعين في العلم.

بعد استعراضنا للمحيط الأسري و الاجتماعي للورثيلاني نجده محظوظ أنه عاش في كنف العلم و الدين ما سهل له الطريق لمواصلته وإيصاله للأجيال القادمة و بقيت زاوية الحسين الورثيلاني عامرة إلى ما بعد الاستقلال و من خيرة من أنجبتهم العلامة، المجاهد الشيخ الفضيل الورثيلاني.

---

[1]–نفسه،ص.112،112.

[2]–أحمد ظريف، قراءة في الرحلة، سياحة في أغوار رحلة الورثيلاني، دار هومه، الجزائر،2005،ص.29.30.

[3]– الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.295.

[4]–نفسه،ص.64.

3- أسفاره ورحلاته: عُرف الورثيلاني منذ صغره بكثرة أسفاره وتنقلاته في منطقة القبائل الصغرى طلبا للعلم بين مختلف زوايا المنطقة ، لم يكتف بل امتدّ إلى زيارة مختلف مناطق الوطن فوصل إلى تلمسان، فكانت له رحلات داخلية كثير هو منها الخارجية إلى الحجاز لأداء مناسك الحج والتفقه في الدين على علماء الأمصار التي مر عليها، وعلى هذا الأساس نقسمها إلى صنفين رحلات داخلية مجالها الجغرافي الجزائري و البايلكات التي زارها، والصنف الثاني الرحلات الخارجية و التي امتدت خارج القطر الجزائري:

– الداخلية: الورثيلاني مولَع بالعلم و الدين و حبّه الشديد للعلماء و مجالس العلم **و الذكر** ما جعله دائم الحركة و التنقل، ما أكسبه العديد من الأصدقاء والأحباب فأينما يحل ببلد إلا ويجد استقبالا وأصدقاء كثر و نفس الأمر عند مغادرته يصعب فراق أحبته، فقبل رحلته الأخيرة إلى الحج عام 1179م، قام بعدة رحلات داخلية شملت منطقة القبائل الصغرى وحوض الصومام، الجنوب القسنطيني و أخيرا وسط الجزائر و غربها في رحلة سابقة وسنقوم بترتيبها بحسب تنقّله اليها.

الجنوب القسنطيني :مرّ على عدة محطات منها

-**سيدي خالد** : التي زار بها ضريح "النبي خالد" الذي عرّفه للناس عبد الرحمان الأخضري لمعرفته بعلم التربيع ، التقى بفقهاء منطقة أولاد جلال منهم الشيخ" التتاني" مُدرس في مسائل مختصر خليل وجالس العديد من طلبة الشيخ "أحمد باباس" وهم : الشيخ عبد الباقي و الشيخ مبروك وهم من أهل العبادة والزهد ، فوصف لنا مشهد كثرة الزوار بالجمع الغفير لكَثرة المتبركين و الزائرين، فقد سبق أن زاره مرة وفي رجوعه إلى بلده عرّج على الغوث أبا جملين بالمسيلة.

-**طولقة:** زار قبر الشيخ "عبد الرحمان الأخضري" وتبرك به دعا عنده، والتقى بالعديد من أصدقائه ، وقد عزم الجميع على الذهاب إلى الحج فقطع معهم العهد رفقة أحبابه منهم محمد المسعود[1].

أ-منطقة القبائل الصغرى ودلس: بعد أن عاد من طولقة- والذي لم يخبرنا بتفاصيل رحلته و عبر أي مسار سَلكه ؟كان قد قطع العهد مع فضلاء طولقة وسيدي خالد بالمشي إلى الحج و سمع النداء من عمالة الجزائر ،فعزم أن يحج رفقة كبار علماء المنطقة، بطلب من صديقه "أحمد الطيب" ألغى حجه وتنقل لمنطقتي القبائل الصغرى و دلس عام 1779هـ ، فكان سبب تنقّله هو إصلاحه ذات البين بين الناس بعد تفشي

[1]- نفسه،ص06.

الظلم والجور، ورغبته في النهي عن المنكر والأمر بالمعروف بعد أن سكتَ أهل الحق من الخير والإصلاح. فقد تفشّى الفساد الاجتماعي والأخلاقي وابتعد عن الناس عن الدين ما أورثهم الجهل والظالمين من جهة ومن جهة أخرى تعدّ رحلة في أغوار السياحة الصوفية المرابطية لزيارة الأولياء و العلماء و طلب حاجاته .

محطته الأولى بلدة **تمقرة(بني عيدل)** زار أضرحة وقبور الصلحاء و تبرك بعلمائها و جالس فضلائها فمن الذين زارهم قبر الشيخ يحي العيدلي وقصّ العديد من كراماته وحدثنا عن مؤلفاته و طلبته، وبعد الانتهاء من الزيارة انتقل إلى **بني عباس** نزل بها عند أشراف القوم واستُقبل استقبالا عظيما فزار أهل العلم والفضل منهم "محمد السعيد بن طالب" و"أحمد بن عبد الرحمان" من أولاد مقران، ودخل على أمير مجانة وقضى حوائجه ومنها انتقل لزيارة ضريح سيدي بهلول بن عاصم وكثير من الصلحاء بحوض الصومام منتقلا بين القرى والأعراش، بعد الفراغ من ذكر كرامات الأولياء انتقل إلى **بوجليل** زار شرفاءها وأصلح بين القبائل المتخاصمة بعد أن انتشر القتل وسالت الدماء في المنطقة، وعجز أهل الحل والعقد عن إيجاد حل للخصومات، وفي طريقه مرّ على **بني منجلات** ،**بني بترون، بني عيسى،** زار من أهل التصوف الأحياء منهم والأموات و منها إلى **دلس** إلى **دلّس** لزيارة الولي أحمد بن معمر وقد سمع عنه الكثير من أهل بلدته ومتصوفيها و دوّن بعض مؤلفاته هناك، ومكث بها ثلاثة أيام .

في طريق العودة سلك مسار قرية **آيت فراوصن** أين مرّ على الصلحاء والمرابطين ،فهي بلدة الشيخ ابن معطي صاحب الألفية في النحو، فنزل بقرية **الجمعة** "الصهريج" ودخل على "محمد بن القاضي الشريف" سلطان زواوة والذي حج معه عام 1179هـ، ثم عرّج على **بني بوشعايب،** إلى أن وصل إلى **آيت يحي** ولقي بها أصحابه وكانت أماكن زيارته معروفة بين العلماء و المتصوفة و المزارات كالأضرحة والقبور وتواجد الكثير من المساجد و الأسر المرابطية في **ناحية آيت فراوصن، آيت يحي والجمعة**[1]، بعدها مرّ على قرية "**ثوجةtouga**، وبعدها قرية ورجة ذات البساتين والخير نابع من أهلها و بها مياه غزيرة وهي بلدة" أحمد بن مزيان" صاحب كتاب في الصلاة على النبي المختار، عرّج مرة أخرى على بلدة الشيخ يحي العيدلي[2] إلى أن وصل إلى بني ورثيلان.

---

[1]-Aucapitaine(H),Notice sur la tribu des Ait Feraoucen, La revue Africaine, Volume 04,Alger,1859-1860,P.P.454-457.

[2]نفسه،ص،ص.7-16.

منطقة بجاية :بعد عودته من السياحة الصوفية بمنطقتي وادي الصومام ودلس، عزم على الحج ونودي في السوق البلدة وسمع أهل عمالة الجزائر بحجه، فكبُر الركب وعظُم الأمر، ولسبب ألمه اعتذر عن حجه مثل المرة السابقة أين انتقل إلى الجنوب الجزائري ، أما هذه المرة انتقل إلى بجاية إذ مرّ على **أولاد الشيخ** محمد أمقران(اوزلاقن) فصحِبه العديد من أحبابه، فدخل بجاية على **بئر السلام** فطاف بالعديد من الأضرحة منهم: أحمد بن معمر، رجال النخلة بسوق الخميس ،الصديق، عبد الحق الفجيجي، الشيخ الصوفي، وزار خلوة أبي مدين الغوث وأبي محمد المرجاني ثم انتقل إلى **برج اللؤلؤة** أين زار العديد من الخلوات منها: خلوة الشيخ السبتي، والشيخ عبد القادر الجيلاني، والجامع الأعظم القديم ثم إلى جهة الميناء في الجبل إلى قبر الشيخ أبي زكريا الزواوي والعديد من صلحائها ،فبجاية أهلها أهل علم ودين، وزار جميع أصحابه و أصحاب والده ثم ودعهم وعاد إلى بلده أين استعد للحج[1].

باقي مدن الجزائر: لم تقتصر رحلاته الداخلية على منطقتي القبائل والجنوب الشرقي ،بل امتدّ إلى عديد المدن ففي الغرب زار **تلمسان** الذي يسميها مدينة الجدار ،فدخل إلى العباد أن طاف بقبر أبي مدين الغوث والشيخ السنوسي والإمام ابن زكري والعقبانين و الإمام ابن مرزوق وولدي الإمام وكلهم مشهورين بتلمسان فهم من خيرة أهلها في العلم و النسب والشرف[2]، كذلك مدينة **مليانة** زار ضريح أحمد بن يوسف المليانى **وفي الوسط** ضريح سيدي فرج **بسيدي فرج** التي سميت عليه، **و القليعة** دخلها وزار ضريح علي بن مبارك القليعي ،**و البليدة** أيضا توقف عند أوليائها منهم الشيخ الكبير، **والمدية** عند وليها محمد أبركان وغيره وفي الشرق الجزائري مدينة **قسنطينة** عند وليها سعيد السفري و جالس عديد قضاتها، ومن مدن الشرق التي زارها أيضا مدينة بونة" **عنابة**" أين حلّ عند قبر "أبو مروان" وأولاد سيدي أحمد ،وزار أيضا **تبسة**[3] .

على هذا يكون الورثيلاني قد طاف بجلّ أضرحة الجزائر و التقى بعلمائها، فأراد من خلال رحلته التعريف بعلماء الجزائر و متصوفتها و أبرزَ الجانب الديني الصوفي لما تعلق به منذ صغره، فهو ابن زاوية أبا عن جد وعاش في بيئة صوفية و في عصر انتشر التصوف بكثرة، فرحلته الداخلية عرفتنا بصلحاء الجزائر و بعضا من مؤلفات علماء الجزائر في العهد الحديث.

---

[1]-نفسه،ص،ص.17-28.

[2]-نفسه،ص.21.

[3]- نفسه،ص.290-293.

رحلاته الخارجية

قام الورثيلاني برحلات خارج الجزائر جلها إلى الحجاز قصد أداء فريضة الحج و اغتنام أمور أخرى كالدراسة و التدريس و لقاء العلماء و جلب الكتب ،يذكر في رحلته أنه حج ثلاث مرات: الأولى كانت عام 1153هـ/ 1740م يقول عنها:" ففي الحجة الأولى اجتمعنا مع الشيخ الولي...عام ثلاثة وخمسين ومائة الف"[1] كان برفقة والده محمد السعيد وهو ابن ثمانية عشر سنة، أما الحجة الثانية والتي كانت عام 1166هـ/1752 يقول عنها "...غير أنهم في الحجة الثانية ضيفونا ضيافة عظيمة وذهبوا معنا من طرابلس إلى قابس..."[2] فيكون ابن الواحد والأربعين سنة، أما حجته الثالثة والأخيرة والتي من خلالها وصف لنا كل ما شاهده وسمعه فكانت عام 1179هـ/1765م والتي قال عنها" اعلم أيها الأخ لما أراد الله المشي منا إلى الحج وقد سبق في علم الله أن يكون حجنا في عام تسعة وسبعين ومائة وألف (1179هـ)"[3].

انعدام سيرة شخصية عن الورثيلاني صعّب الأمر للوصول إلى معلومات عن شخصيته ، حتى الذين جاءوا من بعده لم يدونوا له ،فبقي الأمر غامضا، فاعتمدنا على معلومات مبعثرة من الرحلة وأخرى في بعض من المخطوطات والتي بها إشارات قمنا بجمعها ومقارنتها ببعض الدراسات التي تناولته بصفة جد مختصرة و جلها تتفق في نفس الكلام باعتبار اللاحق نقل عن السابق.

5- تعلمه وشيوخه: أخذ الورثيلاني علوما متنوعة على عدة شيوخ في مختلف الأمصار من الوطن العربي، بمنطقته بني ورثيلان مهده الأول وأجداده، ثم ظل متنقلا بين سائر مدن الجزائر وزواياها خاصة في حوض منطقة الصومام التي تواجدت به الكثير من الزوايا منها بمنطقة تمقرا ببني عيدل ، بني يعلى و أحوال مدينة بجاية، فأخذ العلوم الدينية واللغوية على يد والده محمد السعيد ، فحفظ القران الكريم منذ صغره بزاوية والده.

تعلم اللغة العربية وقواعدها مقتفيا على آثار "ألفية بن مالك" و كذا الأجرومية التي كانت منتشرة ببني ورثيلان وضواحيها دُونت و نُسخت ودُرّست في كل زوايا القبائل الصغرى وحوض الصومام[4]، وقرأ مختصر خليل منذ صغره و شرح الوغليسية بالإضافة إلى علم التوحيد و التصوف الذي ورثه عن أسرته و

---

[1]-نفسه،ص.123.

[2]-نفسه،ص.130.

[3]-نفسه،ص.04.

[4]-أبو عبد الله الصنهاجي، الأجرومية ، مخطوطة في علوم اللغة العربية، محفوظة لدى عائلة بن جدو ببني ورثيلان ،ينظر الملحق رقم 08.

عائلته، تعد زاوية والده المنبع الأول الذي أخذ منها العلوم النقلية و اللغوية و بعضا من العقلية ثم طاف بالعديد من زوايا القبائل الصغرى وكبرى الحواضر منها تمقرة منتهيا به المطاف ببجاية ، ولم يتوقف شغفه بالعلم فكان على سيرة والده و جدّه من أمه اللذان بقيا متنقلان بين الأمصار لأخذ العلوم حتى تصدّرا مجالس التدريس والفتوى، فحذيَ حذوهم، فزار المشرق الإسلامي ودرس بالعديد من المناطق منها تونس و مصر و جالس عديد علماء مكة المكرمة.

من العلوم الدينية التي كانت منتشرة في المنطقة خلال العهد العثماني ، نجد شرح مختصر الخليل و الذي يعدّ من أساسيّات الطالب، فقراءته شرط بدون قيد، و حفِظ المتون و مختلف الشوارح والحواشي تعدان من ثقافة [1] العصر العثماني، فكانت علومه الأولى باعتباره من مرابطي المنطقة و المرابط هو رجل الدين و العقيدة الإسلامية [2]فوَجب عليه تعلّم العلوم الدينية أولا بالتوازي مع العلوم اللغوية ما يؤكد ذلك المخطوطات المتواجدة في المنطقة جلها تتناول الجانب الديني مثله مثل سائر المتصوفة وعلماء الدين، فقرأ مختصر سيدي خليل في الفقه المالكي ورسالة أبي زيد القيرواني، و العاصمية لابن العاصمي في الفقه المالكي، أما في اللغة وعلومها نجد أيضا قطر الندى وبل الصدّى لابن هشام و يتم دراسته اللغوية بألفية ابن مالك ولامية الأفعال لابن مالك[3].

أهم شيوخه بمنطقة بني ورثيلان و عمالة الجزائر: لم تؤرّخ المصادر التاريخية عن الورثيلاني، كما أنه لم يدوِّن عن نفسه بمسقط رأسه، فاهتم بذكر شيوخ مصر ،تونس وعلى هذا توصلنا إلى بعضهم منهم:

-**والده محمد السعيد**: أخذ عنه العلوم اللغوية و التصوّف.

-**يوسف بن بشران** : مُدرس القرآن الكريم بزاوية والد الورثيلاني ببني عشاش، يُعلم الصغار القرآن و بعض مبادئ اللغة العربية، على يده حفظ القرآن[4].

---

[1]-الورثيلاني، المصدر السابق، ،ص،05.

[2]-Brosselard (Ch).Tombeau de l'ouali sidi Boudjemaa, la revue Africaine, Volume04, Alger , 1860, P.253.

[3] -Hadj Sadok(M),A travers la berbérie orientale du 18 siècle avec le voyageur Al Warthilani, La revue Africaine, Volume95,Alger,1951.P.317.

[4]- الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق ،ص.623.

-**الشيخ يحي اليعلاوي**: نسبة إلى منطقة بني يعلى بالقبائل الصغرى، متبحّر في علوم اللغة والأدب و النحو[1].

-**شيوخه بمصر** :

-**الشيخ علي بن أحمد**: شاذلي الطريقة، ، علّمه ألفيه مالك في اللغة وقواعدها[2].

-**محمد المعزي** : استفاد منه في علوم الشريعة و أحكامها ،رجل حكيم ذو خبرة ، علّامة عصره وزمانه، ذاع صيتَه في علوم التوحيد[3].

-**الشيخ البليدي**: أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي الشهير بالبليدي، نسبة إلى مدينة البليدة بالجزائر، متضلّع في علم المنطق[4]، شيخ المشايخ، وعمدة أهل التحقيق و الرسوخ، عالم بالفقه والحديث، مواظبا على إملاء صحيح البخاري و مسلم و موطأ الإمام مالك، توفي عام 1173هـ[5]، تعلّم على يده جلّ مشايخ الورثيلاني، صاحب التآليف الكثيرة منها حاشية على الشيخ عبد الباقي، درس عليه العلوم الدينية خلال رحلته الأولى عام 1153هـ ،وزاره في حجته الثانية.

-**الشيخ العمروسي** علي بن خضر بن أحمد العمروسي، توفي 1173هـ[6]،علماء مصر، له تصانيف كثيرة جلها في التعليقات والشرحات منها شرح مختصر خليل [7].

-**الشيخ خليل المغربي**: هو أبو المودة خليل بن محمد المغربي، التونسي الأصل، المصري المولد، له العديد من المؤلفات منها شرح المقولات العشر، توفي بالحرم المكي عام 177هـ[8]، برع في علم المعقول، قرأ عليه القطب على الشمسية والمقصود بها التصورات و العكوس و التضاد .

---

[1]-نفسه،ص.690.

[2]- نفسه،ص.65. و يذكر في موضع آخر ص.58

[3]-نفسه، ص. 140

[4]-أحمد الحضيكي السويسي، الرحلة الحجازية، ضبط وتعليق: عبد العالي المدبر،ط1،دار الأمان للنشر و التوزيع، الرباط، المملكة المغربية، 2011،ص.183.

[5]- محمد بن قاسم مخلوف ،شجرة النور الزكية، ج1،ص،489.

[6]-نفسه،ج1،ص.489.

[7]- الورثيلاني، المصدر السابق،ص.285.

[8]-محمد بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية،ج1،ص،489.

-**الشيخ الملوي**: أحمد بن عبد الفتاح عمر المجيري الملوي الشافعي الأزهري، توفي 1182هـ بمصر[1]،له عدة مؤلفات منها الشرح الكبير و الصغير على السلم، الشرحان الكبير والصغير على الرسالة السمرقندية، نظم الموجهات وشرحها، جالسه ولم يدرس عليه وجده شيخ كبير السن فاق المائة عام و طريح الفراش[2].

-**الشيخ علي الصعيدي**: هو أبو الحسن أحمد الصعيدي العدوي، مالكي المذهب، شيخ الأزهر الشريف صاحب التآليف الكثيرة منها الألفية الاصطلاحية توفي عام 1189هـ،من شيوخه محمد البليدي والحضيكي[3]، حضر مجلسه و تعلم عليه الفقه على مختصر خليل بشرح الشيخ الخرشي.

-**الشيخ علي الفيومي** :هو أبو الحسن علي الفيومي، له مصنفات في علم الكلام، توفي عام 1771هـ[4]، عالم في التوحيد، له عدة رسائل منها رسالة في أسماء الجلالة، أخذ عنه علم التوحيد.

-**الشيخ عبد الوهاب العفيفي**: أبو محمد عبد الوهاب بن سليمان بن حجازي المرزوقي العفيفي، شيخ الطريقة الشاذلية بمصر أجازه عديد علماء مصر، توفي 1172هـ[5] ،من كبار علماء مصر، شاذلي الطريقة، لقّن للورثيلاني الأذكارَ و جدّد له العهد على الطريقة الشاذلية[6].

-**الشيخ الحفناوي**: لقّن له الذكر، علّمه من العلوم النقلية والعقلية، له العديد من التآليف منها: حاشية على رسالة الوضع[7]، حضر مجالسه العلمية في تدريس الرحبية.

-**الشيخ عمر الطحلاوي**: أبو حفص بن عمر بن علي بن يحي الطحلاوي المالكي المصري، توفي عام 1181هـ[8]، عُرف بحسن التقرير وعذوبة البيان وجودة الإلقاء ما أهله أن يكون مدرسّا بدار السلطنة

---

[1]- الكتاني، فهرس الفهارس، المصدر السابق،ج1،ص.559.

[2]-نفسه،ص.286.

[3]الكتاني، فهرس الفهارس،،ج2.ص.712،713، **ينظر أيضا :أحمد الحضيكي السويسي، الرحلة الحجازية، المصدر السابق ،ص.21، ينظر أيضا:ص،184**.

[4]محمد بن قاسم مخلوف ،شجرة النور الزكية، ج1،ص،492.

[5]-نفسه ،ص،488 و يذكر أن الورثيلاني من تلامذته و من الذين أخذوا عنه الطريقة الشاذلية.

[6]- نفسه،ص.292.

[7]- نفسه،ص.292،293.

[8]- الكتاني، المصدر السابق،ص.468.ينظر أيضا: **عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية،ج7، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.س،ص.303**.

وألقى دروسا في الحديث[1]، مُدرّس بالجامع الأزهر، من كبار علماء المالكية، مشتهر بالتحقيق، درس عليه الورثيلاني تفسير الجلالين و الرسالة الوضعية[2].

-**الشيخ الزياتي الشافعي**: ، من كبار علماء مصر، مدرس بجامع الأزهر، أخذ عنه بعض مسائل النحو و اللغة وحضر دروس المحلي عنده[3].

-**الشيخ أحمد الإشبيلي**: تلميذ الشيخ الحفناوي، قرأ عليه بعض مختصر السعد في البيان[4].

-**الشيخ الصباغ الإسكندري**: أبو العباس أحمد بن مصطفى بن أحمد الصباغ الإسكندري المالكي، المتوفي 1162هـ،له طلبة كُثر، يُدرس مختصر الخليل[5]، كان مُدرسا بالأزهر الشريف، فقيها متكلما بيانيا مفسرا أصوليا نحويا لغويا أديبا، اجتمع به في الحَجة الأولى فأخذ عند عديد العلوم[6].

-**الشيخ أبو القاسم الربعي القسنطيني**: أخذ عنه القراءات السبعة، قرأ عليه سورة البقرة والفاتحة.

-**الشيخ الهاشمي المغربي**: مدرس في باب جامع الأزهر، قرأ عليه المحاذي على ألفية ابن هشام على شرح السيد خالد[7].

الشيخ محمد بن عبد العزيز: من علماء مصر، يعد أحد محققيها الكبار، تعلم على يده الكثير من الشيوخ و العلماء منهم حمودة بن عبد العزيز و الحسين الورثيلاني[8]

الشيخ المنور التلمساني: يقرئ حاشية الكبرى في رواق المغاربة بالأزهر .

الشيخ الجوهري: يدّرس السلم المرونق للأخضري، والصغرى في العقائد للأمام السنوسي بمصر[1]،وقد اجتمع به وكان محبا للعلم و متبعا للسنة.

---

[1]- محمد بن قاسم مخلوف ،شجرة النور الزكية، ج1،ص،90

[2]- الورثيلاني، المصدر السابق،ص.294.

[3]- نفسه،ص.295.

[4]-نفسه،ص.297.

[5]-الكتاني، المصدر السابق،ج2،ص.702، **ينظر أيضا**: الحضيكي، المصدر السابق،ص.177.

[6]-الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق ،ص.298.

[7]-نفسه،ص.299،298.

[8]-نفسه،ص.660.

-**الشيخ سالم النفراوي:** هو أبو النجا سالم بن محمد النفراوي، ضرير المفتي العلامة النحرير، عالم علماء مصر بعلوم المنقول و المعقول ، قرأ عليه مختصر السعد ، حقق الجمع بين المذاهب، حلقته عامرة بالطلبة، توفي عام 1168هـ و حضر الورثيلاني جنازته[2]،و أخذ عنه كل من كان في زمانه من علماء المذهب المالكي و الحنفي والشافعي.

– شيوخه بتونس :

-الشيخ محمد السويسي: هو عبد الله بن محمد السويسي، السكتاني نسبا، المسكاتي دار ومنشأ و التونسي إقامة و مدفنا[3]،من علماء تونس، عالم فقيه ، أصولي ،نحوي ولغوي ، الشيخ المحقق والعلامة المدقق، المحدث المفسر العروضي، المتكلم الفرضي، العبقري الهمام، الزاهد المتصوف[4].

-الشيخ محمد الغرياني: أبو عبد الله محمد الغرياني التونسي، محدث ،لغوي، تصريفي، منطقي، أصولي، متكلم ،عروضي، مفسر، جمع بين العديد من العلوم النقلية و العقلية، كثر حسّاده لعلمه الغزير، متضلّع في علوم الشريعة، متمكن من علوم الحقيقة[5] ، تأثر به أشد التأثر حتى صعب عليه الفراق فوّد أن يبقى معه لولا أسباب عائلية و مهنية بمنطقته، فوصف شوقه قائلا فيه:

ولَو نُعطي الخيارَ لما افتَرقنَا وَلكن لا خيَارَ مَعَ الزّمَانِ

6– إجازاته :

منذ القِدم توارث الطلبة طلب الإجازة من كبار العلماء نظير الجهد العلمي المبذول في التحصيل في مختلف العلوم، فالورثيلاني من الطلبة الذين طلبوا العلم في مختلف الأمصار و على عدة علماء، فنال حظا وافرا من علمهم و أجازوه نتيجة تفوقه و حرصه على التحصيل ، فالإجازة في الأصل تكون من طرف الشيخ الذي درّسه ثم يقيّمه عن طريق الحفظ بالسماع أو التدوين، فاختلفت إجازات الورثيلاني منها سماعية

---

[1]-عبد الرحمان الجبرتي، عجائب الأثار في التراجم والأخبار، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، ج1،مطبعة بولاق، مصر،1998،ص. 309.

[2]-محمد بن قاسم مخلوف ،شجرة النور الزكية، ج1،ص،488

[3]- الكتاني، المصدر السابق، ج2،ص،750، **ينظر أيضا:** محمد بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية،ص.340.

[4]- الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.666.

[5]- نفسه،ص.665.

و فعلية وذلك بإجازاته في مؤلفاته، على الرغم من كثرة مشايخه في مصر و تونس إلا أنه لم يذكر إلا القلة منها، فالإجازة تؤخذ من كبار المشايخ و المعروفين منهم:

إجازة الشيخ البليدي عام 1166هـ في جميع العلوم وقوله: "وقد ألّف حاشية على الشيخ عبد الباقي إذ رأيتها على هوامش الكتاب المذكور وأجازني في العلوم كلها، وزبر ذلك بخط يده وقد حضرت عليه في الحجة الأولى بعض الدروس من الرسالة".

إجازة الامام العمروسي: جالس الشيخ واطلع على مؤلفاته منها شرح الخليل وأجازه بقوله "وهذا الشيخ هو شيخنا الإمام العمروسي وقد أجازني أيضا غير أنه زبر الإجازة بعض تلامذته بإذنه وإملائه عليه وقد ختمها وكتب على ذلك بخط يده وطبع عليه بطابعه[1].

إجازة الشيخ خليل المغربي: وقد أجازه في مختلف العلوم و قرأ عليه "القِطب الشمسية" بقوله "وقد أجازني بخط يده في سائر العلوم نفعنا الله به وبالذي أخذنا عليه" [2]وممن أجازهم أيضا المفتي أحمد بن عمار الجزائري.

إجازة الشيخ الملوي: أجازه في مختلف العلوم ،والتي يُقصد منها العلوم التي يتحكم فيها شيخه و معظم شيوخه متمكنين في العلوم النقلية الدينية و اللغوية قوله "شيخنا الملوي وقد أجازني في مختلف العلوم وزبر ذلك تلميذه لأنه أقعده ولا يقدر أن يقوم وهو مضطجع على سريره وقد كبر سنه"[3].

إجازة الشيخ علي الصعيدي: أجازه في مختلف العلوم بقوله "شيخنا سيدي علي الصعيدي وقد أجازني في سائر العلوم بخط يده" وحضر أيضا مجلسه في الفقه وأجازه بالتأليف على مصنفه بشرحه على خطبة شرح الصغرى[4].

إجازة الشيخ علي الفيومي: أجازه في مختلف العلوم بقوله: وممن أجازني أيضا وزرته الشيخ علي الفيومي الفاضل العارف بالله[5]..."

---

[1]- الورثيلاني، المصدر السابق،ص.285،286

[2] نفسه،ص.286.

[3]-نفسه،ص.286.

[4]- نفسه،ص.286.

[5]- نفسه،ص.286.

إجازة الشيخ العفيفي: أجازه في سائر العلوم وجددّ عليه العهد في الطريقة الشاذلية بقوله "وأنه لقننا الأذكار وجدّدنا عليه العهد في الطريق الشاذلية المحضة وأجازني إجازة مطلقة في سائر العلوم العقلية والنقلية[1]".

أولاد سيدي أحمد بن الشيخ زروق: شيخ العارفين بمدينة عنابة، أجازه بعد أن سأله عن بعض الأمور فأجاب عنها ثم أجازه ، قول الورثيلاني "ولما سمع كلامنا هذا استحلاه وكتبه وكان خطه أجود الخطوط وما رأيت خطا أحسن منه وأنه أجازني رضى الله عنه في سائر العلوم النقلية و العقلية[2].

إجازة الشيخ الحفناوي: لقنه الذكرَ وأجازه في مختلف العلوم بقوله "وممن أجازني سلطان العارفين وإمام المحققين، شيخنا وعمدتنا العالم على الإطلاق ...الشيخ الحفناوي نفعنا الله به وبأمثاله وكتب الإجازة بخط يده رضى الله عنه في المعقول والمنقول"[3].

فجل أجلاء علماء مصر في عهد الورثيلاني درس عليهم وجالسهم وحاز على إجازات أهّلته لتصدّر مجالس التدريس في مصر، تونس ،بجاية وببني ورثيلان، وقد اجتمع بالعديد من العلماء وخاصة بتونس ومصر وناظرهم في مسائل فقهية واجتماعية ،فلا نريد الإطالة بذكر الشيوخ الذين اجتمع بهم، فذكرنا الذين تعلم عليهم في مختلف العلوم التي حاز فيها، وجردنا أهم العلماء الذين أجازوه في شتى العلوم، فالورثيلاني لم يكن طالبا بل كان فقيها و إنما رغبة في الاستزادة في العلم وما يدل على ذلك مناظرته لعديد مشايخه الذين أجازوه ،بل هناك من حضر دروسه وطلب منهم الإجازة فأجابوه أنهم ليسوا أهلا أن يجازوا من هو أعلى وأعلم منهم، تقديرا وعرفانا لعلمه ورغم كل هذا عاش الورثيلاني متواضعا بين العلماء وطلبة العلم.

7- تلاميذه: علوم ومعارف وإجازات الورثيلاني أهّلته أن يكون مدرسّا بالعديد من الزوايا والمعاهد، فكان له طلبة كثر منهم من درسهم ببجاية ومنهم من تتلمذ عليه بتونس ودون الحديث عن زاوية أبيه التي عمل بها، فسعى جلّ طلبة منطقة حوض الصومام وأبناء بني ورثيلان وتتلمذوا عليه لشغفهم بالعلم ومحبتهم مجالستهم لأهل العلم و من أهم طلبته الذين ذكرهم درسوا عليه بزاويته "بآنو" وليس بزاوية أبيه ببني عشاش، نجد التلميذ يحي تلميذ جده الحسين و التلميذ أحمد الزين تلميذ أبيه محمد السعيد و كلهم خريجي زاويته،

[1]- نفسه،ص.289.

[2]-نفسه،ص.293،292.

[3]-نفسه،ص،292.

و هم علماء أجلاء اشتهروا في المنطقة بالقضاء والفتوى وأسسوا معمرات بها بعد إجازاتهم من طرف عائلة الورثيلاني، هذا عن زاوية جده و أبيه ببني عشاش، فماذا عن زاوية الورثيلاني "بآنو".

لم يختلف الحفيد عن أجداده وآبائه، فزاويته عامرة وآثارها باقية إلى يومنا هذا، فالحركة العلمية والدينية بها جد مزدهرة، بتواجد عديد النسّاخين بها، ووفود العديد من طلبة العلم من ضواحي بجاية ومن حوض الصومام و من المسيلة...فبلدته طيبة فيها العلم وكثر أهل العلم بها ما جعلها مزارة ومحطة من محطات ركب الحج القادم من بجاية، لالتماس البركة و زيارة الشيخ الورثيلاني من ضروريات وأساسيات ركب الحج القادمين من حوض الصومام، فعند تأهبه للخروج في حجه قال مستذكرا لطلبته ولأهله والمشرفين على الزاوية" فلما حان السفر وآن ،جمعت طلبتي وأمرتهم بالاشتغال بالعلم والمودة بينهم والطاعة لله تعالى" ما يثبت كثرهم ولا يمكن إحصائهم و ذكرهم جميعا، و على هذا ذكر بعضا منهم في رحلته لسبب أنهم رافقوه للحج ، وربما هو من اختارهم لتمكّنهم في العلوم و اجتهادهم في تحصيل العلم.

فيذكرهم أنهم تلاميذه ويعظّم شأنهم و يزيدهم احتراما و تقديرا لعلمهم فهم زبدة طلبته يفتخر بهم كثيرا ويُثني عليهم ، منهم التلميذ عبد القادر بن أحمد من أولاد الشيخ سيدي الموهوب قائلا فيه" وتلميذنا سيدي عبد القادر بن أحمد وكذا غيرهم[1]" و منهم أيضا التلميذ محمد الفقيه الذي أخذ عنه الصغرى وقرأها عنه قراءة تحقيق بحاشية المحقق المراكشي، و الذي أصبح فيم بعد من فضلاء القوم و علمائهم و محققا في علم الكلام، و من تلاميذه أيضا "يحي بن حمزة "الذي قال فيه "وكذا أخذ مني الفقيه الفاضل العالم الأديب الحسيب...لأنه من أجلّ الفضلاء[2]" و ذكر أيضا تلميذه محمد الجوادي[3] و أجلسه مع كبير علماء مصر وصاحب التآليف الكثيرة الشيخ الهاشمي المغربي ،فلا يجالس العالم إلا العلماء أمثالهم فلو علم الورثيلاني أن لا علم له فلماذا يجلسه من كبير المشايخ؟ بدون شك فهو من زمرة العلماء فصاحبه في رحلته و علمه من علماء المشرق و الجزائر.

[1]-الورثيلاني ، المصدر السابق،ص.56.

[2]نفسه،ص.65.

[3]-نفسه،ص.300.

من طلبته الوافدين من حوض الصومام ومنطقة القبائل من قرية "تفرج "من بني عباس أبو القاسم بن مدورو الفاضل يحي بن عيسى بن الحبيب[1] .

تتلمذ على يد الورثيلاني عديد طلبة عائلته منهم محمد الصالح ابن الصديق ، فهم أبناء العمومة و بزغ منهم العلماء والفقهاء فيقول عن طالبه و عن ابن عمه: "وابن عمنا الفاضل سيدي الصديق وولده العالم العلامة تلميذنا محمد صالح[2]"،من تلامذته أيضا: محمد بن عبد الله من زمورة و محمد بن خروف[3].

وظائفه :تعد مسألة وظيفة الزاهد و المتصوف من السلبيات التي تؤخذ على معارضي التصوف و الزهد عامة، فجلّ اتهامهم لهم أنهم يستغلون الناس في خدمتهم و يبقون طوال حياتهم لا يشتغلون، فجعلوا من النّاس عبيدا، يخدم مصالحهم و يسّير شؤونهم الخاصة بالمقابل يتفرغون للعبادة و الذكر، هل الورثيلاني من أمثال هؤلاء؟ هل اشتغل في وظيفة لدى الدولة العثمانية؟ ما مدى صحة كلام معارضي التصوف؟

إن التصوف يدعو للعلم و العمل، فهذا أبو العباس المرسي والرفاعي وعبد القادر الجيلاني وغيرهم لا يأكلون إلا من عمل أيديهم، فيؤثرون على أنفسهم و يتزهّدون للعلم، فهذا شيخ شيوخه الذي استمد منه ورد الطريقة الشاذلية و مؤسسها أبا الحسن الشاذلي كان يشتغل في الزراعة [4] ورافضا كل هبات المجتمع وبلاط الحكام لما قدموه له وهذا الشيخ الرفاعي صاحب الطريقة الرفاعية بمصر اشتغل في كل الحرف منها الاحتطاب وحمل المياه إلى منازل الناس ليعيل عائلته فجعل نهاره للعمل و ليله للذكر والعبادة[5]،فالورثيلاني وهب نفسه للتدريس منذ أن كان طالبا، اشتغل في زاوية والده طالبا و عاملا بها قيّما عليها خداما للطلبة ،منها تصدر للتدريس بعد أن تمكّن من نفسه و من العلوم التي تحصل عليها.

وظائفه ببني ورثيلان: اشتغل في زاوية أبيه ثم أصبح معلّما بها، فكان له العديد من الطلبة ذكرناهم سابقا، و من العلوم التي كان يدرِّسها الدينية من الفقه و التوحيد و التفسير والتصوف وأضاف عليها المنطق و علم الكلام ،نجد من هذه المؤلفات المشهورة مختصر خليل، شرح الوغليسية ، بالإضافة إلى العلوم اللغوية

---

[1]- نفسه،ص.601، التلميذ يحي بن عيسى من عرش غبولة بناحية بني ورثيلان، جدهم عيسى بن لحبيب و قد أدركه الورثيلاني وهو صغيرا وكان عالما فاضلا.

[2]- تفسه،ص.604.

[3]-مختار الطاهر فيلالي، رحلة الورثيلاني، عرض ودراسة، دار الشهاب، باتنة ، الجزائر ،1978،ص.23.

[4]-مأمون غريب، أبو الحسن الشاذلي، حياته، تصوفه، تلاميذه وأوراده، دار غريب للنشر و التوزيع، مصر، 2000،ص.21.

[5]-صلاح عزام، أقطاب التصوف الثلاث: أحمد البدوي، أحمد الرفاعي، عبد الرحيم القناوي، مؤسسة دار الشعب، مصر، (د.س)، ص.32،21.

منها النحو و البلاغية كألفية بن مالك، و بعض من الشوارح كشرح الصغرى للسنوسي وموطأ الإمام مالك . تعد زاويته من الزوايا التي حافظت على المذهب، من خلال تدريس كتب ومصنفات المذهب المالكي .

بالإضافة إلى مهنة التدريس وقيامه على شؤون الطلبة، كان مصلحا بين القبائل المتخاصمة فكما يذكر أنّ في هذه الفترة انتشر الظلم و الفساد الأخلاقي و كثر القتل و قلّت سلطة الحكام العثمانيين في منطقة زواوة فكثيرا ما تدخل لإصلاح أوضاع القرى المتصارعة على أمور الكلأ و الماء[1] ، ويتدخل في أمور الفتوى فأصبح مفتى المنطقة و حارب الجهل و عادات الجاهلية منها منع ميراث النساء وزواج الأخ من زوجة أخيه بعد موته وورث كل ما ترك[2]، فكان كثير التردد على قرى حوض الصومام لإرشاد الناس ووعظهم وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر لما ظهر من بعد الناس عن الدين، فكان كثير الحرص على تلقين العلوم لهم ويعظهم و ينصحهم بالعلم و العمل به ويدعو لهم بالهداية والحفظ بقوله" وأن تجعلني وأولادي وأزواجي وإخواني وطلبتي وأحبائي محبوبين عندك[3]"

تدريسه ببجاية: تنقل الورثيلاني كثيرا بين مناطق بجاية وزار بجاية عديد المرات لوجود مزارات الصلحاء، و رغبته في لقاء علماء و صلحاء بجاية، فبجاية زاخرة بالعلماء، فهي حاضرة المغرب الأوسط، فمن عادته صيام شهر رمضان ببجاية لكثرة الوعّاظ و لتردّد العلماء من مختلف الحواضر العلمية إليها، فكان مرابطا بها ويعلّم طلبته هناك من العلوم التي تحصل عليها[4]، وكانت حلقته مشهورة لدى العامة والخاصة، يحضرها عديد الطلبة لشهرة الشيخ و لرفعة مكانته، فيروى مرة أنه مرّ على حلّاق ببجاية و عنده رجل صالح يحلق له شعره و لما أتمّ الحلاقةَ سلّم عليه الحلاق و طلب منه الدعاء و طلب أيضا الورثيلاني منه الدعاء فنظر إليه الرجل الصالح فقال له: أأنت الذي تُدرِّس الطلبة ببجاية في شهر رمضان"[5]، فكان صيته معروفا لدى جميع جميع العامة، فاختار مدينة بجاية للدراسة و التدريس و حتى لزياراته الروحية لأسباب جغرافية و منها فكرية بغض النظر عن قرب المسافة عن منطقته بني ورثيلان التي تبعد بحوالي 90كم ، نجد السبب الرئيسي باعتباره عالم دين و متصوف يقصد المراكز العلمية الكبرى التي تحتوى أكبر العمران و أحسن المعلمين ، فبجاية كما هي معلوم حاضرة العلم و الثقافة و تواجدت به العديد من المدارس و عُرفت بكثرة العلوم النقلية والعقلية

---

[1]-الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق، ،ص.08.

[2]- نفسه،ص.112.

[3]- نفسه،ص.140.

[4]- نفسه،ص.18.

[5]- ،ص.624.

المنتشرة بغض النظر عن الدين و التصوف نجد الفلسفة الرياضيات، فكانت قطبا حضاريا في الفترة الوسيطة و امتدت إلى ذلك في العهد العثماني ما جعلها تُستهدف من طرف الاسبان[1] لغِناها الفكري و الاقتصادي بمينائها الضخم ،فلبجاية امتداد تاريخي وحضاري من الفترة الوسيطة وهذا ما ذكره لنا الرّحالة فجرّد لنا متصوفة بجاية في القرن التاسع والعاشر، فكانت بجاية تضاهي حواضر الغرب الإسلامي الوسيط كقرطبة، غرناطة، إشبيلية، فاس، بجاية، تلمسان، تيهرت، سرقسطة...فهذه من أجمل المدن في العصر الوسيط[2] وامتدت إشعاع بجاية إلى الفترة الحديثة.

تدريسه بتونس: تُعدُّ تونس من أهم المحطات التي مرّ عليها و مكث بها خمسة أشهر بعد عودته و تمنى أن يبقى بها للتدريس فقد تفرّغ للتدريس تفرغا تاما ، الأمر الذي جعله يترك تونس أهله بالجزائر و رغبته في تلقين أبناء بلدته العلم و أمره بالمعروف و نهيه عن المنكر لما تفشي من مظاهر الجور و الظلم بالمنطقة، فآثر المصلحة العامة على المصلحة الشخصية، نفس الأسباب أيضا جعلته يترك مجاورة مكة و المدينة لتعلّقه الشديد بهما، بالإضافة إلى هذا تنكر على ما رآه من أن أهل تونس لا يحبون العالم الغريب عنهم ولاحظ كثرة الوشاة، وحسدهم للعالم الذي يتفوّق على علمائهم، فجعل همّه تلقين العلم لأبناء الريف المنتشرين بالجبال لعلمه بنقص علم أبناء الريف مقارنة بأبناء المدن لكثرة العلماء و انتقال الفقهاء و القضاة إليها.

تدريسه لأهل جربة مختلف العلوم ، فكان يملي على علماء جربة و فضلائها، و هم يدونون، و مرّ على بعض حلقات العلم بصفاقس فأدرك ضعف علمائهم في الفقه و علم الكلام و النحو ما جعله يُلقي الدروس على أهلها لما وجدوا فيه من ثقافة و علم لا يضاهيه عالم في صفاقس، فقصده عديد الطلبة في مستقره بصفاقس لما سمعوا بعلمه و شهرته الواسعة[3].

تدريسه بمدينة تونس: مكث بها طويلا أكثر من خمسة أشهر ونيف وتفرغ فيها لتدريس مختلف الفنون وضبط القواعد من العلوم[4]، ولقائه بعلمائها و مشايخها ومناظرة فضلائها، وثنّى على علماء تونس وسوسة

---

[1]-Pélissier(E), Mémoires historiques et géographiques sur l'Algérie, imprimerie royale, Paris, 1844. P.P.14, 430

[2] -Mustapha (CH), Essai de contribution a l'étude de l'islam et le concept des relations humaines, Annales de l'université d'Alger 01, Alger, 1987, P.16.

[3]- الورثيلاني، الرحلة ، المصدر السابق ،ص.655.

[4]- نفسه،ص.668.

عكس أهل صفاقس، إلا أن الأسباب التي ذكرناها جعلته يغادر تونس ، وفكر في العودة إليها مرارا للتدريس بها كون الظروف المهنية وكثرة المقبلين على دروسه[1] لما لاقاه من ترحاب من أهل المنطقة.

تعليمه للحجاج :عظُم الركب الجزائري و سافر معه عديد أهل عمالة الجزائر لما فيه من علماء أجلاء و صلحاء، فذكر الورثيلاني العديد من الأمور التي تعلقت بركب الحج الجزائري و جلها صفات سلبية نتطرق إليه لاحقا بالتفصيل- فالركب مختلط به العامة والخاصة، النساء والرجال، فالعامة معظمهم لا يعرفون مناسك الحج وأركانه، فالورثيلاني عالم وفقيه ومتكلم، محبا للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، وناشر للعلم أينما وجد وحيثما حلّ، وجلّ العامة لا يفقهون من فقه الحج إلا اسمه، فوجب عليه تقديم شروحات حول مناسكه، فعند وصولهم إلى مشارف مكة عند الإحرام قائلا "فصار جميعنا معشر الطلبة نعلمهم فرائض الإحرام، وسننه وشرائطه وموانعه [2]...وعلّم الناس عند دخوله المسجد الحرام كيفية الطواف و الذكر الذي يرددون بعدما أن اختلط عليهم مع الجمع الغفير من المسلمين[3].

فالورثيلاني طيلة حياته اشتغل في تعليم الناس أمور دينيهم و العمل على إصلاح عقيدتهم و فك الخصومات بين الأعراش و القبائل و العمل على هدي الناس إلى طريق الله، فلم يكن موظفا رسميا لدى الدولة على الرغم من مخالطته للعديد من الأمراء و السلاطين و القادة و حتى البايات و القضاة.

9- مكانته: حُظيت فئة الأشراف و العلماء في الجزائر خلال العهد العثماني بالخصوص بميزة الاحترام و التقدير لدى العامة من الناس وكذلك من الحكام العثمانيين، لإدراك قيمة المرابط و الشيخ و نفوذه في القبيلة و بالمنطقة على العموم، فتعامل الناس معه بحذر و احترام من جهة و خوف منه من جهة أخرى.

فالشرفاء ، المرابطون أسهموا بنفوذهم الروحي و العسكري بقيادة المجتمع و العمل على تحسين أمورهم العامة ودفعهم إلى إصلاح أوضاعهم ، ما جعل العديد من المرابطين يتصدرون مجلس الحكم والوصاية عليهم وتمثيلهم لدى المجالس و المحاكم في العهد العثماني والفرنسي وقيادتهم للانتفاضات والثورات مثلما حدث

[1]- نفسه،ص.678.
[2]- نفسه،ص.377.
[3]- نفسه،ص.387.

لدى مرابطي منطقة الأغواط[1]، ما تركوا انطباعا لدى عامة الناس لتبجيلهم و تقديرهم فلم يكن تقديرهم في الجزائر فقط بل تعدى إلى كل الأقطار الإسلامية لارتباط نسبهم بنسب الرسول عليه الصلاة و السلام.

فبني ورثيلان يُحترم فيها أولياء الله و المرابطون أشد الاحترام بين سكان الأمازيغ، فتصدروا المجالس و أصلحوا بين القبائل المتنازعة و هادنوا مع النظام و الحكام و ثاروا ضد الطغاة و الفاسدين ،فمن مظاهر احترامهم للمرابطين التقدير، التحية فيسلم على جبهته و يده و يقرؤه السلام فمن عادة الأمازيغ احترام مشايخهم و آل بيت رسول الله و يعظمونهم ويعلون من قيمتهم لرفع نسبهم و نفس الأمر نجده عند المرابطين يحترمون الأمازيغ و يشاركوهم في أفراحهم و أحزانهم بل يصاهرونهم فلا تكاد تفرق بينهم كونهم اندمجوا و تعايشوا منذ فترة قديمة ،فكل يحترم الأخر في مجاله و يقدره و أمام القانون لا فرق بينهم فعلى الرغم من الاحترام و التقدير إلا أن العرف يسوي بين الجميع فإذا خالفه أحد يُغرم دون النظر إلى نسبه أو منصبه، فمرة سي السعيد عبّاس و هو أحد مرابطي بني عفيف ببني ورثيلان خرج متجولا في "سوق الجمعة" يوم الجمعة فلقيه أحد من رجال الأمازيغ يُدعى بن زيدان فسلم على المرابط و قبل يده و هو في شغل لم يكترث للأمر فلم يرد عليه، ما جعله يضجر أمام زوجته لأنه لم يرد عليه السلام فصوب بندقيته تجاه المرابط و بعدما أن أدرك سي السعيد عبّاس الأمر سأل عن الأمر فاعتذر عن ما صدر منه فلم يكن على علم بما قاله له بن زيدان[2].

كما ذكرنا سابقا أن الورثيلاني من الأشراف فكلّ ما ذكرناه حول معاملة الأشراف فينطبق عليه وزيادة في الجانب العلمي و السياسي ، وكسب قلوب الناس من بلدته والأمصار التي زارها ومن الذين عاصروه و عرفوه فتجلي مظاهر مكانته في الجانب السياسي والديني نتطرق بالتفصيل إلى الجانب السياسي بحكم أن الجانب الديني سينطوي ضمن محتويات الرحلة التي ندرسها في المبحث القادم.

أ/استشارته في مواسم الحج: يعد الورثيلاني قطبا في منطقة زواوة و بعمالة قسنطينة عامة ، فكلما حضر موسم الحج و التهيئة للسفر لبيت الله إلا وكان مُطلعا على الأمر، فتأتيه طلبات و نداءات من الحجاج

[1] -Daumas (E), Le Sahara Algérien, études géographiques, statistiques et historiques sur la région au sud des établissements français en Algérie, Publié avec l'autorisation ministre de la guerre.Paris.1845.P22.

[2]-DAUMAS (E), Mœurs et coutumes de l'Algérie : Tell, Kabylie, Sahara, Librairie de Hachette et Cie.Paris.1853.P.180.

الذاهبين للسفر لمرافقته لهم و إرشادهم السبل من علمه و التبرك ببركاته و كراماته، فهؤلاء فضلاء العلم ووجهاء القوم اجتمعوا في بيت الورثيلاني لدراسة مسألة السفر إلى بيت الله ، وكان الورثيلاني قد اتفق مع شيخ الركب بمدينة الجزائر، محمد المسعود نجل الشيخ الموهوب الذي أعلن أن موسم الحج لعام 1766م قد حان و هذه من عادات الحكام بالجزائر[1] ، فاستشار الورثيلاني فوافق على الحج معه و مع أصدقائه و أحبابه من عمالة قسنطينة عامة و توافد العديد من الناس لمرافقته و التشرف برفقته[2] في السفر لعلمه و فقهه و حسن تدبير الرعية.

عزم الورثيلاني على الحج فعند بدئه في التأهب للسفر و سماع أصدقائه و أهل بلدته بقيام الورثيلاني و نيته في أداء فريضة الحج، ضُرب الطبل في بلدته ببني ورثيلان و بلغ مسمع الأمر إلى ضواحي عمالة الجزائر، فاعتزم فضلاء و علماء الجزائر السفر معه و سُمع النداء للخاصة و العامة[3] بسفره و من يرغب بمرافقته في ظل ركب حاكم المدينة، إلا أن الورثيلاني اعتذر في آخر المطاف لأمرٍ جعله ينتقل إلى بجاية.

وصل ركب الحج إلى بيته و المرور على زاويته، فركب زواوة من عادته المرور على بلدة الشيخ الورثيلاني في نحو ثلاثمائة شخص وقام باستضافتهم و توفير لهم سبل الراحة ووعظهم و تقديم نصائح لهم تغنيهم عن الكثير من المصاعب و المتاعب و تقديم لهم العون و المساعدة للفقير و ابن السبيل من خيرات البلد و الدعاء لهم بالقبول و الوصول بسلام[4].

-**الإصرار في بقائه:** أين حلّ الورثيلاني إلا وله أتباع و محبين يسعد بملاقاتهم و يفرح بالبقاء بينهم، إلا أن ساعة الوداع و الفراق من أهون الأوقات عليهم و عليه، فها هو في بني ورثيلان على موعد السفر إلى الحج تهب اليه عامة الناس وخاصته من أهله و المناطق المجاورة له لتوديعه وطلب منه الدعاء، ولما حان السفر كثر البكاء والوعيل والصراخ[5]من أهل البلد لما اعتادوا من الأنس واعتقادهم أن غيابه عنهم يرفع بهم البركة وتحل عليهم المصائب والشدائد، ويكثر الظلم و يحل الجهل لغيابه فكان المعلم، الموجه، الصالح ، القاضي ، المفتي والمصلح بين الناس والناهي والراشد إلى خير الأمر، فقد تعلقت قلوب أهل البلد به ومنعوه من السفر،

[1]- الورثيلاني ، الرحلة، المصدر السابق، ص،ص.5،6.

[2]-Hadj Sadok(M),A travers la berbérie ....., Op.cit.P.323.

[3]- الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.17.

[4]-Hadj Sadok(M), Op.cit. P.324.

[5]-IBID.P.344.

إلا أن عزيمته وتمسكه بأمره غلب عليهم ،فأمرهم بالصبر والتسليم لله في حكمه وقد وعظهم ونصحهم في خطبة السفر و كأنها خطبة وداع ،ما جعله يخطى كل خطوة للأمام إلا ويلتفت و يودع آلاف محبيه، وبقي في توديعهم إلى غاية غروب الشمس بل حتى إلى صلاة العشاء[1] ، فأنشد شعرا يقول في وصف وداع أهل بلدته في 27 بيتا وهي:

حُفِيَ علَى الأوطَانِ بالرعَايه ... وَحَفهُم عَليّ بالهِدَايَه
مَا أصْعبَ التَوديعَ للأحبَاب ... وَعندَهُ بالحُزنِ واكتِئاب
كُلّ نَفس تَزعَجُ للافتِرَاق ... لِفُقدانِ المألوفِ باختِنَاق
حَبِيبُكُم بِويْلٍ منه قَد رجَع ... وَسَمه للعظَم منكم قَد قَطع
فَالعينُ قَد تَبخَلُ بالدُموعِ ... وَالكَبِدُ مَحروقٌ مِنَ المَودُوعِ
دُموع يَخشى عَلَيه مُنذُ فِرَق ... كَالمَجنُونِ المُصَابِ حَفَا بالفَلَق
وَنَفسِهِ كَأَنّهَا فِي النّزَع ... وَقَلبُهُ مُنصَدعٌ بَالرَوع
فَأَشَدُ النيرَان نِيرانُ بافتِرَاقْ ... لَعُمرُكُم قَد هَابت نَارٌ باحتِرَاق
فَتَحويلُ الوَجهِ عَنِ الوَدَاعِ ... بِشِدةٍ يَرجِعُ بانصِداع
أيَتُهَا النّفسُ تَحمَلِي واصْطَبِري ... لَتَوديعُ الصّحبِ لَخَيرٌ وَ خَير
فَمَوتُهم أحلى بالاتفَاقِ ... وَسَيرُهم يَسيرُ بارتِفَاق
لاكِنُهُ الحَبِيبُ مِنك قَد نَسَخ ... مَا قَد عَسَني يَكُون مما قَد رَسَخ
بَل حِبُكُم أشْغُلُه عَلى الدّوامِ ... فإنّه غَيبُكُم عَن الآلاَم
فَلَم تَرضَ الأرواحُ مِنْ غَيرِ قَصد ... وَلَم تَسع لغْيرِه مِمَا تُرِيد
وَإن طَالَ العَهدُ عَنِ المَودُوعِ ... فَلَم يَضُرُنَا هَذَا المتبُوع
وَكَيفَ ذَا مِنّا مِمَا ذُكِرَ ... أَولِيَاء وَصُلَحاءَ قَد يَعتَبر
فَنَاء مَحبُوب مِن الإرسَالِ ... فَإنّه الكُل بالإبْتِهَال
بِجَاهِهِ وَجَاه مَنْ زَبَرتِه ... مِن عَالِم وَفَاضِل فِيدَته
بِنَصِيب وَحَظٍ مِنْهُ وَافِر ... وَعَودَة عَدِيدَةٍ وَنَاصِر
عَلَى الذِي أَحْيَيتَهُ مِنْ سُنّة ... وانشُرَنّ لِوائَهَا بِعِزَة
عَلَى سَاقِ الجِد تَكُونُ قَائمَة ... مَعَ شِدَة الحَزمِ تَكُونُ دَائمَه
بِحَفه ممّا بَنا قَد اعْتَلَقَ ... مِن أَولاَد وَبِنَا مَن قَدْ انتّسَق

[1] – الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.79،77.

خَالدَة تَليدَة لاَ تَنْزِع كُليَة العُلُومِ حَقَا تَتَبع
مِن أبْنَاءِ وَأبنَاءْ الأَبنَاءِ لِغَابِر الدّهرِ مِنْ أَولَاءِ
واغفِر لَنَا رَبّنا ثُمّ الوَالِدَين وَاخوان و جِيرانُ وُالمسلِمين
ثُمّ الصّلاه والسّلامُ مَا طَلَع شَمس وَنَجمٌ فِي سَمَاء قَد سَطَع
وآلِه وَصَحبِه ذَوي التّقَى وَالزُهدِ وَالعِلمِ وَمَن قَد ارتَقَى.

هذا جانب عن حالة الشوق والفراق عن الأهل البلدة، فبين في القصيدة شدة اعتزاز وتعلق سكان منطقته به إلا أنّ تعلقه بيبت الله ورؤية قبر المصطفى أشد شوقا وحبا له[1].

ومن علامات إصرار بقائه لا نجدها فقط تقتصر على أهل البلدة في بني ورثيلان فقط، نجد أيضا في كل الأمصار التي زارها و بقي فيها مدة من الزمن إلا وحظي باستقبال و كرم من أهل المنطقة و كان الجميع في توديعه من أمثله ذلك في ذكر خروجه من طرابلس عند قائد عمورية و قد تأهب للخروج إلى تونس فخرج معه القوم و أرباب دولته لتوديعه رغبة منهم في بقائه أيام أخر، وذهبوا معه أميالا للتشيع و متأسفين على مفارقته لهم[2]، تكرّر المشهد عدة مرات منها عند خروجه من بني يعلي تبعه المودعون مسافات طويلة إلى أن حجب النظر عن المنطقة عاد المشيعون و تعلقوا به تعلقا كبيرا و طلبوا منه الدعاء[3]

ج/حفاوة الاستقبال: يعد الاستقبال للضيف من علامات علوّ مكانته و تقديره و احترامه ،ولسموّ رفعته، فمسار رحلة الورثيلاني عامرة بالأمصار والقرى والمدن التي مرّ عليها، فجلّ الأمصار التي مرّ عليها استُضيف و كرم غاية الكرم من أهله و توسّلوا منه البقاء لإدراكهم قيمته العلمية و الدينية و مدى تجربته في الحياة، فأينما حلّ حضر إليه العلماء و الفقهاء و حتى الحكّام بغضّ الحديث عن الطلبة و عامة الناس، حتى إن كان الكرم والترحاب من شيم العرب وعاداتهم إلا أنّ استضافتهم و ترحابهم بالورثيلاني تعدى إلى أبعد الأمور، فتجد قبائل بأكملها تنتظر قدومه مدة شهر أو شهرين و هم يحضِّرون مجلس الضيافة[4].

كثيرا ما ارتبطت ظاهرتي الاستقبال والترحاب مع التوديع والشوق في كل مراحل الرحلة، فيقول عند دخوله بني حافظ" وقد قاموا بمن نزل بهم بحق الضيافة، وبات عندهم أضعاف مضاعفة، كثّر الله رزقهم و

---

[1]- نفسه، ص.78،79.

[2]- نفسه،ص. 641.

[3]-نفسه،ص.80.

[4]- HadjSadok(M), Op.cit. P.323.

من كل بلاء حفظهم"، ونفس الأمر يتكرر مرارا فعند وصوله "بني يعلي" استقبله الشيخ الحسين بن مصباح وفرح بوصولهم و أحضر الطعام، فأكل منه القانع و المعتر بالتمام[1].

في **"زمورة"** حُظي باستقبال شعبيٍّ عظيم ، من وجهاء القوم وخرج معه جلّ سكان القبيلة لتوديعه وساروا معه مسافات طويلة وهم يودعونه إلى أن وصلوا إلى أولاد يحي وقت المغرب وعادوا أدراجهم، وبدأت مسيرة استقبال و ترحاب أخرى من الشيخ العلامة الشيخ ابن عثمان، جهّز مجلس الاستضافة ومستلزماته من أكل وشرب و إيواء قائلا عنه" ولما سمع شيخهم وهو الفاضل الشيخ ابن عثمان فأقام بضيافتنا وأحسن وأكرم الحجاج وأطعمهم في بيوت الشعر إلا أنّها بيوت المستقر، وأقرهم وأنسهم وتأدب معهم"[2].

في" **توزر**" دخل المدينة رفقة الحجاج فكانوا في استقبالهم وقد قدم معهم من الحجاج من توزر فقام أكابرها ومن ذوي رئاستها بإكرامهم أحسن الطعام وأخرجوا من الطعام الكثير ما يكفي للجمع الغفير والعدد الكثير، وفي **ضواحي توزر** قام الورثيلاني بمرافقة أحد أصدقائه لزيارة صديق له من ضواحي توزر فانتظره في زقاق القرية، إذ بأحد سكان المنطقة يُعرضه للطعام وذهب معه إلى بيته بعد أن اعترض في البداية خوفا من المكر، فوجد بيته أحسن البيوت و مطعمه أحسن الطعام وزوجته أحسن النساء تدينا وخلقا، وأعدت له طعام يأخذه معه في سفره ،فأدركوا أنه من أهل الصلاح وأدركهم الورثيلاني أنهم من أهل الديانة، ولما حان وقت الخروج ولقاء صديقه الذي رافقه أجهش الرجل وزوجته بالبكاء[3] لصعوبة فراقه بالرغم من قصر مدة لقائهم، فأهل الورع والعلم والتصوف يسعد الإنسان بمجالستهم ويحن اليهم.

في طرابلس والزاوية الغربية يقول عن استقباله في طريقه إلى مصر "فاعلم ان أهل طرابلس...فإذا شموا رائحة المعرفة في أحد سعوا إليه بالإحسان، جزاهم الله أحسن الجزاء وذلك عام في عمالة طرابلس لاسيما الزاوية الغربية...قد بالغوا في حبنا وصفوا في مودتنا حتى أنهم تمنوا أن يكون ما عندهم قد بذلوه لنا وجعلوه قرى لأصحابنا خصوصا سيدي محمد وسيدي بوبكر وسيدي علي حاصلة، تعلقوا بنا صغيرا وكبيرا ظنا أن فينا فيضة إن فاضت عمهم وأبلها نعم من لم يصبه من المحسنين وابل منا" وقد قدم له أهل البلدة لأصحابه حمل جمل من شعير وضيافة من لحم وغيره[4]، تكرر الأمر في طريق العودة عند مروره "مسراتة" فبقى أهل

---

[1]-الورثيلاني، المصدر السابق،ص.80.

[2]- نفسه،ص.82.

[3]-نفسه،ص.124.

[4]-نفسه،ص.158.

البلدة ينتظرون مدة يومين عند دخل بيت من مخرج البلدة، تشريفا وترحيبا فأحسن القول واصفا المشهد بقوله" شرفاء مسراتة ينتظروننا نحو اليومين، لأنهم خرجوا بحسب عد المنازل من مدينة ابن غازي ومراحلنا فلم يعد ذلك العدد فينا ،لأننا مشينا أقل من ذلك، وضعف الإبل وهزالها، وبعض الإقامة على المعاطن استراحة ونشاطا للإبل، ومعهم جماعة من المحبين من مسراتة الشرفاء وغيرهم ،بالطعام واللحم أعني الخبر ونوعا آخر يسمى عندنا بالفطير، وعند بعض الناس يسمى بالمسمن والتمر الجديد بأن حملوا و الله أعلم على الإبل ،فلما لقيناهم فرحنا بهم أشد الفرح من أجل المودة في الله و الحب من أجله، وجدونا على الجوع وغايته فأتوا إلينا بالخبر واللحم عند وقت الغذاء واجتمع أصحاب الجميع...فلمّا أكلنا وأكل من الركب من مرّ علينا، وعند الليل قسموا ما حملوه بيننا وبين سيدي محمد الشريف، وهو كثير جدا ففرقناه على أهل الركب فكل أخذ نصيبه"[1]. فهذه بعضا من النماذج من أوجه الاستقبال في طرابلس ونفسها نجدها في تونس ،مصر، الحجاز، فعادة ما تكون ترحاب و إطعام ثم مجالسة مع وجهاء القوم وعلمائها و تبادل للأحاديث وزيارات للأحبة وكبار المشايخ و في الأخير يقومون بتحضير طعام المؤونة للانتفاع به في الطريق و منها يكون التوديع.

د/**زيارة وفود الحجاج عند رجوعه** : تعد عادة زيارة الحاج في بيته بعد عودته من فريضة الحج من أساسيات المجتمع و من أعراف المنطقة، من أجل التهنئة بالعودة بسلام و الرغبة في حصول الأجر و الدعاء و التبرك ببركة الحاج ودعاؤه مقبول لمدة أربعين يوما بعد رجوعه من الحج، الذي أخذ من طيب أهل بيت الله العظيم، وككل مرة يعود الورثيلاني إلى بيته بني ورثيلان إلا و يُستقبل على مدى مسافات طويلة ولأيام عديدة و تقام الأفراح وتُرفع الأصوات وتُقرع الطبول فعند قرب دخوله منطقة "زمورة"[2] والتي لا تبعد كثيرا عن بني ورثيلان استقبل استقبالا خاصا فضربت البنادق وعمت الأفراح و انتشرت الأهازيج و عمّ السرور في البلدة، فأكثروا الطعام و اجتمع بنخبة القوم وصلحائها[3]واجتمعت الأعراش المجاورة في يوم عظيم لم تشهده المنطقة منذ مدة طويلة لعظمة الركب و من بها.

أما عند وصوله لمشارف بلدته مرّ على بني يعلى أين زار الأولياء و استقبل أهل "قنزات" و أهل بني ورثيلان" الذين قدموا للقائه في بني يعلى و التي تبعد بحوالي 30كم ، شوقا وحبا لرؤيته و تعظيما له و

---

[1]- نفسه،ص.619.

[2]- زمورة : تقع في الحدود بين ولايتي سطيف و برج بوعريريج ، تابعة إداريا لولاية البرج، تحد دائرة منطقة قنزات ، هذه الأخيرة تجاور بني ورثيلان، المسافة بين المنطقتين ليست بالبعيدة نظرا لتواجد طرق جبلية تقرب المسافة، عرفت المنطقتين (بني ورثيلان وزمورة) بتصاهر بينهما وكثرة الزيارات خاصة في السوق الأسبوعي يوم الجمعة المعروف بسوق الجمعة بني ورثيلان.

[3]-الورثيلاني، المصدر السابق،ص.702،703.

لمكانته، فكان سوقا كبيرا و اجتمع الناس من كل فج عميق، فذبحوا لهم ما يكاد يخالف العادة لكثرة الزوار و القادمين من كل الأعراش التي سمعت بقدوم الورثيلاني وركبه يصف الرحالة المشهد قائلا:" فاجتمع من وطني بني يعلى وبني ورثيلان ما يكاد أن يكون سوقا كبيرا، فذهب الكل إلى المدشر المذكور وقد ذبحوا فيه ما يكاد أن يخالف العادة...صنع أهل مدشر أهل أغلاذ ان صالح طعاما فزاد الخلق، بحيث لا يكفيهم إلا الخالق، غير أنهم لما أخرجوا الطعام جعل الله فيه البركة العظيمة أظنه ولو اجتمع عليه الناس كلهم لفضل عنهم".

كل هذه الحشود الغفيرة التي قدمت لاستقباله على بعد مسافات طويلة ، سارت معه إلى غاية وصوله إلى بيته و أقامت هناك فرحا كبيرا و استقبلت الوفود من جلّ القبائل والأعراش و بقي يوما خالدا لدى الناس في ذاكرتهم الشعبية.

ظلت الجموع رجالا ونساء تتواصل وتتزايد، من ايلماين[1] إلى بني ورثيلان ، هذا يتصل بهذا إلى أن وصل إلى بيته ،وقد التقى بمن لم يروه في الطريق في صلاة عيد الأضحى من عام 1181هـ، وبعدها جلس لاستقبال الزوار من كل فج قائلا: " ثم بعد ذلك تأتي إلينا الوفود من كل وطن تارة ألفا و تارة أكثر من ذلك نحو الألف و أربعمائة[2]ثم كذلك على حسب الكثرة و القلة إلى أن انقطعوا في مدة طويلة تصل إلى الشهرين"[3].

هـ/ الإلحاح في الذهاب : حسن الرفيق دائما يكون محبا لدى أصدقائه ويحبون مجالسته ويستأنسون بأحاديثه ويتشوقون لرؤيته ويتألمون لغيابه، كل هذه العبارات تنطبق على الورثيلاني، فغيابه يعد ألما وعقابا من الله سلطه عليهم ، ومرافقتهم لهم يرونه صونا من العذاب ومسهل لأمورهم، فهو القاضي في الصلح والمصلح عن المعاصي، والإمام في الصلاة، المحامي عند الأعداء، الغني لدى الفقراء ، المعلم في الحلقة ،فكيف

---

[1]- ايلماين احدى الأعراش التابعة لبلدية الجعافرة (جبل سيدي ايدير)،و تقع في الحدود الجغرافية مع بني ورثيلان، المنطقتين متواصلتين ثقافيا ، تاريخيا، اجتماعيا، اقتصاديا .سياسيا، و العلاقات وطيدة جدا إلى يومنا هذا.

[2]- من خلال قوله نستنتج أن له انصار كثر ،فهذا ليس بالشيء الغريب نتيجة ما ذكره لنا في رحلته أن كلما يدخل قرية أو مدينة إلا و الناس تلف حوله و تتسارع لخدمته و الجلوس إليه، فحسب قوله استقبال ما بين 1000 و 1400 شخص في يوم واحد مدة شهرين، يثبت فعلا ان ما ذكره سابقا ان له صحبة وأصدقاء و أحباب في عدة مناطق ما يثبت صحة كثرة أصدقائه ومعارفه في كل المناطق التي زارها في عمالة الجزائر و قسنطينة عامة دون ذكر الأعراش و القبائل.

[3]-الورثيلاني، المصدر السابق،ص.705.

يمكن لهم الاستغناء ،فيذكر مرة أنه كان مع جمع من أصدقائه لما عزموا على السفر إلى بجاية ألحوا عليه السفر معهم وأكدوا عليه إلا أن وافق للذهاب معهم[1].

مرة أخرى في مكة المكرمة لما أراد البقاء في الحجاز لمجاورة بيت الله فسأل أهل البيت الذي يسكن فيه أنه ينوى الإقامة و مجاورة بيت الله فسعدوا كثيرا وسرّوا بأمر بقائه، و من جهة أخرى لما سمع أهل الركب غضبوا و أصروا عليه أن يرافقهم و إن رفض العودة ولو أصرّ على فكرة البقاء لبقيَ الجميع ،فجعلوا قدمهم على قدمه أي لن يتحركوا إن لم يتحرك معهم، وأنهم لن يعودوا إلى الوطن بدونه [2]،و بعد مدة أعاد النظر في رأيه بعد أن رأى شدة اتصالهم به قائلا: "ولما ظهر ذلك عند الركب اجتمعوا ونادوا بالويل، فقالوا والله إن أقام أقمنا جميعا فلما رأيت شدة اتصالهم بنا وكثرة عويلهم علينا وقالوا إن خصه ما يوصله جمعنا له ما يبلغه إلى وطنه بل ما يغنيه"[3]

و/ دخوله على الحكام والعلماء: ثقافة و علم وشخصية الورثيلاني أضافت له شجاعته، فكان مناصرا للحق ولو جرّه إلى المهالك، فنجده متشددا في أحكام الله و لا يقبل أن تعطل حدود الله ولو كان الجائر حاكما لدخَل عليه و نصَحه و دعاه إلى طريق الرشاد، فدخل على العديد من الأمراء و الحكام و بعضا من العلماء الرسميين التابعين للنظام ، و أقام علاقات حسنة مع بعض منهم بالخصوص في منطقة القبائل بعد أن صاهر بعضا من العائلات الأرستقراطية ذات النفوذ و الحكم في المنطقة ما جعله محميا من كيد الأعداء ، و كان كثير التواصل مع البايات العثمانيين و الباشوات في مختلف الإيالات العثمانية منها تونس، طرابلس، مصر و الحجاز.

-**سلطان زوارة:** عام 1179هـ ،أثناء جولته الصوفية بمنطقة القبائل قبل سفره للحج، عرّج على منطقة بني فراوسن ومرّ على قرية "الجمعة" الصهريج ،دخل على سلطان زوارة محمد بن القاضي الشريف[4] الملقب "أبا وغثوش" والذي عاهدهم على المشي معهم في ركبهم، أدى فريضة الحج وفي طريق العودة مرض بمرض البطن (الإسهال) [5]ولازم الورثيلاني فترة مرضه ودعا له بالشفاء،و استأنس به وسعد بمجالسته كثيرا، فلما وقع

---

[1]- نفسه،ص.18.

[2]-Hadj Sadok(M), Op.cit. P.324.

[3]- الورثيلاني، المصدر السابق، ،ص.529.

[4]-نفسه،ص.16.

[5].-Hadj Sadok(M), Op.cit. P.347.

بصر سلطان زوارة على الورثيلاني فرح به و رحّب به بل ضحك و ابتسم وقصّ له قصة مرضه منذ خروجه من مكة، فكان مدركا بوفاته فقد رؤى رؤيا في الليل أن النبي صلى الله عليه وسلم قد شفع له وغفر ذنبه، ففرح الورثيلاني ببشارة سلطان زوارة، فتوفي في الطريق ودفن ما بين "الينبع" و"نقيب علي" في شهر محرم عام 1180هـ[1]، ودفن بعد صلاة العشاء و كانت ليلة مقمرة وحزن الورثيلاني حزنا شديدا متمنيا أن يعود لوطنه لينتفع به العامة و الخاصة.

– أمير مجانة: دخل على أمير مجانة محمد بن أحمد بن القندوز المقراني العباسي[2] وعرفاء بني عباس، بعد أن قضى حوائجه الدنيوية والدينية ومسائل النّاس عند شيوخ المنطقة، وحُظي باستقبال وترحاب من أهلها وحكامها، فدخوله على أمير مجانة من أجل قضاء حوائج المسلين وخاصة منهم المستضعفين و المظلومين[3]، فعُرف عن الورثيلاني توسطه و تدخلاته لدى الحكام من أجل رفع الظلم و الجور على المستضعفين من الناس.

–باي قسنطينة: أقام الورثيلاني علاقاته مع العثمانيين على الأساس الديني، فهو رجل دين وشرف، يرى أن أمر الحكم لأهله وهذا لا يعني عدم نصحهم و إرشادهم ونهيهم عن المنكر، فعُرف بمهادنته للسِّلم والأمن و نبذه للحرب والفساد، ما يثبت علاقاته مع باي قسنطينة أحمد "باي القلي" أنه أعطى له أمر المحلة (حمية عسكرية) ما جعله يؤدِّب بعض الأعراش التي خرجت عن حكم الله ورسوله ويقصّ بهم بني عشاش وهو أهله، وأمر من الخليفة أن يأخذ منهم مائة وسبعين ... حتى يعودوا لأمر الله، هذا ما يثبت نفوذه لدى الأتراك[4]، ومن جهة أخرى هادَن الأتراك المرابطين والأشراف لمعرفة مدى تأثيرهم على المجتمع و يمكن لهم إثارة المقاومات والانتفاضات في أي وقت ما جعلهم يتقربون منهم و يحيطونهم بالامتيازات والتقدير فليس حبا منهم بل خوفا من سلطتهم الروحية، ومن جهة أخرى نجد أنه صاهرهم، وله علاقات حسنة مع كبريات العائلات الاستقرائية النافذة في الحكم العثماني مثل ابن قانة في ضواحي بسكرة التي كانت له مقاليد الحكم وكانت أزِمّة العرب في يده، وكلمته مسموعة لدى الأتراك[5]

---

[1] – الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص،ص.16،536.

[2] –Hadj Sadok(M), Op.cit. P.354.

[3] – الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق، ص.11.

[4] – نفسه،ص.75.

[5] –Hadj Sadok(M), Op.cit. P.355.

– قائد عمورة بزنزور: بعد أن دخل طرابلس وهو في طريقه إلى زنزور، خرج في استقباله أهل المنطقة وعلى رأسهم قائد عمورة الذي انتظره بشوق وبحث عنه في أوساط الركب، قائد عمورة صاحب المال والجاه والسلطة، فأكرمه أحسن الكرم، وأخذه في جولة في المنطقة، أدخله إلى مدرسته التي جعلها وقفا لطالبي العلم، وقد حدث نفس الأمر في طريق العودة بعد أن مرّ على قائد عمورة وحَظَّه بالاستقبال والكرم و الاستضافة[1] .

–الوالي علي باشا: والي طرابلس وقد أدرك أباه الوالي محمد باشا وجده أحمد باشا في حجّاته الثلاثة، فدخل على الوالي علي باشا و طلب منه أن يرافق في سفنه الحجاج المتوجهة إلى الإسكندرية فهم من الضعفاء و المستضعفين وفقراء المسلمين[2]، على أن يكون نقلهم بغير أجر في سبيل الله بعد أن أخذ العهد والميثاق بتلبية طلبه، فكان له ذلك و استحسن الورثيلاني الأمر فأخذ أكثر من خمسين فقيرا، وركب من أصحابه العديد منهم ومن العامة أكثر من ثلاثمائة شخص، فكلما طلبه لبى طلبه، فأرسل طلبا إلى أمير الإسكندرية يطلب منه بإكرامهم والإحسان إليهم ،فرضى الأمير في طلب الورثيلاني دعاءً خالصا له ولذريته فأجابه طلبه[3] ،وأضاف عليهم الوالي أن أرسل فرقة من الحرس معه لحمايتهم من اللصوص وقطاع الطرق إلى أن ابتعدوا عن نطاق عمالة طرابلس.

–خليفة أمير مصر: في طريقه إلى العقبة، عرّج الورثيلاني رفقة صديقه أحمد الزواوي إلى الكخية والذي يقصد به خليفة الأمير، هذا الأخير كان مسافرا في الركب المصري، فدخل عليه وهو في محله بين العسكر الكثير ولا يستطيع الضعيف الوصول إليه لكثره حجابه وحراسه، فعظّمهم غاية التعظيم وأحسن مجلسهم وأغدق عليهم من الخيرات والطعام، فكان مجلسه لا يدخله إلا الخاصة، أماعن العامة فبعد انتظار طويل ،فالورثيلاني سهّل الله أموره فكان دخوله دون انتظار ولما علم خليفة الأمير بقدومه سهّل أمر وصوله وأدخله إلى مدخله الخاص ،وفيهما من زخرفة وجمال وحسن المنظر فاندهش الناظر بمنظر قصر خليفة الأمير في السفر فما يدريك وقت الإقامة في قصره بمصر، فأعلمه أن معه زبرا من الشيخ الحفناوي ما زاد أعجاب

[1]– الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق، ص،639،131.

[2] -Hadj Sadok(M), Op.cit. P.350.

[3]– نفسه،ص.170،169.

خليفة الأمير به فأفاض في إكرامه وتبجيله، وعن سبب دخوله إليه لأجل قضاء حوائج الحجاج[1] لما عانوه من ظلم الأعراب وقطّاع الطرق وكثرة السّراق و التداخل بين الركب منها المصري والمغربي و الفزاني.

– سلطان مكة: في خضم أداء مناسك الحج، أراد الورثيلاني أن ينتقل من مكة إلى منىَ فوصل إلى المحصب، فأحسّ بالخوف من اللّصوص لكثرة السّراق وقطاع الطرق وقد علم بالأمر من خلال رحلاته السابقة و ما نصه الرحالة الذين سبقوه منهم أبي ناصر الدرعي .فزاد الفساد و الظلم بالمنطقة بل تعدى الأمر إلى أن أصبحت روح المؤمن بخيصة الثمن فمن أجل لا شيء يزهق روحه تعديا وجورا وقد قتلوا صاحب أحد أصدقائه في الركب محمد بن قسوم الريغي بسبب شربة ماء[2] ،ما جعله يدخل على دار سلطان مكة في منىً ،فاستأذن الدخول ومعه رهط من أصدقائه إلا أنّ السلطان لم يسمح بدخول الجميع، فدخل لوحده وانتظره البقيةُ بالخارج ، فدخل عليه وهو في سلطانه العظيم ، مهاب فيه، قبل كتف السلطان ورد عليه بالمثل ، فحدثه بأمر الجِمال التي سرقها الأعراب من الحجاج لما أغاروا عليهم في احدى منابع المياه وقد سبقه بحديث عن الرعيّة ومسؤول الراعي عنها، ما جعل السلطان يدرك أنه عالم و متمكن في الدين ، بعدها عرّف بموطنه ونسبه ما جعله ينشرح أكثر وأسرّ بذلك كثيرا، فلبى طلبه أن الإبل تعود إليهم حين دخولهم مكة و قدّم اعتذاره [3] لتقصير الحكام و الأمراء في حقوق روّاد بيت الله فمن واجبهم توفير الأمن و الراحة و القضاء على ما حرم الله، فطلب منه الدعاء له و لذريته فدعي له الورثيلاني .

–حاكم بولاق: صادف الحجاج العديد من المشاكل في طريقهم و خاصة في منطقة بولاق، بعد دخولهم مصر، فتربصت بهم الأعراب وكثر الوشاة من البدويين إلى أمير بولاق وجنود الترك، ما جعلهم يقبضون على الحجاج ويسجنوهم، من بين الذين تمّ القبض عليهم ولَد الشيخ أحمد الطيب، أحمد بن حمود، أحمد بن بلقاسم و العديد منهم وككل مرة يتدخل الورثيلاني لدى حاكم بولاق و يطلب منهم الإفراج فيفرج عنهم فكانت لا ترد شفاعة الورثيلاني أبدا، يقول مبينا بقوله "أن والي بولاق يأخذ منهم شيئا قليلا ويسرحهم رحمة منه أهلكه الله ما أبعده من شقي ومع ذلك مارد شفاعتي قط"[4].

---

[1]- نفسه،ص.367،368.

[2]-Hadj Sadok(M), Op.cit. P.344.

[3]-الورثيلاني، المصدر السابق،ص،422.

[4]-نفسه ،ص.556.

شأن المغاربة كذلك، تدخل الورثيلاني مرارا بعد أن حكم عليهم والي بولاق بالسجن و حتى بالإعدام[1] بسبب إحضارهم سكة مغشوشة وتشفع لهم الورثيلاني ،فأطلق سراحهم الأمير تقديرا و احتراما للورثيلاني ،ومرة دخل عليه وهو في المحكمة يقاضي في المساجين و المحبوسين وحدثه في أمر من أمور سرقة البدويين لمواشيهم فرحب به وفرح فرحا عظيما حتى تعجب الحاضرون من ردة والي بولاق، فما دخل عليه الورثيلاني إلا وقضى له حاجته وأحسن قضاءه ودائما يطلب منه الدعاء [2] تبركا وتيمّنا به وببركة الحاج العالم.

-**السلطان علي باشا** :أقام الورثيلاني و من معه في الركب على شرف حفاوة السلطان علي باشا بطرابلس، فخدمهم بنفسه و أكرمهم بأحسن الطعام ، فقد ترك عنده فرسا حمراء في طريق الذهاب على أن يستلمها منه في طريق العودة فوجدها في أحسن حُلّة، اهتم بها وقد أحسن بها غاية الإحسان وقد تعجب النّاس عند إخراجها من بيت السلطان، فكان لا يحب مفارقة الورثيلاني، يأنس بمجالسه وجعل دخوله إلى مجلسه دون استئذان على الرغم من إدراك الورثيلاني أن الوصول إلى مجلسه الخاص ضرْب من الخيال لكثرة العسكر والخدم والعمال والحُجّاب ، ما جعل شكاوي المظلومين لا تصل إليه بفعل هؤلاء، يحسنون القبيح و يضيفون على الحسن تحسينا، فكان يسمع لحديث الورثيلاني ويأخذ بنصائحه وإرشاداته في الحكم و في معاملة الناس وجبر الظالمين و إعادة الحق للمظلومين و المغلوبين على أمرهم[3]، وذكره بحق رعيته على راعيهم، الأمر الذي جعل سلطان طرابلس يثني عليه و على علمه، فوصل به الأمر أن طلبه لحضور اجتماعاته في طرابلس وما لبث يشاركه الحديث و يطلبه لملاقاته والاستزادة من علمه ، فكان لا يرد حاجة الورثيلاني فأطنب في إكرامه والثناء عليه.

-كاتب الحضرة السلطانية: محمد بن عثمان بطرابلس كاتب السلطان علي باشا، أكرمه و جعله من المقربين و تعلق به تعلقا شديدا ،فقد بالغ في حب الورثيلاني وإكرامه.

-وزير السلطان: الوزير يوسف الكاخية، أحد وزراء السلطان علي باشا، و هذا أثنى عليه وأظهر حبه و تعلقه به، فكان لا يعز عليه شيأً من أموره ، فلم يرد طلب الورثيلاني قطا، كان ملبيا لحوائجه و حوائج لمن توسط لهم من ركب الحج و الضعفاء من أهل البلد[4].

---

[1]-مختار فيلالي، المرجع السابق،ص.35.

[2]- الورثيلاني، المصدر السابق ،ص.558.

[3]- نفسه،ص.634،633.

[4]- نفسه،ص.633.

– خطيب مكة:" الوصول إلى لقاء خطيب مكة في ظل الجموع الغفيرة من الوافدين إلى بيت الله، يعد من الأمور الشبه مستحيلة لتواجد الحراس حوله، فتعلق قلبه برؤيته وهو يسمع خطاباته في الحرم المكي فتزاحم الناس للوصول إليه ،فرؤيته ليس بالأمر الهين بل تجلب لصاحبه حتى الموت أو الإصابة بكسور في اليد أو في الرجل لكثرة المتدافعين و المتزاحمين، فالناس حوله يضربون من يريدون لقاءه، إلا أن الورثيلاني سهّل الله أمره فإذا بالناس الذين سبقوه خلو له السبيل وأفسحوا الطريق له وتركوا له ممرا إلى أن وصل إلى الضاربين بالأعمدة فدنا إليه أحدهم فأخذ بيده إلى أن وصل عند الشيخ الخطيب، فسلم على ركبتيه وسمع خطبته و تبسم الخطيب[1] في وجه الورثيلاني، فكان للورثيلاني شأن في مكة و في نفوس الحجاج يقدّرونه أشد التقدير و يولونه المراكز ويسهلون أموره.

–علي باشا باي تونس: مكث في تونس مدة من الزمن قاربت الخمسة أشهر، علّم وتعلم بها، فأدرك وشاية الناس للحكام وقيام الحكام بسجن المتّهمين دون محاكمة أو تقصٍّ للأمر، فوُشي بأحد علماء الكاف إلى حاكم تونس[2] إذا قيل له أن هذا العالم و جماعته أرادوا أن يأخذوا بيد ابن يونس الثائر وظنه الورثيلاني كذب ما جعله يتوسط لدى الحاكم و يشفع له فشفع له الحاكم بشرط أن يبقى مدرسا بتونس براتب[3].

10–مؤلفاته ومناظراته : بحكم المنطق و التاريخ، لا يمكن لأي عالم أن يكون مُدرسا في بلده و في مختلف الأمصار التي مرّ عليها منها تونس، ليبيا، مصر والحجاز، كيف لا وقد تعلم من يد شيخ المشايخ و تضلع في العلوم، جالس العلماء بل ناظرهم ، فأي عالم صوفي له زاوية وطلبة و هو ابن زاوية و عائلة علم بالتوارث ولا تكون له مؤلفات؟ إن ميراث الورثيلاني غزير كغزارة علمه بين العلماء و الحكام، على الرغم من قلة ما وصلنا و لازال الكثير محتفظا به عند الأسر المرابطة سواء بالمنطقة أو بالمناطق التي حلّ بها، ومنها ما ضاع في طريق المؤلف أثناء رحلته الشاقة، ومن جهة أخرى ضاعت العديد منها لما أسفرته الحملات العسكرية الفرنسية على منطقة القبائل الصغرى، فجعلت معظمها مناطق محرمة ما جعلت الكثير من مخطوطات المنطقة تضيع، ألّف الورثيلاني في عدة فروع الدين منها: العقيدة و التوحيد، في العلوم اللغوية منها النحو والبلاغة ودوّن أيضا في مجال التصوّف وأبدع في موضوع الرحلة التي شملت العديد من العلوم منها

[1]–نفسه،ص.413.

[2]– نفسه،ص.685.

[3]––مختار فيلالي، المرجع السابق،ص.35.

الدين فتطرّق لمسائل فقهيّة و تحدث في الجغرافيا أيضا ،فهي حقيقة عبارة عن موسوعة في شتى الميادين ،من أهم ما تبقى و توصلنا إليه من مخطوطات:

-**شرح وظيفة سيدي يحي العيدلي**[1]: تناولت موضوع التصوّف، نُسخت عام 1165هـ، نسخها محمد الموهوب بن البشير بن لحبيب، في جزأين، افتتحت يقول عبيد الله وحيد عصره وفريد دهره العالم الرباني والكوكب النوراني سيدي الحسين نجل الشيخ محمد السعيد الورثيلاني..... وبهذا فقد كنت أتردد في شرح الوظيفة المنسوبة للشيخ الرباني والولي الكبير ... سيدي يحي العيدلي نفعنا الله ببركاته" و المخطوط مبتورة في الورقة الأخيرة.

-**شرح الرسالة السمرقندية** [2]: رسالة الاستعارات، لصاحبها أبي الليث أحمد بن عمر الحنفي السمرقندي الحنفي ، ألّفها الورثيلاني عام 26جمادى الأولى 1165هـ، ببني ورثيلان، نسخها محمد الموهوب بن البشير بن الحبيب، افتتحت "...وبعد، فلما امتدت أعناق الناظرين إلى شرح الرسالة الموضوعة في علم البيان، أعني التي وضعتها للشيخ المعلوم في المتن وهي الجواهر المنثورات في علم تحقيق الاستعارات" وقد تطرق إلى تقديم والتعريف بالشيخ يحي العيدلي وذكر كراماته المتعددة[3]

وآخرها...وقد جمعته في نهار واحد إلى الاصفرار يوم الثلاثاء السادس والعشرين خلت من جمادى الأولى لتاريخ 1165هـ، وهو القرن الثاني عشر، الذي لم يبق من الشر إلا ظهر فيه لأنه بقيت له خمسة وثلاثون...وكان الفراغ من نسخها وقت العصر من يوم السبت لخمسة عشر خلت من رجب الفرد عام 1301هـ...،وبعدها ذكر اسم الناسخ مع الدعاء والتحميد و التصلية.

---

[1]- الحسين الورثيلاني، شرح وظيفة سيدي يحي العيدلي، ج1المصدر السابق، ينظر الملحق 9.

[2]- مخطوط محفوظ محفوظة في مكتبة الموهوبية للمخطوطات ببجاية تحت رقمBA003.عدد الأوراق 63 ورقة، وهي في حالة جيدة وخط مقروء وواضح.

[3]-BALA(S),Soufisme et voyage :l'Algérie du dix-huitième siècle à travers al- rihla al warthilaniyya d'al –Husin al sharif al-warthilani(1125-1713/m.1193ou 1194-1779), thèse de doctorat, spécialité arabe, discipline : étude arabe et islamiques, université Marc Bloch. Strasbourg 2.France.P.103.

توجد نسخة أخرى لشرح الرسالة السمرقندية في الاستعارة للشيخ سيدي أحمد الدمنهوري مبتدأه بـ: البسملة والتصلية...هذا شرح الرسالة السمرقندية في الاستعارة للعلاّمة الفاضل سيدي أحمد الدمنهوري...و اختتمت المخطوطة: الشّفاء وسوء القضاء وجاءه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم[1].

-**شرح المنظومة القدسية**[2]: الكواكب العرفانية وشواق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية ،شرح الأرجوزة القدسية في التصوف للشيخ عبد الرحمان الأخضري، مبتدئا بقوله بعد البسملة والتصلية...وبعد فقد سألني بعض الإخوان أذاق الله لهم ولنا حلاوة التحقيق، وسلك بنا وبهم أنفع طريق بجاه النبي الكامل وأفضل من كل فريق، شرح القدسية للشيخ العارف بالله سيدي عبد الرحمان الأخضري، إذ لم يعلم لها شرح ولقد حاز يد السبق فيها: لفظا ومعنى، فأجبت سؤالهم بعد الاستخارة والمشورة وشرح الصدر...وسميته الكواكب العرفانية، وشوارق الأنسية، في شرح ألفاظ القدسية..."، آخرها قوله"...وكان الفراغ منه وقت الضحى الأعلى من يوم الثلاثاء ،آخر شعبان عام ثلاثة وستين ومائة والف من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، رزقنا الله خيره وخير ما بعده ، ووقانا شره وشر ما بعده بجاه أفضل الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، وحسبنا الله ونعم الوكيل ،ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ،سبحان ربك رب العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، أمين[3].

-رسالة في شرح: وقفت بساحل وقفت الأنبياء دونه لأحد الأولياء[4]، وهذ الشرح رد على طلبة بقرية تادلس، فهي عبارة عن كراسة صغيرة، وقد قال فيها وقوفه بساحل علم الحقائق وعندما كان في حال شطحة من شطحاته ما جعلته يرى أن الأولياء أفضل من الأنبياء في العلم والمعرفة، وقوله هذا لعدم تمكنه من علم الشريعة ولا في علم الحقيقة فهو غير متمكن بل متلون ،فوقوفه كان وقوف اضطرار لا وقوف أدب لأن صاحب القول محمول ولا حامل[5].

---

[1]-Ahmad Al damanhuri , sharh al-l Risala al- Samarquandiyya fil-isti'ara , manuscrito en literatura, biblioteca municipal del Ayuntamiento de Cordoba, pagina.66.

[2]-المخطوطة محفوظة في الزاوية العثمانية بطولقة، وقد قام الباحث محمد بن عبد الكريم بتحقيقها، ونشرها عن دار الخلدونية عام 2012. باعتماده على نسختين أحداهما من مكتبة الزاوية العثمانية بطولقة و الأخرى قدمها له الأستاذ أبي بكر عبد الحليم بن الخضير الزموري، النسختين مبتورتين في صفحات، الصفحة المبتورة في نسخة موجودة في نسخة أخرى.

[3]- الحسين الورثيلاني، الكواكب العرفانية وشوارق الأنسية، المصدر السابق،ص.443.

[4]- علق الحاج الصادوق أنها للشيخ أبي الحسن الشاذلي.

[5] -BALA(S),Soufisme et voyage ,Op.cit.P.104.

فوقوف الأنبياء دونه أولى وأمكن لتمكنهم في العلوم و لاشتغالهم مع الملائكة و الوحي، فمثال ذلك سيدنا موسى مع الخضر، أُعطى لهذا الأخير من العلوم اللدنية ما لم يعطه لسيدنا موسى إلا أن الأفضلية تبقى لسيدنا موسى، فقد استبقه في الاشتغال بما هو أعظم ،فلم يقف سيدنا موسى بها فقط بل وقف دونها وهي علم الشريعة[1].

-**رسالة في شرح لغز** " نسجت برنسا من ماء، فغطيت به من في الأرض إلى السماء، وجعلت عمامة من ثلج، وقناديل من ريح، وفتائل من ضباب " لغز صوفي لأبي يوسف المليانى بعث به إلى سلطان فاس بعد أن عجز علماء فاس عن تفسيره، فشرحه الورثيلاني في رسالة مختصرة، مجمل معناه:

البرنس المصنوع من الماء: هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم" من أسرّ سريرة مع الله كساه الله رداءها وسريرتها هو الأنس بالمحبوب بزوال الحجب وبرد الرضى به لأن بدايات الحب بالحرارة، فلما اتصف ببرد الرضى وأنس المحبوب نسج برنسا وكنى عن ذلك بالماء وجعل غطاءه من الأرض إلى السماء، لأن العبد إذا أحبه الله نادى عليه و أحبه أهل السماء والأرض[2]، أما العمامة من الثلج: نور الشريعة والإيمان، فالشريعة كالثلج في البياض[3].أما القناديل من ريح فهي معاني الصفات فهي أعظم من القناديل في الإشراق و الريح فهو الوارد على القلب الذي يوجب حبا للمحب، وأما الفتائل من ضباب فهي معاني الأسماء والأذكار، وأما الضباب فهي الحالة المتمددة منها المعاني[4].

-شرح على خطبة شرح الصغرى للسنوسي: قدمه للشيخ حطاب بمصر، الذي اطلع عليه و استحسنه كثيرا، وقد شرحها أيضا الشيخ لكن باختصار شديد.

- حاشية على حاشية المحقق المراكشي السكتاني على شرح السنوسي: اطلع عليه الشيخ الحطاب واستحسنها[5].

---

[1]- الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.15.

[2]- نفسه،ص.108.

[3]-BALA(S),Soufisme et voyage ,Op.cit.P.107

[4]- هذا اللغز، سببه هناك وشاية من جماعة على الشيخ الصباغ صاحب الثلاثين مؤلفا في الكرامات و الخوارق وليس الشيخ الصباغ شارح الوغليسية، فأرسل له الشيخ أحمد المليانى لغزا إلى فاس ،فاطلع عليه سلطان فاس فعجز الجميع عن تفسيره، ففسره الورثيلاني حسب ما ذكرناه سابقا، الورثيلاني ، الرحلة، المصدر السابق،ص.107.

[5]- الورثيلاني ، الرحلة ، المصدر السابق ،ص.284.

-شرح على وسطى السنوسي في التوحيد[1].

-**شرح على محصل المقاصد** للإمام أبو العباس أحمد بن زكريا التلمساني[2]،محفوظ بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء[3].

-شرح كتاب الصلاة: بوصاية من مؤلفه الشيخ السمّان القرشي المدنى، إذ التقى به و طلب منه أن يشرح مؤلفه[4] وهي صلاة عظيمة تكاد أن تكون مثل صلاة الشيخ أبي عبد السلام بن مشيش[5].

-شرح على كتاب المرادي[6] .

-قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم في 500 بيت، كالهمزية البوصيري ولكنها ميمية[7].

-حاشية على صغير الخرشي: مزبورة على هوامش الشرح[8].

-وصف برقة: كتاب ضاع منه في الطريق قرب الزعفران في يوم شديد البرد، فوصف فيه المنطقة جغرافيا ، حدّث عن أماكن تواجد المياه، طريق مرور الركب، ذهنية المجتمع وعاداتهم، على العموم تنازل جميع الأوضاع المتعلقة بالمنطقة، فتأسف لضياعه مع محاولة استرجاعه في البحث عنه[9].

-رسالة في اختلاف علماء الأزهر في شرح الشيخ الخرشي لخطبة الشيخ خليل في قوله: وحمد المؤلف العام وشكره الخاص، فاختلفوا هل الخاص أفضل أو العام ،فذلك قولان إن أخذ بأفضلية العام فذلك يستند إلى قول البراذعي لأنه بدأ بالخاص ثم العام، أما قول الخرشي فيحتمل القولين فإذا كان العام أفضل فهو

---

[1]-محمد بن عمر بن قاسم بن مخلوف، المصدر السابق، ص.514.

[2]-Hadj Sadok(M), Op.cit. P.325.

[3]- محمد القادري وآخرون، فهرس المخطوطات العربية والامازيغية،ج2،مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية ،الدار البيضاء، المملكة المغربية،1985،ص.548. محفوظ تحت رقم:475/3.

[4]- مختار فيلالي، المرجع السابق،ص.27.

[5]-BALA(S), Soufisme et voyage, Op.cit.P.109.

[6]- الحفناوي، المصدر السابق،ص.134، توجد نسخة مخطوطة في مكتبة الشيخ أبهلول لدى عائلة فضلاء ،وقد ذكرها محمد الطاهر فضلاء أنها أنها موجودة في مكتبة أبيه الشيخ السعيد أبهلول.

[7]-نفسه،ص.134.

[8]-مختار فيلالي، المرجع السابق،ص.27.

[9]- الورثيلاني، المصدر السابق، ص.608.

تدل، وإن كان العكس فترق، فعلى هذا النّص كان الجدال بين العلماء، فكان له رأي و جعل فيه رسالة و استحسنها من حضر في المجلس[1].

–تشطير بردة البوصيري[2] .

– تشطير دائية للبوصيري[3].

–رحلة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار: دونها بعد عودته من رحلته الحجازية الثالثة، و من خلالها تعرفنا على أهم المؤلفات التي دونها، باعتبار أن العديد منها في طي النسيان الضياع، ومؤَلفه المعروف به" الرحلة الورثيلانية" هي محل دراستنا في بحثنا هذا .

مناظراته العلمية :

يُعرف العلماء بكثرة مجالستهم العلماء، فالعالم الفذّ الذي يناقش ويناظر الذي في مستواه أو أعلى وأن يكون خصاما علميا بالدلائل والحجج، فالورثيلاني لم يكن طالبا فحسب، بل عالما معروفا لدى العامة والخاصة، ففي سفره صادَفته العديد من الصراعات العلمية بين عديد العلماء والطلبة بمختلف الأمصار التي مرّبها والأكثر كان بمصر لمجاورته لعلمائها، فكان كثير التردد على الدروس ومجالسة العلماء والبحث عن السؤال ومولعا بالنزاع[4] ومحبا له بشرط الإنصاف ،فحدثت له بعضا من المناظرات التي تفوق فيها بفضل علمه و قوة أدِلته وحِنكته فانتصر على علماء المشرق الذين دائما يستصغرون علماء الغرب الإسلامي وإن كان الأمر عكس ذلك في الواقع والدلائل تثبت تفوق مدرسة الغرب الإسلامي (الأندلس سابقا وشمال إفريقيا)، فلورثيلاني نصيب مما لاقاه مثله مثل علماء الجزائر الذين ارتحلوا للمشرق وناظروهم كابن عمار، أبوراس الناصري وغيرهم. فمناظرات الورثيلاني كانت مع عديد المشايخ والعلماء وتعددت العلوم التي ناظر

---

[1]- نفسه، ص.307،308.

[2]–توجد نسخة من المخطوطة في مكتبة الشيخ أبهلول الورثيلاني.

[3]- توجد نسخة مخطوطة في مكتبة الشيخ أبهلول الورثيلاني.

[4]–الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.293.

فيها منها الدين، الفلسفة واللاهوتية وحتى القانونية والتي وضّح فيها الكثير من الأمور العالقة في تلك الفترة[1] منهم:

- **شيخه علي الصعيدي** في قول" لا سنة خفيفة كتشهد إلى قوله وإعلان بكآية": في إحدى مجالسه الفقهية بمصر، يُدرس طلبته فقه مختصر خليل بشرح الشيخ الخرشي فكان يعترض على شرح الشيخ الخرشي في كثير من الأمور الفقهية منها مسألة السهو في الصلاة، فأصاب الورثيلاني غيرة على انتقاد "الشيخ علي" لشرح الخرشي في قوله "لا سنة خفيفة كتشهد إلى قوله وإعلان بكآية" شرحه الشيخ الخرشي قوله وإعلان معطوف على قوله كتشهد، فقال الشيخ "علي" هذا العطف فاسد كون التشهد متروك والإعلان ضده والعامل في المعطوف عليه هو العامل في المعطوف ولا يصح تسلط الترك على الإعلان لأن الترك هو العامل في التشهد فبعد أن أتم شرحه **تدخل الورثيلاني** واعترض عليه ، فقال الشيخ علي (شيخ الورثيلاني) ما البيان؟ قال الورثيلاني: المعطوف في الحقيقة محذوف تقديره كتشهد وترك سّر بأن أعلن وقد صوّر المصنف الشيء بضده لأن القراءة يكتنفها أمران السّر والجهر، ولا يترك أحدهما بفعل ضده ولذلك قلنا المعطوف في الحقيقة محذوف[2]، وبعدها أدرك الشيخ "علي" تضلع الورثيلاني في العلوم ما جعله يُسلّم على يده ويقبلها ويثني عليه، وأوصى العلماءَ الحاضرين أن لا يُكتب شيء في قول الخرشي حتى يُعلم به الورثيلاني، فكان للشيخ "علي" في مجلسه عالمان كاتبان لا يدوّنان ما قاله حتى يفرغ من النقاش مع الورثيلاني.

-**الشيخ حطّاب وطلبة الأزهر ومسألة الجوهر الفرد:** بعد لقائه مع الشيخ حطاب وتبادله للمؤلفات، اجتمع الطلبة حوله وسألوه في مسألة الجوهر الفرد، **فردّ الورثيلاني**: أنه عند أهل السنة موجود وعند غيرها مستحيل، فاستدل بكلامه على عدة مؤلفاته اطّلع عليها ،منها شرح المعالم لابن التلمساني، ومؤلفات الشيخ السنوسي، فبعد أن أورد تلك الأدلّة منهم من فهم الشبهة فمتع جواب أهل السنة، ومنهم من لم يفهم الشبهة ولا الجواب عنها، ففتح الله على الشيخ الورثيلاني أن وضّح الأمر وفسره غاية التفسير وبذلك سّد تلك الثملة ومنع الشبهة ، فتعجب الكل وصعق كل من حضر المجلس وشهدوا له بالفضل والعلم[3] وغاية

---

[1]-Stefan Reichmuth ,TheWorld of Murtada Al-Zabidi: 1732-91 Life, Networks and Writings, Ed ,Gibb Memorial Trust,Gratbritain,2009.P.185.

[2]- الحسين الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية، المصدر السابق،ص.287.

[3]-نفسه،ص.284،285.

الإدراك، وبعدها طلبوا منه قراءة الكبرى للشيخ السنوسي بحضور الشيخ "علي الصعيدي" وفرحوا بذلك وأُسعدوا به كثيرا.

–الشيخ عمر الطحلاوي في قول أن المعارف غير العالم ،وقد نصركم الله ببدر: رغبة في الاستزادة في العلم، جالس الورثيلاني الشيخ الطحلاوي بجامع الأزهر وسأله عند قوله في أن المعارف غير العالم هل وُضعت وضعا جزئيا أو كليا **وقد تعجب الشيخ من كلام الورثيلاني** لم يعهد بسماع هذا الكلام من قبل، وكان الورثيلاني قد اطّلع على مؤلفات الإمام الفراقي، وسأله أيضا في قوله تعالى "ولقد نصركم الله ببدر" فرد عليه أنّ للمؤمنين ظرف متعلق بنصر ،فرد عليه الورثيلاني: إذا كان النصر حينئذ لم يكونوا أذلة أي في قلة فقيّد النصر بالملائكة ليسوا على قلة في الظاهر ولا في الباطن، فلما **عجز الشيخ الطحلاوي** عن الجواب **صار يغالطه بكلام ليس من العلم** والمغالطة الخارجية[1] بعد أن أدرك صحة كلام الورثيلاني وتفوقه عليه في مناظرته.

مناظرات في اللغة و الأدب مع شيخه العمروسي: في ظل النزاع العلمي والنقاش الديني بين الشيخ "العمروسي" والشيخ "خليل المغربي" في مسائل الكبرى عن كلام الشيخ السنوسي، فلما طال نزاعهما ناصر الورثيلاني الشيخ "خليل المغربي" على شيخه العمروسي لما ظهر من صحة قول الشيخ "خليل المغربي"، ما جعل شيخه (العمروسي) يتأسف لموقف الورثيلاني بأنه ناصر خصمه، فرد عليه الورثيلاني أنه ناصر الحق وقول الحق واجب ونصرته حق على كل قادر، ما جعل الورثيلاني **يناظر الشيخ العمروسي** ليُدرك مدى سعة علمه وفقهه **فسأله في علم البيان** في قول "أنبت الربيع البقل" على أنه استعارة مكنية شبه الربيع بالفاعل وهو الله في كونه منبتا، وحذف المشبه به وهو الله وأثبت له شيئا من لوازم المشبه به وهو الإنبات والربيع فاعل حقيقي فهو مستعار للخالق فيلزم أن يكون من أسمائه فلا يجوز إطلاقه عليه بناء على ذلك القول لأنه تصرف في الذات التي لا يتصرف فيها إلا الله، فلما سمع الشيخ" العمروسي" كلام الورثيلاني وجوابه تحير في الجواب وبعد جهد كبير توصل إلى فهم الإشكال فضلا عن الجواب[2].

---

[1]- نفسه،ص.294.

[2]-نفسه،ص.304.

مناظرته لعلماء وطلبة صفاقس: دخل مدينة صفاقس بتونس فجالس علماءها فباحثهم في علم الكلام فلم يستطع المدَرِس فهم حتى أسئلة الورثيلاني فضلا عن الجواب لضعف ملَكته وقلة علمه، فانتقل إلى مجلس الفقه أين ناظر أحد الفقهاء حتى أدرك عجزه وكان كل جوابه لا أدري.

في صفاقس أيضا دخل في منازعات علمية في مجالس الأدب والنحو، فكثر الطلبة حوله، فأراد البعض اختباره لما سمعوا عنه وعن علمه، فسأله أحد عن إعراب "مالك يوم الدّين" رغبة في تعجيزه وإظهار قِصر علمه، فردّ عليه الورثيلاني بالجواب الكافي والشافي فبيّن له أوجه الإعراب بعدما أن رآه على حق[1] ، وأوصاه أن يسمع من كلام العلماء وأن لا يتحدث بما لا يعلم.

ما يثبت جليّا أن الورثيلاني كان متضلعا في العلوم وقد ناظر حتى والده[2] في مسائل الفقه واللغة، والذي كان شيخه الأول، فكثرةُ اطّلاعه على المؤلفات وشغفه بمجالسة وحضور حلقات الدرس أهّلته أن يكون في مصاف العلماء الفقهاء، فلا يكاد يمرّ على وطن من الأوطان إلا وجالس كبار علمائها وناظر بعضهم بما يملك من علم، فكثيرا ما كان الورثيلاني هو صاحب حق ومنتصر على خصومه وجدالاته، أما عن المسائل الفقهية واللغوية والعلمية وكل ما تعلق بالجانب الثقافي والعلمي سنخصص لها جزء خاصا بها.

مناظرته للشيخ العمروسي: لازم الشيخ الحسين الورثيلاني العديد من علماء مصر، منهم شيخه "العمروسي" ،فمنذ حادثة نصرته للشيخ "خليل المغربي" على "الشيخ العمروسي"، جالسه الورثيلاني كثيرا وطرح عليه عديد الأسئلة على شكل مناظرات ،رغبة في الاستزادة من علم الشيخ وتنويره على الأحكام والنصوص التي لم يطلع عليها ،ومن جهة أخرى رغبته في معرفة مدى تبحر الشيخ في العلوم والمعارف الأخرى، فسأله الورثيلاني عشرة أسئلة في تخصصات وعلوم شتى وهي:

السؤال الأول: شرح مقولة الشيخ السنوسي في الوسطى" العلم بالوقوع تابع للوقوع ولو كان الوقوع تابعا له لدار" **فسأله الورثيلاني** عن بيان الدور وعن معنى الكلام، فلم يجِب عليه حتى لم يتعِب نفسه عناء البحث والتفكير فوجده كأنه لم يسمع به قط، هنا تبين له أن لا خبرة له، **فأجابه الورثيلاني"** فتفسيره ومعناه فهو كنار على علم إلا أن التحقيق أن العلم بقدوم زيد يوم الخميس تابع لقدومه ولو كان القدوم تابعا للعلم

[1]-نفسه،ص.656.

[2]-نفسه،ص.295.

بالقدوم لَدَار وهو محال لأن القدوم بمنزلة التصور والعلم به كالتصديق، والتصديق تابع للتصور ولو كان التصور تابعا له لَدَار[1]".

السؤال الثاني: في قوله" أن البصر في حقنا يتعدد بتعدد المبصرات فما لم تره فلمانع قام بالعين فلزم عليه أن الجزء الواحد قامت به أبصار وموانع وهي أضداد يستحيل اجتماعها في محل واحد" فلم يستطع الجواب عليه أيضا، **فأجابه الورثيلاني**" أن الموانع والأبصار وإن كانت متضادة بحسب المعنى غير أن ما تعلق به البصر غيرُ ما تعلق به المانع فلا تضاد ذكر لهذا الجواب" وقدم الورثيلاني بعضا من الأمثلة لتسهيل فهم الجواب كونه معقدا، فبسطه بأمثلة منها الألوان: لأن اللون إذا قام بمحل منع قيام ضده به فإن قام السواد مثلا بمحل واحد منع قيام البياض به[2].

السؤال الثالث والرابع: سؤال يخص علم الكلام، في تعلق علم الله بالمحال هل تعلق به تصورا أو تصديقا؟ فلم يستطع الإجابة عنه مثله ومثل الأفاضل الآخرين لما يتطلب من ذكاء تعمق في الدين والفكر، **فأجاب الورثيلاني**: تعلق علم الله بنفي الشرك وشبهه من كل محال وإنما الخوض في علمنا الذي يتعلق تصورا وتصديقا وأما علم الله فمنزه عن ذلك وإن بقي فيه نوع خطب غير أنه خوض في ما لا يليق به تعالى إذا أكثر من هذا مستحيل عليه تعالى".

السؤال الخامس: في قول الشيخ الخرشي "وحمد المؤلف العام وشكره الخاص" فاختلف المفسرون في شرحه وفي أفضلية العام على الخاص، والقول يقبل الرأيين، فإن بيّن أن العام أفضل فيقول البراذعي "ترق لأنه بدأ بالخاص ثم العام" أما رأي الشيخ خليل فيحتمل القولين فإذا كان العام أفضل فهو تدل وإن كان العكس فترق" **فقال الورثيلاني** :هذا منقوض لأن البراذعي كخليل أي عبارتهما معا تحتمل القولين فلا فرق بينهما والتفريق بينهما تفريق بلا مفرق وهو التحكم قطعا، فلما أدرك الورثيلاني أن الشيخ والحاضرين لم يستعيبوا القول والفكرة وحتى مصطلح الترقي والتدلي، **فأجاب عنهم**: أن الترقي في كلام البراذعي إذ بدأ بالأخص إذ هو أقل إفرادا ثم العام إذ هو أكثر فهو ترق قطعا، أما كلام خليل فمحتمل للترقي والتدلي بيانه هو أن قوله الحمد لله حمدا يوافي ما تزايد من النعم يحتمل أن يكون على الحامد نفسه فيقدر حمدا يوافي ما تزايد علي، و

[1]-نفسه،ص.305.

[2]-نفسه،ص.306.

مجمل القول: أن الحمد خاص كما سبق والشكر عام، وأن العام أكثر إفرادا من الخاص فهو تدل قطعا وبالجملة فكلام خليل يحتمل التدلي والترقي غير أن التدلي فيه أظهر[1].

السؤال السادس: سؤال في النحو، في قول ابن مالك:

وَصَالِحًـــا لِبَدلِيّـــةٍ يُرَى فِي غَيرِ نَحوٍ يَا غُلَامُ يَعمُرَا
وَ نَحْوِ بِشرٍ تَابِعِ البَكرِيِّ وَلَيسَ أَنْ يُبْدَلَ بِالمَرْضِـيِّ

فقام الورثيلاني بإعرابها إعرابا تاما وبيّن الصور البيانية الموجودة فيها مع تقديم أمثلة أخرى لإيضاح الصورة للعلماء الجالسين معه، فجميع الذين شرحوا الألفية لم ينتبهوا لهذا السؤال أو الجواب، فهذا ما أثبت ذكاء وقوة حفظ الورثيلاني ،فكان الورثيلاني من قبل ناظر علماء اللغة والنحو بمصر وتغلب عليهم وأبهروا به ويذكر Stefan Reichmuth"ستيفان ريتشموتش" أن الورثيلاني التقى بالشيخ المرتضى الزبيدي في مصر وهو في طريقه إلى الحجار[2]،ما يثبت حقا أن الورثيلاني لغوي ودرّس على جلّ مشايخ مصر الذين درسوا الشيخ المرتضى الزبيدي.

السؤال السابع: في الكيمياء حول الأكسير، فأجابه أنه مستور بشعرة وأدرك الورثيلاني أن الشيخ على علم به وأشار إليه أيضا بأصبعه.

السؤال الثامن: في موضوع باب الجنائز عن كلام الشيخ ابراهيم الشبرخيتي" أن الموت عرض قائم بيد ملك فمن مسّه بها مات وهو أنه عرض والعرض إذا قام بمحل أوجب الحكم لمن قام به لا لغير من قام به وهنا أوجب الموت لغير من قام به وأما من قام به فلم يمت وهي اليد التي قام بها والقضية العقلية يستحيل تبديلها فلن ترتفع، فتحيّر الجميع من السؤال فلم يجب عنه أحد لما فيه من تعقيد ومعرفة بأمور الدين، **فأجاب الورثيلاني** عنه "أن الموت في مخلوق عند المسّ باليد التي قام بها الموت ليس من إعطاء صفة الحكم لغير من قامت به بل أنّ الله أجرى عادته أن يخلق الموت في الحي عند ذلك المس فيخلق عنده، لا أنه أوجبه وصف الموت القائم بتلك اليد ولا أنه به"، أن اليد إن ماتت فلا مانع أن يحركها الله بمحرك كما يتحرك الميت بغيره تحركت خرق عادة، لأن الحياة ليست شرطا عقليا في الألوان والحركة والأكوان وإنما الحياة شرط عقلي في

[1]-نفسه،ص.307.

[2] -Stefan Reichmuth ,The World of Murtada Al-Zabidi: 1732-91 Life, Networks and Writings, op-cit.P.185.

الإدراك لا غير، وبعد هذه الإجابة توقف جميع من سمع الجواب وأنّ الله قد منّ عليه وفتح عليه معارف العلوم وكان الشيخ "علي الصعيدي" من العلماء الذين عرفوا الجواب[1].

السؤال التاسع: عن التناقض بين المذاهب على الرغم من أنّ الدين واحد والقرآن واحد و النبي واحد ؟ فطرح مثال البسملة في قراءة سورة الفاتحة في الصلاة وعقد مقارنة بين مذهب الإمام مالك والإمام الشافعي، فالأول يرى أنها مكروهة وأن تركها أولى ويلزم من ذلك صحة صلاة تاركها قطعا وأما الإمام الشافعي فيقول ببطلانها إن تركت لأنها آية من الفاتحة ومن ترك آية عمدا بطلت صلاته، ومذهب الإمام مالك أنها ليست آية من الفاتحة، فالعجب العجاب كيف تكون الصلاة في دين واحد باطلة وصحيحة ؟فجل الحاضرين لم يفهموا السؤال وما أدرك بالجواب ما عدا الشيخ العفيفي الذي فهِم السؤال وأدرك الجواب، **فأجاب الورثيلاني** فقدم وجه رأي الشيخ الشعراني بقوله أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد أن الأئمة الأربعة كلهم على صواب في نفس الأمر، فيلزم أن بطلانها وصحتها حق، فاعترض الورثيلاني على قول الإمام الشعراني أن استحالة اجتماع النقيضين، وقال: الإصابة بحسب الثواب ونفي العقاب، فكل المذاهب مصيب في نفس الأمر بحسب الثواب في صحة العبادة على من يقول بها عدم العقاب على من يقول ببطلانها، أما في الواقع عند الله إما صحيحة أو فاسدة، أما بالنسبة للثواب وعدم العقاب فكلاهما صحيح يعتد بهما في ظاهر الشرع، فمسألة اختلاف المذاهب يجب أن يحمل كل رأي منهم على الإصابة في نفس الأمر بمعنى أنه من عمل بمقتضاها غير مؤاخذ شرعا وإن كان المصيب في علم الله واحد.

السؤال العاشر: متعلق ببرهان القطع والتطبيق، فيستحيل في الحوادث دون القديم إذا قولهم ما دخله في الوجود متناه، فقال العلماء منهم ابن التلمساني والمحقق المراكشي والشيخ اليوسي أن كمالاته تعالى لا نهاية لها بحسب الواقع وإنها صفات موجودة قائمة بذاته غير متناهية ودعوى الإجماع أن كل من دخل في الوجود قديما أو حديثا متناه منقوص.

فبهذا أظهر الورثيلاني مدى سِعة علمه وتفوقه على شيوخه وأبهر علماء مصر وفقهاءها، فتفقه في علم الفقه، اللغة ،علم الكلام والمنطق، الكيمياء، التوحيد والعديد منها وأثنى عليه الحاضرون ومنهم الشيخ العفيفي، ابن عمّار الجزائري، العمروسي وآخرين، فهذه الأسئلة لم يستطع العلماء الإجابة عنها فجمعت بين العقل والدين وأضاف عليها المنطق ما استحال على الآخرين الإجابة عنها.

---

[1]-نفسه،ص.309،310.

11- وفاته : لم تهتم كتب السير و التاريخ و التراجم بسيرة الشيخ الحسين الورثيلاني، قلما نجد من عرّف به، فلولا رحلته التي أُعيد إظهارها للعالم مرة أخرى لبقي في طيّ النسيان، فالذين ذكروه قلة قليلة جدا اختلفوا في تاريخ ولادته كما اختلوا في تاريخ وفاته، والأرجح أن تكون في شهر رمضان من عام 1193هـ أو1194هـ الموافق(1779-1780م) كما ذكر بعض تلامذته وسمعه ناسخ الرحلة عبد القادر بن محمد الصغير. وعلى هذا عاش المؤلف ما بين 83سنة إلى 84سنة[1] كلها حافلة بالتنقل و السفر لطلب العلم و تدريسه و لزيارة بيت الله، يقول الشيخ الحفناوي عن وفاته أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه يعيش إلى السنة العاشرة من القرن الثالث عشر[2].

[1]- كلام من الناسخ عبد القادر بن محمد الصغير ، وقد وُجد في آخر رحلة الرحلة، ذكره مصحح الرحلة في ترجمته لصاحب الرحلة، صفحة:.د.

[2]- الحفناوي، المصدر السابق،ص.135.

ثانيا: التعريف برحلة الورثيلاني الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار.

1- نسبة الرحلة للمؤلف: تؤكد العديد من المصادر التاريخية حول صحة نسبة الرحلة الورثيلانية إلى الحسين بن محمد السعيد الورثيلاني، فمؤلف الرحلة ذكر في تذييلها قوله" انتهت الرحلة المباركة تأليف الشيخ الصالح والقطب الواضح، شيخ الطريقة وإمام أهل الحقيقة، شمس العقول، الجامع بين المعقول و المنقول، ذي النور الرباني والوهب الصمداني، الشيخ سيدي الحسين بن محمد السعيد الشريف الورثيلاني"[1] ، ويضيف عليها ناسخها هو أحد تلامذته إذ يقول" أن مؤلف هذه الرحلة وجامعها هو مولانا و قدوتنا إلى الله تعالى المحقق الكامل ،العالم العامل، العارف بالله تعالى، إمام المحققين والمريدين، فاتح أقفال بعض غوامض إشارات العارفين، ومفسر رموز مشكلات المحققين السالكين ذو الرتبة الإلهية، و العلوم الربانية والمنح الرحمانية، المقتفي لكتاب الله تعالى والسنة المحمدية ،وهو الولي الصالح و القطب الواضح، أما الطريقة الجامع بين الشريعة والحقيقة، الفقيه النوراني ،العالم الرباني، سيدي الحسين بن محمد السعيد الشريف الورثيلاني"[2].

ما يثبت أيضا صحة نسب هذا الكتاب إلى الحسين الورثيلاني أنه لما أقدم على شرحه للرسالة السمرقندية ذكر ناسخها أن الرحلة الورثيلانية صاحبها هو الشيخ الحسين الورثيلاني بقوله" وكان الفراغ من نسخه وقت العصر من يوم السبت خمسة عشر خلت من رجب الفرد من عام 1301هـ على بركة العبد الفقير إلى ربه ...محمد الموهوب بن البشير بن الطيب بن احمد رزوق ....فليطالع رحلة الشيخ الحسين الورثيلاني وابن فرحون وغيره...[3]" فمن باب اتقاء الشبهات وجبت أكيد إثبات شرح الرسالة السمرقندية أنها شُرحت من طرف ناظم الرحلة، فيقول شارحها في مقدمتها "قال الشيخ الإمام القدوة الرباني الجامع بين الشريعة والحقيقة...الحسين الشريف الورثيلاني...وبعد ،فلما امتدت أعناق الناظرين إلى شرح الرسالة الموضوعة في علم البيان أعني التي وضعتها للشيخ المعلوم في المتن وهي الجواهر المنثورات في علم تحقيق الاستعارات لما رأوا فيما علق على الرسالة السمرقندية[4]" .

---

[1]- الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية، المصدر السابق،ص.713.

[2]- نفسه، كلام أحد تلامذة الشيخ الورثيلاني، أضافه المصحح محمد بن أبي شنب إلى تقديم الرحلة و التعريف بصاحبها، ص.د.

[3]- الحسين الورثيلاني، شرح الرسالة السمرقندي، المصدر السابق، ورقة 63و الأخيرة.

[4]- نفسه، الورقة الأولى ، اردنا إضافة مقدمة شرح الرسالة السمرقندية من اجل إثبات أنها صحيحة و منسوبة اليه ما يجعلنا نؤكد خاتمتها التي أوحت القارئ إن أراد الاستزادة في مسألة النسب الشريف فعليه الاطلاع على رحلة الحسين الورثيلاني و طبقات ابن فرحون.

وتشير العديد من النصوص في محتوى الرحلة أنها منسوبة إلى الحسين الورثيلاني فمن بينها قوله" سيدي أحمد أبي القاسم و المؤلف لهذه الرحلة وأصحاب الجميع"[1].

2- ذكر عنوان الكتاب أو جزء منه: ،إنّ المدقّق و المتمعّن في نصوص الرحلة وفيما دوّنه الورثيلاني وعن ما نسخه النسّاخ، لا نجد عنوان هذه الرحلة «نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، ما يجعلنا نتساءل هل هذا العنوان للشيخ الحسين الورثيلاني؟ إلى أي مدى يمكن تصديق أن العنوان مطابق لمحتوى الرحلة؟ فالأمر الذي جعلنا نشكك في هذا عدم ذكر هذا العنوان إطلاقا مع العلم أن محتوى الرحلة تُنسب له وقد ذكرنا الدلائل سابقا.

فدلائل لفظة الرحلة موجودة في محتوى في الكتاب في عدة محطات منها قوله" أنشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادي ويستحسنها الشادي" وفي موضع آخر يذكر أيضا أنه استدل بكلمة الرحلة يقول: "...إذا لا فائدة تعود إلى غيره، إذ هذه الأمور خاصة بمؤلف الرحلة فلا نفع فيه يتعدى لغيره"[2]، هذا ما يخص مصطلح الرحلة في الكتاب فهو مذكور بكثرة سواء على سبيل التخصيص أو التعميم فساير بذلك كتب الرحلات والتي اعتمد عليها، فمن المعلوم أن الورثيلاني مؤلفاته الأخرى التي لا تزال محفوظة عند قراءتها وتفحصها نجد عنوان المخطوطة في الصفحات الأولى أو يسميه في ذيل المخطوطة[3] سنقدم مثالين عن المخطوطات التي وصلتنا كاملة" شرح القدسية و شرح الرسالة السمرقندية، يقول في الكتاب الأول" فقد سألني بعض الإخوان أذاق الله لنا ولهم حلاوة التحقيق وسلك بنا وبهم أنفع بطريق بجاه النبي الكامل وأفضل من كل فريق-شرح القدسية للشيخ العارف بالله سيدي عبد الرحمان الأخضري، إذ لم يُعلم لها شرح، ولقد حاز يد السبق فيها: لفظا ومعنى، فأجبت سؤالهم بعد الاستخارة والمشورة وشرح الصدر، بعدما كنت أقدم رجلاً وأؤخر أخرى لأن هذا الأمر لا يليق بمثلي، لأني قصير الباع، قليل الاطلاع، ذو بضاعة مزجاة...فإذن

[1]-الحسين الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.619.

[2]- نفسه، ص 142.

[3]- منهج الورثيلاني في الكتابة يذكر عنوان الكتاب في الصفحات الأولى أو يذكر في الصفحة الأخيرة، منها: شرح الرسالة السمرقندية، شرح وظيفة سيدي يحي العيدلي، شرح الألفاظ القدسية للأخضري، فهو حريص على ذكر عنوان الكتاب وصاحبه و بعدها يعطي تسمية وعنوان جديدا لشرحه و يذكره ويكون تدوينه بالحبر الأحمر، ما يجعل منهجه في التدوين جد موثوق.

ما أقوله وأفسره به كلامه ليس مراد المصنّف ومعنى كلامه، وإنما هو كالمحاذي له وإن مزجت به لفظة، **وسميته "الكواكب العرفانية، وشورق الأنسية، في شرح ألفاظ القدسية"**[1]

والمثال الثاني في مخطوطة شرح وظيفة سيدي يحي العيدلي، يقول في مقدمة المخطوطة"...فقد كنت أتردد في شرح الوظيفة المنسوبة للشيخ الرباني والولي الكبير الصمداني، العارف بالله النوراني، الذي عمّت بركاته البعيد و الداني، شمس بلدنا وقطب وطننا سيدنا يحي العيدلي...وسريرته طافية لدينا فشرحتها بعد المشورة والاستخارة بعدما كنت أقدم رجلا وأؤخرها...فما كان من الخطأ فمن أنفسنا وما كان من الصّواب فمن فضل الله تعالى علينا **وسميته شوارق الأنوار، في تحرير معاني الأذكار** لوظيفة الشيخ العارف بالله النبراس المختار"[2].

من خلال المثالين السابقين نجد حرص المؤلف على ذكر عناوين شروحاته، هل ينطبق نفس الأمر على التأليف في منهج العنونة ؟لم يخرج عن نمطه وهو يذكر بنفس منهاج الخطوات الأولى في التقديم والمتمثلة في دواعي التأليف والغاية منه، حتى في العنوان لم يختلف فذكر كلمة الرحلة في الصفحات الأولى ولم يعطي لها نفس العنوان المتعارف عليه بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار، ما يجعلنا نصِلُ إلى فرضيتين محتملتين هما: الأولى أن يكون وضع العنوان من طرف الناسخ ، الفرضية الثانية أن يكون العنوان موضوع من طرف مؤلّفها بعد الفراغ من تدوينها.

فدراسة هاتين الفرضيتين وجب الاطلاع على النسخ الأخرى، فقارنّا العديد من نسخ الرحلة المتواجدة في المكتبة الوطنية بالجزائر و النسخة المصححّة و المطبوعة وجدنا أن كلمة الناسخ موجودة في آخر المخطوطة ولم يذكر عنوان كاملا بل ذكر أن مؤلف هذه الرحلة فقط ،ما جعلنا نزيل الشك أن نسبة العنوان إلى النسّاخين، أما الفرضية الثانية أن يكون الورثيلاني من وضع بعد الفراغ من الرحلة فهذا أمر وارد جدا والأقرب للمنطق والواقع بل هو الأصح لعدة أسباب منها:

-اقتران كلمة الرحلة بالدلالات اللفظية للعنوان في محتوى الكتاب بمضامين الأخبار و السير والماضي.

---

[1]- الحسين الورثيلاني، الكواكب العرفانية، وشورق الأنسية، في شرح الفاظ القدسية، المصدر السابق، ورقة رقم 1 و2، محفوظة بمكتبة طولقة ببسكرة، للمزيد ينظر تحقيق محمد بن عبد الكريم.

[2]-الحسين الورثيلاني، شوارق الأنوار، في تحرير معاني الأذكار، شرح لوظيفة سيدي يحي العيدلي، المصدر السابق، ورقة 1-3.

– ربط مصطلح الرحلة والأخبار في العديد من مواضع محتوى الكتاب فعلى سبيل المثال يقول" فلما تعلق قلبي بتلك الرسوم والآثار...أنشأت رحلة عظيمة...فإنها تزهو بمحاسنها عن كثير من كتب الأخبار"[1]

– ربط مصطلح الرحلة بالتاريخ واقتران اللغوي واللفظي مبينا في قوله" وأن علم أمور الرحلة وبعض علم التاريخ"[2].

– ذكر فضل الرحلة وكتب التاريخ والأخبار على القارئ ومالهم من فائدة على الغير فإنها تسمو به و تزهو بروحه إلى علم لم يكن يعلم به من حوادث و سير وقصص تثير عقله و تشفي غليله و تشوقه لزيارة البقاع موضحا في قوله"...فاعلم هذا (حديثه عن علم التاريخ والرحلة) فإن فيه فضلا عظيما وأيضا أن النفس إذا علمت الطريق اشتاقت إلى الذهاب إلى بيت الله"[3].

كل هذه القرائن اللغوية واللفظية المرتبطة بمصطلحات الرحلة، التاريخ والأخبار موجودة في محتوى الكتاب وكثيرا ما كان يذكرها بل يكررها في كثير من المواضيع لمعرفته قيمة هذه العلوم وكون كان مطلعا على كتب الرحلات السابقين فهذا ما يجعل نمط هذه المصطلحات ليست بالغريبة عنه وهو الفصيح صاحب البلاغة و اللغة، هذا من جانب أدبي أما النظرة التاريخية تؤولنا إلى مقارنته بالمصنفات التي عاصرته، فكما ذكرنا سالفا أن الورثيلاني لم يهتم به نسّاخ ومؤلفي عصره منهم ابن حمادوش، الناصري ،احمد بن عمّار الجزائري، محمد بن ميمون هذا الأخير الذي عاصره وأدرجه في كتابه الموسوم التحفة المرضية في الدولة البكداشية في التعريف بالورثيلاني ومؤلفاته فقال" مؤلفاته...ونزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار"[4] وقد اشتهر هذا التأليف باسم الرحلة الورثيلانية " فهذه جملة من الأدلة على وثوق عنوان الكتاب وأنه وُضع من المؤلف نفسه واشتهر بالرحلة الورثيلانية.

3– سنة التأليف: ألّف الحسين الورثيلاني مؤلفَه بعد حجته الثالثة عام فكانت عام 1179هـ/1765 م والتي قال عنها" اعلم أيها الأخ لما أراد الله المشي منا إلى الحج وقد سبق في علم الله أن يكون حجنا في عام تسعة وسبعين ومائة والف (1179هـ)"[5]، فبعد المشاهد التي رآها والعلماء والحكام الذين التقي بهم

---

[1]–الحسين الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.03.

[2]–نفسه،ص.143.

[3]–نفسه،ص.143.

[4]–محمد بن ميمون، المصدر السابق،ص.79.

[5]–نفسه،ص.04.

ومما سمعه من القصص وما تعلمه من العلوم دونها في كتابه الموسوم والمشهور بالرحلة الورثيلانية والتي كان الفراغ من نسخها ضحى يوم الاثنين الفاتح لشهر شعبان عام اثنين وثمانين ومائة والف(1182هـ) على يد كاتبها سعيد بن أحمد بن يدير العباسي القلعي دارا ومنشأ ، وقد نسخها من مسودته[1]،وبهذا تكون رحلته الثالثة امتدت على مدار ثلاث سنوات بداية من عام 1179هـ/ 1766م[2].

4- الاهتمام برحلة الورثيلاني .

4-1- الاهتمام بنسخ الرحلة :

النص المخطوط: اهتم أهل البلد، منطقة بني ورثيلان بنسخ الرحلة ومؤلفها لازال على قيد الحياة لأهميتها و لمكانة مؤلفها بين العامة، فكثر النسّاخ وجلّ المخطوطات المتواجدة منسوخة من مسودة المؤلف ،ما جعلها تتقارب و تختلف في بعض الإضافات الخاصة بالنسّاخين ومن أهم نساخي الرحلة سعيد بن احمد بن يدير القلعي، عبد القادر بن محمد الصغير ،عبد المجيد بن عبد الوهاب الزياد وغيرهم كثر...

يتواجد نص الرحلة المخطوط بالعديد من المكتبات العامة الوطنية بالجزائر وخارجها، ولدى مكتبات خاصة تمتلكها عائلات وبعضا من النسخ في الزوايا والكتاتيب العلمية المنتشرة عبر التراب الوطني الجزائري وخارجه منها:

-نسخة من الرحلة بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم 2743.

-نسخة متواجدة بإحدى زوايا بمنطقة بني ورثيلان ولازال تحتفظ بها احدى العائلات.

-نسخة متواجدة بزاوية الهامل ببوسعادة تحت رقم 655[3].

-نسخة متواجدة بزاوية الشواثرة ببرج بوعريريج[4].

-نسخة متواجدة لدى المكتبة الموهوبية للمخطوطات ببجاية.

---

[1]-نفسه،ص.713.

[2] -Hadj Sadok(M), Op.cit. P.340.

[3]-محمد فؤاد خليل القاسمي، فهرس مخطوطات المكتبة القاسمية زاوية الهامل ببوسعادة ،حاضرة المسيلة، الجزائر، دار الغرب الاسلامي،بيروت،2006،ص.53.

[4]- اطلعت عليها شخصيا في سبتمبر 2015 و هي مخطوطة ذات خط جيد ومقروء، وهي نسخة مطابقة للنسخة المصححة.

بالإضافة إلى النسخ الثلاث التي اعتمد عليها المصحح محمد بن أبي شنب هي:

-نسخة مخطوطة بخطوط مغربية مختلفة مقابلة على نسخة منقولة من مسوّدة المؤلف مجموع أوراقها 242.

- نسخة مخطوطة بخطوط مغربية غالبها جميل مقابلة كالتي من قبلها على مسوّدة مؤلف، مجموع أوراقها 253 ورقة، وهي أصح النسخ وأقل بياضا.

- نسخة مخطوطة بخطوط مغربية غالبها غير جيد، مؤرخة بيوم الجمعة الفاتح لشهر شعبان عام ألف وثلاثمائة وثلاثة عشر، مجموع صفحاتها 240 ورقة.

يضيف الباحث مختار فيلالي أنه اطلع على نسخة من مخطوطة من الرحلة لم يطّلع عليها المصحح ابن شنب وهي موجودة بالمكتبة الوطنية تحت رقم 2171،مؤرخة في السادس من ربيع الثاني عام 1313هـ، قام بنسخها محمد العربي بن أحمد الزواوي الهاملي ،فهي تحتوي على صفحة خارجة عن نص الرحلة ضمنها الناسخ رؤيتين للمؤلف رآهما في منامه، فيها 392 صفحة في الرحلة و10 صفحات أضافها الناسخ وهي عبارة عن قصائد شعرية وهي على العموم ذات خط رديء، تكثر فيها الفراغات و التحريفات[1].

وتوجد العديد من النسخ الأخرى، خطها رديء جدا ولا يمكن قراءتها وبُتر منها الكثير، فإذا قارنا الشيء المقروء بها نجدها تتوافق مع النسخ التامة، ما جعل الباحثين يستغنون عنها إطلاقا ويعتمدون على النسخة المصححة لابن أبي شنب.

النسخ الحجرية: قام بتصحيحها الشيخ علي الشنوفي والشيخ الأمين الجريدي، عام 1321هـ وهي مطبوعة على الحجر بتونس، تشتمل على ثلاثة أجزاء بمجموع 724صفحة.

النسخ المطبوعة: ظهرت العديد من النسخ المطبوعة بعد صدور النسخة الحجرية بتونس و من أهم النسخ المطبوعة نجد نسختين:

-**نسخة بيير فونتانا:** قام بتصحيحها محمد بن أبي شنب عام 1908، وصُدرت عن مطبعة بيير فونتانا بالجزائر، بطلب من الحاكم العام بالجزائر "جونار"،تحتوي على 700صفحة خاصة بالنص المخطوط[2]

[1]- مختار فيلالي، رحلة الورثيلاني، المرجع السابق، ص.52.

[2]-HadjSadok(M), Op.cit. P.315.

وأضاف عليها 129 صفحة متمثلة في: الواجهة، كلمة المصحح، ترجمة المصنف، فهرس الكتاب (فهرس المواضيع)، فهرس أسماء الرجال والنساء والقبائل، فهرس الأماكن والبلدان و الجبال والأنهار، فهرس لأسماء الكتب، وأضاف أيضا جدولا لبيان الخطأ والصواب في مطبوع هذا الكتاب.

-**نسخة مضافة بتعليقات بن مهنا:** صُدرت عام 2012 و قد اعتمد في تصحيحها على نسخة فيها شرح ابن مهنا القسنطيني، قدّم شروحا لتلك التعليقات وتزوديها ببعض الإضافات منها إضافة التواريخ الميلادية.

تبقى النسخة المصححة من طرف ابن شنب، المصدر الأول الذي يرجع إليه جلّ الباحثين نظرا لمقابلته لعدة نسخ وفي فترة تعد الفترة الأقرب لبقاء النسخ الأصلية منذ أواخر 1769م إلى غاية سنة تصحيحها 1908، تعد الفترة الأصح زمنيا لبقاء النسخة الأصلية أو التي نسخت بعد وفاة مؤلفها، فكلما زادت الفترة الزمانية كلما زاد المخطوط في التلف والضياع، فيصعب الوصول إلى مخطوط تام وكامل نظرا للظروف التاريخية التي مرت بها الجزائر وخاصة أثناء الثورة التحريرية فضاع جلّ الموروث المادي والثقافي للمنطقة، ماعدا ما حُفظ بالمكتبات الخارجية.

4-2- بدايات الاهتمام بدراسة رحلة الورثيلاني : لم تحظ رحلة الورثيلاني بالدراسة من طرف الكُتاب الذين عاصروه أو الذين جاءوا بعده خلال الفترة الأخيرة للعهد العثماني والعهد الأول من الاستعمار الفرنسي، فربما لعدم اهتمام أهل المنطقة بعلم التاريخ كما ذكر هو الأمر بنفسه، أو يعود الأمر للظروف الأمنية والسياسية التي عاشتها الجزائر من ثورات أثناء الفترة الأخيرة من عهد الدايات، وبعدها دخل الوطن في دهاليز الاحتلال العسكري والثقافي والحضاري عامة، كل هذه الظروف أو أخرى غيّبت من مشروع إظهار الرحلة الورثيلانية وجعلها موسوعة للتاريخ وأخبار شمال إفريقيا والمشرق الإسلامي، ما جعل الفرنسيين يهتمون بها في بدايات القرن التاسع عشر وهذا ما تجلى فعليا بعد صدور منشور الجريدة الرسمية الفرنسية لعام 1928م والتي تنص في شقها التعليم الثانوي والتدريسي لعام 1929م إدراج رحلة الورثيلاني ضمن المجمع العربي لتدريسها للطلاّب وتم المصادقة عليه وتفعليه بداية من 1929م ضمن محور الرحلة[1]، بغية التعرف على أنثروبولوجية وثقافة الشعوب المغاربية لتسهيل احتلالها، فالاستيطان يتطلب فهم عادات ومعتقدات الشعوب ليمهد احتلالها فكريا فإذا تم الاحتلال الفكري تأتي المراحل الأخرى بدون صعوبات، فأصبحت

[1]-Journal Officiel de la république Française N° 196 , Le lundi 20 et Mardi 21 Aout 1928.P.9582.

الرحلة الورثيلانية وثيقة مرجعية مهمة للسلطات العسكرية الفرنسية فلهذا اهتموا بدراستها وحتى بترجمتها[1]،ولِقيمتها التاريخية والعلمية أُدرجت سنة 1934م في الجريدة الرسمية الفرنسية أن تكون ضمن البرنامج الخاص للمسابقات والتكوين فوُضعت خمسة أسئلة خاصة بالمجمع العربي من بينها السؤال الرابع حول علاقات الرحّلة المدرجَة من طرف المغاربة المسلمين في القرني 19و20م وكان الجواب عن هذا السؤال بوجوب ذكر :رحلة العياشي ،رحلة الناصري ورحلة الحسين الورثيلاني "نزهة الأنظار" مع تخصيص الجزء الخاص بشمال إفريقيا فقط[2]، فأعطت السلطات الفرنسية اهتمام كبيرا بالرحلة وحتى أُدرجت في مسار الدراسة والامتحانات.

من بين أهم الدراسات الغربية و العربية على الترتيب نجد:

-**فايست**Vayssette: صدر له كتاب عام 1869م بعنوان Histoire de Constantine sous les beys depuis l'invasion turque jusqu'à l'occupation francaise,1535-1837 ,Alger,1869

والذي تناول فيه إقليم قسنطينة عامة منها منطقتي القبائل وبجاية بالتحديد و تحدث عن العلاقة بين العائلات ذات النفوذ بالمنطقة مع النظام التركي الحاكم و من بينهم الحسين الورثيلاني فقدم قراءة مختصرة عن الورثيلاني ورحلته.

-**أبو القاسم الحفناوي** في مؤلفه "تعريف الخلف برجال السلف"، طُبع عام 1906م بمطابع ببير فونتيا الشرقية بالجزائر، قد1 ترجمة جد مختصرة و اعتمد على نقل نصوص من الرحلة.

-محمد بن عمر بن قاسم بن مخلوف: ترجم للورثيلاني فيمؤلفه" شجرة النور الزكية في طبقات المالكية" قدّم نبذة عن حياة الورثيلاني و تعلمه وعن رحلته و أهم مؤلفاته ،صُدر الكتاب بتونس.

-**وليام مرسي** Marçais(w) ;un siècle de recherches sur le passer de l'Algérie musulmane dans l'histoire et historiens de l'Algérie (collection du centenaire de l'Algérie),Paris,1931

[1]-BoualemBouahmed, El Hocine El Wartilani ou la quête du spirituel , journal LA DÉPÊCHE DE KABYLIE, 18 septembre 2011, https://www.depechedekabylie.com/culture/100022-el-hocine-el-wartilani-ou-la-quete-du-spirituel.

[2] - Journal Officiel de la république Française N° 189 , Le Dimanche 12 Aout 1934.P.8463.

والذي قدم ملاحظاتعن الكتاب ولاحظ أنه لم يأخذنصيبه من الدراسات وأن الباحثين همشوه ورأى أنه من الإنصاف ترجمة الكتاب ولو ترجمة جزئية تسمح بالاطلاع عليه أكثر نظرا لأهميته[1].

-الحاج صادوق: Hadj Sadok(M), le genre de rihla, bulletin des études arabes,Alger,VIII,1948,n°40, والذي تناول في هذا المقال الصادر عام 1948 إسهامات الرحالة و الرحلات في العلاقات و تطرق للرحالة الحسين الورثيلاني ورحلته[2].

-الحاج صادوق Hadj Sadok(M),A travers la berbérie orientale du 18 siècle avec le voyageur Al Warthilani, La revue Africaine, Volume95,Alger,1951

رغبة منه للامتثال لطلب "وليام مرسي" الذي تمنى ان تترجم إلى اللغة الفرنسية، قام "**الحاج صادوق**" بتقديم ملخص عن الرحّالة ورحلته معتمدا على جملة من الدراسات و المصادر، فاهتم بكل الجوانب العامة للكتاب و مما أضفى عن عمله أنه قدّم القيمة التاريخية للرحلة ومدى فائدتها على مستوى منطقة المغرب الإسلامي ،دون التطرق إلى الجزء الخاص بمصر و الحجاز، فاهتم كثيرا بدراسة مناطق :الجزائر، تونس، طرابلس [3]. فبهذا تعد الدراسة في تلك الفترة التي غطّت الفراغ العلمي ،فمهّد لظهور العديد من الدراسات التي تناولته بكثب.

بعد هذه الدراسات الأولية باللغتين العربية والفرنسية ،ما أتاح للباحثين في العالمَ التعرف على هذه الرحلة بعدما أن كانت في رفوف بعض الزوايا والكتاتيب، فبدأت كتابات تظهر و تدون له، خاصة في مجال المعاجم و القواميس وما تعلق بالأدب و الجغرافيا إلا أن مضمونها لم يأت بالجديد فهي إشارات جد مختصرة و اجترار لما ذكرته الدراسات الأولية[4].

-مختار بن الطاهر فيلالي: قدم دراسة بعنوان" رحلة الورثيلاني، عرض ودراسة" ، أتم العمل سنة 1978م،صُدر عن دار الشهاب بباتنة، اعتمد على مضمون الرحلة بصفة كلية ،فأبرز قيمة الرحلة الورثيلاني

---

[1]--Hadj Sadok(M), Op.cit. P.315

[2]-Ibid,P.316.

[3]- مختار فيلالي، رحلة الورثيلاني، المرجع السابق،ص.72.

[4]- من بين الدراسات التي تطرق للورثيلاني بصفة جد مختصرة وهي : الزركلي في كتابه " الأعلام" الصادر عام 1927، الباحث الروسي " كراتشكوفيسكي" بعنوان تاريخ الأدب الجغرافي العربي، عادل نويهض "معجم أعلام الجزائر" طُبع عام 1971، نقلا عن مختار فيلالي، المرجع السابق،ص.73.

مع تقديم قراءة لشخصية المؤلف ، العمل في حدود 190 صفحة، اختصر في سيرته الذاتية و اعتمد فقط على ما وجده في ثنايا الرحلة مع العلم أنه تنقل إلى مسقط المؤلف ،ولم يعتمد على مخطوطة تخص الورثيلاني لتدعم بحثه، فساهم في فتح الطريق إلى البحث و التنقيب عن هذا المؤلف الضخم و بهذا تعد الدراسة الوحيدة باللغة العربية التي ساهمت إلى حد ما في التعريف به و برحلته، و الدراسة الوحيدة التي ذات صبغة تاريخية أكاديمية مقارنة بكل الأبحاث السابقة عبارة عن مقتطفات وأجزاء من سيرته أو من رحلته، يعد هذا العمل المرجع الأساسي لكل الباحثين ،وقدم نظرة عامة عن الأوضاع السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية والعلمية بالوطن الإسلامي.

–أحمد ظريف: ساهم بالتعريف برحلة الورثيلاني من خلال تحليله للرحلة و العمل على استنباط عناوين وفق مضمون الرحلة، تناول كل الجوانب بصفة مختصرة جدا ، عنون الدراسة بـ" قراءة في الرحلة سياحة في أغوار رحلة الورثيلاني، والذي طُبع عام 2005م.

–**صادق بالة** :قدّم أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الأدب العربي بجامعة سترانسبورغ عام 2008م ، تناول رحلة الورثيلاني من جانب أدبي ،حاول أن يبين العلاقة بين التصوف والرحلة من خلال هذا البحث، فاعتمد بشكل كلي في التعريف بالمؤلف ورحلته على ضوء كتاب الرحلة ،عنونه بـــالرحلة والتصوف، جزائر القرن XVIIIمن خلال رحلة الورثيلاني:

BALA(S), Soufisme et voyage : l'Algérie du dix-huitième siècle à travers al- rihla al warthilaniyya d'al –Husin al sharif al-warthilani(1125-1713/m.1193ou 1194-1779), thèse de doctorat, spécialité arabe, discipline : étude arabe et islamiques, université Marc Bloch. Strasbourg 2.France.

–عبد الرحمان عزي: تناول رحلة الورثيلاني من جانب تحليل لمقتطفات من الرحلة والقيام بعنونتها فهو مقارب للأعمال السابقة، اعتمد على نص الرحلة بصفة كلية، طُبع عام 2011 بالجزائر ،تحت عنوان: التواصل القيمي في الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل التاريخ والأخبار" وتبقى دراسة مختصرة.

مؤخرا ظهرت العديد من الأبحاث والدراسات التي تناولت الموضوع ضمن أجزاء ومقتطفات، فنجد الورثيلاني ورحلته دائم الحضور في الأبحاث التي تتعلق بالرحلات والتواصل الصوفي ،فكل هذه الأبحاث لا تفي بالغرض لقيمة الرحلة الورثيلانية ووزنها التاريخي وتشعبها العلمي ، ومدى إسهامها في إبراز تاريخ العديد من الأمصار خلال فترة زمنية معينة ،والملاحظ أن العديد من الأعمال تقتبس من أعمال سبقتها دون إضافة الجديد،

فهي استهلاك لما سبق ولم نطّلع على أي منهم اعتمد على مخطوطات الورثيلاني، ووقع الأولون في الكثير من الأخطاء وواصل عليها اللاحقون، ما دّل أنّ جلّ الأعمال اعتمدت على نصّ الرحلة دون مقارنتها بالمخطوطات الأخرى ما جعل الأخطاء تتوارث بين الباحثين.

5- دواعي تأليف الرحلة : معرفة نوع الرحلة يسهل معرفة دواعي تأليفها، فرحلة الورثيلاني تنتمي إلى نمط الرحلات الحجازية النثرية، فتعددت أسباب تأليفها منها ما صرّح به المؤلف بنص العبارة و منها ما يمكن أن نستنتجها من خلال دراسة مضامين الرحلة ،فقد اشتملت على عدة جوانب منها: دينية، علمية، اقتصادية، جغرافية وحتى ثقافية إلا أنها تتداخل فيما بينها فمن أهم الأسباب نجد:

5-1-التعريف بالأولياء والصلحاء: جعل الورثيلاني جلّ اهتمامه زيارة الأولياء، والعلماء والصلحاء في الأمصار الإسلامية ، رغبة منه في إعداد موسوعة تشمل جميع أفراد الصوفية و فقهاء الجزائر للفراغ الديني الذي وجده في تصنيف هؤلاء العلماء، وتدوين نسبهم وسيرهم وكراماتهم ومؤلفاته قائلا" مهما ذُكر لي وليّ أو صالح أو عالم حيا أو ميتا إلا ذهبتُ إليه واقتبستُ من نوره، لاسيما عمالة الجزائر فإني قد خضتها وبحثت عن أهلها بحثا شديدا، تاريخا وسيرة وطريقة وحالا وكرامة، لما رأينا من وقوع الإهمال في ذلك، فرسمنا كل ذلك رسما جيدا، فحفظت من كل خلف وصف أسلافه ونقلت من كل فرع أخباره"[1].

5-2-تدوين مؤلف تاريخي : اقتصرت مؤلفات عصره على المصنفات النقلية مقارنة بالعلوم العقلية، أما العلوم الإنسانية فيمكن اعتبارها غائبة في طي النسيان، ما جعل الورثيلاني يعاتب أهل بلده بعدم اهتمامهم بالأحداث التاريخية وبعلم التاريخ عامة[2]، نظرا لعدم وجود من يدوّنها ويحفظها من النسيان مستذكرا أهمية التاريخ والدعوة إلى تدوينه والاشتغال به، وعدم الاستهزاء وعدم جعله من الأمور الهيّنة عنه لأن مرتبة العلماء تزيد و تنقص بعلم التاريخ وهذا العلم يوجب للإنسان قوة في المحاسن، وضعفا في القبائح وبه تعلو الهمة باتصالها بالمعالي[3]

5-3- إبراز تاريخ الجزائر الثقافي والديني عامة و بجاية بالخصوص : تبيان القيمة التاريخية لعلماء الجزائر وفقهائها من خلال مؤلفاتهم ومجالس دروسهم، وخاصة صلحاء وأولياء بجاية و القبائل الصغرى ،فهي

[1]-الحسين الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.290.

[2] -Hadj Sadok(M), Op.cit. P.348.

[3]- الحسين الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق، ص ،597.

حاضرة الثقافة والدين وشمعة مضاءة، فوجب تخليد أسماء منيرها للأجيال اللاحقة ليطّلعوا على آثارهم ومخلفاتهم ،يرى وجوب تدوينها لما يجده المتأخر بعده ويحصل له الاقتباس مع البحث والتقصي في الأمصار والمناطق للوصول إلى الحقيقة وقد سعى في التفتيش عنهم ولم يدّخر أي جهد في البحث وطلب المعارف لرسم آثارهم وبالخصوص بجاية التي أراد أن يخصّها بجزء يستذكر علماءها و صلحاءها لما لها من شأن علمائها [1] في النهوض بالثقافة و الحضارة.

5-4- التعريف بالأماكن والجغرافيا: سعى الورثيلاني جاهدا إلى إظهار الحياة اليومية للركب من خلال تنقلاتهم في المدن والأسواق، فيرى مؤلفو الرحلات أن الهدف من ذكر حياتهم الشخصية واليومية من بيع وشراء ووصف للمدن و أماكن تواجد المياه ومسار الطريق، أنه لا يعود بالفائدة لصاحبه فقط بل وجب على القارئ والمستمع الاقتداء بتجارب الأولين لعدم الوقوع في نفس الخطأ، فهذا الوصف والاستخبار ليس من العبث العام بل تسهيلا على الرحّالة في سفرهم، فتكون هذه الرحلة موجها ودليلا لهم في طريقهم[2].

5-5-تبيان المعارف للقارئ: تشعبت مضامين الرحلة على عشرات العلوم و التخصصات الدينية و الإنسانية و العقلية أيضا، مما تسهل على القارئ عناء التنقل بين الكتب والمصادر للوصول إلى ما يصبو عنه، فهي تغنيه عن كثير من كتب التاريخ و الأخبار مبينا فيها بعض الأحكام الغريبة والحكايات المستحسنة و الغرائب العجيبة وبعض الأحكام الشرعية مع ما فيها من التصوف[3]" .

5-6-التذكير بالحج وأهميته : يعد الحج من أولويات العلماء و المتصوفة، فأسرد الكثير من شروط وقواعد ومناسك الحج، ورغّب فيها للقارئ و شوّق الحجاج لرؤية الأماكن المقدسة مبينا أهم مدى الراحة النفسية وصفو النفس واطمئنان القلب ،فتذكير الناس بطريق الحج كتذكيرهم بالطريق الموصلة إلى الله ولا أعظم من الطريق الموصلة إلى ذكر الله[4] .

6- مسار الرحلة :تعددت مسارات الرحلات الحجازية خلال العهد العثماني بتعدد وسائل النقل ،وتختلف حسب حاجة الفرد، فنجد من أخذ مسارا بريا معتمدا على القافلة وما فيها من الحجاج و الركاب وقد يستغرق مسيرة سنة ذهاب و عام أخر في العودة ما يتطلب قوة و تحملا وصبرا لمروره بعدة من الأمصار و

---

[1]- نفسه،ص.290.

[2]- نفسه،ص.ص.142،143.

[3]- نفسه،ص.03.

[4]-نفسه،ص.141.

البلدان منها تونس، ليبيا، مصر ووصولا إلى الحجاز ،أما المسلك الثاني الذي يلجأ إليه الحجاج هو الطريق البحري عبر السفن وتمر على عدة موانئ تعد محطات للسفن منها تونس، طرابلس، الإسكندرية ثم ينبع. وهذا المسلك يختاره كبار السن وضعاف الصّحة وفقراء المسلمين لأن التنقل عبر البحر أقل ثمنا من التنقل برا، أما المسلك الثالث فالذي يجمع بينه بين المسار البري والبحري وقد يتخذه الكثير ومنهم أهل عمالة قسنطينة والمدن الداخلية في بايلك الشرق ينطلقون سيرا مع القافلة إلى غاية تونس و منها ينتقلون في المراكب إلى طرابلس أو الإسكندرية فقد جمعوا بين الاثنين.

طريق الحج الجزائري يرتكز على مسلكين فقط وهما الطريق المزدوج البري – البحري و الطريق البري ،فلا يذكر الرحّالة الجزائريون عن وجود سفن من الجزائر نحو تونس أو الإسكندرية، فأبي راس الناصري انتقل برا إلى تونس و بعدها أقّل سفينة ليتم طريقه ونفس الأمر يخبرنا به الورثيلاني عن أهله و بعضا من الحجاج أنهم ركبوا من تونس و نزلوا بها ،ونفس الأمر لأحمد المقري الذي انتقل من تطوان إلى مدينة الجزائر عبر السفينة و منها واصل السير برا إلى غاية تونس، خلافا نحو المغرب توجد سفنا إلى المغرب وإسبانيا فهذا ما يثبته ابن حمادوش في رحلته .

من جهة أخرى نجد المصادر الغربية تثبت وجود سفن وخط بحري يربط بين الجزائر إلى مصر فالرحالة "جوزيف بيتس" يذكر في رحلته إلى مصر و مكة المكرمة والمدينة المنورة عام 1680م أنه انتقل بحرا من الجزائر إلى الإسكندرية والتي استغرقت مدة ما بين ثلاثين إلى أربعين يوما[1]، ما يجعل طريق البحر حافلا بالمخاطر و بحروب القرصنة في حوض البحر و ارتكام السفن بالأمواج و تشتتها ،فالعديد يختار طريق البر عن طريق البحر، هذا ما يؤكده رحالة المغرب الأقصى أن بالجزائر موانئ للمسافرين يتم بها إركاب و إنزال المتوجهين نحو المشرق، فيذكر الرحالة الرافعي التطواني في رحلته الحجازية عام 1684م و التي انطلقت من تطوان عبر سفينة تركية وفي الطريق تعرضوا لقرصنة من رجال البحر، ما جعلهم يستقيلون مركبا شراعيا إلى حدود مدينة وهران ثم إلى ميناء مستغانم، منها إلى ميناء شرشال، وبعد عشرة أيام انتقل من ميناء الجزائر عبر مركب الرئيس محمد عروج إلى جزيرة رودس، وعند وصوله إلى جزيرة رودس مكث بها عشرة أيام وصلت سفينتان تركيتان على متنها عشرون حاجا مغربيا فقط وبعدها انتقل إلى القاهرة ومنها إلى مكة عبر البر ، لم

[1]–هلايلي حنيفي، الجزائريون والرحلة إلى الحجاز على ضوء رحلتي الورثيلاني و ابو راس الناصري، مجلة الشهاب الجديد، العدد 07، تصدرها مؤسسة الشيخ عبد الحميد بن باديس،30مارس 2008،ص.26.

يكن اختياره لهذا الطريق صدفة بقدر ما هو اتباع لطريق الحجاج المغاربة[1]و في طريق العودة سلك نفس المسار فانتقل من الإسكندرية إلى مالطا ومنها إلى الجزائر التي مكث بها أياما عدة و بعدها واصل السير عبر سفينة إلى المغرب[2].

فهذه بعض من الإشارات عن وجود مآرب للسفن بعدة موانٍ من مدن الجزائر، ما يثبت فعلا أن هناك سفنا قادمة من المغرب أو المشرق تمر عبر الجزائر ويتعدّى الأمر أن ميناء الجزائر يعد محطة رئيسية للتوقف ذهابا وإيابا، ومن جهة أخرى لم تحدثنا المصادر المحلية أو المغربية عن وجود ركب الحج الجزائري ينتقل بحرا بل وجود سفن تركية تنقل إلى رودس وتركيا ،خلافا للمغرب الأقصى استحدث ركبا بحريا يمر عبر نقاط أحيانا تكون الجزائر احدى محطاتها[3].

الورثيلاني اختار لنفسه البر ذهابا وإيابا ،أما وفد من أهل زواوة و بعض أفراد عائلته اختاروا البحر من تونس إلى الإسكندرية لمشقة السفر لإدراك الورثيلاني التنقل في البحر أصعب من البر، فقبل وصف المسار الذي سلكه توجب علينا تبيان المسارات البرية التي يسلكها الركب الجزائري.

6-1- مسالك طريق الحج البري :عرف سكان بلاد الغرب الإسلامي حركة تنقلات مكثفة نحو المشرق في إطار التواصل الثقافي والديني ،فوجب عليهم تحديد مسار الطرق، لتسهيل عملية التنقل مما يؤدي إلى توفير سبل راحة المسافرين بتهيئة مراكز العبور والراحة و هي عبارة على شكل أماكن التوقف لمدة أيام أين تجتمع القافلة من أجل التبادل التجاري و العلمي...هذه العادة ولّدت شبكة من الطرق تمتد من المغرب الأقصى وصولا إلى الحجار ويمكن تقسيم هذه المعابر الترابية الأساسية لركب الحج إلى أربعة اتجاهات وهي:

---

[1]-مصطفى الغاشي، الرحلة المغربية، المرجع السابق،ص.371، للمزيد ينظر :الرافعي التطواني، المعارج المرقية في الرحلة المشرقية، مخطوط بالخزانة الداودية بتطوان، رقم 134.ورقة06.

[2]- محمد داوود، تاريخ تطوان، ج1،المطبعة المهدية ،تطوان، المملكة المغربية،1995،ص.395.

[3]- تثبت الرحلتين المغربيتين اللتان سلكتا طريق البحر أن السفينتين ابتعدا قدر الإمكان عن سواحل الجزائر، اختارت طريق ابعد تفاديا المرور بالقرب من الجزائر ،يصف الرحالة عبد الرحمان الغنامي في رحلته إلى الحجاز عام 1729م عاد وفق المسار البحري ما يهمنا شمال إفريقيا والجزائر: من الإسكندرية مرورا على :جزيرة دربة، تونس، جزيرة سردينيا ،السير بمحاذاة سواحل الإسبانية : أليكانت، مرسية، جبل طارق، ثم إلى تيطوان،. للمزيد ينظر: مصطفى الغاشي، المرجع السابق، ص –ص.372.

-ونفس الأمر يؤكده الرحالة ابن عثمان المكناسي الذي حجّ عام 1785م مرّ عبر الرباط إلى قرطاجنه الإسبانية ثم جزيرة صقلية، وبعدها مرورا بعدة محطات وصل إلى البقاع المقدسة و مسار طريق العودة مكة، دمشق، عكا، تونس هذا عبر البحر ثم أتّم السير من تونس إلى المغرب مرورا بالجزائر عبر البر ،ينظر: محمد بن عبد الوهاب المكناسي، رحلة المكناسي 1785،تحقيق محمد بوكبوط، دار السويدي للنشر والتوزيع،2003،ص.ص.320،329.

-**طريق صحراوية جنوبية** : التي تربط مدن جنوب المغرب إلى تونس والتي تمر عبر الجنوب الكبير من الصحراء ،امتدت من سجلماسة بجنوب المغرب الأقصى وأحواز السودان الغربي مرورا بإقليم توات ،بني ميزاب، ورقلة دخولا توزر ونفزاوة ،قابس ثم طرابلس الغرب [1]، هذا الاتجاه يسلكه ركب الحج القادم من الجنوب الجزائري فموقعها الجغرافي يقع في جنوب بلدان شمال إفريقيا ويشترك مع إفريقية جنوب الصحراء (السودان الغربي، دول الساحل حاليا) هذه المناطق تتقاطع ركبها في ضواحي بني ميزاب(غرداية) أو ورقلة لتواصل سيرها، معظم الأراضي التي يقطعها المسافرين هي صحراء.

-طريق داخلية (الهضاب العليا):

– **طريق الواحات الأوسط** :يطلق عليه أيضا بالطريق العرضاني الأوسط، فهو المسار الشائع لدى ركب قوافل الحج الجزائرية بالخصوص ركب إقليم قسنطينة، فمسار الطريق يربط بين جنوب المغرب الأقصى وتافيلالت إلى تونس مرورا بالواحات الجزائرية منها بالأغواط، أولاد نايل ،بسكرة، سيدي خالد، سيدي عقبة وغيرها وصولا إلى جنوب تونس[2] ،فقد سار عليه معظم الرحالة المغاربة والجزائريين و بالخصوص الذين تفردنا بدراستهم، فمعظم أراضي المسلك من السهوب فيمكن تسميته بطريق السهوب نظرا لموقعه الجغرافي، فيعد الأفضل لبعده عن البحر وعن الصحراء الكبرى.

– **طريق الهضاب(الداخلية)**: يقع مسار الطريق في المناطق الشمالية الداخلية والقريبة من الساحل أحيانا ،إذ تنظم ركب الحج القادم من المدن الساحلية إلى ركب الحج في المدن الداخلية، يربط الطريق من فاس إلى تونس مرورا بوجدة وبعديد المدن الجزائرية تلمسان، ضواحي وهران، الجزائر، مجانة، قسنطينة، الكاف.[3]..،فموقعه الجغرافي في الشمال ويصل منطقة الهضاب العليا فهو يتوسط بين طريق الساحل و طريق السهوب.

[1]-لطفي بن ميلاد، قافلة الحج المغربي: تحولاتها وأبعادها خلال القرون الأخيرة خلال العصر الوسيط ،العدد 13و14،، مجلة بونة للبحوث والدراسات، ديسمبر 2010، ص.123.

[2]- أنساعد سميرة، الرحلة إلى المشرق، في الأدب الجزائري،دراسة في النشأة والتطور و البيئة،دار الهدى ،عين مليلة،الجزائر،2009،ص،115.

[3]-أنساعد، سميرة، أدب الرحلات الحجازية النثرية في الجزائر، المرجع السابق،ص.52.

طريق الساحل[1] يربط بين المدن الساحلية المغاربية و الذي يمتد من سواحل المغرب إلى سواحل تونس مرورا بعدة مدن ساحلية جزائرية منها وهران، تنس، الجزائر، دلس، بجاية، وصلا إلى تونس، و قد سلكه بعضا من الرحالة أمثال العبدري، ابن ببطوطة، إلا أن الركب الحجازية كثيرا ما تتجنّبه لكثرة المخاطر به.

6-2- مسار رحلة الورثيلاني: سلك الورثيلاني في رحلته مسار الواحات الأوسط فقد تفادي الصحراء الكبرى والساحل المطل على البحر، فمساره عَرف عدة محطات بعدة مناطق، قبل التطرق إلى مسار رحلته وجب التنويه أنه قبل أن ينطلق في رحلته ، أدى ثلة من الرحلات الداخلية، كلها انطلقت من بني ورثيلان:

-الرحلة الأولى: إلى بسكرة وما جاورها سيدي عقبة، وزار العديد من الأضرحة منها ضريح النبي خالد.

-الرحلة الثانية : إلى دلس و القبائل الصغرى غرضها الصلح بين القبائل و السياحة الصوفية.

-الرحلة الثالثة: إلى وادي بجاية و يقصد به حوض الصومام وبجاية وهي رحلة زيارية صوفية دينية.

أما رحلته الثالثة إلى الحج فكانت مباشرة بعد عودته من بجاية عزم على السفر ومسارها :

أ/ طريق الذهاب[2]: **محطات الورثيلاني**

مرحلة الانطلاق: من مقر سكناه ببني عشاش.

رقم	المكان	الملاحظات	الصفحة
1	بني عشاش [3]	انطلاق القافلة، يوم الخميس بعد صلاة العشاء.	79
2	بني حافظ[4]	الاستقبال، المبيت، الخروج مع الفجر، التوديع.	80

[1]-لطفي بن ميلاد، قافلة الحج المغربي: تحولاتها وأبعادها...المرجع السابق،ص.123.

[2]- لتوضيح مسلك الذهاب ، أعددنا خريطة لذلك ،**ينظر الملحق رقم** 10.

[3]- الموطن الأصلي للشيخ الحسين الورثيلاني هي قرية ببني عشاش بضواحي بني ورثيلان ، قرية أجداده و أبائه بها زاوية عظيمة، بعد عودته من الحج انتقل إلى "أنو" بني ورثيلان جعل لها نفس الاسم تيمنا بالأولى و أنشأ زاوية هناك، وقد ذكرنا العديد من الأدلة التاريخية على صحة هذا الرأي في المبحث الخاص بمولده ونشأته.

و إضافة إلى ذلك يثبت مسار الرحلة على صحته ان انطلاقته كانت بعد صلاة العشاء ووصوله للمحطة الثانية وهي بني حافظ للمبيت، فالمسافة بين مقر سكناه و بني حافظ قريبة.

[4]-**بني حافظ** :أحد أعراش بلدية عين لقراج، دائرة بني ورثيلان ، يبعد عن بني عشاش حوالي 02,5كم، يبعد عن قرية أنو ببني ورثيلان حوالي 30كم. من خلال هذه المعطيات يتضح خروجه بعد صلاة العشاء ووصوله للمبيت في بني حافظ وخروجه مع الفجر منها، دليل على أن مقر انطلاقه قريب وليس بعيد ، ما يجعلنا نصل إلى صحة فرضية الانطلاقة من بني عشاش وهي موطن الأجداد، خلافا لكل الدراسات السابقة التي تواترت المعلومة على أن الانطلاق من قرية "آنو" باعتبار تواجد ضريحه هناك.

3	بني يعلي	وصوله عند الضحى، الاستقبال، زيارة الحسين بن مصباح، الأولياء والأضرحة، زيارة أصهاره، سيدي بركات،	80
4	زمورة	إقامة ثلاث أيام، خروجه يوم الأحد. وصف المنطقة.	81
5	أولاد يحي	الوصول عند المغرب، الاستقبال، زيارة الأحباب.	82
6	وادي بوسلام	نزول عند قائد العزلة، مبيت ليلة الاثنين، الاستقبال، خروج يوم الثلاثاء	82
7	قصر الطير	وصول عند الظهر، لقاء الحجاج، الأصدقاء والعلماء.	83
8	أولاد موسى بن يحي	قوم محاربون، بفضل نسبه و مكانته سمحوا لهم بالمرور.	84
9	رأس إسْلِي	نزل به الحجاج قرب العين المتواجد برأس الوادي.	84
10	الوجلة	في ارض الحضنة، عند أولاد درّاج. وصول عند العصر، بقائه يومين.	84
11	بريكة	نزوله بها و الركب سابق إلى مدوكال	85
12	مدوكال	لحاقه بالركب، لقاء أمير الركب سيدي محمد بن مسعود، وصف منطقة	85
13	الزاب	محطة توقف القوافل. وعظ أهل البلد، مبيته في الطريق	86
14	بسكرة	وصول عند الضحى،زيارة قبر عبد الرحمان الأخضري، قبر النبي خالد.	87
15	طولقة	وصفها، الاستقبال. بقي ببسكرة يومين.	88
16	سيدي عقبة[1]	الحديث عن الحجات السابقة	105
17	الزرائب	لقاء شيخ العرب الحاج بن قانة، مبيت في الطريق	105
18	غزران	لقائه بعرب النمامشة ودخول في معركة مع قطاع الطرق.	107
19	الخنقة	لقاء مع شيخ خنقة سيدي الناجي، وصفها	107
20	الحامة[2]	مكث بها ليلة.	107
21	توزر	وقت الضحى، زيارة العلماء، مروره على الواد	120
22	الواد	مبيت ليلة، يوم بارد	126
23	اولاد يعقوب	يوم ممطر ، لقاء الشيخ ابراهيم الفار من باي قسنطينة ،مبيت ليلة.	126

[1]- لم يحدثنا عن زيارته لضريح سيدي عقبة، فالكلام الموجود في الصفحات من 88 إلى غاية 94 و التي تتحدث حول بسكرة، ضريح سيدي عقبة، تاريخ الكاهنة و كسيلة مع الفاتحين كلها مقتبسة من رحلة الناصري في صفحات من 139 إلى غاية 158، فزيارة الضريح مرتبطة بالرحالة الناصري و ليس خاصة بالورثيلاني مثلما ذكره الحاج الصادوق في مقاله بالمجلة الأفريقية عدد 95 ص328، أنه دخل إلى الضريح. ونفس الأمر وقت يذكر أحمد ظريف أن الورثيلاني خرج من بسكرة في ضحى يوم الثلاثاء 25 رجب الموافق لـ 20 سبتمبر ونزوله بسيدي عقبة عصرا، هذا الكلام خاص بالناصري فالورثيلاني اقتبسه حرفيا، للمزيد ينظر رحلة الناصري ، تح عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدي ،الإمارات العربية المتحدة،2011.ص،146.

[2]- أولى محطاته بتونس.

24	السبخة	لقاء ركب الحج، أداء صلاة العصر، عبور السبخة	126
25	حامة قابس	الفساد الاجتماعي والديني ، وعظه.مبيت ليلة	127
26	قابس	دخوله على أمير المحلّة، مبيت ليلتين .زيارة العلماء والأضرحة	127
27	عرام	زيارة الصلحاء.	130
28	برج الملح	مبيت ليلة، مشكلة الماء وعطش الركب	130
29	الزوارة الخالية[1]	سقي الركب	130
30	الزوارة العامرة	خروجه من الزوارة العامرة.	130
31	السبخة	نزوله بين السبخة والنبكة، دخوله عند العصر.	130
32	زواغة	أول محطاته بطرابلس الغرب.	130
33	المايه	مروره فقط.	130
34	الزاوية الغربية	مروره فقط ، مع لقّاء بعض من الأصدقاء.	130
35	زنزور	مروره عليه فقط .	130
36	طرابلس [2]	دخولها يوم الجمعة 1 شعبان، لقاؤه بقائد عمورة، اجتمع بالعلماء، بقاؤه مدة ثمانية أيام، خروجه يوم السبت و الركب خرج يوم الخميس.	131 169
37	تاجوراء	زيارة الأحباب و العلماء .ترغيبه في البقاء.	171
39	واد المسيد	نزل الرحّالة دون ركب الحج.	173
40	وادي الرمل	نزل به الجميع في أواخر شعبان .	173
41	ساحل حامد	لقاء الطلبة والمشايخ	178
42	قرب السبخة	نزولهم ولقاء العلماء.	198
43	مسراتة	مروره بضريح أحمد زروق الفاسي،بقاؤه يومين، خروج أواخر شعبان 1189	198
44	معطن الزعفران	مسيرة خمس أيام دون ماء في الطريق، مروره على الشاطئ.	211
45	أبا كدية	قبالة تاورغاء.	214
46	العوينات	ملوحة الماء.	215
47	بئر حسان	مروره على بئر مطراو للاستسقاء	215
48	الزعفران[1]	قربه من البحر	216

[1]- يذكرها الناصري بـ الزوارات

[2]- المسافة يقدرها الورثيلاني بين زنزور و طرابلس بـ 12 ميلا.

49	معطن الأحمر	لقاؤه بالركب الفاسي والفيلالي.	216
50	النعيم[2]	نزوله بالنعيم .	217
51	مقطع الكبريت[3]	أصعب المناطق خطورة في المناخ والهواء والظروف الطبيعية	217
52	معطن أجدابيا[4]	الاستقساء من الماء (برقة)	219
53	صعدة	مبيته ليلة	224
54	معطن سلوك	وصوله مع العصر، ومبيت ليلة، التسوق.	224
55	السروال	منطقة صحراوية لا توجد بها مياه، تستغرق مدة سبعة أيام، تاه العديد في الطريق اتجهوا جنوبا و الأصح الاتجاه صوب البحر شمالا.	224
56	التميمي[5]	على شاطئ البحر، لقاؤه بالأعراب.	229
57	عين الغزالة	شجار في الركب، مروره على العديد من العيون و الآبار.	231
58	معطن مقرب[6]	دخوله عند صلاة الضحى	236
59	بين معطن مقرب والمدار	صلاة العيد ،الأول من شوال وبعدها دخولهم المدار .	236
60	المدار [7]	الاستسقاء	236
61	معطن الشمامة[8]	أقبح المعاطن لملوحة الماء	241
62	وادي الرهبان[9]	وصفه ،توجد مجموعة من الرهبان.	242
63	كفر حمام[10]	على مقربة من مصر	282
64	امبابة	ببولاق.	282

[1]– تقدر مسافة المشي من مسراتة تحديدا عند قبر الشيخ زروق الفاسي إلى غاية الزعفران حسب تنقل الركب الجزائري المعروف بتنقله الثقيل ليس سريعا مثل الفاسي لتأخر العديد من الحجاج، فمقدار المشي خمسة أيام.

[2]– من الزعفران إلى النعيم ، مقدار المشي يومان حسب الركب الجزائري.

[3]–مقدار المشي من النعيم إلى غاية مقطع الكبريت الصعب يقدر بـ خمسة إلي ستة أيام.

[4]– من مقطع الكبريت إلى أجدابيا مسيرة ثلاثة أيام.

[5]– من معطن أجدابيا إلى التميمي مسيرة سبعة أيام.

[6] من التميمي إلى معطن مقرب مسيرة خمس أيام إلى صبيحة اليوم السادس.

[7]– من معطن مقرب إلى المدار مسيرة أربعة أيام إلى خمسة أيام.

[8]– من المدار إلى الشمامة مسيرة أربعة أيام .

[9]– مقدار السير من الشمامة إلى وادي الرهبان مسيرة ثلاثة أيام.

[10]– مسيرة المشي من وادي الرهبان إلى كفر حمام تقدر بيومين.

65	البركة	مرورا بطيلوان أين انظم إلى ركب سلطان فزّان.	
66	الدار الحمراء	مشكل الماء	317
67	بئر عجرود	دخوله عند العصر	330
68	النابعة	مبيته ليلة	330
69	التيه	أصعب الأماكن ،فيها يضيع الحجاج	331
71	بندر النخيل	دخوله عند الضحى	332
72	بئر الصعاليك	استسقاء الماء، مبيت ليلة ،مرور على عدة أودية وشعاب.	332
73	سطح العقبة [1] [1]	نزوله في ساحل البحر	332
74	منزل العقبة	التسوق، لقاء ركب مصري، مروره على: بندر العقبة، ظهر الحمار	366
75	الشرف	يسمى أم العظام، دخول وقت العصر، مبيت ليلة	369
76	مغار شعيب	بعد الظهر، المرور على شاطئ البحر	369
77	بندر المويلح	وصوله عند الظهر، مرور على الشاطئ	370
78	أبار السلطان	استسقاء الماء	371
79	بندر الأزلم	بين الظهر والعصر، مبيته ليلة	371
80	سبيل عنتر	استسقاء الماء، مرور بواد الإرك،	372
81	بندر الوجه	وصول عند العصر، مبيت ليلة	372
82	الاكره	وصوله بين المغرب و العشاء، جلب الماء	372
83	الدركين	زيارة الأصدقاء	372
84	الحوراء	على شاطئ البحر، مروره بالعديد من الأودية منها العقوق	373
85	النبط	خروجه ليلا ومرور على "واد النار" مكان حار جدا	373
86	الخضيرة	مبيته ليلة و خروج في آخر الليل مروره على "سبع وعرات"	374
87	ينبع النخل	أول بلاد الحجاز، لقاء الركب الفاسي، المصري، الفلالي، الفزّاني	374
88	بدر	وصوله مع الفجر، خلافه مع ركب الجزائري، مروره على أودية.	374
89	قاع البزوة	مكان لراحة المسافرين ، مرور على "مستورة" خروجه ليلا	377
90	وادي رابغ	دخول وقت المغرب، مرور على صحراء صعبة جدا	377

[1] – بعد مروره من سطح العقبة ذكر العديد من الأماكن و المحطات التي توقف ،لم نذكرها لأنها مرتبطة بالرحالة العياشي و قد اقتبسها حرفيا، يجب التفريق بيم كلامه و كلام العياشي و ابا سالم، ما صعّب علينا تحديد مساره بدقة لتداخل اقتباساته مع نصه الأصلي.

91	قديد	مبيت ليلة، مرور على " عقبة السكر" جبال و مرتفعات صعبة	380
92	خليص	دخول قبل الظهر، خروج بعد العصر	381
93	عسفان	مرور على العقبة ، تبرك بمياه عسفان، مروره على المفاوز	381
94	وادي فاطمة	يسمى "جبل العميان"، نزول بالواد، مروره على قبر السيدة ميمونة.	383
95	التنعيم	دخول في الصباح، زيارة مسجد عائشة رضي الله عنها.	284
96	قيقعان	صعود إلى الثنية، دخول مكة من باب المعلى	284

طريق عودة الورثيلاني لا يختلف كثيرا عن طريق الذهاب و الملاحظ أن تسميات الأماكن في كثير من الأحيان تختلف ،فاسم الذهاب يختلف عن تسمية الرجعة، نجد أيضا تداخلا في نصوص الورثيلاني مع النصوص المقتبسة من رحلة الناصري وهذا الأخير اقتبس من رحلة العياشي.

طريق العودة [1]:

رقم	المكان	ملاحظـــــــــــــــات	صفحة
1	الخروج من مكة	الركب عند العصر والبقية عند المغرب، من جهة "كُدى"	445
2	كُدى	إقامةالخيام، لقاء الركب الطرابلسي، المغربي، المصري، الفزّاني، فيلالي	447
3	وادي فاطمة[2]	وقت الضحى، مرورهم على التنعيم.	449
4	عسفان	المشي ليلا، مروره على "الغيضة".	449
5	خليص	مروره على: "الثنية"، "الساقية الكبيرة"	450
6	قديد	عند الظهر، مبيته ليلة، مروره ب "عقبة السكر"	451
7	مستورة	مروره على "رابغ" تسمى " قاع البزوة"[3]	451
8	بدر	لقاؤه الركب المغاربي، خروج ظهرا.	451
9	جديدة	مروره على الواد المعلوم، مسجد الغزالة	451
10	شرف الروحاء	1 محرم، تسمى قبور الشهداء، مرور على: مَلَل، السيالة،	452
11	المدينة المشرفة	عند الضحى،	456
12	أبيار علي	مبيته ليلة، خروج مع الفجر.	533

[1]– لتوضيح مسلك الذهاب ،أعددنا خريطة لذلك ،**ينظر الملحق رقم11**.

[2]–وادي فاطمة :يسمى أيضا " الواد الشريف" هذا في طريق الإياب، أما في طريق الذهاب أطلق عليه تسميات أخرى منها: جبل العميان

[3]–أحيانا الورثيلاني يخلط بين الأسماء، لجهله بالمنطقة فكير المرات يشك في أسماء الأماكن ،نلاحظ في اسم"قاع البزوة" جعله اسما ثانيا لمنطقة "مستورة" وفي طريق الذهاب جعل "قاع البزوة" مكانا و"مستورة" مكانا مستقل بنفسه، ما يثبت عدم معرفته بالأماكن غير المعروفة و التي لا تعد محطات للركب، ما جعله يراجع أسماء الأماكن في رحلة الناصري كثيرا.

13	الوادي	مروره على "الينبع"، مبيته ليلة	533
14	الصفراء	دخوله عند الزوال، مبيته ليلة.	533
15	نقب علي	قرب «المنزلة"، مبيته ليلة.	536
16	الينبع	مبيته ليلة، مروره على "أم غيلان"	538
17	الخضيرة	وصوله عند المغرب	542
18	النبط	مشكلة الماء	542
19	الحوراء	بين الظهر و العصر ، مرور على "الدركين" و "الإكراه"	544
20	البرج	مروره على "الوجه" ، يقال له أيضا "الزعفران"	545
21	اصطبل عنتر	مبيته ليلة،	545
22	الأزلم	مبيته ليلة ، مروره قبر سيدي مرزوق	545
23	أم السلطان	عند العصر، خروجه في الليل	545
24	بندر المويلح	دخوله عند العصر، مبيته ليلتين.	545
25	عيون الأقصاب	مبيته ليلة، نزوله مغارة سيدنا شعيب،	547
26	شرف بني عطية	يسمى "أبا العظام"، نزوله بحفائر النخل و مبيت	548
27	بندر العقبة	دخوله عند المغرب، مبيته ليلتين. السير على الشاطئ	548
28	العقبة	نزوله عند "سطح العقبة"	548
29	بئر العلائي[1]	دخوله عند العصر، مبيته ليلة.	549
30	النخيل	تبادل السلع، مبيته ليلة.	549
31	السبخة	مروره على "التيه"	550
32	بندر عجرود	مروره على النابعة ،مبيت ليلة، خروج صباحا ،	553
33	البركة	مروره على الدار الحمراء،	555
34	القاهرة [2]	عند الضحى، مروره على بولاق.	555

بعد مرور الركب على بولاق، افترقت القافلة منهم من أخذ طريق البحر عبر الإسكندرية و منهم من أخذ طريق البر عبر برقة، فاختار أهل الرحالة وبعض من الحجاج طريق البحر، خلافا للورثيلاني وجماعة من أصدقائه آثروا طريق البر.

35	أنبابة	مروره على الشاطئ لتوديع أهله.مكث بها يومين	598

[1]- تسمى أيضا ببئر الصعاليك، في طريق الذهاب سمهاها ببئر الصعاليك'

[2]- مدة بقائه بمصر أكثر من شهر بداية من صفر إلى ربيع الأول إلى العشرين

36	كفر حمام	البيع و الشراء ، دخوله "الرمل"	604
37	القصر	يقصد به "واد الرهبان" مروره على "الأجفار"	606
38	الشمامة	الاستسقاء، مبيته ليلة ،	606
39	معطن الجميمة"	مبيته ليلة	606
40	جربوب	مروره على "العقبة الصغرى"	608
41	معطن أم مقرب	مروره على "الطرفاوي"	608
42	عين الغزالة	مروره على الساحل البحر	608
43	معطن التميمي	مبيته ليلة، انتظاره لقاء اهل درنة "لم يدخل درنة "	608
44	مفازة السروال	مروره على طريق" الجبل الأخضر"،	610
45	جردس	تغيير مسار من أجل جلب الماء، مفازة سروال لا ماء بها، مسيرة 7 ايام	610
46	ابن غازي	على ساحل البحر، بقاؤه يومين.	611
47	اجدابيا	اختار اجدابيا على "سلوك" ،مروره على "معطن المنعل"	611
48	النعيم	مروره على "اليهودية"	615
49	معطن الزعفران	مروره على : "مطراو" "بئر حسّان" "المسيد"، "السبخة"، "العوينات"	616
50	مسراتة	بقي يومين بها. الاستقبال.	619
51	ساحل حامد	مبيته ليلة، مرور ب "زليتين"،	620
52	"الجبل"	مبيته ليلة.	622
53	تاجوراء	مروره على طريق يقاطع "مسلاتة"	625
54	طرابلس	بقي 15 يوم	636
55	زنزور	مروره "بقرقاش" على شاطئ البحر	636
56	الزاوية الغربية	مبيت ليلة، مروره على الزوارة الشرقية (الزوارة الكبرى)	645
57	بلاد النوائل	مرورا بقصر الملح	650
58	عرام	مرورا على الحمارنة	652
59	قابس	بقي يومين، بها	652

بعد محطة قابس، افترق الركب بين اتجاهين الأول خاص بأهل الصحراء ولجنوب فمساره مثل مسار الذهاب عبر توزر، نفطة ،سيدي عقبة، بسكرة، فهذا الاتجاه سلكه أهل قصر الطير، المسيلة و الصحاري عامة. أما أهل قسنطينة و زواوة اختاروا طريقا عبر تونس ثم الدخول لقسنطينة و نفس المسار سلكه الورثيلاني.

60	صفاقص	مروره على عديد القرى على شاطئ البحر	655

61	جمال	مبيته ليلة و انتظار الركب	658
62	سوس	مروره على "قرب الحمام الأنف" و المبيت به	658
63	حمام الأنف	تبركه بالمياه و أداء حمام	659
64	تونس	لقاؤه أهله ، بقاؤه خمسة اشهر بها. زيارته العديد من الأماكن و العلماء	659
65	تستور	مبيته بها ليلة،	681
66	الكاف	مروره على "تبرسق" ومبيته ليلة هناك.	683
67	قسنطينة	زيارة العلماء، أهل قسنطينة العامة و الخاصة	685
68	بئر البقرات	مروره على "عين الحاج بابا" ، مبيته ليلة	699
69	زمورة	الاستقبال ،الزيارة، مروره على "ابي خميس".	699
70	بني يعلى	الاستقبال، زيارة الأصدقاء، الأضرحة ،مروره على " الوادي."	703
71	ايلماين	لقاء المرحبين.	704
72	بني ورثيلان	وصول يوم العيد الأضحى، الجمعة 9 ذي الحجة عام 1181هـ.	704

قمنا بجرد جميع مراحل رحلة الورثيلاني ذهابا و إيابا اعتمادا على ما ذكره و قارناه برحلتي العياشي و الناصري، نظرا لكثرة اقتباساته ما جعل الحديث يتداخل بينهما، فقد أطلنا قليلا في ذكرها لسبب انعدام مسار رحلته كامل ماعدا ما قام به الباحث" الحاج صادوق" لكن توقف في الحدود الليبية المصرية فلم يحدثنا عن الأماكن التي زارها في مصر و الحجاز.

7- أغراض الرحلة و أقسامها:

7-1- أغراض الرحلة: استغرقت رحلة الورثيلاني ما يقارب ثلاث سنوات بين الذهاب و الإياب ما جعلها رحلة غنية بالأحداث التاريخية وغزيرة في شتى المعارف، فعرفت رحلته العديد من المحطات بداية من بني ورثيلان إلى مكة المكرمة، و التي من خلالها مرّ على عدة أمصار و هي :تونس، ليبيا، مصر والحجاز ،ما يثبت على أن كثرة المحطات لم تأت وليدة الصدفة، فمروره على بسكرة في الذهاب و رجوعه إلى قسنطينة في الإياب و دخوله تونس خلافا في ذهابه مرّ عبر نفطة و توزر[1]، تجعل من الرحلة غنية كثيرة بمعلوماته ما

[1] – طريق الحج معروف في الجزائر أنه يمر على ثلاث مسارات، فطريق الورثيلاني يمر عبر قسنطينة ، الكاف، تونس، لكن اختار مسلكا آخر و هو المرور عبر بسكرة و نفطة و توزر ... و نفس الأمر نجده لما وصل إلى قابس لم يرجع على بسكرة بل اختار المرو على تونس و الكاف، ما يظهر أن هدفه ليس أداء الحج فقط بل له أغراض أخرى، فطريق الحج معروف لكنه اختار مسالك متعددة لجمع و تحقيق أكبر عدد من الأغراض، فمن المعروف أن الرحلات بصفة عامة تتداخل أهدافها فلا تنحصر في هدف واحد فالرحلات الحجازية تتعدى إلى أهداف اقتصادية ،ثقافية، علمية و حتى سياسية بغض النظر عن الهدف الديني و هو الأساس.

يجعلنا نستخلص جملة من الأغراض التي قادته إلى تغيير مساره لأسباب تتعلّق بشخصيته و فكره، فكما هو معلوم أن الرّحلات الحجازيّة غرضها الأساسي ديني، أداء مناسك الحجّ بغضّ النظر عن الأهداف الأخرى والتي نجدها في فئة العُلماء و المتصوّفة الذين جعلوا من الحج فرصة لقاء الأحبة و العلماء وزيارة أهل العلم الأحياء ومنهم الأموات، بل أحيانا ترغيبا في البقاء و الاستقرار، ما يعزّز تداخل الأغراض فيها و من أهمها:

7-1-1- الغرض الصوفي: ممثّل في السياحة الصوفيّة و التي شملت جلّ أقسام الرحلة منذ جولته في منطقة القبائل ثم في الجنوب الجزائري، فاقتصرت على زيارة الأضرحة، القباب ، المساجد، رغبة للتبرّك تيمنًا بالخير وتمسحا بأثرهم فرؤية أهل الصحو والمحو في مختلف الأماكن، فزيارة الأضرحة في كل منطقة لا تخلو و تعدّ ضرورية بعد الاستقبال و الترحاب ولقاء الأحياء فينتقل إلى الأموات فهذا ما فعله عند خروجه من بني يعلى بعد ما رحّب به الجميع و التقى بلا أهله و أصهاره و أحبابه، عرّج على الموتى قائلا "فخرجت ومازِلْت أودع الأحبة والمتبع فمشينا تلك العقبة، فوصلنا قبر كامل من النقبة، ذي الهيبة والحياء، سيدي محمد بن يحي ،بخشوع و ارتقاب و الدعاء عنده مستجاب، فصلينا الظهر عنده طالين رضاه ووده"[1].

باعتباره رجل صوفي متّبع للطريقة الشاذلية و ملهمٌ بأذكار الطريقة الخلواتية جعلته يتقصد كل الأماكن التي يتواجد بها الوصفية و يجتمع بهم، رغبة للاستزادة في العلم و التقرب من أهل الصّلاح و التقوى ،فهُم أهل البركة كما يراهم و مجالستهم تزيد من قيمة المرء و ترفع من درجته و تقرّبه إلى مرتبة العلماء والأولياء، فزيارة الأولياء والوقوف على أبوابهم و التضرع و طلب الحاجة عندهم لقدر جليل عند الله و الله أجل و أعظم من يرد من هذا وصفه. فاستغل فرصة هذه الرحلة في زيارة الأضرحة و الأولياء الذين لم يزرهم في حجاتهم السابقة مثلما فعل في "توزر" لم يكن له شرف زيارة ضريح الشيخ" أبي الفضائل النحوي" والذي قد سمع أنه له قبرين أحدهم في بني حماد وقد زاره و الثاني في توزر فتشرف بزيارته هذه المرة وكذا بعضا من الصلحاء منهم الشيخ ابن الشباط الشقراطسي وغيرهم[2]. نلاحظ نفس الأمر يتكرر في جميع محطات مساره ذهابا و إيابا.

7-1-2- الغرض العلمي: رابطة العلم و الدين تتوافقان في العالم، فلا يمكن فصل أحدهما عن الأخرى فهما مقترنتان. فيرى الورثيلاني أنه لا دين دون علم، ولا علم دون دين، فبهما يتوافق التقرب إلى الله فحياة

[1]- الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.80.

[2]- نفسه،ص.126.

الورثيلاني مرتبطة بالعلم والتعلم في وطنه وفي غيره، فجلس للتدريس في كثير من مراحل رحلته، فنجده مدرسا في تونس، مصر ،ودارسا لدى علماء مصر منهم الشيخ الحفناوي، الشيخ عبد الوهاب العفيفي وشيخ الطريقة الشاذلية وأخذ من شيخ الطريقة الخلواتية أيضا،[1] فاتخذ من رحلته سبيلا للاستزادة بالعلوم ومناظرة كبار الفقهاء والعلماء وخاصة بمصر والحجار، تعدى إلى تبادل المؤلفات والمصنفات العلمية بينه وبين أقرانه من ذوي الهمّة والرفعة ،فنجده يصحح بعضا من الدروس مثلما فعل مع شيخه الصعدي، وحرصه على الحصول على الإجازات العلمية من علماء عصره، وتأليف كتب وأخذ تقريضات من أهل العلم والصلاح الذين يُشدى بهم.

فرحلة العالم والفقيه للحج تختلف عن الفرد البسيط الذي جعل الهدف منها زيارة بيت الله، فمعظم الركب الذين رافقوه غايتهم آداء ركن من أركان الدين، فحتى أصحابه لم يكونوا بدراية بأمور العلم ومجالسة العلماء و تبادل الكتب و مناظرة أهل العلم، فالورثيلاني كان مُلمّا بكل الأمور العلمية و كان حريصا على نشر العلم و الاهتمام بكل العلوم وعدم تجاهل العلوم الأخرى منها الفلسفة و علم الكلام و التصوّف الذي يُنظر إليه من زاوية مخالفة للشّرع، فدعا إلى الاهتمام بالعلوم العقلية، فقد آثر الرجوع إلى وطنه من أجل نشر العلم الذي تعلّمه من المشرق و تدريسه لأهل وطنه لإدراكه أن بلده لا يحوي على حاضرة علمية مثل الزيتونة ،الأزهر، فاس فوجب عليهم الرجوع للأوطان وإلا سيبقى أهل البلد في جهل وظلم كبير.

7-1-3- الغرض الاجتماعي: يعد العامل الاجتماعي من أهم سفرياته الداخلية و يمكن إسقاطه أيضا على رحلاته الخارجية إلى الحجار، فجعل من هموم أبناء وطنه الشغل الشاغل، لكثرة الفساد، القتل، الصراع...بين أبناء الوطن، يقول مثبتا ذلك:" فانفصلنا من مقامنا بنية الزيارة، وقضاء الحوائج لبعض الناس من إصلاح ذات البين ،ذا القتال بين المسلمين في وطننا كثير" و من بين الأغراض الاجتماعية الأخرى لقائه بأحبته و أصدقائه و خاصة الأشراف منهم الذين تربط بهم رابطة الدين و النسب و الشرف والعلم، فهذا ما نراه من كثرة المرّحبين به و تشرف الجميع لبقائه و الاستئناس بمجالسته فرّغب في توطيد العلاقة بين أحبائه، فتعلق قلبه بالإخوان والمحبين المحبوبين من المجاذيب المقرّبين والأبرار[2].

7-1-4- الغرض الديني: لم تختلف رحلة الورثيلاني عن سابقيه من الرحّالة المغاربة إلى الحجاز و التي

[1]-نفسه،ص.289.

[2] نفسه،ص.03.

اندرجت ضمن الرحلات الحجازية، فتقاسم معهم أداء الفريضة الدينية التي تربط كل مسلم بمكة المكرمة، ما جعل قلبه يهوى رؤية بيت الله والروضة الشريفة ،فالدافع الديني هو المؤثر على الذات في تشويقه و ترغيبه للقاء الحبيب المصطفى ، فعلى الرغم من أنه أدى فريضة الحج مرتين قبل هذه، فديمومة الشوق جعلت منه كثير التردد على مكة المكرمة ،فقد اختار السفر من أجل ذلك ، كما كان شوقه للبقاء مع الأهل بعد إصرارهم على العدول عن رأيه لكنه أبى، وجعل بيت الله بين عينيه، مجابها كلّ الصعّاب و المخاطر و متغلبا عن الأحوال النفسية المتعلقة بالشوق للأهل و الرغبة في البقاء في الوطن و الأحباب، فيسرد في مقدمة رحلته أنه جد متعلق بتلك الأماكن.

7-1-5- غرض الاستقرار: تعد مكة المكرمة مهوى النّاس وروادها، فظاهرة الاستقرار و مجاورة بيت الله عرفها الحجاج المغاربة منذ القِدم، فكثير من رحّالة الجزائر وعلمائها استقروا بالحجاز مجاورة للروضة الشريفة لأسباب دينيةٍ محضة وبعضا منها سياسية، فحالة الورثيلاني تختلف عن الآخرين، فهو محبّ لوطنه وجعل حب الوطن من الإيمان، ومحباّ لأهله و أهله يحبونه، فظروف العيش لما رآه في الحجاز مخالفة لما عليه، فالعالم بطبعه يرتاح للعلماء وفي الأماكن التي تتواجد بها الحواضر العلمية ، لتبقى أفكاره ومعلوماته متجددة ونقاشاته ومناظراته متواصلة، فقد طبع الجهل بل أكثره موجود في بلد الورثيلاني نظير السياسية العثمانية المنتهجة في الإيالة الجزائرية ومن سوء حظه أن فترته عرفت تدهورا في جميع النواحي باستثناء الجانب العسكري، ما جعله يُفكّر في البقاء بعد أن حان وقت الرحيل و الوداع في بيت الله، فلا يرتاح لمكان غير مكة ، فقد سبقه في ذلك العديد منهم أبو عمّار الجزائري وغيرهم، ففكرة المجاورة لبيت الله واردته بعد إتمامه لمناسك الحج ولما قرب الرحيل غلبه الشوق ولم يرق له الفراق، فأصابت النفس العبرة فكادت أن تزهق الروح من شدة ما أصابها من الفراق و اضطرام القلب لمفارقة الصديق الأمين فعبر عن شعوره في البقاء بقوله" لما دنا وقرب السفر من المدينة المشرفة ،ظهر لي ترك السفر والرجوع في ذلك الوطن، ليزول عنا الاشتياق بمجاورته صلى الله عليه وسلم، وعزمت على المجاورة وسألت أولاد الفاضل الكامل ذي الحب والود في الله أولاد الشيخ الجملي، إذ كان الشيخ صديقا لنا في الحجة الثانية عن المنزل أسكن فيه ،فقالوا نعم وفرحوا بذلك وسروا سرورا عظيما"[1] فبعد أن اتخذ قراره بالبقاء نظر إلى أهله فوجدهم في بؤس وحالتهم لا ترثى لها لمرض زوجاته، وحين سمع الركب ببقائه كثر الهول والهرج فعارضه الجميع وجعلوا بقاءه ببقائهم فعرضوا ما يحتاجه من مال و ماشية، ،فقد تدارك سبب فكرة بقائه بقلة زاده ومتاعه على الرغم من أنه ذكر في البداية

[1]- الورثيلاني، نفسه، ص 529.

رغبته و محبته وشوقه لبيت الله.

إن كان قد ربط رغبة استقراره بقلة الزاد في الحجاز، ففي تونس فقد ربطها بمشقة تسيير الزاوية و التكفل بالطلبة و تدريسهم، فرغب في البقاء في تونس بعد أن ألِفهم و أهلها ألفوه فقد بقي مدة خمسة أشهر ما جعله ينوي الرجوع إليها للإقامة و التدريس قائلا "ولما مكثتُ في تونس مدة ثم جئت منها على أحسن الخيرات وأتم البركات، نعم تركت أهلي هناك أخذا بخاطر من فيها من العلماء والصالحين، ممن بالغوا في محبتي واشتياقا مني في إقامتي، ناويا الرجوع إليها والتوطن فيها، رغبة في نشر العلم وبثه لكثرة الآخذين فيها مع عدم التكلفة للطلبة الآخذين بخلاف وطننا فإنه لابد من كلفة الطالب والإقامة بمؤنتهم وإلا انقطعت مادة العلم[1]" ،قد صادفته العديد من المرات مسألة البقاء في الأمصار منها مصرا و التي ارتاح قلبه لها لكثرة العلماء و اهتمام النّاس بالعلوم وتواجد العديد من المنشآت الدينية و الحواضر العلمية والثقافية منها الأزهر الشريف فعند وصوله طرابلس التقى بشيخين من أهل الصحو، تشاورا في أمره بين البقاء في مصر أو الذهاب إلى وطنه فلما سمع رأي الأول الذي قال "هذا يبقى في مصر و يتعلم" فقال في نفسه الورثيلاني وذلك الذي في قلبي[2] ،ففكرة البقاء راودت عديد المرات فكلما حلّ بمكان ارتاح خاطره إلا واستهواه للبقاء، ففي "تاجوراء" بليبيا عند ذهابه فدخل فانشرح صدره لما وجد من حسن طيبة أهلها ولقائه بأحبائه فتمناه للسكن قائلا "زابر هذا الكتاب فهو متعلق بهم ومريض بحبهم فليس مقصدي ومنيتي إلا السكنى في أرضهم لكثرة خصب أهل المحبة بحيث لا يصيبك ضيق ولا وحشة...إلا أنّ الموانع الشرعية منعتني من الإقامة هناك، وقد كثر عيالي أعني بناتي وأولادي ومحاجري الذين قُدمت عليهم ونُيبت عنهم، ولم تكن لي رغبة بعد المجاورة عنده صلى الله عليه وسلم إلا في هذا المحل وإن كان وطننا كذلك في الحب وأهله"[3]،فلم تكن مسألة البقاء مرتبطة بالحالة الاجتماعية و العلمية فهي مرتبطة بالحالة النفسية والشعورية.

7-2- أقسام الرحلة :بعد استعراضنا لمسار رحلة الورثيلاني، استنتجنا أهم المحطات التي كانت لها أثرا بارزا في تدوين أحداث الرحلة، فارتأينا إلى تقسيمها إلى عدة محطات تاريخية، ملتزمين الترتيب التاريخي مع تسلسل الأحداث والوقائع، باعتبار الدراسات السابقة التي تناولت مسألة محطات الرحلة أو تقسيماتها ،نجدها من الجانب الأدبي والتي تناولتها بزاوية مختلفة مع القراءة التاريخية باعتبار أن فنّ الرحلات مشترك بين

---

[1]-نفسه،ص.678.

[2]- نفسه،ص.622.

[3]- نفسه،ص.172.

الدراسات الأدبية و التاريخية، فيمكن تقسيم الرحلة بصيغتين: المكانية و الزمانية.

7-2-1- التقسيم الزماني مرتبط بالفترات الزمانية للرحلة ، تربط بين الحدث والوقت و تم تقسيمها إلى ثلاث مراحل:

زمن التوجه: مرتبط بألم فراق الأحبة والأهل والشوق لرؤية بيت الله.

زمن الأداء: الخشوع والتذلل رغبة في الثواب و الغفران وحسن تأدية المناسك.

زمن العودة :فراق بيت الله والشوق لرؤية الأهل والوطن[1].

7-2-2- التقسيم المكاني المرتبط بالمكان فيسمى التقسيم المكاني فكل منطقة جغرافية لها دلالة تاريخية ، تشمل مجموعة من الأحداث مرتبطة و متسلسلة عبر التسلسل المكاني المرتبط بالزمان ، فتتولّد لدينا مرحلتين **هما : الذهاب والإياب :**

مرحلة الذهاب تتشكل من عدة محطات هي:

التمهيد والاستعداد	الانطلاق من بني ورثيلان (الجزائر)	بسكرة (الجزائر)	الجريد قابس (تونس)	طرابلس(ليبيا)	مصر	الوصول إلى مكة(الحجاز)

مرحلة العودة تتشكل من عدة محطات هي:

الانطلاق مكة(الحجاز)	القاهرة (مصر)	طرابلس (ليبيا)	تونس	قسنطينة (الجزائر)	القبائل الصغرى	بني ورثيلان الوصول.

– مرحلة الذهاب :

أ/ التمهيد والاستعداد: تبدأ من الصفحة(05الى 17)

تعد مسألة الحج من أشق الأمور على الإنسان أن يتخذ قراره في الذهاب أو من عدمه للمخاطر التي تحيط به وللمدة الزمنية التي قربت سنتين، فجعل الورثيلاني من أولى مراحله التشاور والاتفاق مع

[1]-نادية مفاتيح، آلية الكتابة في الرحلة الورثيلانية مقاربة سيميائية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص أدب قديم، قسم الأدب العربي، جامعة ورقلة،2016-2017،ص.58.

الأصدقاء على الذهاب وكان في بيته بمعية المشايخ أحمد الطيب ،أحمد بن حمود و الشيخ مهنّا فهم الأجدر بالمشورة وإسداء الرأي فهم من أهل التقوى والإصلاح و حسن الرأي، فاتفقا على الذهاب في تلك السنة، ما توجّب عليه توديع أهل العلم والدين من العلماء والمشايخ و زيارة الأحباب والموتى من علماء وأولياء الله، فخرج رفقة ثلّة من أصدقائه المقرّبين للزيارة في مختلف أرجاء البلد. فمن عادة الحاج زيارة الأهل قبل ذهابه وتوديعهم باعتبار الذهاب للحج مغامرة لا يدري الحاج يعود أم لا، فالكثير يموتون في الطريق والبعض الأخر يستقرّ بأحد الأمصار وبالخصوص الحجاز، فيعد نفسه غير راجع وحتى أهله من منهم يخيروهم بين الذهاب معه وتطليقها ،لأن مسألة العودة غير مضمونة والذهاب دون رجعة أقرب من العودة، تلكم الأسباب جعلت من الورثيلاني يأخذ بالأسباب.

فالمرحلة التمهيدية مرت بمرحلتين منفصلتين مرتبطتين بمسألة السفر، فكلما عزم العقد على السفر توجّه لزيارة أهل العلم والصحو، فالمرحلة الأولى متعلقة بزيارة منطقة الجنوب الجزائري والثانية منطقة بجاية والقبائل الصغرى.

طاف بمنطقة الزيبان بسكرة، طولقة، سيدي عقبة، أين زار ضريح النبي سيدي خالد و ضريح الشيخ عبد الرحمان الأخضري و دخل إلى ضريح سيدي عقبة بمنطقة سيدي عقبة في ضواحي بسكرة[1] والتقى بالجموع الغفيرة من الأحباب القادمين من أولاد جلال و الأعراش التي مرّ عليها كقصر الطير، أولاد دراج، وضواحي منطقة المسيلة فزار جلّ الأضرحة المتواجدة هناك .إذ التقى بخيرة العلماء والصلحاء منهم الشيخ محمد الشريف من بني جلال صاحب التآليف الغزيرة والمدرس في مسائل مختصر للشيخ خليل، وجالس الفاضل الفقيه والأديب الشيخ عبد الباري، وبالزاهد الشيخ مبروك[2] .

فكانت مرحلة تمهيدية لأداء فريضة الحج ولأسباب وأخرى تعذر عنه الذهاب مع الركب بقيادة أميرها محمد المسعود مع أنه عقد العزم ووثّق وثاق الذهاب مع ركب الحج قائلا:" وان العهد مع سيدي محمد المسعود موثوق، فعقد الجميع النية وعزموا على الحج جزما وكان عزمي بعزمهم غير أن عزمي لم يتفّو[3*]ذلك العام"[4].

---

[1] - Hadj Sadok(M), Op.cit. P.326.

[2] - الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.05.

[3] - في نسخة أخرى "لم يتفق" وهي الأصح، "لم يتفّو" لا معنى لها في الجملة.

[4] - الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.06.

امتدت صفحات التمهيد الأول الخاص برحلة الحج التي لم يؤديها قبل حجته الأخيرة التي كانت بداية من عام 1179هـ إلى غاية 1182هـ، ما يثبت أنه نوى أداء رحلة أخرى قبل هذه السنة ولم يوفق ،وهي مدونة في الصفحات من(5 إلى غاية 7).

ربط الورثيلاني الزيارات الداخلية برحلة الحج، فكلما عقد العزم على الترحال للحجار يتجه للعديد من المدن و القرى المحلية لأداء حق الزيارة والصحبة، وقد قام بجولات أخرى قبل ذهابه لرحلة الحج و التي مرّ على منطقة القبائل الصغرى ووادي الصومام ودلس، لقضاء حوائج الناس وامتدت هذه الجولة التمهيدية لرحلة الحجم الصفحة (7 إلى غاية الصفحة 17)، وفي أثناء عودته لبلدته تأهب للحج مرة وعقد العزم وسمع العامة بحجه توافد الناس عليه[1] ولم يوفق مرة أخرى لأدائه لارتباطه بأمور العامة قائلا" فلما بلغت البيت(بعد عودته من دلس والقبائل الصغرى)، حدث لي العزم التام، نعم أخذنا في التأهب إلى السفر والأخذ في أسبابه واشتهر أمر سفرنا وبلغ أمره أطراف نواحي عمالة الجزائر، فقامت لذاك فضلاء الخاصة والعامة ثم وقع النداء في أسواق بلدنا فيمن عزم للسفر، ثم عرض لي أمر أوجب لي السفر لوادي بجاية[2]" والتي اختصرها في الصفحات (19-28) عن مسار الرحلة إلى وادي بجاية فهو مذكور ضمن المبحث الخاص بالرحلات الداخلية، لكي لا نطيل ولا نكرر ما قلناه.

ب/ مرحلة التأهب : تبدأ هذه المرحلة من الصفحة (30الى 77).

منذ عودته من بجاية وتوديعه لركب الحج القادم زوارة، بدأ في التحضير لسفره الأخير للحجاز، فمن أهم الخصائص التي تميزت به هذه المرحلة: الحديث عن فضل الحج وأهميته وترغيبه للمسلمين لما له من أجر وثواب وقرب من الله، تذكير الحجاج بآداب الحاج في الطريق، عند وصوله للبقاع المقدسة، معاملته للعامة، الأخلاق التي يجب أن يتصف بها الحاج، إبراز مشاعر الحج و مناسكه و تبيان طريق أدائها، تشويق الناس للمشاهد والأماكن الشريفة كبيت الله ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام و المزارات الدينية التي يصادفونهم في الطريق، التذكير بواجبات المسافر تجاه الله، الوطن، الأهل، عامة الناس بقضاء ديونهم والعفو عن من خاصمهم وصلة الرحم ووجوب تأكيد نية الحج وجعله خاصا لله و الابتعاد عن الرياء والافتخار، ووجوب تأدية الحقوق المالية لأهلها ، حثّ زوار بيت الله الذين ينوون أداء الحج عليهم بالاستخارة،

[1]- نفسه،ص.17.

[2]-نفسه،ص.17.

فاستخارة الله من أهم الأمور التي توفّق العبد للوصول إلى مرضاته[1].

أرشد الناس إلى الاستخارة في كل الأمور ومنها العزم على الحج، فعلّم الناس طريقتها وفضلها ومالها من فوائد، الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والابتعاد عن المحرمات التي فشت في البلاد من قتل ،سرقة ،ابتعاد عن الدين والغناء والدعوة إلى السمّاع الصوفي، ووجوب الهجرة ،كثرة المعاصي في البلاد وغلب أمر الحاكم في نُصح رعيته إن كان ناصحا لنفسه أوّلا، تذكير الناس بكرامات الأولياء وخلقهم ووجوب الاقتداء بهم والسير على آثارهم الحميدة التي سُقيت من نسب الرسول عليه الصلاة والسلام فهم من الأشراف، الدعوة إلى الاتصاف بخلق الزاهدين و المتصوفة بذكر العديد من قصصهم التي تعلو من مرتبتهم وتُظهر مدى تعلقهم بالله وأن الله لم يخيبهم فإن سألوه أعطوه.

بعد هذه الخطب الدينية التي تشبه إلى حد بعيد خطبة الوداع، هي فعلا خطبة وداع للأهل والوطن فذكّر بقيمة الوطن وحبّه ووجوب التعلّق به ،فذكّر الناسَ بأهل وطنه من العلماء والفقهاء والمتصوفة الذين علّموا وَأرشدوا ونصحوا الأمة وجعلوا منها نبراسا، فأثنى عليهم وعلى خصائلهم وجعلهم عبرة للبقية، وأتم كلامه بالتطرق إلى العديد من العلماء الذين سمع عنهم و تعلّم عليهم و عاصرهم، باعتباره صوفي وشيخ دين وجب عليه تذكير الناس بما يؤمن به و يسعى عليه فحثهم على الحفاظ على دينهم والابتعاد عن غرور الدنيا وشهواتها وملذاتها التي تزهو بصاحبها وتوقعه في المحرمات. تتناول أيضا بعضا من الجوانب المتعلقة بالتصوف وهذا ما سنتطرق إليه لاحقا.

ج/ مرحلة الانطلاق: – بني ورثيلان – إلى بسكرة (الصفحة :80–85).

المحطة الأولى للورثيلاني : من بني ورثيلان إلى بسكرة، مرتبطة بالمغادرة والخروج من بلدته واصفا مدى شوقه للبقاء مع أهله و من جهة أخرى شوقه لرؤية الحبيب المصطفى، اتسمت هذه المرحلة بالتوديع و البكاء والشوق.

خرج الركب من بلدته بني ورثيلان تحديدا من قرية بني عشاش في عام 1179 يوم الخميس [2]بعد

[1]– الورثيلاني، الرحلة..، المصدر السابق،ص.32،29.

[2]– لم يذكر الورثيلاني الشهر الذي خرج فيه، بعد تتبعنا لمسارت الرحلة تبين أنه وصل إلى طرابلس في 01 شعبان، ومدة سيره من بني ورثيلان إلى طرابلس تكون قرابة حسب ما ذكره من محطات المبيت تكون في حدود 20 إلى 25 يوم اقصى تقدير، ما يعني خروجه كان في العشر الأوائل من شهر رجب.

المغرب، بعد توديعه لأهله وذوي القربى من المسلمين عامة وخاصة، تأخر خروجه من بعد العصر حتى بعد المغرب لكثرة المودعين وتغيبهم للبقاء معهم، فبعد تأديته للصلاة وختمه للقرآن في المسجد، كثر المودعون وارتفع الصراخ والبكاء باعتقادهم أنه بذهابه ستزول البركة والخير، ثم أتى أهله والخدم والطلبة والجيران فأوصاهم بالصبر والتسليم لأمر الله.حطّ الرحال بأقرب القرى وهي بني حافظ ثم بني يعلي التي استقبل فيها استقبالا حار فطاف على علمائها وصلحائها منهم الشيخ الحسين بن مصباح وضريح الشيخ محمد بن يحي و الدعاء عنده مستجاب، وفي زمورة التقى بالفقيه الشيخ أحمد الشوثري و الشيخ محمد بن عبد الله ومثله في العلم و الأدب الشيخ مبارك الشوثري، وفي طريقة تجتمع الوفود الغفيرة من الناس للترحيب به و توديعه[1].

ملامح الحب والوّد بادية على الجميع، فلم يكن للورثيلاني خصوم، بل دعا إلى توديع كل حبيب وخضم وعدو، فبقي على النمط في مختلف القرى و الأودية التي يمرّ عليها حتى وصل إلى قصر الطير التي وجد بها ركب الحج و التقى بأصدقائه ورفقاء دربه الشيخ أحمد الطيب وأولاده و الشيخ أحمد بن حمود والتقى بكل علماء وفضلاء المنطقة ، إلى أن وصل إلى ضواحي أولاد دراج والأعراش التي تليها دخل على الشيخ الفاضل الفقيه الشيخ عبد الله بن رحّاب، الشيخ محمد بن إبراهيم، وفي "مدوكال" زار الشيخ محمد بن مسعود وهو الفقيه ابن الفقيه الشيخ الموهوب[2].

بسكرة و الزاب : تمتد من الصفحات 86 –119.

يعد إقليم الزيبان من محطات عبور الحجاج المغاربة، فسلك الورثيلاني رغبة منه لعدم تضييع سفرية علمية وسياحية لتواجد العديد من المزارات على الرغم من أنه زارها مرات سابقة كما يذكر كقبر الشيخ عبد الرحمان الأخضري وضريحي سيدي عقبة وسيدي خالد، أما الأحياء فالتقى بالعديد من أهل العلم و الصلاح منهم الفقيه محمد بن الجودي، محمد الشريف والقاضي ومفتي المدينة وبعضا من طلبتها والشيخ الباري، فدخل العديد من القرى منها طولقة، الزاب، سيدي عقبة، الزرائب والتقى بها بشيخ العرب ابن قانة، وبعدها دخل غزران و خنقة سيدي الناجي أين التقى بشيخها وجالس بل رافقه للحج معه[3].

مكث في الزيبان مدة تفوق أربعة أيام اطلع على مساجدها و العلوم التي تدرس عند طلبة الزيبان، و نصح

---

[1] -Hadj Sadok(M), Op.cit. P.340.

[2] -الورثيلاني، الرحلة ، المصدر السابق،ص.83-86.

[3] -Hadj Sadok(M), Op.cit. P.342.

المجتمع و نهاهم عن المعاصي والمحرمات ودعاهم إلى سبيل الحق وطريق الرشاد لما رأى فيهم من انحلال خلقي وخروج عن طاعة الله.

الجريد التونسي و قابس: من الصفحة 119 إلى 130

اختار الورثيلاني طريق الحج المتعارف المرور على الجريد الحدود الجزائرية التونسية معرجا على قابس دون تونس، فالتقى كعادته وعادة أهل التصوف ، توجب ملازمة العلماء و الفقهاء ومجالسة الطلبة وإعطاء حق الموتى بزيارتهم والدعاء لهم ابتغاء البركة، نفس الأمور التي دأب عليها في المحطات التي سبقَته أتمها في اللاحقة، ففي طريق خروجه من ضواحي الزيبان دخل على الحامة ثم توزر فزار مقام الشيخ عبد القادر الفاسي الذي التقى به في الحجة الثانية، ودخل بيت الشيخ ابراهيم الغوث أحد تلاميذ الشيخ أبا الحسن الشاذلي وخديم الطلبة أحمد بوطبة من تلاميذ الشيخ الشاذلي[1] وهم على الطريقة الشاذلية، زار أموات منطقة توزر منهم الشيخ أبي الفضائل النحوي .

في قابس أقام بها يومين ،زار قبر الصحابي أبي لبابة، اجتمع بفضلائها وطلبتها عامة منهم المدرس الشيخ عمر و أ/هل الحمارية، لم تطل إقامة الورثيلاني وركب المرافق له بالجريد و قابس اكثر من ثلاثة أيام لما تعرض له من سرقة و نهب و انتهاك محارم الله، ما جعله يستذكر ما زاره من الرحلات السابقة ولم يذكر الكثير من الأحداث و الشخصيات التي التقى بها، فاكتفي بذكر ما رآها و من جالسهم في حجته الثانية.

طرابلس: من الصفحة 130–236.

تعد محطة طرابلس من أكثر المحطات التي أخذت قسطا وافرا من أجزاء الرحلة، فتحدث فيها عن رحلاته السابقة التي مرّ على تلك المناطق، فتناول الجانب السياسي الذي تعيشه المنطقة معلقا ذلك الانحطاط على الجانب الديني والعلمي مقارنة بتونس وبعضا من مناطق الجزائر، فكان دخوله في غرّة شعبان من جهة الزوارات والزاوية الغربية إلى زنزور، فالتقى بجملة من العلماء منهم الشيخ محمد الشريف البلغيثي النوفلي، الشيخ محمد العربي الشريف ،والعلامة الفاضل الشيخ محمد، وكاتب الديار الشيخ محمد بن عثمان، والمفتي ابن مفيل وخديم العلم قائد عمورة، وزار المدرسة القرآنية التي يديرها قائد عمورة واختلف الناس في تسيرها كون أموال بنائها ملك للعامة وأخذت جبرا وظلما فهي تعد في نظر العامة من مال الحرام، فاجتمع بكثير

[1]- الورثيلاني، المصدر السابق،ص.126.

من عامة الناس وأهل خاصة العلم[1]، وفي طرابلس ودّع أهله وعديد رفقاء الركب توجهوا بحرا إلى الإسكندرية.

جالس الورثيلاني عديد أهل البلاط من قضاتها وحكامها، فالتقى بقضاة الحنفية منهم الشيخ عمر السوداني ومقدم قضاة الحنفية الشيخ الصكلاني، والشيخ عبد النور من كبار علماء التوحيد[2]، ما جعله يبقى مدة طويلة في طرابلس قاربت الأسبوع لما لقيه من أحبائه الذين زارهم في الحجة السابقة فأخذوه في البقاء معهم وسار معهم في ركب إلى طرابلس.

دخل تاجوراء فحظي باستقبال كعادته أينما حلّ، فالتقى بأهلها منهم الفاضل الشيخ عبد اللطيف، المفتي محمد بن مقيل والعالم محمد بن محمد العربي، فأُعجبَ بالمنطقة وأهلها و ارتاح لها وقد طلبها للبقاء لما وجد من أهلها نقاء وحبا للعلم و طهارة النفس. وتعد من قلة المناطق التي أراد بها الاستقرار.

للموتى الصلحاء حقهم عند الورثيلاني، فزيارة موتى المسلمين وخاصة أهل العلم و التقوى والصلاح فزار في مصراته قبر الشيخ العلامة سيد أحمد زروق البرنوسي الفاسي فتوجّه من أجل الدعاء والتبرك كيف لا وهو إمام الأئمة وشيخ الطريقة وإمام الحقيقة وشيخ العارفين وقد أقرّ بعِلمه وكراماته عديد العلماء فوجبت زيارته، ففي كل حجة يُعرّج على قبره[3].أتم سيره وحدثنا عن كثير الأمور التي تشغل الركب من ندرة الماء و مشاكل السرقة وقطاع الطرق و كيفية الاستقبال من عند القرى التي يمر عليها، فادى صلاة عيد الفطر بين معطن والمدار وبعدها دخل الحدود المصرية بعد عبر وادي الرهبان.

مصر : تمتد صفحاتها من 243– 328.

حديث الورثيلاني عن مصر بمصر، يأخذ بصاحبه إلى مصر، فيمكن تقسيمها إلى مرحلتين :مرحلة دخوله مصر و الثانية الخروج منها، فالأولى تناول فيه شخصيته العلمية وتكوينه الثقافي والديني و الثانية تناول مشاهد و مناظر مصر بعد الخروج منها، فمصر مدينة العلم و العلماء، فيها أُجير وذكر جميع شيوخه وعلى رأسهم الشيخ الحفناوي وشيخ الطريقة الشاذلية والخلواتية التي دخل فيها واقتبس من أنوارهما والشيخ

[1]–نفسه،ص.131.

[2]–نفسه،ص.137.

[3]– نفسه،ص.198.

العفيفي[1] فذكر العلوم التي أخذها بالأزهر الشريف والعلماء الذين ناظرهم في مجالس الذكر والفقه والفلسفة وعلم الكلام، فتعددت مراحل محطاته منذ دخوله مصر إلى خروجه فجعل نصب عينيه العلم واتباع اثر أجابذة العلم وأكثرهم من مصر، وقد ذكرنا جميع شيوخه و العلوم التي تعمق ففيها موضحا ذلك في المبحث الخاص بشيوخه، أما بقية حديثه فاهتم بالجانب الجغرافي والأثري مبرزا مدى عمق الحضارة المصرية وتاريخها، ولم يخرج عن مواضيعه المعتادة المتمثلة في النهي عن المنكر وأحداث الركب.

الحجاز : تمتد صفحاته من الصفحة 332– 380

أثناء دخوله أرض الحجاز، بادره شوق رؤية بيت الله ومقام المصطفى، فغلب عليه الشوق حتى نسي متاعب الطريق وهموم الركب ومشاقة السفر، فصوف لنا الأماكن ومياهها ومن جهة الركب كان مرتاحا بعد أن انظم إلى ركب سلطان فزّان طلبا للحماية، فذكر العديد من القرى التي مرّ بها ونزل عند أهلها وكُرام أحسن الضيافة، والتقى بعديد الحجاج من فاس، تافيلالت، طرابلس، مصر[2] وبعضا من أهل الحجاز، وتبرك بعديد الآثار التي ترتبط بالسيرة النبوية و الصحابة بمنطقة عفسان ،فتبرك بالمساجد بعد أن زارها وصلى بها وطاف بقبور الصحابة والأولياء راجيا قبول الزيارة و تيمنا الوصول إلى مكة الشريفة.

الوصول إلى مكة : تمتد صفحاتها من الصفحة 381– 445.

دخل مكة المكرمة بعد أن تهيأ واغتسل في التنعيم والزاهر، دخلها بانشراح وفرح فرحا شديدا فدخلها من الباب الذي يُستحب على الزائر دخوله من باب المعلى [3]،بعد أن أدى فرائضه الدينية ومستحبات دخول أرض بيت الله، فدخلها في زحمة عظيمة تكاد النفوس أن تزهق غير أن سرورها بالوصول خفّف من آلامها، فأدّى مناسك الحج ووقف بجبل عرفات، وطاف بالمزدلفة ومنى، ودخل بيت الله والتقى بخطيب مكة، فدعا وأكثر من الدعاء و صلّى وأقام بها مدة الزمن وقلبُه معلّق بمكة، فوصف البيت المعمور بعد أن دخله وزار جميع المساجد التي تنتسب إلى أمهات المسلمين و الصحابة الأكارم، وذكر العديد من علماء مكة الذين جالسهم و استفاد من علمهم، فمكة موطن الإسلام بها خيار الفقهاء، فمزاراتها عديدة و الطائف ما أكثرها فلم يرق له الخروج دون الطواف بها جميعا والصلاة فيها وأنشد شعرا في مكة وضواحيها

[1]–نفسه،ص.288.

[2]–نفسه،ص.374.

[3]– نفسه،ص.284.

وبمن فيها وما مدى تعلقه بها.

مرحلة العودة: تمتد صفحاتها من : 446–704

الخروج من مكة الشريفة من 446 – 453

تعد أول مراحل الخروج، وهي مشابهة لمرحلة الخروج من بني ورثيلان طغى عليها أثر الشوق وما تعلق بالشعور الإنساني بعد أن أَلِف الجو الروحاني بمكة مستشهدا بالمناظر والآثار الدينية التي جعلت من روحه يسمو وحبه يزداد، ما جعل الفراق صعبا، من شدة ولعه بالمكان تخلف عن الخروج مع ركب الجزائر الذي سار عند الظهر وبقي الحسين الورثيلاني متأملا وراغبا في البقاء حتى المغرب بعدها لحق بالركب في منطقة خليص، فوصف لنا مازراه في الطريق من قبور الشهداء ومساجد الصحابة.

انشغل في فترة مكوثه بمكة في الذكر والطواف والنظر إلى الكعبة، وقد خرج من أسفل مكة بالموضع المسمى"كدى" والذي يستحب الخروج من باب الشبيكة، أما مدة مكوثه بها على الأرجح تكون خسة أيام مستندا إلى شعر قاله[1]:

أَقَمنَا بِهَا يَوماً وَيَوماً وثَالثاً وَيومٌ لَهُ والترحَالُ خَامِسُ

دخول المدينة المنورة من الصفحة : 454– 533

لا تقل المدينة أهمية عن مكة المكرمة في نفوس المغاربة فزيارتها واجبة على حاج ومعتمر، فجعل الركب الجزائري زيارتها بعد الانتهاء من أداء مناسك الحج، فدخل من باب السلام لمسجد رسول الله، طالبا الدعاء ومتضرعا لله قبول حجته[2] ، فزار البقيع وقبر الرسول وتبرك به، فلم يخلو حديثه في المدينة عن أمرين وهما الشغف والفرح بدخول مدينة الرسول، والأمر الثاني وصفه لما رآه كالمسجد، القبر، الآبار، وما غمره من شوق الوصول وفراق الخروج منها.

---

[1]– نفسه،ص.445، البيت من انشاء الورثيلاني على نفس بيت الرحالة ابي ناصر الذي مكث ستة ايام وقال:

أَقَمنَا بِهَا يَوماً وَيَوماً وثَالثاً وَيومٌ لَهُ والترحَالُ سادِسُ

[2]– نفسه،ص،454، أما بالنسبة للطريق الذي سلكه فنفس طريق الذهاب ، فقمنا بحذف أسماء القرى و الأودية ومشاكل الركب التي حدثت لهم مع قطاع الطرق تفاديا للتكرار من جهة و من جهة أخرى سنتناول مسالة ركب الحج الجزائري في الفصول اللاحقة.

أما في طريقه إلى مصر، فطاف بعديد قرى الحجاز التي مرّ بها في مرحلة الذهاب، وقد ذكرها باختصار شديد فاهتم بدخول ونزول الركب تفاديا لتكرار الكلام المذكور سابقا، وبقي قلبه بمزارات مكة والمدينة وشغفه بالبقاء ومجاورتها.

مصر: من الصفحة : 534– 605

اختلف حديث صاحب الرحلة في حديثه عن مصر في طريق العودة، فأطال في الكلام عن اللصوص وما حدث للركب ووصف المناطق ، فبقيت محطة عبور له ،فأطنب في تكرار الأحداث والوصف، والجديد فيها أنه دخل الإسكندرية أين ودع المسافرين المتجهين عبر البحر ،و الأمر الثاني أنه دخل القاهرة وأُعجب بآثارها وبنائها و بمن لقي بهم من اهل الفضل و العلم والإحسان.

تخللت مواضيع شخصية وأخرى متعلقة بأهله في الجزائر بين ثنايا قرى مصر وهو يعبّرها، وما شدّ انتباهه هو الظلم والسرقة والرشاوي والفساد الاجتماعي والديني، فلا حرمة للحاج لدى الأعراب الذين يغزون قوافل الحج عزوا، وحتى بعض حكامها ومنهم حاكم بولاق[1] الذي يعذب الحجاج ويسجنهم.

ليبيا: من الصفحة 606–650

دخلها من "القصر" بوادي الرهبان الذي يقبع في مجموعة من رهبان وقد تحدث معهم وسألوه عن حال مصر وأهلها وعن أوضاع الطريق ،أما الطريق الذي سلكه فنفسه فلم يغير المسار، وواصل حديثه عن الماء و بعضا من اللصوص، فأجاد في إكرام أهل تاجوراء له مثلما حدث له في الحجات السابقة، والتقى بعديد علمائها منهم الشيخ عبد الحفيظ، ونفس الأمر حدث له في مصراتة، فبقي يستذكر ما في ذاكرته من أحداث وقعت له بالقطر الليبي عامة إلى غاية منطقة النوائل التي جعلها الحدود الجغرافية الفاصلة بين بلاد تونس وليبيا.

دخل إلى ليبيا على سلاطينها وحكامها واستقبلوه بحفاوة وجالسهم كثيرا وأُعجبوا ونَصحهم كثيرا ودعاهم إلى التمسك بكتاب الله والحكم به والدعوة إلى نشر العلم والدين بين العامة فحدّث الباشا علي باشا، كاتب الحضرة السيد محمد بن عثمان ووزير السلطان يوسف الكاخية[2]، والتقى بكثير من أحبابه الفضلاء

[1]- نفسه،ص.560.

[2]-نفسه،ص.633.

الذين لقيهم في طريق الذهاب.

تونس من الصفحة 651– 684.

دخل تونس على قرى الحمارنة وعرام، وخالف طريق الذهاب، دخل على مدينة تونس التي استقر بها مدة خمسة أشهر وواصل الركب طريقه إلى توزر ونفطة بعد أن توادعوا في قابس، والتقى بعديد أهل الفضل و العلم منهم: الشيخ ابراهيم الجمني، عبد الله السويسي، موسى الجمني.

من بين الأماكن التي ارتاح بها لوجود الصالحين بكثرة مدينة سوسة، ونزل بتونس عند الشيخ ابن محجوبة، وصديقه سيدي محمد، والتقى بالأديب حمود بن عبد العزيز، و النحوي اللغوي حسّان الترجمان وأحمد بن عبد الصادق، محمد الكبير الشريف، كلهم من أهل اللغة والنحو [1]و العلم.

لا يفي الغرض بذكر جميع من التقى بهم و جالسهم لكثرة مدة مكوثه هناك، فهؤلاء الذين ذكرناهم جملة من بعض الذين تحدث عنهم في الرحلة، بالإضافة إلى شيخه الشيخ السويسي، أما البقية فقد ذكرناهم في مواضيع متعلقة بتدريسه بتونس.

زار صلحاء المسلمين من الأموات في بنزرت، وتأسّف كثيرا لفراقه تونس وقد تركها وقلبه معلقة بها واعدا نفسه أنه يعود للتدريس بها، وقد ذكر حدود أفريقية أنها قرية مطر[2].

قسنطينة من الصفحة : 685– 697.

أولى محطات بلاده الجزائر، مدينة قسنطينة، مكث بها أيام طاف بمساجدها وأسواقها ودخل من عدة أبواب[3]، والتقى بالعديد من أهل الحكم والعلم فمن المشايخ: يحي اليعلاوي، أحمد الزين، علي الزموري، أحمد العلولمي، عبد الله التومي، علي بن سعيد، السعيد الصدراتي، الطاهر بعداش، مبارك بن بوقرانة ،محمد الشليحي ...وغيرهم من أهل اللغة والنحو و الدين، والتقى أيضا بأهل الحضرة السلطانية وأرباب الدولة من أهل العلم والقضاة منهم الشيخ عبد الكريم الفكون أمير الركب الحجازي، ومن الفقهاء أحمد بن الأحمر،

---

[1]-نفسه،ص.660.

[2]-نفسه،ص.677.

[3]-Hadj Sadok(M), Op.cit. P.331.

أحمد بن وادفل، علي بن الكيرد، محمد العنتري، الطيب الزراري[1]...

فقسنطينة عامرة بالعلم والعلماء، كثرة الطلبة في مجالس العلم، لم يقم بها طويلا لقرب عيد الأضحى ما جعله يتسارع للوصول إلى الديار، مودعا أهلها وزائرا لأحيائهم وأمواتهم كعادة الورثيلاني التي لم يتخل عنها منذ انطلاقه، خرج منها قاصدا زمورة والتي استقبل بها وخرجت الجماهير الغفيرة ترحب وزار كل من بها.

المرحلة الأخيرة :الوصول : من الصفحة 701-703.

أولى محطات وصوله بني يعلى، محطة وصول مسبقة لوصول أهل قريته يستقبلونه على مسافات طوية جدا، فالتقى بهم ببني يعلى ، بعد الترحاب به ،فذكر من التقى بهم منهم الفاضل نجل الشيخ سيدي أحمد زروق، والعديد منهم جلهم ذكرهم لما خرج.

زار قبر الولي عبد الرحمان بن قري، ومنها إلى قرية ايلماين التي سارت معه الوافدين لاستقباله إلى غاية داره وكلهم فرح وسرور، فوصل يوم الجمعة ليلة العيد وكان يوم عرفة من عام 1181هـ،وبقيت الجموع تتوافد عليه من شتى أرجاء الوطن[2].

اعتمدنا في تقسيم صفحات الرحلة على الحدود الجغرافية وليس متعلق بأسماء المناطق فقط

المحطات	صفحاتها :من – إلى.
التمهيد للرحلة	29-05
الاستعداد والتأهب	80-30
الانطلاق: بني ورثيلان- بسكرة	85-80
بسكرة والزاب(الجزائر)	119-86
الجريد التونسي وقابس	130-120
ليبيا	242-130
مصر	328-243
الحجاز	380-332
الوصول: مكة المكرمة	445-381

[1]-الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق ،ص.293،292.

[2]-نفسه،ص،704.

مرحلة الثانية وهي العودة:

خروج من مكة المكرمة	453-446
المدينة المشرفة	533-554
مصر	605-534
ليبيا	650-606
تونس	684-651
قسنطينة(الجزائر)	697-685
الوصول بني ورثيلان(الجزائر)	703-701

8- مصادر الرحلة الورثيلانية:

8-1- أنواعها : لم يخرج الورثيلاني عن عادة كُتاب الرحلة، سار على نهجهم في تأليفها وتدوينها فاعتمد على مصادر سابقيه من دونوا عن تلك الأمصار والأحداث، فقد اعتمد على جملة من المؤلفات التي تناولت أجزاء من المضامين التي تناولها وقد ذكر بعضها في مقدمة الرحلة قائلا: "وبعض الأحكام الشرعية مع ما فيها من التصوف مما فتح به عليّ أو منقولا من الكتب المعتبرة سيما وأنّ اعتمادي في ذلك على رحلة شيخنا وقدوتنا ومن على الله ثم عليه اعتمادنا سيدي أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي الجعفري، هذا وإني أنقل أيضا من بعض كتب التاريخ كنبذة المحتاجة في ذكر ملوك صنهاجة ومختصر الجمان في أخبار أهل الزمان وكذا حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة وغيرهما مما يناسب المحل[1]".

بعد تمحيصنا للرحلة ومحتواها يمكن تقسيم المصادر المعرفة لدى الورثيلاني إلى قسمين : المصادر المادية واللامادية وكل منهما يتفرع إلى عدة عناصر وفق المخطط:

[1]-الورثيلاني، الرحلة، المصر السابق،ص.04. ينظر أيضا:

-.Hadj Sadok(M), Op.cit. P.333.

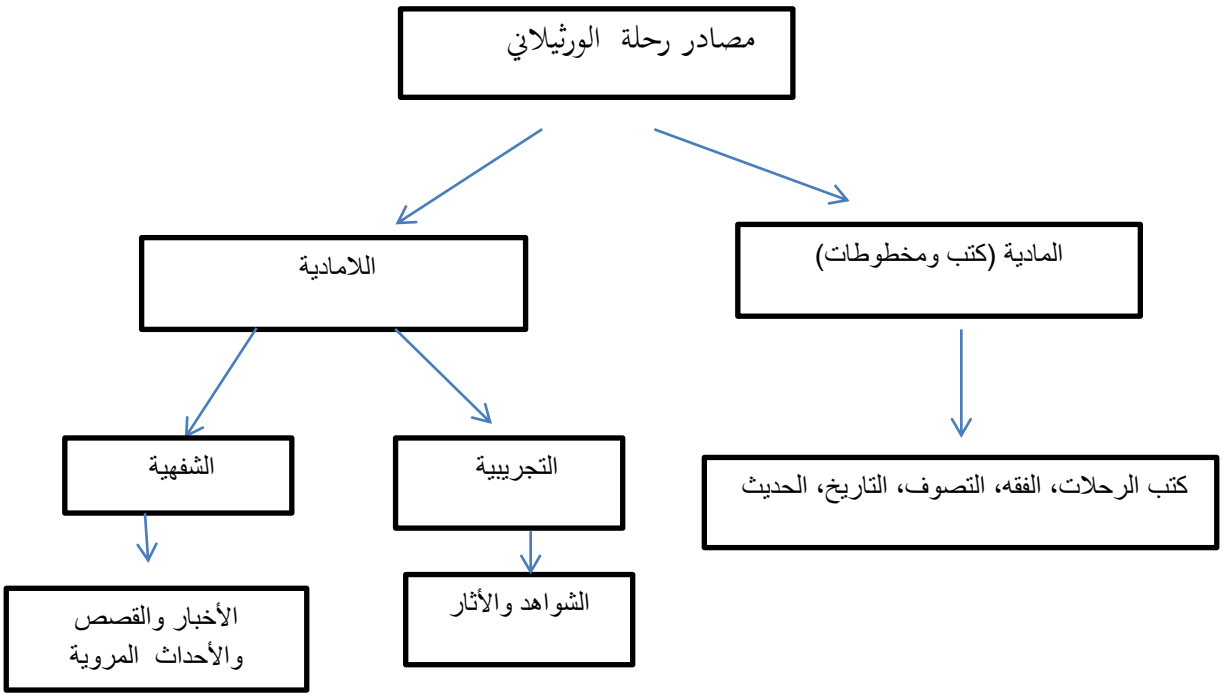

8-2- قراءة في المصادر:

8-2-1- المصادر المكتوبة :

أ/كتب الرحلات:

-الرحلة الناصرية :لـ أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر الدرعي والتي اقتبس منها الكثير، أما رحلة أبي سالم العياشي فلم يطّلع عليها بل اقتبس من الناصري والناصري اقتبس من العياشي ،فالقارئ قراءة سطحية يرى أن الورثيلاني اقتبس من العياشي لكن بعد المقارنة بين الرحلات نجده لم يقتبس منها وإنما هي اقتباسات الناصري من العياشي وأعاد اقتباسها الورثيلاني.

ب/كتب التاريخ والتراجم:

-النبذ المحتاجة في أخبار ملوك صنهاجة بأفريقية وبجاية: لمؤلفه المشهور عبد الله بن محمد بن علي الحمزي الصنهاجي المشهور بابن حمّاد(ت 1231م/628هـ)،تناول تاريخ بني زيري في أفريقية والمغرب الأوسط وقد اعتمد عليه كل من صاحب كتاب مفاخر البربر وابن خلدون، قد ذكره الورثيلاني بتغيير طفيف بالعنوان "النبذة المحتاجة في ذكر ملوك صنهاجة"، و يعد من المصادر المفقودة

-كتاب الجمّان في أخبار الزمّان: لابي عبد الله الشاطبي(د.882هـ/ت 963)، من الأسر الأندلسية التي هاجرت إلى المغرب ،تناول العديد من الأحداث التاريخية منها: وصف بداية الدنيا واستمرارها إلى وقت ظهور الرسول، مولد الرسول عليه الصلاة و السلام وبعثته إلى وفاته، من وفاة الرسول إلى النفخ بالصور و تناول عهد الخلفاء الراشدين، الخلافة الأموية، الخلافة العباسية، أخبار بلاد مصر، أفريقية والأندلس، وختمه بعلامات الساعة الصغرى والكبرى[1] وهو متعدد المواضيع. وذكره الورثيلاني بعنوان فيه بعض من التحريف أضاف عليه كلمة عقود فأصبح 'عقود الجمان في أخبار الزمان".

– حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة: لجلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الذي تناول في مؤلفه تاريخ مصر منذ بداية الدنيا إلى الوقت الذي عاش فيها، مصر من خلال القران الكريم والكتب السماوية والشواهد والأثار التاريخية، إلى مصر في العهد الإسلامي متطرقا إلى علمائها ومحدثيها وفقهائها وزهادها ومتصوفتها خلال الحكم الراشدي، مصر في العهد الأموي، العباسي، المدارس العلمية والدينية، مساجد مصر وخانقاتها العلمية، ذكر ما قيل عن النيل وما به من ثمار وأشجار وما لها من فوائد ،تناول فصلا بالطرق والمسالك بين مصر والحجاز[2].

– عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية: لمؤلفه أبو العباس الغبريني ،يعد من المصادر النفيسة التي أرخت للمغرب الأوسط من جانبها الثقافي والديني في احدى فتراتها، فدوّن جلّ العلماء والمتصوفة وفقهاء المغرب الأوسط و بالخصوص بحاضرة بجاية وقد ترجم لأكثر من مائة وأربعين من رجال العلم في القرن السابع هجري، فقد استعان به الورثيلاني لذكر علماء بجاية وكان كثيرا ما يعتمد عليه دون ذكر اسم المؤلف بقوله ينظر صاحب عنوان الدراية ،كونه معروف ومعلوم لدى العامة قبل الخاصة، فهو المصدر الأساسي في تلك الحقبة، وليس أنه لا يعرف من صاحبه بل ذهب إلى قبره وزاره وذكره باسمه الغبريني، ما يثبت أن الورثيلاني على علم بصاحب عنوان الدراية، قام بتحقيق الكتاب عادل نويهض[3].

---

[1]- ABDELHAFID EL TAIBI, KITAB YUMAN FI MUJTASAR AJBAR AL ZEMAN, Tesis doctorado .por Dr. EMILIO MOLINA LOPEZ, Facultad de filosofía y letras, Departamento de estudios semíticos, Universidad de Granada .España, 2012.P.10-14.

[2]- جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح محمد ابو الفضيل ابراهيم،ج2،ط1،دار احياء الكتب العربية،مصر،1968.ص.310.

[3]-أبو العباس الغبريني ،عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح عادل نويهض،ط2،منشورات دار الأفاق الجديدة،بيروت،1979.

-كتاب الأدلة السنية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية [1]:أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشّماع، من المصادر التاريخية الأساسية لتاريخ تونس، الذي تناول بالتفصيل حكام وسلاطين تونس بداية من أبو محمد عبد الواحد، أبو زكريا الأول، أبو عبد الله محمد المنتصر، أبو زكريا يحي الواثق، أبو إسحاق ابراهيم، أبو حفص عمر، أبو عبد الله أبو عصيدة...إلى غاية الأمير أبوعمرو عثمان، والجزء الأهم الذي تناوله هو حدود المغرب وإفريقية، فوصف البلدان وحدد حدودهم، فذكره الورثيلاني فحوّره من عنوانه الأصلي إلى" الأدلة البينة النورانية على مفاخر الدولة الحفصية[2]" مع دون ذكر اسم المؤلف فتارة يذكره بالعنوان و تارة أخرى يحيل إلى صاحب كتاب الأدلة.

ج/كتب الفقه والتصوف :اعتمد الورثيلاني على العديد من المصنفات الصوفية والدينية في التوحيد والفقه، جلها على المذهب المالكي منها :

- الوغليسية :عبد الرحمان بن أحمد الوغليسي البجائي[3]:والتي شرحها كل من عبد الكريم الزواوي و عبد الرحمان الصباغ و التي تناول العديد من المواضيع الفقهية مبتدأً بفضل العلم و شروط العالم و المتعلم، فضل النفقة في العلم[4]، وبعدها انتقل إلى ما يهم الفقه من شروط الإيمان وأركانه ثم الصلاة ونواقضها معرجا على الأمور المتعلقة بالوضوء، التيمم...وقد ذكره الورثيلاني في عدة مواضع واستدل به كثيرا باعتباره من المصادر الأساسية في تبسيط الفقه المالكي في منطقة القبائل وكان يرجع إليه باستمرار، فكان يذكر اسم الكتاب وشارحها.

-المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: لمؤلفه أحمد بن محمد القسطلاني[5]،كتاب ضخم يجمع بين سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام والفقه الإسلامي، اشتمل الكتاب على تسعة مقاصد وكل مقصد يحتوي على عديد من الفصول المتشعبة وهي: في أحداث السيرة منذ الولادة إلى الوفاة، في ذكر أسمائه صلى الله

---

[1]-أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشّماع، كتاب الأدلة السنية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح الطاهر محمد المعموري، الدار العربية للكتاب،تونس.1984.

[2]الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.688،669.

[3]-أحمد الوغليسي البجائي، المقدمة الوغليسية على مذهب السادة المالكية، تح أمل محمد نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث،ط1،مصر،2007.

[4]-عبد الرحمان الصباغ، شرح عبد الرحمان الصباغ على متن الوغليسية، الناسخ محمد بن القاسم اليعمري ،المخطوطة محفوظة خزانة المخطوطات، مكتبة الشيخ الموهوب أولحبيب- بجاية، تحت رقم F001. تاريخ النسخ 1191هـ/1778م ، ورقة 05،**ينظر الملحق رقم 12**.

[5]-أحمد بن محمد القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تح صالح أحمد الشامي،ط2،المكتب الاسلامي،بيروت،2004.

عليه وسلم وأولاده وأزواجه وغير ذلك، في كمل خلقته وعظيم أخلاقه، في المعجزات والخصائص، الإسراء والمعراج، آيات من التنزيل في تعظيم قدره صلى الله عليه وسلم، في وجوب محبته و اتباع سنته، في طبه و تعبيره الرؤيا وأنبائه بالمغيبات، المقصد التاسع والأخير وفاته، الكتاب مطبوع في أربعة أجزاء، يذكره الورثيلاني دون اسم المؤلف بإحالة الكتاب إلى صاحب فقط.

المدخل: لمؤلفه لابن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري(ت 373)، كتاب في أربع أجزاء، يعد من أمهات كتب الفقه في ذلك العصر، تناول عدة جوانب متعلقة بالمسلم في عقيدته وفقهه ودينه منها: طلب العلم وشروطه وفضله، فقه العبادات ،فقه الآداب العامة، فقه المعاملات، وسبب تأليفه للكتاب أن بعضا من الإخوان قصده في تلخيص شيء يذكر بأي نية يخرج بها المرء من بيته إلى الصلاة في المسجد وإلى حضور مجالس العلم وإلى قضاء حوائجه في السوق وغيره وبأي نية يرجع إلى بيته وباي نية يمكث فيه[1]"، ويذكره الورثيلاني بصاحب المدخل في ثلاثة مواضع مفترقه وهو يستدل به في أمور الفقه.

ابن فرحون: كتاب الطبقات[2]، لم يشر الورثيلاني إلى تحديد اسم المؤلف بدقة و عنوان مؤلفه، فيذكر في ثنايا الرحلة إشارات أنه مؤلفه في الطبقات ينتمي إلى كتب الأنساب ، يمكن المراد به يقصد ابن فرحون ،إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري صاحب الديباج المذهب في طبقات أصحاب المذهب ، لكن المادة التاريخية التي اخبرنا بها الورثيلاني تتعلق بنسب أهل زواوة ،ما جعلنا نرى المقصود به هو كتاب الاعتبار وتواريخ الأخبار والتعريف بالنسب إلى النبي المختار صلى الله عليه وسلم ،وقد ذكر العديد من النسّابة أن لابن فرحون مخطوطا في الأنساب .

–الشريف التلمساني :هو عبد الله بن محمد الشريف التلمساني، من كبار علماء تلمسان توفي عام 792هـ بعد خروجه من مالقة ومات في البحر، أخذ العلوم في مختلف الأمصار منها المغرب الأقصى، تونس، بجاية ...دخل بجاية وحدّث عن العلوم المنتشرة بها وله كرامات عدة في تونس دخل على الشيخ أبا عبد الله بن عبد السلام فأدركه قبل أن يتعرف عليه وقد ذكر هذه القصة الورثيلاني و أشار إلى ذلك بقول الشريف التلمساني، لم نتمكن الوصول إلى مؤلفات الشريف التلمساني إلا من خلال بعض إحالات المصادر

[1]– ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري، المدخل، ج4،مكتبة دار التراث ،القاهرة، مصر. د،س،ص.307

[2]– ابن فرحون، الاعتبار وتواريخ الأخبار والتعريف بالنسب إلى النبي المختار صلى الله عليه وسلم ، مخطوط لدى احدى العائلات ببني ورثيلان.

التي أوصلتنا إلى ادراك هذه المعلومات حتى وجدنا أين استقاها الورثيلاني وأنها مسقاة من كتاب :مجموع في مناقب أبي عبد الله الشريف وولديه[1].

فهذه جملة من المصادر الأساسية التي اعتمد عليها واقتبس نصوصا طويلة منها بالإضافة إلى عشرات الكتب الأخرى التي استأنس بها مثل: كتاب خليل لابن إسحاق، الشهاب في الآيات البينات لعلي المحلي، رياض الصالحين للثعالبي، رسالة الخفاجي، وابن عبّاد، و الكثير من أبيات الشعر لعي بن أبي طالب، الشافعي ،ابن زكري وآخرين وفي الحديث من كتاب صحيح البخاري.

ملاحظة: اقتبس الورثيلاني معلوماته من عديد الكتب والمؤلفات وخاصة الدينية أحيانا يخبرنا بمؤلفها وبموضوع الاقتباس وأحيانا يضمنه إلى حديثه، مما أوقع الكثير من الباحثين في أخطاء بحيث نسبوا للورثيلاني معلومات وهي في الأصل مقتبسة من الرحلة الناصرية فأخذ اقتباس الرحالة الناصري فتركه على شكله الأول ما يوحي للقارئ أنه أيضا اعتمد على مؤلفات مثل الرحلة العياشية ، ابن خلدون، البكري، المسعودي، ابن بطوطة، ابن عبد ربه المراكشي،...كل هؤلاء وآخرين لم يعتمد عليهم الورثيلاني إطلاقا، بل اقتباسه لنص الناصري جعله يذكرهم ونفس الأمر بالنسبة للرحالة الناصري لم يطّلع على تلك المؤلفات بل اقتبسها حرفيا من رحلة العياشي، سنحيل القارئ إلى اقتباسات الورثيلاني لنظهر الفرق بين عمله و العلم المقتبس، فلا يجب أن ننسب عمل الآخرين إلى عمل الورثيلاني.

8-2-2- المصادر اللامادية: المرئية و المسموعة :

على عادة كُتاب الرحلات، يكفي استشهادهم بما دوّنه السابقون فقط، فالتنقل يكسب للإنسان القدرة على الملاحظة التي تعدّ من أساسيات عملية الوصف للمشاهد والآثار التي رآها أو لامسها من جهة، ومن جهة أخرى يعتمد على النقل الشفوي للمعلومات من أهل البلد الذي زارهم، فهذا ما جعلنا نتوصل إلى تقسيم المصادر اللّامادية إلى قسمين:

---

[1] – أبي العباس احمد بن عبد الحي، مناقب الامام ادريس بن ادريس، تح محمد بوخنيفي،ج2، دار الكتب العلمية،بيروت،1971،ص.482،481،480. في إحالات الصفحات يتطرق مؤلف الكتاب إلى الأحداث التي أوردها الورثيلاني وهي مشابهة و مطابقة حرفيا ولنفس الشخص وهو الشريف التلمساني وخاصة التي تتعلق ببجاية، وفي الإحالات أحال إلى مؤلفات الشريف التلمساني ب:مجموع في مناقب أبي عبد الله الشريف وولديه ، ما يعطي لنا إشارة ان تلك المعلومات مستقاة من كتب الشريف و منها استمدها الورثيلاني، ينظر الورثيلاني، الرحلة،ص.28.

أ/ **المصادر التجريبية:** عبارة عن مجموع الشواهد والمناظر الطبيعية والطرق التي سلكها وكل ما خللته عينه باستعماله دقة الملاحظة والوصف الدقيق للأشياء الظاهرة، يتجلى ذلك ظاهريا في اللفظ الدلالي المقترن بالموصوف فاستعمل عديد العبارات الدالة على ذلك منها رأينا، زرنا، شاهدنا، سرنا، دخلنا... فاستعمل عديد أفعال الحركة في أقواله في وصف الطريق ،هذه جملة من الأمثلة منها:

عن مدلول مصطلحات: الزيارة، الهبوط، السير: يقول "وقد زرنا ذلك المحل وقد قيل فيه مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم، ولما هبطنا تلك العقبة سِرنا في طريق ذات أحجار كثيرة وأوعار صعبة بينها وبين خليص ثلاثة أميال فسرنا غير بعيد إلى أن دخلنا خليص وفيها عين جارية قوية ساقيتها مبينة..."[1]

في موضع النظر والأبصار يقول: "فلنا **نظرنا أبصرنا** نورا يلمع ويلوح جهة اليسار نحو المدينة المشرفة على ساكينها أفضل الصلاة والسلام يلمع كالبرق وهو يخفق غير أنه ليس كالبرق".

عن المشاهدة يقول في الحديث عن البرق في مكة المكرمة" لأن البرق لا يلازم جهة المدينة المشرفة وإنما يختلف بحسب الجهات وهذا لا برّ إلا من جهة طيبة كما **شاهدنا** في غيره من هذه الحجة وهذا معلوم عند الحاج سابقا[2]".

في زيارته إلى منطقة بني يعلى يحدثنا عن ما شاهده من الكرم والاستقبال من علمائها قائلا "وقد حاز في كل خير السبق سيدي بركات **وقد شاهدنا** منه ما لا يمكن التعبير عنه نفعنا الله به وجعل البركة في أولاده"[3].

هذه عينة من العبارات الدّالة على استعماله للقرائن اللغوية المقترنة على المشاهدة بإبراز أفعال الحركة ونجدها كثيرة الاستعمال في المناطق التي لم يقتبس من المؤلفات السابقة خاصة ما تعلق برحلته إلى وادي الصومام وبجاية والقبائل الصغرى فمعظم اعتماده على الملاحظة.

ب/ المصادر الشفوية: وهي المتعلقة بما تناقله عن الأفراد و الأشخاص أو ما سمعه عن الكبار من أهل العلم و الرأي، فنجد الورثيلاني يكثر من مجالسة العامة و خاصة العلماء منهم ،ما جعله يسمع عديد القصص والحوادث بعضا يدونها والآخر يفندها، فتجلى هذا بشكل واضح في عديد محطاته التي زارها، فيستعمل أفعال مقترنة بالاستخبار منها: سمعنا، أخبرنا، تناقله القوم، على ما قيل...وهذه بعض منها:

---

[1]-نفسه،ص.280.

[2]-نفسه،ص.382.

[3]-نفسه،ص.44.

في بلدته يحدثنا عن علماء المنطقة في العصور التي سبقته فيقول" بُديمان على **ما قيل** إنه ولي صالح وضريحه يزار دائما وظن أهل وطننا أن من ذهب إليه تُقضى حاجته وأن فيه رجال الغيب **حسبما اتفق عليه أهل وطننا** وإني **سمعت** في صغري من بعض الصالحين من أهل السياحة يقولون ذلك حق وصدق[1]" .

في ذكر تاريخ قسنطينة أين صعبت عليه إيجاد المراجع للاعتماد عليها عمد إلى الرواية الشفوية قائلا "وقد **سمعنا** أنها من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام لم يطفا لها سراج ولا استقر فيها أمير دائم...وقد **سمعت** من الفاضل الكامل السيد علي الخزناجي صاحب الرحمة والدولة الشاملة[2]" .

على العموم الورثيلاني يلجئ أحيانا إلى الاستعانة بالمرويات السابقة و المشاهد المرئية عند تغييب المراجع والملاحظ بكثرة استعمالها في إيالة الجزائر أكثر من غيرها من الأمصار، وهذا نتيجة عدم حديث أصحاب المؤلفات التي اقتبس منها عن الجزائر من جهة و من جهة أخرى اعتباره من أهل البلد فهو الأولى والأعلم بخباياها وتاريخها و مساراتها.

9- جرد لاقتباسات الورثيلاني: تعد مسألة الاقتباسات النصّية من المصنفات العلمية السابقة ظاهرة العصر، فلا يختلف الورثيلاني في كتاباته عن معاصريه وسابقيه، فأخذ منهم المنهج وسلط طريقهم، منهم الرحالة الناصري الذي جعله قدوة له جميع نواحي الكتابة، الوصف، الملاحظة وحتى التحليل أحيانا، وبعد تتبعنا لرحلة الناصري هو الآخر أخذ مسلك الرحالة العياشي و هذا الأخير أخذ من عدة كتب ضمها إلى رحلته.

ليس كل ما هو مدوّن في رحلة الورثيلاني من نتاجه الخاص، ما جعلنا نقوم بتقديم قراءة إحصائية للنصوص المقتبسة، سنرتبها حسب درجة كثرة الاقتباس:

الكتاب	صفحات الرحلة	صفحات مقتبسة	من و إلى
الناصري	88 إلى 105	139-158	وزرنا مسجدها وطلعنا إلى مئذنته... و هذه المرة زرناه اصفرارا في وقت لا تحل فيه النافلة.
الناصري	106	159	وجلسنا هنالك وقيلنا في قبة...من يوق بهم

[1]-نفسه،ص.35.

[2]-نفسه،ص.686.

			من أولاد سيدي ناجي.
الناصري	123-122	161-160	ثم ارتحلنا منها و نزلنا توزر....ياقل ان خراجها من ثلي خراج توزر.
الناصري	129-128	165-163	نكتة وأبو لباية...ماء غريبة الصنعة إلا أنها تتعطل كثيرا.
الناصري	154-145	182-169	قال الشيخ محمد بن علي شارح الشقراطسية...لا تصل النار إليها حتى تسقط حيث تسقط
الناصري	169-160	192-182	من فضلاء طرابلس سيدي...باختصار بعضه باللفظ والمعنى
الناصري	178-173	201-195	أقول تاجورة بوزن باكورة...والله يغمرنا و إياه بالرحمة
الناصري	193-181	215-202	آخر الجبل الذي لا نظير له...أما مع القصد الفاسد فلا يجوز.
الناصري	198-195[1]	217-215	أما السماع الذي فيه الوعظ...إلا من عصمة الله وقليل ماهم.
الناصري	203-200	223-220	لما كنا بروضة الشيخ... لم أكتب من الرسم الأصلي بل من رسم من تقل منه.
الناصري	213-211[2] بعدها تعليقات للورثيلاني	234-232	خذوا ماء خمسة أيام إلى مورد الزعفران...واعتمدنا على تلك الأقطاب والأبدال.
الناصري	214[3] بعده الورثيلاني	236-235	تورغا وهي بلدة منقطعة...ندتوة الملح
الناصري	215بعده للورثيلاني.	236	بعد السبخة بئر حسان...بئر مطراو
الناصري	224-216 تخلله كلام للورتيلاني	244-237	قرب الزعفران رأينا سانية..لاسيما المحراب
الناصري	233-232	249-248	ودرنة مدينة على ساحل البحر...على

[1]- تلخيص حديث الناصري ، حفاظه على المعنى و تغيير طفيف في اللفظ.

[2]- تتخللها فقرات صغيرة للورثيلاني.

[3]- بعدها فقرة للورثيلاني ثم يعود للاقتباس الحرفي .

			مزارعهم.
الناصري	256-243-	274-254	لولا فضل الله على الحجاج...كتوبة الخارج من المغضوب.
الناصري	267[1]-258	283-274	حضر مجلس شيخ الامام...ولكن فاتك الشنب
الناصري	269-267	290-287	أكثر العلماء مائلون...داعية الردع من الطالب
الناصري	281-272[2]	306-290	من أحسن ما رأيت من الأسئلة...المنعطف فوق الصعدة
الناصري	329-318	321-306	مررنا على واد به...وبتنا بسطح العقبة
الناصري	366-334	363-321	ثم ضغنا بكرو يوم الخميس...كما ورد في الحديث.
الناصري	404-389	388-367	الله أعلم بما نال...وجهه يوم يلقاه
الناصري	411-404	398-389	ذكر المشاهد التي ينبغي...صفاء طويته
الناصري	421-419	385-382	بلغت يا نفسي المنى...ممن أحسن من تابعيهم آمين.
الناصري	424-423	391-387	وردت إلى البيت...التي تزار في مكة.
الناصري	435-424	421-399	ذكر من لقيهم في الحرم...سيدي عيسى بن محمد الثعالبي.
الناصري	445-436	456-437	الأماكن التي ينبغي زيارتها بمكة...ضوءه المتفجر.
الناصري	446	459-458	قال أبو محمد الأندلسي...ذكرنا والله أعلم
الناصري	456-452	466-461	ذكر السمهودي أيضا...ذي الخليفة وبالمعرس أيضا انتهى
الناصري	463-[3]458	474-467	فركعنا بمصلى النبي...يتداوى بها
الناصري	476-463	491-474	وهناك بئر أخرى...ثنية الوداع

[1]- الكلام الذي بعده خاص بالورثيلاني يشرح كلمة الشنب .

[2]- اختصر بعض من كلام الناصري و حذف قصيدة.

[3]- كله مقتبس ماعدا فقرات حول ملازمته للمسجد وحضوره للصلاة في المسجد، ص 459،

الناصري	481-477	497-492	ذكر جبل أحد وما به...من ذلك مخرجا والله هو الموفق
الناصري	498-483	516-498	الأماكن التي ينبغي زيارتها في أحد...لا حلوة ولاقوه إلا بالله العلي العظيم
الناصري	506-502	532-528	أخبرنا الشيخ شهاب الدين...حذرا
الناصري	**523-506**	555 -536	من عادة اهل المدينة...رمضان بالمدينة
الناصري	528-523	562-556	ذكر بعض أودية المدينة...بين للوجه مرحلة
الناصري	533-531	603-601	بالجملة فأنا أقول...لا تعترث بأذيالي
الناصري	572-561	627-615	ذكر الإسكندرية وما بها...باقية إلى الان
الناصري	638-636	668-666	قال أبو سالم وأخبرني...أعاذنا الله منها
الناصري	649-645	675-670	تسمى كوطي بضم الكاف...مقرا عينا

الكتاب الثاني الذي اقتبس منه عقود الجمان في أخبار الزمان[1] في المواضع الآتية:

ص. 705-712	ورقة 254-258	اعلم أنه لا خلاف...ما كانوا يوعدون

الكتاب الثالث حسن المحاضرة في أخبار مصر[2]

572-598	نقول متفرقة	اختصر جلّ الكتاب

الأدلة السنية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية[3]:

مفاخر الدولة الحفصية	669-677	30-42	الباب الثاني في التعريف بمدينة تونس...يخرجون من بلادهم

هذه جملة من الاقتباسات الكبيرة التي ضمنها الورثيلاني إلى بعض أحاديثه ، بالإضافة إلى مصادر أخرى أخذها منها ككتب الفقه و التصوف التي حافظ على المعنى و كانت الصياغة بتعبيره الخاص ،فالمصادر التي بقيت لم نذكرها في الجدول أعلاه لكونها قليلة الاقتباس لا تصل إلى فقرة، ولم نرد أن نذكر محتوى الكلام

[1]-عبد الله الشاطبي، كتاب الجمّان في أخبار الزمّان، مخطوطة محفوظة مكتبة تشستربيتي دبلن. إيرلندا تحت رقم رقم 5009، ينظر الأوراق رقم 254-258، **الملحق رقم :13**.

[2]- جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح محمد ابو الفضيل ابراهيم،ج2،ط1،دار احياء الكتب العربية،مصر،1968.

[3]-أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشّماع، كتاب الأدلة السنية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، المصدر السابق،ص.30-42.

المنقول لاجتناب الإطناب وكثرة حشو الكلام، فأحلنا القارئ إلى المصادر والصفحات مما يسهل عليه اتباع محتوى النصوص المنقولة.

الكتاب المقتبس منه	عدد الصفحات المقتبسة	عدد صفحات رحلة الورثيلاني	عدد صفحات رحلة الورثيلاني الفعلية التي دونها دون احتساب الاقتباسات.
الرحلة الناصرية	308		
عقود الجمان...	08		
حسن المحاضرة..	27		
الأدلة السنية ...	09		
كتب أخرى	حوالي 05 لأنه اقتبس عديد القصائد		
المجموع	357	712	.355

10- تدوين الرحلة وأسلوبها:

10-1- تدوين الرحلة :اختلف الرحالة في تدوين رحلاتهم حسب الفترة الزمنية التي كُتبت وتقسم إلى أربعة أقسام، قسم دونت من المذكرات ويكون بعد العودة من السفر، وقسم من الذاكرة الاعتماد على مخيلته، والقسم الآخر دُون أثناء السفر والقسم الأخير دونها غير أصحابه يُكلف غيره عنها[1]. أين يمكن أن نصنف الورثيلاني ورحلته مع هذه الأنواع؟

لا يمكن لنا الوصول إلى معرفة طريقة تدوينها إلا بالاستعانة ببعض المصطلحات و القرائن التي تثبت ذلك أي التي ذكرها في الرحلة منها:

-يذكر في طريق الذهاب من مصر إلى مكة وفاة أمير زواوة محمد بن خثوش[2] بعدما أن ذكر جملة من أصدقائه فقال "وسيدي محمد بن خثوش رحمه الله"، وعند خروجه من مكة سيرد ويصف لنا موته وجنازته قائلا "أني وجدت رحل الفاضل الأديب الود الصدوق الخل الفاروق سيدي محمد بن القاضي الملقب بأبي وغثوش أمير زواوة راكبا في محفة مريضا مرض الإسهال، فلما وقع بصره عليّ...فأخبرونا بموت ابن القاضي المذكور فاجتمعنا لتجهيزه ليلا"[3]، فمن خلال هذا نجد أنه ذكر أمرا لم يحدث بعد فكان حدوثه بعد العودة

[1]- حول موضوع تقسيم منهج تدوين الرحلة، ينظر مراجعة مدخل البحث.

[2]- الورثيلاني ، الرحلة، المصدر السابق ،ص.379.

[3]-نفسه،ص.536،535.

ما يثبت أنه دون جزء منها بعد عودته، فحادثة وفاة أمير زواوة تثبت أن ذلك الجزء دونه بعد رجوعه من الرحلة، فلما دوّن هذا الجزء كان على عِلم بالأحداث كله وقد مرّت عليه.

-يذكر الذين رافقوه في سفره قائلا" الحرة الجليلة الشريفة الطالبة عويشة وتزوج ابني محمد أختها الفاضلة الجليلة العابدة فاطمة ماتتا في تونس رحمهما الله"[1]، هذا القول ذكره المؤلف في طريق العودة عند خروجه من مصر، والمعروف عن وفاة زوجته أنها توفيت في تونس عند الرجعة، فقد استبق الأحداث ما يثبت أن عملية التدوين كانت متأخرة مقارنة بتاريخ وقوع الأحداث.

- يذكر في طريق الذهاب من طرابلس إلى تاجوراء حادثة وفاة أمير زواوة محمد بن بوختوس بقوله "الشريف الفاضل الأجل محب الخير وأهله أمير زواوة سيدي محمد بنختوش رحمه الله اذ مات بعد رجوعنا من المدينة"[2] فهنا يؤكد مرة أخرى أن حادثة الوفاة وقعت في العودة وهو تحدث عنها في طريق الذهاب ، ما جعلنا نستنتج أن الرحلة بدأ في تدوينها عند وصوله إلى تونس و أتمها في بلدته بني ورثيلان.

- يُقر في أحد محطاته أنه كان يستريح و يقوم بتدوين بعضا من معلوماته أثناء وصوله قابس بتونس عند مسجد أبي لبابة توقف هناك و استغل الوقت في الكتابة مع الإملاء على بعض تلامذته قائلا" لاسيما أبي لبابة وقد زبرت شيئا من هذه الرحلة في مقامه اغتناما لبركته، فكنت أملي على بعض فضلاء جربة وعلمائها وهو يكتب وما قطعنا عن ذلك إلا أهل بلدنا أعني زواوة[3]".

- كثرة تكرار حديثه في كثير من المواطن، أحيانا يعيد نفس القصة و المشهد بين الذهاب والإياب، كحديثه عن قائد زنزور والشيخ عمورة ،فهذا ما يؤكد أنه لم يدون الرحلة جملة واحدة، بل كانت عبر فترات متقطعة[4].

- استعماله الكثير لأدوات الاستدراك، فكان يحدث عن مشهد ثم يتوقف وينتقل إلى مشهد آخر وبعدها يتدارك إلى المشهد مستعملا عبارات "انعطاف ما كنا بصدده".

---

[1]- نفسه،ص.602.

[2]-نفسه،ص.129.

[3]- نفسه، ص.655.

[4]-مختار فيلالي، المرجع السابق،ص.50.

-تسبيقه للأحداث قائلا: "من الينبع فإذا أنا في التغليس بعد صلاة الصبح في جماعة وما فاتتني ركعة والله أعلم في جماعة منذ خرجنا من بلادنا إلى أن رجعنا إلى بيوتنا وذلك مع الفضلاء[1]" في هذا الكلام يحدثنا عن حرصه على أداء صلاة الفجر مع الجماعة منذ بداية رحلته من بني ورثيلان غلى غاية عودته، فهذا الكلام قاله في طريق العودة بالينبع (بين الحجاز ومصر)، فقدم حكما شاملا على المسافة المتبقية من الينبع إلى بلده، ما يؤكد أيضا أنه دونها عند رجوعه.

من خلال بعض هذه المعطيات يمكن الوصول إلى بعض التخمينات أن الرحلة قام بتدوين بعضا من أجزائها أثناء الطريق مثلما فعل في تونس و في برقة لما زبر كتابا حول "برقة" وضاع منه، وعند وصوله إلى وطنه بدأ في إعادة صياغته و إضافة بعض المقاطع التي ترسخت في ذهنه، وعلى هذا فقد اعتمد على المذكرات و الذاكرة، بمعني أنّ الفصول التي كتبها في سيره خوفا من النسيان مع إضافة ما تعلق بذاكرته فقام بترتيبهم وهذا ما جعله يكثر من تكرار الأحداث، فالتدوين النهائي للرحلة كان ببلده بني ورثيلان وكان يُملي على جملة من التلاميذ.

10-2- منهج المؤلف في التدوين:

اعتمد الورثيلاني في تأليفه لرحلته على منهج القدامى من أهل الكتابة ،فقد سلك طريقهم كأمثال شيخه الرحالة الناصري و العياشي، فأكثر من السرد و الوصف الذي طغى على أحداث الرحلة، فهي رحلة حجازية نثرية تتخللها بعضا من القصائد الشعرية منها ما هو مقتبس و البعض الأخر لنفسه أنشده في مواضع الفراق والشوق، فأسلوبه واضح وبعيد عن التكلف متضمنا عبارات متداولة بين أهل العلم ويضيف في بعض الأحيان بعضا من التملقات اللفظية عند وصوله للحديث عن كبار المشايخ والمتصوفة[2]،فيطنب في ذكر صفاته الحميدة وخلقه الفضيلة ما يتعب القارئ و يمله أحيانا، فاهتم بتصوير المشاهد و الأثار والمدن والقرى فيرى أنه وجوب تذكير لناس بأن هذه الديار و البقاع كانت ذات يوم لدى أكابر القوم فهي عبرة لمن يعتبر و استخلاص الدروس. يعاب على الورثيلاني كثرة التكرار في كلامه، وان كان يبغض إعادة الكلام فنجده في عديد المواضع يُذكر القارئ أنّ تلك الحادثة أو الموضوع قد سبق ذكره و تناوله، لم يغنه تكرار المشاهد فقط بل تعدى إلى الاقتباسات الحرفية لعشرات النصوص مع الحفاظ على عناوينها وذكر حتى

[1] -الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.537.

[2] - عبد القادر بكاري، حسين الورثيلاني والكتابة التاريخية من خلال رحلته الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مجلد 8،عدد الأول، جامعة معسكر، جوان 2017،ص.51.

الأحداث الشخصية المتعلقة بصاحب النص المقتبس فهذا ما يجعل الالتباس و الغموض بين حديثه والحديث المنقول على الآخرين .

كثرة الاختصار في مواطن الوصف و الأخبار، فكثير من محطاته لم يسرد لنا شيء، فيذكر بقوله ضعنا إلى ثم خرجنا، فمنذ أن انطلق من بني ورثيلان إلى بسكرة في رحلته الداخلية الأولى لم يحدثنا عن شيء و الأمثلة كثيرة في النصوص، ما يحيل القارئ أن المؤلف قليل الاهتمام بذكر كل ما يشاهده و يراه خلافا لشيخه الناصري الذي جعل من مسار الطريق صورة واضحة للقارئ.

غلب الطابع الديني الصوفي على النص، والاعتماد شبه كلي على المفردات و المصطلحات الدينية و التركيز على المواضيع و المسائل الفقهية والصوفية، وهذا ليس بغريب أو مناف لفكر وثقافة المؤلف باعتباره صوفي ومتمسك بالعقيدة الإسلامية و منتميا إلى أهل العلم و الصلاح، ما جعله يهتم بذكر سير و مناقب العلماء و المتصوفة مستشهدا بكثير من النصوص القرآنية و الأحاديث الدينية و معتمدا على كثير من المصنفات النقلية، متجنبا الحديث عن الأمراء و الحكام بذكر تاريخهم و حكمهم.

انعدام الترتيب في الحديث، الترتيب الزماني أو المكاني للحديث، فنجده ينتقل من مكان إلى آخر ثم يعود للحديث عن المكان الأول مستدركا ما نسيه، و نفس الأمر عندما يتحدث بمن لقيهم في حجته الثالثة تجده ينتقل إلى الحديث عن من التقى في الحجات السابقة، و تتداخل النصوص بين أحاديثه و أحاديث غيره، إذ لم يراع في بعض من الأحيان ترتيب كرونولوجية الأحداث.

نصوص الرحلة تثبت أن الورثيلاني ذو ثقافة و مُطلع على العديد من العلوم و له باعٌ في العلوم الدينية من خلال ما أورده لنا من مناظراته العلمية، و كان صادقا في نقل الأحداث والمشاهد و النصوص أيضا فذكر أنه اقتبس ولم يُقْدم على سرقة أعمال الآخرين ،وذلك باستشهاده بنصوص القدامى و السابقين.

ثالثا: مضمون الرحلة

تعددت مضامين ومواضيع الرحلة فلم تشتمل على الوحدة الموضوعية للنّص، بل تشعبت وتكاثرت، فتناولت العديدَ من الجوانب والكثير من الأمور الشخصية والعامة، مما صعب عنْونة أقسامها، لتداخل كلام الرحالة والانتقال في أحاديثه ثم الرجوع إليها دون تسلسل الأحداث، فهي حقا موسوعة متعددة العلوم والثقافات، فلا يمكن لنا ذكر جميع ما تناوله من مادة مستقاة مما رآه أو نقله على غيره، فارتأينا تقسيمها إلى عدة جوانب والتي تشمل معظم مضمون الرحلة:

1- الجانب الجغرافي: اشتمل الجانب الجغرافي على العديد من المواضيع منها العمران، المدن ، البيئة ومختلف الشواهد والمناظر التي صادفته، حيث يتساءل القارئ ما الفائدة من ذكرها ووصفها ؟ إنما يذكر المدن والقرى وبيان أوصافها وذكر الفلوات والصحاري والأنهار والعيون وحسن بناء المدن و الأسوار والحوانيت والأسواق والأزقة و المساجد والصوامع وإتقانها ، فهذه الأمور تظهر للعيان أنها تعود بالنفع على صاحبها دون غيره وإن كان هذا ظاهريا ،وفي حقيقة الأمر هي الأصل في منهج الرحّالة فالنبي عليه الصلاة والسلام وصف ، فهي تُذكر الإنسان من سكن الأرض من قبلهم وما خلفوه وما كان نصيبهم منها[1]، لتكون عبرة من يعتبر من أهل الحاضر ويقتدي بغيره ،وقدّم لنا نظرة عن المسافات بين المواقع ومسالك الطرق والممرات وسبل اختيار الطريق فسهّل في تحديد صورة الأرض[2] أو ما يعرف بعلم الخرائط، فكانت له تجربة في وصف المدن الشهيرة التي مرّ عليها في طريقه منها قسنطينة، تونس، طرابلس، والقاهرة[3].

1-1- وصف العمران: ارتبط العمران عند الورثيلاني على حسب اهتماماته فطغى الجانب الديني على ذلك وليس بالغريب عنه، ففي وصف **عمران بسكرة** الديني والعسكري ،منها برج حامية العسكرية التركية قائلا" عظيمة البنيان والجامع الأعظم يدل على ذلك فإنه لا نظير له وصومعته ما أحسنها وما أوسعها ...وفيها برجان للترك عامران أحدهما في البلد والأخر خارجها[4]"عمران بسكرة يختلف عن بناء توزر وأن البناء بالآجر أفضل من الطوب ما يزيدها جمالا ورونقا، و يضاف إليها من الجبس والجير فتصبح أكثر اتقانا، وعمرانا **توزر** يعلو عمران بسكرة ارتفاعا وفي العرض فيه متسع من المساحة ،وهذا النمط ينطبق على المدارس

---

[1]- الحسين الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.142.

[2]- حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني،ط1،دار الهدى، عين مليلة،الجزائر،2008،ص.223.

[3]-Stefan Reichmuth ,The World of Murtada Al-Zabidi, op-cit.P.185.

[4]-الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.87.

والمساجد[1] فعلى العموم العمران **بتوزر** أفضل من عمران بسكرة ما جعل الورثيلاني يصف عمران أهل تونس أثناء عودته من حجته الثانية أنه لم يعهد بذلك العمران من قبل فهو بناء راق وواسع يذهل العقول ويريح النفوس ،أما عن طرابلس فعمران **الزوارة الغربية** مشيد غاية الإتقان والصلابة، فهو في الأصل يعود للنصارى إلى أن خرجوا منها واستقر بها أهلها فسكنوا ما تم تشييده[2]، يعد عمران الجنوب الجزائري أقل تشييدا واتقانا من عمران الشمال وهذا للطبيعة الجغرافية ومدى عراقة المدن، فمدينة قسنطينة تختلف اختلافا تاما عما وصفها في طريق الذهاب، فهي تضاهي في عمرانها مدن تونس و تقارب عمارة مصر، فبها ثلاث أبواب كبيرة عند المدخل الشرقي و بها مساجد في غاية الإتقان منها مسجد الباشا والذي يقارب مسجد طرابلس إن لم يكن نفس صانعهما فهو مشابه له في عمارته، وبها قصبة عظيمة وبها العديد من الأبراج والثغور والأسوار والحصون المتينة فهي مبنية في غاية الدقة والإتقان، يصعب على العدو اقتحامها فهي في الأصل مبنية على كهف وجرف عظيم[3].

في طرابلس شيّد العمران بمختلف أنواعه، ففيها الحمامات والرباطات ومثلها الأسواق والطرقات ويستعمل في البناء مادة الرخام التي تجلب من مدينة لبدة وهذه الأخيرة بها بنيان عظيم أبراجها الخارجية مبنية بالحجر في غاية الإتقان وقد بقيت منذ أزمنة بعيدة ولم تندثر ومرّ عليها عديد الحضارات فبقيت شامخة يعرفها الساعي على مد البصر لارتفاعها و تمايل أعمدة الرخام في وسط البحر وقد يكون من عوامل تآكلها ماء البحر المالح، والبناء شُيد في عهد الملك **دقيوس** الذي اهتم كثيرا بالبناء و العمران[4] وعمران طرابلس أعجب به كل من مرّ من المغرب إلى المشرق فهو أكثر صلابة وجمالا ورونقا من عمارة الجزائر وتونس، ومما شُيّد قنوات المياه التي تنقل الماء من الوادي إلى المدينة فبناؤها بالحجر الصلب المنحوت الذي يشبه الصوان في صلابته وقوته وجماله[5] ،**فبناء القطر الليبي** عامة يمتاز بالصّلابة وحكم الإتقان لاستعمالهم الحجر المستخرج من باطن الأرض ذو لون أسود يمكن أن يرجع إلى العهود السابقة واستعملها أقوام خلت لأنها تستخرج من باطن الأرض وهي منقوشة مزخرفة، ويستعملون الطين نادرا في مواقع الخزين، وفيه من الاتساع

---

[1]- نفسه،122.

[2]-نفسه،ص.130.

[3]- نفسه،ص.685-688.

[4]-نفسه،ص.182.

[5]-نفسه، ص.182،184.

أنه لا يمكن أن تحيط به في يوم كامل وهو بناء لا يكاد ينهدم[1]. ويصف لنا **أجدابيا** أنها من المدن العريقة لعراقة تاريخها وأحجارها التي ساهمت في تثبيتها ،فبها آثار من البناء الحجري الضخم المنحوت باليد وبها آثار رسم مسجد مُدوّن في إحدى أحجاره أنه بُني عام 300هـ وبها أسوار وأبراج ضخمة والبناء من الحجر والرخام وقد قيل أنها مدينة برقة[2]،وآثارها باقية وبها من الآبار المتفرقة التي تشهد على وجود الحياة بها.

قوة ملاحظة الورثيلاني لعمران المدن وقراها توصل به إلى إدراك مدى فترات اندثارها من خلال تفحصه للشواهد الأثرية و المعطيات التي توحي بذلك، فعند خروجه من أراضي برقة ، مرّ على آخر قراها وهي خراب ولم تعد آهلة منذ فترة وجيزة ،فحدثنا عن عمرانها الذي بقي شاهدا على أثر أهلها مجسدا ذلك في العمارة التي تبقت ،فقد قيل أنها آخر عمارة **برقة** وهي حديثة العهد بالخراب لأن أشجارها قائمة على أصولها لاسيما الزيتون وفيها آبار لا ماء فيها، وآثار بنيانها ظاهرة وأسوارها متطاولة، وأزقتها مشهورة وفي أسفلها وادي كبير يجري السيل إليه ومنه ساقية تتصل بتلك القرية عظيمة عند وجود الأمطار فليس شربهم واستقاؤهم إلا من ماء الأمطار المجتمعة[3]، فبهذا توصل الورثيلاني إلى وصف عمارة أهل برقة ومدى اهتمامهم بالبناء و الزخرفة وأهم المواد المستعملة في بنائها وأهم التقنيات التي اعتمدوا عليها في جمع وتوصيل المياه إلى المنازل.

في مصر ،انبهر بعمرانها و مبانيها فحدثنا كثيرا عن مزاراتها التاريخية و الحضارية ونقل كثيرا من المشاهد عن الرحلة الناصرية و سنكتفي بذكر ما رآه وشاهده بنفسه، فقال عند دخوله أن مصر وعمارتها إلى الآن أمر غريب وعجائبها في العلوم و المعارف والعوارف والولاية لا تحصى، ومن عجائبها في كل شيء أنك إذا رأيت شيئا عظيما ثم رأيت شيئا أعظم منه نسيت الأول ثم كذلك.

فمَشاهد مصر مختلفة و متعددة ومتنوعة ،ما جعلته غير قادر على الوصف فاعتمد على غيره، وعجائب ما فيها من البنيان والقصور والغرف والصهاريج والحمامات والأفران وعلو أسوارها وتزيينها بالنحاس والذهب والفضة، فبعض الديار إن كان أحد في طرفها والآخر في الطرف الأخر لا يسمع

[1]- الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق ،ص.214.

[2]-محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية، المصدر السابق،ص.245،ينظر الورثيلاني:ص.219،218.

[3]-الورثيلاني، المصدر السابق،ص.228.

كلامه[1]، ما يدل على اتساع المنازل ودقة بنائها ومتانة أسوارها وطول سمكها حتى الأصوات لا تتداخل إلى الغرف الأخرى، وأن عجائب مصر غير موجودة في المدن والأمصار الأخرى.

في الحجاز ،لم يحدثنا كثيرا عن العمارة في طريقه من مصر إلى مكة باعتبارها مناطق صحراوية رملية، فالعمارة منعدمة وإن وجدت عبارة عن بيوت صغيرة متناثرة أو بالأصح فهي أكواخ، جلهم من البدو الرحل يعتمدون على الخيم ،فكلما يدخل قرية يذكر بساتينها ونخيلها أما عمرانها فهو قليل وبسيط كبساطة العيش بها، فبداية العمارة وتشييد المنازل و العمران كان في "ينبع النخل" فأول بلاد الحجاز بالعمارة هو ينبع النخل وفيه قرى كثيرة ومزارع ونخل وعيون جارية[2]، فالبناء قليل ففي "خليص" على مشارف مكة تعد ساقية الماء المبنية بالحجر أعظم بناء ولا تجد أعظم منها[3]، ما يجعل الورثيلاني في كل محطاته بالحجار لا يصف العمران ما يثبت أن جلّ ما مرّ عليه لم تصل إلى مدى متانة وقوة عمران "خليص" وإن كانت هذه الأخيرة ليست فعلا بناء ينبهر منه المار مقارنة بعمارة مصر و ليبيا.

تجاهل الورثيلاني نوعا ما عن مشاهد المدينة وعمرانها و اكتفى بنقل ما دونه الناصري في رحلته، أما حديثه فاهتم بوصف عظمة المكان وهيبته النفسية وما ينشرح له الصدر وترتاح له النفس فلم يهتم بوصف العمران كما فعل في المدن والقرى التي مرّ عليها.

فالحجاز على العموم عمارتها بسيطة جدا فهي من الحيشان وهو فناء على محيطه جملة من أشجار النخيل أو سياج أو سور من الطين، ما جعله يهمل وصف العمران ماعدا بعضا من المساجد.

تونس عمرانها لا يختلف كثيرا عن مدن الجزائر، فمدن تونس لا سور لها منها **تستور**، أما مدينة **الكاف** فكان بها سور عظيم محكم البنيان حول المدينة مع الوقت انهدم في حرب الجزائر وبها قصبة عظيمة بها العسكر وآغا يحكم في البلد[4].

عن عمران قسنطينة بها سور كبير وعظيم ومدينة قوية لا بالكبيرة ولا بالصغيرة، وبها ثلاثة أبواب **القنطرة، الوادي، الجابية**، فالمصادر التاريخية تذكر لقسنطينة على الأقل ستة أبواب بالإضافة إلى باب

---

[1]-نفسه،ص.315،316.

[2]-نفسه،ص.374.

[3]-نفسه، ص.380.

[4]-نفسه،ص.683.

الجدي، الروّاح، الحنانشة فوظيفتها تحصين المدينة من الغرباء ومن هجمات الأعداء، تغلق ليلا و تفتح صباحا، وبها العديد من المساجد منها جامع سوق الغزل، جامع سيدي لخضر، جامع سيدي الكتاني[1]و الدكاكين ومساجدها في غاية الإتقان، وبها قصبة عظيمة وبنوا الأبراج و الأسوار والثغور[2]، فعلى العموم عمران قسنطينة يختلف عن بناء بسكرة و الجنوب الجزائري لاختلاف التضاريس و العوامل الطبيعية و البيئية، هذا وفي المقابل تتأسف و تتحسر على عدم اهتمام المغاربة و الجزائريين بالخصوص بالجانب العمراني فلا تكاد ترى مسجدا عظيما أنشئ حديثا وإن كان قديما فيعود لفترات سابقة بل ولو تهدم ترك آثار لا يرمم ولا يعاد بناؤه ولو أن مسجدا سقطا منه بعض البنيان وأحسن أحوالهم يكون مبني بالرخام يعاد بناؤه بآجر وحصى وإن كان من الحصى يعاد من الطين فتجد المسجد مرقعا كأنه مرقعة عندي فقير من كل لون رقعة[3]

1-2- وصف القرى والمدن و أهلها: من المشاهد الدالة على استعماله للمصادر المادية هو ذكره للمدن والقرى وما بها من مكونات وصفات، فكانت معظم أوصافه متقاربة ينحصر بين المجالين الاقتصادي والبيئي، مستذكرا ما بها من فواكه وخضر وبساتين إلى ما تزخر به من مياه وأودية ،فالوصف يزيد من قيمة الرحلة ويجعله مصدرا موثوقا ويعطى للقارئ نظرة عن البلدان وأوصافها فيزيل عنه الخوف ويبعده عن المخاطر، فيبني صورة عن ذلك المجتمع قبل الوصول إليه، فالشخص الذي يزور أماكن ولا يصفها ولا يحكي عنها فسيشك السامع في سفره ومغامراته، فمن أهم الأماكن التي وصفها لنا:

زمورة" كثيرة المياه وأرضها ذات زرع وضرع بلا اشتباه، طعامها جيد وسوقها عامر ومفيد، وفيها برج من النوبة للترك وهي كثيرة الشجر من زيتون وعنب وتين وكثيرة الفواكه إلا النخل والليم[4]" فدعّم وصف القرية الطبيعي بنوع من إنجازات النظام العثماني وهي الحامية العسكرية بالمنطقة ،ولم يتوقف في وصفه عند هذا الحد بل تعدى إلى إعطاء صورة عن الجانب التعليمي و الثقافي ، ومدى تمسك أهل البلدة بالدين الإسلامي و تطبيق تعاليمه، ولم يستثن في وصفه بعضا من القرى التي تواجدت بين قسنطينة و بلدته بني ورثيلان وهو مار بها في طريق العودة منها زمورة وبني يعلي فوصف الأولى أنها كثيرة الأرزاق، قوية الأنفاق، طويلة البنيان، كثيرة المياه بها مزارع وأهلها أهل شوكة وظلم وهي قرية مطمئنة يأتيها رزقها رغدا.

---

[1]-يحي أحمد، قسنطينة مدينة العلماء وحاضرة العلم، منشورات دار المعرفة،الجزائر،2016،ص.20،21.

[2]- الورثيلاني، المصدر السابق،ص.685،687.

[3]-عائشة دباح، الرحلة العلمية وتأثيرها على الوضع الثقافي في الجزائر في عهد الدايات-رحلة الحسين الورثيلاني أنموذجا- مجلة قضايا تاريخية، مخبر الدراسات التاريخية المعاصرة بالمدرسة العليا للأساتذة بوزريعة العدد 08، 2017،ص.56.

[4]-عبد الرحمان عزي، المرجع السابق،ص.85، ينظر الورثيلاني، المصدر السابق،ص.81.

عن وصف مدن الجنوب الجزائري، أنها تداخلت في عدة مواضع منها المنتوج الفلاحي ومواطن تواجد المياه، "**فقصر الطير**" وهي بادية من أحسن الأوطان وأكرمها، قل ألّا يكون فيه الخصب وعشبه أخضر ولو في الصيف والخريف وفيه مكان يقال له المرجة من حفر فيه مقدار ذراع وجد الماء عذبا سائغا شرابه وزرعه كثير، وخير هذا المكان مشهور ومنتشر وأهل الخير فيه كذلك غير أنهم من العامة، وأهل الخاصة فلا غرابة في حصول الخير منهم حاصله هذا الوطن ينبغي أن يكون مدينة[1]"، وقدّم وصفا سطحيا لبعض القرى التي مرّ في طريقه إلى الزيبان منها **بريكة** التي قال عنها" أنها أرض طيبة فيها نهر جار مثل النيل" منها دخل قرية **مدوكال** فقال فيها نخل ولم يكن في بلادنا نخل إلا فيها وكذلك الزاب وهي قرية كبيرة وبها جمعة وعين عظيمة عند رأس البلد وفيها تضع العرب أثقالها وهذه القرية طيبة أهلها فيهم الصلاح" و **بسكرة** التي تعد من أكبر المحطات فوصفها قائلا "كثيرة المياه بين خلات البيوت[2]، فكل باب عنده ساقية من الماء تجري من ماء حلو كالعسل ونخلها عظيم وغلتها كثيرة أيضا أي زرعها وكذا الفواكه خصوصا الزيتون فغنه كثير جدا، وبالجملة هذه أوصافها الحسنة التي لا تحصى[3].

مدينة قسنطينة هي من أهم قواعد الجزائر، فهي مدينة قوية ليست كبيرة جدا ولا صغيرة، حولها صور كبير و بها دكاكين و مساجد كثيرة حسنة التشييد، وبها عدة أسواق، أسعارها رخيصة و كثيرة الأرزاق، فهي بلدة طيبة يستحسنها المقيم والمسافر، فليست كثيرة الصفاء ولا بعيدة الجفاء، ولا قوية الوفاء، عامتها بين اعتقاد وانتقاد، فالسّب فيها كثير والقبح و اللعنة جار في أسواقها، فهذه المدينة كثيرة العلماء و الفقهاء والفضلاء غير أنها سريعة بأهل الفضل فمن ظهر فيها بالقبول والفضل إلا أسرعت بهلاكه إما لإساءة ظن أهلها فلا ينتفعون بمن ظهر فيهم أو لأنها كثيرة الملذوذات فقّل فيها أهل الفضل وأصحاب الخيرات[4].

في تونس، وصف الورثيلاني جملة من المدن والقرى وتقاسمت مضامين الوصف بعضا من المشاهد والتعابير، التي انساق وراءها في جميع المدن التي رآها ، التعابير تتكرّر وحتى المشاهد تتقارب، فقرية **الحامة** فيها نخل كثير ومياه عظيمة طيبة وفيها حمام يجري ماؤها في جميع أنحاء القرية وهو حار كأنه تحته نار عظيمة بحيث من أراد الاغتسال فيه لا يقدر على ذلك ،فيه بغتة لشدة سخونته وغير ذلك من أوصافها"، ومن

---

[1]- الحسين الورثيلاني، المصدر السابق،ص.83.

[2]-نفسه،ص.84،85.

[3]-نفسه،ص.87.

[4]- نفسه،ص.ص،686-689.

القرى التي وصفها أيضا في منطقة الجريد التونسي أثناء مرحلة الذهاب منطقة "**توزر**" وهي بلدة عظيمة من قواعد الجريد كثيرة النخل مع جودة تمرها إذ لا نظير له في سائر بلد الجريد، قوية المياه فيها أنهار وماؤها عذب ،و**نفطة** أيضا مدينة كبيرة قريبة من توزر ولها واد مثل واديها ويقال أن خراجها مثل ثلثي خراج توزر[1] ومنها إلى **حامة قابس** التي وصفها قائلا" وهي قرية ذات نخل وماء وفيها حمام من الله تعالى ساخن كأنه يغلي بالنار، فلا يستطيع أحد أن يدخله بغتة إلا بعد الألفة وفيه بيت يستر المغتسلين وخارجه نهر[2]"، هذا عن بعض القرى وقد نلاحظ أن هناك العديد من الأمور التي تتقاسم الوصف بين المدن و القرى التونسية والجزائرية، فالرحالة حافَظ على معايير وصفه وأبقى على نفس المعطيات مع تغيير طفيف.

في طريق عودته عرفنا أنه خالف طريق الذهاب، فأضاف لنا وصفا لبعض المدن الأخرى منها "**عرام**" التي قال فيها قرية طيبة ذات مياه عذبة ونخيل ومزارع وبساتين ،وبها مزارات كثيرة وروضات مبنية تراها كالنجوم في السماء[3] ومدينة **صفاقس** على شاطئ البحر وبها بساتين عظيمة وجنات كثيرة يستحليها الناظرون ويستحسنها المسافرون، جمعت بين البر والبحر تجتمع فيها الخيرات و تعم البركات وصنعة الكتان بها كثيرة[4] ومدينة **سوسة** بلدة طيبة قريبة من تونس لها سور عظيم وبنيانه جسيم وهي محكمة منضبطة على شاطئ البحر فيها مرسى مثل صفاقس، فهي واسعة البساتين كثيرة الفواكه طعامها جيد وخبزها طيب، واسعة الأرزاق، حلوة المذاق، تصلح أن تكون قاعدة للملك فهي ظريفة شريفة، طيبة منيفة، فهي محل الصالحين والعلماء والأولياء[5].

مدينة تونس، أطنب في الحديث فيها، فأجاد الوصف وأثنى على من يستحق ذلك فأبغض على من أفسد بها فوصفها بعديد الأوصاف فأجملها في قوله" تونس خيرها عظيم، وحالها كريم ووصفها نعيم، وطبعها نسيم، حلوة المذاق ،عزيزة الفراق، كثيرة الاشتياق، قوية الأسواق، ممدودة الأرفاق، واسعة الأنفاق، جالبة الأرزاق، كثيرة الفواكه في جميع الأوقات بلا كلفة ولا مشاق، جامعة لأجناس الخلائق، فيها جميع الأصناف من أهل الحقائق، روضة للمطيع والعاصي...كريمة للكرماء، طيبة لذوي الخشية من العلماء، مهلكة للفسقة

---

[1]-نفسه،ص.122،123.

[2]- نفسه،ص.127.

[3]-نفسه،ص.652.

[4]-نفسه،ص.657.

[5]-نفسه،ص.657،658.

والظلمة[1] ...فترى أهل العلم يتزاحمون ويتراكمون لديهم فيستمعون الإشارة منهم فضلا عن العبارة لديهم وقد شاهدت منهم أمرا عظيما.

تستور قرية عظيمة تقرب من المدن الصغار، أهلها أهل سرّ واعتبار، وكرم وعزّ واقتدار، وفرح وسرور ،لا سور بها ذات بساتين ومزارع كثيرة وفواكهها قليلة الجود فلا نظير لها أبدا فمن رآها استعظمها وتعجب منها يستحليها الناظر ويتمناها المقيم والمسافر ، تجاورها قرية **تبرسق** فهي مثلها كثيرة البساتين و الفواكه وبها العديد من المزارع فيها اكبر الأسواق يقصده البعيد و القريب ، وعن أهم مدن تونس الغربية منها **الكاف** ،الكاف مدينة متوسطة ليست كبيرة جدا ولا صغيرة، ذات مزارع كثيرة فيها حد مدائن تونس ولا مدينة بعدها، فكان بهذه المدينة سور عظيم محكم البنيان وفيها قصبة عظيمة فقد تهدم فيم وقع بين تونس والجزائر فهدمه حاكم ولاية الجزائر[2].

طرابلس ليبيا، توقف الورثيلاني في عدد مدن ليبيا، لما له من شعبية في الأوساط العامة و الخاصة لدى الحكام والسلاطين، فمكث مدة من الزمن ووصف لنا ما رآه عن مسلاتة ولبدة، مسراتة، أجدابيا، برقة ،بن غازي، تاجوراء، التميمي، طرابلس فهذه أهم المناطق في القطر الليبي ، فقبل دخوله طرابلس وصف لنا طريقه أثناء مروره على الزاوية الغربية فقال عنها كثيرة النخل قوية العمارة بها أفاضل وعلماء وعبّاد وزهّاد معلومة بأهل الصلاح وعلى ضواحيها توجد مدينة **زواغة** التي كانت في احدى الفترات التاريخية القديمة من أعظم مدن طرابلس ،بل هي أصل طرابلس وبها كان ملكها و طرابلس كانت عامرة بالنصارى، بعدما أن خرج النصارى دخلها أهل زواغة (توزغ) فحلت محل هذه الأخيرة[3] و**طرابلس** هذه المدينة وإن نقصت حسا أما الآن فلا يوجد فيها إلا حمامان وكذا الرباط فيها ومثلها الأسواق غير أنها لم تنقص معنى فإن خيرها كثير ونورها جدير، وبها فرقا من أهل الخير والدين من طلبة العلم وغيرهم[4]فخصها الله بكثرة الصالحين ومحبة أهل الخير، حتى أنهم لا يصبرون عليهم فإذا شموا رائحة المعرفة عند أحد سعوا إليه بالإحسان، فنفوس أهل طرابلس متعطشة للعلم كنفوس أهل **مصراتة** ففيها الكثير من الصلحاء والأولياء وفيهم الخير والرخاء

[1]- نفسه،ص.669.

[2]-نفسه،ص –ص، 681-683.

[3]- نفسه،ص.130.

[4]-نفسه،ص.154.

والصّلاح والطيبة، فقلة الإنفاق على تدريس العلوم أدى إلى انتشار الجهل في البلدة لصعوبة المعيشة فانتشر الفقر وكثر الجد والسعي[1].

وفي طريقه من الصحراء إلى الساحل دخل **ساحل حامدة** فوصفه أنها بلدة طيبة ذات زيتون ونخل وعمارة ،يبدو حسنها للرائي وهي في رأي العين لا نظير لها لكثرة مائها واتساع أرضها مع استوائها وجودة ترابها فبساتينها روضة من الرياض مجدولة جداويل مع استواء بيوتها وتحسين أضلاعها فإن المرء إن وصلها زال عنه الهمّ والنكد، لأن رؤية الخضرة والبحر والوجه الحسن تزيل الهم عن القلب وتفرج الغمّ عن الصدر[2]، وفي طريق العودة وصف **مدينة بنغازي** أنها مدينة طيبة بها مرسى وبها سبخة وبساتين ومزارع، فالأسعار بها غالية والحروب والاقتتال بين القبائل كثير[3].

مدينة **اجدابيا** فهي من المدن العريقة والأثرية كما أسلفنا الذكر في الحديث عن عمرانها التاريخي والأثري فماذا عن وصفها الطبيعي؟ قال الورثيلاني بها آبار متفرقة كثرة المياه أرضها طيبة أحسن الأرضيين فيها خصب وزرعها طيب لا نظير له فما علمت [4]وتاريخ هذه المدينة عريق جد.

في مصر بدأ وصفه بأولى الأماكن التي مرّ عليها وهي واد الرهبان و الذي أخبرنا أنّ بهذه المنطقة توجد كنيسة و يتعبد بها مجموعة من الرهبان المسيحين وأغلب الظن يكونوا من الأقباط لتودد علاقاتهم مع مصر ويؤثرون الزيارة إليها و يستعلمون عن أخبار مصر، فهو واد عظيم طويل فيه قصور للعبّاد من

النصارى ينعزلون بها لعبادة أصنامهم[5] ويتلقون صداقات ونذرا من أهل الذمة النصارى بمصر.

وصف مصر وأهلها اكتفى الورثيلاني في كثير من المواطن بالاقتباس من الرحلة الناصرية و هذا الأخير سلك نفس منهج الورثيلاني فاقتبس من الرحالة العياشي فنجد نفس الفقرات و النصوص تتكرر بين

---

[1]-مروان العطية، منهج الورثيلاني في رحلته إلى مصر والحجار، أعمال الملتقى حول الرحالة العرب والمسلمين، اكتشاف الذات والآخر الموسومة الشرق والغرب في مدونات الرحالة العرب والمسلمين، دورة الجزائر،2005. دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارت العربية المتحدة،2005،ص.267.

[2]- الحسين الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.179.

[3]-نفسه،ص.611.

[4]-نفسه،ص.615.

[5]- نفسه،ص.242، للمزيد من المعلومات عن وصف الوادي ينظر إلى الرحلة العياشية ،ص.255، ونقله الورثيلاني أيضا في الصفحة 243

الرحالة، فالورثيلاني في هذه المحطة لم يضف الكثير للقارئ و المسافر فجل ما ذكره فهو مقتبس و ما يثبت ذلك عدد الصفحات التي اقتبسها.

فوصف لنا العديد من المدن منها القاهرة والإسكندرية و واد النيل أيضا و اهتم كثيرا بالمؤسسات الدينية منها المساجد ومراكز التعليم فقدم أوصافا عن مسجد عمرو بن العاص، مسجد موسى عليه السلام، مسجد سليمان عليه السلام، مسجد ذي القرنين ومسجد الخضير عليهم السلام[1] مستذكرا تاريخ مصر القديم و حضارته الضاربة في التاريخ و التي بقيت آثارها شاهدة على ذلك، فالتعريف الشامل الذي لخص فيه وصف مصر عامة قوله "أمر مصر غريب وعجيب في كل الأصناف والأنواع والأجناس مهما رأيت جنسا فيها إلا قلت أن هذا الجنس هو الذي في مصر، إذا رأيت العلماء قلت لا جاهل بمصر وإذا رأيت الأغنياء قلت لا فقير وإذا رأيت الأشياخ وأصحاب الأوراد هم أهلها وكذا الصنائع والحرف فما وردت قوما أو سوقا أو نزاهة إلا قلت أهل مصر موجودون فيه فهذا من عجائب مصر، فإن كل ما رآه العبد إلا قال هذا هو الموجود فيها لأن مصر تغني عن الغير ولا يُستغنى الغير عنها فهي رحمة لأهل التقوى ونقمة لغيره فهي مدينة الأنبياء والصحابة و التابعين والعلم وأهله...فكل بلدة ربما انقطع بها الدواء إلا مصر فإن دواءها دائم الاتصال وكذا عللها دائمة الوصال فليتعجب منها المتعجبون كيف لا ؟و قد ذكرت في القرآن، يحسبها المتأمل أنها جنة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ،فإن أرزاقها أكثر من خلقها ومع كثرة أرزاقها أنه من سدّ عليه الباب في الرزق يدور الأسواق والدكاكين والوكالات والمساجد فلا يجد لقمة يطعم به نفسه وغيرها من عجائبها[2]

قلّ وصف الورثيلاني و يمكن القول أنه انعدم إطلاقا عن وصف القرى و المدن منذ **خروجه من مصر**، فالمدقق للخريطة الجغرافية في تلك الفترة و القارئ لكتب الجغرافيا و المسالك تبين انعدام العمارة في تلك الصحاري والأراضي حتى مشاف المدينة المنورة أين تظهر بعض من معالم العمارة و المدينة، ما جعل الورثيلاني و حتى غيره من الرحالة الذين سبقوه يمتنعون عن وصف هذه الرقعة الجغرافية الواسعة، فكل ما قدمه إذ وصف لنا العديد من الأودية والشعاب و المسالك الصعبة و بعضا من الخيام التي أقيمت على ضفاف تلك الأودية فيذكر عند وصوله لبندر المويلح أنه بندر عظيم كثير الأرزاق وبه أسواق كبيره وفيه ما لا يحصى من أنواع النبات والأطعمة والملابس المزخرفة والطبائخ المتنوعة وعلف الدواب كثير ،وفيه مرسى قوية

[1]–عبد المجيد بوجلة، رحلة الورثيلاني إلى مصر، أعمال الملتقى حول الرحالة العرب والمسلمين، اكتشاف الذات والآخر الموسومة الشرق والغرب في مدونات الرحالة العرب والمسلمين، دورة الجزائر،2005. دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارت العربية المتحدة،2005،ص،262،261.

[2]– الورثيلاني، الرحلة ، المصدر السابق ،ص.560،561.

النفع وأن هذا البندر أعظم بنادر الدرب نفعا وأرعها لقضاء الحاجة [1] فيه آبار عظيمة ومياه متفرقة وبه نخل كبير وبساتين متعددة وكذا زروع لا تحصى وهو حصن قوي عامر بالعسكر وبالبيوت الكثيرة والديار العديدة، ومن بعض الأماكن التي وصفها في طريقه إلى الحجاز والتي أقام بها مدة من الزمن مغار شعيب بها نخل عظيم وغيضة كبيرة و ماء غزير وبها بعض من الخصب للدواب والإبل وبه بيت يرتاح فيه الحجاج[2] وبقي ركب الجزائر به ليلة و أتموا السفر فكأنه محطة للراحة فلمْ يذْكر أنّ به عمارة أو أنها آهلة بالسكان.

على مشارف مكة المكرمة يتهيأ الحجاج ويغتسلون بواد **رابغ** وهي قرية عظيمة كثيرة المزارع والمقاثي والنخل والمياه وسوقها عظيمة وفيها النعال إلا أنها غالية الثمن [3]وبها العديد من البيوت يرتاح فيها الحجاج لتحضير أنفسهم لتأدية مناسك الحج بدء بغسل أبدانهم و ثيابهم.

فالقرية الوحيدة التي توقف في وصفها الورثيلاني قليلا لما بها من عمارة متواضعة إذا قارنها بعمارة مصر هي "**خليص**" فقال أنها بها مزارع ومقاثي وبساتين وأكثرها الدخن وبها بركة عظيمة عميقة يغرق من لا يحسن السباحة وبها عين جارية قوية وبها لا يكاد الإنسان يحزن فما أعذبها من قرية و ما أحلاها من منزلة [4]،أما غيرها في الحجاز عامة فهي عبارة عن حيشان وقهاوي وفواكه تباع ولا ماء فيها ومنها "قديد"[5].

1-3- وصف البيئة :تعد البيئة الجغرافية من أهم العوامل التي يتخوف منها المسافر و الحاج بالخصوص المتوجهين إلى الحجاز برّا، فهذا الأمر جعل الورثيلاني يهتم بهذا الأمر كثيرا لإدراكه خطورته ووجوب الحذر منه نتيجة الطبيعة الجغرافية للطريق فجله صحراء قاحلة فيوجب اتباع خريطة طريق تسهل للحاج بالخصوص للوصول إلى الحجاز، فيحذر الحجاج من بعض المسالك الصعبة التي توفي بها العديد من المسافرين لعدة أسباب منها ندرة المياه بل انعدامه في بعض المناطق ،ما تؤرق المتنقل و تجبره على تغيير المسالك و البحث عن الأمان و من جهة أخرى وضّح بعض الصعوبات الأخرى التي يلاقيها الحجاج كالزوابع الرملية، البرد القارس، الحرّ الشديد، و المسالك الوعرة منها البرية والبحرية كقطع الوادي و السبخات المنتشرة عبر مسار الرحلة ، فيتوجب الحذر منها و من أهم المواضيع التي تطرق إليها و تخص البيئة الجغرافية:

---

[1]- الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.370.

[2]-نفسه،ص.369.

[3]- نفسه،ص.387.

[4]-نفسه،ص.379.

[5]- نفسه،ص.380.

المياه: أكبر عائق يتحداه المتنقل هو العطش في الصحراء و تختلف درجة الصعوبة باختلاف طبيعة المورد الذي يتحصل عليه، فأحيانا يجد ماءا مالحا و أخرى ينعدم إطلاقا وتارة يكون عذبا و من المقاطع التي أخبرنا عنها منها منطقة السروال ببرقة و التي تمتد مسافة السير لسبعة أيام دون العثور على أي مورد للمياه مما يتوجب أخذ الاحتياط و الاستزادة أو انتظار ما تمطره السماء من ماء [1]بل يتعدى الأمر إلى الاقتتال على الماء ففي ضواحي نفطة غار عليهم جماعة من أهل نفزاوة على ما يبدوا فوصفهم بالخوارج وأعداء الله والرسول والنظام فغاروا عليهم على منابع الماء ومنعوهم من الاستسقاء وفي الأخير تغلبوا عليهم الحجاج فسبب الحرب التي اندلعت من الصباح إلى غاية العصر بسبب الماء لندرته في المنطقة[2] وان كان للمتصوفة ولأهل الكشوفات و الأحوال بعض الكرامات تخصهم في مسألة الجوع و العطش فثقتهم بالله جعله يسخر لهم ما يطلبون[3] و ما يستحقونه وقت الضراء منها انفجار العيون و المياه بعد ضرب الأرض بالعصا وغيرها من الكرامات.

عرّف لنا ببعض المناطق التي تعارف الرحّالة عنها و هي منطقة معطن الزعفران فلا يجد المرء المياه الصالحة لشرب على مسافة خمسة أيام فأخذ الماء يكون في ضواحي مسراتة و في منطقة سيدي زروق على حسب مدة مقدار خمسة أيام على الأقل حسب طبيعة مشي القافلة فالماء الموجود في تلك المنطقة جلّه مالح أو مرّ فيضر بصحة شاربه وهو أقبح المياه[4] ، فيعد مقطع الكبريت من أخطر المسالك فقلما ينجو عابره إذ جمع بين الحرّ الشديد و انعدام المياه وحرّ الرمال وتغيّر الهواء بها ،ما يُضعف العزيمة ويفشل البدن وينهك الجسم[5].

مواطن الماء العذب والمالح: تعد طرابلس والحجاز من أصعب المراحل في التنقّل لقلّة المياه بها وطول مسافة الصحراء ونقص العمران فصنّف أنواع الماء ببرقة فماء الزعفران، النعيم، الأحمر، المنعم، الطرقاوي، من أطيب المياه وأحلاها ،أما أجدابيا فهو متباين بين العذوبة والملوحة غير أنه إلى الحلاوة اقرب عكس ماء

---

[1]-Hadj Sadok(M), Op.cit. P.345.

[2]- الحسين الورثيلاني، المصدر السابق،ص.120،121.

[3] -Halima Ferhat, Frugalité soufie et banquets de zaouyas : l'éclairage des sources hagiographiques, revue Médiévales « cultures et nourritures de l'occident musulman », N33, Paris. Automne1997.P.73,74.

[4]- الورثيلاني، الرحلة ، المصدر السابق ،ص.211.

[5]-نفسه،ص.217.

التميمي وسلوك فيميلان إلى الملوحة ، وتقل درجة حلاوة المياه من منبع إلى آخر فماء جربوب أقل حلاوة من ماء الطرقاوي وماء المدار ليس طيب جدا وماء الجميمة دونه وأقبح المياه ماء الشمامة فيشوي الوجوه ماعدا بئر واحدة صالحة للشرب[1] ،أما منطقة عجرود توجد بها بعض من المياه العذبة ونفس الأمر في الدار الحمراء غير أنها موسمية الفصل ويكثر الناس عليها ومواردها ضئيل [2]و منبعها قليل التدفق فلا يمكن الاعتماد عليه ،وفي منطقة الحجاز ببئر الصعاليك يوجد بئر ماءه بارد مثل الثلج إلّا أنه ليس عذبا و يمكن شربه في حالة العطش الشديد .

عبور السبخة والوديان : من المظاهر الجغرافية نجد الوديان والسبخات المائية التي تكون مياهها راكدة بعكس الوديان التي تكون متحركة، ما يزيد للمسافر عناء العبور مع الأثقال و البهائم من أشدهما سبخة بعد" المنعم" وهي كبيرة جدا وفي قاعها الوحل يغرق الكثير ممن لا يعرف كي ينجو بنفسه فوجب اتباع خبير[3]أو ذوي خبره و في غالب الأحيان قاع السبخة يكون وحلا يلتصق بالأرجل مما يصعب المشي و أثناء الضعف تبتلعه التربة المتوحلة فغالبا ما تضيع البهائم هناك ومن السبخات التي ضاعت منها الأحمال ومرّت القافلة بعسر شديد بل حتى ظنّ الجميع أنهم سيهلكون وتقع هذه السبخة بين توزر و الحامة بقابس [4] بالإقليم التونسي.

وعن تجربة الورثيلاني في تنقّلاته العديد و في مختلف الفصول، ففصل الشتاء والبرد معروف بغزارة الأمطار ما تجعل السبخات ممتلئة فتكون صعبة العبور، و من جهة أخرى يتبادر إلى ذهن المسافر أن التنقّل في فصل الصيف يكون الأمر سهلا و عكس ذلك في الواقع فيخبرنا الورثيلاني أن السبخة تكون صعبة في وقت الحر بعد أن يجف ماؤها تصبح أرضها جد ساخنة و قوة الهواء بها و انعدام المياه العذبة فهذا حالها عند المغرب [5] وما أدرى بالأمر وقت الظهيرة؟ تقع هذه السبخة بين منطقتي التيه و العقبة، فلهذا وجب سلك مسالك سهلة والابتعاد قدر الإمكان عن السبخات.

---

[1]-نفسه،ص.242.

[2]-نفسه،ص،318.

[3]-نفسه،ص.219.

[4]-نفسه،ص.127.

[5]-نفسه،ص.550.

الحرارة والبرد : من العوامل المؤثرة في الطبيعة الصحراوية على العموم عاملي الحرارة والبرودة، مما يؤثران على حركة السير وتحرّك القافلة، فالرمل يكتسب الحرارة و يفقدها بسرعة ففي النهار يكون حارّا و في الليل يفتقدها و يتحول إلى برد فيصبح الهواء باردا جدا، فعلى مشارف مكة المكرمة عند ضفة الوادي حرّ شديد وكأن الشمس ارتطمت بالأرض من شدة قوتها حتى انسلخ الجلد عن العظم حيث لا يستطيع الفرد الوصول إلى الماء أو الخروج إطلاقا، ومن شدة الحر غطى الجميع رؤوسهم وهم في فترة الإحرام لتعسر الأمر فأفاضل الركب و شيخها غطى رأسه فبقي الجميع مغطى الرؤوس إلى غاية منطقة "قديد"[1].

من الظواهر الطبيعة التي تصادف المسافر إلى الحجاز في منطقة "وادي النار" فاسمه يغني عن التعبير على ذلك ،فيحدث انحباس للهواء نتيجة وقوع المنطقة بين جبلين فيسد دخول الهواء، فهو وادي كبير جدا منخفض و ينطبق عليه جبلان ضخمان فينعكس الريح إلى الوراء وتحدث الحرارة والسموم في الهواء فينشأ الهلاك هناك ومع افتقار المنطقة للماء يولد العطش مع الحرارة الكبيرة فيموت المارّون على المكان وقد نفذ لهم الماء في الرجعة لولا منّ أحد الأعراب عليهم بالماء البارد[2].

مسالك الوعرة: تواجه المسافر في قفار الصحراء مسالك صعبة ما تؤرق تنقله منها الكثبان الرملية المنتشرة بكثرة في الصحراء الكبرى ففي منطقة السبخة الذي له أحمال كثيرة و غير قادر على اجتيازها وجب عليه الالتفاف حوله والمرور على جبال من الرمال يصعب على الفرد النجاة هناك وفيها تتشتت القافلة فينجو من نجى و يبقى البقية هناك عالقين و تائهين ، ومن المسالك الحجرية التي تعيق مشي البهائم كثيرة الحجر و المنحدرات بها لوجود مضائق ضيقة بين الجبال فمن "بندر الأزلم" إلى غاية "سبيل عنتر" كلها طريق حجرية منهكة للبشر ، فالطريق الرملي صعب مهلك للجمال فكثيرا ما يلجؤون إلى تفريغ حمولتهم أو إلقائها مع الحجاج الذين اختاروا السفر عبر البحر ليخفّفوا على الجمال و على أنفسهم و منهم من يلجأ إلى تقديمها لدِير خاصة مهمتها استلام الأمتعة وحفظها وعند العودة يستلمونها فهي محطات للراحة و ترك الأمتعة بأجرة معلومة[3]،ومن أصعب المناطق الذي يتوخى الحذر منها منطقة التيه واسمها دال على ذلك فلا عمران ولا ماء بها صحراء لمسيرة أيام عديدة.

---

[1] -Hadj Sadok(M), Op.cit. P.344.

[2] -الورثيلاني،ص.373، للمزيد حول مسألة الحر والبرد في الطريق ينظر الرحلة الناصرية ، فالورثيلاني اقتبس كثير من المقاطع بها، فارتأينا تدوين ما دونه شخصية دون ما أخذه عن غيره، ينظر أيضا: أحمد ظريف، المرجع السابق،ص.62،63.

[3] - نفسه،ص.371،372.

1-4- الحدود الجغرافية: ما يدعم صحة الرحّالة أثناء تدوينه للرحلة ذكر المسافات والحدود وأسماء الأماكن والأودية وصفاتها، حقا كل هذه الصفات موجودة في هذه الرحلة ما يثبت فعلا أنه صادقا في كلامه ومعبرا عن ما رآه بعينه وما بما مرّ عليه، فوضح لنا بعضا من المسافات بين الأمصار وفصل في عدة نقاط بين حدود الإيالات العثمانية، فمدينة الكاف التونسية هي الفصل بين تونس والجزائر لأن قاعدة الملك مدينة الجزائر وقاعدة الملك تونس ،تكاد تونس تكون تحت ولاية الجزائر [1]،فلا مدينة بعد مدينة الكاف و قسنطينة من عمالة الجزائر.

في موضع آخر قدم لنا الحدود الفاصلة بين عمالة طرابلس ومصر، فوادي الرهبان هو الفاصل بينهم فتعد قلعة وادي الرهبان آخر محطات طرابلس[2]، فأغلب الظن انه تابع لطرابلس وانما ذكر الورثيلاني أن معاملات الرهبان مع نصارى مصر كون أن مصر بها الكثير من النصارى وهم الأقباط الذين يقدمون لهم الصدقات وبحكم قلة أو شبه انعدام النصارى في طرابلس ما جعل هؤلاء الرهبان يتعاملون مع مسيحي مصر.

عن الحدود الفاصلة بين عمالة تونس و طرابلس نجد منطقتي "النوائل ورغمة" فرغمة منتهى حدود تونس الشرقية و النوائل منتهى حدود طرابلس الغربية[3] ،فكثيرا ما تقع الصراعات والحروب بين القبيلتين ما يجعل الحدود غير ثابتة قابلة للتغير حسب مجرى الحروب.

توجد بعض القرى والقبائل الحدودية الواقعة بين الجزائر وتونس لا تخضع لحكم بايات تونس ولا دايات قسنطينة واستغلت هذا الفراغ السياسي في عدم الضرائب لأحدى الأنظمة السياسية ما جعلها منطقة حروب وصراعات منها النمامشة والحنانشة[4].

1-5- تقدير المسافات : وضحّ الورثيلاني المسافات وقدم لنا معلومات عن طريقة السير في البوادي والصحاري، فطريقة مشي الركب الفاسي أسرع من الجزائري إلا أنه ثقيل التحرك أي عندما يمكث للراحة يطيل المدة مقارنة بالجزائري، والركب المصري يمشي في الليل خلافا للمغربي الذي يمشي في النهار، فقياس المسافات تختلف باختلاف طبيعة مشي الركب، فحسب الركب الجزائري فطول المسافة من مصراتة بليبيا إلى

---

[1]- نفسه،ص.683.

[2]-Hadj Sadok(M), Op.cit. P.330..للمزيد حول الموضوع ينظر: الورثيلاني، المصدر السابق ،ص

[3]- الورثيلاني، المصدر السابق،ص.651.

[4]-Jean(M),L'aures ou le mythe de la montagne rebelle ,Ed l Harmattan .Paris.1992.P.109

وادي النيل تكون في حدود 48الى 49 يوم ، فمن سيدي أحمد زروق إلى الزعفران خمسة أيام ومنه إلى النعيم يومان ومنها إلى المنعم خمسة أيام أو صبحة السادس ومنه إلى أجدابية ثلاثة أيام غير تامة ومنه إلى سلوك يومان ونصف (مع عشية الثالث) ومنه إلى التميمي سبعة أيام ومنه إلى مقرب خمسة أيام مع صبيحة السادس ومنه إلى المدار أربعة أيام أو خمسة ومنه إلى الشمامة أربعة أيام ومنها إلى وادي الرهبان ثلاثة أيام ومنه إلى أرياف مصر(كرداسة أو المنصورة) يومان ومنه إلى المنشية عبر شاطئ وادي النيل إلى بولاق عبر عبور النيل بالزورق[1]، وفي موضع آخر يخبرنا عن مدة السير بين الزوارات الليبية إلى قابس التونسية بحوالي خمسة أيام إلى ستة وفي مواضع أخرى يقدر المسافة بالميل ليس بعدد الأيام فمن الزاوية الغربية إلى زنزور حوالي 12 ميلا[2].

2- الجانب الاجتماعي : بحكم ثقافة الحسين الورثيلاني الدينية العلمية ومعرفته بأمور الحياة وخبرته الطويلة في السفر والترحال، مكنته من إعطاء نظرة دقيقة عن حالة المجتمع العربي الإسلامي في هذه الفترة و ذلك من خلال اختلاطه بالعامة ، العلماء، الحكام و مجاورته لمختلف المرافق العامة من الدكاكين، الأسواق، المدارس، المساجد، فجسد لنا ما رآه وما سمعه من أهل البلاد العربية ،فتناول الظواهر الاجتماعية كحتمية للنظام القائم والذي اشمئز منه كثيرا ما جعله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ،وأنها ضرورة دينية واجتماعية وخُلقية وجب الاتّصاف بها والعمل على إصلاح الأوضاع الاجتماعية التي ظهرت بها مختلف الآفات والأمراض ، فالورثيلاني كان حريصا على الخلق الاجتماعية أكثر من الوضع المعيشي المرتبط كثيرا بالوضع الاجتماعي، ففي نظره أن صلاح الفرد و تمكنه من السيطرة على قيوده واتباعه لمنهج الدين الصحيح يؤدي إلى تحسين الوضع المعيشي والصحي والقضاء عن الأمراض التي تتولد منها. فمن أهم المظاهر التي عرّج عليها وتناولها بكثب مسألة الفساد الديني والخلقي والظلم الاجتماعي بمختلف أصنافه و أنواعه من اختلاط النساء بالرجال ،كثرة القتل والحروب بين الأعراش والقبائل ،وعن الصفات السيئة منها الخبث ، الحسد ،هتك الأعراض، الزنا، الرشوة ،الوشاية، العري، السحر والشعوذة وقد حارب كل هذه الصفات ودعا إلى الإصلاح والصلح قدر الإمكان ،فتأسف كثيرا لما كان يقع في وطنه الجزائر و كثيرا ما راودته فكرة البقاء في مجاورة بين

[1] -الورثيلاني، المصدر السابق،ص.242، ضريح سيدي احمد زروق البرنوسي الفاسي يقع في مصراتة ، فحدد الجانب الجغرافي جيدا، فعلى العموم طول المدة حسب الركب الجزائري لا تتجاوز خمسين يوما ولا تقل عن 46 يوما.

[2] - نفسه،ص.130.

الله وكذا في عديد من الأمصار منها تونس ومصر إلا أنه أبى وآثر الرجوع لوطنه لما كان من دور في تمتين الروابط والقضاء على المظاهر السلبية للمجتمع ووجوب بقائه مع أبناء بلده لحاجتهم إليهم .

2-1- الفساد الديني :أبدى الشيخ الحسين الورثيلاني تأسفا كبيرا لما يحدث بوطنه الجزائر ،فلم يسلم المجتمع الجزائري عامة من الممارسات و السلوكات القبيحة ،حتى أنّ بعض قرى بلدته بني ورثلان انتشرت بها الفتنة بين السكان فخرجوا عن حكم الله ورسوله و سلطة الحكام في البلاد فأثاروا في البلاد فوضى بعد أن أعطوا البيعة ونكثوا عهدهم ونبذ العوائد الردية والبدع الشنيعة كقطع الميراث واكل أموال اليتامى و الناس بالباطل فبفضل أهل الإصلاح والتقى تم الصلح بين الفريقين و انتصر الحق على الباطل وذلك بفضل من الله وجنوده في الأرض منهم الشيخ الحسين الورثيلاني ورفقائه الذين قدموا عنده الشيخ أحمد الطيب الزواوي من عرش آيت منقلات بمنطقة القبائل ،ومن القبائل التي انفردت بكثرة المعاصي والظلم والجور والخروج عن أحكام الله عرش بنو عشاش الموطن الأصلي لوالد الحسين الورثيلاني ففيه كانت زاوية والده و بها ولد و تربي ،فبعد أن خرجوا عن طاعة شريعة الله وطاعة الصلحاء والأولياء الصالحين خرجت بعض القرى منها "بني براهيم "و "وسّر" وأولاد يخلف" فصنعوا ما صنعوا في قراهم من انتشار الزنى ، الحرابة والسرقة فقد أعانه عليهم باي قسنطينة أحمد باي فأعطى له أمر المحلّة فقام بحرق "قرية أولاد الخلف ،وسر وبنو عشاش" وفي تلك السنة جعل عليهم ضريبة يؤدونها مقدارها 170 حتى يعودوا لأحكام الله ورسوله[1] وترك الأعمال القبيحة التي ظهرت فيهم :

-منع النساء من الميراث : لم تسلم بعض المناطق من تعطيل أحد حدود الله وهو مسألة ميراث المرأة وبقيت هذه المسألة إلى يومنا ،فالمرأة لها حق ترثه على أقربائه المتوفيين فهو حق من حقوقها شرّعه الدين الإسلامي فتعطيله يعد خروجا عن طاعة الله فوجب محاربته ورده إلى الصواب، ما جعل الشيخ الحسين الورثيلاني ينهي عن هذه الطباع القبيحة والشنيعة والتي جعلها من عمل أهل الجاهلية فحارب قومه بتحالفه مع الأتراك بعد أن منعوا الميراث الشرعي[2]. وفي بجاية كان الأمر أكثر ضلالا من منع الميراث بل ازدادوا

[1]- الحسين الورثيلاني، المصدر السابق،ص،ص.4،75، فالحادثة الأولى قام بالصلح بين القرى ووعظهم قبل ذهابه إلى الحج في المرة الأخيرة فكان مستقرا ببني عشاش وزاويته هناك ، و الحاثة الثانية المتمثلة في حرق القرى التي استعصت عن أمر الله ورسوله كان بعد عودته من حجته الثالثة ومنها انتقل إلى قرية "آنو" بمنطقة بني ورثيلان ، فكان يأمر بترك المعاصي و الدعوة إلى الإصلاح و نبذها وفي حالة عدم استجابة المجتمع للوعظ وجب ترك البلد و الهجرة إلى موطن تقام في أحكام الله و في هذا يتبين لنا انه انتقل إلى القرية الجديدة بسبب الظلم الجائر وحرق كل ما تم تشييده هناك.

[2]-أحمد ظريف ، المرجع السابق،ص.39.

ضلالا بأن جعلوا الرجل إذا مات ورث أخوه ماله وزوجته [1]فأنكر هذا الأمر ودعا ولاة الأمور إلى إصلاح الأوضاع الدينية بها لما أدرك تخاذل أهل الإصلاح والأئمة والعلماء ، الأمر الذي جعل سكان بعض مناطق القبائل الصغرى يعطلون ميراث المرأة هو اجتماع رؤساء القوم عام 1749م في " سوق السبت" بضواحي "بني واسيف" واجتمع هناك سادات "بني بترون" مع عدد من القرى الأخرى بحضور إمام مسجد تحمامات و تطرقوا لعدة مسائل اجتماعية ودينية للفصل فيها لكثرة المشاكل والصراعات بين الأعراش فمن بين تلك المسائل مسألة ميراث المرأة وشفعة الحبس وشفعة البنات والأخوات واليتامى وصداق المرأة إن طلقها زوجها أو مات عنها فاتفقوا على كلمة واحدة على إسقاط هذه المسائل ولا ينبغي الخروج على ما اجتمع عليه القوم لأنه من العرف و قدسية الأعراف مثل قدسية طاعة ولي الأمر فتم تطبيق قرارات الاجتماع في عرش بني بترون وما جاورها[2]،في حقيقة الأمر قرارات هذا التجمع كانت لها صدى كبير على المناطق الأخرى فلم تشمل فقط الأعراش التي حضرت منها "بني بترون" و"تيجمونين" و"تروال" بل تعدى للمناطق الأخرى وتجلى في اتّباع عدة قبائل لهذا القرار، فهو في الأصل امتداد للعادات و لأعراف المنطقة التي جعلت من المرأة لا ترث من بيت أبيها بعد زواجها ،ومن جهة أخرى قدمت لها مزايا أخرى منها حق الاستفادة من غلّال الأراضي وتقديم لها حق من كل منتوج وخاصة الزيت والتين ولها الحرية الكاملة في بيت والدها أثناء الزيارة في المكوث لأيام و تكلفة العيش على حساب بيت أخيها، وعلى كل حال مهما وُجدت الأسباب وتحجج أصحابها بالأعذار يبقى اجتهاد الإنسان قاصرا فيما شرعه الله وفي هذه المسألة الشيخ الحسين الورثيلاني عارض هذا الأمر بل قام بمحاربة من تبنى هذه المبادئ المخالفة لحد من حدود الله و تجلى هذا جليا في محاربة بعص قرى منطقة الصومام التي منعت ميراث المرأة.

– إصلاح ذات البين – : كثرت الصراعات والحروب بين الأعراش وتمسك كل قبيلة بعصبتيها القبلية ما أضفى تسلط صفات الحقد والجور على الجميع فعمت ظاهرة الاقتتال على مشاكل الأرض والماء والكلأ و أحيانا يتعدى لأمور تافهة وهذا لانعدام ردع السلطان و بقاء المناطق الجبلية خارج عن دائرة الحكم التركي منها قلعة بني عباس و المناطق التي تدخل في نفوذها و الممتدة عبر إقليم مجانة و التي عرفت تضاربا في العلاقة بين التعاون وبين التنافر فبقيت المنطقة مستقلة عن الحكم التركي واعتراف السلطة العثمانية سنة

[1]– الحسين الورثيلاني، المصدر السابق،ص.112.

[2]–Patroni(F), Délibération de l'année 1749 dans la grande Kabylie, Revue Africaine 39, année 1895,Alger,P.P.315.320.

1561م أن "أحمد أمقران" سلطان قلعة ايث عباس و مجانة وما جاورها[1]،فلم يعد صوت السلطة الحاكمة قادرا على إيقاف هذه الصراعات و حفظ الأمن بالمنطقة فبقي الصلّاح والمرابطون من يستمع إليهم القوم ويأخذون برأيهم في ظل الصراع القائم بين إمارة كوكو وبني عباس[2]،فكان الشيخ الحسين الورثيلاني فكثيرا ما يتنقل إلى أماكن الصراع والنزاع فيحل المشاكل ويرد الحقّ لصاحبه لثقة أهل البلد فيه واحترامهم الشديد للمرابط و الشريف ولأولياء الله فانتقل عديد المرات إلى مجانة لفض النزاعات ولقاء حكام وسلاطين مجانة[3] وعاب كثيرا عن سلاطين و أمراء مجانة في عهده عن ظلمهم وابتعادهم عن حكم الله، وعرفت منطقة بني عباس بانتشار الصفات القبيحة من الخيانة والغدر والخديعة وقلة الحياء وتعطيل حدود أحكام الشريعة الإسلامية[4].

في أولاد درّاج بالحضنة تأسف لما يقع من خصومات بين القبائل و حروب طاحنة فتحدث الفتنة ويموت الثلاثون والأربعون في اليوم الواحد لكثرة الجهل وقلّة الاهتمام بالعلم ويغلب على العامة الجفاء والتعدي ودخولهم في صراع مع أعراش بريكة فكثر جور أهل أولاد دراج و سيطروا على جلّ أراضي المنطقة وفي كل هذه الأوضاع لم تخل المنطقة من أهل العلم والصلاح[5] إلا أن تغلب العصبية القبلية وقلة الوازع الديني أدى إلى ظهور مثل هذه الآفات الاجتماعية الخطيرة.

زمورة أغلب وقت أهلها في الفتنة والقتل والحروب بين الأعراش فقتالهم دون سبب أو حاجة يُرجى منها وإنما هي حمية الجاهلية وعصبية قبلية وأنفة شيطان وقلة إدراك بأمور الدين و عدم قدرة النظام على تثبيت شؤونه للتصدي لهذه الأمور التي يقع في مختلف الأماكن كالأسواق والطرقات...وحتى حاكم المنطقة وهو آغا

---

[1]-مزيان وشن، مجانة عاصمة امارة المقرانيين، دار الكتاب العربي، الجزائر،2007،ص.108،

[2]-Boyer Pierre. Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger (XVIe-XIXe siècles). In :Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°1, 1966. P.29.

[3]- الحسين الورثيلاني، المصدر السابق،ص.8

[4]-نفسه، 37.

[5]-جيجيك زروق، المسيلة وضواحيها على ضوء رحلة الورثيلاني، كتاب جماعي ضمن أعمال الملتقى الوطني الخامس حول تاريخ وأعلام المسيلة تحت شعار المسيلة حاضرة التواصل بين المشرق والمغرب، المنعقد بجامعة المسيلة ،يومي 06و07 ديسمبر 2016، مديرية الثقافة لولاية المسيلة، 2017،الجزائر،ص.48،49.

الحامية بجنوده لا يحكم إلا بالخديعة والمكر في السوق أو ربما أخذهم وربطهم في المواضع العامة لينتقم منهم بالمال[1] ،فضعف السلطة العثمانية في المناطق الداخلية جعل الفوضى والاقتتال والتصارع بين السكان يزداد.

وعن عرب النمامشة يصفهم الشيخ الحسين الورثيلاني بأبشع الصفات وأقبحها ففيهم الشر، الظلم، التعري، الجور والظلم والابتعاد عن ما أمر الله ورسوله و تعاليم الإسلام تكاد تكون منعدمة ،فتقوم جماعة بالهجوم على جماعة وقبيلة كاملة تغيير على قبيلة أخرى و ما ينجر عليها من القتلى و الظلم وفيهم صفة السرقة وقطع الطرق فيغيرون على الحجاج ولا يحترمون حتى ركب الحج و فيهم الصلحاء والعلماء [2]،فقد أفقدهم الجشع والجور صفات الإنسانية وحتى أئمتهم وولات أمورهم على خطى رعيتهم الجاهلة.

فساد أفاضل القوم ووجهاؤه : فساد المجتمع فهو حتمية لفساد المسؤول ورأس القوم، فغياب السطلة العثمانية وعدم اهتمامها بشؤون المجتمع الجزائري جعل الأفراد يُسيرون أنفسهم بأنفسهم ولا رادع ولا قانون يوضح لهم طريقة العيش وسبلها، ما ولّد فوضى وسوء تنظيم المجتمع ومازاد الأمر فسادا هو عدم صلّاح من يُنتظر من الإصلاح وهو العلماء والأئمة والفقهاء وحتى الطلبة ففي منطقة الزاب بالجنوب الجزائري كثر البغاء والسرقة والظلم ونتيجة ذلك فساد العلماء فاصبح الامام والمرابط والطلبة في مقام قطاع الطرق فيسرقون وينهبون ويتعدون على الناس و انتشار النميمة بين الناس حتى نزل عليهم العذاب فأصبح القوم كلهم من الفاسدين و مصلحهم أصبح من كبار الفاسدين[3] ، ومن جهة أخرى يظهر سباب العلماء و فقهاء البلاط هو انتشار الرشوة.

الرشوة والعطايا : انتقل الفساد الإداري والسياسي إلى الفساد الديني فأصبحت المناصب الدينية السامية المتمثلة في القاضي، المفتي ، الإمام وغيرهم مناصب تُشترى و تباع ولا يوضع الرجل المناسب في المكان المناسب و إنما حسب مصلحة و احتياج السلطة فليس الهدف المرجو هو الحفاظ على الدين أكثر من تحسين صورة المجتمع للحاكم و تقديم فتاوي على هوى الحكام و أصحاب السلطة ولو كانت مخالفة للشرع وانتشرت هذه الظاهرة في عمالة الجزائر وكبرى البايلكات ومنها بجاية فكان والد الشيخ الحسين الورثيلاني ملتزما بالسنة و متبعا لها فأثناء زيارته لبجاية لا يؤدي صلاة الجمعة بل يصليها ظهرا لبطلان الصلاة وراء

[1]- الحسين الورثيلاني، المصدر السابق،ص.800.

[2]- مختار الطاهر بن فيلالي، المرجع السابق، ص،137.

[3]- الورثيلاني، المصدر السابق،ص.86.

إمام وصل إلى المنصب عن طريق الرشوة و تقديم العطايا[1]، وكانت الرشوة منتشرة في جميع الإيالات العثمانية ومن عسكر النظام أيضا ففي الحجاز الجنود يأخذون الرشوة علانية من المسافرين وخاصة الحجاج فيغير قطّاع الطرق على قوافل الحج فيقوم جند القافلة بالتصدي لهم وأسر أحد منهم فيتدخل الجنود الأتراك الموالين للحكم من أجل استئداب الأمن فيقوم أهل الأسير بتقديم رشوة للجنود فيقومون بتسريحه[2] دون مراعاة وجه الشرع والقانون في حكم السارق وقاطع الطريق فلم تستثن الأقطار الإسلامية الأخرى من وباء الرشوة فحتى في مصر معاملة الجنود للبدوين المصريين الذين ينهبون الحجاج وركب الحج كانوا يتعاطون الرشاوي فيم بينهم من أجل تسريح المحكوم عليهم بالسجن و تجلى ظاهريا في واليبولاق الذي يأخذ الرشوة من الحجاج من إطلاق سراح الحجاج المغاربة المسجونين[3]

2-2- الفساد الأخلاقي:

- العري والاختلاط: حَكم الورثيلاني على المجتمع الإسلامي بأحكام قاسية جدا، فالمتمعن كثيرا في ثنايا أخبار الرحلة يُدرك تمام الإدراك أن هذه المجتمعات ابتعدت عن تعاليم الإسلام كثيرا و ما يبرز ذلك كثرة الصفات القبيحة التي لا تتسم إلى تعاليم الدين الإسلامي، فعاب على الحكام وعلماء الوطن لاستباحتهم لهاته المنكرات التي هدمت من القيم الأخلاقية السّمحة التي يجب أن يتصف بها المسلم، صرامة الورثيلاني نابعة من شخصيته الصوفية و العلمية جعلته يحارب ويمقت هذه الصفات ولم يكتف بالوعظ والإرشاد و الدعوة إلى الابتعاد عنها بل تعدى إلى نهيه المنكر بيده واستعماله القوة لتطلب الموقف ذلك، فتعد ظاهرة العري والاختلاط عامة في القطر الإسلامي و بالجزائر خاصة وكما يوردها الرحالة يمكن ربطها بالجانب السياسي الذي أهمل المجتمع وجعلته يُعلم نفسه بنفسه دون تدخل النظام الحاكم ما ولّد كثرة الجهل بتعاليم الدين الإسلامي، فيصف لنا حالة بعض المجتمعات التي تنتسب إلى الإسلام بالاسم والقول دون الفعل منها ما شاهده في "حامة قابس" بتونس على نهر من ماء ساخن يختلط الرجال بالنساء في الاستحمام دون سترة في النهار فيرى الواحد عورة الآخر[4]، فلم يتحرك أحد من صلحاء البلد وأولياء أمورها وقد يكون هذا ربما لاستحسانهم الأمر أو طغيان أهل الباطل والظلم على أهل الحق والإيمان ما جعل هؤلاء يصمتون لضعف

---

[1]-نفسه،ص.111.

[2]نفسه،ص.448.

[3]-مختار طاهر فيلالي، المرجع السابق،ص.153.

[4]-الورثيلاني، المصدر السابق، ص.127.

حيلتهم، ما حرّك غريزة الورثيلاني على دينه و خلقه فجمع كومة من الأحجار وصار يضربهم حتى تفرق الجميع وظنوه مجنونا فاقدا لعقله لأنهم لم يألفوا من يردعهم، وما يثبت أنّ أهل الباطل اشتد أزرهم على أهل الحق فبعد فترة قصيرة جدا من هذه الحادثة وتفرق الجمع من المستحمين العراة، مرّ أحد المؤمنين المستضعفين فدعا بالرحمة للورثيلاني و تمنّى لو يبقى معهم لأيام حتى تزول هذه الظاهرة و من جهة أخرى استنكر أهل القرية لما فعله الورثيلاني وغضبهم ظاهر على وجوههم فاستحسنوا المنكرات ودأبوا عليها حتى أصبحت عادة سار عليها العرف الاجتماعي، فهذه البلدة معروفة بكثرة المحرمات و الفواحش فظهر بها العديد فكثر السرّاق وقطاع الطرق و تعدّى الأمر إلى سرقة متاع الحجاج وتخويفهم بالقتل.

فتونس على العموم موطن الشرور والمعاصي فلا تكاد معصية إلا وجلّ الأتباع من أهل تونس، فانتشرت المعاصي بها وكثر اللواط والزنا [1]حتى أصبحت من العادات التي لا يجرم فاعلها، فإذا كثر الأمر استهانه المجتمع وسهل استيعابه، فعمّت الفتنة في البلد وقلّ النصاح و المصلحون بها، ويُستثنى من الأمر صلحاء البلد وعلماؤهم وخاصّة القوم وهذه المعطيات لا توصلنا إلى نتيجة حتمية وهي انعدام الوازع الديني وتغييب المؤسسات الدينية بها وإنما كثر أهل الجور والحرام ما جعل المنكرات تتفشى وتظهر علانية، فأهل الصلاح بتونس كثر ومعالمها الدينية مشهورة بها.

لم تستثن المجالس الدينية من ظاهرتي الاختلاط بين الرجال والنساء كاجتماع أواخر أيام رمضان ببجاية و ما يحدث من سفور واختلاط وعلاقات بين الرجال و النساء ونفس الشيء يوم عرفة فيجتمع العديد منهم عند قبر سيدي يحي العيدلي بمنطقة "تمقرة" ،سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر ،وعند سيدي قبر سيدي السعيد السقري بقسنطينة[2] ولا يخص الأمر هذه المناطق وحدها بل مرض ووهن أصاب العالم الإسلامي قاطبة ،فنجد نفس المشاهد تتكرر و بنفس المعطيات عند قبره وهكذا سارت العادة عند كل موسم يجتمع فيه الناس لما يُسمى بالحضرة أو الوعدة"" وفيها يخرج الحاضرون عن ما جاؤوا إليه وهو الاجتماع في الله و التقرب إليه والتآزر و التآخي فتتحول إلى اجتماع ولقاء من أجل شهوات النفس ونزوات الشياطين فمفاسد المكان والاجتماع أعظم من أجرها فمن الأحسن اتقاء الشبهات والابتعاد عنها قدر الإمكان لكثرة أهل النفاق

[1]-نفسه،ص،663.

[2]-Mohand Akli Hadibi, from "From fullness" to imptiness :Past realities, reform movements and the future of the zawia in kabylia,On Archaeology of Sainthood and Local Spirituality in Islam: Past and present crossroads of events and ideas, Volume 5, Ed, Georg Stauth, U.S.A ,2004,P.81.

وضعاف الإيمان واختلاف مقاصد الحاضرين ، وفي بلدته بني ورثيلان يجتمع النساء والرجال في مواسم عدة كالمولد النبوي الشريف و أيام الأعياد والأفراح والزيارات عند قبور الأولياء والصلحاء أو في أماكن معلومة منها الجبل المثقوب في أعلى قمة الجبل الموسوم "أزرو ايفلان" ويكثر الاختلاط و يقع الحرام[1] وإن كان الأصل في الحضور ليس لفعل الفواحش والمحرمات وإنما لدخول بعض الدخلاء و استغلال الفرص من بعض مرضى الإيمان وقلة حيائهم الذين شوهوا صورة تلك المجالس فأصبح الصلحاء ينفرون منها بسبب هؤلاء الدخلاء الذين لا يتسمون بالإسلام و لا يقربون إلى الصوفية وإنما هم أهل غرائزهم وشهواتهم.

التبرج والسفور: حالة المرأة المسلمة في العهد العثماني تجاه عقيدتها و مجتمعها، فبحكم طبيعة المجتمع المحافظ و الانتماء إلى العقيدة الإسلامية التي تنفي تلك المظاهر السلبية التي تطرقنا إليها منها الاختلاط، العري...، فهل كانت المرأة محافظة على واجباتها تجاه الأمور المقدسة؟ فهنا يفتح لنا الورثيلاني بابا يبرز فيها طبيعة الأخلاق ومدى تمسك أهل البلد بالدين و هي مسألة الحجاب ومدى ستر المرأة لنفسها؟ ماذا لو التزمت المرأة باللباس المحافظ والشرعي هل يكثر الاختلاط والعري؟ فما مدى تأثير سفور وتبرج المرأة على الأخلاق العامة؟ للإجابة على هذه التساؤلات، أورد الرحالة الفقيه أمثلة عن حالتها في القرى المحافظة منها "زمورة" قائلا"...فتجد النساء الطيبات المتبرجات كأنهن في ليلة الزفاف بهن في الأزقة والعيون، مكشوفات العورات باديات المستحسن منهن كالصدر والثدي وتحت الإبط والساق والفخذ ومع ذلك فهن أجمل خلق الله، من رآهن من العباد فضلا عن أهل اللعب واللهو افتتن بهن إذ يقزع ويرعب عند رؤيتهن ومشاهدة محاسنهن غير محجوبات بل كلهم أو جلهم يفتخرون بذلك فقد ضلوا وأضلوا فلا يسمعون إن وعظتهم ولا يرجعون إن ذكرتهم، وقد اشتدت القسوة على قلوبهم وهي أشد قسوة من الحجارة وقد ألفوا ذلك من آبائهم وأجدادهم قبّح الله رأيهم، فإن أنكرت عليهم أو تغيرت بسببهم ربما عادوك أو رموك بما لا يليق بك"[2]،فالحكم ظاهر أن المجتمع ابتعد عن الدين الإسلامي وانصرف إلى رغباته وشهواته فلم يعد يكترث للوازع الديني إلا قلة قليلة بقوا على العقيدة الصحيحة إلا أن نفوذهم ضعيف وشوكتهم غير قادرة على تغيير الأوضاع القائمة، فهذا حال المرأة في الريف والقرى، فكيف سيكون حالها في المدن التي يتفشى فيها اللهو وأماكن الترف؟ فالمرأة أصبحت لا تهتم بالحجاب و جلّ لباسها فاضح إن لم يكن مكشوف كالثدي،

[1]-نفسه،ص.482،481، حول مسألة الأخلاق بالمجتمع التونسي ينظر الصفحات 683،684 من رحلة الورثيلاني.

[2]- الورثيلاني، نفسه،ص.700،701.

الصدر، الذراع[1]، فمواطن الشهوة أصبحت ظاهرة للعيان ما يجعل الأخر معرضا للفاحشة فبها تولدت كثرة المعاصي وانتشار الاختلاط فأصبح دخول النساء والرجال إلى الحمام أو الوادي من الأمور العادية.

فالمتمعّن فيم ذكره الورثيلاني عن حالة المجتمع من جانب اهتمام المرأة بعفتها وكرامتها وستر عورتها بعيد عن الأطر الإسلامية، فلم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل امتد إلى تبرج المرأة المتوجهة إلى بيت الله فلا تستر نفسها في الطريق و تُبدي زينتها للعامة بل تتعمد التزين و التطيب لإثارة الأخرين "فنساء بنو عامر" يذهبن إلى الحج مكشوفات العورات فيبدين زينتهن لكل الناس بل يتزين لأجل ذلك ليرهنّ من فَتن بهنّ...[2]"فهنا يتساءل القارئ ما موقف الزوج أو الرجال من هذه الظاهرة والركب ذاهب لأداء فريضة الحج؟ فردة فعل الورثيلاني تُظهر مدى قبول وموافقة أزواج النساء المتبرجات، فبعد أن نصحهن و نصحَ أزواجهنّ أبغضوه وجعلوه عدوّا لهم فأصبحت فتنة عظيمة، ما يثبت أن السفور والتبرّج أصبح ظاهرة عادية لا ينكرها العامة. ويرى أن السبب في انتشار هذه المظاهر القبيحة في الوطن يعود إلى انتشار الأشراف والمرابطين المزيّفين الذين لا يربطون من العلم إلا اسمه ومن النسب إلا شرفه فأصبحوا يفتون للناس بغير علم وهم أهل جهل ومكر وخبث، وكثيرهم غير متعلّمين ولم يستوعبوا مبادئ الإسلام فيسمحون لأبناء الجبال بارتكاب فضائح ومحرمات تتنافى مع الدين والقانون[3].

سماع الأغاني والرقص: انتشر البذخ والترف بالبلاد الإسلامية فظهرت الآلات الموسيقية و المعازف وانتشر الغناء والرقص في المجتمع، وهذه كل من العوامل التي تؤدي إلى اضمحلال الأخلاق وسقوط الدول والحضارات، فهي تلهي الفرد عن العمل الجاد والإنتاج و تجعله حبيس شهواته ورغباته و تفتحه على المرح والترف فيرث فيه الكسل والخمول، وما تولده من اختلاط في المجالس ولقاء الشباب مع الشابات وما فيه من ضرب للخدود والقدود وتسمية المحبوبة من النساء المرغوب[4] وكله حرام لما فيه من شُبهات تقع وفي الأصل تكون قد وقعتْ.

---

[1]-Hadj Sadok(M), op.cit. P.368

[2]-أحمد ظريف، قراءة في الرحلة، المرجع السابق،ص.50،51، حول مقتطف نص الورثيلاني، ينظر: الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية، المصدر السابق،ص،539،540.

[3]-Mohand Akli Hadibi, from "From fullness, op-cit ,P.81.

[4]-Hadj Sadok(M), op.cit. 387.

فالورثيلاني استنكر كل هذه الأمور لإدراكه أنه باب من أبواب الشر، ما يسهل الولوج إلى الزنا و انتشار الرذائل، فهنا يجب التفريق بين السماع الصوفي الذي فيه الوعظ و الإرشاد و الدعوة إلى الله فهو يختلف اختلافا تاما عن ما ذكرناه عن الموسيقى و الغناء.

إن كان الأجدر اتقاء الشبهات ففي جلسات السماع الصوفي تختلط الأمور أحيانا فيولد الشطحات الصوفية ويحدث أحيانا الاختلاط بين الجنسين وجب الابتعاد عنها وعلى أولياء الأمور محاربة هذه الظاهرة الدخيلة عن أعراف البلد و مبادئ الدين الإسلامي، فعلى الرغم من شخصية الورثيلاني الصوفية إلاّ أنه حارب الصفات القبيحة في التصوف الشعبوي الذي صار ملجأ لأشخاص لا ينتسبون إلى التصوّف إطلاقا وإنما جعلوه علامة لخدمة مصالحهم الشخصية ،فكثر أشباه المتصوّفة في مجالس الحضرة ما استوجب على المؤمن التقى أن يبتعد عن مثل هاته المجلس لوجود الاختلاط و العري وآلات اللهو.

2-3- الصفات القبيحة: اتّصف المجتمع الإسلامي خلال عهد حكم الأتراك العثمانيين بعدة أوصاف منها الحسنة وجلّها من القبيحة وإن كان الأصح أن يكون الأمر مغايرا للواقع، فالمبادئ العامة للدّين الإسلامي تدعو إلى المعاملة والخلق الحسنة ونبذ كل ما هو سيء وقبيح، فابتعادهم عن التعاليم الإسلامية أبعدتهم على السلوك الحسن، فهنا يذكرنا "شارل فيرو" أن المجتمع مسلمون بالوراثة فقط فإسلامهم شكلي فهمْ لا يتبعون المضمون الحقيقي .فيورد لنا مسائل في حيازة مِلكية الأرض أن صاحب الأرض يمكنه أن يفرض رأيه الشخصي على إمام القرية ، وإن رفض هذا الأخير يقوم بتخييره بين الموافقة مع إعطاء المال أو قتله، فالأفراد لا يدينون بحقيقة الإسلام التي شرع بها الدين ،حتى وإن ظهر فيهم شيخ عالم حاول إصلاح المجتمع بفكره المستنير وحارب كل هذه المظاهر والسلوكات الخارجة عن تعاليم الإسلام، فكان مصلحَ عصره فهو الشيخ الحسين الورثيلاني من قبيلة بني ورثيلان[1].

فمن خلال ما ذكرنا سابقا عن الحالة الاجتماعية منها الفساد الديني والخلقي نجد بعضا من الصفات التي ساهمت في تفكيك البنية الاجتماعية أهما :

الحسد والنفاق: لم تقتصرْ ظاهرتي الحسد والنفاق على عامة الناس وفقط بل تعدّى الأمر إلى نخبة القوم و علمائهم و طلبتهم، فكيف لطالب علوم الدين أن يتّصف بمثل هذه الأخلاق الحميدة، فاستنكار الورثيلاني عليها لم تكن بباب الصدفة و إنما لمعرفته من أهم الأمور التي تهدم كيان الدولة والمجتمع هي نفاق العلماء

[1]-Féraud (CH),Mœurs et coutumes Kabiles ,*Revue Africaine,v6,1862,P273.*

وحسدهم، ففي مصر بلد العلم و الدين و العلماء وكثيرا ما يسعد بزيارتها ولقاء علمائها وفقهائها ،وقد تتلمذ على العديد منهم وناظر كبار شيوخهم ،إلّا أن بعضهم اتصف بسوء الخلق منها القدح والخشد فيثني على الرَّجل ويمدحه في حضرته وفي غيابه يذكرون عكس ما قالوه سابقا وإذا أحبك أحدهم مدحك بما ليس فيك وإن بغضوك ذموك بما لم تتصف به[1]، فهذا هو النفاق و البغض الذي يقضي على العلاقات الاجتماعية والأخوية بين الأفراد ،فأهل الحجاز، مكة والمدينة انتشرت فيهم هذه الصفات حتى أصبح المرء لا يدرك من هو خليله من عدوه، فهذه حالة خاصة القوم فما حال عامتهم ؟و قد انتشر فيهم ما انتشر من رذائل الخلق فهذه نظرة جد مصغرة عن حالة فئة اجتماعية مثقفة تساهم في نشر العلم والخلق الحميدة.

الخبث: اتّصفَ الطلبة بهذه الصفة وقد وصفهم بـ"خبثاء الطلبة" [2]ومنهم الكثير وخاصة الغريب الضعيف الذي ينتقل لطلب العلم فيأخذ بيده كبار العلماء حتى يُقَوي ساعده ويُسهّل عليه ما هان عليه فإذا استغنى جحده فأصبح أشد خصومه فهو كمثل صاحب هذا القول:

أُعَلِمُه الرِمَايَةَ كُلّ يَومٍ فَلَمَا اشتَد سَاعِدَهُ رَمَاني

فالعرق دسّاس فهو يورث الحقد والكره بين الطلبة فيجعل منه ضرّه أكثر من نفعه وجرّه للفساد أكثر من رفعه، فلا يستفيد العامة من عِلمه فما سُقي من خبث لا يُنبت إلا نكدًا.

الخداع والغشّ: عانى الورثيلاني من ويلات أهل الحرام في طريقه إلى مكّة المكرمة، فصادفهم في كثير من المرات، ففي مصر أين أنهكه أهل الخديعة والغش، فالقوم لا يُؤتَمنون في أفعالهم وأقوالهم غيره أفعالهم، فيظهرون الودّ وحسن الاعتقاد وغاية الأدب والفرح ويبطنون المكر والخديعة، هذا الرجل يُسلّم على يده مرات في اليوم ويبادره بحسن الصنيع وبعدها يغدره في سلعته ولا يأتمن على ماله، فكم مرة سُلبت أموال الحجاج من طرف الباعة والحمّالة الذين يقيمون بكِراء الجمال لحَمْل الأمتعة فيقبضون ثمنها وبعدها يغدره، فأصبح الإنسان لا يؤتمَن، فأهل مصر بهم من الغش والخديعة[3] فالحذر مطلوب والسؤال واجب، فعاب كثيرا عن الحمالين وأهل الحسبة عند الدخول والخروج من مصر فيهم أقبح الصفات فجمعوا بين الجشع، الحسد، النفاق، الغش والكذب رغبة في الربح السريع و استغلال فترة مرور ركب الحج المغاربية وقلّة حيلتهم

[1]-الورثيلاني، المصدر السابق،ص.160،159.

[2]-نفسه،ص.665.

[3]-نفسه،ص.557.

وقوتهم، فهذا الكلام لا ينطبق على أهل مصر عامة فأثنى عليهم في مواطن الخير والكرم وتارة يعيبهم لصفاتهم القبيحة كشرب الخمر والقهوة وتفشي الفجور[1].

وفي حديثه دائما عن طبائع الحمّالين وكيفية معاملتهم للحجاج فيقول عنهم "فلا تغتر أيها الحاج بحلاوة اللّسان من الشياطين ولا بإظهار المودة ولا بكثرة الإيمان فإنهم ذئاب في ثياب ،وكذا إن أتوا لك بهدية لا تقبلها منهم فإنهم يريدون التحيل بالوصول بها إلى مالك فتقعَ في شبكة لا مخرجَ لك منها، فلا يعتبرون عهدا ولا مودّة ولا يمينا ولا صحبة ولا شيخا ولا وليّا إلا المكر والخديعة فلا يرجى منهم إلا الخيبة والخسران والنكث والعكس، ولا ينجو منهم إلا من اشترى إبلا لنفسه وحمل عليها وإلا فقد قطعوا الطريق وأسبابها لأنهم إن قدروا على أخذ المال تحيلا فعلوه وإلا أخذوه بإعطاء رشوة لأصحاب المخزن مع الدعاوي الكاذبة والفجور وإظهار الشكوى بلسان الباطل وغير ذلك من فضائحهم...[2]"، لم تقتصر ظاهرة الغش والخداع على أهل مصر فقط فقد شملت جلّ القطر الإسلامي وإنما فصّل الورثيلاني بمنطقة مصر كثيرا لأنه مرتع العديد من القوافل وأقام بها مدة من الزمن مقارنة بطرابلس والحجاز وفي مصر خالط أهلها كثيرا و تعرّف على العامّة وخاصّة القوم وأورد سبب هذه الصفات القبيحة وخاصة الغش والمكر إلى الأوضاع الاجتماعية المزرية من انتشار الفقر والبطالة و احتقار الطبقة الغنية للطبقة الضعيفة الفقيرة، فالمجتمع متكون على الأساس من فئتين اجتماعيتين متمايزين منها الفقيرة والغنية و هذه الأخيرة مُحتقرة وسُلبت حقوقها من الطبقة الغنية، وقد لاحظ نفس الأمر في الحجاز ففي بلدة "آبار دار أم السلطان "لاقى نفس الأمر فأعراب الحجاز اتصفوا بأرذل الصفات وأقبحها بالإضافة إلى التذلّل و التمسكن وطلب الصدقات[3] وفي بعض الأحيان يرغمون المارين على التصدق أو تعريضهم للسرقة والضرب.

تنوعت صفات الغش لدى سكان القطر الإسلامي فظهر التحايل على العملة وصك عملة مغشوشة، فهذا رجل من بلاد زواوة أدخل إلى مصر سكة حديدة مغشوشة فألقى عليه القبض حاكم بولاق فسجنه وبعد

---

[1]-مروان عطية، منهج الورثيلاني في رحلته إلى مصر والحجاز، المرجع السابق،282.

[2]- الورثيلاني ، الرحلة ،المصدر السابق، ص،283.

[3]-عبد القادر حليس، المشرق العربي من خلال رحلات المغاربة (رحلة المقري، رحلة العياشي، رحلة الورثيلاني)11-12هـ /17-18م نموذجا، مذكرة لينيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2010،2-2011، ص.122.

تدخل الورثيلاني و توسطه لدى الحاكم افرج عنه[1]، فالغش اصبح ظاهرة منتشرة في كل الأوطان و تبناها العديد من الأفراد وأصبحت سبيل قوت عيشهم.

الوشاية: انتشرت الوشاية بين العامة ويمكن إرجاع الأمر لبعض الأمثلة التي أوردها الرحالة أنها من أسباب الحالة الاجتماعية والمزرية للمجتمعات الإسلامية، فنجد الوشاية منتشرة بكثرة في منطقة بولاق وبمصر عامة بين البدويين و مسؤولي سجن بولاق، فيقوم البدوين بوشاية الجنود الأتراك ويسجنون الحجاج وخاصة المغاربة مثلما فعلوا بالورثيلاني لما دخل عليهم من أجل التوسط وإخراج أصدقائه من السجن بعدما أن تم وشايتهم فدخل على حاكم بولاق فتوسط لهم و أخرجهم وبعدها تم اتهام الورثيلاني وأرادوا أخذه للسجن فالتفت للبدوي و الجندي التركي فقال لهم ألكم دين عليّ؟ فقال البدوي :لا ولكن إذا مسكناك خرج ما كان في الركب من الإبل التي مسَكها أهل الركب في ديونهم ، وكان الورثيلاني مُدينا لهذا البدوي و كانت عديد الإبل في القافلة تُمسك كدَين على القروين الذي يحملون أمتعة الحجاج، فرفض الورثيلاني أن يُزجّ في السجن فما هو إلا أمر دبر بليل فوشى أهل البلد إلى الحاكم التركي بزج المغاربة و منهم الورثيلاني، حتى تدخل الكاخية وأخبره أنه رجل شريف وعالم دين، فأطلق سراحه[2].

اتسمت العلاقة بين الحجاج المغاربة و أهل البلاد التي مرّوا به بالكيد والخديعة و توقف كثيرا لهذه المشاكل التي صادفها الركب و بالخصوص في منطقة "بولاق" بمصر فكثر ظلم الحجاج وسجنهم ووشايتهم من طرف العمال والقرويين لدى حاكم بولاق أو الجنود الأتراك فيقومون بزجهم في السجون و تعذيبهم وأحيانا من يموت منهم.

انتقلت الوشاية في تونس من العامة إلى خاصة القوم وجهائه ، فتعرض الفقهاء للهلاك و المخاطر، فتونس بلد لا يضاهيه أي بلد في الوشاية فيقومون بوشاية العلماء إلى الحكام و الدعوة على أنه يحرض العامة على الخروج عن الحاكم أو أنه يفتي بغير ما أجازه السلطان لرعيته ما يجعله مهددا بالسجن و الهلاك، فأصبح العالم يخاف على نفسه من أن يوشى به للحاكم وأهل تونس معروفون بالوشاية و الخديعة والغدر و المكر للسلطان[3].

---

[1]–مختار فيلالي، رحلة الورثيلاني، المرجع السابق،ص.156.

[2]– الورثيلاني، الرحلة ، للمصدر السابق، ص.558.

[3]– مختار فيلالي، رحلة الورثيلاني، المرجع السابق،ص.144.

السحر والشعوذة: من بين الصفات الذميمة التي اتصف بها المغاربة و بالتحديد أهل المغرب الأقصى الذي تفشت فيهم ظاهرة السحر و الشعوذة و الزندقة ،إخراج الخبايا و الكنوز، إصراع الجن وإخدام الروحانيين لقهر الأعداء وحبس السّراق وتفريق الأحباب وتقريب البعيد وإقصاء القريب واستعمالهم الكذب والحيلة والفجور واستغلال طمع وجهل العامة وخاصة من أهل مصر، فأكلوا أموال الناس بالباطل و اتضح كذبهم وزورهم وبطل حيلهم وتصنعهم ما جعل أهل البلد ينكرون عليهم ويسلّطون أشد العذاب فقطعوا عليهم الطريق وسلبوهم، فأصبح المغاربي معرضا للخطر وللسمعة السيئة التي أُخذت عنه، فأصبح في نظرهم الحاج المغاربي مشعوذ و محايل خبيث فهذه طامة كبرى فلا يمكن التفريق بين الحاج المسالم و المزيّف المتحايل على أموال المصريين فالتبس عليهم الصديق بالزنديق فأصبح الجميع معرّضا للهلاك ،هذا هو سبب كره المصريين للمغاربة نتيجة سوء أخلاقهم و اتصافهم بأبشع الصفات القبيحة فتفشت العداوة و البغضاء بين أهل مصر و المغاربة فأصبحوا ينبذون الغريب و يحتقرونه ويتجاهلون علمه حتى كادوا أن يخرجوهم من الإسلام لتسلطهم واعتدائهم المتكرر عليهم، فصارت مصر ومكة أقبح الأوطان وأذلها للغريب[1].

الظلم والسرقة: أسهب الورثيلاني كثيرا في موضوع الظلم والسرقة فلا نكاد نجده يمر على قرية أو قوم حتى يذكرنا بحادثة ظلم وتعدي أو سرقة، فالموضوع الذي طغى على مضمون الرحلة كثيرا هو انعدام الأمن في الوطن الإسلامي عامة، فلا ينجو من هذه المسألة لا تجار ولا سياح ولا حتى الحجاج، وبيّن من جهة أخرى الأسباب التي جعلت هذه الظاهرة تتفشى في سائر الأمصار العربية والإسلامية وقد أرجعها لفساد الجهاز الأمني والعسكري فكشف لنا معاملة الجنود الأتراك للرعية وتعاطيهم العطايا والرشاوي من الأعراب والبدويين من أجل تسهيل العقوبات التي تُسلّط عليهم في حالة سرقتهم الحجاج، وانعدام الدولة في العديد من المواطن وتولية أمور أهل البلد للقبيلة وشيوخها ما جعل العديد من الأقاليم تحت سيطرة بعض الإمارات و الكيانات، وكما هو معروف أن النظام العثماني لم يهتم بالمجتمع ولم يكترث بمشاكله الداخلية، فترك فراغا بين الحكّام والرّعيّة ما جعل كل فئة تسطو على أخرى، ومن الأسباب التي جعلت السرقة تتفشى هو الفقر والمجاعات التي أنهكت الكثير فالبطالة المتفشيّة جعلت الأفراد يسترزقون من السرقة ويغتنمون فرصة الحج لمرور القوافل وركب الحج القادمة من الغرب الإسلامي.

[1]-الورثيلاني، المصدر السابق،ص.559.

فيمكن تقسيم أنواع الظلم الذي أورده الرحّالة إلى أصناف منه: ظلم الحكام للرعية، ظلم ابن السبيل والمسافر وظلم الحجاج لبعضهم ،بالإضافة إلى التعدي والغارات التي تشنها القبائل ضد قبيلة أخرى نتيجة تعصّبهم القبلي، فهذا من جملة محتوى الرحلة فالظلم الأول مرتبط بالجانب السياسي ونظم الحكم العثمانية بالإيالات التابعة لها وما انجرّ من فساد على جميع النواحي، أما المظالم الأخرى التي انجرّت بين العامة من الرعية سواءً كان مستقرا أو متنقّلا فأورد من الأحداث والوقائع الكثير منها، ففي بداية الرحلة من بني ورثيلان ومروره على منطقة القبائل وضواحي سطيف إلى غاية المسيلة ، كانت الأخبار شحيحة وعلى الرغم من ذلك لم يحدِّثنا عن مظاهر السرقة والتعدّي على القافلة ونفس الأمر نلاحظه في رحلاته الداخلية في منطقة القبائل موضوع السرقة لم يتطرق إليه إطلاقا، فبداية كلامه عن السرقة عند وصولهم إلى منطقة الزرائب بعد مرورهم على سيدي عقبة صادفوا أهل المنطقة بالسّلاح و أرادوا التعدي على القافلة والاستيلاء على ممتلكاتهم و مواشيهم التي اشتروها في سوق سيدي عقبة وبسكرة فدخلوا في حرب معهم بالسلاح لصَون النفس والمال ،وتجددت مظاهر التعدي لدى عرب النمامشة فهم أقبح خلق الله في تلك المنطقة فاتصفوا بجلّ الصفات الذميمة والقبيحة فشغلهم الشّاغل تصيد المسافرين والاستيلاء على أموالهم وأغراضهم وترويع الناس، فأخذوا من الحجّاج عنوة بغلة وجملين وغَنِمَ الطرف الآخر مكاحل وفرسا تعويضا لما ضاع لصاحب البغلة والجملين فبهذا اقتص الشيخ من اللصوص[1]، فالإطار الجغرافي الخاص بالجزائر في مرحلة الذهاب نجد مسألة الأمن والخوف قليلة ما عدا في منطقة الزرائب وضواحيها.

مخاطر السرقة تزداد كلما اتجه نحو الجنوب الشرقي الذي طغت عليه البيئة الصحراوية التي تدفع بسكانيها إلى جعل السرقة مصدر استرزاق، **ففي تونس** صادفهم أحد شيوخ نفزاوة الشيخ ابن روب وهو أحد أعداء الله ورسوله وقد خرج عن طاعة ولي الأمر بصحبة ثلاثين من الفرسان المسلحين، فأخذ أمير الركب محمد المسعودي المدوكالي[2]بعضا من المال والذهب وأغلب الظن فضّة مقابل مرور الركب بسلام إلا أن جنوده سرعان ما عادوا في الغد وسرقوا من الشيخ ابلا واستردها الحجاج ولم ينتهي بهم الأمر بل حاصروا القافلة عند موارد الماء فوقعت بينهم معركة بالسلاح كل طرف يضرب بكل ما أوتي من قوة وصبر لامتداد فترة المعركة من الصبح إلى العصر والتي أسفرت على إصابة الكاتب في سرّته وسرعان ما شُفي ومن الجانب الآخر قتَل منهم اثنين إلى ثلاثة بفضل مهارة ودقة كل حاج ،خليل بن قاصد علي الزموري وقيل أنه صهر والي الجزائر،

[1]- الورثيلاني، المصدر السابق،ص.107،106.

[2]- الطاهر فيلالي، المرجع السابق،ص.142.

وبعدها طلب الخارجون عن الطريق الصفح والتوبة والصلح من قافلة الركب وكان ذلك بشروط بعد أن تأكدوا من صلابة وقوة أفراد الركب[1] ،وبها انتهت المعركة وواصل الركب سيره إلى مقصده، لم تخل مظاهر السرقة في منطقة قابس، فتعرّض الركب لغارة عدوانية وعلى حسب قول الكاتب أنّهم من الأعراب فأخذوا منهم جَملين وبعد أن أراد الحسين الورثيلاني إيداع شكوى لدى حاكم المنطقة قاموا بمهاجمة الركب كاملا ونهبوا كل ما به، فلما وصلوا للحاكم وَعَدهم أن ممتلكاتهم وأغراضهم ستعود إليهم في الغد وبالفعل ما حدث ، فمنطقتي توزر وقابس محل الخطفة بل توزر أعظم فكل من غفل عن حاجة في يده إلا وخطفوها فإيّاك والغفلة فيهما، بل وفي غيرهما فإنّ الغفلة فيها مضنّة التلف[2].

لم يحدثنا الورثيلاني إطلاقا عن تعرّضهم للسرقة في طريق العودة بعد ان سلكوا طريق آخر والذي يربط بمدينة جربة، صفاقس، سوسة، تونس، بنزرت والكاف، ففي هذه المقاطع كلها لم يذكر أي مظهر للتعدي أو السرقة ما يعطي لنا إشارة واضحة أن العامل السياسي والاقتصادي ما جعل ظاهرة السرقة والتعدي تتفشى بشكل كبير في الجنوب التونسي لتواجد الخارجين عن النظام كأمثال شيخ نفزاوة "ابن روب" والذي استقر في وادي **ريغ** ونفس الأمر مع "الشيخ ابراهيم" الذي فرّ من حكم الباي في قسنطينة فأصبحوا يعترضون على الطريق على الحجاج والمسافرين، والسبب الآخر الذي فشي من ظاهرة اللصوصية فقر المنطقة للموارد الاقتصادية والطبيعية نتيجة المناخ والظروف الطبيعية وإهمال النظام الحاكم للمنطقة، ما جعل الفوضى تنتشر واللأمن يسود المكان.

في طرابلس أوفَدَ الباشا علي جماعة من المنشية لمرافقة الركب وحفظه من السّراق لإدراك الأمير أن منطقة طرابلس إلى تاجوراء يكثر فيها قطاع الطرق والمعتدين، فجعل الحماية للركب دون ركب الحج الأخرى، تشريفا وتكريما للحسين الورثيلاني لما له من منزلة ومكانة لديه ونظرا لعلاقته الحسنة معه، فسهّل له أمور تنقل الضعفاء والفقراء عبر الباخرة إلى الإسكندرية دون مقابل وكل ما فعله لوجه الله ثم للشيخ الورثيلاني ، فالحسين الورثيلاني يقر هو بنفسه أنه لم يصنع نفس الأمر مع الركب المغاربية الأخرى، فحفظهم من السّراق في تلك المنطقة فرأى العديد من القرى تهاجمها الأعراب وخصومات و اقتتال بينهم، فنجاهم الله من تلك الغرات بفضل تدخل أمير طرابلس.

---

[1]- الورثيلاني، المصدر السابق،ص.122،121.

[2]- نفسه،ص.128.

فالظلم والجور منتشر بكثرة بإقليم طرابلس ،فالعدل أساس الحكم والملك، فبحكم أنّ المنطقة انعدم بها الأمن والعدل وحلّ محله التعدي والسرقة أصبحت خاليةً من السكان فغارات الأعراب لا تكاد تكف حتى خرّبت الأوطان وهجرت الناس وأفقرت البلد وهذا ما عاينه الرحّالة في منطقة "النعيم" و"الجمية" ما أدى إلى انتشار المجاعات والأمراض والفقر بكثرة في هذا الإقليم[1].

محلة الأمير غادرت الركب بعد أن أمّنت لهم طريق طرابلس ،فعاد الحرامية كما سماهم الورثيلاني وهم الخارجون عن طريق الله و الحكم، فأمسكوا به في منطقة "مسراتة" فبعناية الله ودعاء الشيخ زروق سهّل الله أمرهم وفكّ أسره من أيديهم[2].

لم ينج الحجاج من الصراعات القبلية التي تحدُث بين الأعراش المتنازعة والتي تؤدي بحرب ضروسة بين الطرفين، وقد وقع الركب الجزائري في محل الخطأ من بين المتصارعين، ففي "سطح العقبة[3]أين وقعت هجمات بين قبائل صعيد مصر وقبيلة أولاد علي من سطح العقبة ،فقامت قبائل الصعيد برد الثأر فدخلت الحدود الليبية مسيرة خمسة وعشرون يوما للثأر من أعدائهم فحسبوا الركب الجزائري نفسه أفراد قبيلة أولاد علي فغاروا عليهم وسلبوا منهم بغلين وأربعة من الإبل وجرح بعض الحجاج، وبعد تدخّل الورثيلاني وهيّأ الصفوف لردّ المحاربين ،فبعد أن وضّح لهم الرؤيا الورثيلاني ندموا على فعلتهم وأخبروهم أنهم في محل البحث عن قبيلة أولاد علي للانتقام منهم وكانوا في خمسمائة منهم ثلاثمائة من الفرسان والبقية من الرجال [4]،فهذه الأرض أرض حرب واقتتال وتعد لقلة المياه وارتفاع الحرارة وانعدام السكان بها وغياب السلطة العثمانية في الإقليم ما جعل أيدي الظلم تتسلط بيها، فما اثبته التاريخ ان انعدام السلطة النظامية المتمثل في كيان الدولة يؤدي إلى تفشي الفوضى والاستقرار ويحل محلها العصبية والاقتتال بين السكان، فوطن برقة خالٍ من السكان على الرغم من توفّره الأرض الخصبة فكل شيء بها جميل إلاّ أن تسلّطهم وبغيهم على الحجاج والقوافل التجارية أدت إلى خراب المنطقة وهجرة السكان منها، فالأعراب أهل ظلم وجور، فإذا قوي منهم يأخذ غيره وتلك سنة فيهم[5].

---

[1]-مختار فيلالي، المرجع السابق،ص.148.

[2]- الحسين الورثيلاني، المصدر السابق،ص.210.

[3]- سطح العقبة: الواقعة في القيم برقة ، الذي يربط بين الحدود المصرية والليبية .

[4]- الورثيلاني، المصدر السابق،ص.235،234.

[5]- مختار فيلالي، المرجع السابق،ص.148.

هذه جملة من الصفات التي اتصف بها المجتمع المغاربي (الجزائر، تونس، ليبيا) وقد عللّ الورثيلاني ظاهرة انتشار السّراق في مسالك القوافل والحجاج إلى أسباب دينية، اجتماعية، اقتصادية، ببيئية وسياسية ،فلم يكن تفسيره غيبيا كما ذكر الباحث "طاهر فيلالي"، فنجده يذكر أن معظم الغارات و السراق من الخارجين عن الحكم والفارين عن الجيش العثماني وأقاموا إمارات مستقلة تستمد مواردها من الغزو الاستيلاء و انعدام الأمن من جانب آخر نتيجة فساد الهيكل العسكري للنظام العثماني لتفشي الرشاوي ومختلف الصِّفات الذميمة التي ذكرناها سابقا، فلا يمكن لجندي يأخذ رشاوي من المعتدين أن يعيد الأمن ويُدبه بين العامة فهذا ما لاحظه الورثيلاني وأكّد عليه وهذا هو الفساد السياسي الذي عمّ المنطقة عامة، أما تفسيره الاقتصادي فرده إلى الفقر والمجاعات وكثرة الأمراض وعدم دعم النظام الحاكم للفئات المهمشة وتوفير سبل الحياة الرفيهة ما جعلهم يستندون إلى الاستيلاء والسرقة وكل هذا بغض النظر عن الموقع الجغرافي الصعب الذي يطغى عليه الحرارة والعطش والبرد القارس في الشتاء، وعن الجانب الديني تمثل له في البعد عن تعاليم الإسلام و الاحتكام إلى حكم الجاهلية وجعل من الجهلاء رؤساء القوم وتبني العصبية القبلية التي جعلت من الحروب شغل الشاغل للقبائل، كل هذه الأسباب أوردها الورثيلاني بطرق غير مباشرة، وفي بعض الأحيان يؤولها إلى النظرة الصوفية باعتباره رجل صوفي وصاحب كرامات وولي من أولياء الله، فيري في هجران الأوطان وخرابها عدة أسباب منها الأمن، الموارد الاقتصادية، العدل وأضاف عليها غضب الله ونقمته مثلما حدث لأهل برقة الذين طغوا في البلاد و تعرّضوا لحجاج الله وسيطروا على المسالك فأهلكم الله من أجل أن يفسح لزوار بيته المرور بسلام، ففي نظر الإسلام لا يعد تفسير غيبي ،فالقرآن الكريم أورد العديد من الأمثال عن الأقوام التي طغت وجعلت الظلم والجور ميزان العدل فهلكهم الله و الأمثلة كثيرة منهم قوم عاد، سبأ...،فأهل برقة طغوا في الظلم واتسموا بالصفات الذميمة فتركوا أنعم الله فسلّط الله عليهم العذاب فهجّرهم من أوطانهم فأصبحت خالية على عروشها ولم يبق منها سوى الأثر.

فماذا عن حالة الأمن بمصر والحجاز؟ موضوع السرقة والتعدي طال مسألة الدين والمجتمع والسياسة والاقتصاد في البلدان المغاربة ،فهل ينطبق نفس الأمر على الحجاز ومصر؟ أم أن سياسة النظام العثماني لم تختلف فصورتها في المغرب نفسها في المشرق؟

تعد **مصر** من أهم المحطات التي تمر بها القوافل وركب الحج وفيها يستريح الحجاج ويقيمون لمدة طويلة طلبا للعلم ولقاء أهل العلم في الأزهر الشريف ولما تزخر به مصر من معاهد ومساجد وعلماء، فأصبحت قبلة المغاربة، فداخلها يصعب عليه الخروج، فروح البقاء والمكوث بها يراود زائرها، فالورثيلاني قدم لنا صورة

واضحة عن المجتمع بعد مكث بها مدة من الزمن ودرس على علمائها وناظرهم بل ودرّس في بعض مساجدها، فكيف لا يكون بمقدار هذا الشرف وجده كان مُدرسا في الأزهر الشريف، فعلى الرغم من انتشار العلم الشرعي بها إلا أن مظاهر الظلم والسرقة بدت ظاهرا للعيان وتأسّف الرحالة كثيرا لما رآه في هذا الطريق، ففي منطقة **بولاق** شهد الرحالة مظاهر السرقة والظلم وخاصة الشيالين والحمالين الذي يسرقون أموال الحجاج بالظلم و بإظهار المودة وحسن الصنيعة وعاتبهم عن صفاتهم القبيحة وقد ذكرناها سالفا، فحتى حاكم بولاق متواطئ مع جور الشيالين فقام الحاكم تعدى على الركب الجزائري نتيجة الوشاية والكذب المنتشر بين الشيالين و جنود حاكم مولاق[1].

فالظلم والتعدي الذي حدثنا عنه الورثيلاني في منطقة **بولاق** طغى عليه الجشع والطمع من الحمّالين[2]، واقتصر على فئة اجتماعية دون الأخرى وهنا يختلف الأمر بين طرابلس وتونس ومنطقة بولاق.

عرفت العديد من المناطق في الحدود بين مصر والحجاز بكثرة السرّاق والمعتدين ومكر الحمالين والشيالين ،فأخطرها ببئر الصعاليك(بئر البارود)، بئر عجرود، فغار عليهم المعتدون وأخذوا منهم إبلا، فدارت بينهم مناوشات حتى كفى الله شرّهم ومرّوا بسلام، ففي هذه المناطق نجد غياب للأمن مع تواجد أبراج وجنود أتراك ، نفس الأمر في منطقة بندر النخيل كثر المحتالين واللصوص في الأسواق[3].

الأوضاع الأمنية في منطقة الحجاز لم تختلف عن مصر بل زادت تعفنا وسوءً، فبقيت أخبار الرحّالة تصلنا مثلما كانت عليه من قبل، حتى أحيانا يتداخل حديثه عن مصر والحجاز لتداخل الأسباب والنتائج، فنجد اللصوصية منتشرة بكثرة في منطقة الحجاز وحتى في بيت الله نجدها، هذا ما جعل الرحّالة يتعجب من أمر الأعراب الذين لم يردعهم الخوف الديني نتيجة ذلك ترك الحجاج العديد من المزارات الدينية الإسلامية بمنطقتي مكة والمدينة المنورة لانعدام الأمن بها وخوفهم ليس من سرقتهم بل حتى من قتلهم ،فاشمأز المسلم المغّير على دينه وعقيدته لمثل هذه الصفات المنتشرة في أقدس مكان على الأرض. وسعى إلى إصلاح الأوضاع بنهيه للمنكر وإيصال النصيحة لأولي العزم والراي من الحكام والأئمة، فلقى في بئر العتبة جنودا في الحصن لحماية الحجاج والقوافل من ترصّد الأعراب المسلّحين المنتشرين في الصحاري، فحتى إن كان الركب

[1]- الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص،317.

[2]- مروان العطية، منهج الورثيلاني في رحلته إلى مصر والحجار ، المرجع السابق،ص.282.

[3]- الورثيلاني، المصدر السابق،،329،332.

لم يتعرّض للهجوم والاعتداء إلا أنه يتحرك بخوف شديد [1] فكما يقول الورثيلاني أن الله هو من نجّاهم إذ تعد مناطق جد صعبة لا يفلت منها إلا من سهّل الله له الطريق.

فلم يسلم الحجاج من الاعتداء عليهم حتى بمكة المكرمة أين أخذوا إبل الحجاج وممتلكاتهم ما جعلهم يشتكون إلى سلطان مكة لما تعرضوا له ،حتى كان أن يصبح الحج ساقطا على المسلمين لما يتأذوا من الظلم والسرقة من طرف الأعراب والحمّالين[2]،فيعد أصدق تعبير عن الحالة التي تسودها الإيالات العثمانية خلال هذه الفترة، فحديث الرجل الصوفي الغيور على دينيه أنه من الممكن إسقاط فريضة الحج على المسلم ينذر أن الأمر تعدى مرحلة الخطورة، فيجب إصلاح الأمر قبل حدوث ما كان يخشاه.

فعلى العموم ذكر الرحالة العديد من أنواع و مظاهر السرقة في البقاع المقدسة فأكثرها مرتبطة بالخداع والكذب من طرف الشيالين وأحيانا بين الحجاج فيم بينهم وفي بعض المرات سرقة بين قوافل الحج وخاصة عند التقاء الركب الجزائري والمصري فكثيرا ما حدثت أمور السرقة والتعدي، فبقيت علامات الخوف تسيطر على كل مراحل الرحلة في منطقتي الحجاز ومصر، فطغيان الفساد والظلم وصل الأمر إلى قتل أحد الحجاج محمد بن قسوم الريغي من أجل شربة ماء، وانتقد هذا الفعل كثيرا[3].

ففي طريق العودة بقي موضوع الظلم والسرقة حاضرا في جلّ المحطات التي مرّ بها، ولكن انحصرت في مسألتي الحمالين وتقلّ شدة الخطورة بعد خروجه من وادي الرهبان بالحدود المصرية الليبية[4]، فلم نسجّل أي ذكر لمظاهر السرقة في طريق العودة خلافا لمرحلة الذهاب فقد صادف بعض الأعراب في الجنوب الشرقي الجزائري والجنوب الغربي التونسي وبعضا من الواحات الليبية.

ظُلم الحجاج: تناول الشيخ الحسين الورثيلاني في رحلته نوعا آخر من الظلم ،فهذا النوع قلّما نجده مذكورا في كتب الرحلات الحجازية، نتيجة أن نفسية المسلم القاصد لبيت الله لا تكون فيه ميزة وظُلم الحجاج وسوء أخلاقهم !فالمنطق البشري يصعب عليه تقبل مثل هذه الفكرة ففي نظر العامة، الحاج هو ذلك الشخص

---

[1] – نفسه،ص.369.

[2] –نفسه،ص.422.

[3] – عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة،ج1، المرجع السابق،ص.379.

[4] – آخر ذكر لمسألة السرقة كانت في منطقة كفر حمام بمصر، فكانت قبل وادي الرهبان ان حدثت لهم سرقة الأمتعة من طرف أعراب تلك البلدة(ص،605)، وبعدها لم نجد أي ذكر لمسالة التعدي و السرقة في البلاد المغاربية عامة، هذا لا يجعلنا ان نقول على الرحالة أنه انحاز للمغاربة على المشارقة ، فحتى الجزائر، تونس وليبيا بها مظاهر السرقة و التعدي وقد ذكر ما لاقاه في طريق الذهاب، بالإضافة إلى الصفات القبيحة التي ذكرناها في بداية الفصل، ما يثبت حقا أن الورثيلاني كان موضوعي في وصفه وحتى في قرائته للأحداث.

التقي الورع المسالم في دينه وخلقه وبدنه الراجي من خالقه العفو والقاصد لبيته أن يكون نقي السرير صافي الفطرة، إلا أن الورثيلاني لم يتجاهل الأمر بل أظهره وزجره ودعا إلى الابتعاد عن هذه السلوكات، وهذا ما يثبت موضوعية الورثيلاني في أحكامه و مدى صحة الأخبار التي أوردها، فالحاج في طريقه يتعدى على السكان القاطنين في تلك الأمصار وبالخصوص في مصر، وكثيرا ما عانى أفراد الطبقة الكادحة والضعفاء من الفلاحين والمزارعين الذين يشتكون من تعسّفهم وظلمهم و تسلطهم على خيرات بساتينهم والتعدي على زروعهم و كلإهم بعد مرور مواشيهم وإبلهم على أراضيهم، فلضعفهم وعدم قدرتهم على مواجهة جشع وتسلط قافلة الحجاج ،فيلجؤون إلى الشكوى والبكاء لدى العلماء والصلحاء، فلم يجد نهيهم ولا زجرهم بل تعدى الأمر إلى ضربهم لكن طُبع التسلط والفساد في قلوبهم، ومنهم من يعبر نهر النيل في عبّارة بأجرة ولا يقوم بدفع ثمنها ظلما وجورا وليس فقرا أو نقصا في المال إنما تعدٍّ على حقوق الآخرين، فلم ينفع زجر الورثيلاني لهم ،بل ازدادوا جهلا وعدوانا[1]،ما جعله يترك ركب الجزائر وينتقل إلى الركب الفزّاني الذي يسيره سلطان فزّان وحاكمه لما ظهر منه من العدل والإحسان ما جعله يدخل تحت لوائه فارّا من الركب الجزائري الذي ظهر فيه الظلم والتعدي .

لم تتغير صفات الحجاج المسلمين عامة وليس الجزائريين ،إذ بقيت صفات الظلم والحسد ملازمة لقلوبهم، فهم على مقربة الدخول إلى مكة المكرمة مقصد بيت الله، حدث غيظ في نفسية الشيخ الحسين لما رأى من ظلم الحجاج للحجيج، ما جعله ينفر من الركب المغربي الذي كان قد انظمّ إليه، لما بدا منهم من سوء الخلق فانظم إلى الركب المصري وترك أهله في الركب المغربي إلى أن خيّموا في بدر والتقى بهم[2]، فهذا ما يعطي لنا نظرة عن ركب الحج وما يحدث بها من تعد وجور بين الحجاج فيم بينهم وبين الحجاج وسكان القرى والأرياف.

فالركب المغاربي من الإسكندرية إلى المغرب الأقصى اجتمعوا هذه السنة في قافلة واحدة ما عدا الركب الفاسي الذي انظم إلى الركب المصري، فكان الركب المغربي أكثر قوة وحماية وتحت سلطة السلطان الفزّاني العادل، وإن كان الأمر يختلف أحيانا بسبق أحد الركب على الأخر، فحدثت بعضا من الصراعات الداخلية بين أفراد الركب الجزائري وبين الركب المغاربية عامة، مثلما حدث بين حجاج الركب الجزائري والركب الفزّاني، لسوء صفات الحجاج الجزائريين الذين اتصفوا بالغلظة والجفاء وسوء الأدب، وتمرّدهم عن

[1]- الورثيلاني، المصدر السابق، ص. 282.

[2]- نفسه،ص.374.

سلطة الأمير الفرّاني وإن كان هذا الأخير متّصفا بالحِلم والعدل فلم يكترث لصفاتهم القبيحة، فلا يفقهون في الأمر بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ومنهم بني عامر الذين خرجوا عن طاعة الله ورسوله[1]، ما جعل الورثيلاني ينفر منهم ومن صفاتهم ويلتجئ إلى أهل العدل والصّلاح.

ومن الصفات التي نبذها في الحجاج ،صفة البخل والشحّ ، وعُرف العرب بالكرم ودعا الإسلام إلى التصدق ومساعدة الأخرين ونبذ صفة البخل والشحّ والبخلاء عامة، فدعا إلى الإيثار والنفقة، فالورثيلاني لم يورد لنا هذه الصفة إلا في حادثة واحدة وقد اتصف بها الحجاج، فعند وصولهم إلى إقليم طرابلس أين عمت المجاعة والفقر المدقع، فمات الناس جوعا عند أبواب النّاس ،فترى السائل يصيح على عتبة الدار حتى يموت، فدعا الشيخ الورثيلاني عامة الحجاج إلى التصدق على الفقراء لما ما مسهم من المجاعة والفقر، فلم يتصدق عليهم سوى صاحب الرحلة وصديقيه أحمد بن حمود و محمد الشريف، والأدهى من ذلك أن يقف السائلين على أبواب الخيام فيردونهم بأبشع الكلمات ويلعنونهم ومنهم من يضربونهم، فدعا في الركب إلى ضرورة مساعدتهم وتقاسم معهم الزاد فلم يسمع أحد لما سعى اليه إلا صديقيه [2].

فالورثيلاني من الرجال الذين آمنوا بضرورة إصلاح المجتمع وتوجيهه إلى الطريق الصحيح، فلا نكاد نراه يسكت عن منكر حدث إلا وتدخل، ففي كل الصفات القبيحة والفساد الديني والاجتماعي المنتشر – التي ذكرناها سابقا– إلا وكان حاضرا ناصحا ،ناهيا ،مؤدبا ومرشدا للأمة، فتارة نجده يرشد العامة والرعية وتارة أخرى الحكام والأمراء لتقاسمهم ضريبة انتشار الفساد فوجب على العلماء إرشاد الفاسد ،مثلما فعل مع أمير مكة ،طرابلس، بولاق من جهة الحكام والأمراء الذين طغى فسادهم و تجاهلوا أمور رعيتهم فنصحهم ورغّب فيهم الحق والعدالة، ونفس الأمر فَعله مع الحجاج في تونس، فزّان، مصر والحجاز فنهاهم عن المنكرات ودعاهم إلى سبل الخير والفلاح، وسعى في بلاد الله لإصلاح ذات البين فلا يكاد يُنهي مسألة في الظلم والجور حتى ينتقل إلى بلدة أخرى ليصلح ما وقع بها من جور وتعدي، فكان انتقاله بين القرى في منطقة القبائل والجزائر عامة من أجل إصلاح الأمور الاجتماعية[3] وتقوية أواصر المحبة والأخوة بين المسلمين.

---

[1]- نفسه،ص.539.

[2]-نفسه،ص.611.

[3]- الحسين الورثيلاني، شرح وظيفة سيدي يحي العيدلي،ج1، المصدر السابق، ورقة رقم:05.

فبهذا عارض الورثيلاني مسألة الظلم والجور على جميع جبهاته التي وصفها، فالظلم الأول مرتبط بظلم الأعراب وتقصير السلطة في توفير الأمن والسلام، والظلم الثاني تظالم الحجاج فيما بينهم وظلم الحجاج للمستضعفين والقسم الثالث والأخير فهو ظلم الحكام للرعية، فمن خلال هذه التدخلات يمكن استقراء شخصية الورثيلاني أنه شخصية عادلة في أحكامه ولا يعمل على تحسين صورة المجتمع بل حتى صورة أبناء بلدته فهجرهم لما بدا منهم من سوء الخُلق وعدم رغبتهم في إصلاح أخلاقهم وتهذيبها، فقد بدأ ببلدته فهذا ما يضيف من قيمة مصداقية الوقائع والأحداث التي أوردها لنا.

2-4- الصفات الحميدة: أسهبنا في ذكر الصفات القبيحة التي اتصف بها المجتمع الإسلامي إبان هذه الفترة وذكرنا بعضا من الأسباب التي أدّت إلى انتشارها في أواسط المجتمع حتى يظن القارئ أن تعاليم الإسلام اندثرت ولكن في حقيقة الأمر على الرغم من انتشار الصفات القبيحة والذميمة إلا أنّ هناك في المقابل أهل الصلّاح والتقوى، فحُكم الورثيلاني كان قاسيا على البلدان الإسلامية نتيجة التخلف الذي آل إليه المجتمع، ما جعلنا نطنب في ذكرها، ولا يخلو أي مجتمع من جمعه بين الأخلاق الحميدة والقبيحة، فمن أهم الصّفات الحسنة التي تخلّق بها المجتمع الإسلامي وحافظ عليها خلال هذه الفترة على الرغم من تفشي الرذيلة والفساد نجد:

الكرم والضيافة: من الصفات التي لازمت العرب منذ القِدم، صفة الكرم والجود، فلا تخلو أي بلدة أو بادية مرّ عليها الورثيلاني إلا وكان الاستقبال والاستضافة من معتقد أهل البلد ، فهذا ما وجدناه في قرى القبائل، الجنوب الجزائري، تونس، طرابلس، برقة، مصر والحجاز، فهي العلامة المشتركة بين المسلمين عامة، فحافظ العرب على هذه الصفة، فإكرام الضيف واجب فما بالك عندما يكون الضيف عالما ووليا من أولياء الله. فتصبح الاستضافة أوجب على المضيف، فلا يبخل أهل البيت على الضيف، فيفتحون الأبواب للعامة ويدعونهم إلى غذاء وعشاء عام وهذا ما حدث في قرى بني يعلى، زمورة، توزر، طرابلس وغيرها من الأمصار، فيقدّم المستضيف أعزّ ما يملك وإن كانت الحاجة والقافة قد غلبتهم لفقر المناطق الجغرافية، فهذا الشيخ الحسين بن مصباح في بني يعلى سمع بقدوم ركب الحج ومعهم الشيخ الرحّالة فأوفد لهم الطعام، والشيخ ابن عثمان من **زمورة** يستضيفهم في بيوت من الشَّعر وسهّل عليهم ما كان يؤرقهم فوفّر لهم المبيت والإعاشة، ونفس الأمر اتخذه قائد العزلة في منطقة بوسلام فوفّر لهم الإقامة والاستضافة التامة[1].وشهدت

[1]-الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.80،82.

منطقة البلدان العربية إكراما للضيف، فالعرب والأعراب اتصفوا بميزة الكرم [1]وإن غلبت بعض الصفات الغليظة على أهل البادية، وفي منطقة **مسراتة** خرج إليهم أهل العلم والدين استقبلوهم أحسن استقبال وضيّفوهم على أحسن وجه، وفي بلدة الشيخ زروق بالقرب من مسراتة استضافهم الشيخ أحمد، فأثنى كثيرا على أهل طرابلس لما فيهم من شيم الكرم وحسن الضيافة، فيظهر من كلام الورثيلاني أن الكرم ارتبط كثيرا بالأشراف وأهل العلم و الدين دوّن عامة الناس، فكلما ذكر الاستقبال والترحاب إلا وقرنه بالشيوخ والعلماء والمرابطين[2] ،ما يجعلنا نتساءل هل الكرم والاستضافة أُقيمت لأجل وفود الورثيلاني في الركب؟ أم أنها صفة لازمت تلك النفوس؟ في حقيقة الأمر أن الورثيلاني لما يذكر الاستضافة كثيرا ما يربطها بالعلماء والصلحاء كونه منهم. فالاستضافة التي حدثنا عنها تدخل ضمن علاقاته الخاصة ومكانته المرموقة، فيذكر لنا اسم المضيف فبطبيعة الحال يكون أحد أحبته ومحبيه من العلماء والأولياء مثله أو الحكام والأمراء لمنزلته العالية، فالكرم هنا ارتبط بشخصية الورثيلاني وعلمه دون قافلة ركب الحج، فلو لم يكن الورثيلاني حاضرا في الركب فتخلوا صفات الكرم والاستضافة على أهل تلك الأمصار، وما يثبت صحة ذلك خلو تلك المظاهر في بوادي مصر والحجاز كون الورثيلاني غير معروف لدى الأعراب وأنهم لا يهتمّون بالعلماء والمتصوفة ولا يقدّرون حتى مكانتهم، فالكرم ارتبط بمعارف الورثيلاني خاصة في الجزائر، تونس، ليبيا ومصر وفي الحجاز لم يذكر تلك المشاهد، فحتى مظاهر الكرم التي قدّمها الحكام ارتبطت بحضور الورثيلاني فقط ما نجده في الحجاز، مصر وطرابلس التي أظهر أميرها إحسانا لما رأى من قدر وعلوّ مكانته[3].

الإحسان: الإحسان من الصفات الجليلة التي اتصف بها المسلمون، فقدّم لنا صورة جلّية عن المجتمعات الإسلامية في الإيالات العثمانية، فإذا كان الكرم قد ارتبط بالأشخاص الذين يعرفونه ويعرفونهم واقترن عند خاصة القوم لا عامتهم من الأمراء والعلماء-كما يذكر الرحالة – فالإحسان قد أخذ منعرجا آخر وقد ارتبط بعامة الناس والغاية منه الإحسان لضيوف الرحمان، فمن خلال هذا السلوك جعل الورثيلاني يندهش لما رآها لعدم تعوّده على الخير والإحسان نتيجة لما لاقاه الركب من صعوبات ومشاكل و تدني الأخلاق والابتعاد عن القيم الإسلامية، إلا أن خصلة الإحسان باقية في بعض النفوس وهذا ما حدث له ولأصحابه في منطقة النبط بالقرب من مكة عند "وادي النار" فصعب عليهم الأمر لندرة الماء وارتفاع درجة الحرارة مع

[1]- الحسين الورثيلاني، الرسالة السمرقندية، مخطوطة، المصدر السابق، ورقة 16.

[2]- الحسين الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.618.

[3]- نفسه،ص.619.

الرياح الساخنة فلولا إحسان أحد الأعراب الذي قدم لهم الماء ولم يطلب منهم المقابل، فاستغرب الجميع من فعله وجعله خالصا لوجه الله ولو طلب منهم المال لأعطوا له لكثير ،لأنه أنقذهم من الموت ومن عادة الأعراب يقدمون مقابل المال[1]، وتكررت الظاهرة نفسها في منطقة "زليتن" ،عند الجبل التقى الركب مع شيخين كبيرين مرابطين في الجبل يطعمان الناس العصيدة باللحم فأكل منها جميع الحجيج تبركا وتقربا لله ورغبة في الثواب والأجر[2]، ولم يطلبا من الوفود دفع المال وإنما صدقة لوجه الله ما يثبت أن الإحسان والخير في نفوس الناس وبعد مدة أدرك الورثيلاني أنهما من أولياء الله بعدما أن تشاور في أمر رجوعه ومعرفتهم أنه قد ورث سرّ سيدي عبد الرحمان المجذوب، ولم تستثن منطقة **زنزور** من محبي الصالحين وخدمتهم وعلى رأسهم قائد **زنزور** فبنى مدرسةً لتعليم كتاب الله والعلوم الدينية وجعلها وقفا في سبيل الله ورّحب بضيف الرحمان الشيخ الحسين الورثيلاني وأصدقائه فأحسن إليهم غاية الإحسان، فهو رجل مشهور بالخير والإحسان[3]،فأهل البرّ والإحسان منتشرين في الأرض فهذا ما يؤكد صحوة سرية المؤمن فلا يجب أخذ الموضوع من زاوية واحدة، فالقارئ للحالة الاجتماعية للمجتمع الإسلامي خلال العهد الحديث على ضوء رحلة الورثيلاني يدرك أن الإسلام قد اضمحلّ في هذه البلدان للصفات الذميمة المنتشرة إلّا أن المتمعّن والمدقق في ثنايا الرحلة يجد صفات قبيحة وحميدة اتصف بها هؤلاء الأفراد.

الوفاء بالعهد :أوفد الحسين الورثيلاني فرسه الحمراء في طريق الذهاب عند الأمير علي باشا أمير طرابلس، وفي طريق العودة عرّج عليه هو وأصحابه فأحسن إليهم وأكرمهم وسعد بمرورهم، يحترمه أشد الاحترام لعلوّ مكانته الدينية وكان كثير الحياء من الشيخ الورثيلاني لصِغر سنه، فأوفى بعهده وأعاد له فرسه الحمراء التي استودعها عنده، فلما أخرجها من داره تعجّب الناس وذلك كله من حسن اعتقاده ،فهو الأمين العادل على رعيته[4].

3- الجانب السياسي والعسكري: العديد من الكتابات والدراسات يروْن في شخصية الورثيلاني أنه رجل زاوية ومتصوف، ذو فكر مرتبط بالمسجد وزاهد بنفسه عن المجتمع، هذا هو مخيال التصوّف لدى العديد من الأشخاص ،إلا أن كتب التاريخ والتراجم والسير تعكس هذه النظرة تماما، فدراستنا هذه حول الشيخ الحسين

[1]- محمد بن حسن بن عقيل بن موسى الشريف، المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة المنورة، المجلد الأول، ط1،دار الأندلس الخضراء،2000 المملكة العربية السعودية،ص،361.

[2]- الحسين الورثيلاني، الرحلة...،المصدر السابق،ص.622.

[3]- نفسه،ص.641.

[4]- نفسه،ص.633.

الورثيلاني وإن غلب عليه الطبع الصوفي فنجده في نفس الأمر رجل سياسي وعالم في العلوم العقلية بغض النظر عن العلوم النقلية، فقدم لنا العديد من الأحداث التاريخية وبعضا من النُظم السياسية المنتهجة في تلك الفترة، فطغى الفساد السياسي الذي أثّر على جميع الجوانب الأخرى، فقدّم صورة سلبية عن السياسة العثمانية لما ظهر من تفشي الصفات والسلوك الفاسدة منها البذح والترف، الظلم العسكري، الرشوة، التعدي، عدم الاهتمام توفير الأمن، غياب السلطة كل هذا انجرّ سِلبا على أوضاع المجتمع الجزائري الذي بقي منعزلا عن كل ما يحدث، متجليّا في:

3-1- الاضطهاد السياسي: بيّن لنا الورثيلاني أنّ الفساد السياسي الذي عرفته الإيالات العثمانية أدّى إلى اضطهاد كل من عارضَ سياستهم الداخلية في تسيير أمور البلاد ما أدّى إلى ظهور انشقاقات بصفة فردية أو جماعية، منهم من أسّس ممالك وإمارات معارضة للنظام العثماني وآخرون خرجوا منشقين وأصبحوا مضطهدين ،فيعد الجنوب ومنطقة الصحراء ملاذا لهم لعدم وصول الأتراك العثمانيين إلى هذه المناطق، فظهر منهم المنشقون فنجد قبائل **النمامشة** التي انتشر بها البغي والتعدي ولم تكن تحت إمرة باي قسنطينة ولا باي تونس فهي مستقلة بذاتها فجعلوا السرقة والنهب موردهم الاقتصادي، فهم هاربون في الصحراء[1],في الجنوب التونسي استقر الشيخ ابن روب وهو أحد شيوخ نفزاوة خرج عن صاحب حكم ولاية تونس وجعل من منطقة وادي **ريغ** حكمًا له مستقلا رفقة مجموعة هاربة فجعلوا من التعدي والظلم موردهم الاقتصادي.

في الجريد التونسي بين **توزر وأولاد يعقوب** التقى الركب مع الشيخ ابراهيم ابن الشيخ بوعزيز الحناشي الذي فرّ من باي قسنطينة ولجأ إلى الجنوب التونسي رفقة رهط من الجند ويُذكر أن سبب اضطهاده من الأتراك أنه خرج عن حكم الله وحدوده فتزوّج أكثر من أربعة نسوة بل وصل به الأمر إلى أن نكح اثنتي عشر امرأة، فبقي الجند التركي يترصده ويتبع أثره، فكلما قدم ركب أو قافلة إلا وتأهّب رفقة عصبته تحسبا من أن الجنود الأتراك تبعوه[2]، فالسبب يكون أكبر من هذا فلا يمكن أن يتفرّغ الجيش التركي لمتابعة شخص لأجل أنه تزوج أكثر من أربعة نساء، فالأتراك لم يحاربوا الفساد الديني المنتشر في المجتمع وحتى المنكرات لم يتدخلوا ولم ينهوا عنها فكيف بأمر مثل هذا يتأهب الجيش من أجله، فالأمر يكون أعظم من هذا والأقرب للصواب يكون أنه عارضهم سياسيا وتم اضطهاده مثله مثل كل معارض لا يقبل سياستهم أو ينتقد حكمهم الجائر.

---

[1] -Hadj Sadok(M), Op.cit. P.351

[2] الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.126.

لم يقتصر الفرار والاضطهاد على فئة الجزائريين بل امتد إلى الأتراك، فظهرت صراعات بين الأتراك فيم بينهم، فقدم شيخ الخنقة ليلا رفقة مجموعة من الأتراك قادمين من الجزائر العاصمة هاربين من السلطة التركية محاولة النجاة والذهاب مع الركب إلى المشرق[1] والبقاء هناك ما ينبئ أن التعفن السياسي بلغ أقصاه ولم يعدْ البقاء يطيق بأهلها.

3-2- الصراعات السياسية: عرفت الإيالات العثمانية صراعات سياسية داخلية وخارجية، بين الحكام والأمراء وبين السلطة والرعية، فكثر القتل والخراب فخُربت قرى بأكملها وأخرى أحرقت لمعارضته للسياسة العثمانية فيحدّثنا عن قرية "بني عشاش" موطنه الأصلي الذي خرج عن طاعة الله والنظام العثماني فقيّد عليهم قوات الباي فأحرقهم، ففي بسكرة يتكرّر نفس الأمر فالشواهد المادية تدل على وجود مراكز وأبراج عسكرية في زمورة وبسكرة وفيها محل شيخ العرب ابن قانة ،وأحواز منطقة بني ورثيلان بضواحي وادي بوسلام أين تواجد قائد العزلة[2]،فأهل الجبال والصحاري تمرّدوا وخرجوا عن النظام الفاسد الذي تخلى عن مصالحهم وجعل المصلحة الخاصة تطغى على العامة فقال عنهم الورثيلاني"...وحكم السلطان غير نافذ فيهم، إذ لا يقدر عليهم، وإن كانوا قريبا من الجزائر لكونهم تحصّنوا بالجبال فلم يفدْ فيهم إلا همّة الصالحين وأهل الخير" فكان الشيوخ والمرابطين والعلماء من يتوسط بينهم وبين النظام العثماني، فالوطن كما يذكر الورثيلاني أنه خال من السلطان لا يحكم فيه النظام فانتشرت الفوضى والبغي والاقتتال، فأصبح الظلم شعارا قويّا .فالقبائل المناصرة للعثمانيين أقوى من القبائل المعارضة، فانقسم الناس فيم بينهم واشتد الخلاف والنزاع وتسلط أتباع الأتراك وانتشرت الحروب والصراعات السياسية بين موّال ومعارض، فسكان أهل بسكرة جزء منهم على قول الأتراك والآخر عكس ذلك ما جعل النظام يقيم حاميات لمراقبة المعارضين والخارجين فجعل عليها برجان عامران أحدهما في البلد والآخر خارجها، فاشتد خرابهم فخرّبوا المدينة وجهلوا أهلها واستحوذوا على أملاكها وأبعدوا أهلها وعينوا الجهّال والطواغيت عليها ما أفسدها وأضاع عنها تاريخها الثقافي والديني، وعن سبب خرابها يذكر: قد خربت وصارت دكا وسبب ذلك فتنة بينهم فأدخلوا الترك فأهلكوها حتى بقي القليل منها" ولم يقتصر سبب تخلّفها على الأتراك فقط بل امتدّ إلى سيطرة الأعراب عليها، فيستولي تارة عليها الترك وتارة أخرى الأعراب القادمون من البوادي والصحاري، فانتهى الأمر ببناء برج يصدّ الأعراب

[1]-مختار فيلالي، المرجع السابق،ص.105.

[2]-Hadj Sadok(M), Op.cit. P.355.

عنهم وأثقلهم الأتراك بالظلم والجباية[1] حتى أصبحت في خراب دائم، امتدّ الصراع السياسي إلى جميع الأقطار الخاضعة للحكم العثماني ونفس الأمر امتدّت السياسة العثمانية فظاهرة تهديم المدن وتفقيرها بادية في تونس فنجد مدينة **صفاقس** و**توزر** عانت نفس الويلات التي عانتها بسكرة ،فالتعدي والظلم واللاأمن هو السائد في البلد عامة .

إن السياسة القائمة على الشعبوية في تسير أمور الرعية يعود في الأساس إلى فساد النظام الإداري والسياسي، فالتصارع على الحكم والولاية جعل ذلك ينقلب سلبا على أحوال الأوطان، فاستمر الاقتتال حول الحكم فأدّى بالجشع وحب التملك إلى قتل "باشا علي" الحاكم على إيالة تونس من طرف أولاد عمّه الحسين، الذي هو بدوره قام بخلعه عن الحكم فقتله، فثار الأبناء ضد "علي باشا" انتقاما لمقتل أبيهم الحسين وخلعه من الحكم بمساعدة الجزائري وأصبح الحاكم الجديد "علي باشا" الذي عين عام 1735م عاملا لداي الجزائري ،فثار ضده أبناء عمومته فأقاموا حكما ذاتيا على مدينة الكاف بعد أن أسقطوها من الحكم التركي، فأصبحت خاضعة لهم ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل طلبوا الدعم والمعونة من القوات العثمانية الجزائرية لإسقاط من عينوه وكان لهم ذلك عام 1759م فاسقطوا نظام "علي باشا" وقتلوه رفقة ابنه[2]، لم تسلم مصر أيضا من الصراعات السياسية الداخلية فقام "الباي صالح بك" بثورة ضد النظام الحاكم بعد تنحيته من الحكم لوشاية من أحد خصومه، فكثرت التحالفات والاقتتالات فيم بينهم وكانت قوته في الجنوب بالصعيد المصري.

3-3- الحروب السياسية: تطرق الورثيلاني إلى مسألة الحروب بين الإيالات التابعة للحكم العثماني، فالمنطق التاريخي يوحي لنا بالتحالف والتعاون والتواصل بين الإيالات بحكم التاريخ والنظام المشترك بغض النظر عن الدين والهوية...، فالسلطان أو الخليفة واحد، فكيف تكون حروب بين إيالاته؟ فهذا يدل على ضعف النظام وعدم قدرة السلطان العثماني التحكم في أقاليمه أو أنّ الأمور خرجت عن سيطرته فأصبحت في أيادي الجيش الانكشاري أو ريّاس البحر يعينون ويعزلون من يريدون دون الرجوع إلى سلطة الخليفة، فالانقلابات السياسية في تونس ومصر يثبت ذلك وما حدث في الجزائر وطرابلس أيضا فاصبح نظام وراثي في طرابلس فالحكم متوارث في أسرة "أحمد باشا" الذي حكم البلاد والذي أدركه في حجته الأولى عام 1740م وفي الحجة الثانية عام 1754م أدرك ابنه "محمد باشا" وفي طريق عودته أدرك ابنه "علي بن محمد"

---

[1]- الحسين الورثيلاني، المصدر السابق،ص.89،87.

[2]- الورثيلاني، ص،683، ينظر أيضا:Hadj Sadok(M), Op.cit. P.349، ينظر أيضا :مختار فيلالي، المرجع السابق،ص.108.

باشا وقد عيّن أخاه بايا على مدينة ابن غازي، فانتشر القتل والصراع فيم بينهم ،فلم تكن الشكاوي تصل للحكام لكثرة الحجّاب والقوّاد على الحكام.

فأصبح السلطان العثماني غير قادر على تثبيت ممثليه في إيالاته، فإيالة الجزائر استحوذت على ايالة تونس ودخلت في حرب معها وانتصرت عليها وأصبحت تونس من إقليم قسنطينة تحت حكم داي الجزائر وفيها هدمت القوات الجزائرية سور مدينة الكاف ،ووقع فيه قتل كثير وقتل فيها باشا تونس وأسرته[1]،فمدينة الكاف التونسية هي الحدود الفاصلة بين إيالتي الجزائر و تونس.

وتتجدد الحروب السياسية بين مختلف المناطق الحدودية من أجل توسيع الرقعة الجغرافية، إن كانت بعض مراسم الحدود موجودة، فمنطقتي النوائل ورغمة الواقعتان في الحدود بين تونس وليبيا، فالنوائل من أرض إيالة طرابلس وهي أقصى حدود طرابلس الغربية، ورغمة أقصى حدود إيالة تونس من الناحية الشرقية وقد وقع بينهم اقتتال عظيم وسلطة الحاكم التونسي غائبة في ظل سيطرة بعض الأسر المرابطة النافذة في المنطقة منها أولاد مريم والحمارنة ولهم جاه عظيم عند سلاطين تونس وقد أحسن وصفهم الورثيلاني أنهم من أشرف وأجود وأكرم العرب وقد زيّنهم الله بحسن المظهر والملبس، فلا تكاد مثل هذه الحروب تنتهي فتونس بين نارين حروب مع عمالة طرابلس في الشرق وإيالة الجزائر في الغرب[2]، ونفس الأمر بالنسبة لطرابلس(لبيبا) فهي في حروب مستمرة مع تونس في الجهة الغربية ومع مصر في الجهة الشرقية حدثت العديد من الصراعات القبلية بين القبائل المصرية والليبية.

من جهة أخرى قدم لنا صورة عن حسن العلاقات بين دايات تونس وطرابلس، ففي طريق عودته التقى بوفد طرابلس العائد من تونس ومعه هدية عظيمة قد سروا بها، وإن ذهبوا بهدية إليه ،فهذه الهدية أعظم وأجسم وأحسن وأكرم[3] ،فمن جانب العلاقات السياسية تبقى السّمةَ الوحيدة التي تطرق إليها الرحّالة وإن وجدت مثل هذه المبادرات فهي نادرة وتعود لمبادرات شخصية من الحاكم، فهي مرتبطة بشخصية الحاكم وليس بنظام الحكم. فعلى العموم نجد غيابا تامّا للسلطة العثمانية في أرجاء البلاد فأصبحت الأمور تُسيّر بالفوضى وبالحروب والاقتتال وانعدام الأمن وهي الظاهرة التي تحدّث عنها الورثيلاني كثيرا والتي أسفرت إلى تخلف البلدان وبقائها تشتغل بالفتن وبالحروب دون الاهتمام بالعلم والمعرفة وعدم

[1]-Hadj Sadok(M), Op.cit. P.349.

[2]- الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.651.

[3]-مختار فيلالي، المرجع السابق،ص.110.

تشجيع الحكام الأتراك العثمانيين للجانب العلمي ما جعل الوطن الإسلامي السائد تحت النظام العثماني يعيش تقهقُرا وفسادا في جميع الأنظمة.

3-4- الإمارات المستقلة :منذ استنجاد أهالي الجزائر بالأخوين **عروج** و**بربروس**، لم تتوان دعاوي الانفصال والاستقلال عن النظام العثماني، فظهرت إمارات مستقِلّة أو بالأحرى ممالك حافظت على استقلالها وتسييرها الذاتي لنفسها، ولفساد النظام العثماني تكاثر عدد المبغضين للعثمانيين واشمأزّوا من تصرّفهم عن خدمة الرعية فجعلوا أنفسهم حكاما على قبائلهم، فالورثيلاني وإن كان على علاقة جيّدة مع العثمانيين وخاصة أنّه تحالف مع باي قسنطينة لقمع المضطهدين واستشارته من قائد ركب الحج العثماني ،فعلى الرغم من الامتيازات التي تحصّل عليها والمكانة المرموقة التي حُظي بها إلا أنّه لم يتوان عن كشف عيوب النظام وصفاتهم القبيحة ،ومن جهة أخرى أقام علاقات مودة وصداقة مع أعداء العثمانيين وهم الممالك المستقلة في منطقة القبائل منها :

-"إمارة كوكو "نسبة إلى القاضي أبو العباس الغبريني الذي عينه حاكم بجاية التابع للحفصين فأصبحوا يلَقّبون بأولاد القاضي[1]" ،فتوطّدت علاقة الورثيلاني بهم عن طريق المصاهرة والتدخّل لإصلاح ذات البيْن في هذه المناطق، فتُعَدّ منطقتي "جمعة الصهريج و آيت يحي" مقر الإمارة للمستقلة عن النظام العثماني والعلاقة بينهما علاقة حرب وتوتر إلا أنّ للورثيلاني علاقات وطيدة مع آيت القاضي وحتى مع العثمانيين ،فكيف استطاع التوفيق بينهم جميعا؟

للمرابطين والعلماء مكانة علمية وسياسية لدى الجميع ويحضون باحترام شديد لحاجة السلطة والعامة إليهم ،ونفوذهم ظاهر في كل الجوانب ما جعل السلطة الروحية أقوى من السلطة السياسية فالجميع يناشدهم ويتقرب إليهم، فهذا أمير إمارة كوكو محمد بن القاضي الشريف الملقب أبا وغثوش عزم على السفر إلى الحجّ مع الورثيلاني بعد أن زاره في مقره جمعة الصهريج وكان له ذلك إلا أنه توفي عند طريق العودة بعد خروجِه من المدينة المنورة[2]،وقد أصبحت عائلة آل القاضي تعرف بأولاد بوختوش منذ عام 1625م بعد وصول سي أحمد بوختوش إلى توليه الأمارة[3].

---

[1]-Boulifa, le Djurdjura à travers l'histoire depuis l'antiquité jusqu'en 1830 ou l'indépendance des zouaoua, éd j bringo, Alger(1925), pp.76, 77.

[2]الورثيلاني، المصدر السابق،ص.16.

[3]-Genevois(H),légende des rois de koukou, Sidi Amar ou- el kadi, sidi hend le tunisien ,numéro 121 du fichier ,1er trimestre ,imprimer en Algérie, 1974,P.16.

-**قلعة ايت عباس (ال المقراني)**:قد ذكر الورثيلاني أنّ جدّهم الأول سيدي أحمد بن عبد الرحمان جد أولاد مقران، وإن كان جدهم الأول سيدي عبد الرحمان، فكما هو معلوم أن هذه المملكة عرفت عدة تسميات منها أولاد عباس ،أولاد مقران، ففي باد ئ الأمر تسمى "بني عباس" نسبة إلى أميرها أحمد بن عبد الرحمان الذي كان يلقبه والده بالعباس، ومُنح للأمير أحمد لقب السلطان لقوته ولتوسع مملكته وحسن تنظيمه وتسير أمورها ثم خلفه ابنه عبد العزيز والذي قتله أتباع الداي بتواطىء من أمير إمارة كوكو، ثم خلفه ابنه أحمد أمقران ومن هنا بدأت سلالة آل مقران وتغير اسم السلطنة من أل عباس إلى آل مقران[1]،وأنهم من الأشراف الأدارسة كما وُجد نسبهم في طبقات ابن فرحون، فغلب على أولاد مقران الظلم والجور ووصلت إمارتهم إلى حدود تونس ووادي ريغ جنوبا ،والأغواط ووادي مزاب غربا، فامتد ملكهم على مدة ثمانين سنة، وحكم الأتراك عليهم ضعيف ،فكثرت الخديعة وقلّ الحياء [2]عندهم فكثيرا ما يتردد العلماء والصلحاء لإصلاح ذات البين.

أوفد لنا الورثيلاني عديد المعلومات والتي تناولت عدة جوانب ،فالوضع العام في الجزائر أو في الإيالات العثمانية الأخرى لا يختلف كثيرا، فنفس الذهنية التي سادت في مختلف الأقطار ما جعلها تعاني نفس النتائج وعلى مختلف الأصعدة، فلم يكشف لنا الورثيلاني عن الصورة السيئة للمجتمع الإسلامي، بل قدم لنا وجهة نظر عن الحالة السياسية العفنة التي تسودها الخلافة العثمانية وما ترتّب عنها في العمالات التابعة لها.

ساهم التعسّف و التهميش العثماني في الجزائر من تزايد حقدٍ و ضغنٍ أهل البلد للحكام ،فبقيت العديد من المناطق خارج السيطرة و الحكم العثماني وتعدّى الأمر من سياسة المهادَنة إلى القطيعة والحرب وعلى هذا أنشأ الأتراك قوات من الجزائريين يعملون على قمع الثورات المحلية من القبائل المعارضة المنتشرة في المناطق الجبلية بمنطقة (القبائل)، ومناطق بالجنوب الشرقي منها بنو جلاب ، ومنطقة بني مزاب التي يقطنها الأمازيغ الإباضين الذين يحتكمون إلى مجلس من الحكماء و الشيوخ بعيدا عن الأطُر والقوانين العثمانية[3].

---

[1]- Aïssani D. Et Sedik D,**La Qal`at n'Ath Abbas** Encyclopédie Berbère, Fasc. XXXIX, Peeters Publisher, Leuven (The Nederland) pp: 6633-6641, 2015 .
URL :http://www.peeters-leuven.be/search_serie_book.asp?nr=262

[2]- الورثيلاني، المصدر السابق ،ص.36،37.

[3]-Albert Hourani, Historia de los pueblos Árabes, Editorial Ariel, S.A ; Barcelona ,España .1992.P.181.

الفصل الثاني: التصوف والرحلة عرض حال.

أولا: مظاهر التصوف بالجزائر خلال رحلة الورثيلاني.

1- العمران الديني : تميّز عصر الرّحالة الشيخ الحسين الورثيلاني بانتشار للحركة الصوفية في الجزائر خلال العهد العثماني فتكاثرت المؤسسات الدينية المستقلة ،نقول كذلك كونها تُسيّر من طرف أشخاص وجهات خاصة ليست تابعة لمؤسسات النظام العثماني،فحكم الأتراك طغى عليه الجانب العسكري متجاهلا الثقافة والعلم وتسيير أمور الدين ما جعل مشايخ الطرق الصوفيّة، المرابطين، الشرفاء، أهل العلم والدين خاصة يسيطرون على هذه المؤسسات التي سعت إلى جعل نفسها ممثلة للجانب الروحي وملء الفراغ الديني في المنطقة، فقد اثبته الورثيلاني لما دخل إلى بسكرة قال"...وصارت دكّا وسبب ذلك فتنة بينهم فأدخلوا التُرك فأهلكوها حتى بقي القليل[1]"، وفي طريق عودته جعل باي قسنطينة الحامية العسكرية التركية المتواجدة في مشارف عرش بني عشاش في إمرة الرحّالة فأحرق البلدة وأدّب العامة التي خرجت عن طاعة الله ورسوله[2]، فاستذكار الحاميات والجنود في ظل تغييب المؤسسات الدينية النظامية.

إذا كان هناك تقصير وتغيب للدور الديني في الواقع الاجتماعي، فهذا لا يتّسم بالنظرة الإقصائية للدّين الإسلامي في الإيالات العثمانية وإنما ناتج عن الإدارة السياسية وطبيعة الحكم،فالإسلام السنّي تمثل في جانبين أولها الجهادي والآخر متمثلا فيما يسمى "البركة" فالأول ارتبط كثيرا بنظام الأوجاق والانكشارية الذين دافعوا عن الجزائر المحروسة من طرف الغارات الأوروبية و مسألة "البركة" مرتبطة بالجانب الصوفي[3].

تولّد لدى عامة الباحثين أن العهد العثماني هو عصر التصوّف بحده، ففيه بلغ مجده وانساق الناس وراءه، وظهر العديد من المتصوفة ،فتكاثرت مجالس العلم والدين، فتناقلت المصنفات الصوفية بين الطلبة و أهل العلم ،ما ولّد جوّا روحيا دينيا، فأصبح من النادر أن تجد شخصا دون شيخ حتى تعارف الناس أن من لا شيخ له فالشيطان شيخه، فسلك الجميع طريق التصوف القائم على كتاب الله وسنة رسوله، وفكر الانتشار والتكاثر يجعل من الشيء يأخذ مسارا مختلفا عن بداياته نتيجة لتكثر تشعباته وغلوّ البعض الآخر، فتشكّل التصوّف والمتصوّفة جعلوا من أنفسهم ركيزة ينطلقون بها ومكانا للتعبّد والتدريس ولقاء المريدين، فظهرت العديد من المؤسسات الدينية التي أصبحت منبرا ينطلق منها الإشعاع الديني والعلمي، فالقارئ للرحلة يُدرك أن الأمصار الإسلامية ساد فيها

[1]- الحسين الورثيلاني، الرحلة ، المصدر السابق، ص.87.

[2]-نفسه،ص.75.

[3]- CANAN HALAÇOĞLU, Occupation and the colonization of Algeria from 1830 to 1870: a struggle for dominance, a thesis submitted to the graduate school of social sciences of Middle East Technical University, SEPTEMBER 2013.

التصوّف والجزائر بالخصوص ومنطقة القبائل أو زواوة بالتخصيص ، وتجلى التصوف ظاهريا من خلال المؤسّسات الدينية الإخوانية التي أنشأوها وسيّروها ،منها الوقف وهي بمثابة الممول المالي والاقتصادي لضمان سيرورة مؤسسة الزوايا، المسجد، الجامع، الكتاتيب، وكلها ساهمت في تأسيس ما يسمّى بتدريس العلوم الصوفية [1]، بالإضافة إلى مؤسسات أخرى صوفية لكن أقلّ مساهمة من التي ذكرناها مثل القبب و الأضرحة ... ، فسنتطرق إلى ذكر هذه المؤسسات التي ذكرها الورثيلاني في رحلته والعمل على تعريفها في خضم تغيبها بحكم أن الرحلة غير محققة.

1-1- الزوايا: فالزاوية من الانزواء أي الانفراد، فانفراد المتعبّد في خلوته لعبادة الله متمثلا في مكان تعبّده وهي الزاوية ومع الوقت أصبح النّاس يتقرّبون إلى صاحب الخلوة، العابد الزاهد في تلك الزاوية فأصبحت مكانا للتدريس والتعليم القرآني، فجّل العلوم من الجانب الديني الصّوفي بالإضافة إلى بعض من العلوم العقلية كالحساب والفلك[2] ...،وما يميّز الزاوية أنها تحتوي على ضريح أو قبّة لمؤسس الزاوية وظاهريا صاحب الضريح يكون شيخ طريقة، مرابط، زاهد...، فهو المؤسس الأول لتلك الزاوية وهو أول شيوخها[3]، ونفس الميزة يتقاسمها المساجد والجوامع فقال الورثيلاني عند مدينة قسنطينة أنها عامرة بالمساجد و الجوامع وكلها منسوبة للأولياء الصالحين من الصوفية والأشراف والمرابطين وأن كل مسجد يحتوي على ضريح[4].

تعدّدت وظائف الزاوية بتعدد أنواعها، فعرفت الجزائر عدة أنواع من الزوايا حسب ارتباطها منها :

أ – زوايا المرابطين وهي أكثر الزوايا التي انتشرت في منطقة القبائل ،وقد ذكر الشيخ الحسين الورثيلاني العديد منها بل جلّها بحكم أنها لا ترتبط بشيخ طريقة صوفية، وإنما علاقتها المباشرة تكون مع المرابطين،الذي يقوم بتأسيس قاعة للتعبّد في المناطق الجبلية بعيدا عن صخب الحياة وصراعات البشر والفرار من الفساد والحرام المنتشر بعد ابتعاد الناس عن طريق الحق ،فغالبا الزاوية تتواجد خارج المدن في "البراري "ونفس الأمر ينطبق على الرباط، إلا أنه لا يمكن أن نعمّم هذا القول على كل الزوايا ،فهناك بعضا منها تتواجد في وسط المدن[5] ،و بمرور الوقت يتوافد الناس على تلك المنطقة فتصبح على شكل قرية آهلة بالسكان و يمثلهم الشيخ مؤسّس الزاوية والقرية مثل

[1]- Katia Boissevain. Sainte parmi les saints Sayyda Mannûbiya ou les recompositions culturelles dans la Tunisie contemporaine,Ed, Institut de recherche sur le Maghreb contemporain, Tunisier,2005,P.69-72.

[2]- -Devoulx(A).Les Édifices religieux de l'ancien Alger.Rev.Af.V.7.(1863).P.166.

[3]-Carlos Gonzalbes Cravioto,Rabita y Zawiya en la Ceuta medieval :Similitudes y diferencias, congressos internacionals de Sant Carles de la Ràpita sobre La Rábita en el Islam : estudios interdisciplinares, Ajuntament de Sant Carles de la Ràpita Universidad de Alicante,2004.P.275 .

[4]- الورثيلاني ، الرحلة ، ص.694.

[5]-Jasim Alubudi, las Rabitas, Zawiyas y takyas Baghdadies e Ibn Said, congressos internacionals de Sant Carles de la Ràpita sobre La Rábita en el Islam : estudios interdisciplinares, Ajuntament de Sant Carles de la Ràpita Universidad de Alicante,2004.P.320.

زاوية سيدي تواتي البجائي الحفيد بقرية امزين وزاوية أبيه سيدي الصادق بقرية لعزيب سيدي صادق اللتان انبثقتا عن الزاوية الأم والمؤسس لها الشيخ سيدي تواتي البجائي ببجاية[1] ،وأحيانا لا يكون هو المؤسس فيكون قد انتقل من أجل إصلاح أهل القوم وبقي عندهم وأقام لهم زاوية للتعليم مثل زاوية سيدي الحسين الورثيلاني بقرية آنو التي انتقل إليها

فزوايا المرابطين تعتمد على الأوقاف من أجل تدريس الطلبة وتوفير الإيواء والإطعام للطلبة الأجانب والمعوزين، فلهذا ألزم شيخ الزاوية "المرابط" أحد مكلفيه والذي يُسمى "بالوكيل" ليتولى شؤونها والنظر فيها، وخاصة مؤسسة الأوقاف وكذا الهبات والصدقات التي تقدم للزاوية، فنجد "زاوية آنو" ببني ورثيلان تستمد أوقافها من عدة قرى ومناطق وفي هذا نصّ فتوى عن أهل قرية "ايسمامن" تجادلوا في مسألة تقديم وقف المسجد لزاوية قرية "آنو" فأفتى مرابطو أهل بني ورثيلان بشرعية ذلك بتقديم طالب العالم عن كل شيء ونفس الأمر أفتى به المفتي ابن مسعود و قاضي قسنطينة علي لونيسي[2]،وقد عرفت استقطابا لكثير من طلبة العلم بحكم الخدمات المجانية و استقلالية الطالب في اختيار شيخه دون تقييده بشيخ أو رد معين، فمن الزوايا التي عرفت ونالت شهرة لدى طلبة العلم زاوية سيدي أحمد بن عبد الله، سيدي عبد الرحمان الثعالبي، سيدي محمد شريف[3] ومن جهة أخرى نجد زوايا للمرابطين لا تملك نظاما داخليّا فتكتفي بالتدريس والتعليم فقط دون الإقامة والإطعام وفي حالة تسجيل طالب بعيد عن بيته تتكفل إحدى عائلات القرية بإيوائه.

ب –زوايا و مشايخ الصوفية :أو يمكن أن نطلق عليها بزوايا الطرق الصّوفية فهي مرتبطة بشيخها صاحب الإذن والفتح، ولها هيكلة إدارية و روحية ،و تسير وفق نمط خاص يحدده شيخ الطريقة وعلى المريدين والأتباع الانصياع إلى تلك الأوراد التي يُقرّها صاحب الطريقة ،فلها انتشار كثير بالجزائر العثمانية وجلّ الطرق الصوفية لها زاوية الأم أين يتواجد مؤسس الطريقة وفيها يدفن ويضعون له ضريحا ليُزار فيما بعد و بها أيضا زوايا فرعية تُقام في المناطق التي انتشرت الطريقة ،ويعيّن عليها ممثلا ولها كامل الطاعة والخضوع للزاوية الأم ، منها الزاوية القاسمية الرحمانية ببوسعادة، الزاوية الحملاوية بقسنطينة وغيرها.

---

[1] -BENAFRI (C), Las relaciones entre España, el imperio Otomano y las regencias Berberiscas en el siglo XVIII (1759 -1792), Tesis doctoral, Departamento de historia moderna, Universidad Complutense de Madrid, 1994, P.90.

[2] – مجموعة فتاوى عن الأوقاف ، حبس أوقاف قرية "ايسمامن" لصالح زاوية سيدي الحسين الورثيلاني بقرية "آنو" ، مؤرخة في شهر محرم عام 1191 الموافق لـ 1777 مختومة بإمضاء لعدة مرابطين بالضافة إلى مفتي قسنطينة ابن مسعود و قاضيها علي لونيسي.

[3] - -Chitour (Chems Eddine).Histoire religieuse de l’Algérie, identité et la religion a face à la modernité .Ed, E.N.A.reghaia.2002.Alger.P.P.356.357.

ج –زاوية الطلبة فلا تنتسب لهذه ولا لتلك فهي مستقلة تُسيّر من طرف الطلبة وهي جدّ قليلة الانتشار منها زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي بعزازقة ، توفر الزاوية الإقامة الداخلية للطلبة ولديها نظام مستقل.[1]

من أهداف الزاوية بعد أن تخلّت عن دورها الجهادي بعد تحرير المدن من الغارات الأوروبية تحوّلت إلى أماكن لاستذكار النصوص الدينية وإقامة الطقوس والاحتفالات كمولد النبي ،ويتواجد بها ضريح أو قبر صاحب الزاوية وبها غرف للتعليم والتدريس وحتى لاستضافة الأجانب كابن السبيل وحجاج بيت الله وتقدم خدماتها مجانا. تعد المقبرة من السّمات الأساسية للزاوية[2] وتضمّ ضريح الشيخ وكثيرا ما نجد حديقة بالقرب من الزاوية وبها شجرة كبيرة وتحتها يوجد قبر شيخ الزاوية وهذه الملاحظة كثيرة الانتشار في بلاد شمال إفريقيا والأندلس [3]،فالعودة إلى المساجد التي ذكرها الورثيلاني نجد صحّة ذلك في ضريح سيدي تواتي البجائي الحفيد ،وضريح سيدي الصادق ...،ما يُطلق عليها باسم "القُرّابة" أي المكان المقدس وهناك من يراه عبارة عن مقبرة.

أخذت الزوايا بمختلف أنواعها مسؤولية حماية المسافرين في قوافل الحج والتجارة، وساهمت في توطين الأمن لدى السكان، بل وأصبحت ملجأً للضعفاء والفقراء والنساء و حتى المضطهدين من الرجال أو الفارّين من أعوان النظام والأمن النظامين[4] ،فالهارب إلى الزاوية كمّن فرّ إلى الله أو إلى بيته فهي مقدسّة ويمنع دخول من اضهده فحرمة الشيخ والتوبة عليه تكفي. وقد حافظت فرنسا في بداية احتلالها للجزائر على قُدسية الزوايا والمؤسسات الدينية فلم تهدّمها ولم تؤذ أصحابها إلا أنّ مع مرور الوقت أصدرت بيانا بجواز تهديمها لما تُسفِره من أضرار للقوّات الفرنسية بحكم أنها تحرّض العامة على المقاومة والثورة وقد هدمت الكثير منها تجهّل المجتمع بعدما أن كانت نسبة الأمية جد منعدمة ووصل عدد طلبة الزوايا ما يقارب الثلاثين ألف قبيل الاحتلال الفرنسي[5]، ما يثبت فعلاً أن ما أحصاه الورثيلاني من مشايخ وطلبة ليس فيه مزايدة بل قدّم رحلته عن صدق نية ودون موضوعية.

---

[1] - MANSOURI LAMIA. Mise en valeur d'un élément de permanence Cultuelle -la zaouïa El Rahmania de Sidi M'hamed Bou quobrine a Alger, Mémoire pour l'obtention du diplôme de magister. option : préservation du patrimoine architectural, département d'architecture et d'urbanisme, Université de Constantine,2011.P.82.

[2]- Juan Antonio CHAVARRÍA VARGAS, Huellas Sufíes En Al-Andalus: La Toponimia. Murābiṭ, Rubayṭa/Rubayṭ(A) Y Zāwiya, La revista Estudios sobre Patrimonio, Cultura y Ciencias Medievales,N 19,universidad de la Rioja España, 2017,P.232.

[3]- Juan Cañavate Toribio, Algunos morabitos, zawiyas y rábitas en el Reino de Granada, La Revista del Centro de Estudios Históricos de Granada y su Reino,N 28, Universidad de Granada,2016.P.200.

[4] - Katia Boissevain. Sainte parmi les saints Sayyda Mannûbiya ou les recompositions culturelles dans la Tunisie contemporaine,Op.cit.P.31.

[5]- Jung(E). L'Islam et les musulmans dans l'Afrique du Nord. Éditions de la jeune parque ,Paris.1930 .P .35

قدّم لنا الرحّالة نظرة عن الحياة العلمية، الثقافية والدينية لمنطقة القبائل بالخصوص والشرق الجزائري والشرق الإسلامي عامة، وما يخصّنا هو الجزائري، فقمنا بجرد شامل لما ذكره من زوايا متواجدة أو تأسّست من قبل وبقيت تؤدي وظيفتها وهي :

اسم الزاوية	المؤسس	سنة التأسيس	المكان
زاوية سيدي يحي العيدلي	سيدي يحي العيدلي	9 هجري	تمقرة
زاوية سيدي يحي بن حمود	سيدي يحي	نصف تاني ق9	بني ورثيلان
زاويةسيدي تواتي البجائي	سيدي تواتي	ق11	بني ورثيلان
سيدي يحي بن قري	سيدي يحي	نصف التاني ق 17م	قنزات
سيدي الحسين	سيدي الحسين	ق 12هـ	بني ورثيلان
سيدي الصادق	سيدي الصادق	ق 10هـ	بني معوش
سيدي العلمي	سيدي العلمي	ق10هـ	بني تورغ
سيدي الموفق	سيدي الموفق	ق10هـ	عين لقراج
أحمد أوغوبة	أحمد اوغوبة	ق09 هـ	
محمد الصالح	محمد الصالح	اواخر قرن 10	بني جماتي
يحي بن موسى	سيدي يحي	قرن 09	فريحة
أحمد الشريف	أحمد الشريف	أواخر ق09	بني عشاش
خنقة سيدي ناجي	المبارك بن القاسم	ق17	بسكرة
عبد الرحمان الثعالبي	عبد الرحمان الثعالبي	ق15	الجزائر
الوغليسي	الوغليسي	8	بجاية
بوجملين	محمد بن عبد الله بن هيلول	ق 14	المسيلة

– زاوية قرية بني عشّاش: أسسّها الجدّ الخامس للرحالة زاويته بقرية "أزرويل" بمنطقة بني عشاش ، أواخر القرن التاسع هجري، وكان هو المدرّس بها، وقصدها العديد من الطلبة حتى فاق عددهم الخمسمائة طالب و كان صوتهم عند قراءة القرآن يُسمع في الضفة الأخرى من الجبل ببني يعلي لكثرة القاصدين و الطلبة[1].

تعتبر من زوايا المرابطين ،فقد انتقل الجدّ الخامس من بجاية لظروف نجهلها وقد بيّنا بعض الرؤى في العناصر السابقة أن السبب يعود للغارات الأوروبية الإسبانية. وقد توارث أفراد الأسرة تسييرها و تولى رئاستها ابنه الشيخ

[1] – الحسين الورثلاني، الرحلة، المصدر السابق، ص.74.

يحي الذي انتقل من مجانة، وبعدها إلى الحسين جدّ الرحالة ثم إلى أبيه وبعدها إلى الحفيد لمدة قليلة ثم تّم تغيير مقرها لأسباب سياسية واجتماعية، حاليا بقيت بعض آثار الزاوية مع وضوح بارز للضريح الذي عليه قبة[1].

–زاوية قرية لعزيب: مؤسّسها المرابط سيدي الصادق بن التواتي البجائي وهو من أواخر القرن العاشر، انتقل من بجاية من زاوية أبيه "سيدي تواتي البجائي" فأسّس زاويته بالواد[2] ، توافد الناس عليها وأسس بما يسمى شبه قرية "لعزيب" أي أين يتغرب الفلّاحون من أجل الحصاد أو الزرع و مع الوقت أصبحت قرية ولازالت إلى يومنا آثار الزاوية مع ضريح الولي وعليه قبة[3] .

–زاوية قرية امزين: ابن سيدي الصادق بن سيدي التواتي البجائي، أسّس زاويته فوق الواد أين استقر والده، فاختار السفح وأقام زاوية ومسجدا وبعدها تكاثر أولاده فأصبحت قرية تسمى "قرية امزين" وتأسست الزاوية في القرن الحادي عشر، واستمرّ أولاده في تسييرها إلى غاية الاستقلال، وكانت ذو نظام نصف داخلي، لا تتكفّل بالإقامة والإعاشة، فالطالب المقيم تتكفل به إحدى العائلات في القرية. وبقي الأمر متوارثا إلى غاية 1956م أين تحوّلت إلى مدرسة تابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.يتواجد ضريح الشيخ سيدي تواتي بمقبرة القرية غير بعيد عن الزاوية والجامع إلّا أنه غير معلوم، فكما أخبَرنا به كبار القرية أنه متواجد تحت شجرة "تاقا" وهي كبيرة جدا وتحتها أربعة قبور أحدهم قبره، ولا توجد قبة لقبره ولا أية علامة.

تحتوي الزاوية على جامع، دار لابن السبيل، مكانا لقراءة القرآن "تمعمرت"[4] وقد ساهمت في القضاء على الجهل والأمية في تلك المنطقة فلا يوجد أي فرد من أهل القرية لا يتقن القراءة و الكتابة[5]،و أصبحت معهدا لخريجي الأئمة والمشايخ، فجّل أبناء القرية لما يتداولون على التدريس وخدمتها مجانا يُقدموا إجازات لطبتهم ومعظمهم من سكان القرية، فانتشروا في كل مساجد وجوامع القرى المجاورة في حوض الصومام، و تواجدت خزانة

---

[1]-صورة عن ضريح وقبته ،**ينظر الملحق رقم 14**.

[2]الواد: يقصد بها وادي بوسلام ، وتوجد قرية لعزيب سيدي صادق على مشارف واد بوسلام ،وقد اتخذت من اسم وليها و مؤسسها ،فارتبط اسم القرية بمؤسسها، ففي بداية الامر كانت أراضي فلاحية يَقدم إليها الفلاحين من أجل الحصاد في وقت الصيف وقد بنوا بعض الديرة من أجل الاقامة المؤقتة وتسمى في الأمازيغية "أعزب" أي يتعزب ويتغرب الفلاحين عن ديارهم، ولما حلّ سيدي الصادق في هذا الوادي وجد تلك الديار الفارغة وسط الحقول وهي تحت سفح الجبل، فاستقر هناك وأصبحت فيم بعد قرية تسمى حاليا" بقرية لعزيب سيدي الصادق"، التابعة لبلدية بني معوش ولاية بجاية، للمزيد ينظر: الحسين الورثيلاني، الرحلة،ص.58.

[3]–صورة الضريح والقبة ، **ينظر الملحق رقم 15**.

[4]– صورة عن المسجد ، المعمرة ، مع مكان تواجد الضريح ، **ينظر الملحق رقم :16**.

[5]– محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر (1) القطاع القسنطيني، دار الأمة، الجزائر، 1999، ص،95.

للمخطوطات في شتى العلوم جلّها ضاع خلال الفترة الاستعمارية بعد أن تّم حرق القرية عام 1956م، وما تبقى من المخطوطات إلا جزء يسير وهي متواجدة بمتحف البلدية والبعض الأخر لدى عائلة الزاوية[1].

– زاوية أجليم: تأسّست على يد الشيخ العلامة سيدي محمد الصالح بقرية أجليمم[2] بعرش بني جماتي، وهي مقصد الطلاّب وأهل الدين، في أواخر القرن العاشر الموافق للقرن السادس عشر ،يتواجد ضريح الشيخ بالقرب من الزاوية، حاليا بقيت بعضا من الأثار الشاهدة على البناء، وكان هو أول شيوخها الشيخ محمد الصالح المؤسس ثم خلفه أبناؤه الذين نشأوا على العلم والخلق و الدين منهم "الشيخ الحسين" و "سيدي عبد الله" وبعدئذ خلفهما أبناء سيدي عبد الله وهما عبد الرحمان وأحمد، وللشيخ محمد الصالح زوجة أخرى لما استقر في "بويكني" معلما للقرآن وإماما للقرية، فيذكر الورثيلاني أن له أولادا في"بويكني" قائلا وكذا أهله وأولاد سيدي محمد صالح من قرية **بويكني** كلهم على الفضل والعلم والحِلم والخير خصوصا العالم الفقيه....سيدي المسعود بن عبد الرحمان[3].

– زاوية قرية آنو: تأسست زاوية الرحالة منتصفَ القرن الثامن عشر أي القرن الثامن عشر، بقرية "أنو" ببني ورثيلان[4]، تبعد قليلا عن زاوية أجداده بعرش بني عشاش، انتقل إليها بعدما ضاق من سوء أخلاق تلك الأقوام، فدخل في صراع معهم لأنه خرجوا عن طاعة الله فانتقم الله منهم، أصبحت زاوية الرحالة مقصد الطلاب، الزوار والحجاج، فزاوية ذات نظام داخلي ولها العديد من الأوقاف و تأتيها الهبات والصدقات من مختلف الجهات لسمعة شيخها وعلاقاته الحسنة مع جلّ العلماء وكبار الحكام والأمراء، فحدثنا أن قوافل حج منطقة زواوة المارة عبر قسنطينة تمر عليه ويقوم بإفطارهم وإكرامهم واستضافتهم[5].

تحتوي الزاوية على خزانة من المخطوطات، فالشيخ الحسين كان له العديد من النسّاخين يقومون بنسخ الكتب التي يتبادلها مع الحجاج و التي يؤلفها، زاويته عامرة يقصده الطلاب من كل النواحي وبالخصوص من منطقة القبائل الصغرى.

---

[1]– جيجيك زروق،ازدواجية التعليم بمنطقة بني ورثيلان– من الزوايا الدينية إلى مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كتاب جماعي بعنوان التاريخ الثقافي لمنطقة سطيف المجال، الإنسان والتاريخ، دار الوطن، العلمة، الجزائر،2019،ص....

[2]– أجليم Agalmim والتي تعني حوض الماء ، **ينظر الملحق رقم 26**.

[3]– الورثيلاني، الرحلة ، المصدر السابق، ص.65.

[4]- زاوية ومسجد الشيخ الحسين الورثيلاني و ضريحه ، **ينظر الملحق رقم 18**.

[5]–الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق ص.28.

على الرغم أنها زاوية المرابطين ولم تجعل توريث الزاوية لأفراد عائلته فأصبح صهره وطالبه محمد العياضي من برج الغدير ببرج بوعريريج ،الذي وفد لقرية "آنو" لأجل طلب العلم ،فكان نسّاخا لمخطوطات الرحالة، فكان من أهل علم وتقوى وإصلاح ما أهّله أن يكون مقدّما للزاوية بعد وفاة مؤسّسها.

– زاوية قرية فريحة : تأسست في أواخر القرن التاسع الهجري عام 1418 م على يد الشيخ سيدي يحي بن موسى الوغليسي المدعو سيدي حموسة[1]، بقرية فريحة وتُعدّ من أكبر الزوايا بالمنطقة لإرثها التاريخي وامتدادها الزماني، فهي معهد خريج الآلاف من العلماء ، و بالزاوية مسجد كبير وضريح المؤسس[2]، يُعد من كبار الأولياء والمشايخ في عصره وله كرامات عدة، فكانت زاويته مقصد الطالب، الغريب، الفقير، ابن السبيل وعامة النّاس، وبقيت على نشاطها إلى غاية ما بعد الاستقلال، ولازال إلى يومنا مسجدها يقوم بوظيفته الدينية.

نهج الورثيلاني نفس طريقة الشيخ سيدي يحي بن موسى فلم يوّرث أيضا زاويته لأبنائه بل بقيت مفتوحة المشيخة لأهل العلم والفضل وإن حاز أهل القرية السبق وأهل القربى ،أما ابنه فقد انتقل من قرية أبيه "فريحة" إلى قرية أخرى وأسس بها زاوية ،أما أسباب خروجه عن تلك القرية فتبقى متضاربة، فجعل لنفسه زاوية بقرية أولموثن وقد تأسست تقريبا في نفس الوقت وقد تزامنت معها.

–زاوية قرية أولموثن: أسس زاوية سيدي يحي أوحمودي بقرية "اولموثن" في النصف الثاني من القرن التاسع هجري تقريبا تكون 1470م،ويعود سبب تأسيسها بعد خروج الابن من قرية فريحة والذي يكون شيخها والده يحي أوموسى الوغليسي نتيجة وفاة زوجته ورغبته في الزواج للمرة الثانية، قرر الولد الخروج واتخذ طريقه إلى أرض أجداده عائدا إلى آيث وغليس. وفي طريقه التقى بأعيان قرية أولموثن وعرضوا عليه البقاء وتدريس أهل القرية لما عرفوا وسمعوا عن علمه وخلقه[3]، فأخبرنا الورثيلاني أنه كان منكبا على العلم والقراءة وإطعام الضيف وهو من أهل الخير والصّلاح[4]، فأخذ من درب أبيه ، فانكب على تأسيس زاوية هناك وبقيت منبعا للعلم وللتدريس وبها مسجد، بقيت الزاوية تنشر العلم والمعرفة في عهد مؤسسها وآلت المشيخة إلى أبنائه الذين أخذوا العلم والدين وهم أبو القاسم وسيدي أحمد ،وأغلب الظن أن تسيير أمور الزاوية عادت إلى سيدي أحمد ،فقد بجّله ووقّره

---

[1]–محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1،ص.84.

[2]–صورة المسجد والضريح ،**ينظر الملحق رقم 19**.

[3]– معلومات استقيناها من ثقات أهل القرية وشيوخها بعد زيارتنا لمقر الزاوية ، المسجد .

[4]–الورثيلاني، الرحلة ،ص.72.

الرحّالة كثيرا، فقد ذكر الابن مباشرة بقوله "أبو القاسم" أما الثاني فقد ذكره " بسيدي أحمد"[1] ولمصطلح "سيدي" دلالة انتروبولجية تفيد التقدير والاحترام و مدى مكانة الشخص ،فهي في الأصل تقال لأهل العلم والدين ولكن العامة من الناس اتخذوها كتمييز للأشراف [2]،فكل شريف ولو كان جاهلا يُقال له سيدي.

– زاوية القلعة :أسّسها الشيخ يحي بن قرّي، تتواجد الزاوية في أعالي جبال منطقة القبائل، بضواحي بلدة "ايت يعلى" بلدية "قنزات" حاليا، انتقل الشيخ يحي من أسفل الواد– يقصد به واد بوسلام المار على مناطق وضواحي قنزات– إلى أعلى منطقة في الجبل وتسمى "القلعة" وهي كثيرة الوحوش وصعبة التضاريس[3]، فجعل لنفسه خلوة يرتاح من ضوضاء البشر وتقربا لله، أما عن تاريخ تأسيسها ،يخبرنا صاحب الرحلة أنه عاصر زوجته وسمع منها كرامات الشيخ ما يشير أنه قد عاصره في آخر أيامه فيكون تأسيس الزاوية في النصف الثاني من القرن السابع عشر (1650-1700م)[4].

شيّد العديد من المؤسسات الدينية منها الجامع الأكبر الذي أصبح يضاهي جامع الزيتونة بتونس، فعمل جاهدا على نشر العلم والمعرفة لتصبح المنطقة مركزا إشعاعيّا علميّا، فكان يأمل أن تصبح حاضرة تضاهي جامع الزيتونة المعمورة وأن تكون مدينة قاهرة إلى آخر الزمان، وقد واظب أبناؤه على تسيير أمور الزاوية وكلهم فضلاء وعلماء منهم الشيخ عبد الرحمان بن قرّي والذي حجّ مع الرحالة في رحلته الأخيرة.

– زاوية المسيلة: أسّسها الشيخ المكنى بسيدي بوجملين هو سيدي محمد بن عبد الله في بلدة المسيلة ،فانتقل إليها من بجاية بعد ما أصابه من ضيق أهلها وسجّاليهم وكثرة مخاصمة أعدائه الذين يحسدونه ويضعون له المكائد، فانتقاله إلى المسيلة خيرا لأهلها ،فوجدها في خضم الحروب والصراعات الداخلية ،فأقام بها ووعظ الناس وفتح مجال التعليم و التدريس ، كان غزير العلم ذو ثقافة دينية قلّ نظيرها ،ترقى إلى الدرجات فأصبح يلقّب بالشيخ القطب الغوث[5] ، حافظت الزاوية على دورها المنوص بها[6]، إلا أنه في احدى الفترات ارتبطت بالطريقة الشاذلية ثم في الأخير أصبحت رحمانية، فالإمام القطب لما قدم إلى تلمسان ،بجاية والمسيلة لم تكن معه طريقة ينشرها للنّاس بل كان ولياً مرابطا لله.

---

[1] – نفسه،ص.73.

[2] – Doutte (E) .Note sur l'Islam Magribhen Marabout .Paris .1900.P.38.

[3] – الورثيلاني، الرحلة ، المصدر السابق،ص.45.

[4] –نفسه،ص.34.

[5] – الورثيلاني، الرحلة ،ص.290.

[6] - Trumelet (C). l'Algérie légendaire en pèlerinage…..op-cit.P.P.292-2296.

–زاوية سيدي عبد الرحمان الثعالبي: ولي الجزائر المحروسة وحاميها، عالمها وفقيهها، أسس زاويته بالقرب من مدينة الجزائر بعد عودته من تونس، تفرغ للتدريس والتعليم والتأليف[1] ،ذاع صيت الزاوية لدى العامة فكثر عليها الطلبة، فهو من علماء عصره وقد عاصره سيدي تواي البجائي و سيدي يحي العيدلي[2] وكان بينهما تواصل ومراسلات، ضريح الامام في الزاوية لازال إلى يومنا مزارا والزاوية قائمة بوظائفها الدينية.

–زاوية سيدي يحي العيدلي: مؤسسها المرابط سيدي يحي العيدلي ،بحوض الصومام، بقرية تمقرة، في القرن التاسع هجري الموافق للقرن الخامس عشر ميلادي، حوالي عام 1440م استقطبت جلّ طلبة بجاية و منطقة القبائل و عرفت زاويتها بالمسجد الذي ظهرت عليه كرامات في تحديد قبلته. ازداد عدد الطلبة فازداد معلموها وشيوخها، أصبحت معلما دينيا وثقافيا بارزا في حوض الصومام وبفضلها انتشرت الزوايا و المعمرات بالمناطق الأخرى، فتخرّج الآلاف من العلماء منها وعادوا إلى قراهم فأسّسوا زوايا، وكذا العديد من الأقطاب منهم الشيخ زروق البرنوسي[3].ارتبطت علاقة هذه الزوايا بزوايا بجاية فكان في اتصال دائم بزاوية سيدي تواتي البجائي بمدينة بجاية، القطب العلامة والذي قال عنهما الحسين الورثيلاني من أقطاب الأمة وممن حافظوا على تعاليم الإسلام والدين بالمنطقة.

–زاوية آيت وغليس : أسّس الزاوية العالم الفقيه الجليل عبد الرحمان الوغليسي في القرن 14م /8 هجري ، بمنطقة آيت وغليس بحوض الصومام، تعدّ المدرسة الأولى للتصوف في المنطقة ،فبفضل مصنفه الموسوم بالوغليسية أصبح مصدرا يُدرَّس في كل المناطق ويُعدّ من أهم المواد الدينية التي تفرض على الطلبة دراستها، فتخرّج منها العديد من العلماء المتصوفة.

تعد من أولى الزوايا التي رسّخت تعاليم التصّوف وقد جمع مؤسّسها بين الفقه والتصّوف ،فأصبحت ايت وغليس وحوض الصومام كما يسميه الرّحالة" وادي بجاية" مركزا للتصوف، ما جعل القرى المجاورة تتشبّع بنفس الفكر الصّوفي الذي تبنّاه العلماء الأوائل، فبجاية عامة تعد قطب التصوف في الجزائر لهجرة ومرور العديد من علماء الأندلس فمنهم من مّكث ومنهم من أتمّ طريقه إلى المشرق كابن عربي، ابن سبعين، سيدي بومدين، عبد الحق

---

[1] –نفيسة دويودة، المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، مجلة انسانيات، العدد 68،أفريل–جوان 2015، الجزائر،ص.24،25.

[2] –الحسين الورثيلاني، الرحلة،ص.8،9.

[3] -Oukil(H), Le célèbre savant Soufi Sidi Yahia al-Aydli- Takorabt -Tamokra, dépliants de l'Association GEHIMAB Béjaia Site web : http://www.gehimab.org .P.5.

الإشبيلي[1]...وغيرهم، ما جعل جذور وأفكار التصوّف تتغلغل لدى الطلبة، فهذا ما يثبت فعليا كثرة المتصوّفة والمرابطين في جبال زواوة.

–زاوية الشواثرة : ببرج الغدير ولاية برج بوعريرج، زاوية أحفاد الولي الصالح أبي زكريا يحي الزواوي، بعد أن انتقل إلى بجاية لما فيها من علماء ، وبجاية كانت قبلة علماء الأندلس والمغرب قاطبة، فبقي أحفاده ببرج الغدير فأسسوا زاوية بها ولازالت إلى يومنا هذا. وبها جملة من المخطوطات وكان حفدته ببرج الغدير يزورون قبر الولي كل سنة في بجاية لرابطة الأسرة، فعرفت هذه العائلة توارثا للعلم والدين حتى أصبح لقب زواوي رمزا للدين والعلم[2] ،وقد ظهر منهم فرع متمثلا في عائلة آل العياضي التي كانت في برج الغدير وأحد طلبتها انتقل إلى زاوية الرحالة ببني ورثيلان

– خنقة سيدي الناجي: بمنطقة بسكرة بالجنوب الجزائري مؤسسها سيدي الناجي دفين تونس، فالخنقة يعني بها المكان الضيق أو المحصور بين شيئين ولا يختلف كثيرا في المعني عن كلمة الخانقات والتي تعني عند المشارقة بالزاوية، وموقعها الجغرافي أيضا يدل على أنها خنقة فهي تقع في وسط واد بين جبلين فقد شبهها الأولياء والصوفية بمكة المكرمة في وضعها[3]، فقد ساهمت بنشر العلم والدين في المنطقة وشيوخها أكْفاء حيث كانوا يدرسون حتى العلوم العقلية دون الحديث عن النقلية، وبالخنقة زاويتان أحداهما تابعة للناصرية والأخرى للرحمانية[4].

– زاوية بجاية : أسّسها الشيخ العالم سيدي تواتي البجائي ،في القرن العاشر الموافق لـ 15م ،وتعدّ من أكبر الزوايا وأوسعها ببجاية ، استقطبت الآلاف من الطلبة لشهرة عالمها وولي بجاية ، فحافظت على دورها التعليمي والديني ،وحاربت المحتل الإسباني بطلبتها . فبداية من عام 1828م بدأ يتقلص دورها حتى وصل عدد طلبتها إلى 200 طالب وبقيت إلى غاية نهاية التواجد العثماني وقام الباشا حسين بغلقها بعد أن اشتكى البجائيون من طلبة الزاوية إذ قاموا باختطاف فتاة[5].

---

[1] - Aïssani D., Les Relacions entre Bugia i la Corona d'Arago durant l'estada de Ramon Llull a la Ciutat (1307), In the Book « Ramon Llull i Els Diàlegs Mediterranis», Iemed Ed., Barcelona, 2016, pp. 40 – 51

[2] –مزيان أوشن، التواصل العلمي والفقهي بين أفراد عائلة يحي الزاوي، أعمال الملتقى الدولي حول أبي زكريا يحي الزواوي، بجاية ،2015،ص.42.

[3] – الحسين الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق،ص.117

[4] –سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج3،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1999،ص.216.

[5] - Féraud(L), Notes sur Bougie, légendes- traditions, Rev .Af,N03,1858.P.302.

ساهمت هذه الزاوية في تعليم النساء والبنات فوصل عدد الطالبات إلى ما يقارب 1000امرأة عام 1758م ما جعل بعض المؤرخين يصنفونها بأكبر زاوية نسوية لتعليم القرآن الكريم[1] ،ويذكر الورثيلاني أنه لما دخل الشريف التلمساني في القرن الثامن إلى بجاية وجد العلم ينبع من صدور رجالها كالماء الذي ينبع من حيطانها[2]

1-2- المعمرات : شاع في المغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة مصطلح "معمرة" وكما هو معلوم تعد احدى المؤسسات الدينية المنتشرة ولازالت إلى يومنا هذا قائمة، فما المقصود بها ؟ هل هي نفسها الزاوية ؟

المـُعَمّرة : يعني بها "تِمعَمَرث" "Tim'amarth ويقصد بها الجهة المعمورة: Tama الجهة Ig'mranne العامرة[3]، والمقصود هنا العامرة بذكر قول الله: {**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**}[4] فهي تلك الأماكن التي يُقرأ كتاب الله وتُتلى آياته جهارا، وهي تكون عبارة عن حجرة أو حجرتين أقصى تقدير لها، مرتبطة بالمسجد يُعلم فيها الصبيان أبجديات الحروف مع مبادئ اللغة مع درس آخر للكبار لقراءة وتدريس القرآن مع أحكامه وبعضا من العلوم الدينية الأخرى ،و هي تعود إلى قدرة الشيخ إن كانت متمكنا في العلوم فيقدم الكثير وإن كان غير ذلك فيقدم ما تعلَّمه، فهي تشبه إلى حد بعيد الكتاتيب القرآنية المنتشرة في الصحراء ، وبالمفهوم الحديث فهي مدرسة قرآنية جد بسيطة يسيِّرها فرد واحد وهو مؤسِّسها وجملة المعمرات فهي مرتبطة بزوايا المرابطين[5] فالفرق في التسمية فالمعمرات معروفة بمنطقة القبائل، فالزوايا التي ذكرناها سابقا بحوض الصومام كلها معمرات ،فعند تنقلنا إلى تلك القرى سمعنا من كبار أهل القرى يقولون معمرة وليس زاوية ،فهذا ما أوحى لنا أن المسألة مسألة تسمية وفقط.

فالمعمرة أقل مساحة ومكانة من الزاوية فهذه الأخيرة لها تسيير خاص ومؤسّسة تقوم بتنظيم أمورها في المقابل نجد المعمرة بسيطة لا تتطلب هيكلة وتنظيما كبيرا نتيجة قلة عدد الطلبة من جهة ومن جهة أخرى لعدم وجود نظام

---

[1] ع/ رضوان،أول جامعة لنساء القرآن في شمال إفريقيا –زاوية سيدي تواتي ببجاية، جردية الخبر ، يوم 30 جوان 2012 ، رابط المقال : https://www.djazairess.com/elkhabar/297220 .

[2] –الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق ،ص.28.

[3] – في منطقة القبائل لا يستعمل سكانها كلمة "الزاوية"، فكل المؤسسات الدينية يطلقون عليها المعمرة ماعدا الجامع ، وهي أماكن عامرة بذكر كلام الله، فقراءة القران يكون بشكل جماعي وبصوت جهري مرتفع، ما يجعل ذلك المكان ممتلئ أو عامرة.

[4] – القرآن الكريم، سورة التوبة ، الاية 18، رواية ورش.

[5] - Delpech(A).La zaouïa de sidi Ali Ben Moussa ou Ali N'foumas (de la vache). Rev.AF , V.18. (1874) .P.P81.82.

داخلي ، فالمعمرة مرتبطة بولي من أولياء الله ويوجد بها ضريح أو قبة يشيِّده الأتباع أو أهل القرية بعد وفاة الإمام والمؤسس وفي غالب الأمر تبقى متوارثة لدى الأبناء.

هذه المعمرات أو زوايا المرابطين في منطقة القبائل لم تظهر مع التواجد العثماني بل كانت موجودة من قبل كزاوية سيدي يحي العيدلي بتمقرة، سيدي تواتي ببجاية ، سيدي عبد الرحمان الوغليسي بضواحي سيدي عيش، وفي أرياف المدن الكبرى أيضا نجدها ففي الجزائر العاصمة زاوية سيدي أحمد بن عبد الله، سيدي علي الفاسي، الولية زرزورة...كلها تأسست قبل 1516م[1].

1-3-المسجد والجامع :تعدّ المساجد من الرموز الدينية للديانة الإسلامية في كافة المعمورة، إلا أننا نجد في بعض المناطق أنها محصورة وتعد من مميزات التصوّف في عهد من العهود، وفي شمال إفريقيا بالخصوص ،كيف كان ذلك؟ فالإجابة على التساؤل المطروح يقودنا إلى إعطاء بعد سوسيولوجي وانتروبوجي من خلال إطلاق تسميات لتلك المساجد، فهذا الورثيلاني في محطته بقسنطينة قال أن جلّ المساجد التي بنيت في مدينة قسنطينة تحتوي على أضرحة لأولياء صالحين وأن هذا الأخير هو مؤسس المسجد ، و الملاحظ أن العديد من المساجد تُطلق تسمياتهم على أسماء الأولياء والصوفية هذا نتيجة لمكانتهم الدينية التي يحظى بها أواسط المجتمع ،"إلا أن قسنطينة كل مسجد فيها من مساجد الصلاة إلا وفيه شيخ ولي صالح دُفن فيه ويُنسب إليه ويُقال مسجد فلان كسيدي أحمد بن عين النّاس وسيدي أبي عبد الله الشريف وسيدي عبد المومن وسيدي الرماح وسيدي مفرج وسيدي عمر الوزان وسيدي عبد الكريم الفكون وسيدي عبد اللطيف وغيرهم[2] ..."وهذه الظاهرة تعطي انطباعَ تأثر العامة وتقديس أهل التصوف والأولياء ولم تقتصر الظاهرة على تسمية المؤسّسات الدينية وإن كانت أقرب للمنطق بحكم المؤسّس ، المدرسّ ...لكن الأمر تعدّى إلى تسمية القرى والمدن بأسمائهم من المدن :سيدي بلعباس ،سيدي ابراهيم.. ففكرة ربط المدن بأسماء الأولياء موجودة لدى النصارى أيضا وفكرة القداسة موجودة لدى كل المجتمعات على مشارب اختلافاتهم لكن لا يوجد شعب لا يضع رمز البطل أو الولي وراء اسم المدينة أو الساهر على حراستها[3] ، فالجزائر المحروسة محروسة بأوليائها وصوفيتها فسيدي عبد الرحمان الثعالبي بمدينة الجزائر ،سيدي

[1] - Sakina Missoum ,la vivienda tradicional de la medina de Argel en la época Otomana (siglos xvi-xix) y sus antecedentes Hispano-Magrebíes", tesis doctoral, Universidad politécnica de Madrid escuela técnica superior de arquitectura, España, 1997,p.26,69.

[2] – الحسين الورثيلاني، الرحلة ، المصدر السابق،ص.694.

[3] – مكحلي محمد، سيدي بلعباس البوزيدي ،ولي وولاية ، دار القدس العربي، وهران.الجزائر.2018. ص.86.

الهواري بمدينة وهران، سيدي راشد بمدينة قسنطينة، سيدي تواتي بمدينة بجاية، سيدي الخير بمدينة سطيف... وغيرهم.

في تحديد المصطلحات نجد "الجامع" و"المسجد"، فما مدلولهما ؟ فالملاحظ لدى قراءتنا للنّص الرحلي ، نجد صاحب الترجمة يحدثنا أحيانا عن المساجد وخاصة في مكة والمدينة ،ثم يخبرنا عن أن بقسنطينة توجد خمسة مساجد للجمعة ، وفي حديثه عن "تمقرا" قال وعن مسجد العلوم بتمقرا" ،وفي موضع آخر ذكر الجامع الأعظم عند دخوله إلى بجاية ، وفي حديثه عن الزيتونة يذكرها بجامع الزيتونة.

فالاختلاف المذكور دليل على أهمية التفريق بين المصطلحات فالمسجد هو المكان الذي تؤدى فيه الصلوات الخمسة مع وجود حلقات لتدريس الطلبة للقرآن الكريم و العلوم الدينية المختلفة ويمكن أن تؤدى فيه صلاة الجمعة ،أما الجامع يكون في منطقة تتوسط القرى وغالبا ما يكون في وسط المدينة فجمع عامة الناس و تسقط صلاة الجمعة بالمساجد القريبة منها، ومنها يكون إمام وقاضي الجماعة وفيه تقام صلاة العيدين الفطر والأضحى ويطلق عليهم أيضا بالجامع الأعظم لأنه أكبر المساجد فيها[1]، فالملاحظ مثلا في منطقة الورثيلاني كل المساجد القريبة من منطقة بجاية لا تؤدى فيهم صلاة الجمعة والعيدين فكلهم ينتقلون إلى الجامع ليجمعهم جميعا.

عرفت الجزائر العثمانية نوعين من المساجد في ظل التواجد العثماني، مساجد تابعة للمذهب الحنفي وهو المذهب القائم لدى السلطة والنظام العثماني ، وظهرت المساجد الحنفية عام 1534م ويسمى بمسجد سفير وبعده ظهرت العديد منها في عواصم البايلكات وأماكن انتشار الكراغلة والأتراك، وبالمقابل نجد العديد من المساجد التي تتبع المذهب المالكي بحكم أن عامة المجتمع منظويين تحت الحكم المالكي[2].

فالمساجد الحنفية تحت من طرف أوقاف خاصة بهم تعرف "بسبل الخيرات" ، وقد ساد التسامح المذهبي بين المذاهب الدينية المختلفة، فالجامع الكبير بالجزائر مقر المفتي المالكي الذي يعقد كل يوم خميس جلساته بحضور مفتي الحنفية والمالكية والقاضي المالكي والحنفي وكبار العلماء والفقهاء وأهل السياسة أيضا[3] ، جلّ المساجد

---

[1] –صبرينة لنوار، مساجد مدينة الجزائر خلال العهد العثماني القرنين(17،18)،مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والانسانية ،العدد34، جامعة بابل، العراق،2017،ص.120،119.

[2] -- Sakina Missoum ,la vivienda tradicional de la medina de Argel en la época Otomana (siglos xvi-xix) y sus antecedentes Hispano-Magrebíes,op-cit,P.174-180. حول مساجد الجزائر ينظر أيضا:
-DEVOULX ,Notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieux d'Alger. Rev .Af.N04,Annee1860.P.467-471.

[3] –صبرينة لنوار،مساجد مدينة الجزائر خلال العهد العثماني القرنين(17،18)المرجع السابق،ص ،120.

المالكية كان يسيرها شيوخ الزوايا، المرابطين، الأشراف...، وكان متعدد الوظائف تجده إماما ، خطيبا، مدرّسا، مفتيا...أما منصب المفتي فلم يكن موجودا لدى الجزائريين فظهر مع العثمانيين، فهذا لا يعني أنه لا يوجد مفتيين في الجزائر وتونس قبل التواجد العثماني، بل يتواجدون بصبغة غير رسمية كالتي أحدثها الأتراك، فالإمام والشيخ توكل إليه مهمة الإفتاء[1].

فالورثيلاني جالس العلماء وأهل البلاط من الحكام فأخبرنا عن عدم اهتمام الأتراك بتشييد المساجد والجوامع ،و إن سقط أو تَلف جزء منها فيبقى على حاله وإن رُمم فحالته الأولى أحسن من بعد ترميمه، فدعا أهل الحكم من البايات إلى العمل على إعادة النظر في المسائل الثقافية و تمنى أن يكون للجزائر جامعا ومعهدا للعلوم يضاهي القرويين بفاس و الزيتونة بمصر و الأزهر بالقاهرة، وقد استجاب صالح باي حاكم قسنطينة لما دعا إليه الورثيلاني بقسنطينة بعدما أن زار أهل الحلّ والعقد بها وجالس جميع فقهائها وشيوخها، ما جعل السلطة العثمانية تنظر إلى الجانب الديني وقامت بإعادة تهيئة بعض المساجد وبناء أخرى جديدة فقام الباي "صالح" بتأسيس مجلس خاص للمساجد فعكف على إحصائها واسترجاع أوقافها وتنظيم شؤونها[2]

1-4- الرباطات : مصطلح الرباط شائع لدى المسلمين منذ الفترة الوسيطة وكثيرا ما ارتبط بالحرب والجهاد المقدّس، في ظل الحروب الصليبية بين المسلمين والنصاري ، فلم يرتبط فقط بالثغور البرية والبحرية فقط، بل امتد إلى المناطق الداخلية وشكلت بما يسمى بالدرع الدفاعي ،وفي نفس الوقت كان يُدرَّس بها فهو عبارة عن مدرسة تعلِّم المرابطين (الرجل القابع أو الماكث بذلك المكان) الدين و فقه الجهاد، وقد استحدثت هذه الرباطات لأول مرة لواجب عسكري جهادي لتوسيع الحدود الإسلامية ثم للدفاع عن أراضيها[3]

فالثغور في بلاد المغرب الإسلامي انتشرت بشكل كبيرٍ على السواحل البحرية نتيجة الهجَمات والصراعات بين دول جنوب حوض البحر المتوسط مع دول شمال البحر المتوسط، ما جعل كلمة الرباط بالنسبة للمغاربة ترتبط

[1] -GOLVIN (L.) : La Mosquée. Ses origines. Sa morphologie ses diverses fonctions. Son rôle (R. Le Tourneau) ,Rev .Af.N105,Annee 1961. p. 199.

[2]- Chitor chems Eddine ,histoire religieuse de l'Algérie , l'identité et la religion face à la modernité , Edition distribution- Alger 2001 page 119.

[3] - Francisco F ranco Sánchez, Rabita-s, ribat-es y al-munastïr-es. Bibliografía comentada con una introducción historiográfica, congressos internacionals de Sant Carles de la Ràpita sobre La Rábita en el Islam : estudios interdisciplinares, Ajuntament de Sant Carles de la Ràpita Universidad de Alicante,2004.P.354.

كثيرا بالجانب الدفاعي البحري وهذا ما نجده في "رباط سلا" ، "تارا" ، "الفتح" بالمغرب الأقصى[1]، رباطات وهران ، جبل المرجاجو، رباط بجاية قورايا...

أسهمت الرباطات التي تواجدت في الأندلس إلى توطيد الدفاع العسكري حول سواحل بجاية، تنس، الجزائر، بونة مع عديد الرباطات في جزيرة جربة التونسية وحتى بمصر بالإضافة إلى التي أنشأت في شمال المغرب الأقصى فقد ساعدت على توطيد علاقات بين الموانئ في جانبها الاقتصادي، فقد تمكن البحارة المسلمون من ربط الطرق التجارية عبر الرباطات البحرية من الأندلس إلى الإسكندرية[2] مرورا برباطات المغرب الأقصى، الجزائر، تونس وليبيا.

تعد الرباطات الإسلامية احدى المظاهر والمؤسّسات الدينية لأنها تعطي صبغة للتدين الإسلامي بارتباطها بمصطلحات "المجاهد" ،"الشهيد" وحب الوطن والدفاع عن الدين وهذا ما نصّ عليه الكتاب المقدس(القرآن الكريم) [3] ويظهر هذا من خلال عدة نصوص تنص على ذلك منها قوله"{وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}[4] ، وهذا ما ألزم به أهل الدين دفاعا عن أراضي الإسلام في المغرب أو في شبه الجزيرة الإيبرية باعتبارها الحدود (الثغر) الفاصل مع الأراضي المسيحية بقوله:

Frontera (thagr) del Islam, ya que se trata de defender a la comunidad islámica. Al-Ándalus y el Mágreb tenían una situación envidiable, en este sentido, ya que tenían una amplia costa marítima, y la Península Ibérica tenía además una importante frontera terrestre con los cristianos, variable pero siempre apta para la instalación de musulmanes dispuestos a defender el territorio político musulmán[5]

كيف يمكن ربط مصطلح الرباط بالصّوفية؟ ، هل نتيجة ملازمتهم أو مجالستهم للمجاهدين القابعين في الثغور، أم هم المجاهدون نفسهم المتصوفة ؟ في هذا التساؤل يوجهنا الباحث بقوله:

---

[1]-Dutte(E), Doutte (E) .Note sur l'Islam Magribhen Marabout op.cit.P.30.

[2] -Rafael Azuar Ruiz, El ribât en al-Andalus: espacio y función, Ilu. Revista de ciencias de las religiones. Anejos,N10, Universidad Complutense de Madrid,España,2004.P.28.

[3] -MÍKEL DE EPALZA, La espiritualidad militarista del islam medieval el ribat, los ribates, las rabitas y los Almonastires de Al-Andalus, revista Medievalismo ,N3,Universidad de Murcia,España,1993,P12.

[4]– القرآن الكريم، سورة الانفال، الاية 60، رواية ورش.

[5]- MÍKEL DE EPALZA, La espiritualidad militarista del islam medieval el ribat, los ribates, las rabitas y los Almonastires de Al-Andalus, op.cit.P.14.

"Estas zâwiyas son las que en Oriente se designan con los nombres de ribât. Jânaqât es (otra) denominación de ribât, siendo palabra extranjera (persa). Ribât en terminología de los alfaquíes, significa la dedicación exclusiva a la guerra santa y a la vigilancia (de las fronteras). Entre los sufíes designa el lugar donde uno se recluye para consagrarse al Culto de Dios."

يقصد مايلي: هذه الزوايا نفسها المتواجدة بالمشرق والتي تعرف بالرباط،أما الخانقات فهي نوع آخر من التسميات التي تطلق على الرباط هي كلمة دخيلة تعود إلى المعجم الفارسي. الرباط تسمية للفقهاء والتي تعني التفاني الحصري للحرب المقدسة والحراسة(اليقظة) على الحدود ،بين الصّوفين يعني المكان الذي يعتكف فيه العبد لعبادة ربه"[1] وهذا ما أثبته جليّا في الرباطات التي أُقيمت عليها حفريات أثرية فتوصلوا إلى وجود مساجد داخل الرباطات وبها محراب وقاعة للصلاة والعديد من الغرف لقراءة القرآن وتعليم الناس العلوم الدينية واللغوية، وبها أيضا بيت كبير خاص للشيخ ،وليس كما هو شائع في أن الأديرة (يقصد بها الزوايا والرباطات) بنيت بعيدة أو خارج الحدود لوظيفة تأدية الصلاة والبحث عن الله[2] ،فالرباط استعمل من طرف أهل التصوف والزهد فيجتمعون هناك للحفاظ على حياتهم الدينية الجماعية[3].

جلّ الرباطات في الجزائر ارتبطت كثيرا بالعهد الحديث خاصة بعد سقوط غرناطة وتوسّع الاسبان إلى شمال إفريقيا، ما تولّد احتلال مدينة بجاية ، فعند استقراء الحدَث نجد تزامن ظهور أولى الزوايا بالمناطق الداخلية الجبلية لبجاية ، يعطي لنا تصورا أنها عبارة عن رباطات دفاعية داخلية وقد تولد عنها استرجاع مدينة بجاية بعد طلب حاكمها من السكان الذين فرّوا إلى الجبال ، ونلاحظ أيضا تموقع تلك الزوايا متواجد على سفوح جبلية تترصد للمحتل والتي ساهمت أيضا بطريقة خاصة في ربط مجالها العلمي والديني بالجهادي.

1-5- الضريح ،القبب والمقامات : تعد الأضرحة والقبب من أهم المظاهر التي تبرز مكانة المتصوفة والمرابطين في المجتمع، فالحديث عن هاذين المصطلحين يَستوجب الحديث عن ظاهرتي المرابطين والطرق الصوفية ، نتيجة الارتباط الوثيق ولا يمكن الفصل بينهما ،فالثاني(الضريح أو القبة) نتيجة حتمية لتواجد الأول ،وعادة ما يُرتبط به بعد الوفاة ويخلّد من طرف أتباعه المريدين ، طلبته، أبناء العائلة والقرية وهذا ما رسّخ فكرة تقديس الأولياء

[1]- Rafael Azuar Ruiz, El ribât en al-Andalus: espacio y función, Ilu. Revista de ciencias de las religiones. Anejos,op.cit.P35.
[2]- Ibid.P.35.
[3] -Manuela Marin, El ribat en Al-Andalus y el norte de Africa, I congres de les Rapites de l'Est Espanyol(7-10 setembre 1989 "La Rapita Islamica : Historia institucional i altres Estudis Religionals, Ajuntament de Sant Carles de la Ràpita Universidad de Alicante,2004.P.110.(langue catalane).

وزيارتهم التي تنطوي ضمن العبادة الشعبية للقديسين(الأولياء) التي كرّستها العقيدة الصّوفية والتي تعدّ من مظاهرها. لما يعتقد فيه العامة من بركة صاحب القبر وحتى من ورثتهم كونهم ينحدرون من النسب الشريف[1]،فضريح المرابط أو الصوفي يعبر عن مكانته الدينية وتقام له مناسبات دينية خاصة و المتمثلة في الوعدة التي يجتمع أتباع صاحب الضريح ويقدّمون طقوسهم الخاصة من تعبّدٍ ،قراءةٍ، سماعٍ و إطعامٍ على العامة، تقربا منه و التماسا للبركة وفيه يَستذكرون صفات و خصائل صاحب الضريح[2] ،فالضريح مرتبط بعدة أمور منها "الزردة"، "البركة"، "الذكر"، "الوعدة" وسنتطرق إلى كل هذه المصطلحات لاحقا. فالورثيلاني في رحلته أخبرنا عن الأضرحة التي زارها وقد دعا النّاس إلى زيارتها والوقوف على أبوابها فهم أهل الخير والبركة ،فجلّ الأولياء الذين ذكرهم زار أضرحتهم وحتى الزوايا التي دخلها يوجد بها ضريح، فهذا الأخير مرتبط بكل المؤسسات الدينية المنتشرة مسجد، زاوية ،معمرة ...،فكثرت الأضرحة بشكل كبير في الجزائر بصفة عامة، وعادة ما يُقيم أهل القرية أو البلدة الأثرياء قبة على وليهم المرابط ،حتى أصبحت هذه المعالم المربعة (المقام) و في السقف قبة دائرية غالبا ماتأخذ اللون الأبيض كما يتواجد بها قبر الولي وهو مغطى بقماش أخضرٍ عادة مكتوب به آيات وأدعية ، وبجانبه تشعل الشموع، وفي خارج المقام نجد الأعلام مزيّنة لذلك المكان. فهناك بعض القبب لا يوجد بها قبر الولي (جثته) ويعد بمثابة مقام الشرف فقط ، فنجد مثلا العديد من القبب التي تُسمى "بقبة سيدي عبد القادر الجيلاني" وفي الأصل ضريحه وجثته مدفونة ببغداد (العراق) أما القبب التي استحدثت في المناطق الأخرى فهي تمثل فقط أتباعه و التبرّك ببركاته.

فأوضح ايدموند توتي "Edmonde Doutte الفرق بين القبة والمقام، فهما يتقاسمان كل الميزات والصفات والطقوس، لكن يختلفان في شيء واحد وهو أن المقام لا يوجد به قبر الولي مثل ما ذكرناه عن مقامات سيدي عبد القادر الجيلاني، أما القبة فيتواجد بها ضريح الولي ، فالمقام هو مكان الراحة النفسية للمريد و الزائر، مقارنة بالضريح ،فلما تحدث عن الولي سيدي أبو مدين شعيب دفين تلمسان لم يذكره بالمقام ،بل ذكره بالضريح الذي يتواجد في القبّة، فدور القبّة أصلا هو التعريف بالولي وتقديم صورة أوّلية للزائر[3]، فهذا ما قاله أحد الكتاب الفرنسين لما انتقل بين مدن الجزائر فلاحظ أن القبب تزداد من الجزائر العاصمة نحو الغرب، فبين قبّة وأخرى تتواجد قبة نظرا لتكاثر الظاهرة الصّوفية بالمنطقة الغربية وهذا ما انبنى على كثرة الطرق الصّوفية وبحكم علاقاتها

[1]- Francisco Sayáns Gómez , Etnografías en el Protectorado español de Marruecos: una revisión de la labor antropológica de la Intervención Militar, Tesis doctoral, Facultad de Filosofía y Letras ,Departamento de Antropología Social y Cultural , Universidad Autónoma De Madrid, España 2015.P.243.
[2] -Doutte (E), L'Islam algérien en l'an1900 , IMPRIMEUR-PHOTOGRAVEUR EUR ,Algérie , 1900.P.47-48.
[3]-Ibid.P.104-106.

الروحية مع المغرب الأقصى والذي ظهرت به العديد من الطرق و امتدت إلى الغرب الجزائري بصفة خاصة ومن جهة أخرى تتناقص كلما انتقلنا من الغرب الجزائري إلى الشرق و منها إلى تونس[1].

فيلجأ العديد من الناس إلى زيارة الأضرحة وقبب الأولياء وتزداد كثرة الزائرين حسب درجة ورتبة الولي ومدى تصديق الناس لكراماته وهو حيّ ، فهذا ما نجده مثلا عند ضريح سيدي أبي مدين شعيب بتلمسان كثرة الزوار عليه لعظمة هذه الشخصية[2] وحتى نجد أولي الأمر يتدخّلون في بناء المقامات، الأضرحة و تقديم مساعدات لهم ما قام به سلاطين بنو مرين. فضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي أيضا يعد مثل الأول، ونفس المنهج سلكه الأتراك في الجزائر العثمانية فقد أيدوا انتشار الصوفية وقدّموا يد العون لهم فتكاثروا بحكم العلاقة الوطيدة والتقارب بينهما في بدايات التواجد العثماني، إلا أنّ الأمر لم يدم على نفس الحال حتى انقلبت العلاقة من تقارب إلى نفور وصراع بينهما فهذا ما نجده في الطريقتين التجانية والدرقاوية.

فالملاحظ في هذه المسألة أنها ليست مرتبطة فقط بالأولياء والمتصوفة ،فالباحث

Francisco Sayáns Gómez:الذي قدّم بحثه حول Etnografías en el Protectorado español de Marruecos: una revisión de la labor antropológica de la Intervención militar[3]

والذي قسمت فيه مسألة الدين إلى الإسلام الرسمي والذي يقصد به (ما جاء به القرآن والسنة) و الإسلام المرابطي وفي الأخير الإسلام الطرقي(الطرق الصوفية) فتطرقت إلى مسألة الزوايا والأضرحة والقباب على أنها مؤسسات دينية تابعة للإسلام المرابطي و الطرقي و استثنت منه الإسلام الرسمي وقد جعلت من مؤسساته المسجد والجامع ، فالذي نريد الوصول إليه ليس هو إظهار أنواع الإسلام وهذا الكلام قد ذكره الفرنسيون في جلّ كتاباتهم الدينية فجعلوا من الإسلام صنفين "الإسلام الرسمي"(المشرقي) و الإسلام المغاربي، كوْن المغاربة يقدّسون الصوفية أكثر من الآخرين، فالذي نريد قوله أن مسألة الأضرحة لم تقمْ في شمال إفريقيا للمتصوفة فقط بل هناك البعض من الصحابة رضي الله عنهم وافتهم المنية بشمال إفريقيا وأُقيمت لهم أضرحة مثل ضريح سيدي عقبة والذي أُقيم عليه مسجد أُطلق باسمه وأصبح مزارا يقصده عامة الناس[4] ،وفي الحجاز في وقت مضى كانت هناك أضرحة وقبب للصحابة وبعدها في ظل حكم الوهّابية والذين ينظر إليهم أنهم يمثلون الإسلام الرّسمي تم تهديم تلك القبب

[1] - TRUMELET, l'Algérie légendaire en pèlerinage çà & là aux tombeaux des principaux Thaumaturges de l'Islam(Tell et Sahara),op-cit.P.07.
[2] - BROSSELARD : Inscriptions arabes de Tlemcen,Rev.AF.V04, 1860.P.83.
[3] - Francisco Sayáns Gómez, op-cit.P.218-267.
[4]- SIMON (H) , Notes sur le Mausolée de Sidi Okba,Rev.Af.V53.P.31.

والأضرحة، فهذا ما وضّحه لنا الورثيلاني بتواجد العديد من المزارات في مكة المكرمة والتي يُستحسن زيارتها، نفس الأمر ذكرها شيخه الرحالة صاحب "الرحلة الناصرية"، ويضيف على ذلك الورثيلاني أنّ الناس تزور قبر النبي أو الولي الصالح خالد والذي أظهر قبره العلامة عبد الرحمان الأخضري ببسكرة[1]

فجلّ ثنايا الرحلة مليئة بمسألة الزيارات و المزارات فكل العلماء و الأولياء و مشايخ الزوايا الذي ذكرناهم لديهم أضرحة معلومة ويزورها أناس كُثر،فمسألة الأضرحة والقباب ليست مرتبطة فقط بمشايخ الصوفية أو المرابطين في شمال إفريقيا أو غيرها،فقد امتدت لجميع أمصار العالم الإسلامي و في مختلف العهود والحقب. من بين الأضرحة التي ذكرها صاحب الترجمة ضريح سيدي علي بن موسى بضواحي بجاية، ضريح سيدي محمد ببني يعلى، ضريح سيدي يحي أبي زكريا الزواوي بمدينة بجاية بالقرب من الميناء، ضريح سيدي موسى ببني ابراهيم، ضريح سيدي علي ابن سيدي موسى، ضريح سيدي أحمد بن سعيد ببن عفيف ضواحي بني ورثيلان، ضريح سيدي عبد العزيز بالزّاب (بسكرة)[2].

1-6- الخلوة (Khalwa) تعد الخلوة من مظاهر المتصوّفة وقد امتاز بها الصّوفية دون المرابطين، فتعد الخلوة في الفكر الصّوفي و الزهّاد من الشروط الأساسية للصّوفية ،فالخلوة هي الانسحاب من الحياة العامة و الابتعاد عن الإنسان ،تدريجيا ترتقي إلى غياب العبد الذي يؤدي إلى الوجود الإلهي[3] ،فقد أورد "لويس رين" مجموعة من الشروط فالشرط الأول والثاني مقترنان مع بعضهما ويتقاسمان مسألة الانفراد و الانعزال فيقول: من شروط الإخوان(يقصد المتصوّفة) العزلة عن الناس، الخلوة، الصّيام ،الحضرة، الزيارة، الصّدقة، الذكر[4] ،فالخلوة من الانخلاء أي الانفراد وهو بقاء الفرد لأيام متعبدا متفرغا لله، يختلي بنفسه في مكان يكون عبارة عن غرفة مظلمة. ولكل متصوف طريقة خلوته فمنهم من يختلي في كهف ومنهم من يختار القوافي والصحاري ومنهم الغابات وحتى من ذهب للبحر واختلى بنفسه هناك مع الله[5].

الخلوة عبارة عن غرفة تكون بالقرب من المسجد، له باب صغير جدا ، ومساحة الغرفة أيضا صغيرة جدا، فهي على مقاس شخص واحد ،يدخل صاحب الخلوة أو أحد أتباعه لأيام معدودة وهي غير محددة، وليس بها أية

[1]- الحسين الورثيلاني، الرحلة، ص.105،113.

[2]-نفسه ،الصفحات مرتبة حسب ترتيب الأضرحة وهي :14،45،48،68،69،73.

[3]- Ahmed SHAFIK, al-sa'āda de Ibn al-'Arīf (m. 536/1141) , Ilu. Revista de ciencias de las religiones. Anejos,N17, Universidad Complutense de Madrid,España,2012.P, 199.

[4] -Doutte (E), l'islam Algerien….op-cit.P.69.

[5] -Petit(L).Les confréries religieuse musulmanes .Imp. Des Orphelins Apprentis.Paris.1902.P.47.

أفرشة وأغطية أو طعام، بها أشياء جد بسيطة وأحيانا منعدمة تكون في مكان هادئ مرتفع، منعدم الضجيج ، فيأخذ المختلي لنفسه بعضا من الطحين و الفواكه المجففة والماء ولا يأكل إلا في الليل ويستغل جلّ وقته للذكر ولا يخلد للنوم ،يظل مستيقظا فيتناول بعض المنبّهات كالقهوة بدون سكر و أحيانا بعضا من الليمون[1].

تتواجد جلّ الخلوات في المناطق الجبلية المنعزلة وهي في الأصل من أجل الابتعاد عن النّاس والتقرب إلى الله، ومن خلالها يجلي لنفسه الصيام، الذكر والسهر ، فمن الخلوات التي ذكرها الرحالة الحسين الورثيلاني منها: خلوة سيدي الغزّالي بالوجلة بمنطقة القبائل، خلوة سيدي أبي مدين الغوث ببجاية، خلوة سيدي عبد القادر بالعراق، خلوة سيدي عبد القادر الجيلاني ببجاية، خلوة سيدي أبي العباس السبتي ببرج اللؤلؤة ببجاية أيضا، خلوة زكريا يحي الزواوي على شاطئ البحر ببجاية، خلوة سيدي يخلف بصواحي بني ورثيلان[2].

تعد تحديد فترة المكوث في الخلوة سببا في التشويش على الطالب فيشرد ذهنه إلى عدّة أيام، ما جعلها غير محدودة ويمكن أن يحدّدها الشيخ لطالبه لكن دون إخباره ،فإن كان بعض الصوفية قد جعلوا أربعين يوما تيمنا وتبركا لما جاء انفراد سيدنا موسى مع ربه وكذلك تردد النبي محمد صلى الله عليه وسلم على خلوته في الغار[3].

فالعديد من الأبحاث والدراسات حصرت الخلوة في الطرق الصّوفية التي انضوت ضمن الطرق الخلواتية كالرحمانية و إن كان هذا صحيحا، فلا يمكن حصره في هذا الجانب ، فيوجد العديد من المرابطين ممن لهم خلوات خاصة بهم وبدون تقييدات الشيخ، فالطرق الخلواتية تكون الخلوة بمباركة شيخ الطريقة والذي يعلّم ويوجّه مريديه من خلال النصائح والتقيدات التي يقدمها له، بالإضافة إلى ذلك يقدم له الأذكار والأوراد التي يتلوها في خلوته[4].

2- الطقوس الصوفية :

تميز التصوف في مختلف مراحله بعدة طقوس ،ودأب عليها الأتباع ، فمن الأمور التي تميِّز الطرق الصوفية عن الأصناف الآخرين من المتدينين وبالخصوص المرابطين، وكذلك نجد هذه الطقوس تختلف من طريقة إلى أخرى ومن أهم الطقوس التي دوّنها الرحالة الحسين الورثيلاني وانفرد بها التصوّف الإسلامي في الجزائر. ففي هذا الموضوع

---

[1] Ibid.P.48.49 .

[2] -الحسين الورثيلاني ، الرحلة ، ترتيب الخلوات على حسب الصفحات وهي :ص.71،24،23،22،21،17.

[3] -Mahmud Esad Erkaya, Tasavvufî eğitim metodu olarak halvet (Gümüşhânevî örneği), Ijssr International Journal of Social Sciences and Education Research, Volume: 2(4),2016.P.

[4] -Paul Fenton (B),La pratique de la retraite spirituelle (khalwa) chez les judéo-soufis d'Égypte, en livre 'Les mystiques juives, chrétiennes et musulmanes dans l'Égypte médiévale(XII –XIV siècles),sous la direction de Giuseppe cecere, Mariel loubet et autres ,Institué français d'archéologie oriental ,RAPH 35, Frace,P.213.214.

تجاذبت كثيرا أطراف المؤيّدين والمعارضين لهذه الطقوس، فما هو موقف التصوّف السني الذي يدعو إلى التقرب إلى الله والعمل بكتابه وسنة رسوله؟ وفيم تجلّت نظرة الورثيلاني في هذه المسألة؟ فقد دوّن لنا الورثيلاني العديد من الطقوس ومنها :

2-1- السّماع الصوفي : يعتبر السّماع من أهم قواعد وركائز التصوّف، اعتمدته الطرق الصوفية في الترويح عن النفس بعد الانتهاء من العمل الجاد والشاق في الطاعات والعبادة ،فيجتمع أهل الذكر جماعة في حلقة ،لإنشاد القصائد والأشعار الدينية التي تمدح النبي صلى الله عليه وسلم و تذكر السّامعين بخصائصه وشِيمه و من جهة أخرى يتطرّقون إلى مواضيعَ أخرى كالتذكير بخصائل شيخ الطريقة وفضائل التصوّف ونعمة الإسلام والدعوة إلى المثابرة والاجتهاد في تحصيل الطاعات. يقدم السّماع بيئة ثقافية ودينية متنوعة تلاحِمُ أواصر المحبة والتعاون بين المريدين و نجده أيضا ثقافة روحية عالية المستوى بحكم أنها أشعار (أغاني) روحية[1] تدعو إلى المحبة والتعايش والسلام ،فهذا القصد الأصلي من السّماع الصوفي ورافقه الرقص لإطفاء نار الشوق التي تصاحب الصوفي بعد أن ذاق من حلاوة المحبة ويهز نفسه من أجل إسكات مكبوتات وخواطره مثلما تفعل الأم برضيعها، تهزه من المحبة لأجل إسكاته، ويضفى عليه أمورا أخرى كالبكاء، والتمايل ويصل لدرجة الإغماء وفقدان الوعي فبهذا يحوِّل حزنه إلى فرح ،فالروح طواقة للّحن ،فالنفس الحزينة تفرح بسماع الألحان و تهدأ بها ،فترفع الروح وتضع الجسد وشواغل وهموم الدنيا جانبا مما ينسيه ملذّات ورغبات الدنيا ويعوّضه باستحضار التفكير الداخلي والهدوء والسلام [2].

فهو جملة القصائد والأشعار التي يؤديها الشيخ رفقة مريديه وفيها تلحن الكلمات وهي أماكن للذكر الجماعي . يرى الصوفية في مسألة السّماع الصّوفي أنه مرحلة للترفيه عن النفس وإراحة القلب فهي تثير الوجدان وتعطي النشوة الروحية للروح، فالاستماع إلى تلك الإيقاعات والقصائد(الغناء والموسيقى) له أثر كبير في إعادة تنشيط الميثاق الأصلي للإنسان، فيوحى له أن صدى الكلمات الإلهية والموسيقى السماوية تنبعث في روحه، فهي وسيلة من وسائل الصحوة الروحية للبحث عن الله وإيجاده، ويُولد عن نشوة الوجدان ، والوجدان من الفعل "وجد" أي البحث عن الله من أجل التقرّب إليه والوصول عنده" والتي تعد من أرقى المراتب وأعلاها ، فالوصول إلى الله يكون عن طريق التوحيد فهو أصل البحث[3].

[1] -Ben Rochd Er Rachid, EL SUFISMO, Ediciones Dechra ,Casablanca. , 2002.P.141.
[2] - Jean During, What is Sufi Music?, in THE HERITAGE OF SUFISM , The Legacy of Medieval Persian Sufism (1150-1500), Volume 11, Edited byLeonard Lewisohn, University of London, England ,1999.P.278.
[3]- Eric Geoffroy, Le soufisme au quotidien ,Ed Universitat Oberta de Catalunya (UOC),España,1989.P.27.28.

يستحضر الصوفية في حضرة السّماع وجدان القلب ويستعملون فيها مختلف الوسائل منها الجذب، الرقص، البكاء، الصياح إلى درجة الإغماء والسقوط على الأرض[1] وتضاف له الشطحات الصوفية المختلفة من طريقة إلى أخرى.

اعتقد النّاس في أهل السّماع، يخبرنا الورثيلاني أنّ جلّ الصوفية من أهل السّماع وغرضهم الوجد الصحيح والحب الصريح لينتفع الناس بهم، فمَن طالبهم وافقوهم وساعدوه ،والنّاس تأمن شرّهم والشّر عندهم منعدم إلا قليل، ولا يفرون من العلم وأهله، فهم أسعد النّاس مما سواهم ، وإن كان بعضهم يسعى للوصول إلى المفاسد وارتكاب المحرّمات عبر السّماع الصوفي، فأهل التصوف برئون منهم وسالمون من أفعالهم الدنيئة ،فالسماع بشروط ،وإن انسلخوا عن العهد وخالفوا شروطه فالأجدر و أنور و أستر وأفقر و أحظر و أشعر و أذكر وأكثرو أشهر و أقدر و أنصر و أعمر وأحذر إن فعلوه بشروطه مع أهله ومن أهله من غير حضور الشّبان والنّساء لأجل الوصول إلى الحضرة القدسية والأنوار الإلهية فنوّر الله قلوبَ الجميع[2].

يتساءل القارئ والمطّلع على هذه المسألة كيف تُنتَقد الصوّفية على هذه الصّفات الحميدة وقد قيل عن التصوّف أنه أعلى مراتب الأخلاق وتجعل صاحبه ذو صفات حميدة وتجنبه عن كل السلوكات القبيحة والعيوب التي تلحق بالإنسان ، فهذا لا يغني عن وجود متصوّفة يعتبرون دخلاء وأضافوا على صفة التصوّف بعض البدع والصفات التي لا تتّسم بأصول التصوّف لا من بعيد ولا من قريب ،ما جعلت القارئ البسيط وغير المطّلع على خفايا التصوّف يُصدق ما يراه من بِدع وخرافات وشعوذة في المراسيم والحفلات والموائد التي ينظمها أتباع التصوّف ،وهذه التصرّفات ليست وليدة القرن الحالي والذي كثر فيه الغلط والجدل حول شرعية التصوّف ، فالعيب في المتصوّفين وليس في التصوّف، فهذا الأخير، السني النّقي الطّاهر بريء منهم ومن أعمالهم مثله مثل الإسلام، فكثير من المسلمين منتسبين إلى الإسلام بالاسم فقط دون الجوهر ،فتصرفاتهم الشنيعة ليست صورة الإسلام ،فالإسلام بريء منهم ،فلهذا وُجد بعض أهل التصوّف الذين خدموا التصوّف الحقّي والفعلي، فقد عارضوهم على أفعالهم الشنيعة.

[1]–رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية 1518–1830، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر2، قسم التاريخ، 2017– 2018،ص.208.

[2]– الورثيلاني ، الرحلة ،المصدر السابق،ص.42،41.

لازم الورثيلاني التصوّف ولازمه هو أيضا وأنكر على الصّفات القبيحة التي سلكها بعض أشباه المنتسبين إلى التصوف ،فجحد عليهم وأنكر أفعالهم ودعاهم إلى العودة إلى الطريق السليم وذمَّ نهجَهم وفضَحهم في مناقشاته وخطبه وحتى في مؤلّفاته ،فلم يسلَم التصوّف وطقوسه من دخول الصّفات الدنيئة والمحرّمة على أتباعه. فبعد أن ضاقت بهم سُبل الحرام والفساد جعلوا من بعض طقوس التصوُّف طريقا للوصول إلى شهواتهم ورغباتهم ،فأصبحت حضرة السّماع الصّوفي يختلط بها الرجال والنساء وتوقّع المعاصي و الزنا والخلوة بين الرجال والنساء، فالزائر لحضرة أتباع الطريقة العيساوية بتلمسان تجدهم يضيفون على ذلك أخذ الأدوات الموسيقية ،واستعمال حركات مع النار، المسامير، الثعابين و اللعب بهم ، وإدخال أقضاب حديدية في الفم وإخراجها، وضرب الجسد بالسّيوف والخناجر التي لا تصل إلى الجوف، فلا ينزف المضروب ولا يجرح، وكل هذا يحدث والشخص في وسط الحلقة والذين حوله يُنشِدون ويُغنّون بصوت مرتفعٍ ،فمنهم من يغيب عن وعيه وآخرين يسقطون على الأرض ويتدحرجون من الإغماء والتعب، فوصفه Doutte بالعمل المغناطسي التنويمي[1].

عاب الرحالة الورثيلاني عن هذه المظاهر والصّفات التي لا ترتبط لا بالإسلام ولا بالتصوف ، فقد جعلوها لأنفسهم من أجل تبرير و تسهيل المحرّمات لأنفسهم باسم الدين والتصوّف، وكون حضورهم و ارتكابهم للمعاصي معصومون من الذنب فوليهم أو شيخهم يتوسّط لهم ويُغفر لهم، فانتشرت هذه الصفات القبيحة في عديد المناطق منها وطن بني عامر(ضواحي سيدي بلعباس)، أولاد درّاج(ضواحي المسيلة)، بني ورثيلان، بجاية، مسجد البلوط ببني يعلى(قنزات)، عند ضريح جده أحمد الشريف ببني عشّاش، عند ضريح سيدي يحي العيدلي بتمقرا(ضواحي بجاية)،والملاحظ أن هذه الظاهرة منتشرة عند كل أضرحة الأولياء الذين زارهم كقبر سيدي عبد الرحمان الثعالبي، سيدي علي بن شدّاد، سيدي علي بن موسى وسيدي سعيد السفيري بقسنطينة ،والجبل المثقوب (ازرو ايفلان)[2] أعلى قمة جبلية ببني ورثيلان حيث يذهب الناس إليه تطيّرا وتبرّكا به فيحدث من المحرمات وذلك كله دخول إلى الشرك باسم الدين ،فاجتماعهم في الظاهر لوجه الله وفي الباطن على شهوات النفس وخطر الشياطين ووساوس اللعين فإن مفاسد تلك المحال أعظم من خيرها.

إن مثل هذه الأخلاق الوضيعة والصّفات الدنيئة جعلت العديد من أهل العلم و الدّين ينتقدون التصوّف والمتصوّفة ،فنجد الشيخ الفكون في كتابه منشور الهداية الذي عارض فيه هذه الصّفات التي أقامها بعض المنتسبين للتصوّف وقال عن وصف الحضرة الصّوفية أنها لا تتّصف تماما بالتصّوف وبعيدة عن الدين الإسلامي

[1] - Edmond Doutté, Les Aïssâoua à Tlemcen, Imprimeurs Éditeurs, Alger, 1900.P.10-12.

[2] – الورثيلاني ،الرحلة... المصدر السابق،ص.194،195.

قائلا:" واتخذوا الحضرة(الحديث عن أبي قاسم بن أم هاني) وهي لعبة يتخذونها يراؤون بها الناس ولا يستخفون من الله، بها يأكلون وبها يتمولون عليها في قضاء أوطارهم يعولون، يجتمعون لذكر اسم المولى جلّ جلاله، ويغيرون اسمه ويشطحون ويرقصون وربما يتضاربون ،فتراهم ككلاب نابحة، ولعابهم كمياه طافحة، وأنفاسهم كنيران طافحة، لا يفرّقون بين واجب ومندوب، ولا محرّم ولا مكروه، ويعتقدون أنّ ما هم عليه هو الحق الواضح، والطريق الأقوَم الراجح، ولقد زّين لهم الشيطان أعمالهم وحببّ إليهم أفعالهم[1]".

من أجل الوصول إلى درجة الجذب(المجذوب) وهو أن يكون صاحبها قد كسّر التوازن بين الروح والمادة(الجسم) ومنها يشعر أن الرّوح تنجذب إلى خالقها، وهي من أصعب اللحظات التي يكون في حالة إلهام[2]، الحديث عن استعمال الآلات الموسيقية في حضرة السّماع الصّوفي وهذا ما ذكره دوتي Doutteحول حضرة السّماع الخاصة بالطريقة العيساوية بمنطقة تلمسان، فقد حدّثنا الورثيلاني عن هذه الظاهرة التي شاهدها بكثرة في عديد مناطق الوطن، فيقومون بضرب الخدود والقدود مع ذكر الحبيب بالغناء واستعمال آلات اللهو وفيه الكلام بالإباحة ، فمنهم من رغّبها لما تضفي على ذلك من للشوق شوقا وللمعرفة معرفة، ومنهم من ذمّه لما يقتضيه اللّفظ من المعاني المعلومة في الشّرع. فقد ذّم الورثيلاني استعمال آلات اللّهو بحضور النساء مع الرجال وتسمية المحبوبة من النساء ووصفها وضرب الخدود فهذا تعدٍّ عن حدود الله ، وأما السّماع بالأغاني وإنشاد الأشعار فهو يدخل في الابتداع وأحق بالنزاع وهو معشّش الوساويس ومغرس التخليط و التلبيس[3].

فمن الحق أن ننصف الرجل ،فالورثيلاني عالم وفقيه ومتصوّف، من أتباع المتصوّفة وممن يُصدق بكراماتهم وولاياتهم ،إلا أنه مصرٌّ لقول الحق في وجه الحاكم الظالم وفي وجه المتصوّفة. فقد أنكر كل هذه الأعمال وجعلها في خانة المحرّمات، ومن جهة أخرى **استحبّ** السّماع الصوفي والذي يكون لوجه الله فقط ،دون ربطه بالشّطَحات والاختلاط والممارسات التي حرّمها الدين الإسلامي وعن هذا قال" وأما السّماع الذي فيه الوعظ والذكر ومدح الرسول عليه الصلاة والسّلام فلا خلاف في ندبه ومطلوبيته، وأمّا للزهّاد والعبّاد الذي فيه الخلاف فمباح لهم من غير شكّ فأفهمه وهذا حاصل ما فيه[4]".

---

[1]-عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح :أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1987،ص.119.

[2]- Rinn(L), Marabout et Khouane. études sur l'islam en Algérie .Jordan. Alger, 1884.P.67.

[3]- الورثيلاني، الرحلة ، المصدر السابق،ص.198.

[4]- نفسه، ص.196،195.

إنّ الرحّالة الحسين الورثيلاني قد بيّن موقفه ورأيه من مسألة السّماع الصّوفي وقد قسّمه إلي قسمين قسم مباح ففيه تذكير بصفات الرسول عليه الصلاة والسّلام ،واجتماع الأحباب وتدارس بعض القضايا الدينية وسماع آخر ،قد حرمه لما فيه من المعاصي وذنوبه أكبر من حسناته وعقابه أشدّ من جزائه، فلهذا نجد قد وافق أيضا كلام الرحّالة العياشي في هذه المسألة وقد قال عنه:"...وهذا كله مع شروطه المقررة وقد عدمت الآن فتعرض لمتعاطيه عند تعاطيه تر ما ذكرت لك عيانا نسال الله تعالى السّلامة والعافية ويتعاطون ذلك عيانا نسأل الله تعالى السلامة والعافية ويتعاطون ذلك بآلات ملهيات وكيفيات منكرات وأما التصفيق وهزّ الرأس والرقص والتحرك فإن كان بغلبة فالمغلوب معذور وإن كان بغير غلبة وهو للايهام فهو حرام لما دخله من الرياء والتصنع، والتظاهر بما ليس له حقيقة عنده وإن كان مع بيان الحال بحيث يعلم الحاضرون أنه غير مغلوب وإنما أراد إراحة نفسه فهو للباطل اقرب، وليس من الحق في شيء ولذلك لما سُئل بعض العلماء عمن يفعل ذلك ضحك حتى بدت أنيابه ثم قال أبجانين هم[1]" فهذا ما يوصلنا فهلا أن الورثيلاني عارض بل ودعا غلى مقاطعة مثل هذه الاجتماعات واللقاءات التي لا تجلب إلا الشرّ لحاضرها ، ويظهر ذلك في شخصية الورثيلاني أنه ارتبط بالطريقة الشاذلية الناصرية التي اتّبعت فهي تُدين جلسات الرقص التنويم المغناطيسي (الجذب حتى الإغماء) والأغاني، كون أن الصّلاة تفي بالغرض لربط الصّلة مع الله وتجعلك في تواصل حميمي مع الله وبها تصل إلى حالة من النشوة الكاملة دون اللجوء إلى الرقص والغناء مع الإيقاع[2].

الورثيلاني لم ينكر هذه البدع في التصوف ،بل حاربها ورهّب كل من حذي حذوها، فلم يسلم حتى أبناء قريته منه فقد ذكر مواطن الشر والحرام التي كانوا يقومون بها عند ضريح جده سيدي احمد الشريف و في الجبل المثقوب ببني ورثيلان، فهذا ما يدل على موضوعته ووقوفه مع الحق ولو كان ضد نفسه وأهله، فأحكامه متّسمة بالموضوعيّة .

2-2- الذِكر El dekhr: من المذاكرة، يتذاكرون الدين، فأوصانا الإسلام أن نتذاكر فيم بين أمور شريعتنا فالإنسان مُعرّض للنسيان، فالصوفية يتذاكرون فيما بينهم في أماكن وأوقات محددة مع ذكر خاص بهم، فالوصول إلى الله يكون بذكره دائما، فالله عزّ وجل أوصى عباده بذلك بقوله "يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا" وحتى النبي صلى الله عليه وسلم أوصى المؤمنين بوجوب ذلك ،ففي الحديث القدسي قال الله تعالى "يا ابن آدم

[1]-نفسه،ص.197.

[2] - Ángel Domenech Lafuente , Cofradías religiosas en Ait Ba Aamrán, revista Cuaderno de Estudios Africanos, número 18, Abril/Junio , el Centro de Estudios Políticos y Constitucionales ,España 1952,P.62.

إذا ذكرتني شكرتني وإذا نسيتني كفَرتَ بي " وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من كان يحب أن يعلَم منزلته عند الله فلينظر منزلة الله عنده، وأن الله ينزل العبد حيث أنزله، وقيل أن الذكر أفضل من الفكر، فالله تعالى ميّز المسلمين بكثرة الذكر وقد دعاهم إلى ذلك وعدم الاستهانة به لما له من فضل ، فالذكر ليس له وقت محدد يقول تعالى "يَذْكُرُونَ الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم"، فإن أفضل الذكر هو ذكر "لا إله إلا الله[1].

يجتمع شيخ الطريقة رفقة مريديه، في مقر الزاوية ويختار وقتا معينا، يطلق على ذلك المجلس "بحضرة الذكرة" ويمكن أن يكون في مكان عام خارج الزاوية، أمام القبر والضريح، أو في الغابة وما شابه ذلك، فيعقدون حلقة ويبدأون في قراءة الأذكار المختلفة وهي من أهم القواعد والطقوس اليومية التي يؤديها المتصوفة فهو أساس التدريب الخفي ويعمل على التعريف والتواصل وتمكين الأتباع من التعرّف على بعضهم البعض[2] ،وللذكر قواعد وشروط معينة يجب الالتزام بها، فهي عبارة عن صلاة تُذكر وتُكرر بصوت جدّ مرتفع ما يؤدي إلى تحريك الرأس إلى الأمام والخلف، مما يعطي صوت إيقاع متزامن مع الحركة المنسجمة وفي النهاية يتلاقى كل الانسجام مع المجموعة في وقت واحد كما هو في الزفير الأخير من حرف "الهاء" من كلمة الله ،فالتحكم في التنفس أثناء القراءة الجماعية للأذكار له دور بالغ الأهمية[3].

للذكر مكانة جد مرتفعة في الهرم فقد رتّب "لوي رين Louis Rinn مظاهر التصوّف وهي: العزلة عن الناس، الخلوة، السحر، الصيام، الحضرة، الزيارة، الهدية والذكر ،وهو أنواع وأقسام فمن أنواعه ذكر اللسان وهو أضعف الإيمان دون استحضار القلب وهو ذكر العوام وجزاؤه العقاب، وذكر باستحضار القلب وهو ذكر العبادة لأهل الخواص وجزاؤه الثواب العظيم، وذكر بجميع الجوارح وهو ذكر خاص الخواص ولا يعلم ثمرته سوى الله، وقيل أن ذكر القلب يضاعف سبعين ضعفا على ذكر اللسان، والذكر باللسان دون قلب لا فائدة منه، و الذكر باستحضار القلب واللسان أفضل من ذكر القلب لوحده[4].

فهذا عن أنواعه فماهي أقسامه، فأقسام الذكر ثلاث : ذكر الوقت ،ذكر الجلالة، وذكر الحضرة .فذكر الوقت مرتبط بالصلوات الخمس ويكون بعد كل صلاة، وذكر الجلالة يكون بانعزال الرجل في خلوته ويذكر ربه حتى ترتاح نفسه، وذكر الحضر فهو أعلاهم ويكون بحضور الشيخ مع جميع المريدين ، وتختلف طريقة أخذ و تلقين

[1] -Arnaud, Étude sur le soufismen,Rev.Af.N32.Annee 1888.P.353.
[2] -Luis (P), Les confréries….op.cit.P.49.
[3]- Francisco Sayáns Gómez, Etnografías en el Protectorado español…..op.cit.P252.
[4]- Arnaud, Étude sur le soufismen,op.cit.P.353.

الذكر فمنها طريقة التقليد(الفطرية) وتكون عن طريق الأسرة والوالدين والمجتمع ،فيتلقى الابن الذكر سماعا من الأقربين، وذكر التلقين يأخذه الفرد عن شيخه بحضور حضرة الذكر ويتعلم عليه[1].

يختار المتصوفة بعض الكلمات والجمل في ترديدها وجُلُّها من القران الكريم و السنة النبوية وهي من الأذكار التي دعا القرآن الكريم إليها، فذكر كلمة "الله" مائة إلى خمسمائة مرة وقد تصل إلى الألف، أيضا "لا إله إلا الله"، "استغفر الله"، فأتباع الطريقة الرحمانية يذكرون هذه الأذكار أكثر من ثلاثة آلاف مرة خلال أربعة وعشرين ساعة، ومنها يختلف عن الطرق الصوفية الأخرى[2] وذكر التجانية مثلا خلال نفس المدة التي يذكرها فيها الأتباع الرحمانيون يذكرون "استغفر الله مائة مرة، لا اله إلا الله مائة مرة، وهناك أنماط أخرى للأذكار تقال في كل حضرة، وقد فصّلها Luis Rinn جيّدً وقدّم كل أورد الطرق الصوفية المتواجدة بالجزائر[3].

يرتبط الذكر والسّماع الصوفي بالحضرة ، أي عبارة عن حلقة ويجتمع فيه الإخوان والمريدين ، فالذكر خاص بقراءة الأذكار وبعض الأوراد وتتخلّلها توضيحات في مسائل الدين، مقارنة بالّسماع فهو مرتبط بالحضرة لكن يلتزمون فيه بقراءة القصائد والأشعار والمدائح الدينية، ومنهم من تعدى إلى أمور الشطحات الصوفية والرقص حتى السقوط وما يسمى بالجذب() وقد تناولنا فيه رأي الورثيلاني في هذه المسألة. فالذكر يختلف عن السماع في محتوى الكلام وحتى في طريقة العرض ووجه الشبه تجمعهما الحضرة فقط، فنقول حضرة الذكر، وحضرة السّماع أي المجلس وهذا الأخير يختلف عن مصطلح "الديوان" ديوان الصوفية.

2-3- الكرامة : أنصفَ الورثيلاني التصوّف، فأظهر بِدع المتصوّفة ودعا إلى التصوّف السّني الفعليّ القائم على كتاب الله وسنة رسوله، فهل الباحثون وعلى قلّتهم أنصفوا الورثيلاني ؟ فالمتطلّع إلى ما كُتب عنه أن جلّهم اتفقوا على أنه رجل صوفيّ يؤمن بالكرامات التي لا يصدّقها إلا هو، فهذا حكم مباشر وتشكيك في مسألة كرامات الأولياء، فبقي هذا الموضوع متجاذب بين أصحاب الدين(النقل) وأهل التصوّف. فالدّارس للتاريخ الديني عامة، ولتاريخ الجزائر الديني خاصة لا يمكن له نكران ذلك أو اتهام من يُصدّقها- فلسنا بصدد الدّفاع عن الإيمان بالكرامات أو دِفاعا عن الورثيلاني- وإنّما الأدلة والشواهد التاريخية هي من تفصل في الأمر ،فقد قال الشيخ التادلي عن الكرامات "كرامات الأولياء جائزة عقلا ومعلومة قطعا وقد قالها إمام المتكلّمين أبو بكر بن

[1]- Depont(O) et Coppolani(X).Les confréries religieuse musulmanes .Ed, Adolphe Jourdan.Alger.1897.P.88.
[2] - Rinn(L), Marabout et Khouane. op.cit.P.98.100.
[3] -Doutte,L'islam Algerien,op.cit.P.70.

الطيب"[1]، فالكرامة من الإكرام، فالله تعالى يُكرِم عبده الذي داوم على طاعته وعبادته وخدمة كتابه وسنة رسوله ،"فيكرمهم ربهم به من الأمور الخارقة للعادة[2]" .تُعدّ الكرامة من دلالة صدق ولي الله وهي ميزة تميّزه بين ولّي الله ومن تَشبّه بالولاية ،فكثر المغترون بالنّاس، وعلى الولّي أن لا يُعلِم الناسَ بكراماته فليترك الأمر سرّا حتى يُدرك الناس الأمر على حقيقته. فالكرامة ليست لعامة الناس وليست لعامة المتّقين والمصلحين وإنما لخاصة من عباده، فعندما يتجلىّ الزهد في بعض الأحيان في تجاوز حدود ممارسات العبادة ، مثل الصّلاة أو الصّوم أو الصّدقة ، أو أيضًا في الامتناع عن ملذّات مشروعة ومسموح بها، قيل من بعض الزاهدين أن دعواتهم لله استُقبِلت بشكل إيجابي ، ومن هناك بُدأ الإسناد إلى ظهور الكرامات لهؤلاء الرجال المخلصين[3].

الكرامة مرتبطة بمدى اتباع الولي لما نصّه الله تعالى فيقول ابن تيمية "كرامة أولياء الله حصلت إنّما حصلت ببركة أتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فهي في الحقيقة، تدخل في معجزات الرسول مثل انشقاق القمر وتسبيح الحصا في كفّه، وإتيان الشجر إليه، وحنين الجذع إليه، وإخباره ليلة المعراج بصفة بيت المقدس ..."[4] فكرامة الأولياء سببها التقوى وحب الله والتقرّبِ إليه وأما الأحوال الشيطانية فسببها التقرّب إلى ما نهى الله تعالى عنه واستعمال المحرّمات والكبائر كالاستغاثة بمخلوق أو حضور سمّاع البكاء والتصدية فيتنزّل عليه شيطان حتى يحمله في الهواء وحتى يخرجه من تلك الدار...[5].

قد أجمع أهل التصوّف على إثباتها وإن كانت تدخل في باب المعجزات كالمشي على الماء، وكلام البهائم وطيّ الأرض، وظهور الشيء في غير موضعه ووقته[6] ولا يخالف أهل السنّة الصوفيةَ في هذا الأمر وإنما يزيدون على الولي أن يخفي كراماته وأن يطلب الاستقامة بدل الكرامة، فيقول محمد بن عليان النسوي "من أظهر كرامته فهو مدّعٍ، ومَن ظهرت عليه الكرامات فهو وليّ" ويوافقه الرأي عمر الدمشقي بقوله" كما فرض الله على الأنبياء إظهار الآيات و المعجزات ،كذلك فرض على الأولياء كتمان الكرامات حتى لا يُفتَن الخلق"[7]، وحتى من من الصّوفية من أضاف هذا الشرط و إن اختلفوا في مسألة الولي هل عليه أن يُدرك نفسه أم لا؟ فقال: بعضهم

---

[1]– التادلي ،التشوف إلى رجال التصوف وأخبار ابي العبّاس السبتي، تح: أحمد التوفيق، ط2،1997،الدار البيضاء، المغرب،،ص.54.

[2]– شمس الدين الرازي، حدائق الحقائق، تح: سعيد عبد الفتاح،ط2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر،ص.256 .

[3] - MIGUEL ÁNGEL MANZANO RODRÍGUEZ, El sufismo en Al-Ándalus Ibn Masarra y los inicios del sufismo, trabajo de fin de grado, grado en estudios Árabes e Islámicos, facultad de Filología, Universidad de Salamanca, España, 2014.p.10.

[4]–ابن تيمية ،الفرقان بين أولياء الرحمان وفرقاء الشيطان، تح: عبد القادر الارناؤوط، مكتبة دار البيان،دمشق،1985،ص.156،155.

[5]– نفسه،ص.171،171.

[6]– الكلاباذي، التعرف لمذهب اهل التصوف ، ظبطه: أحمد شمس الدين ،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1993،ص.89.

[7]– رشيدة شذري معمر،...السلطة الروحية، المرجع السابق،ص.210.

لا، لأن معرفة ذلك تزيل عنه خوف العاقبة، وزوال خوف العاقبة يوجب الآمن، وفي وجوب الأمن زوال العبودية ومنهم من قال بغير ذلك كون أنّ الولاية في حدّ ذاتها كرامة ومن حسن شكر العبد لربه إدراك نعمه عليه[1].

عرّف الباحث ايدموند دوتي Doutte أن كرامة المرابطين والأولياء بمثابة ميزة أو استثناء يقدمه الله لأوليائه يضفي عليها هبة المعجزة ،يعجز عامة الناس القيام بتلك الحركات والأفعال كالطير في السماء والتنقل إلى مكان بعيد في لمح البصر، ينتصرون على أعدائهم مع قلة قوتهم وانعدامها ،فهذه الكرامات الأكثر احتمالا لضرب الروح ،ويورد لنا قصة مرابط الهامل الذي أوقف القطار من أجل الصلاة وعلى الرغم من محاولات الفرنسين إصلاحه لم يغن عنهم ذلك، حتى أتم المرابط صلاته ،فانطلق القطار [2]،فهناك كرامات آنية مرتبطة بفترة زمنية معينة وتزول مثل التي أوردها "دوتي" وهناك أخرى دائمة، فالكرامات الدائمة هي التي يعطيها الشيخ لأتباعه وترافقهم طيلة حياتهم وهي نوع من تقديم رغبة لاتّباع الطريقة[3] فنجد الطريقة العيساوية أتباعها في الحضرة يستعملون العديد من السلوكات الخارقة للطبيعة ولا يصيبهم أي أذى نتيجة الهامهم من كرامة شيخهم ،فأثناء الحضرة يلعبون بالأفاعي ، ويدخلون النار في أفواههم.

الكرامة مصحوبة بالولاية، فلا يمكن أن تكون ولي (قديس) دون كرامة ،فهي سلطة مصاحبة لصاحبه بها يشعر بالامتنان ومنها تجعله في نظر الآخرين(العامة) وليّا وليس مُدعيّا، ومصدرها يأتي من امتلاك البركة وهذا الدافع الإلهي لا يأتي عفويا فهو نتيجة لتقربه من الله (الرب)، عن طريق التصوف بشروطه أو بالجذب ،فالكرامات متعددة ومختلفة الأشكال[4]، وإن كان ترجمتها للغة الأجنبية يختلف عن معناها الأصلي في اللغة العربية، فنجدها مترجمة بـ Miracle أي المعجزة وهذا ما يُبعد معناها الأصلي ونجدها أيضا مترجمة في الإسبانية إلى carisma[5] والتي تلازم الهبة أو النعمة التي يقدمها الاله للرجال الصالحين والأتقياء ،فمن الأحسن الحفاظ على على المصطلح الدقيق Karamat

[1]– الكلاباذي، التعرف لمذهب اهل التصوف...المصدر السابق ،ص.82.

[2] -Doutte, l'islam Algérien….op-cit.P..48

[3] -Moncef(H),Culte des saints et culte extatique en islam Maghrébin, in livre collective « l'autorité des saints, perspectives historiques et socio-anthropologiques en méditerranée occidental, sous la direction de Mohamaed Kerrou,Ed recherche sur la civilisation,Paris.1998.P.126.

[4]- Rachida Chih, « Sainteté, maîtrise spirituelle et patronage : les fondements de l'autorité dans le soufisme », Archives de sciences sociales des religions [En ligne], 125 | janvier - mars 2004, mis en ligne le 22 février 2007, consulté le 01 mai 2019. URL : http://journals.openedition.org/assr/1034 ; DOI : 10.4000/assr.103.P.83.

[5]- Abdelkrim BEN-NAS, Abū l-Ḥasan al-Šuštarī, mucho más que un poeta sufí Abū l-Ḥasan al-Šuštarī, muito mais do que um poeta sufi Abū l-Ḥasan al-Šuštarī, much more than a Sufi poet ,Revista Mirabilia/MedTrans,N 03, Instituto de Estudios Medievales, Universitat Autònoma de Barcelona, Spain 2016.P.108.

فالكرامات لم ترتبط بالمرابطين و المتصوفة فقط ، بل لازمت الصحابة و التابعين والأولياء، فهذا ما جعل صاحب كتاب" التشوف لأهل التصوف" يُطنِب كثيرا في ذكر كرامات الصحابة و التابعين فقال" إنما ذَكَرْتُ من الكرامات ما ورد عن الصحابة وكبار التابعين لأن مثيرا من المنكرين يقولون : لم يَرِد شيء من هذا عن الصحابة، فكيف يصحّ عن غيرهم؟ ولو قصدتُ استيعاب ما ورد منها عن الصدر الأول لكان كتابا مستقلا وإنما ذكرتُ المشهور المنقول من الأمهات..."[1] فهذا ما يثبت أن الكرامات موجودة ولا يمكن نكرانها و نكرانها نوع من المكابرة [2]،كانت في عهد قبل ظهور التصوف والأولياء فارتبطت بعهد النبوة والصحابة و التابعين ،وهي من المعايير الأساسية في التفريق بين ولـيّ الحق وولـيّ الباطل[3].

الورثيلاني ومسألة الكرامات : تناول الرحّالة مسألة الكرامات بكثرة وهذا ما يعطي لنا انطباعًا عقلانيّا، كيف ذلك؟ الكرامة مرتبطة بالولي والمرابط، فالورثيلاني ذكر العديد من المرابطين ما أعطانا صورة عامة عن الوضع في الجزائر أنها مرابطية صوفية ولا توجد قرية أو قبيلة دون ولي، ضريح، زاوية، معمرة ، فهي نتيجة منطقية وحتمية لكثرة الكرامات بحكم أنها مقترنة بالولاية، فلو ذكر الكثير من الأولياء ولم يذكر كثير الكرامات يمكن التشكيك في ولايتهم ، وبما أنّنا قلنا أن الكرامة تعدّ ميزة تميّز الوليّ عن الزنديق الذي يدّعي الولاية وبها استطاع الأولياء كسب ودّ واحترام العامة من النّاس لإثبات ولايتهم بتلك الكرامات التي تعدّ خارقة للطبيعة وللعقل البشري وأيضا لا تقتصر على الرجال فقط دون النساء فهناك من النساء تصدّرن درجة الولاية كانت لهن كرامات منهن المسنونة السوداء وفاطمة النيسابورية وغيرهن[4].

ذكر صاحب الترجمة مسألة الكرامات في حدود الخمسين مرة ، فجلها كانت في الجزء الخاص بالجزائر وقد تناولها أربعين مرة ،وفي الأجزاء الأخرى من السفر حوالي عشر مرات ، ما يثبت ضمنيا انتشار التصوف بالخصوص في منطقة القبائل، فلا نكاد نجده يتحدث عن زيارة لقرية إلا وحدثنا عن مرابطيها وكرامات أوليائها ، تفاديا للإطناب أثرنا عدم سرد تلك الكرامات و إنما نوضحها في جدول عام يُمكن ويسهل للقارئ الاطّلاع عليها مباشرة في ثنايا الرحلة ، مع تقديم مختصر مقتضب جدا وبعض من الملاحظات.

---

[1] – التادلي ،التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العبّاس السبتي ، المصدر السابق، ص 56 ، للاطلاع على كرامات الصحابة و التابعين ينظر من الصفحات 56 إلى غاية 83 من نفس الكتاب.

[2] – ابن خلدون ، المقدمة ،ج2، المصدر السابق، ص.243.

[3] -Hamadou Boly, Le soufisme au Mali du XIXème siècle à nos jours: religion, politique et société, Thèse de doctorat en histoire, Université de Strasbourg, France, 2013. P.85.

[4] - Giuseppe Scattolin, LA MUJER EN EL MISTICISMO ISLÁMICO, la revista Encuentro Islamo-Cristiano, editada por el Centro Darek-Nyumba,N 282,Madrid, Octubre,1995,P.6.

الصفحة	صاحب الكرامة	المكان	ملخص
6	سيدي محفوظ	الزاب	رؤية النبي(ص) في المنام
7	أحمد بن عمر	دلّس	يعرف أهل العصر ويطالع أحوالهم ويعلم من أهل التصريف في المشرق والمغرب..
9	سيدي يحي العيدلي	تمقرا	رفع الحجاب والنظر إلى اللوح المحفوظ .
9	سيدي يحي العيدلي	تمقرا	انحناء الجبال و ظهور مكة لمعرفة جهة قبلة المسجد.
10	سيدي يحي و سيدي تواتي	تمقرا وبجاية	تحول المعز إلى جلود الزيت ...طلب سيدي تواتي في بجاية من سيدي يحي بتمقرا الزيت، رغبة في عدم إرهاق لطلبة بعث لهم ماعز بشرط أن يكتموا السرّ، فحدثوه لأصحابهم وتحولت إلى جلود زيت.
10	سيدي يحي العيدلي	تمقرا	إحياء الثور و إعادة تقسيم اللحم بين أهل القرية بسبب الظلم
11	سيدي ابراهيم	بني عباس	سماع الحيتان تسبح الله
12	ابا القاسم الحاج وسيدي ابراهيم	بجاية	رؤيته لسيدي ابراهيم في السماء الرابعة يجذب الشمس مع الملائكة
12	سيدي علي المسيلي	بجاية	رؤية فاطمة الزهراء تخبره أنه سيصبح جارهم،ولما حجّ توفي ودفن بمكة
12	سيدي الهادي	بجاية	خروج على فرس كبير من باب صغير لا يخرج منه الطفل.
14	علي بن موسى	الصومام	كرامة الرقية ،و المسح، مسح على طفل لا يمشي أصبح يمشي
14	على بن موسى	الصومام	أقام بقرة بعد ذبحها ،وقسم لحمها لأنهم لم يُسهموا حق الطلبة
14	علي بن موسى	الصومام	بركة الطعام ، مزود واحد يكفي لاسبوع مع اطعام 1000ضيف.
16	أحمد بن مزيان	ورجة	رغبة في الحج، اعطى عنقود عنب لصاحبه ،فأتمه بمكة ولما اتم الحج وجد نفسه في بيته
20	عبد الحق الفجيجي	بجاية	ظلم السلطان له وقتله ، تعليق راسه عند باب مدخل المدينة، ويقول الرأس كل مساء لم يبق إلا عبد الحق مات على الحق.
24	أبو زكريا يحي الزواوي	بجاية	أسره النصاري ولم تتحرك السفينة حتى تم ارجاعه إلى مكانه مع كل أغراضه بعدها تحركت السفينة
24	أبو زكريا يحي الزواوي	الشام	كرامة الطعام، ليس عنده، ومعه ضيفه فرزقه الله بطعام
25	أبو زكريا يحي الزواوي	الشام	انتقل إلى مكة للحج في طرفة عين ومنها إلى وطنه شوشان.

26	أبو علي المسيلي	بجاية	رؤية أحد اصدقائه في منامه ،بعد موته غفر الله لجميع من دفن من قبره إلى أطراف المدينة
27	سعيد العلمي		
27	عبد الرحمان الوغليسي	بجاية	قيامه من قبره بعد زيارة سيعيد العلمي له
42	عيسى	حنيف	مسح على الكفيف أصبح بصير/ رد عينا من الماء
49	الجودي بن الحاج	قنزات	أحد طلبته اراد فعل الفاحشة فوقف الشيخ بينه وبين المرأة
49	الجودي بن الحاج	قنزات	سرقته بعضا من الناس ، فشكف عن السّارق.
50	الجودي بن الحاج	قنزات	احد طلبته اخذه النصارى ،فطلب من شيخه العون ،فأعطى له يده فأمسكه و سلّكه من النصاري.
62	محمد الصالح	بني جماتي	جعل الذئب يرعى مع غنم الشيخ و يحرسها بعد مرضه ولم يعد قادرا على حراستها.
72	يحي بن موسى	فريحة	معرفة السارق في البيت بحضور بعض الاولياء
74	احمد بن الشريف	بني عشاش	اجتماعه مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكان معروف إلى الآن
75	الجوادي و أحمد الشريف	بني عشاش	سأله من اشاورك بعد وفاتك، قال له أنا ، فأصبح يحدثه و يشاوره في أموره وأحمد الشريف في قبره يحدثه
75	جده يحي	مجانة	اتفق عبيده على قتله ، فجاءه المنام ،فاستيقظ و انفلت ووصل إلى دار أجداده ببني عشاش .
696	أبو القاسم الزواوي	قسنطينة	رؤية النبي جهرة في مسجد قسنطينة
703	عبد الرحمان بن قري	بني يعلي	كثرة الضيوف من الحجاج و قلة الطعام ،جعل الله كرامة أن أكل جميع الحجاج وبقي الطعام

هذه جملة من كرامات أولياء الجزائر التي أوردها الرحالة عن منطقة و ما نلاحظه أنّ جلها في منطقة القبائل ،وهذا ليس بالغريب كون أن صاحب الترجمة تردد كثيرا على بجاية و بحكم عائلته و مصاهرته لمناطق القبائل الصغرى جعله يذكر كل هذه الكرامات ، و بطبيعة الحال ظاهرة المرابطين المنتشرة بالمنطقة فرضت عليه ذكر كل هذه الكرامات.

فالورثيلاني أيضا تعرض لكرامات الأولياء بالأمصار التي مرّ عليها ورغبة منا في إعطاء صورة كاملة على الرحلة آثرنا أن نقدم جملة مما ذكر عن أولياء لم يرتبطوا بالجزائر لنعطي نظرة عن التواصل الروحي و الصوفي و عن إسهامات الرحلة في إيصال أخبار المتصوفة وكراماتهم إلى الجزائر:

الصفحة	صاحب الكرامة	المكان	الملخص
126	أحمد الزريبي	توزر	أحد أولاده بعد مماته رأى النبي عند رأسه ينادي "عليكم به"
250	الشيخ السبكي	دمياط	بعثه من دمياط إلى بولاق و بعدها إلى دمياط في رمشة عين
298	أحمد الاشبيلي	مصر	النبي و الخلفاء الاربعاء كانوا يحضرون درسه
300	الهاشمي	بولاق	كرامة بركة الطعام
537	الورثيلاني	مصر	كثرة همومه وسرقة جماله، لقاء من شخص من أهل الغيب قدم له مسكا ....فزالت جميع همومه .

هل كان الورثيلاني يصدق كل الكرامات ؟ بحكم أنه ذكرها و يتبرك بأهلها دليل على أنه يصدقها، فينطبق عليه نفس الحكم على إيمانه بالأولياء والمرابطين ؟ نعم الورثيلاني كما ذكرنا فرّق بين التصوف السني الفعلي و بين تصوف الزنادقة و بين أولياء الله وأولياء الشياطين ،فدائما نجد رأيه يستقر على كتاب الله وسنة رسوله وإن كان متصوفا فقد حارب بِدع التصوف الدخيلة من اختلاط ،سماع ،رقص ... ونفس الأمر نجده في مسألة الكرامات ،فحدثنا عن كرامة تتداول بين أهل تلك المنطقة كذبها وقبحها بل جعل صاحبها من المبتدعين ،فلا يصدق أيّ شيء ،دون تأويله والتفكير فيه و استعمال العقل، فلا يأخذ الكلام أو النص من بداياته ويطبقه. ففي حديثه عن كرامة الشيخ محمد الصالح ببسكرة أنّه سمع من الحجاج قالوا: أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال لهم من رآك فلن تلمس النار جسده، ومن رأى من رآك مراتب متعددة ،فهنا قال الورثيلاني رأيه الشخصي معترضا عن هذا الكلام المستحدث قائلا:"...والله أعلم بحقيقة ذلك، فإن صحّ أنه قال له فإنه لا يكذب ،إلا أن كلامه يحتاج إلى تأويل ويبعد حمله على ظاهره، وأنّ المراد هو الرؤية البصرية فإن القواعد تأبى بقاءه على عمومه، فإنه يراه البّر والفاجر والمصر على الكبائر والمقارف لها بل والجاهل الذي يتطرق إلى إيمانه الخلل لغلبة الجهل والآراء الفاسدة ولكثرتهم جدا يبعد موت جميعهم على التوبة النصوح الموجب لغفران الذنوب كلها الموجبة للنجاة من النار..."[1]

[1]- الورثيلاني ، الرحلة ، المصدر السابق،ص.90.

2-4- الوعدة والزردة :

من الطقوس الشعبية الدينية التي لازمت المجتمعات المغاربية، والتي قدّمت صورة جلية لارتباط المجتمع بقدسية الوليّ، فهذه الظاهرة مستمدة من المخيال الديني الذي يرى فيه الحاضرون استحضار روح الولي أو المرابط وذلك بحضور جمع غفير من الناس حول الضريح، وفيه يكون إطعام الطعام و فيها يُقدمون على الذبح بالإضافة إلى عادات أخرى كتقديم الهدايا، ووضع الحناء وإشعال الشموع حول الضريح، فكما يقال في التراث الشفهي العامي "لكل وليّ وعدته"[1].

فالوعدة من "الوعد" يتواعد الأتباع على استحضار الشيخ المتوفى أو المرابط شيخ الزاوية، تذكيرا بتلك الشخصية المقدّسة وفيها يقومون باستنطاق مناقب وصفات وتاريخ الشيخ وطريقته (زاويته)وبعدها يستدعى الجميع لوجبة الغذاء بحضور الفقراء والمساكين[2]، فيعتقد العامة في روح الولي أنه قادر على ردّ المكاره والشرور التي تصيب المنطقة التي دُفن فيها، فلهذا يكون عدد الحضور غفيرا ، ولا يستثنى من الصفات القبيحة والذميمة التي تحدث في أواسط العامة من اختلاط و رقص وموسيقى .

ربط ايدموند دوتي (Doutte (E، مصطلح الوعدة بـ" الطعام" فهي مآدب دينية على شرف الولي(القديس)، تقام فيها بعض من الطقوس وذبح الأضاحي ويليها زيارة الوافدين ويرى أنه بمثابة حج للأتباع [3]،وهذا نتيجة للقرابين التي تذبح من الجِمال والخِرفان و البقر و تقام لأيام عدة قد تصل إلى الأسبوع ، فالدعوة عامة للجميع سواء من الأتباع أو العامة ،فيقصدها الفقراء وأبناء السبيل لأجل الأكل فقط فلا علاقة لهم بذكرى وفاة أو ميلاد الولـي ، عادة تاريخ الوعدة مرتبطة بإحدى التواريخ الهامة والمتعلقة بالولي والشائع فيها هو ارتباطها بتاريخ وفاته.

يرى لوي بوتي (Luis (P، والذي ذهب بعيدا وأعطى لها مصطلح "النذر" وهو عبارة عن وعد يربطه الإنسان بقدسية الولـي ما يجعل حضوره واجبا لارتباطه بالعهد، وهي بمثابة أيضا ترسيخ للمقدس في ذهن الفرد، فاصطحاب الأب لأبنائه في الوعدة فيه نوع من التلقين وتوطين هذا الطقس في ذهنية الابن و منها يقوم بالتعريف بتلك الشخصية وإبراز فضائله وكراماته[4].

---

[1] -Doutte, Note sur l'islam……P.27.
[2] -Rinn (L), Marabout et khouane .op. cit .P.16.
[3]-Doutte, Islam Algérien….op-cit.P.47.
[4] -Petit(L), Les confréries musulmane….op-cit.P.59.

هل يمكن اقتران الوعدة بـ "الزردة"؟ لا يمكن التفريق بينهما لأنهما مرتبطتان ببعضهما البعض و مقترنتان في الزمان والمكان والحدث، فلا يمكن إقامة وعدة دون زردة أو العكس، فالوعدة من القواعد الأساسية لحدوث الزردة ،فهي محتواه فيها، إلا أن هذه الأخيرة تمسّ العديد من الطقوس الأخرى كالغناء، الرقص، فالوعدة مرتبطة بالفرد أكثر بما يعهده لنفسه و مدى تقربه من صاحب الضريح، فالزردة أشمل منها، وهاذ ما نجده عن الكتاب الفرنسين الذين دأب بعضهم على حضور مثل هذه المناسبات فقرنهما مع بعض فمنهم لوي بوتي الذي عرّف الزردة بأنها هي الوعدة[1] .

الزردة عبارة عن لقاء تجمع الأتباع ويختتم بوجبة طعام ، فلا نلاحظ الفرق في المعاني ، وإنما التسمية تختلف من منطقة إلى أخرى والحدث يبقى نفسه، والاختلاف في التسمية وفقط ، ففي منطقة الجنوب (الصحراء) يطلقون على الزردة باسم" الطعام" ونفس الاسم نجده عند المزابين[2]،وفيها تغتنم الفرصة لقراءة الأذكار والأوراد الخاصة بالطريقة، وهذا من الطقوس الذي دأب عليه المغاربة عامة و الجزائريين خاصة ما يثبت فعلا ترسخ التصوف في نفوسهم وقد أصبحت عادة دينية اجتماعية متوارثة أبا عن جد.

2-5- الزيارة و التبرّك :الزيارة في المخيال الشعبي وفي المعتقد الديني اقترنت بالمقدس أينما كان شكله، فزيارة الأماكن المقدسة مشروطة في الإسلام وقد دأب عليها المسلمون عبر التاريخ كزيارة بيت الله الحرام، المسجد الأقصى، مقام ابراهيم، قبر الرسول عليه الصلاة والسلام وغيرهم ، ومن جانب آخر نجد نوعا آخر من الزيارة الروحية التي ينتقل فيها النّاس لزيارة ضريح ،مقام، ولي، مرابط[3] ...وقد يكون المزُار حيا أو ميتا ،وهذا اعترافا بسلطتهم الروحية في أثناء حياتهم ورغبة في الحصول على البركة والشفاعة وفيها يطلب العبد ما يتنماه وكأنه الواسطة بينه وبين الله وقد أصطلح عليها في الفكر الديني الغربي "بعبادة القديسين"« culte des saints »[4] وإن كان هذا المصطلح لا يمكن تعميمه على أتباع الصوفية ففيهم يبجلون ويتبركون بصاحب الضريح.

زيارة أضرحة الأولياء ترويح للنفس عن الأمراض النفسية المتولدة عن القلق وتشابك أمور الدنيا، ففيها يختلي الفرد بنفسه ويرتاح ويتخلص من تبعات التعب والقلق وكل ما يتعلّق بحياة الفقر ومشاق العمل اليومي، ونفس الأمر نجده لدى بعض النساء اللواتي يجعلنها ذريعة أو فرصة للهروب من الأعمال اليومية في البيت من أجل أخذ قسط

[1] -Ibid.P.60.
[2]- Depont(O) et Coppolani(X).Les confréries religieuse musulmanes .op-cit.P.114.115.
[3] Rinn(L), Marabout et khouane….op-cit.P.15.
[4]- Rachida Chih, Sainteté, maîtrise spirituelle et patronage….op-cit.P.90.

من الراحة[1]،وتتعدد أغراض الزيارة الروحية من شخص لآخر فهناك من يجعلها استرضاء الجن عن طريق القيام بسلوكات غريبة من بخور مع ماء الورد والحليب ، السكر والزيتون الأسود ومنها يقومون بإيداع الشموع وإشعالها ولا يحق لهم استرجاعها وتبقى في الضريح [2]،ومنها من يستمدّ الزائر طلباته ومنهم من يؤدي بعض الطقوس كالجذب والدعاء ،التبرك وتقديم هبات وصدقات لحارس أو المـُقيم على الضريح التماسا للبركة، ومن النساء من يزرن رغبة في جلب الذرية وطرد النحس (الحظ السيء الذي يجلب لها المكاره والسوء)الذي يطاردها في حياتها كالرغبة في الزواج أو حقد بغيض ضد شخص آخر نتيجة ظلم ،إلا أن الأكثرية يتوسمون العلاج النفسي أكثر من ذلك وهذا ما لاحظناه في زيارتنا الميدانية لبعض الأضرحة و استجوابنا لبعض الزائرين ،فهذا عن الزيارة الفردية.

في المقابل نجد الزيارة الجماعية وتكون منظمة وبتاريخ محدد على الأرجح لكل ولي زيارة خاصة به تكون مرتين في العام في فصلي الخريف والربيع وهذا ما يسمى بالحج إلى الضريح، يلتقى فيه الجمع الغفير وهي بمثابة عيد ديني تقام الشعائر الروحانية بالتقاء أهل القبيلة عامة إن كان المـُزار مرابطا فيعني أن جلّ أفراد القرية (القبيلة من نسبه) وإن كان الولـي شيخ طريقة فيحضر أتباعه فقط واستدعاؤهم يكون عن طريق المقدمين(الخُدام الدينين) الذين يسهرون على خدمة المكان المقدس(الضريح)[3]. يحظى الضريح أياما قبل الزيارة بتهيئة خاصة بتنظيفه و طلاء القبة والزاوية باللون الأبيض ،ووضع سجّادات جديدة، مع تعليق أعلام حمراء، صفراء وزرقاء على زوايا الضريح وتغطيته بأقمشة مزخرفة وفيها آيات وأدعية و تعطير المكان بالمسك والبخور، وتهيئ الشموع و تضاء لاستقبال الزائرين[4]، فهي نوع من أنواع طلب الخير والنعمة عند قبر الولـي وبطبيعة الحال لا يدخل الزائر أو صاحب الحاجة بأيد فارغة ولا يطلب منه العكس أي أخذ أشياء محددة، وإنما العادة من واضبها على ذلك، فالدخول يكون بأخذ دجاجة، غنم، ضأن، البقر...على حسب قدرته ودرجة غناه، عادة تلك الهدايا تقدم الوكيل(مقدم وخادم الضريح) ويتقاسمون الطعام مع الحاضرين، أما الفقراء فيحضرون معهم الشموع فيضيؤونه، والأغنياء يضيفون الشعير والقمح، الزبدة، التمر... مع تقديم أموال لأحد ورثة المرابط[5] تيمنا و تبركا بهم.

[1] -Melliti (I),Espace liturgique et forme de l'autorité chez les femmes Tijaniyya de Tunisie, in livre collective « l'autorité des saints, perspectives historiques et socio-anthropologiques en méditerranée occidental, sous la direction de Mohamed Kerrou,Ed recherche sur la civilisation,Paris.1998.P.145 .

[2] -Fennek(R),Sainteté vécue et contre- modèle religieux des femmes au Maroc, , in livre collective « l'autorité des saints, perspectives historiques et socio-anthropologiques en méditerranée occidental, sous la direction de Mohamed Kerrou,Ed recherche sur la civilisation,Paris.1998.P.154.

[3]- TRUMELET(C), Saints De L'islam Légendes Hagiologiques & Croyances Algériennes, les saints du tell, librairie académique didier & libraires- éditeurs.Paris.1881.P.XXV.

[4]-Ibid.P.P.13.263.

[5] - Doutte, Islam Algérien….op-cit.P.P.47.48.

الورثيلاني ومسألة الزيارة والتبرّك:

زار الرحالة كلّ مزارات وأضرحة الجزائر عامة و منطقة القبائل بالخصوص و لم يستثن التي مرّ عليها في طريق رحلته، فأينما سمع بولـي من أولياء الله حيّا أو ميْتا إلا وقصده راغبا منه البركة والخير، وكانت رحلاته الداخلية إلى بسكرة، بجاية ، دلّس، القبائل الصغرى رغبة لقاء الأولياء وزيارة الأضرحة والاطلاع على أحوالهم والصلح بين الناس[1]،وكان يرى بضرورة زيارتهم .فحدثنا عن الزائر إلى مدينة بجابة وجب عليه زيارة ضريح وليها أحمد بن معمر، فمن دخل المدينة ولم يزره كأنه لم يذهب بشيء منها مستنبطا ذلك الفعل من احدى الأقاويل التي تنص على من دخل مدينة بغداد ولم يزر قبر سيدي عبد القادر الجيلاني، وقد دعا إلى عدم التعرض لأولياء الله و العمل على زيارتهم و التواضع معهم أو غيبتهم فستحل على صاحبه نقمة من الله،[2]،فصاحبت كل رحلاته زيارة الأولياء، فقبل ذهابه إلى الحج للمرة الأخيرة عرّج على كل أولياء منطقة القبائل بالثناء عليهم ففي نظره يقول أنهم أحياء في قبورهم وقد زارهم وذكرهم ليزيل الحجاب عنه ويرزقه الوهب الرباني وأن يُبعده عن العوائق والحرام له ولأبنائه وذريته ولمن ذكرهم جميعا[3].

لكثرة الأولياء الذين زارهم يتعذر علينا ذكرهم جميعا لأن الرحلة كلها زيارات لهم فملخص القول قد لخصه في جملة تعينا عن ذكرهم جميعا بقوله:"...في غيرها من الزيارات، فإن قد جلبت على حبها منذ صغري وقد كثرت مني غربا وشرقا وجوفا وقبلة بمعنى وجودها مني للأحياء والأموات، فمهما ذُكر لـي من ولـي أو صالح أو عالم حيا أو ميتا إلا ذهبت إليه واقتبست من نوره لاسيما عمالة الجزائر وبحثت عن أهلها بحثا شديدا تاريخا وسيرة وطريقة وحالا وكرامة...إلى أن يقول في آثارهم لاسيما أهل بجاية فإنها مدينة عظيمة"[4]، فهذا إثبات جليّ بتقديسه للأولياء و شوقه لزيارتهم أينما سمع بهم.

في حديثه عن قداسة الأولياء والوقوف على أبوابهم وزيارتهم، فلم يستثن ذلك أحدا منهم فبدأ حديته عن فضل زيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة والأماكن المقدسة إلى أن وصل لأولياء الله فقال: "فإن الوقوف عند أبواب الأولياء والسؤال عليهم والاحتياج إليهم والنظر في وجوههم أو مشاهدة قبورهم والتضرع لله بين أيديهم والتحبب لديهم والتوثق فيهم والشغف بهم والذّل والمسكنة عندهم لقدر جليل عند الله، والله أجلّ

[1]-الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق .7.

[2]-نفسه،ص.19.

[3]-نفسه،ص.77.

[4]- نفسه،ص.289،290.

وأعظم من يُرّد من هذا وصفه وعليه حاله غائبا حاشاه من كريم أن يفعله وما عداه من ذوي جود، أن يعمله لأن المحبوب عند الله قريب لديه يستحى أن يرد من يتشفّع به، وأيضا لا يوفق إلى زيارتهم ومحبتهم وقضاء مآربهم إلا سعيد، وأنهم قوم لا يسقى بهم جليسهم لأنهم أحياء في قبورهم...[1]"،ومن آداب زيارة الأماكن المقدسة أن يقف الزائر عند رجليه أو عند وجهه مستقبلا الضريح أو القبر ثم يسأل الله تعالى بجاهه أن يمّن عليه بغاية المسؤول والمأمول من خير الدنيا والأخرة ، وهذا لم يثنه أن يخبرنا أن هناك من يجعله واسطة بينه وبين ربه ففي منطقة "حلية أبي نعيم" يدعون الله بجاه النبي والأصفياء والتابعين والأولياء وصاحب هذا الضريح فلان بن فلان أن تمنّ عليّ بقضاء هذه الحوائج فإنه يُجاب لذلك بمنه وكرمه وجاههم وفضلهم[2]"

3- المقّدس لدى الورثيلاني.

3-1- تعظيم الأشراف والمرابطين:

أ/ مفهوم الأشراف:جمع لكلمة شريف، فمصطلح الشرف متعدد الاستعمال حسب الوظيفة ، وفي التعريف العام هو العلوُ والسُمو في الدرجة وصاحب مكانة ،فشرف المرأة عفتها وحصانتها، وشرف الرجل مكانته ومنزلته التي لا يصلها إلا بصفاء سريرته وحسن خلقه وعلمه، وشرف العمل إتقانه والإخلاص فيه، فالشرفُ في العموم كل ما أشرفَ على غيره أي الموضع العالي يُشرف على ما حوله.

نجد عن العرب أيضا كلمة الشَرف مرتبطة بالمكانة والنسب ،فيقال رجل ذو نسب شريف ، عائلة من نسب شريف، هؤلاء أشراف، فتجليات التسمية تضفي على صاحبها مكانة مرموقة تختلف عن الآخرين ولو كان العكس لما أُطلق عليه بهذه الصفة . فالنسب الشريف صفة رافقت كل من انحدر من سلالة الرسول عليه الصلاة والسلام، فسيدنا محمد أشرفُ خلق الله ،فذريته شرفاء وسلالته أشراف ،فالرجل يعرف بصلب أبيه.

ينحدر الأشراف من فاطمة الزهراء بنت الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وزوج على بن أبي طالب رضي الله عنه ومنها إلى أبنائه الحسن والحسين سِبطا رسول الله فهؤلاء هم النبلاء الأصليون الذين يتمتعون باحترام وقدر كبير ومنهم انحدر النبلاء ، انتقلوا إلى شمال إفريقيا عبر حادثة "الفخ" التي أوقع فيها العباسيون بالعلوين بالقرب من مكة فقضى على جلهم وما بقي إلا القليل ،منهم من فرّ إلى المشرق ومنهم ادريس والذي سيطلق عليه بـ ادريس الأكبر، فاختار المغرب فدخل "أوليلى" وبعدها بعامين وجد الدعم من زعيم قبيلة "أوربة" وتزوج بـ "كنزة"

[1]- الحسين الورثيلاني،ص.113،114.
[2]-نفسه،ص.113.

البربرية من قبيلة نفزة[1]، وبعد أن أخبرهم أنه من حفدة الرسول التفوا حوله وناصروه وقدمت إليه عدة قبائل من لواتة، صدراتة، نفزة، غمارة،...ومن هنا بدأ ظهور الأشراف في شمال إفريقيا، لم يعمر طويلا ادريس الأول فكان الخليفة العباسي "هارون الرشيد" في بغداد يطارده وقد سمع بفراره ووصوله إلى المغرب رفقة خديمه "رشيد" ،فأرسل أحد أعوانه "سليمان بن حريز" ودخل على ادريس على أنه طبيب وفار من جور العباسيين وناقم عليه، فارتاح له ادريس الأول فأدخله وقدّم له قارورة عطر وقد دسّ فيها السم، وعند قرب موته أخذ حصانه وحلق به رشيد، وتوفي ادريس عام793م وترك زوجته كنزة حبلى في شهرها السادس، والذي اعترف به أهل المغرب سلطانا عليهم[2]،وعلى هذا يضيف "ابن فرحون" أنه نزل بتلمسان رفقة خادمه رشيد ثم لحقه أخوه وبعدها أتم طريقه إلى المغرب الأقصى إلى أن دخل مدينة "يليان" وتسمى "قصر فرعون" واستقبله سلطانها عبد الله المجيد الزهر وزوّجه ابنته[3]،فعند ميلاد الصبيّ وجد والده قد توفّي ، وأُطلق عليه اسم "ادريس" على اسم أبيه وللتفريق بينهما أصبح "ادريس الثاني".

وبعد اعترافه بالحكم نقل إلى أقصى جنوب المغرب تحديدا إلى الساقية الحمراء، منها انتشرت الديانة والثقافة الإسلامية وأصبحت حاضرة علمية، وفي عام 192هـ اشترى قطعة أرض من ثلاثة بربر بقيمة 6000دينار وبنى بها مدينة فاس التي اتخذها عاصمة وهي المدينة الأولى الذي ظهر بها النبلاء(الأشراف)، تزوج ادريس الثاني من "الحسنى" التي أنجبت له اثنتا عشر ولدا كلهم تقلدوا مناصب الحكم إلا اثنان ماتا في سن مبكرة، فتقاسم أبناء كنزة عرش الحكم فيما بينهم كما أوْصتهم ،فتقلد محمد منصب الحاكم على الدولة في عاصمتها فاس، ووزع المناطق على أخوته كالتالي: منطقة باديس الواقعة في الريف لأخيه عمر، منطقة تيجاسات في الريف وطنجة لأخية عمران، دايت العسلة في سالا لأخيه عيسى، تادلا في السوس لعبد الله، تافيلالت لـعلي، حابطة لأحمد، منطقة مالقة ،غرناطة وجبل الفتح(جبل طارق) لأخيه كتير، منطقة تازة لأخيه حمزة، المغرب ليحي، سبتة لعبد القاسم، تلمسان وطرارة لداوود، فكان لهؤلاء الإخوة حكم على هذه الأراضي و قد انتشر الأشراف بكثرة في شمال إفريقيا وبالخصوص المغرب الأقصى والجزائر، فكثرة الإخوة أدى إلى التكاثر السريع و من أهم القبائل التي وجدوا بها منها :بني جرمون، سكفيون، بني ميمون، بني ترير، بني حرمة، حرشفيون، سراينة، سرنيون، بني حمزة، كديون، بني قلال، بني أوغيل، أولاد أبي عنان، مغراوة، بديون، بني عون، بني عمران، أولاد علي بن يحي،

[1]- Daniel Rivet, Histoire du Maroc de Moulay Idrîs à Mohammed VI ,Ed Librairie Arthème Fayard,Rabat,Maroc 2012.P.81.

[2]- Ernest Mercier. Histoire de l'Afrique septentrionale (berbérié) depuis les temps et les plus recule jusqu'à la conquête française(1830).T 1. Ed, Ernest Leroux.Paris.1888.P.P.259.260.

[3]-ابن فرحون، المصدر السابق،ورقة 6.

أراقيون، أولاد بن بكر، بني عريف، بني ويران، لحنيون، بني حرفس، أولاد رحمون، أولاد ابي زكريا، بني جنون، بني سليمان، أولاد خالد ،أولاد القايد، أولاد سالم، أولاد عبد الحليم، أولاد الحاج علي، بني يلمان، بني عليون، أولاد بن علي، الحزيون، بني دلول، مزاجلة، الزرالدة، أولاد القلعة، أولاد بن عيشة، بني ونوغة، أولاد مهدي، العليون، أولاد عبد الرزاق، أولاد بن الزايد، بني كتير، أولاد عبد العزيز، أولاد ناصر، أولاد عبد الحق، أولاد عبد الصمد، بني رزين، أولاد العباس، أولاد أبي التقة ،أولاد عبد الله ،أولاد عبد الرحمان، أولاد السخناوي، أولاد نايل، أولاد بوليف والزيديون[1].

لم تتوقف مسألة الأشراف في شمال إفريقيا بارتباطها بنسب الرسول عليه الصلاة والسلام وإن كان الورثيلاني وشجرة النسب التي اعتمد عليها تشير بصريح العبارة على أن أشراف الجزائر مرتبطين بشرف نسب النبي وليس بأشراف العامة الذين ينتسبون إلى قبيلة قريش ،فهم أيضا يعدّون أنفسهم أشرف العرب والخلافة ،لا تخرج من أهل قريش وقد ذكر الباحث "كمال فيلالي" أن هناك هجرة من شبه الجزيرة العربية إلى المغرب الأقصى من طرف شخص ينتسب إلى أشراف العامة واستقر بالساقية الحمراء ومنها انتشر نسب الأشراف وأضاف على ذلك إلى أشراف الدولة العبيدية الفاطمية التي تأسست في إقليم كتامة بالشرق الجزائري الذين انتقلوا بأفواج إلى شمال إفريقيا عامة[2] ، ففي هذه الآراء المختلفة في نسب هؤلاء الأشراف ، وجب العودة إلى المخطوطات والبحث في شجرة الأنساب. فالورثيلاني لم يختلف في الإطار المكاني فقد أقرّ عديد المرات أن نسب الأشراف يعود إلى منطقة تافيلالت بالساقية الحمراء بجنوب المغرب الأقصى وهنا يتقاطع مع نظرتي الأشراف العامة (قريش) وأشراف النسب (النبي) أنهما استوطنا تلك الرقعة الجغرافية ،ويختلف في الارتباط في النسب ،فربط نسبه و نسب المرابطين الأشراف بنسب الرسول عليه الصلاة والسلام عبر سبطيه الحسن أو الحسين عن طريق ادريس بن عبد الله الذي فرّ بنفسه إلى المغرب والأقصى[3]، وقد أكّد ذلك عديد المرات ودلّ على ذلك بمخطوط طبقات ابن فرحون وقد اطّلع عليه لما تناول في حديثه عن آل مقران فوجدهم من الأشراف ،ففي حديثه عن نسب جده قال" فهو الشريف الحسني والذي سمعنا من أعالي أسلافنا إنه من شرفاء تافيلالت...[4]".

---

[1] – FÉRAUD(CH),LES CHORFA DU MAROC,Rev.Af.n21.1877.P.P.382.383. للمزيد حول تفصيل قبائل الأشراف ينظر : ابن فرحون...كتاب الاعتبار، مخطوط، ورقة 7،8،9.

[2] -KAMEL FILLALI, Algérie mystique, des marabouts fondateurs, aux khouan insurges 15-19 siècles, Edition publisud, Algérie, 2002, p22.

[3] – ابن فرحون، كتاب الاعتبار...المصدر السابق، ورقة 7.

[4] – الحسين الورثيلاني ، الرحلة ...،المصدر السابق، ص.73.

فصوفية وعلماء المغرب يعظمون الأشراف فقال الشيخ أحمد زروق أنه يجب على الناس تعظيم الأشراف ومحبتهم والاعتقاد فيهم لوجه جدهم(الرسول عليه الصلاة والسلام) الذي انتموا إليه وانتسبوا إليه وأن يعتقدوا أيضا أن الله يغفر لهم لا لشيء اسلفوه ولا لأمر فعلوه، وان وقعت منهم أذية لأحد فيجب أن يعتقد بها كالأمر السماوي من الله كالغرق والحرق، وأما هم فيجب عليهم أن يعتقدوا أن معصيتهم أكبر المعاصي لأن الفلاح مع الملك يعمل ما ليس بصلاح ويقابل بالسّماح والوزير يجلس مع الملك على السرير ويُخنق بالحرير "[1] فالشيخ أحمد زروق أحد أكبر علماء الغرب الإسلامي وقد درَس عليه جّل علماء الجزائر والمغرب و دعا إلى محبّتهم و احترامهم ففي محبّتهم محبة جدّهم محمد بن عبد الله ، وقد استمّر المغاربة في تدوين النسب الشريف فنجد أبا حامد المشرفي الذي ألّف أيضا مصنّفا في النسب الشريف وسّماه "ياقوتة النسب الوهّاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن على مولى مجاجة عام 1300 هجري والذي عبّر بصريح العبارة عن سبب تدوينه أنه متعلق ومحب و معظم للأشراف فقال" ولما رأيت حبّ آل بيت النبي من أعظم الوسائل عند الله تعالى، ومن أكبر الخصائل حركني باعث الحب أن أجمع تأليفا يسهم بالتعريف، وينبئ عن على مقامهم بالتشريف[2]"

3-2- الورثيلاني ومسألة إدّعاء النسب الشريف:

ردّ الورثيلاني على رأي الشيخ أحمد زروق بتطرقه إلى مسألة ادّعاء النسب ،فوجب التوثيق من مدى صحة هذه الأنساب بحكم أن بعضهم من وظّف النسب الشريف في مصالح شخصية وكما هو معلوم أن السلطة السياسية في العهد العثماني رافقت الأشراف ومنحتهم بعضا من الامتيازات وقرّبتهم للحكم السياسي نتيجة مكانتهم في المجتمع ومعرفتهم لمدى تأثيرهم في الأفراد ، ما أدّى إلى كثرة المدّعين أنهم من الأشراف ، ما جعل الورثيلاني يتساءل عن كيفية معرفة الشريف من غيره، وعن مدى صحة النسب الشريف وكيف يُثبت؟

فهل يُصدق جميع من قال أنه شريف أم يُكذّب الجميع، أو يُصّدق البعض ويُكذب البعض فهذا باطل، أو الجميع شرفاء فهذا باطل أو ولا وجود للأشراف إطلاقا وهذا بطلان ،وإن ميّزنا بين الناس فهذا بطلان أيضا لأن الناس متساوون في نظر العقل[3].

---

[1]-نفسه،ص.115.

[2]- لزغم فوزية، قراءة في مخطوط " ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة لأبي حامد محمد العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي، مجلة الجزائرية للمخطوطات، مجلد 7، العدد6، جامعة وهران ،2010،ص.108.

[3]- الورثيلاني ، الرحلة ،المصدر السابق، ص.116،115.

ولـمّا اختلف الناس في هذا الرأي قيل لبعض الأشراف" لما لم تتوسم بعلامة الشرف؟ فقال منعني من ذلك أنوار النبوة وهي أدّل دليل فكيف يصحّ أن يكون لها علامة من غيرها فأنشد قائلا:

جَعَلوا لأَبنَاء الرّسُول عَلامةَ أنّ العلامة شَانٌ لَم يُشهَر

نُور النُبُوة فِي كَرِيمِ وُجُوهِهِم يَغنِي الشَّرِيفُ عَنِ الطِرَاز الأخضَرِ

فرّد الورثيلاني على هذا الرأي بأنها خاصية تخص أرباب القلوب ومن يراعي الخواطر وليس جميع الأشراف من أرباب القلوب، فمنهم من تغلبه نفسه ويغلبه سلطان الجهل والتعلّق بالسوء، ولذا صدّ لمرآة الضمائر والعقول، فلا يظهر الشريف من غيره .

وجهة نظر الورثيلاني في هذه المسألة قائلا: أنّ الشريف مُصدّق في نسبه كما يُصّدق في ماله، فإن حيازة الأموال معتبرة شرعا كذلك حيازة النّسب ،والحيازة في الأموال لابد أن تكون في أمد طويل بحيث يقطع أن هذا لمن حازه ويقوم الأمد الطويل مقام البيّنة القاطعة، وكذلك النّسب فلابد أن يكون أمدا طويلا يقطع فيه العقل والعادة بأنه لا خلل فيه إذ لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا حينئذ فالناس مصدّقون في أنسابهم بوجود الحيازة كحيازة الأموال[1]"،فالورثيلاني اعتمد منطق القياس في الأمور بين مسألة حيازة الأموال و مسألة حيازة النّسب ،فالحيازة هي التملّك الذي يكون عن طريق عقد أو وثيقة مثل تمّلك الأموال وحيازتها .

هناك من أخلط بين قول الورثيلاني والشيخ عبد الباقي والشيخ الأجهوري في مسألة إثبات النسب، فالورثيلاني لم يربط إثبات النّسب بالشهرة إطلاقا بل عارضه وفنّد كل الآراء – السابقة وقد قدمناها سابقا– وأن الذي ربط النسب الشريف بالشهرة هو الشيخ عبد الباقي بقوله " الشرف يُثبَت بالشُهرة" الذي حدّثنا عنه الورثيلاني وقد نقده في مسألة تعظيم الأشراف وكيفية إثبات نسبهم وذلك قول الشيخ عبد الباقي[2]

أما الشيخ الأجهوري فقد وافق نفس رأي الورثيلاني والذي اعتمد حيازة النسب لإثباته بقوله " الناس على ما حازوا من أنسابهم كحيازة الأموال، يصدق الإنسان شرعا في نسبه كما يَصدُق بأن ما بيده ماله إلا إذا كان مشهور بالعداء والظلم...[3]،وهناك أساليب أخرى لتوثيق النّسب الصحيح كأن يكون عبر شهادة القاضي وإثباته

[1]-نفسه،ص.116.

[2]-نفسه،ص.11.

[3]-نفسه،ص.116.

في ظهير[1] أو شهادة العلماء بحكم أنهم يجيزون طلبتهم فيدوّنون حتى نَسبهم في إجازاتهم وهذا ما وجدناه عند ابن حمادوش في إجازاته من علمائه وحتى في مصنفاته[2] ونفس الأمر كذلك عن الرحالة أبي راس الناصري الذي قال عن نفسه: "قد شهد لي بالشرف السني و المنتمي الحسني و النسب النبوي، و البيت العلوي وقد شهد له الشيخان :الشيخ المصطفى بن المختار، و سيدي عبد القادر بن السنوسي[3]، فالورثيلاني كان جدّ حريص على التدقيق في النسب الشريف وفي مدى صحته وكان مُطّلعا على كتاب ابن فرحون والذي يُعدّ في نظره كتابا موثوقا ومُحكّما بالدلائل ،وبعد اطلاعنا عليه وجدنا أن مصدر اعتماده الورثيلاني يعود إلى أن مؤلف الكتاب جدّ حريص على توثيق المعلومة فقد نسخها بفاس وبحضرة اثنتي عشر قاضيا من قضاة فاس وكلهم شهدوا على ذلك[4] فهذا ما يثبت مدى صدق ما نقله الورثيلاني.

فقد دأب المغاربة على حبّ آل بيت رسول الله و تعظيمهم و تجلى من خلال الاحترام و تقديرهم و توليتهم أمور تسيير القبيلة وإصلاح ذات البين وفك الخصومات والنزاع ،و تعليم الناس الدين و تقديم فتاوي وخدمة المجتمع عامة، ما جعلهم يكْبرون في أعينهم ويرفعون من شأنهم، فقد تبوأوا مناصب في القبيلة وفي الدولة، فكانوا يتصدّرون المجالس العلمية و الدينية وحتى في الاحتفالات يُقدِم المرابطون ،مثلما حدث مع الشيخ "محمد الصالح" الذي انتقل من بني جماتي إلى بجاية رفقة ركب ،وفي طريقهم لما وصلوا إلى بني عبد الجبار عزم عليهم الشيخ يوسف بن مهّنا رجاء في بركة الشيخ واغتناما البركة منه لأنه مرابط وولي صالح ومن الأشراف كان يسمع على الشيخ من غير معرفة صورته ، ولما حان وقت الطعام جمعوا الناس ورتبوهم حسب عادتهم فاقعدوا المرابطين وذوي الهيئات من الملابس الفاخرة على جهة ،وكان الشيخ "محمد الصالح" لابسا رقعته الرثة بينهم ،قالوا: له انهض لا تأكل مع هؤلاء الأفاضل لرثة ملابسه وعدم معرفتهم له أيضا، فأنت مجلسك مع أوباش الركب، فنهض الشيخ وذهب لأوباش الركب وبعدها سُمع النداء والصياح من الناس بأن الشيخ صاحب المرقعة هو صاحب الإكرام والبركة و من أجله استُحضر الطعام طمعا للبركة لما سَمعوا عليه، فألحوا عليه العودة إلى مجلس الأفاضل إلا أنه امتنع ورفض وبقي على حاله[5] ،فالشيخ "محمد صالح" من الأشراف والمرابطين لكن لم يُعرف عند أهل هذه القبيلة بل ما سمعوا عنه تواترا من أسلافهم.

---

[1]–وانس صلاح الدين، ادعاء النسب الشريف بين التوظيف الديني والاستغلال السياسي، مجلة افاق فكرية، العدد9، المجلد الرابع، مخبر دراسات الفكر الاسلامي، جامعة سيدي بلعباس،أكتوبر،2019، ص.251.

[2]– ابن حمادوش، لسان المقال، المصدر السابق، ص. 256.

[3]– ابوراس ، فتح الاله ، المصدر السابق،ص.19.

[4]–ابن فرحون ، تواريخ الأخبار، المصدر السابق، ورقة رقم 12.

[5]–الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق، ص.63.

ثانيا: مؤثّرات التصوّف في الجزائر على ضوء الرّحلة.

1- انتشار المرابطين :

تناول الورثيلاني هذه الظاهرة المنتشرة في الجزائر و التي تُثبت مدى كثرة المرابطين فيها وانتشارهم، فالدارس للتاريخ الجزائري الديني في العهد العثماني يجب عليه أن يصدِّق ذلك، ما جعل صاحب الترجمة يهتم بهذا الموضوع لكثرتهم في المجتمع وكونه يعدّ منهم ، فجلّ ما ذكره في رحلاته الداخلية نحو بجاية والقبائل الصغرى والجنوب الشرقي مرتبط بالمرابطين فذكر الأحياء والأموات منهم ،فنجد انتشارهم الكبير في منطقة القبائل متجليا في إسهاماتهم المتعددة في مجاليْ التعليم والتربية وتأسيس المنشآت الدينية في تلك القرى والجبال ،والحسين الورثيلاني يُعدّ منهم ،فلهذا وجب علينا تحديد مصطلح المرابطين وأصولهم وأهم المرابطين الذين ذكرهم في رحلته :

1-1- مفهوم المرابط :كلمة "مْرَابطْ" أو "أَمْرَابظْ' ارتبط هذا المصطلح بالرباط ، فهو المكان الذي يمارس فيه رباطه، فهو دلالة على الأشخاص الأتقياء الذين يجتمعون في ذلك المكان ويلتف حولهم الناس وبعدها يصبح مكانا للعلم والتدريس يُطلق عليها الزاوية تُسمى باسم ذلك المرابط ومنها يقام عليها ضريح ويصبح مكانا مقدسا لدى الأتباع[1]، وليس بالضرورة أن يكون رباطا للجهاد، فهو رباط لنفسه ليبعده عن شهوات الدنيا و مغرياتها، مكانه في الجبال، الصحاري، الخلوات بعيدا عن الناس، لإقامة التزهد والاعتكاف والتقرب من الله، والرغبة في العزلة في وقتٍ كثرت فيه الفتن، ما أوجد جلّ المرابطين في المناطق الجبلية والمنعزلة حتى أصبحت القباب بلونها الأبيض تمتد على الأفق الواسع للزائر لوقوعها في مناطق مرتفعة وهناك من الجبال من اتخذت من اسم صاحب القبة ويذكر لنا ROZET ET CARETTE في حديثهم عن المدن الجزائرية وقراها، أنه في احدى مناطق القبائل في أعالي احدى الجبال الذي يظهر فيه مسجد وقبة ذو لونين أبيضين وبعدها داوم الناس على ذلك الجبل أصبح يطلق عليه اسم "ثامقوط "نسبة لصاحب القبر، في إحصائه للمرابطين في الجزائر عامة ومنطقة القبائل بالتحديد أن جلّهم في الجبال ومن شدة تعلقهم بالجبال حتى أصبح الجبل مقصد الزوّار والعامة ومنهم يستلهمون أمور دينهم [2]،وهذا ما ذهب إليه الورثيلاني في زياره أهل بلدته للجبل المثقوب للتبرّك وطلبا للبركة، فالمرابط منعزل عن نفسه سواء في البلاد العربية أوفي منطقة القبائل متخذا من الجبل مأوى له ، ما يولّد له التعصب وكره الفرنسيين وما يظهر تواجد المرابط في المنطقة هو تلك القبة البيضاء التي تبدو من بعيد[3].

[1] - MÍKEL DE EPALZA, La espiritualidad militarista del islam medieval el ribat,op-cit ,P17.
[2] - ROZET ET CARETTE ,L'Algerie, IMPRIMEURS DE L'INSTITUT.Paris.1850.P.P.28.65.
[3] - LOUIS VIGNON , France En Algérie , Librairie Hachette ,Paris.1893.P.378.

وقد سعى المرابطون للتمركز في الأرياف ابتعادا عن النظام العثماني الذي تمركز بالخصوص في المدن ،فالريف هو المقر الأسهل لنشر الوعي والفكر الديني بعيدا عن الملاحقات و التشديدات السياسية .فكثيرا ما لاحق الأتراك المرابطون والسلطة الروحية عامة نتيجة تحريضهم للعامة ودعوتهم للأمر، بالأمر والنهي عن المنكر والوقوف ضد الحاكم الفاسد الظالم ،و الريف أيضا مكان تسكن فيه النفس وترتاح الروح فهو الجو الملائم لهم وقد عمدوا أيضا إليه لانعدام المراكز التعليمية والمؤسّسات الدينية رغبة في تثقيف وتدريس أبناء القرى والأرياف والصحاري لما لحق بهم من آثار التهميش العثماني، فالنظام غائب تماما في الجبال وفي البوادي عامة[1].

فسلالة المرابطين تمتد إلى النسب الشريف والتي تنتهي إلى النبي محمد صلى الله عليهم وسلم عبر حفيديه الحسن والحسين ،فمصطلحي الشريف والمرابط مقترنان، فقابلle maréchal duc d'Isly أحد من المشايخ وسأله من أنت فرد عليه :أنا شريف ومرابط[2].

يطلق أيضا باسم "النبلاء الدينيين" فهم يختلفون عن النبلاء العسكريين، لخدماتهم المميزة في المجتمع فنجدهم المؤسسين للمساجد والزوايا والذين يعلّمون بها العلوم الدينية كما أنّهم حافظوا على التقاليد والأعراف الاجتماعية كما سعوا إلى تحقيق العدالة في كل قبيلة .فهو في نظر العامة مقدس كونه ولـي من أولياء الله فلا يجب التعرض له[3] ،فمصطلح "النبلاء من النّبالة""noblesse ، les nobles" لوحده فقط لا يفي بالغرض فهو لا يعني مفهوم "المرابط"، فحسبDaumas والذي حدّثنا عن مرابطي منطقة القبائل، أن النبلاء ثلاثة أنواع يشتركون في النبالة فقط ويختلفون في عديد الأمور ، منهم "النبلاء الأصليون" ويقصد بهم "الأشراف" المنحدرون من نسب الرسول عليه الصلاة والسلام وهم نبلاء النسب، والصنف الثاني هم النبلاء غير الدائمين(المؤقتين) أو العسكريين يُطلق عليهم "بالأجواد" فهم مرتبطون بالأسر العريقة وذات النفوذ في القبيلة ويمكن حتى ربطه بنسل قبيلة قريش، يعيِّنون أنفسهم باسم "دواودة" ويرون أنفسهم أعلى درجة ونسبة من الأجواد العاديين ،فهم من الفاتحين العرب المسلمين القادمين ضمن الفتوحات الإسلامية واستقر بعضهم بشمال إفريقيا، فيضيف Daumasعلى ما ذكره GEORGES أن المرابط هو الرجل الذي كرّس حياته للدين وتعليم القرآن ،فهو في نظر العرب هو الذي يحفظ العقيدة الإسلامية ويؤدي الصلوات في أوقاتها ويحافظ على الشعائر الدينية ،وكلماته خارقة للعادة يمكن أن تتحول إلى أشياء لا يمتلكها الناس(الكرامة)، ويمتلكون العناية الإلهية فبفضلهم تمّ

[1] -الورثيلاني، الرحلة ...ص 8.

[2] -DAUMAS, le Sahara Algérien études géographiques, statistiques et historiques sur la région au sud des établissements français en Algérie, ed Dubos frères, rue Bab-Azoun, Alger,1945.P.43.

[3] - GEORGES VOISIN , l'Algérie pour les Algériens, libraires-éditeurs.Paris.1861.P.70.

إيقاف أنهار من الدم بين القبائل المتصارعة فاستطاعوا التوفيق بينهم وإبرام الصلح بين المتخاصمين، وحمايتهم للمسافرين والحجاج في تنقّلاتهم ، وتدخّلهم في الحروب ضد الأعداء وتحريض العامة على الجهاد ومحاربة الغزاة والمحتلين[1]، فهذه بعض من صفاتهم ما جعلتهم يتصدّرون المجالس ويتميّزون عن النبلاء الآخرين.

يتقاسم مصطلح "الرباط" في اشتقاقه مع كلمة "مرابط" وجمعها "مرابطون" مما يأخذ منحنى التفكير والبحث إلى دولة المرابطين التي ظهرت في الصحراء بجنوب المغرب الأقصى[2] ،فهي لا تتقاسم موضوع دراستنا، فلا علاقة بين دولة المرابطين ككيان سياسي ومذهب ديني مع المرابط الذي يُعدّ كفرد اجتماعي ذو سلوك ديني يميزه عن غيره وتولى بسلوكه الروحاني وخدماته الجليلة للمجتمع .فالشيخ ليس نفسه "المرابط" وإن وجدنا في المخيال الشعبي العامي أن "الشيخ" أو "الإمام" أنهما "المرابط" والعكس صحيح، باعتبار الشيخ والإمام يخدمان بيوت الله فهما بمثابة المعْلم الكبير للديانة الإسلامية وممثلها، فالمرابط أيضا يتقاسم هذه الصفات معهم فلهذا دمجَه العامة في نفس المصطلح ،ولكن حقيقة الأمر هناك أمور تميّزه عنهما كون المرابط معلم ومربي روحي ويُلقن ويعرف للمبتدئين ما أوتي من علم وحكمة[3] ، ويرى Daumas أن هذا المصطلح في منطقة القبائل مشتق من كلمة "أمرابظ"Mrabeth والذي يعني الشخص المرتبط بالله والذي يقوم بما أمره الله في الأرض ،فهو الذي يختار الأشخاص الصالحين في المجتمع لتسيير أمور العامّة ،فببلاد القبائل ما يُعرف بنظام "الجماعة" أو "تاجماعث" فهم مجموعة من العقلاء والشيوخ الكبار أصحاب حِلم وعِلم وعَقل لينظروا في أمور القرية ،فهؤلاء يختارهم المرابط لأنه أعرف النّاس بمن هم أهل التقى والصّلاح[4] ،فالمرابط يختلف عن "الحكيم" أموسناو" فممثّلو القرية يمكن إطلاق عليهم كلمة "حكيم" أما المرابط فيبقى متمسِّكا بهذا الاسم وحتى هو أيضا حكيم .

إن كان هذا المصطلح لـم يُفصَل في أمره جيّدا في الدراسات العربية والإسلامية **فلم تقم** بدمجه مع الطرق الصوفية ودولة المرابطين ،فأوضحنا الفرق مع هذه الأخيرة وبقي توضيح الفرق بين المرابط و مشايخ الطرق الصوفية وهذا ما سنراه لاحقا ،وفي الدراسات الغربية وبالخصوص الفرنسية التي اهتمت بهذه الظاهرة نجد أن استعمالهم للمصطلح يقتصر على لفظين وهما: Marabout و Saint، فاللفظ الأول مقترن بترجمته من اللغة العربية وإن

[1] -Daumas, Mœurs et coutumes de l'Algérie Tell — Kabylie — Sahara , librairie de l. Hachette,Paris.1953P-P.17-19.

[2] - Ernest Mercier. Histoire de l'Afrique septentrionale (berbérié) depuis les temps et les plus recule jusqu'à la conquête française(1830).T II. Ed, Ernest Leroux.Paris.1888.P.24.

[3]- Ahmed Shafik Roushdy, Miftāḥ al-sa'āda wa-taḥqīq ṭarīq al-sa'āda (La llave de la felicidad y la realización del camino de la felicidad)de Ibn al-'Arīf (481/1088-536/1141) , Tesis Doctoral, Departamento de Estudios Árabes e Islámicos y Estudios Orientales, Universidad Autónoma de Madrid, 2010.P.60.

[4] - Daumas, Mœurs et coutumes de l'Algérie Tell — Kabylie — Sahara,op-cit.P.200.

كان استعماله يخلط بين الصوفية، المرابطون والأشراف. فهم يرون أن امتداد اسم المرابط محصور على كل قبة أو ضريح وُجدت يطلقون عليه مرابط[1] ،وإن كان فعلا المرابط يشترك في جزء من هذه القبب والأضرحة لكن لا يتعداها للجميع فهو يتقاسمها مع فئات دينية أخرى ،فلهذا وجب التمييز بينهم ،و اللفظ الثاني هو تقريب الفكرة لغير العرب والمسلمين من أجل إيضاح الفكرة و إعطاء وجهة تقريبية بين "القديس" و"المرابط" وإن كان الأمر بينهما مختلفا ولاوجود لعلاقة تجمع بينهما، فهذا ما دفع "ليون روش" Léon roches إلى توضيح هذه النقطة أن القديس يختلف عن المرابط، ولكن عند حديثه عن رجال الدين المسلمين والمرابطين يقول عنهم Des Saints قديسين فقط من أجل إعطاء فكرة دقيقة وتشخيص لحالة هؤلاء المتدينين[2].

فالمرابط في تعريفه العام هو الرجل المرتبط بالدين الإسلامي وسعى إلى خدمته والعمل على تلقينه للآخرين ،فكانت لهم اليد الطويلة في إنشاء المؤسّسات الدينية التعليمية لتعليم عامة الناس ومنها اتخذت اسم مؤسسها ،فالمرابط هو أحد أولياء الله في المفهوم الديني الإسلامي ،فمن كثرة قربه لله بالعبادات والطاعات أكرمه الله على غيره بما لم يُكرِم الآخرين ،فأصبح محبوبا لدى الجميع ومقدّسا لديهم، لما له من دور في المجتمع ولما ضحّى بحياته من أجل الآخرين ، فهمها تعددت التعاريف فلا يمكن أن تخرج عن نطاقها الديني ،ولإضفاء صبغة القداسة والتبجيل يعد نسبه شريفا والذي ينتهي بنسب الرسول عليه الصلاة والسلام وإن اختلفت الآراء عن أصل المرابطين في الجزائر بعد توافد الهجرات المختلفة.

1-2- نسب المرابطين في الجزائر.

تناولت العديد من الدراسات مسألة الشرفاء والمرابطين ،فاختلفت في تحديد النسب الأقرب والأصح لهذه الفئة الدينية التي عملت على توطين نسبها حسب ما تآلف عليه أهل العلم والتدوين، فيبقى التدوين هو المؤشِّر الوحيد الذي يضفي الصبغة العِلمية والأكاديمية ويتيح نوعا من المصداقية والشفافية ،وإن كانت مصادر البحث جدّ شحيحة وصعبة المنال. فاعتماد أهل شمال إفريقيا ومنطقة زواوة على مخطوط ابن فرحون والذي يحفظه إلى يومنا العديد من كبار أهل القرى، والذي تواتر بين العائلات المرابطية ومنهم الشيخ الحسين الورثيلاني الذي اطّلع عليه واستقرأ بعضا من العائلات والقبائل التي تعود للنّسب الشريف[3]، فالمرابطون جلّهم أشراف ماعدا من زايد في نسبه وتحايل على العامة رغبة في الحصول على امتيازات وكسب مكانة اجتماعية في أواسط العامة ،فعلى

[1] - DAUMAS, La Grande Kabylie Études Historiques, Libraires De L'université Royale de France ,France. 1847. P.53.
[2] - LÉON ROCHES, Dix ans à travers l'Islam 1834 – 1844 , librairie académique didier.Paris.1884.P.116.
[3] – الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق، ص،43،11.

العموم يعد المرابط ابن التصوّف فيصعب فصل المرابط عن الزّهد و التصوّف فهو الإنسان العابد الزاهد القائم بواجباته تجاه الله وقد ارتبط بعديد المتصوّفة والزهّاد منهم سيدي أبو مدين الغوث ،الحسن الشاذلي ،الجازولية و غيرهم من المتصوفة [1].

الورثيلاني ونسب المرابطين : الورثيلاني فصل في مسألة نسب المرابطين فهم من الأشراف الذين قدموا من منطقة تافيلالت الساقية الحمراء جنوب المغرب الأقصى وقد سمع هذا القول من أعالي أسلافه وأكّد على ذلك باطلاعه على "كتاب الاعتبار وتواريخ الأخبار والتعريف بالنّسب إلى النبي المختار صلى الله عليه وسلم" والذي يعد أوثق المصادر التي حفظت أنساب منطقة زواوة وبعض أشراف مناطق الجزائر[2]، فالشريف هي صفة دينية مرتبطة بنسب الرسول عليه الصلاة وفقط ،أما المرابطين فتاريخهم الوراثي حسب الورثيلاني يعود إلى ادريس الأول بحكم أنهم جعلهم أشرافا ،فلا يمكن أن يكون شريفا وفي نفس الوقت لا يرتبط أصله ب 'ادريس الأول" فالأدارسة من العرب القادمين من شبه الجزيرة العربية، فالمتمعن في منطق الورثيلاني يجد أن المرابطين أصولهم تعود إلى العرب وليسوا إلى السكان الأصلين بشمال أفريقيا ، ومن جهة أخرى يرى الباحث "أرزقي فرّاد" في كتابه "إطلالة على منطقة القبائل" والذي أراد الوصول إلى فك معضلة "مرابطي القبائل" ومدى ارتباطها مع النسب الشريف ، فهما يتلازمان فقرن الأول أنهم مجموعة من القبائل الأمازيغية التي أسست دولة المرابطين وربط الأشراف بحادثة انتقال ادريس الأول من المشرق إلى المغرب، فإذا أخذنا بهذا الرأي نستنتج أن الأمازيغ أيضا هم أشراف ونحن نعلم أن الشريف في شمال أفريقيا مرتبط بالنسب الإدريسي فقط ، ونعلم أيضا أن الأمازيغ ليسوا أشرافا فهم من أصل سكان شمال إفريقيا و الأشراف هم من هاجروا من المشرق إلى شمال إفريقيا[3] .

ولتوضيح الفكرة أكثر حول هذه العلاقة التي لازمت بين المرابطين والأشراف ،يقول الباحث "ماسكيراي" MASQUERAY أنه من الخطأ قول أو تدوين وربط مصطلحي "مرابط وقبائلي" لأن المرابط ليس قبائليّا، وهذا التمييز واضح حتى في "قانون" وأعراف القبيلة، وأن هذا الاختلاف واضح فهم يقولون أنهم قدموا من إسبانيا "الأندلس" ولكن التقليد الأكثر انتشارا أن خروجهم قبل قرنين أو ثلاثة من الساقية الحمراء، ولا يوجد شيء أكثر إثارة للشك أنه ليس في منطقة القبائل فقط بل في كل إيالات ومقاطعات الجزائر، فأينما وُجد مرابط فأصله من الساقية الحمراء وهذا لا يمكن تعميمه لأن هناك من زيّف نسبه كون العرب في المنطقة عددهم قليل فالمرابطون

[1]-Hicham Djait ,Las culturas Magrebíes a través de la Historia ,in las culturas del Magreb, Edición de María Ángels Roque ,Agencia Española de cooperación internacional ,Madrid ,1994.P.39.

[2]- ابن فرحون ، مخطوط كتاب الاعتبار...الورقة الاولى.

[3]- ارزقي فراد ، اطلالة على منطقة القبائل،ص 20- 24.

عددهم كثير ما يعني أن هناك من نصّب نفسه شريفا وهو بعيد عنهم فأراد الادّعاء فقط، وتاريخ المرابطين قبل الفتح الإسلامي يرجع نزوحُهم من تونس أو المغرب فهم يختلفون عن القبائل(الأمازيغ) في كل شيء في عاداتهم وتقاليدهم وفي طقوس الزواج وحتى في اللغة،إذ تُعدّ اللغة العربية لدى الأمازيغ شيء مختلف عن ما يتحدث به المرابطون الذين يتقنون اللغة العربية و يدرِّسون بها العلوم الدينية في الزوايا ومنها "شرح مختصر خليل" ،قانون الميراث عندهم يختلف عن الآخرين وحتى في أحكام السرقة والقتل والقَصاص فيه اختلاف[1] ، وصفة المرابطة لا يمكنها اكتسابها مع الوقت فهي توارثية ،يولد الإنسان بها ويكتسب صفة العلم وتعلّم الدين والقانون، مما يضفى عليه صبغة القداسة الدينية وتنتقل هذه الصفة إلى الأبناء ولو لم يكونوا متعلّمين و لا فاضلين ولا مقدَّسين، فهي ملازمة آنية و دائمة تلاحقهم ويطلق عليهم "بالنبالة الدينية" التي يشترك معهم الأشراف[2].

وفي هذا الأمر عمل الباحث الفرنسي "اوكابيتان" Aucapitaine على تقديم دراسة خاصة حول أصل المرابطين في منطقة القبائل، وتوصّل إلى أن أصولهم عرب معتمدا على بعض الدلائل التي توصّل إليها منها – الاختلاف والتمييز بين العرقين واضح وبارز من خلال الأصل، فالتقليد العام الذي يوصلنا غلى ذلك عن طريق المسائلة ، فعلى سبيل المثال قرية في منطقة القبائل يسكن فيها المرابطون ، وعند استجوابه هل أنتم قبائل ؟ يجيب : لا، نحن مرابطون .فهذا دليل واثق على أن التمييز بينهم واضح منذ البداية ،فالمرابط لا يقبل أن يكون غير ذلك والآخر نفس الأمر يبقى متمسكا وفخورا بأصله[3]، فهذا ما يُظهر أن أصولهم ليست أمازيغية ،وفي المقابل نجد من يرى أن أصلهم من الأمازيغ فقد اختاروا اسم المرابطين بعد فِرارهم من بطش دولة المرابطين وأخذوا نفس الاسم للتميّز عن الآخرين ،وانصهروا في البيئة الجديدة وتعلّموا القبائلية وأصبحوا من أهل القرية وأن نزوحهم من الساقية الحمراء غير ممكن باعتبارها منطقة ريفية صحراوية لا يمكن لها تخرج علماء وفقهاء الدين[4] ، فهذا الرأي قد نقده العديد من الكُتاب المحلين والغربيين ومنهم "اوكابيتان"و" ترومليي".

– ومن التقاليد التي تظفي نفس الصبغة التاريخية على الاختلاف بين المرابط وسكان منطقة القبائل، فالتراث المدوّن من مخطوطات وما تواتر شفويا بين أهل البلد، أن المرابطين متمسِّكين بالدين الإسلامي واللغة العربية وقد

[1] - MASQUERAY(E), Formation Des Cités Chez Les Populations Sédentaires De L'Algérie (Kabyles du Djurdjura, Chaouïa de l'Arouas, Beni Mezâb), ÉDITEUR ERNEST LEROUX, Paris.1986.P.P.122.123.
[2] - LOUIS VIGNON , France En Algérie .P.70
[3] -Aucapitaine(M).Origines des marabouts de la kabylie,Rev.Af.V.3.(1858).P.317.
[4] -Mouloud Gaid, Les berbères dans l'histoire, Les maraboutés d'hier et d'aujourd'hui. T7.Ed ,Mimaune ,Alger 1990.P.P.139.140.

قدِموا إلى هذه البلاد من أجل تعليم وتدريس ونشر الإسلام في منطقة القبائل، فقد جاء العرب المتدينون(المرابطون) والمتعلمون ليوفروا ما افتقر إليه أهل المنطقة .

-حرصهم على توثيق نسبهم من خلال ما دوّنوه من مؤلّفات وعقود ،فنجدهم يضيفون على أسمائهم ونسبهم وأصلهم اسم المكان الذي استقروا لإعطاء الدلالة على المكان الذي يثبت النسبية في ذلك، فهذه الصبغة الاثنية ظهرت جليا في ذيل مخطوطات فيقول ،الورثيلاني نسبة إلى بني ورثيلان ، الوغليسي نسبة إلى بني وغليس ..وغيرهم ولتوضيح هذه النقطة جيدا نعتمد على بعض مخطوطات مرابطي منطقة بني ورثيلان: نجد مخطوط نور السراج في إعراب مقدمة الصنهاجي التي نسخها محمد البشير بن عبد الرحمان بن أمحمد بن عبد الرحمان بن بلقاسم نجل السيد ايذير بن الحاج الورثيلاني نسبا ومسكنا[1] ،وهم من عائلة البهاليل المعروفة بالعلم والدين وقد استقرّوا في بني وغليس أيضا ،فهم من المرابطين الذين قدموا إلى بني ورثيلان فيضيفون اسم المكان إلى نسبهم ،ونفس الأمر نجده في مخطوطات الحسين الورثيلاني يربط أصله باسم المكان الذي استقرّ فيه، فهذا يوحي إلى أنهم أجانب عن المنطقة فهو يثبت المسكن فقط لا النسب.

في دراسة أخرى جدّ معمقة للباحث الفرنسي أكابيتان" Aucapitaine والذي أضاف على الدراسة السابقة ما يلي : عند استجوابنا لبعض سكان منطقة القبائل عن مدى وجود المرابطين بالمنطقة، فكان جوابهم عفويّا ،نعم يوجد مرابطين هنا، أو يكون" لا ،لا يوجد مرابطين هنا"، وفي حالة توجيهنا سؤالا لأحد سكان القبائل: أهذا الرجل قبائلي؟ يجيب: لا، هو مرابط . ما يضيف على ذلك عدم امتلاك سجلات وعقود لدى السكان المحليين خلافا للمرابطين الذين يدوّنون ويكتبون و يحتفظون بالسجلات ، وإن كان للقبائل فتكون محفوظة لدى الأشراف أو العلماء و المرابطين، الذين أقاموا وأسسوا زوايا للتعليم وجلب الطلبة ما لم يكن من قبل ،فظهورها كان بظهور هؤلاء رجال الدين ، القادمون من الساقية الحمراء بالمغرب، فهذه المنطقة التي تعد منطلقهم وتتوافق وعادات و تقاليد 'مرابطي القصور" المتواجدين بالجنوب والصحراء مع مرابطي منطقة القبائل. وقد رأى العديد من مرابطي القبائل يربطون أنسابهم مع المرابطين القادمين من سوس، بوسعادة، ونفس التقاليد والفكرة

[1] – الصنهاجي ، مخطوط نور السراج في إعراب مقدمة الصنهاجي، نسخها: محمد البشير بن عبد الرحمان،1334 هجري ،ورقة الأخيرة، **ينظر الملحق رقم 20.**

المستوحاة أنهم من الساقية الحمراء وجدها في عرش "بني مناصر" وهناك أيضا من ربطها أنهم من المشرق الإسلامي[1] .

في هذه النقطة يتقاطع مع الورثيلاني الذي أورد أن هناك هجرة سكانية من المرابطين من منطقة الحضنة إلى منطقة بني ورثيلان ،فمنها تزوّج أولاد سيدي رحّاب لما من تواصل وترابط أُسري في ظل الهجرات بين المنطقتين ولتواجد عائلة مرابطة بنفس الاسم في منطقة الرّحالة[2].

لمن الصعب الوصول إلى تدقيق النّسب الصحيح للمرابطين، وإن تتبعنا مسار الهجرات مثلما ذكرنا ،نجد أن حركة التنقل والهجرة لازمت المرابطين فهم بمثابة المبشّرين للدين فلا يقبعون في مكان معيّن، بل حياتهم كلها في التنقل بين القرى والأمصار من أجل التدريس، فأينما مروا على منطقة آهلة لا توجد بها مسجد أو زاوية وانتشر الجهل بينهم وقلّ العلم ،إلا واستوطنوا بها.

إن البحث عن الأصول يتطلب ربط الإطار المكاني بالزماني ،فالاثنوغرافية الاجتماعية متربطة بتيمولوجية الأسماء، فإذا عدنا إلى نصوص الرحلة الورثيلانية وتاريخ منطقة الورثيلاني نجد أن العديد من القرى التي استوطن بها الأشراف المرابطون لم تكن من قبل، فظهور هذه القرى كانت بقدوم هؤلاء ، فهم المؤسسون الأوائل لها، وقد دعّم هذا الرأي الباحث الفرنسي "مايير"Mayer ،الذي بحث في أصول سكان منطقة القبائل، وكان بحثه ميدانيا محضا ،أقام في منطقة القبائل مدة من الزمن وجالس كبار القوم وفضلائهم من كبار السنّ ،فتوصّل إلى بعض النتائج معتمدا على المعطيات التي قُدمت له .فقدّم لنا بعضا من نماذج أصول سكان منطقة القبائل أنهم من العرب ،فلتوضيح هذه المسألة وجبَ علينا تقديم جميع الأمثلة التي توصل إليها وفي الأخير نقدم حوصلة حول هذه الفكرة.

فقبيلة **"فليسة"** من أصول عرب قدموا من "ايسر" بني تور"، متيجة، بني عيشة وآخرين من بني جعادة من بني سليمان كلهم لجأوا إلى هذه الجبال،فأول من قَدِم منهم يحمل اسم "فليسَا" وله 15 ولدا ومنها أخذت المنطقة اسمه بعد استقراره هناك .و من أسباب انتقاله إلى المنطقة الجبلية يعود إلى اضطهاد وطرد الباي محمد لهؤلاء السكان من أراضيهم فلجأوا إلى الجبال التي احتضنتهم، ولم يتوقف الباي عن اضطهادهم حتى في جبال فلوسا ،

[1] - Aucapitaine(M),Origine Arabe des fraction de marabouts dans les tribus kabyles, Revue de nouvelles et mélange, septembre 1958.P.265-269. www.berberemultimedia.fr/bibliotheque/auteurs/Aucapitaine2_JA_1859b

[2] -الحسين الورثيلاني، الرحلة ،ص.75.

لأنها تطل على البحر، ونفس الأمر ينطبق على منطقة **"بني وجنون Beni Ouaghennoun"** فالرجل الأول الذي قدم اسمه "قنون" والذي استقر بهذه المنطقة نتيجة الاضطهاد التركي له وفرض الجباية عليه.

بني جناد، مؤسِّسها رجل يُدعى "جنّاد" وهو من العرب، عُرف بشرائه الفاحش ،وقدم معه 300 فارس واستقر بهذه المنطقة ودخل في صراع مع الباي التركي الذي قتل أحد إخوته والمسمى "بيزار" ومنها أُطلق على قرية قريبة من "بني جنّاد" هذا الاسم ،والجبل المقابل المسمى "زرّيغفة" ولصعوبة نطقه تحول "زريخفة" ،وقد حدث له نفس الأمر، والتجأ إلى قائد بني جنّاد طلبا الحماية ،فقدم له الباي مثلما أعطى بني جنّاد فعفاهم من الضرائب، **بني عيسي** :سُميت على أول من دخلها "عيسي" يعود أصله إلى العرب قادما من قبيلة "أولاد سيدي عيسى" ونسبت إلى العيساوي ،ولجأ إلى الجبل رفضا لدفعه الضرائب للعثمانيين ،مقارنة بالقبائل المجاورة له و المطلّة على البحر ،طلب منه دفع الضرائب لكونها مناطق ساحلية يسهل على المخزن الوصول إليها.

بني يني يعود تاريخ تأسيسها إلى قدم رجل يُدعى "نايلي" من أصول عربية من قبيلة "أولاد نايل" ولصعوبة نطقه تم تغيير بعض الحروف إلى أن اصبح "بني يني"، ومنهم من قدموا من عرب الزاب وأسسوا بعض القبائل منها **"بني بودرار"** بعد وصول رجل اسمه "بودار" وأُضيفت له حرف "الراء" الأخيرة ،ومنهم من قدم أيضا من عرب التيطري(المدية) نجد **"بني علي أوحرثون"** نسبة لمؤسسها "علي أوحرثون" والتي تعود أصوله إلى العرب، وقد استقروا جميعا في هذه الجبال ولم يقم الباي التركي بحملته العسكرية عليهم لمعرفته أن هذه القبائل متحالفة مع قبيلة" بني راتن" وهذه الأخيرة التي أعفاها من دفع الضريبة ما يستوجب أعفاء حلفائها أيضا. **بني يحي** : يعود تسمية هذه القبيلة إلى اسم مؤسسها "يحي" من أصول عربية قَدم من قبيلة "بني سليمان" ومنها أخذت المنطقة تسميتها، **ايلولة** : تعود إلى مؤسسها الأول "مَلول" وقد طرأ تغيير على الاسم بحذف حرف الميم لتسهيل نطقه، ولم تظف له كلمة "بني" لأنها مزعجة للسمع ،ويعود أصل هذا المؤسس من عرب فرجيوة شرق سطيف.

من جهة أخرى قَدم نماذج لقبائل منها: بني يجّر ،بني غبري و فراوسن أنها تعود لأصول فارسية قَدمت من المشرق ،وخلافا ذلك قبائل تعود للأصل العربي وقد عرفناها .فمن مجمل هذه القبائل نجد جلّهم من الأشراف، فالقبائل التي ذكرنا جلّ مؤسسيها من أصول عربية فهم أشراف :شرفاء بني واقنون، شرفاء بهلول، شرفاء أورزيق

من بني جنّاد ،كلهم يأخذون نسبا شريفا لزواياهم التي قَدم إليها الطلبة ، فقدوم هؤلاء الأشراف المرابطين إلى القبائل يحظون باحترام شديد ومنها يقومون بإنشاء زوايا لتعليم الدين وهذا ما جعلهم محبوبين من العامة[1].

فمسار الهجرات تطرّق إليها الباحث الفرنسي الذي تناول تاريخ قسنطينة، أن مرابطين قدموا من الغرب من الساقية الحمراء وقد تتبّع أصول احدى الأسر القادمة من تلك المنطقة في القرن 15م واستقرت بمدينة بسكرة والذي تخفى بقسنطينة تحت الغطاء الديني والصوفي وأقرب الظن يكون من عائلة عبد المؤمن، ومع الوقت أخذوا اسم شيخ الإسلام وتقلّدوا منصب أمير الركب، والشيخ أحمد الزروق المعروف بالفاسي البرنوسي الذي يُعدّ من أعمدة التصوّف في القرن 15م[2]، وإن كان لم يفصح لما يريد الوصول إليه إلا أن ظاهر الحكم يربط نسب مرابطي قسنطينة بالساقية الحمراء.

الساقية الحمراء منطقة صحراوية ،لا يكاد الإنسان يستطيع العيش فيها، بعيدة كل البعد عن الحواضر العلمية، كيف استطاعت منطقة نائية أن تُخرج من أرضها كل هذا الكمّ الغفير من العلماء وكيف تمكن الأولون من تأسيس زاوية بها ومنها تفرع الأبناء وانتشروا؟ هذا التساؤل يؤول بنا إلى البحث في أصولهم في ما قبل تواجدهم في الساقية الحمراء ؟ ومن عمّر هذه الساقية ؟

قلّت الفرضيات في هذا التساؤل، حتى شيخنا الورثيلاني توقف في نسب جده الذي يعود إلى بجاية و من بجاية إلى أعالي أسلافه بتافيلالت ، إلا أن بعض الكُتاب والباحثين الفرنسيين قدّموا بعضا من الآراء يمكن أن تفيدنا في عملية التحري والبحث في الأصول أنهم من **اسبانيا**.

فكما هو معلوم هناك هجرة من الأندلس إلى شمال إفريقيا قبل سقوط غرناطة مثلهم الأندلسيون، وقبلهم المدجنين النازحين من الشمال إلى الجنوب ومنهم ينحدر الموريسكيون الذين ظهروا بعد سقوط الحكم الإسلامي بالأندلس[3]، و بعد توافد الهجرات الموريسكية بعد تدخل الأخوين عروج وخير الدين بربروس ، والكثير منهم استقر على السواحل المغاربية منها الجزائرية بجاية، تلمسان ، وهران، تنس...هذا ما جعل الكُتاب الفرنسيين يؤولون انتقال الأشراف والمرابطين من إسبانيا إلى الساقية الحمراء وبعدها تفرعوا في بلدان شمال إفريقيا .فيقول في هذا الصدد Trumelet"ترومليي" في كتابه حول "قديسي الإسلام" أنه في سنة 1492م التي تعد سقوط

[1]- ALPH, MEYER, Origine des habitants de la Kabylie, d'après la tradition locale, Rev.Af.N 03,1858.P-P.357-367.

[2]- ERNEST MERCIER, Histoire De Constantine, Imprimeurs-Éditeurs, Constantine , Alger, 1903 .P.P.177.178.

[3] Luis Fernando Bernabé Pons, Mallorca y El islam en época Morisca, in Mallorca musulmana, Asociación Amigos del Castello de San Carlos « Aula General Weyler », Palma ,(ILLes Baleares),2009.P.19.

غرناطة آخر إمارة للمسلمين في إسبانيا بداية هجرة المورسكيين الأندلسيين و تلتها عملية الطرد القسري والاختياري ، ما جعل جلهم يتجه لأقرب الدول الإسلامية وبطبيعة الحال تكون الوجهة إلى المغرب الأقصى والجزائر ، فانتقلت النسبة الكبيرة إلى المغرب الأقصى ومنهم من اختار الجنوب وتحديدا منطقة "درعة" فاستقروا بها رغبة في الهدوء و التزهد و التقرّب من الله، التمسوا الانضمام إلى زاوية الساقية الحمراء ،فأقاموا بها مؤسساتهم الدينية من زوايا ورباطات لتعليم الدين ،فاختاروها كونها المكان الأمثل للدراسة والصلاة ونشر العلم و القضاء على الجهل و الأمية وإيصال رسالة الله إلى عباده. وكان هذا نتيجة تحضرهم فجلّهم كما يذكر "ترومليي" من النخبة المثقفة الأطباء الأتقياء ،العلماء، الفقهاء...وقد آثروا على أنفسهم خدمة الله الذي يلهمهم بقوته وإرادته[1]، فنذروا لأنفسهم نشر الدين الإسلامي فانتشروا في كل الأماكن التي لازال الإسلام لم يلج قلوبهم.

ويذهب بعيدا في هذا الطرح الفرنسي 'اوكابيتان' الذي ربط علاقة بين مرابطي منطقة القبائل وإسبانيا ، والذي خرج برأيين حول أصولهم :الأول و الذي طرحناه أنهم من الساقية الحمراء و الثاني والذي يعود إلى ما وراء الساقية الحمراء ؟ فردهم إلى القادمين من إسبانيا ، بعد طرد المورسكيين (العرب المسلمين) من الاسبان والذين وصلوا عبر هجرتين أولاهما عام 1492م والثانية 1570م ،وفي هذا يراود شك حول تأقلم هؤلاء الوافدين والذين ألفوا حياة البذخ والرفاهية وبالأحرى الحياة السهلة والمريحة مقارنة بسكان منطقة القبائل ذات التضاريس والطبيعة الصعبة، وإن كان تواجدهم في المناطق الساحلية مثل" دلس" ولكن ليس لديهم تأثير ونفوذ مثل ما لهم في المناطق الجبلية، فهذا ما يجعل هذا الرأي بعيد عن الطرح الانتروبولوجي فالحياة بمنطقة القبائل جدّ صعبة فكيف يتقبلها أهل الأندلس ؟ ولرفع اللبس عن هذه المعضلة ظهر جليّا وجود عدة أسماء لقرى وحقول مرابطية بالمنطقة منتسبة في اسمها إلى الأندلس منها"ايث وَنْدلَسْ" والذي يقصد به "أهل الأندلس"، "ايث أندلسيثت" يعني "أهل الأندلسيين" وهذه الأسماء لا توجد في القاموس الأمازيغي وليس لها علاقة مع كلمة "اذلس" والتي تعني " التبن" ،فهذه بعضا من الملاحظات التي تشير إلى المرابطين وما يميزهم أيضا أنهم في طريقة تدوين عقودهم وملكياتهم لا يضيفون أبدا كلمة أنهم منحدرون من منطقة القبائل[2].

هذه المصطلحات المتعلقة باسم الأندلس موجودة فعلا في منطقة القبائل وفي بني ورثيلان بالقرب من ضريح سيدي الصادق بقرية لعزيب توجد حقول يطلق على اسمها 'أندلس' ومالكيها من سكان قرية 'امزين' التي

[1] - TRUMELET(C), LES SAINTS DE L'ISLAM LEGENDES .op-cit.P.27.
[2] - Aucapitaine(M),Origine Arabe des fraction de marabouts dans les tribus kabyles. Op-cit.P.267-268.

تفرعت من ابن 'سيدي الصادق' وهو "سيدي تواتي" حفيد سيدي تواتي البجائي، فهذا ما يعطى لنا صورة مصغّرة توحي بأن الولـي الصالح سيدي تواتي البجائي يعود إلى الأصول القادمة من إسبانيا .

رَبْط المرابطين بمسلمي الأندلس يكون مع فئة الأندلسيين و المدجنين فقط ولا يمكن رد أصلهم إلى الموريسكيين الذين ظهروا في بدايات القرن السادس عشر وهذا بعد سقوط غرناطة، كون جلّ الموريسكيين تحولوا إلى المسيحية وقليل منهم من بقي يتحدث اللغة العربية نتيجة فقدانهم الاتصال بالعالم العربي و الإسلامي و للسياسة الإسبانية القائمة على طمس ومحو المسلمين، فقاموا بعملية دمجهم قسريا في الديانة المسيحية واللغة الإسبانية[1] وعلى الرغم من ذلك فقد حافظ بعض الموريسكيين على طابعهم ولغتهم ولباسهم لمدة طويلة إلى درجة وجود بعض الألقاب الإسبانية لدى الموريسكين . وعن اندماجهم في المجتمع المغاربي فقد لاقوا ترحابا واسعا من جهة و نفورا من جهة أخرى نتيجة وجود مركب علو لدى السكان المحليين بحكم الثقافة و التاريخ و التحضر الذي وصل به أهل الأندلس مقارنة بشمال إفريقيا حتى أنهم يرفضون الاختلاط بالسكان المحليين في مسألة الزواج[2].

إنّ هؤلاء المرابطين الذين استقروا بالساقية الحمراء والذين وفدوا من إسبانيا يختلفون عن زاوية "درعا" و "سوس"، فلا علاقة تربط بينهم، فهم أخذوا اسم سيدي مولاي الطيب ،و المرابطون جعلوا من الساقية الحمراء جامعة علمية لتكوينهم العالي في الأندلس، وأعطوا دفعة للحركة العلمية فهم من الطبقة المثقفة المتحكمون في العلوم والآداب، وفي نفس الوقت هم رجال الدين وبعض منهم وصل إلى درجة الولاية وأصبح له كرامات خارقة للعادة حتى أصبحوا في نظر العامة أنهم الواسطة بين الله والعباد[3].

على ضوء هذا نصل إلى بعض الأصول منها إلى الساقية الحمراء والأخرى من الأندلس، لكن في حقيقة الأمر هي نظرية واحدة تكاملية لا يمكن التفريق بينهما ، فالتوقف عند الساقية الحمراء لا يعد اكتمالا للتاريخ، ومرده إلى مسلمي الأندلس فهذه تعد من بين الفرضيات التاريخية الأقرب لما عثرنا عليه في المخطوطات المحلية وهذا ما سنراه في أسماء العائلات والقرى التي أخبرنا عنها الورثيلاني أنها تنتسب لأشراف المرابطين وقد وجدنا منها فعلا الكثير في مخطوط انساب منطقة "زواوة" ، ومن جانب هناك من يقدم بعض الفرضيات والتي قد فندّها الكُتاب الفرنسيون وفندتها أيضا المخطوطات المحلية، فنشير إليها فقط دون تقديم تفاصيل وتعقيبات عنها : أنّ

[1] -Rodolfo GIL,Necesidad de unos estudios sobre los Moriscos en Marruecos, in el libro 'estude sur les Morisques Andalous , Institu national d'Archeologie et d'art ,Tunis ,1983.P.255.
[2] - Antonio Domínguez Ortiz, Una República andaluza en el Norte de Africa la peripecia de 300000 moriscos expulsados de España, in el libro 'estude sur les Morisques Andalous , Institu national d'Archeologie et d'art ,Tunis ,1983.P.261,262.
[3] - TRUMELET(C), LES SAINTS DE L'ISLAM LEGENDES HAGIOLOGIQUES.op-cit.P.30.

مردّهم تركي أثناء فترة التواجد التركي في الجزائر و التي بدأت عام 1518م ويمكن أن يكون ذلك عن طريق مصاهرة الأتراك مع بعض المرابطين مثلما حدث مع عائلة "ايت عمور " من المرابطين صاهرا الأتراك و تحولوا إلى أصلهم بوادي الزيتون إلى "آروس" وأسسوا بها زاوية ودأبوا على تقاليدهم وعاداتهم[1] ،أما أن يكون أصلهم تركيّا محضا أو قدموا معهم فهذا يتنافى مع الأصل كونهم أشراف وأن تواجد المرابطين في الجزائر يعود إلى ما قبل التواجد التركي في شمال إفريقيا ،وإن افترضنا أنه صحيح فكيف انتشر المرابطون في المغرب الأقصى وهذا الأخير لم يعرف تواجدا عثمانيّا ؟

2- المتصوفة والمرابطون في المصادر المحلية:

2-1- المرابطون الأشراف على ضوء مخطوطهم:

وضّح لنا الورثيلاني مسار الأشراف في الجزائر وشمال إفريقيا أنهم من الساقية الحمراء وأكّد ذلك على الفِرق التي دخلت إلى منطقة زواوة بحكم رحلاته الداخلية في منطقة القبائل ،ما جعله يحتكّ كثيرا بهم وقد استمد معلوماته من أهل الرواية وكذلك من مخطوط ابن فرحون الذي اطّلع عليه والذي يُعدّ المصدر الأساسي والموثوق فيه لأهل المنطقة ،فأورد لنا صاحب المخطوط أن أكثر من 16 فرقة دخلت إلى منطقة زواوة ومنها :

-الخراشفون فرقة منهم بأرض ونوغة[2]، وجدهم اسمه محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن مسعود ....بن علي بن مشيش إلى غاية ابن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

-أولاد النعمان: فرقة منهم بأرض زواوة في يتورغ وفرقة منهم في صنهاجة بالمغرب وفرقة منهم بأرض عمراوة في أرض المغرب، وفرقة منهم في أرض بني ابراهيم[3] وجدهم يقال لهم أعمر بن النعمان بن محمد بن أحمد بن عبد

---

[1]-سعيدوني ناصر الدين، في الهوية والانتماء الحضاري، دار البصائر، الجزائر، 2013،ص.129.

[2]-ذكر الورثيلاني بعض أولياء ونوغة و التي يقصد بها "المسيلة" ومنهم الولي الصالح سيدي عيسى بن محمد صاحب الولاية والكرامات وله قبران قبر في أطراف ونوغة أعني المسيلة والآخر في فرواو ،و الشيخ سيدي عمرو الأشهب فإن وانوغة يعظمونه غاية التعظيم وأولاده معظمون أيضا وقد بقي منهم الفاضل سيدي الطيب ،وأولاد سيدي اعمر في وادي الخميس من هذا العرش وأن جدّهم هو المؤلف المعلوم في الكتب المتداولة أعني الوانوغي"،ينظر :الورثيلاني ،الرحلة،ص.43.

[3]- عرش بني برهيم بضواحي بني ورثيلان ، وقد ذكرهم الورثيلاني أن بهم أشراف فقال: ومن أولاد هذا الشيخ(سيدي محمد صالح) سيدي علي بن محمد فاضل ذو ظن وحب في الله ...من ذرية الولي الصالح سيدي موسى وسيدي علي هذا أدركناه كان عابدا أقبل على مولاه ضريحه في قريته وأما جده فضريحه عند بني ابراهيم معظم قبره ويزار وأولاد سيدي علي أفاضل إلى الآن ".ينظر الرحلة ،ص.67،68.

الله بن أحمد بن مسعود بن عيسى بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الله بن عبد الكريم بن محمد بن علي بن عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن عيسى بن سالم بن مروان ...ابن محمد بن أحمد بن عبد الله ابن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

-أولاد كريم :فرقة منهم في أولاد عبّاس[1] أصلهم من شجرة الزيتون من الساقية الحمراء وجدهم علي بن سعيد بن يحي بن سويف بن داوود بن علي بن أحمد بن محمد بن بلقاسم بن عبد الله بن عبد الحق بن عبد الجبار بن أبي داوود بن ادريس ...فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليهم وسلم.

-أولاد عجين : فهم أهل قلعة بني حماد، فرقة منهم انتقلت إلى جبل مزيتة[2] وأسكنته دارا، يقال لها تيزي لقلعة وفرقة منهم في بني كسيلة يقال لهم عمارة ،وأصل جدهم بشلاق بن يحي بن فارس بن كاميل بن علي بن كثير للجسي بن عبد الرحمان بن عبد القادر بن مالك بن جعفر بن عبد الله بن يحي ابن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

-أولاد عياد: فهم من ذرية حماد بن علي الكلي بقلعة حماد ثم انتقل جدهم إلى جبل زمورة [3]وأصل جدهم عياد بن علي بن محمد بن احمد بن محمد بن حماد بن علي بن يزيد بن علي بن المهدي بن صفوان بن يسار بن موسى بن سليمان بن موسى بن عيسى بن عبد الله ابن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد استقروا في قرى منها الشرفة السفلى ،العليا، وبني براهيم ....،فقال عنهم "ومنهم الولي الصالح العلامة الفاضل...سيدي علي بن عبد العزيز من ذرية سيدي الحسن الشاذلي ،فقبر سيدي علي فهو في بني براهيم ،أما ضريح والده سيدي عبد العزيز فهو في الزاب بالصحراء، ينظر :الورثيلاني، الرحلة،ص.73.

[1]-يقول فيهم الورثيلاني :وذهبنا لزيارة الشيخ الولي الصالح والبدر الواضح ترياق وطنه وأمير بلدة سيدي أحمد بن عبد الرحمان جدّ أولاد مقران ....لعل بركة جدهم تعمهم وكذا الشرف وقد رأيت طبقات ابن فرحون أنه نصّ على شرفهم "، ينظر الورثيلاني : الرحلة ،ص.11.

[2]-حدثنا الورثيلاني عنهم فقال" ومنهم الولي الصالح والبدر الواضح الذي يستجاب الدعاء عند ذكره وأنه ممن يبر الله قسمه وكذلك أولاده المنورون يبر الله قسمهم ويقبل دعاءهم سيدي أحمد بن يحي نفعنا الله به وجعلنا من أهل وده ونسبه يتصل مع نسب أهل عروس من بلدة زواوة وهم مشهورون وكذلك فرقة في أثُوجَة جبل بقرب بجاية وأنه من قبيلة مزيتة وكان في أواخر القرن التاسع وهو تلميذ ابن غازي ...وكان محبا لوالدنا وجدنا نعم يحب الجانب العلي أعني الأشراف بحيث لا يملك لنفسه ضرا ولا نفع "،ينظر: الورثيلاني ، الرحلة،ص.34.

[3]- عن شرفاء زمورة يقول صاحب الرحلة "ومنهم أولاد سيدي خروف معظمون فيهم العلماء والصلحاء والقضاة والمفتون وهم شرفاء على ما اشتهر عندنا من كان في زمورة وبني عيدل" وفي موضع أخر يذكرهم أيضا أن في زمورة يوجد الأشراف وان قلّوا فيها عائلة واحدة وهي أولاد أبي شيب(أولاد بوشيبة)،أنهم شرفاء وأهل فضل وبركة ،فتذكر كتب الأنساب أن لا شريف في زمورة أي بني فرقان سوى طائفة أبو شيب"، ينظر الورثيلاني ، الرحلة،ص.ص.39،43.

– بني يلمان (ايلماين):فرقة منهم في ارض ونوغة وفرقة منهم في بني عيدل في دار يقال لها ايلماين[1]، وفرقة منهم في بني يجعد وأصلهم من مدينة فاس وجدهم يلمان بن محمد بن إسماعيل بن عيسى بن يعلى بن عبد العزيز بن خليفة بن هاشم بن شمر بن هلال بن عمران بن زكريا بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

–أولاد عنان : أولاد عنان انتشر أولاده في الأوطان فرقة منهم في أرض الق...لة، يرتحلون وينزلون ومنهم من كان في جبل بني عيسى ...ومنهم من كان بأرض يلولة وفرقة منهم في بني يعدل، وجدهم عنان بن منصور بن ابراهيم بن محمد بن عاصم بن يوسف بن عبد الله بن منصور بن عياد بن ثابت بن منصور بن يوسف بن سعيد بن علي بن عبد الله بن محمد بن عمر بن محمد بن داوود بن عبد الله بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

–أولاد منقلات: أولاد منجلات[2] بن علي بأرض زواوة وأصلهم من الساقية الحمراء ،وجدهم يقال له على بن محمد بن سعيد بن أحمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الله بن محمد بن منهاج بن وجاج بن تميم بن أحمد بن محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

– بني يلولة : بأرض أزر حفاوة وفرقة منهم وفرقة منهم بجبل فراوصن[3] فهم من ذرية أبي يزيد الشريف المشهور بمدينة مكة أعزها الله وانتشر أولاده في الأوطان وجدهم يلول بن علي بن أبي زيد بن علي بن المهدي بن صفوان بن يسار بن موسى بن سليم بن عيسى بن عبد الله بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

2–2– نبذة عن المرابطين الأشراف في رحلة الورثيلاني

حاول الورثيلاني أن يقدم لنا تعريفات وتراجم لبعض رجال الدين الذين ساهموا في الحركة العلمية بالمنطقة، فعمل على إعداد فهرس للعلماء، المرابطين، الأشراف والأولياء والعمل على التعريف بهم للأجيال القادمة لما

[1]– أشراف ايلمان قال عنهم الرحالة: "وأما أهل ايلماين على ما تقرر من رسم الأشراف أنهم شرفاء من شرفاء ايلماين الوانوغي كذلك رأيته مزبورا فيها، فإنه نصّ على أولاد عنان وهم ايلماين"، ينظر :الورثيلاني، الرحلة ،ص.40.

[2]–يذكر الورثيلاني أنه زار المناطق التي بها الأولياء والشرفاء ،فقال عن بني منجلات "عزمنا على زيارة الولي الكبير والقطب الشهير سيدي علي بن موسى ومررنا على بني منجلات وبني بترون وبني عيسى وغيرهم ولما وصلنا الشيخ سيدي علي بن موسى بتنا في مقامه المشهور وضريحه الترياق"، ينظر: الورثيلاني ، الرحلة ،ص.13.

[3]–بني فراوسن بلد الشيخ ابن معطي وسيدي محمد الزواوي صاحب المراءي المعلومة ، ينظر الرحلة ،ص.15.

لاحظه من غياب ونقص المدونات في هذا المجال ،ما دفعه لكتابة هذه الرحلة، وقد ذكر لنا العديد منهم وقدّم تراجم جدّ مقتصرة ومقتضبة ،فاهتم كثيرا بالجانب العملي على العلمي ،فذهب بعيدا في تراجمه في ذكر كراماتهم وأعمالهم ولم يقدم لنا نمط السير والتراجم المتعارف عليه ، فسنعمل على التعريف بالعلماء المغمورين الذين ذكرهم وعرفهم دون التعريف بالمشهورين كأمثال : الشيخ المليانى ، سيدي الهواري، سيدي بومدين الغوث، سيدي عبد الرحمان الثعالبي وغيرهم.

إنّ منطقة القبائل وتحديدا الصغرى لازال البحث والتنقيب عن علمائها بعيدا، فانعدمت الدراسات والأبحاث في الجانب الفكري والديني وإن كانت حافلة بالعلماء والفقهاء، فحوض الصومام ، ضواحي تمقرا، ايت وغليس وجبال بني ورثيلان ،ايت يعلى ...تعد قلاعا للعلم والثقافة عبر العصور ، فالورثيلاني ابن بيئة بني ورثيلان وحوض الصومام تأثر لذلك التهميش الذي أصاب المنطقة مقارنة بضواحي بجاية التي دُونت المصنفات على سير علمائهم ومنهم الغبريني الذي تناول علماء بجاية بالتفصيل .

– **الشيخ يحي العيدلي**: ولي من أولياء الله، عاش في القرن التاسع هجري ، استوطن بمنطقة "تمقرا" بحوض الصومام، شهد على قطبانيته العديد من العلماء منهم سيدي تواتي البجائي، سيدي عبد الرحمان الثعالبي، الشيخ عبد الرحمان الصّباغ والشيخ زرّوق. أسس مسجد العلوم بمنطقة "تمقرا" ولايزال إلى يومنا هذا يتخرّج منه العديد من العلماء ويعد من منابع الدين والثقافة بمنطقة زواوة، ناظر الشيخ زروق في مسألة لفظ كلمة "الجبروت" بهمزة أو دون همزة ،فقال الشيخ زروق: بدون همزة ،ورأى الشيخ يحي العيدلي أنها بالهمزة، فلمّا أصرّ الشيخ زروق، مسح الشيخ يحي على وجهه فنظر في اللوح المحفوظ فوجدها كما أخبره[1].

للشيخ العديد من المؤلفات التي دونها بمسجد تمقرا، فاشتهر بمصنفه الموسوم" الوظيفة" وقام الشيخ الحسين الورثيلاني بشرحها والتعليق عليها، فقال: "فقد كنت أتردّد في شرح الوظيفة المنسوبة للشيخ الرباني والولي الكبير الصمداني، العارف بالله، النوراني الذي عمّت بركاته البعيد والداني، شمس بلدنا وقطب وطننا، سيدي يحي العيدلي نفعنا الله ببركاته ...فكانت نيته رضي الله عنه صالحة فينا وسريرته صافية لدينا فشرحتها بعد المشورة والاستخارة...وسميته شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار لوظيفة الشيخ العارف بالله النبراس المختار[2]، فلولاه لما عرف الشيخ يحي بهذا المصنّف ،فأصبحت من المدونات التي تقرأ في كل زوايا زواوة والمناطق المجاورة.

---

[1]–الورثيلاني ، الرحلة ،ص.8.

[2]–الحسين الورثيلاني، شرح وظيفة الشيخ يحي العيدلي، المصدر السابق، الورقة 2،3.

عاصر الشيخ عبد الرحمان الثعالبي وكانت بينهم مراسلات علمية، وقد ردّ على رسالته التي شاوره الشيخ يحي في ثلاثة مسائل: من أُزوج ابنتي ، والثانية من يكون وصيّا على أولادي والثالثة تجعل تأليفا لأصحابي ،فأجابه الشيخ عبد الرحمان الثعالبي: ابنتك زوّجها من تلميذك فلان، وأما الوصيّة فأنت الوصي عليهم حيا وميتا وأما التأليف فقد ألّفت ما فيه كفاية والآن قد كبر سني ووهن عظمي فلا أقدر على التصنيف[1].

أثنى العلامة محمد التواتي البجائي على الشيخ العيدلي ،فقد ذكره في بعض مصنفاته الدينية وعظّمه غاية التعظيم، وقد راسله الشيخ يحي مستفسرا عما بدر منه في بعض المسائل التي شرحها وأنه رأى أن الشيخ قد انتقد بعضا من الأحكام المتعلقة بالصلاة التي ذكرها الشيخ يحي، فرد عليه الشيخ تواتي قائلا: والله ما ذكرنا أحوالك إلا تبركا بها فقط، فكيف لا وإنّك أحييتَ أمورا دَرَست ،وطرقا ذهبت، وأنت المحق الفاضل صاحب الوقت أو كلاما يقرب منه"[2].

التواتي البجائي :

توفي عام 1495م، عاصر الشيخ يحي العيدلي وهو من أقرب أحبائه وأصدقائه ،فهو الشيخ محمد البجائي ،موطنه وبلده بجاية ،ضريحه لازال مزارا ببجاية، عالم جليل وصاحب ولاية، قال فيه الورثيلاني"...ومثله في العلم والولاية سيدي تواتي البجائي وكان حكمه وفتواه لا يردان من بجاية إلى توزر[3]،له زاوية عظيمة ببجاية يقصدها العديد من الطلبة ، تفرّع أبناؤه في مختلف نواحي منطقة بجاية ،فمنهم ابنه الصادق الذي اعتزل بنفسه بمنطقة لعزيب وأقام بها وأصبح له أبناء كثر منتشرين في مختلف القرى المجاورة له و من بينهم ابنه التواتي وهو حفيد محمد التواتي البجائي ، فانتقال أبنائه إلى المناطق الداخلية الجبلية ببجاية لنشر العلم والدين أينما قلّ العلم وكثر الجهل.

توقع العالم الرباني محمد التواتي احتلال الاسبان للسواحل الجزائرية بداية من وهران ووصولا إلى بجاية ،فكان على علم إن سقطت وهران فُتح الباب لكل المدن الجزائرية وستكون نقطة انطلاقة للقوات الإسبانية في

---

[1]- الحسين الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق ،ص.9.

[2]- نفسه،ص.09.

[3]- تناول الباحث يحي بوعزيز هذه النقطة بحيث أورد أن " حكمه و فتواه لا ترد من بجاية إلى توزر" وقد نسبها إلى الشيخ يحي العيدلي المعاصر للشيخ محمد التواتي ،فالأصح أنها منسوبة لمحمد التواتي ،وقد أكدها الورثيلاني في موضع آخر عند حديثه عن محمد التواتي(ص27) ،أما التي أخذها ونسبها للشيخ يحي العيدلي (ص9) فهي أيضا منسوبة للتواتي ولكن تُفهم أحيانا أنها للشيخ العيدلي.

شمال إفريقيا ،وفي هذا الصدد نجد انتقال الكثير من العلماء والفقهاء والمرابطين إلى المناطق الجبلية بعد سقوط المدن الإسلامية، ما جعله يدعو سكان مدينة وهران للدفاع عن المدينة ومحاربة المحتل قائلا:

يَا أَهلَ وَهران انظُروا نَظرة شَفقَـة لِبَلَدكُـم قَبلَ أنْ تُستَـردَتِ
وَقَبلَ مَجيئِ المُنشَئاتِ بِبَحرِهَـا وأَيُّ القُلوب عندَهَا مُستَقرةِ
وَلاَ تَكِلـوهَا غَيرَكُـم وَلئنْ يَكُن فَمَا غائبٌ مِثل المُقيمِ بِبَلدةِ
وَمَا يَنفَعُ التِريَاقُ إنْ بَعُدَ المـدى وَقَد نَالَ مِنهُ الشّم شَاكٍ بِعَلّة
فَلاَ تَهمِلوا أَمر الأعَادي فَإِنَهُم بِحَال اجتِماع واتفَاق وشَدة
وقَد قَطعُوا قَطعًا فَإن ظَفَروا بكُم فَقَد ظَفروا طرا بأَهل الجَزيرة
وَلاَ يَحمِي مَرسَاكُم ضِعَاف رِجَالِكم وَلاَ البَدو بَل تَحميه أهلُ الجَزيرَة
فَإنّ لَهم بالطّعن والضّرب خبرَة وَكَم فَتَكوا بالكُفرِ أَكبَر فِتكَة .

الشيخ محمد الصالح :

عاش بين القرنين العاشر والحادي عشر هجري ، توفي في القرن الحاجي عشر ، عالم وولي صالح من بلدة بني جماتي ، بعرش بني ورثيلان ،أخذ العلوم الدينية والعقلية ،زهد بنفسه و استقر بقريته وأسس زاوية بها وأصبحت مشهورة يقصدها البعيد قبل القريب ،شهد بعلمه وولايته عديد العلماء والأولياء، حفظ القرآن الكريم في صغره و انكبّ على الدراسة و التحصيل وسخّر نفسه بعد ذلك للتدريس و التلقين و التعليم ،فخدم أهل بلدته بني جماتي و المناطق المجاورة من واد بجاية[1]، قال عنه الورثيلاني: "مُحي الفنون ومجدد العلم والدين بعد الدراسة على التعيين، المتّصف بعلم اليقين، أتقى المتقين بل أنه انشرب من عين المتقين، حتى صار من أهل التمكين، علاّمة زمانه وقدوة أوانه[2].

عكف الشيخ على تسيير أمور الزاوية بنفسه وخدم طلبته مع قلة الموارد المالية ،عُرف بحبه للدين والشريعة الإسلامية ،آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر، فلا يصبر على البقاء في موضع يكثر فيه الحرام ،فعمل مُدرسا وإماما في قرية بويكني وسكن قرية متين في بني عيدل ، فكانوا يمنعون الميراث للمرأة فنهاهم ونصحهم عن ذلك ،فلم يستمعوا له ما جعله يفكّر في الهجرة إلى بلد يستمعون للعلماء ويحتكمون لأمر الله. فترك عامة القرية وهم ذاهبون لجني الزيتون، فأخذ زوجته وهمّ بالخروج، حتى سمع مناديا بأهل القرية يحث أهل القوم على التماس الصفح وطلب

[1]-يحي بوعزيز، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة،ج2، دار الغرب الإسلامي ،بيروت،1995، ص.44.
[2]-الورثيلاني ، الرحلة، المصدر السابق،ص.60.

العودة، فرفض العودة و البقاء حتى يحتكموا لأوامر الله والعمل بأحكامه فوافقوا على ذلك ،وقد علم الله صدقه في ذلك فامتثلوا لذلك[1].

سخّر حياته لخدمة الآخرين ،فأصلح بين الناس وعرف بالزهد و الورع ، التواضع وحب الخير، فلا يُظهر على نفسه علامات الولاية و العلم، فتجده بين العامة ،فجّل النّاس تسمع به و تحترمه لكن قليل من عرفوه بشخصه، لا يلبس إلّا اللباس المرقّع ،غير الفضفاض،متقشف في الأكل ،المسكن والملبس وإن كان من عائلة ميسورة الحال وذات مال فآثر حياة البساطة والتواضع لله ،و لم يتفاخر بنسبه، فأمه شريفة ومطيعة لله، تقسم الليل بين القيام ، الدعاء والنوم، أما جدّه فيعود نسبه إلى الشيخ أبو محمد **صالح الدكالي** كما أخبرنا به الورثيلاني وكان واثقا من ذلك ،فلما تحدّث عن الشيخ علي الصافي ذكر أنه لا يدري أصله ،ومنه فقد عرفنا الغبريني به فهو الشيخ الفقيه الصالح ،المتزهد ،المتعبد، أبو سعيد ابن تونارت الدكّالي من القرن السابع هجري ، كان على مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، اشتغل بالتدريس ببجاية ،جعل التدريس همّه الوحيد ،فكان متفرغا لتعليم النّاس لم يسْع إلى الوصول لأعلى الدرجات أو الوظائف الدينية ،حافظا للفقه مهتما بالمدونة وكان يعمل على فتواه ولا يعلم صاحب التعريف إن كان للشيخ علوما من غير الفقه، فالفقه انفردت به عن عامة الفقهاء[2].

عمّت البركة أهلَه و منزله وقد زاره الباي فرحات في منزله ،البايات وأهل البلاط يُزارون ولا يَزورون ، إلا لمكانة وقيمة الشيخ محمد الصالح، فدخل عليه والشيخ ليس من أهل التصنّع ،فتواضعه مع العلماء والعامة ،فكيف مع أهل الحكم والسياسة ،فقدّم له من طعام أهله ،فأتى له بشي من خبز مصنوع من الشعير مع قليل من الزيت والتوابل يُقال هذا الطعام "أجعجوع" وهو طعام الخماسين والفقراء والرعاة، وأصحاب الفقر المدقع فلا يأكله إلا من هانت نفسه، فلما أحضره قام الباي فظنّ الجميع أنه لن يأكله فاجتمع الوفد فلولا الحياء لاقتتلوا عليه فوجدوه أشهى الأطعمة [3]وألذها وما هي إلا بركة من بركات الشيخ.

للشيخ العديد من الكرامات وقد دوّنها الورثيلاني في رحلته وقدّم لنا الشيخ الحفناوي تعريفا عن الشيخ محمد صالح الورثيلاني فجله وإن لم نقل كله منقول من الرحلة الورثيلانية، فبهذا يعد الورثيلاني المصدر الوحيد للتأريخ حول هذه الشخصية فلم يدوّن عنه أحد.

عاصر الشيخ العديد من علماء أهل البلدة ومنهم جدّ الرحالة ،الشيخ سيدي يحي أوحمودي مؤسس زاوية قرية اولموثن والشيخ سيدي علي الصافي والذي كان مثلهم في الدين والعلم.

---

[1]-الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، المصدر السابق، ج2،ص.386.

[2]- الغبريني ، عنوان الدراية...،المصدر السابق،ص.257

[3]- الورثيلاني ، الرحلة، المصدر السابق،ص.64.

ترك الشيخ ولدا كله علم وأدب وخُلق، فورثعن أبيه ما عُرف به، فأهل العلم والدين لا يُورثون لا جاها ولا مالا، فميراثهم العلم والخلق ، فأخذ الشيخ سيدي عبد الله علمَ أبيه ومنها أتمها إلى أبنائه عبد الرحمان وأحمد وكلاهما وليين من أولياء الله، وقد استقر أحدهما بجبل "اثروش" له ذرية فضلاء هناك[1].

في فضل آل محمد الصالح نظّم الورثيلاني فيهم قصيدة مطولة فيها 32 بيتا تُشيد بخصائلهم، فهذه بعضا منها:

جَدوا حفَايَا ذا الفَضلِ فَيضَ احسَانِكُم اذ شَهرَ أَنوارُكُم تُعطَى لَنَا حِلمُكُم

قُفَوت فَربكم بيدي لنا دُررا وَحَقُ اكرامُكُم يُحظى لنا غَرر

أَهله أقمر في ظلمة الدّجَى وَعلمُهم أنوارُ للصبحِ مُنبَلجَا

رَضَى المَولى عَنهم في كلّ مسألة سمّ الخياط أتى أوسع دائرة

عبد الرحمان الصبّاغ:

من علماء بجاية في القرن التاسع هجري، عاش في القرن ، والمعروف لدى أهل المنطقة بشارح الوغليسية فيقال عبد الرحمان الصباغ شارح الوغليسية، وشرح أيضا البردة، اختصر شرح الإمام ابن مرزوق التلمساني[2]، عاصر أقطاب الولاية في منطقة بجاية منهم الشيخ يحي العيدلي، سيدي تواتي البجائي وغيرهم.

سيدي الصادق:

الصادق بن محمد التواتي البجائي ، عاش في القرن العاشر إلى بدايات القرن الحادي عشر هجري، بين(القرن 15الى 16م)، انتقل من بجاية إلى منطقة "لعزيب" بالقرب من وادي بوسلام بين منطقتي بني ورثيلان وبني معوش ، تقع في منخفض وحولها سلسلة جبلية، استقر بهذه المنطقة ومنها تحولت إلى منطقة عمرانية آهلة بالسكان ،فأبوها من أكبر علماء بجاية ،فكان الخلف مثل السلف، قال عنه الورثيلاني: "الولي الصالح والقمر الواضح له بركات وظاهرة أحواله باهرة وأسراره مشتهرة[3]"،وضريحه لازال معلوما إلى يومنا هذا في تلك القرية التي سُميت على اسمه.

له أبناء معروفون بالورع والدين منهم يحي بن الموهوب، محمد الموهوب، التواتي ومحمد الموهوب بن الواثق، كلهم نزحوا إلى المناطق المجاورة وأسسوا قرى وزوايا بها، فهم أهل الفضل والعلم وقد خصّ صاحب الترجمة الولي سيدي يحي بن الواثق أنه تلميذ جده أحمد الشريف أنه رأى الشيخ خليل في المنام وأخذ بيده إلى أن وصل إلى

---

[1]-نفسه،ص.64،65.

[2]- نفسه،ص.8،27.

[3]-نفسه،ص.59.

الصندوق المملوء بالكتب فقدم له كتابا فوجده الشيخ بهرام فعلم أنه أذن له بمختصر الشيخ خليل ،فكان علاّمة زمانه، وكان له طلبة يدرسهم الفقه شرح مختصر الشيخ خليل وكان يقرأ من الأجهوري و من طلبته عمّ الرحالة محمد الصغير، محمد أمزيان، الشيخ ابراهيم والشيخ عبد الباقي[1].

الشيخ تواتي البجائي الحفيد :

تواتي بن الصادق بن محمد البجائي ، لا نملك تاريخ ولادته ووفاته، والراجح أنه قد عاش في القرن الحادي عشر ، استقر بقرية امزين الواقعة فوق قرية لعزيب والقريبة منه ،يفصلهما واد بوسلام ، فالقرية الجديدة التي أسسها التواتي لم تكن موجودة ، و الأرجح يكون انتقاله إلى تلك المنطقة بأمر من والده ليكون قريبا من القرى الأخرى ليعمل على نشر الإسلام وإصلاح الأوضاع الدينية ،فأسّس بها زاوية خاصة بعد تفشي الفساد الديني.

مدح الورثيلاني أبناء الشيخ الصادق المستقرين بضواحي بني ورثيلان ،فجعل فيهم قصيدة في فضائلهم وعلمهم وسيرتهم الحسنة، دونها في خمسة عشر بيتا ،وهذه بعضا منها[2]:

يَا أَيها الانسَانُ فاعلَم قدَرهُم لأَنهم سَحَبة معَ غَيثِهم
قَد أخضرت اشجَار أهل العَصر وأثمرت فواكهًا بتمر
فَهُم كَحصن مَانعٍ يَلوذُ من له الجنّاية بحق أو ضمن
رَحمَتهُم تَعمُ كلَ بلدٍ وسرّهم من سرّ فضل أحمد
قَد سَكَروا بِحُبه وقُربِهِ فَمُنِحو من عزِه وفَضلِه
فأسكَنُوا قُلوبَهُم دَار الوُصُول بِجَذبَة الإلهِ صَرفًا بالحُلُولِ
فإنّهُم عَلى الهُدى مِن رَبهِم أيّدهم قدّسهم وعرّفهم

انتشر أبناء سيدي تواتي بقرية **امزين** بالقرية المحاذية لأبيه سيدي الصادق ، وضريح الشيخ تواتي معلوم لكن غير معروف بالتحديد ،وقد أسّس معمرة ومسجدا و بيتا لابن السبيل ولازالت هذه المؤسسات الدينية قائمة إلى يومنا هذا.

الشيخ محمد العربي:

عاش في نهاية القرن 16م وتوفي في القرن 17م بمنطقة "جبل سيدي الموهوب، حفظ القرآن الكريم منذ صغره، تنقل بين العديد من الزوايا والمعمرات آخذا العلم على شيوخها ، تدرّج في الرّتب والعلوم حتى أصبح ملمًا

[1]-الحفناوي، تعريف الخلف،ج2.....المصدر السابق،ص.326.

[2]-الورثيلاني، الرحلة ،ص.59،60، للمزيد ينظر: جيجيك زروق، فكروني زاوي، مخطوطات منطقة بني ورثيلان ،أعمال الملتقى الدولي حول تاريخ الجزائر الديني من خلال الكتابات المحلية والأجنبية، مجلة أفاق فكرية، عدد خاص، جامعة سيدي بلعباس،2018،ص-ص.30-38.

بعلوم متعددة منها العقلية والنقلية ، فاختص في النحو واللغة والأدب ،وله باع كبير في الفقه بحكم أن المنطقة التي تربى فيها، يعد مختصر فقه الشيخ خليل من أهم الكتب التي تُدرس في مختلف الزوايا، فجمع بين المعقول والمنقول ، اهتم بتدريس ألفية مالك حتى حفظها تلامذتها ،فأصبح يُلقب بالنحوي اللغوي محمد العربي ، له عدة تلامذة في زاويته بجبل سيدي الموهوب ومنها انتشر هؤلاء التلاميذ في مختلف القرى منهم الشيخ الفاضل علي بن أحمد ،ومن بين الذين درسوا على تلاميذه الشيخ محمد العربي نجد الشيخ الورثيلاني والذي أخذ ألفية بن مالك في النحو واللغة على الشيخ علي بن أحمد.

تلامذة الشيخ على الطريقة الناصرية الشاذلية ،ما يوحي أن الشيخ محمد العربي على الطريقة الشاذلية ،فقال عنه الورثيلاني أنه صاحب السلوك ، فقد جعل زيارة الشيخ لأجل البركة أو تعلم السلوك والذي يقصد به التصوّف، فهذا ما يوحى أنه على الطريقة الناصرية الشاذلية.

الشيخ "محمد العربي"عاش في وقت الورثيلاني والطريقة الشاذلية منتشرة لدى المشايخ فقط لم تصل للعامة، فنجد الورثيلاني شاذلي على الطريقة الشاذلية التي أخذ أورادها وأذكارها على شيوخها بمصر ،لكن الورثيلاني لم ينشرها لعامة الناس أو لطلبته بل تركها لنفسه فقط، ففي هذه الفترة بدأت الحركة الصوفية وبالخصوص الشاذلية تدخل ضواحي وادي الصومام.

نظَم الورثيلاني قصيدة في فضل وخصال الشيخ في سبعة أبيات، قائلا فيه[1]:

بحرُ النّدى والعلم من شيخ برز — شيخُ الحَقيقَة لَدينا مُكتَنز
وُجُوده كَعلمِه فيمَا دنَا — مِن قُطرنَا عَلى الذي به اغتَنىَ
نَار القُرَى وَعلمِه لَم يَستَتر — وَشَمسُه مُشرقَة على الدّرَر
وإنّه طود في كلّ من العُلوم — ورَحمة عَلى الذي به يَؤَم
والله إنّ نعمة قَد أهديت — مِنَ الرّحيم عَاجلاً لمَن أَتَت
بَدرًا إذَا رأيتَه يَا مَن قَصَدَ — الزيارَة أو السُلوك مَن أراد
إنّ ماتَ قلبُ قَسوَة أحيَاه في — لَحظَة من وَقتهِ شِفَاءُ.

الشيخ علي البرباشي[2] :

علي بن سليمان البرباشي، مُعظّم عند أهل بلدته ،له ضريح مزار ومعلوم بمنطقة برباشة، له عدة أبناء كلهم فضلاء وصلحاء منهم علي بن صالح الذي عاش في القرن 17م عاصر الوالد وجدّ الحسين الورثيلاني.

[1]- الورثيلاني، الرحلة ،ص.58،57.

[2]- البرباشي : نسبة إلى المنطقة التي استوطن بها وهي "برباشة" احدى القرى الواقعة في جبال حوض الصومام بضواحي بجاية.

عائلة توارثت العلم وكانت بينهم علاقات وطيدة يتزاورون فيما بينهم ويتراسلون ، وكان صاحب زاوية يُدرس بها العلوم المتعارَف عليها في وقته، علمه وفضله ظاهران ،من عائلته أيضا سيدي عبد الله الذي أخذ العلم على جدّ الورثيلاني سيدي الحسين الشريف بزاويته ببني عشاش بضواحي بني ورثيلان، وأخوه الموهوب.

الشيخ الجودي :

الجودي بن الحاج الزواوي ، عاش في القرن 16م/11 هجري ، له زاوية وبها طلبة كُثر ،ومِن كراماته أنّ أحد طلبته غلبته نفسه بأن شُغِف بامرأة أجنبية وتعلّق بها للمعصية حين حان مباشرتها وجد الشيخ بينه وبينها فاستحى منه فلم يَظهر في حلقة الدرس لأكثر من خمسة عشر يوما حتى طلب منه الشيخ وعاد ،وكانت له كرامات عديدة قد حدّثنا عنها الورثيلاني.

قام صاحب الزاوية بتصنيف العديد من المؤلفات ولم يصِلنا من أخباره إلا ما أخبرنا به الورثيلاني ، فقد حشا على الصغرى حاشية[1].

محمد بن قرّي :

من علماء منطقة زواوة، استقر بجبل بني يعلي[2] ، استقرّ بغابة القلعة الموحشة بعد أن كان على ضفاف الواد، وأقام بها زاويته ومسجده ، لم تذكر المصادر التاريخية سنة ميلاده ووفاته ما عدا ما أشار إليه الورثيلاني أنه أدركه وهو صغير ،وبما أنّ الورثيلاني ولد 1713م ،يمكن أن نرجِّح أنه عاش في القرن السابع عشر إلى بدايات القرن الثامن عشر. اختلى بنفسه في تلك القلعة الموحشة متعبدا وزاهدا وعاكفا على عبادة الله، فكان كثير العبادة ويجهد نفسه في الطاعات ما جعل سلوكه وتصوّفه صعب لا يقدر عليه الآخرون ، أخذ العلوم من عدة مشايخ كبار منهم الشيخ شمهروش الطيار الذي أخذ العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،انتقل إلى فاس وتتلمذ بها على عدة شيوخ وتحصل على إجازات علمية في العلوم المتعارف عليها والتي تدرس بجامع القروين ،وفي زاويته العظيمة بالقلعة تتلمذ عليه العديد من الطلبة منهم أحمد الحبيب والذي يعد من كبار الأولياء والعلماء في عصره، والشيخ البقال المصري ،تأثر كثيرا بجامع الزيتونة وقيل أن يصلي به كل يوم جمعة حتى غاب مرة وقال عنه صديقه أن الشيخ قد توفي وبالفعل كانت وفاته، فأراد أن يجعل من مسجده العظيم الذي بناه منارة للعلم أن يضاهي جامع الزيتونة بتونس، وتنبأ أن تكون قلعته مشهورة ومنارة العلم ومدينة قاهرة الزمان ،ومنطقة بني يعلى معروفة بعلمائها وزواياها ولازالت إلى يومنا هذا منطقة تخرّج أهل العلم والحِكم .

---

[1]- الحفناوي، المصدر السابق،ص.106،105.نقلا عن الورثيلاني ، الرحلة،ص.50،49.

[2]ايت يعلي : تنسب إلى اسم العرش و حاليا اداريا يطلق عليها اسم "قنزات " وهي احدى دوائر ولاية سطيف، في المنطقة الشمالية وتتوسط بين ولاية برج بوعريريج وسطيف و تجاورها دائرة بني ورثيلان.

للشيخ معرفة ودراية بالعلوم الدينية وقد انفرد بها ما جعل مكانته تزادا وترتفع بين علماء الأمة الإسلامية وله صحبة في مصر، تونس، المغرب الأقصى وفي بلده الجزائر أيضا ،فانتقل إلى القلعة لكثرة الضيوف والزوّار الذين يقصدونه وقد تبعوا دربه إلى الجبل، وتذكر زوجته مرة أنها طلبت منه أن تستقدم رجال الغيب لإطعام الطعام في سبيل الله وجعلها صدقة، إلا أنّ الشيخ امتنع وامتناع الشيخ ليس بخلا أو كرها في أحبابه وفي رجال الله وإنما لكثرتهم وقلة الزاد عنه، فاغتنمت زوجته الفرصة بعد أن خرج الشيخ ذات يوم من القلعة وخرجت هي أيضا إلى الجامع الكبير بالقلعة ونادت برجال الغيب فحضروا جميعا فقدموا من مصر، فاس، الصحراء وبجاية وغيرها ،فحين عاد وجد جمّا غفيرا من الرجال لا يحصون، فقام أحد من الجموع وأحضر جمرة في يده وفي اليد الآخر خبزة فقدمها لزوجة الشيخ وقال لها أطعمي ضيوفك، فوقع حديث بينه وبينها في شأن موافقة زوجها حتى تدخل الأخرون وزجروه وأمروه بموافقتها.

أولاد الشيخ وحفدته من أفاضل القوم، كلهم من أهل العلم والدين منهم سيدي بركات، وقد حاز من الفضل و الحِلم ما لم يحزه الآخرين ، ومنهم ولده أيضا سيدي عبد الرحمان ، ومن فضلاء عائلة أولاد قري : الولي سيدي عبد الرحمان، الولي سيدي تواتي ،الأستاذ السبعي، سيدي الحسين وسيدي أبو عبد الله[1].

أحمد الشريف الورثيلاني :

الرحالة الحسين الورثيلاني الذي انتقل من بجاية إلى ضواحي منطقة بني عشاش بني ورثيلان ومنها استقر أول جدّ لعائلة الورثيلاني ، الذي يعود أصله إلى الأشراف من الساقية الحمراء القادمين بالمغرب الأقصى، نجل العالم سيدي علي البكائي الذي استقر ببجاية.

عاش الشيخ في أواخر القرن التاسع إلى القرن العاشر هجري ، اشتغل بالتدريس والتأليف ،جعل نفسه لخدمة العلم ولطلبته فأقام زاوية عظيمة بها مئات الطلبة من طلبته المعروفين الشيخ محمد ولي وعالم بلدة صدوق(بلد الشيخ الحداد) ،عمل على توطين الدين الإسلامي في منطقة زواوة، وسار أبناؤه على منهجه في تسيير الزاوية منهم الحسين جدّ الحسين الورثيلاني(الرحّالة).

للولـي أحمد الشريف العديد من الكرامات فقيل أنه من مكث بالقرب من روضته مدة سبعة جمعات متتاليات قُضيت حاجته سواء الدينية أو الدنيوية، فضريحه وقبره معلومان بالمنطقة ولازالا إلى يومنا هذا يُزاران، ومن كراماته

[1]- الورثيلاني ،الرحلة، المصدر السابق،ص.45،46.

أيضا أنه لما تم بناء بيته ،طلب من البناء أن يرسل نفسه من غير سلم، فأبى البناء، فقال له الشيخ: لو وافقت لوجدت نفسك في الكعبة الشريفة[1].

أحمد بن سعيد العفيفي:

يرتبط نسبه بأولاد سيدي علي حمانة، وهم من الأشراف المرابطين من محبي النبي صلى الله عليه وسلم، عاش في منتصف القرن الحادي عشر إلى القرن الثاني عشر هجري أي (القرن17الى 18م)، استقر بمنطقة بني عفيف القريبة من بني ورثيلان.

انتقل الشيخ أحمد بن سعيد من منطقة أولاد درّاج بضواحي المسيلة وأن طائفة من هذا العرش انتقلت إلى بني عفيف ومنها لُقب بالعفيفي نسبة إلى اسم القرية التي استقر، ومنها نستبعد انتساب المكان لاسم الشيخ .

عُرف عنه التواضع وحبه للفقراء والمساكين وقد انتفعوا به كثيرا، فكان غاية في الإحسان والكرم والنفقة عليهم، وكان كريما مع الضيوف ومحبا لهم ولا يتوانى في دعوتهم في حالة عدم زيارتهم له ،ويحزن لتأخرهم وتباطئهم. متبعا للسنة ومحبا للحق، آمرا للمعروف وناهيا عن المنكر، متشددا في أحكام الله، نبذ استعمال الآلات الموسيقية ويُروى عنه أن زمّار الأعراس المدعو الشيخ علي المهاجري بمنطقته والذي أصبح حضوره في العرس كحضور العروسين، فمرة طلب الزّمار الشيخ علي من الشيخ العفيفي طلبا فوفاه له وطلب منه أيضا بعد أن قضى حاجته أن يمر على محل فلان، وأن يتمرّغ بالموضع الفلاني ،فلما وصل إلى ذلك المكان تمرّغ فيه كما طلب منه الشيخ العفيفي وقبل ذلك المكان يوجد مجتمع الأولياء فيه يضرب الديوان، فآثّر فيها حب الله ومنه عزم على عدم حضور الأعراس وضرب المزمار بها، فكان يذهب إلى العرس يحضر عند العروس وزوجها ومنها يذهب إلى المسجد ويعتكف للعبادة والصلاة إلى غاية طلوع الفجر ،والنّاس تحسبه أنه من يرقص، يغني ويضرب الدفّ في العرس ،وفي حقيقة الأمر ليس هو، إنما خُلقت صورة شيطانية مثل صورته مع أنه لا إثم عليه كما يخلق الله الملائكة على صورة إنسان تفعل الطاعة ويكون الثواب للإنسان[2].من أولاده سيدي ابراهيم وهو معظّم عند أهله والآخر سيدي عبد الله وقد مات وقد أدركهما كاتب الرحلة.

يحي بن موسى:

ولد العالم سيدي يحي بن موسى المعروف لدى سكان منطقته بـ سيدي "حموسة" بمنطقة تمقرا، أخذ مبادئ العلوم الدينية في زاوية سيدي يحي العيدلي بتمقرا، ومنها انتقل إلى قرى واد بجاية، عاش في القرن التاسع

[1]-الحفناوي، تعريف الخلف....،المصدر السابق،ص.58،57.

[2]- الورثيلاني، الرحلة ، ص.71،70،69، ينظر أيضا: الحفناوي، تعريف الخلف، ص،57،56،55.

هجري (15م) فجدارية الزاوية المدوّنة تخبرنا أن تأسيس الزاوية كان عام 1453م،ثمّ انتقل إلى قرية فريحة ببني ورثيلان وليس بلدة "فريحة" التابعة لتيزي وزو، أسس بها زاوية، عُرف بعلمه الغزير وورعه الديني ، فتقرّب منه العلماء وقصده الطلبة من كل فجّ وما يثبت ذلك كثرة الطلبة بهذه الزاوية والتي تُعدّ من أكبر زوايا منطقة زواوة.

ظهرت للشيخ كرامات كثيرة ودعاءه مستجاب ، فدعا على قومه بعد أن كثر الباطل فيهم و اختلوا في أمور فمات العديد منهم، ويروي لنا الورثيلاني أنه تخاصم أهل البلدة و منهم أهل الباطل فدعا عليهم فمات منهم أكثر من ثلاثمائة[1]،وسبب ذلك أنّ رجلا دار الشيخ ليسرقه ضانا منه أن الدار مليئة بالجواهر والأمانات وتخفى في موضع الدوّاب وفي تلك الليلة بعد العشاء اجتمع الأولياء على وفاة أحد الأولياء ليشاوروا في أمر من يخلفه، ولما استقر المجلس وحضر الجميع، قالوا لسيدي يحي :من ترى يصلح لذلك :قال ايتوني بذلك الرجل المتخفي ومنها عمل الشيخ لهذا الرجل ولما أصبح يسلم على كل من لقيه من الرعاة ويقبل أيديهم بعدما أن كانوا يخافون منه لمعرفتهم أنه لص وسارق[2].

الشيخ من محبي إطعام وحب الخير وهو من أهل الفضل وترك أبناءه كلهم على الفضل والعلم ،ومن أولاده المعروفين بالورع والعلم الشيخ يحي بن حمودي[3] ، المعروف بالشيخ يحي أوحمودي ، الذي دأب على طريقه والده و الذي أسس زاويته المشهور بقرية "أولموثن" بضواحي بني ورثيلان و من أبناء الشيخ يحي أوحمودي سيدي أبو القاسم وسيدي أحمد وكلهم أهل الفضل والورع.

عائلة ايث العياض:

أصل العائلة يعود إلى قرية الشواثرة ببرج الغدير ببرج بوعريريج ، وارتبطت هذه العائلة أولاد العياض بالعلم وحب الدين ومنهم العالم سيدي أبي زكريا يحي الزواوي دفين بجاية بالقرب من الميناء حاليا، وكانت بينهم علاقات عائلية وهجرات سكانية بين المنطقتين بجاية والشواثرة وبقي الحفدة يزورون قبر جدهم ببجاية ، فقال الورثيلاني عنهم" وأولاد العياض رضي الله عنهم ومن معهم علماء، كرماء ،أدباء وفضلاء محبون للعلم وأهله وأولاد سيدي أحمد مثلهم في الفضل والصّلاح والشوا ثرة علماء أيضا صلحاء، لا يخلون من العلم ،يرثونه خلفا عن سلف نفعنا

[1]- نفسه،ص.72.

[2]- العيدي طويل، الزوايا الريفية بمنطقة بسطيف ،دراسة أثرية نموذجية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الاقار الريفية والصحراوية، جامعة الجزائر2، 2010-2011،ص.89.

[3]-يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة ،المرجع السابق،ص.43.

الله بهم وبمن كان في ذلك الجبل" وفي جبل عياض فيهم الولي الصالح سيدي موسى وهو معظم عند أهل مجانة وعند أهل عياض وأبناؤه منهم من استقر بجبل عياض[1].

فيذكر حفدة أولاد العياض أن أصلهم من بجاية من حفدة الولي أبي زكريا يحي الزواوي وقد انتقل الأبناء والأحفاد إلى مناطق منها جبل عياض، مجانة وعلى هذا نجد علاقات وطيدة بين منطقة الشواثرة ،جبل عياض وبرج الغدير مع بجاية، وقد أثبتت شجرة النسب الموجودة في زاوية الشواثرة التي تعود لسيدي يحي العيدلي من منطقة تمقرة ، وبعضا من الأدلّة الأخرى كوجود لقب زواوي ، تواجد خزانة للمخطوطات وبها مخطوطة لرحلة الورثيلاني ،عنوان الدراية للغبريني .وكان الحفدة على صلة دائمة مع ضريح جدهم يحي الزواوي المدفون قرب البحر أين يتواجد الميناء حاليا وكانت زيارتهم للضريح كل سنة لتوطيد التاريخ وتثبيته في نفوس الأجيال الصاعدة وتوقفت الزيارة عام 1968م[2]،بعد غلق الطريق المؤدي إلى الضريح من طرف السلطات لتواجد الميناء وأصبح الدخول بتسريح من مديرية ميناء بجاية والشرطة ومديرية الثقافة.

طُبع على أهل هذه العائلة حب العلم وجعلوا مقصدهم كل زاوية مشهورة وكل ولي ذو علم وإلا وقصدوه ،ومنطقة بني ورثيلان منارة للعلم والدين ما جعلها مقصد هذه العائلة فانتقل العديد ،منهم من استقر بزاوية الشيخ الحسين الورثيلاني بقرية "آنو" ومنهم من قدم من قبل فنجد الشيخ سيدي محمد العياض الذي انتقل إلى قرية أجلميم ببني جماتي عند الشيخ محمد الصالح وأخذ عنه العلم والفقه[3].

منهم أيضا من انتقل أحمد العياض الذي رافق الشيخ الحسين في رحلته إلى الحج، والذي يعد من أقرب طلبته يستشيره في أموره ويستحضره في مجالسه ،فهو من فقهاء الدين أخذ من الشيخ بزاويته بقرية "آنو" ودخلها في أربعينيات القرن الثامن عشر 1740م واستقر بها ،لعلمه الغزير وذكائه وتفوقه على سائر الطلبة اختاره الشيخ وزوجه بابنته السيدة زينب، فالورثيلاني أخذ بنصيحة الشيخ عبد الرحمان الثعالبي التي قدمها للشيخ سيدي يحي العيدلي لما سأله لمن أُزوج ابنتي فقال له لتلميذك فلان ،فالأرجح يكون أعلم ،أصدق وأفضل تلميذ له.

فوّض الشيخ الورثيلاني مسألة تسيير أمور الزاوية لتلميذه أحمد العياض القادم من منطقة جبل الغدير وأستقر بها ، وواصل على طريقة شيخه، فاهتم بالعلم وجعل نسّاخا خاصّا يعملون على نسخ النصوص والكتب.

[1]- الورثيلاني، الرحلة،ص.40،39.

[2]-Le savant soufi Yahya Zwawi, Livre des résumes, théâtre régional de Bejaia et association de Chouatra Bordj Bou Arreridj, Edition société savante GEHIMAB 07 October2015, Algérie, P.19.

[3]- الورثيلاني، الرحلة،ص،65.

ومن النّساخ الذين اعتمدهم الشيخ أحمد العياضي في زاوية الشيخ الحسين الورثيلاني محمد الطاهر بن محمد بن الحاج ابن عبدون البجائي من بني عيدل ، فيذكر في نسخه لمخطوطة شرح مختصر خليل ابن إسحاق "كمل الجزء الثاني من شرح العلامة المحقق الشيخ عبد الباقي بن يوسف الزرقاني على يد العبد الضعيف الذليل، المرتجي مغفرة المولى الجليل، أفقر الخلق إلى خالقه...الغارق في بحر شهواته، محمد الطاهر بن محمد بن محمد بن الحاج ابن عبدون البجائي نسبا، المالكي مذهبا، الأشعري اعتقادا، اليعدلي وطنا ومنشأ، غفر الله ولوالديه ولأشياخه ولقرابته ولمن أحسن إليه ولمن أساء إليه، ولجميع المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، وكان الفراغ منه يوم الخميس وقت الضحى،الحادي عشر من ذي الحجة الحرام ،آخر شهور عام 1189هـ، نسخته للأخ في الله والمحب من أجله، الوّد الصدوق، الخلّ الفاروق سيدي محمد بن جد بن العياض بأجرة معلومة لنفسه ثم ولمن شاء الله بعده، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلام على جميع الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1].

سمعة الشيخ أحمد بن جدو بن العياض لم تبق حبيسة منطقة بني ورثيلان وحوض الصومام بل امتدت إلى الأمصار الأخرى، فشيخه الورثيلاني عرّفه بمعارفه بالأماكن التي زارها في رحلته و جعله من مقرّبيه ،بحكم تجربة شيخه فله العديد من المعارف وجميع أهل التصوّف والدين يعرفونه و يحترمونه، فحظي على نفس المنوال تلميذه فنجد من يصوغ له مخطوطات في منطقة القبائل ووجدنا أيضا في مناطق مختلفة كقصر الطير(برج الأبطال حاليا) التي توقف فيه الرحالة كثيرا والتقى بأحبابه ،فنجد في احدى المخطوطات تذيّلا للشيخ أحمد بن جدو بن العياض، فيذكر أحد النسّاخين في منطقة لمخطوطة السرّاج في حزب المبين ونوره للقارئين مستنير، لمؤلفه الجنكي نجل عمر الملقّب بطير الجنة قائلا: "أنجز هذا التعليق المبارك بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه على بركاته، أسير ذنبه ورهين نسبه وأخرج العبيد الأذلاء إلى رحمة ربه محمد ابن الزروق ابن محمد ابن المبارك ابن الأحمر الريغي نسبا، القصر الطيري منشأ ومسكنا، المالكي مذهبا ،الأشعري اعتقادا غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولأقاربه ولكافة المؤمنين، نسخته لشيخي وقدوتي ووسيلتي إلى ربي السيد محمد بن جدو بن العياضي أفاض الله عليّ من بركاته...ووافق فراغه بحمد الله ضُحى يوم الأربعاء من أيام شهر الله المعظّم رمضان الثاني والعشرين عام 1221هـ والحمد لله رب العالمين[2]" فبهذا نالت عائلة بن جدو آل العياض شهرة علمية كبيرة بانتسابها لزاوية الشيخ الحسين الورثيلاني.

---

[1]- خليل ابن إسحاق، شرح مختصر خليل ابن إسحاق ، شرحه عبد الباقي بن يوسف الزرقاوي، الجزء الثاني ، نسخه ، محمد الطاهر بن محمد بن الحاج ابن عبدون البجائي، 1189هـ، الورقة الأخيرة، المخطوطة محفوظة لدى حفدة عائلة الشيخ، **ينظر الملحق رقم 21**.

[2]- الجنكي نجل عمر الملقب بطير الجنة، مخطوط السراج في حزب المبين ونوره للقارئين مستنير، نسخ عام 1221هـ، نسخة محفوظة لدى حفدة العائلة، الورقة الأخيرة من المخطوطة، **ينظر الملحق رقم 22**.

انتشرت ذريته بالمنطقة ولازالوا إلى يومنا هذا وقد أخذوا لقب "بن جدو"، فمنهم من بقي في بني ورثيلان و منهم من انتقل إلى حوض الصومام ومن ذرية الشيخ أحمد العياضي نجد أحد حفدته في آيت وغليس "محمد الصغير العياضي" والذي نسخ مخطوطة الشيخ الإمام النحوي أبو عبد الله محمد ابن محمد بن داوود الصنهاجي الشهير بابن أجرم، والمخطوطة موسومة بالأجرومية نسبة لمؤلفها المشهور بابن أجرم، والتي نسخها محمد الصغير العياضي بزاوية سيدي موسى الوغليسي عام 1340هـ الموافق 1930م ، مدونا ذلك في ذيل المخطوطة" كمل بحمد الله وحسن عونه على يد الحقير الفقير إلى ربه الطالب منه عفو ورضا محمد الصغير بن العياضي ونسخته في مقلع سيدي موسى الوغليسي رضي الله عليه بقرية تنبذار[1] أفاض الله علينا بركاته...وكان الفراغ منه عشية يوم الأحد الثالث والعشرون من شهر شوال أربعين وثلاثمائة وألف هجرة 1340هـ)[2].نسخ المخطوط مقابل أجر.

يدير بن الحاج:

وليّ صالح معظّم ، من بني عيدل ،ابن المسنّ المتعبّد ذو النّسك سيدي أحمد نجل سيدي محمد السعيد والفاضل سيدي محمد البهلولي[3] تفرق أبناؤه في مختلف مناطق القبائل الصغرى ومنهم من انتقل إلى منطقة بني ورثيلان واستقر بها، وأخذت من عائلة بهاليل ،ومنهم من انتقل إلى منطقة آيت وغليس بضواحي تنبذار وسيدي عيش وأقاموا بها .عائلة تنتسب إلى الأشراف المرابطين القادمين من الساقية الحمراء وقد استقروا بقرية "جبرني" وهم كلهم فضلاء وعلماء ،اتخذوا من لقب "فضلاء" لقبا لهم ومنهم من عاد و استقر بضواحي آيت وغليس ومنهم من بقي ببني ورثيلان .فهم علماء أجلّاء ومنهم من تصدّر مجلس الفتوى إبّان الاحتلال الفرنسي ومنهم من كان من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ساهمت هذه العائلة في تنوير الحركة الثقافية والعلمية بالمنطقة ،وتجلّى ذلك في اهتمامهم بالتعليم والتدريس وأثبت ذلك تلك المخطوطات التي تمّ نسخها فمنهم النسّاخة ،فهذا ما وجدناه في تذييل مخطوط نور السّراج في إعراب مقدمة الصنهاجي الذي نسخه أحد حفدة الشيخ يذير بن الحاج الورثيلاني قائلا: "انتهى بحمد الله وحسن عونه على يد الفقير الحقير الذليل الراجي عفو ربه وغفرانه محمد البشير بن عبد الرحمان بن امحمد بن عبد الرحمان بن بلقاسم نجل السيد يذير بن الحاج نسبا، الورثيلاني مسكنا، تاب الله عليه وعلى والديه، إخوانه ، وعلى قرابته وجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، آمين، وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب المبارك المسمى بنور

---

[1] – تينبذار، إحدى القرى التابعة لبلدة سيدي عيش، منطقة جبلية بها ضريح سيدي موسى الوغليسي ،تتوسط منطقة حوض الصومام.

[2] –داود الصنهاجي، الأجرومية ، نسخها محمد الصغير العياضي ، بتنبذار ،عام 1340هـ ،محفوظة لدى حفدة أولاد العياض. ورقة الأخيرة، **ينظر الملحق رقم 8**.

[3] – الورثيلاني، الرحلة ،ص.601،

السّراجي في إعراب مقدمة الصنهاجي ،يوم الخميس السابع من ذي القعدة قبل صلاة الظهر عام 1334هـ أربعة وثلاثون وثلاثمائة ألف هجرة، من له العزّ والشرف، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما[1]".

اهتمت هذه العائلة بالنّسخ وجلب المخطوطات فعمدت إلى شراء المخطوطات المنسوخة وهذا ما فعله الحاج ايدير فقد اشترى نسخة من كتاب "شرح الشيخ الدردير على مختصر خليل" بثمن معلوم وهو 15 ريالا إلا أربعة قروش على أحد شيوخ مصر واشترى أيضا نُسَخا أخرى من كتب أخرى ، فدوّن ذلك في ورقة البيع والشراء فضبط ثمن الشراء، اسم البائع ،اسم المشترى وكاتب ورقة البيع فيقول في هذا الصدد: "ابتاع على بركة وحسن عونه السيد محمد الطاهر بن أحمد بن العربي بن الحاج يدير بن الحاج هذه النسخة المباركة شرح الشيخ الدردير على مختصر خليل المجزات على جزأين بثمن مبلغه ومنهى قدره خمسة عشر ريالا ...(سنك) إلا أربعة قروش على الشيخ الفاضل سيدي محمد الشعبوني الصفاقصي التونسي نزيل الجامع الأزهر بمصر القاهرة نفعنا الله بها آمين، وزاد أيضا نسخة من أخرى من الشيخ الدردير بستة عشر دورو ،شرح الجلالين بريالين وكان ذلك بالجامع الأزهر برواق المغاربة ،نصف من شهر صفر لعام 1280م وكاتب الحروف العبد الفقير إلى الله يحي بن محمد بن لونيس بن محمد بن القاضي غفر الله له المستقبل والماضي...[2]

عيسى بن الحبيب:

من عائلة الأشراف المرابطين التي استقرت بمنطقة "تالة أوزرار" بضواحي منطقة بني ورثيلان ، أنجبت العديد من العلماء والفقهاء والمفتين في العهد العثماني وإبان الاحتلال الفرنسي ،للعائلة وليين صالحين هما الشيخ عيسى بن الحبيب دفين بالرصفة وضريحه لازال معلوم ، والولي الآخر الذي ينتسب لهذه العائلة الشيخ أحمد الزروق بن الحاج دفين تالة وزرار[3].

عاش الشيخ عيسى بن الحبيب في القرن 17م إلى النصف الأول من القرن 18م فقد أدركه الورثيلاني وهو صغير، أخذ العديد من العلوم من عدة مشايخ، تنقّل في الأمصار قاصدا الزوايا وأماكن العلم، تعلّم على يد الشيخ الحسن الذي تنبّأ بولايته وقطبانيته لعلمه الغزير وفطنته، فقد أكرمه شيخه وفضله عن بقية الطلبة ،فكان يعطى له فرسه يركبها للذهاب إلى بيته دون غيره من الطلبة ، فقال فيه الورثيلاني:"...وكان عالما فاضلا كريما مهّد الله له خلقه ونصره على ملوك زمانه بحيث لا يتعدّى الغالب منهم كلامه".

---

[1]– محمد الجليلي أبي القاسم، نور السّراج في إعراب مقدمة الصنهاجي، محمد البشير بن عبد الرحمان بن احمد بن عبد الرحمان بن بلقاسم نجل السيد يذير بن الحاج، عام 1334هـ، الورقة الأخيرة، مخطوطة محفوظة لدى عائلة الفقيه، **ينظر الملحق رقم 20**.

[2]– وثيقة تثبت شراء المخطوطة من السيد بن يدير الحاج على شيخ الأزهر عام 1280هـ، **ينظر الملحق رقم :23**.

[3] - Mechehed (DJ-E),Une bibliotheque de manuscrits au fin fond de la kabylie collection de Lmuhub Ulahbib , communication presentee au congre international de l'ARIC ,palais de nation, Alger,Mai .2005.P.2.

عُرف الشيخ بخِلمه وورعه منذ أن كان طالبا عند الشيخ الحسين، وكان له عِلم بعلم الكشف، فيحدّثنا الورثيلاني على لسان عمّ أبيه الذي نزل ضيفا عند الشيخ عيسى عند صلاة الفجر أخبره أن بني يعلى قد انكسروا وأصابتهم جائحة الفتنة وبني أحمد قد أتاهم ذلّ وفتنة وعظيمة[1].

عُرفت هذه العائلة الشريفة بشغفها بالعلم وقد ظهر منهم الكثير من الفضلاء كالشيخ سيدي السعيد بن الحبيب عاش في القرن الحادي عشر/السابع عشر ميلادي ،والشيخ سيدي يحي بن الحبيب ،تورث الحفدة العلم وعن أجدادهم فخلفت العديد من اللائمة وشيوخ الزوايا.

قد خلفت هذه العائلة خزانة جدّ غنية من المخطوطات في زاويتهم وقد أغناها وحفظها أحد حفدتهم المدعو الشيخ الموهوب أولحبيب(1822م/1237هـ) والذي أصبح مفتيا على منطقة بني ورثيلان بعدما أن تقلّد منصب "إمام" بمنطقة تيغيلت إمراعن" ببني غبولة عرش بني ورثيلان عام 1881م ، والذي أخذ العلوم من زاوية الشيخ الحدّاد بصدوق[2]، تحتوي الخزانة على 624 مخطوطة وقد تأسّست في منتصف القرن 18م[3].

أحمد بن يحي :

صلحاء منطقة زواوة بجبل زواوة بقرية "مزيتة" وهي من الأشراف المنحدرين من الأدارسة[4]، عاش في أواخر القرن التاسع هجري، هو من الأشراف يتّصل نسبه بنسب أهل عروس بجبل زواوة، درس على الشيخ ابن غازي ، قال عنه الورثيلاني أنه ولـي صالح ذو فضل كبير، دعاؤه مستجاب وكذا أبناؤه على الفضل مثل والدهم. له العديد من الكرامات فتروي زوج محمد بن قرّي من بني يعلى أنها ذهبت غيبا مع رجال الغيب لقضاء حاجة مع أهل التصريف ولما وصلت إلى قبره وقف من قبره ووقف جميع من دُفن معه للاجتماع مع أهل التصريف وكان يوم الديوان والمتحدث فيهم هو الشيخ أحمد بن يحي[5].

سيدي الموفق :

من عرش بني ورثيلان ،عاش في القرن 17م ،صاحب زاوية دينية مشهورة ، تولىّ الإشراف على زاويته، ينفق من ماله الخاص على طلبة الزاوية، عُرف بزهده وورعه، محبا للأشراف وبالخصوص الجانب العلي (أبناء

---

[1]-الورثيلاني، الرحلة،ص،68.

[2] -Djamil Aissani et Djamel Eddine Mechhed, Les manuscrits de botanique et de medecine en Kabylie au XIX siecle,revista Annali,N59, instititu universitario oriental,Napoli,Italy,1999. P.P.80.81.

[3] - Djamil Aissani, Le Lexique Manuscrit Arabe Dialectal – Kabylee de la Zawiyya Historique de Cheikh Aheddad (19e siècle),revue des etudes berbers,V06,Centre de recherche berber,INALCO,2011.P.16.

[4]– ابن فرحون ، المصدر السابق، ورقة رقم 08.

[5]– الورثيلاني ،الرحلة ،ص.34.

علي)،أخذ العلم على عدة مشايخ منهم الشيخ علي بن الطالب، عاصر والد الحسين الورثيلاني وجدّه الحسن أيضا وكان محبا لهما.

عائلة الشيخ تُكنى بأولاد الشيخ أم رزق ومنهم الولي الفاضل العالم الفرائضي سيدي علي بن أم رزق وهو ابن عمّ الشيخ سيدي الموفق ،وقد عاش في القرن الثامن عشر وعاصر الرحالة[1].

صلحاء وفضلاء الأعراش:

ذكر لنا الورثيلاني العديد من الأولياء و الصلحاء،وجلهم اكتفى بذكر أسمائهم فلم يقدِّم لنا تعريفا وافيا عن سيرهم وعن مؤلّفاته و مناصبهم، فذكر صلحاء وفضلاء عدة أعراش ومن ذهب معه في الحج أيضا ،وإن كانت ترجمتهم جدّ مقتضبة إلا أنه قدم إشارات عنهم وهذا لانعدام من أرّخ عنهم، فسنحاول تقديم دراسة جامعة حول هذه الشخصيات وتكون وفق الأعراش :

صلحاء جبل زواوة[2] :

–سيدي أمزال : من صلحاء قرية الجمعة ،قبره مزار ومعلوم بالقرية وعليه مسجد وأهل بلدة "إمْتِينْ" يعظمونه غاية التعظيم، لم يذكر لنا العصر الذي عاش فيه.

–أحمد بن زروق بن الحاج: فقيه فاضل، من أهل الكلام ، عاش في القرن السابع عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر ، صاحب والد الورثيلاني .عكف على تدريس طلبة العلم في الفقه، علم الكلام ،القرآن الكريم، عُرف بجودة خطه فكان خطاط عصره ،سافر مع الورثيلاني قاصدا الحج إلا أنه لم يتمّه فعاد من تونس رفقة الورثيلاني ، وفي احدى حجاته توفي في طريق العودة بمصر ، ترك أولادا كلهم على الفضل والعلم منهم الولي الشيخ سيدي ابن الحاج الذي رافق الرحالة في حجه الأخير.

–بُديمَان :وليّ صالح من زواوة، يعظّمه العامة وقد جعلوا له قصصا وكرامات لا يصدّقها العقل وقد أوهم أهل بلده أنه من زار قبره قضت حاجته.

–**المرابط سعيد بن هارون:** عاش في القرن 17م إلى بدايات منتصف القرن 18م، عاصر والد الورثيلاني وقد سمع من أبيه أن المرابط سعيد كان يعلم طلوع الفجر من بيته منذ فترة طويلة، وقد صاحب الرحّالة بعد وفاة والده، فهو من أهل الفضل والعلم.

[1]–نفسه،ص.34،35.

[2]–نفسه،ص.34–36.

-**المرابط علي بن درار:** ابن عمّ المرابط سعيد بن هارون،من شعراء الرسول عليه الصلاة والسلام ، شعره بالأمازيغية وقد أجاده ولو دُوِّن بالعربية لكُتب شعره بسواد العين من شدة إتقانه واجتهاده فيه نظم الشعر في مدح النبي، ولما فيه من العلم اللدني وقد كان يرى النبي صلى الله عليه وسلم ،وكان أعمى البصر وعوضه الله بعين البصيرة.

يحي الشريف: من قرية وزران، عاش في القرن الحادي عشر هجري، هاجر من بني عمّه وفرّ بنفسه وهاجر من قرابته و هو من شرفاء العرش وقد ذكرهم ابن فرحون في أنساب الأشراف بمنطقة زواوة، أنّهم من أهل العلم والصلاح والدعاء عنده مستجاب.

أحمد بن عبد الرحمان: من أهل مجانة عاش في القرن التاسع والعاشر هجري، يعود نسبه إلى أشراف الأدارسة كما نصّ عنه ابن فرحون، من تلامذة الشيخ يحي العيدلي، أولاده معروفون بالظلم والجور بالرغم من عناية وشفاعة جدهم. ابنه من بنى قلعة بني عباس، وأقام به مملكته المعروفة والتي صمدت في وجه الأتراك إلى غاية نهاية القرن 19م وقد امتدت على أطراف واسعة، ومنهم الفضلاء والأتقياء وليسوا كلهم على الجور والظلم فمنهم سيدي ناصر عالم زاهد ومن شدة زهده قيل أنه يلبس الغرارة شعارا على لحمه، وأقام زاوية للعلم ورتب فيها ثمانين طالبا إلا أن أعين الحسد و البغض من بني عباس تآمرت عليه وقتلته، وقد رثاه علماء فاس بقصيدة ناكرين على ما فعلته بني العبّاس.

فَلَعنة الله ثُم الخَلق قَاطبة عَلى المَجوس بَني عَبَاس ما ذُكروا

إن عَاهَدوك فقد خانوُا علَى ثقة أو حَالفوكَ فَأيقن أنّهم فجروا

فضلاء بني عباس[1] :

محمد أبركان، قبره مزار بالواد المعلوم، وانتقل أبناؤه إلى بني عباس وكلهم أهل فضل وعلم ، ومنهم أولاد تبونداوث من الأشراف ومن أهل العلم والصّلاح ، منهم القضاة والفقهاء وامتد علمهم إلى بجاية ، وأولاد سيدي عبد الحليم فضلاء صلحاء سكنوا قرى بني عبّاس، سيدي محمد بن محرز ولي معظّم سكن بالقلعة وأهل وطنه يظنون أنه سترهم ، وأولاد معمر فضلاء علماء أتقياء، أولاد أبو جمعة منهم الأئمة والخطباء، المرابط سليمان زاهد متعبد محب للخير وقد أحبه العامة، أولاد أبو ذئب وكلهم من الأشراف، ومنهم أيضا سيدي السعيد ووالده نفسه في الفضل والعلم سيدي أحمد بن يدير، سيدي سرّاج معروف ومشهور في المنطقة معظّم غاية التعظيم، ومنهم أولاد ساسي ،سيدي أحمد بن صالح، سيدي المسعود، سيدي سليمان، سيدي عمر في قرية ترق، سيدي موسى

[1] -الورثيلاني، الرحلة ،ص.35-37.

،سيدي أبو التقى، هؤلاء كلهم من شرفاء وأولياء ضواحي بني عباس ومجانة لهم أضرحة تزار وكانوا من أهل التقوى والصّلاح.

فضلاء بني عيدل[1] بني عيدل مشهورة ومعروفة بأوليائها وهي مجاورة لبني عباس ومنهم :أولاد العياض الذين انتقلوا من الشواثرة واستقروا بعدة مناطق من جبل زواوة، سيدي يدير الحاج، سيدي خروج فرقة منهم اتجهت إلى زمورة وأخرى انتشرت بواد الصومام، سيدي السعيد الفرطاس ولي معظّم عاش في الحادي عشر هـ، ومنهم أيضا أهل تعروسين ومن بينهم الشيخ علي ،سيدي أحمد أعشاب، سيدي أحمد صالح، وأولاد سيدي الجودي منهم سيدي أحمد بن صالح وكلهم أهل العلم والفضل والتقوى.

الولـي الفاضل ناشر العلم ومقيم السّنة بوطنه سيدي محمد بن عبد القادر وأولاده ،لاسيما محمد بن عبد القادر وولده سيد الموهوب، وسيدي أحمد أوغوبة صاحب الزاوية وهو من القرن التاسع هجري ضريحه معلوم ومزار وله طلبة يعظّمونه غاية التعظيم بوطنه، ومنهم أيضا سيدي ابراهيم صالح وهو من صلحاء البلد معاصرا للشيخ موسى الوغليسي وهو من القرن الحادي عشر.

فضلاء بني جليل: شرفاء من أدراسة المغرب الأقصى، يرتبطون بنسب الورثيلاني في جدهم الأول، كلهم من أهل الفضل والعلم ،وقد نصّ عليهم ابن فرحون في نسب الأشراف.

أحمد بن يوسف: الساكن بقرية حيذوس بضواحي واد بوسلام ، له صلة وقرابة مع أشراف منطقة بني ورثيلان ،ويرى الورثيلاني أن له صلة مع الولي أحمد بن يوسف المليانى، وأولاده معروفون بالخير والعلم.

فضلاء أهل ايلماين: بلدة طيبة فيها الأشراف كما نصّ عليها مؤرّخ الأشراف بمنطقة زواوة ،فبها فرقة من آل الوانوغي وأولاد عنان ومنهم الوليّ سيدي يدير صالح الجمهوري أصلا ،العيدلي مسكنا التمغرواي مدفنا تلميذ سيدي يحي العيدلي، وأخوه في الله سيدي ابراهيم بن عمار المؤدي للعبادات على أحسن وجه فلم يتخلف يوما عن صلاة الجماعة مع شيخه سيدي يحي.

من أهل ونوغة نجد سيدي عيسى بن محمد، وكان صاحب كرامات وقد انتفع الناس به فمسح على عين الأعور فعادت أحسن مما كانت، وردّ ببركاته عينا من الماء.

فضلاء زمورة[2] : منهم أولاد أبو شيب، أولاد سيدي أحمد التواتي، سيدي عمر العجيسي وهو جدّ سيد أحمد المجذوب، أولاد البواب (الزياتية)، سيدي مبارك السّماتي، سيدي عمر بن عباشة وأولاده، سيدي محمد بن المبارك

[1]- الورثيلاني ، الرحلة ص،38-40.

[2]-نفسه،ص.44،43.

الشريف من أولاد سيدي أبي زيد وهم من القرن الحادي عشر هجري، سيدي السعيد الموسخ، سيدي أبو ناب، سيدي عطا الله، والولي سيدي علي بن أبي زيد وهو من القرن الحادي عشر.

شرفاء من مناطق أخرى[1]:

نظرا لكثرة الأسماء وعدم وجود تراجم لهؤلاء الأشخاص ارتأينا أن نحيل القارئ إلى هؤلاء الأشراف دون ذكر أسمائهم ومن جهة أخرى صاحب الرحلة لم يُحدد لنا بعض العلماء إلى أي بلد ينتسبون والمصادر الأخرى لم تذكرهم لكي تُعطى لنا إشارات عن أماكن استقرارهم .

حدّثنا الورثيلاني عن عدة مناطق وذكر أسماء فضلائها ومتصوفتها ،فمن بين المناطق التي ذكرها : بني يعلى ، تمنفاس، أمولة ، بني ورثيلان ،بني يخلف، بني ابراهيم، بني منجلات، أولاد درّاج، بني بوشعايب، قصر الطير ، مدوكال، بني فرقان ، المسيلة، بني عامر، البليدة ، بني سليمان.

فصورة التصوّف جدّ منتشرة في الجزائر خلال هذه الفترة ،فبالرغم من صغر الرقعة الجغرافية التي حدثنا عنها الورثيلاني لاسيما حوض الصومام معتمدا على ثلاثة أو أربعة قبائل فقط فقد ذكر عددا هائلا من الأضرحة والأولياء، فلا يوجد بلد ،قرية إلا و بها وليّ على الأقل، فانتشار الكمّ الهائل من الأضرحة وتقديس العامة لهم يثبت مدى تأثر وتغلل التصوّف في نفوس العامة وأصبح الولي، المرابط مقدّسا حيثما وجد وحيثما حلّ ،فالورثيلاني أظهر لنا جانبا من قداسة هؤلاء الرجال ومدى تأثيرهم على العامة ، فالأشراف المستقرّون بمنطقة القبائل لا يقل وزنهم عن المتصوفة المتواجدين بالقطر الجزائري فقدموا خدمات في الريف مثلما قدمه المتصوّفة ،فقد ربطوا بين الزهد و التصوّف و مخالطة العامة فلم يجعلوا لأنفسهم طقوسا وأورادا خاصة ، فيذكرنا الورثيلاني أنّ سمة التصوّف والزهد المنتشرة مرتبطة بالدين القويم و السنة النبوية فحارب الطقوس التي تدّعي إلى الشّرك والخروج عن الملة ،بل دعا إلى محاربة من يقوم بتلك الطقوس.

[1] -للاطلاع على أسماء هؤلاء الأشراف والأولياء، ينظر الصفحات الآتية :50-65 و الصفحات :68-87، والصفحات 600-607.

ثالثا : تجليّات التصوّف في الجزائر العثمانية على ضوء رحلة الورثيلاني .

1- الحياة العلمية والصّوفية

1-1- العلوم والمصنّفات الصّوفية :

تجذّرُ التصوّف بالجزائر العثمانية لم يكن وليدة الصدفة أو التراكم الوراثي عند طريق الولادة ،فالسلوك الصوفي المتّبع من طرف أهل العلم والفضل كان عن طريق البحث والعلم إذ يُدرَس ما دُوّن فيه من علوم ،وقد حظيت الجزائر عامة ومنطقة الرحالة" حوض الصومام" خاصة أو كما يسميها "وادي أقبو" بانتشار لهذه المصنفات العلمية التي دُونت من طرف أبناء المنطقة في ظل زواياهم العلمية. وقد حدثنا الورثيلاني عن أهم الكتب التي راجت انتشارا واسعا منها ما استقدم من المشرق الإسلامي والبعض الآخر من الغرب الإسلامي (المغرب الأقصى والأندلس) وامتد سيطهم عبر فترات مختلفة من الزمن ،فدراسة هذه المصادر تعد الركيزة الأساسية لانتشار المتصوفة، فلا تخلو أي زاوية من الزوايا من تواجدها ،ولا خزانة من خزائن المساجد ،بل تعدى الأمر إلى حفظها في الصدور قبل السطور وعن أهمها فقد دونها الرحالة :

-مختصر الشيخ خليل :

تعد كتب الفقه من أولى وأهم المصنفات العلمية التي تناولها أهل العلم والتصوّف و مختصر الشيخ خليل بن إسحاق[1] المصدر الأول في الفقه المالكي لدى سكان شمال إفريقيا، باعتبار المغاربة على المذهب المالكي، فجعلوا من هذا المصنّف الذي جمع فيه الخلاصة الفقهية لفقهاء الأئمة المالكية.

شرحه العديد من الفقهاء في مشارق ومغاربها كشرح الشيخ داوود بن محمد المالكي في أربع مجلدات وفرغ منه سنة892هـ، وشرحه نور الدين على بن محمد القلصادي الأندلسي المالكي، وشرحه محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي المالكي وسماه شفاء الغليل في حلّ مقفل مختصر الشيخ خليل عام 895هـ، وشرحه الشيخ محمد بن ابراهيم التتائي المالكي المتوفى 942هـ وقد شرحه شرحا كبيرا وسمّاه "فتح الخليل في حلّ جواهر درر ألفاظ الشيخ خليل، وشرحه الصغير المسمى بجواهر الدرر في حلّ ألفاظ المختصر، شرحه زين عبد الرحمان بن محمد الأجهوري المالكي المتوفى 960هـ،وشرحه علي بن عبد الواحد الأنصاري المغربي المالكي المتوفى 1057هـ وسمّاه كفاية الطالب النبيل في حلّ ألفاظ مختصر الشيخ خليل، وشرحه العلامة محمد بن أحمد السنباوي

[1]- خليل بن اسحاق ، المتوفى عام 1374م/776هـ، المعروف بصاحب المختصر، هو خليل بن اسحاق بن موسى بن شعيب المعروف بالجندي، الماكلي المصري ،له العديد من المؤلفات واهمها واشرها المختصر، المناسك، مناقب المنوفي، التوضيح ..وغيرهم ،و تُرجم مختصر خليل إلى اللغة الفرنسية، الايطالية،. للمزيد ينظر :

-Bosworth (C-E),Van Dozel (E) et autres, Encyclopédie de l'islam,T06,Ed,maison neuve et larose,Paris.1987.

المالكي الشهير بالأمير المتوفى 1232هـ وسمّاه الإكليل في شرح مختصر الشيخ خليل، وفي الديّار المصرية شرحه الشيخ محمد بن أحمد بن محمد عليش مفتي المالكية المتوفى 1299هـ وسمّاه المنح الجليل على مختصر الشيخ خليل، وشرحه محمد بن الصادق الدّكالي المغربي المفتي المالكي المتوفى 1175هـ ،بالإضافة إلى عدة شروحات منها أيضا شرح الشيخ زروق البرنسي جلها تناقلت من شروحات سبقتها فعرف في هذا العصر بعصر الشروحات والحواشي. فأضحى تدريسه في كل المساجد والزوايا أكثر من ضروري فهو يلازم الدراسات القرآنية ، فجّل الإجازات العلمية مقترنة به ،فالورثيلاني بمصر أجازه الشيخ سيدي علي الصعيدي شيخ الأزهر بعد أن حضر وقرأ عليه شرح المختصر، وقد أخذ به كبار الأولياء منهم الولي سيدي يحي بن الواثق من حفدة سيدي التواتي البجائي والذي رأى في المنام الشيخ خليل وأخذه إلى خزانة من الكتب وأعطاه له مصنفه وقد أذن له في تدريسه وقد شرع في تدريسه بضواحي بني ورثيلان في القرن 17م وقد أخذ عنه عمّ الرحالة محمد الصغير[1].

تعدد شراحه وقرائه ، فمن بين الشروحات التي تداولت في الجزائر خلال عهد الورثيلاني ،شرح التتائي الذي كان يدرسه الشيخ محمد الشريف في ضواحي بني جلّال[2](الجلفة) ، وفي بجاية خلال شهر رمضان يستشهد أهل العلم ومنهم الورثيلاني بقول الشيخ الحطّاب شارح حاشية الخليل في مسائل الصوم والإفطار التي تجادل فيها العلماء ويعد المصدر الذي يقيسون المسائل الفقهية النازلة ، فقال" وقال الحطاب في حاشيته على الشيخ خليل أن مذهب المخالف أعني الفطر من غير وجه أقيس، فإذا فهمت هذا علمت أن الاعتراض على من ثبتت له الخصوصية حرمان والمنازعة شقاء[3]"، ولا يخـلو أي نقاش علمـــي وديني في مسألة فقهية إلا وكان فقه المختصر حاضرا وكان الفاصل في تلك المسألة .مثلما حدث في مكة المكرمة حول أولوية الطواف على السعي مع اختلاف العديد من العلماء وفصل الشيخ في هذا الأمر بالعودة إلى المختصر بقوله "وقال والده في شرح المختصر بعد نقول فعلم ما تقدم أن معنى قول المصنف ونوى فرضيته ...إلى قوله وقول المصنف وإلا قدم فيه مسامحة"[4].

دأب المغاربة على مختصر الشيخ خليل حتى أصبح صفة من صفاتهم وطبيعة من طبائعهم متعلقا بهم، حتى أصبحت جلّ المعاملات و المسائل الدينية يرجع أهل العلم لحلّها إلى المختصر، فأينما حلت مسألة و كانت نصوص مختصر الخليل حاضرة[5]، فقرن الورثيلاني قدرة إيمان الفرد بمدة تتبعه للسنة النبوية وتطبيقه للأحكام

[1]- الورثيلاني،الرحلة،ص.59.

[2]-نفسه ،ص.05.

[3]-نفسه،ص.19.

[4]- نفسه،ص.398.

[5] -Khalil Ben Ishak, Precis de jurisprudence musulmane ou principe de législation musulmane civile et religieuse selon le rite malikite par Khalil ibn ishak, Trad,M. Perron ,T 05,Imp national, Paris. 1877.P.541,542.

الفقهية حتى أصبحت السنة تؤخذ من مختصر الشيخ خليل ،فهذا ما فعله والده التقي النقي المواظب والقابض على دينه فجعل المختصر بين عينيه والفقه لا يخرج من غير مختصر خليل ومختصر البخاري لابن أبي جمرة، وقد ناظر به فقهاء بجاية وسلاطينها في مسألة صلاة الجمعة وما يترتب عنها من شروط وفرائض بعد أن تخلى بعضا من فقهاء البلاط ،ولا تخلو مكتبة ولا خزانة من خزائن المخطوطات لدى العائلات الشريفة والمرابطة أو المكتبات الوقفية من شرح المختصر ،فعند وفاة الشيخ زروق البرنسي تم توزيع تركته على ورثته فانحصر إرثه على زوجته ،فلم يُورث المال والأراضي ...بل ترك خزانة من الأسفار والكتب جملها 14 بالإضافة إلى بعض من الملابس الصوفية ،فمن بين هذه الكتب نجد مختصر الشيخ خليل والذي أورثه لزوجته ومنها لحفدته[1].

أهم شُرّاح مختصر خليل في رحلة الورثيلاني :

عمد الورثيلاني إلى ذكر أهم الشارحين لمختصر خليل ما يثبت قوة تواجده في الساحة العلمية، فلم يعتمد أهل الجزائر على شرح واحد بل تعدى إلى العديد و تجلى ذلك في مختلف الاستشهادات التي قدّمها لنا وفي مواضع مختلفة و مسائل متنوعة.

-شرح مختصر خليل الكبير للأجهوري ،في مسألة الزبّاد والذي نقل منه الورثيلاني أنه طاهر ومنه أفتى الشيخ سالم.

-شرح المختصر خليل للشيخ عبد الباقي والذي قال في مسألة الزبّاد أيضا أنه كالمسك لخروجه من غير مخرج البول والروث ولا يصل إلى محل خروج بوله وروثه، و الأرجح يكون الأكثر تداولا في منطقة الورثيلاني بحكم أننا تحصلنا على مخطوطة منه لدى حفدة تلميذ الرحالة والذي أصبح قيّما على الزاوية بعد وفاة مؤسس الزاوية[2].

-شرح مختصر الخليل للشيخ التتائي والذي انتشر أيضا بكثرة في الوطن و استدل به الرحالة بعدة مواطن منها في مسألة بناء دور العلم من مال الحرام وحكم استلام المدرس أجرته و حكم الطالب الذي يدرس بها أيضا[3].

- ابن عباس حلولو شارح مختصر خليل.

-مختصر خليل بشرح الشيخ الخرشي، حفظه الورثيلاني قبل أن يقوم برحلته وما يثبت ذلك مجادلته لشيخ الأزهر وتفوقه عليه بالحجة في احدى المسائل الفقهية في مختصر خليل بشرح الخرشي، ومناظرته لعلماء مصر وفي سؤاله

---

[1]- الورثيلاني ،الرحلة، المصدر السابق، ص.202.

[2]- خليل بن اسحاق، شرح مختصر، الشارح عبد الباقي بن يوسف الزرقاوي،ج1، نسخه محمد الطاهر بن محمد الحاج بن عبدون البجائي، في رمضان 1195هـ، الورقة الأخيرة، **ينظر الملحق رقم 24**. ينظر أيضا: الورثيلاني ، الرحلة، ص.150،149,

[3]- الورثيلاني، نفسه،ص.135.

الخامس المتعلق بشرح الخرشي فلم يستطع أحد الإجابة عنه سوى الورثيلاني ، ما يثبت جلياّ أن المختصر تم تمحيصه وتدقيقه و دراسته على ظهر القلب ببلد الرحّالة[1].

– شرح مختصر خليل للشبرخيتي: وقد أظهر مرة أخرى الورثيلاني تمكن أهل بلدته من هذا الشرح، ففي مناظرته لعلماء مصر، في سؤاله الرابع عن مسألة الجنائز والذي استقصاه من شرح الشبرخيتي ، حيث أبهر الجميع وجعلهم صمّا بكما، فأجاب عنه من خلال هذا المصّنف، وإن دلّ هذا فإنما يدل على تمكن زوايا الجزائر في هذا الجانب الفقهي، فالورثيلاني تتلمذ في زوايا الجزائر وفقط.

–شرح مختصر خليل للعمروسي: أثنى الورثيلاني على شرح الشيخ العمروسي وقال عنه أنه شرح مبارك لابأس عليه وهو أحد كبار شيوخ مصر.

– ولأهمية هذا الكتاب عكف عليه أهل البلد على تلخيصه وشرحه ووضع حواشي له، فاعتمد في جميع المعمرات والمؤسسات الدينية وبالخصوص في منطقة القبائل حتى أصبح ينشد في الأماكن العامة ويقرأ في الجنائز وفي عديد المناسبات الدينية، وإن حدث أي جدال أو خصام بين جماعة العقال بالقرية يُرفع المختصر ويستشهد به من طرف مرابطي وعقال المنطقة ،وأولت حتى الأعراق غير العربية ترجمته للغاتهم لما له من أهمية في التعريف بأصول الدين، شروطه وواجباته ،ورغبته في التعرف على الدين الإسلامي.

–دلائل الخيرات : أولى الصوفية ومشايخ المدارس القرآنية لمصنف "دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار" اهتماما بالغا، فنجده حاضرا في جلّ أوراد الطرق الصوفية وعند المرابطين أيضا، والشائع عند أهل الطريقة الشاذلية بحكم أنّ مؤلف الكتاب كان شاذليّا ، ينسب إلى "أبو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر بن سليمان الجزولي سملالي الحسني المغربي (المغرب الأقصى)"، والمعروف لدى العامة بالشيخ الجزولي ، فأخذ ورد الطريقة الشاذلية بعد أن انتقل إلى العاصمة الروحية بالمغرب الأقصى فاس و منها استمد نور التصوف و الطريقة الشاذلية ، فانتقل بين عديد الأمصار و الأماكن ناشرا مبادئ التصوف و متلقيا العلوم على علماء و مشايخ عصره، توفي الشيخ عام 870 هـ و دفن داخل زاوية أفويرال وبعد سبعة و سبعين سنة تم تغيير المكان و نقِلت جثته إلى مراكش . يذكر صاحب الكتاب سبب تأليفه أنّ قصة حدثت له و هو في طريقه للوضوء ورغبته في إخراج الماء من البئر دون وجود وسيلة لذلك و نظرت إليه صبية من أعلى المكان فقالت له من أنت ؟ فأخبرها من يكون، فقالت له : أنت الرجل الذي يُثنى عليك بالخير و تتحير بما تخرج الماء من البئر

[1]–نفسه،ص.307.

؟ فبزقت في البئر ففاض الماء، فسألها الشيخ : كيف لك بهذا ؟ فقالت له : بكثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك الحين أخذ على عاتقه أن يؤلف كتابا حول فضل الصلاة على النبي[1].

ومن شدة تعلّق أهل التصوّف و العلم بهذا المصنّف ظهر العديد من شرّاحه بغضّ الحديث عن نسّاخه ، فلا نكاد نجد زاوية أو مؤسّسة صوفيّة ، دينيّة وإلا بها عشرات النّسخ ،تقرأ في الأماكن العامّة أيّام الأفراح و الأحزان ، يتداولها الكبار و الصغار و تدرّس في مختلف الصّفوف التعليمة و تقرأ بعد وقبل الصلوات المفروضة، وهذا ما بيّنه لنا الورثيلاني أن أهل العلم يأخذونها معهم في سفرهم ويستأنسون بها في طريقهم بذكر الأوراد و قراءتها. فحدثنا أن أحد زملائه بمصر لما تعرّضوا للسرقة سقطت من ثيابه[2] أي كانت معلقة في جيوب ملابسه من كثرة المذاكرة و المراجعة ، انفرد العديد من الخاصة بذكر ما شرحه الشرّاح على كتب دلائل الخيرات منهم الشيخ أحمد زروق ،محمد الفاسي وغيرهم ، فالورثيلاني في رحلته اعتمد على شرح الفاسي وأحمد زروق معا في اقتباس و تبرير بعض الأفعال والشعائر الدينية و خاصة المتعلقة بالشوق و فضل التبرك و الدعاء عند آثار النبي صلى الله عليه وسلم[3].

سادت في منطقة الورثيلاني عديد مصنفات التصوف لانتشار أهله بكثرة فنسخت العديد من هذا الكتاب وبقيت متوارثة بين أهل البلدة و من بين النسخ التي توصلنا إليها التي نسخها الشيخ محمد الشريف بن محمد بن الموهوب الشريف و التي كانت متأخرة نوعا ما و قد نسخها من نسخ أقدم منها و التي كانت عام 1315هـ بقرية الشرفة العليا[4] بضواحي بني ورثيلان.

– الوغليسية :

دأب أهل المغرب وشمال إفريقيا على المذهب المالكي ،ما جعل جلّ مدوناتهم و مصنفاتهم العلمية و الدينية تتمحور حول شرح وتفسير كتب السادة المالكية و العمل على تسهيلها و تقريبها للعامة من أجل الفهم وتوضيح مقاصد الإسلام، فلم يتوان علماء الإسلام بشمال إفريقيا بمواصلة رسالتهم الربانية ،فظهر العديد من الكتاب، الفقهاء و الشرّاح لكتب السادة المالكية ، ومن بين الذين أسهموا في هذ المجال الشيخ عبد الرحمان الوغليسي البجائي الزواوي من منطقة "ايت وغليس" بضواحي سيدي عيش ببجاية(ت.786هـ /1384م) وقد

---

[1] -Abu Abdullah Muhammad Ibn Abderrahman Ibn Abi Bakr Ibn Suleiman Al-Jazouli Simlali alHassani al-Maghribi, Dalail u'l Khayraat Wa Shawaariq u'l Anwaar Fee Zikri's Salaat Alan Nabiyyi'l Mukhtaar, TRANSLATED BY SIDDI HASSAN ROSOWSKY, Compiled & Edited by ompiled & Edited by Muhammad Sajad Ali Qadiri-Noshahi, Printed in the United States of America, UK, Germany,2005.P.P.15,16.

[2] – الورثيلاني ، الرحلة ،المصدر السابق، ص.235.

[3] – نفسه،ص.412.

[4] –الجزولي ، دلائل الخيرات وشوارق الانوار في ذكر الصلاة على النبي المختار ، ناسخها : محمد الشريف بن محمد بن الموهوب الشريف ، عام 1315هـ ، بقرية الشرفة العليا ،محفوظة بمتحف بني ورثيلان ،**ينظر الملحق رقم 25**.

لقب بالفقيه الزاهد و بالصالح الورع والإمام ، اشتغل الفقيه بالتدريس ، الفتوى ، الإمامة و التأليف و عمل على إصلاح أوضاع المجتمع . ألّف مدوّنه المشهور "الوغليسية" و المعنون بـ "المقدمة الوغليسية على مذهب السادة المالكية" و الذي عرف انتشارا كثيرا في شمال إفريقيا و بمنطقة القبائل خصوصا ،فكثر شرّاحه ومفسريه و منهم الشياح أحمد زروق البرنسي، عبد الرحمان الصباغ وعبد الكريم الزواوي، ما جعل كل زاوية بمنطقة القبائل إلا وبها نسخ عن هذا المصدر الأساسي في فتاوى المذهب المالكي، فقد اعتمد على العقيدة الأشعرية و الفقه المالكي والتصوف الجنيدي وهذه أهم مقومات و ركائز المجتمع الجزائري في الجانب الديني إلى يومنا هذا.

تناول المؤلف الفتاوى و المسائل الفقهية، العبادات و غيرها من أمور الدين و اهتم بجانب المعاصي و الكبائر و أخلاق المجتمع لما لاحظه من فسق و خروج عن طاعة الله ورسوله في ظل الترف الاقتصادي الذي عرفته مدينة بجاية إبان عصره، ما جعل الفتن والمعاصي تتكاثر فأدى به إلى التركيز على مسألة المعاصي كثيرا، وتبسيط مسألة العبادات[1].

المقدمة الوغليسية من مصادر الصّوفية ،اعتنت بالجانب الصوفي والروحي فتناول مسألة المعاصي التي تسببها الجوارح وقدم مراتب التقوى و الصبر و الإخلاص والتي لن يصل إليها الأنسان إلا بمجاهدة النفس عن طريق الزهد و التصوف، فقال عن حفظ القلب: «والمعاصي مفرقة على الجوارح، فمن الجوارح القلب ،فيؤمر بالإخلاص في جميع العبادات لله تعالى، واليقين في كل ما يجب الإيمان به، والصبر و التقوى والرضا و الحياء و القناعة و الزهد–وهو أن يطرح الدنيا من قلبه ويرغب في الآخرة"، فهي دعوة صريحة إلى الزهد و النظر في الحياة الدائمة والبرزخية على حساب الدنيوية الفانية "فالعاقل إذا تفكر في الدنيا وعرف أنها حقيرة وخسيسة، وتفكر في الآخرة وعرف قدرها احتقر الدنيا وزهد فيها واستعظم الآخرة ورغّب فيها، وهذا إنما يحصل لمن قوي إيمانه ويقينه بمعرفة الله[2].

اتخذ أهل منطقة القبائل عامة شروح الوغليسية كقاعدة فقهية لفهم الدين و المعاملات ، فقد وضح وفسرّ وسهل على أهلها فهمها ،ما جعل عقال القرى وأهل الجماعة يتخذونها لحل المشاكل الدينية و الاجتماعية بين السكان ،فالورثيلاني أيضا عاد كثيرا إلى شراحها في عديد المسائل والفتاوى التي تحدث عنها.

---

[1]–الطاهر بونابي، أبو زيد عبد الرحمان الوغليسي الفقيه الصوفي، مجلة حوليات التراث ، جامعة مستغانم، العدد السابع، 2007،ص.ص،92،84.

[2]–عبد الرحمان أحمد الوغليسي البجائي، المقدمة الوغليسية على مذهب السادة المالكية، تحقيق: أمل محمد نجيب ،مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث ،ط1،مصر،2007، ص63،55.

لأهمية نصوص وفتاوي الوغليسية جعلت العلماء و المتصوفة يعتمدون عليها كثيرا ،فالورثيلاني استنبط منه العديد من الأمور العامة المرتبطة بالعلم ، الدين والأخلاق ، فاهتم كثيرا الوغليسي بأهمية طلب العلم وشروط أخذه وعلى من يجب أن يؤخذ وقد نهج الورثيلاني نفس النهج[1]، فدعا الطالب إلى التحلي بحسن الآداب والأخلاق تجاه شيخه، فأكثر الشروح انتشارا بمنطقة الورثيلاني نجد شرح الشيخ عبد الكريم الزواوي فهو ابن نفس منطقة المؤلف مما ساعد أهل البلدة على فهمها و تكيفها حسب متطلبات ذلك المجتمع مراعيا العرف والعادات و التقاليد التي تختص بها المنطقة على غرار المناطق الأخرى.

-**الألفية** : لم تقتصر علوم أهل زواوة و الجزائر عامة على الجانب الديني فقط، بل سايرت الجانب الأدبي واللغوي، فاهتمت منطقة حوض الصومام و القبائل والتي عاش فيها الورثيلاني حياته متنقلا بين تلك القرى بعلم وفقه اللغة العربية، مما زاد في انتشارها كثيرا و تعربت العديد من القرى و الجماعات بفعل التأثير الكبير لعلوم الدين و اللغة وبحكم أن القرآن منزّلٌ باللغة العربية وجَب دراسة اللغة العربية من أجل الوصول إلى فهم القرآن الكريم . منطقيا نجد العديد من شرّاح ومفسري القرآن الكريم وكتب الفقه والشريعة من دون أن نجد علماء في اللغة و النحو ؟ فهذا غير ممكن ، ما جعل الورثيلاني يوضح لنا جليّا أن أهل المنطقة يتقنون اللغة العربية جيدا و يتواصلون بها على الرغم من تمكنهم من لغتهم الأصلية التي يتحدثون بها ، فمن أهم الكتب المنتشرة في زوايا ورفوف مكتبات الزوايا و المساجد "ألفية بن معطي الزواوي" والتي قال عنها ابن مالك "فائقة ألفية بن معطي"[2].

ابن عاشر : متن ابن عاشر في الفقه المالكي والعقيدة و التصوف ،وأصبح هذا المتن الموزون مرجعا لأهل المنطقة، فدون في جميع الزوايا وحُفظ في الصدور قبل السطور، فلا نكاد نجد طالبَ زاويةٍ لا يحفظ المتن، بل أنه يقرأه في أوقات الفراغ على شكل إنشاد ،فهذا ما لاحظناه شخصيا في قرى منطقة القبائل عند تجمع أهل القرية مساء في مكان الجماعة يقرأون المتن بصوت جماعي منشود، لصاحبه أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري ، من أهل فاس بالمغرب الأقصى ، عاش في القرن 16م، بزغ في علوم الدين وظل متنقلا بين المشرق والمغرب لطلب العلم، اهتم بالتصوف وجعل جزءً من مؤلفاته حول التصوف السنّي ودوّن قِسْما من متنه حول التصوف، سُميت منظومته" المرشد المعين على الضروري من علوم الدين".

متن ابن عاشر من ضروريات و بديهيات المتصوّف وطالب العلم، فالأطفال الصغار "القداديش" المبتدئين و غير العارفين بأمور الدين والفقه يبدأون بحفظ متن ابن عاشر كونه شعرا موزونا وسهلا للحفظ وخفيفا على اللسان

[1]-عبد الرحمان الصباغ، شرح عبد الرحمان الصباغ على متن الوغليسية، المصدر السابق، مخطوطة ،ورقة رقم 08.

[2]-الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق، ص،15.

،فلهذا انتشرت في ربوع الوطن الإسلامي وأكثرها في شمال إفريقيا، فكثر شرّاحها ونسّاخها فدلّنا الورثيلاني على أحد شرّاحها في إقليم ليبيا ببلدة ساحل حامدة وهو الشيخ علي بن الصادق[1].

وظيفة الشيخ يحي العيدلي :

من علماء وأجلاء منطقة "تمقرة " بالقرب من بني ورثيلان بضواحي بجاية، صاحب زاوية عظيمة ولازالت إلى يومنا هذا- تناولنا التعريف بالزاوية وصاحبها سابقا- فهذا الكتاب الموسوم بوظيفة الشيخ يحي العيدلي و التي أوصى بها طلابه بقراءتها بعد صلاة الصبح، فقد شرحها العديد منهم و من أهم شرّاحها الرحالة الحسين الورثيلاني، لاقت الوظيفة انتشارا واسعا بالمنطقة فلا يكاد تمر بقرية وبها زاوية وإلا وتجد مصنف الوظيفة، فكما أن طلبة الشيخ منتشرين بكثرة في مختلف أرجاء الوطن ما جعلهم ينشرون مؤلفاته . فيقول الورثيلاني عن الوظيفة في رحلته" سيدي يحي صاحب الوظيفة المشهورة في وطنه وقد شرحتها والحمد لله وهو شيخ الشيخ زروق..."[2]وعلى هذا لاقت المصنف قراءة وحفظا واسعا و بالخصوص في حوض الصومام ومنطقة القبائل بصفة عامة.

القواعد في التصوف : ساهم العلامة الشيخ أحمد بن زروق البرنسي الفاسي في تأسيس مدرسة للتصوف جمعت الأقطار المغاربية ،وجعل مقره ومستقرة بمدينة بجاية ومصراته ،فكانت بداياته السلوكية ببجاية أين أقام زاويته بعدما أن تشبع بالعلوم والتصوف ،ساهم الشيخ زروق بعلومه الغزيرة في مجال المذهب المالكي صاحب العقيدة الأشعرية على الطريقة الجندية في تنوير التصوف السني ، فكانت بجاية حاضرة له و قد عاصر الشيخ يحي العيدلي ببلدة "تمقرة" ودرس عليه، ما جعله يُكوّن جوا صوفيا قويا بالمنطقة مما جعل مبادئه وتصوّفه ومؤلفاته تلقى انتشارا واسعا بين أهل البلدة، من جملة ما جعل الورثيلاني يستدلّ به كثيرا و يعود إلى مصنفه المشهور "قواعد في التصوف "و الذي جمع فيه مختلف مظاهر وشروط التصوف الفعلي، وقد قام بإعطاء نظرة جديدة و تصحيحية لمسار التصوف بعد أن انحرف في احدى الفترات و دخل عليه بعض الدخلاء الذين لا يتسمون بالتصوف إلا اسميا ، فجعل من مصنفه هذا مرجعا في التعاليم، الآداب، الأخلاق، المعاملات وغيرها ،فقد وجّه المعلم و المدرّس ونظّر للطالب والمريد و نظم أمور العلاقة بينهما، مؤلفات الشيخ زروق جدّ منتشرة في القطر الإسلامي، وقد استدل بها الورثيلاني كثيرا في رحلته فهي المرجع الأساسي للمغاربة عامة ، واهتمت أيضا منطقة القبائل بنسخها وتدريسها

[1]-الورثيلاني،ص.179.

[2]-نفسه،ص.529.

للطلاب في الزوايا بحكم معرفتهم الشخصية والعلمية بالشيخ أنه كان طالبا بالمنطقة ومحبا للتصوف ، وكان للشيخ مكتبة جدّ ثرية بكل ما تعلق بالفقه المالكي و التصوف الإسلامي[1].

-كتاب الاعتبار في التعريف بالنسب المختار:

لم تقتصر المدونات في منطقة الورثيلاني عامة على الجانب الديني والفقهي فقط، بل تعدت إلى العلوم و الفنون الأخرى ما يثبت أن حركة العلوم وإن كانت قليلة فهي ليست منعدمة، فانتشر أيضا علم الأنساب و الذي اهتم به كثيرا به الأشراف و المرابطين للحفاظ على شجرتهم العائلية ، فاحتفظت العديد من الأسر بشجرة أنسابهم و بقية حبيسة رفوف المنازل ، إلا أن هناك من اهتم بالنسب الشريف الشامل للمرابطين و الأشراف في الجزائر و المغرب و مختلف القبائل والأعراش وهو "ابن فرحون" والذي دوّن نسب عديد قرى و أعراش بجاية وحوض الصومام ما جعل سكان أهل البلدة يحفظون هذا السند و يحتفظون به في زواياهم قبل ديارهم، فلاحظنا أن هذا المخطوط منتشر بكثرة في أماكن اجتماع عقّال القرية و عند مكتبات الزوايا لأنه وثّق جلّ مرابطي المنطقة[2].

عنوان الدراية للغبريني :

قلّ الحديث عن التاريخ لقلة المؤرخين وليس لقلة الأحداث التاريخية، فلم يهتم أهل الجزائر بكتابة التاريخ بصفته علم خاص به وإن كان المسلمون هم السباقين لتدوين التاريخ، ما جعل الورثيلاني هو بنفسه يقرّ بذلك و جعل من رحلته أن تظفي بعضا من المعلومات التاريخية الثقافية حول علماء الجزائر ، ومن بين الكتب التاريخية المنتشرة في عهد الورثيلاني على ما يذكر كتاب" عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" لمؤلفه المشهور أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني " و الذي اعتنى بعلماء وصلحاء بجاية بالخصوص، ما جعل هذا المصنف كثير الانتشار وقد أورد عديد متصوفة منطقة القبائل وحتى من منطقة الورثيلاني ما زاده انتشارا في هذه القرى و القبائل، فبحكم أنّ الكتاب تناول أهل التصوّف فبطبيعة الحال سيحظى بنسخ متعددة لدى مرابطي ومتصوفة البلدة، فاستند الورثيلاني عليه كثيرا في حديثه عن الأولياء في زيارته الأولى و الثانية إلى بجاية و في تطرقه للتعريف بهؤلاء الأولياء .

[1]- الورثيلاني،ص،202.

[2]- المخطوطة متواجدة بمنطقة الرحالة ،كون المؤلف تطرق لعديد الاعراش والقى و بزوايا المنطقة منها قرية الشرفة.

تعلق أيضا المصنف بكل ما تناول كرامات أولياء بجاية المتعددة[1] ،ما جعله مصدرا للورثيلاني للتركيز على هذه المسألة و التي كثيرا ما نوه عليها الورثيلاني وصدقها.

تعددت المصنفات المنتشرة في عهد الورثيلاني، فعلم ذلك العصر اقتصر على الشروح والحواشي وإعادة ما شُرح و المختصرات و اختصار ما اختُصر، فلا نكاد نجد الجديد من العلوم أو من الكتب، فهذا ما جعل الورثيلاني يُكثر من ذكر الشروحات والحواشي، حتى صاحب الرحلة شرح عديد الكتب وحشا بعضها، فتلك سلعة العصر فتراجع التأليف بصفة عامة ومن أهم هذه الشروح و الحواشي التي ذكرها في ثنايا الرحلة مستدلا بها أنه طالعها، راسلها، أُجيز فيها، علّمها ،اقتناها وتبادلها منها: شرح رسالة أبي زيد القيرواني للشيخ زروق في المذهب المالكي وهي من جملة كتب السادة المالكية التي لاقت رواجا كبيرا في شمال إفريقيا بحكم أنه مذهب العامة، شرح السلم للشيخ عبد الرحمان الأخضري ،شرح الصغرى للمراكشي، شرح كبرى السنوسي، شرح مختصر البخاري لابن أبي حمزة، شرح مختصر الحاجب للشيخ عبد الرحمان الثعالبي، شرح المدونة بمختلف شرحها فشرحها الكثير و توجد بها عديد الشروحات مثلها مثل شرح مختصر الخليل، شرح الموطأ للزرقاني وتوجد أيضا شروحات أخرى ومنتشرة بكثرة لنفس السبب وأن أهل شمال إفريقيا من أتباع الإمام مالك بن أنس فمنطقيا تكون مؤلفاته منتشرة بكثرة، كتب التفاسير منها تفسير الجلالين ، تفسير الثعالبي، حاشية الحفناوي، حاشية علي الصعدي وكتب السنة كالبخاري ومسلم وغيرهم.

انتشر أيضا في هذه الفترة نوع آخر من الكتابات وهي الألغاز والرسائل، وقد عرف هذا العصر في الجزائر نِتاجا كثيرا منها ما يراسل بين العلماء والفقهاء ومنها ما يُراسل بين العامة والعلماء ومنها أيضا مراسلة علم ومنها يجيب العالم على احدى الفتاوي أو الألغاز منها رسالة الورثيلاني في شرح رمز سيدي أحمد بن يوسف، رسالة السمرقندي في الاستعارات، رسائل سيدي يحي العيدلي، رسالة الورثيلاني في شرح قول بعض الأولياء ، وعن الظاهرة الأدبية الأخرى التي أخذت حيزا كبيرا في هذا العصر وهي ظاهرة الألغاز التي يكتبها العلماء و يجيب عنها أهل العلم والخصاصة ومنها لغز(الرمز) مثل المز الذي أرسله الشيخ احمد بن يوسف المليانى وغيرها.

1-2-العلوم المنتشرة في الوطن الإسلامي

تعددت العلوم في عهد الورثيلاني كما يذكرنا و إن قلّت و هذا راجع لما أصاب العالم الإسلامي في تلك الفترة و للجزائر جراء دخولها تحت الحكم العثماني، و إن كان الأمر مفروضا على الجزائريين أن يبقوا مهمّشين علميا نتيجة عدم احتوائهم على جامعة أو مدرسة عالمية تستقطب العلماء والطلبة ،ولم يفن من عزيمتهم فشيدوا بعضا من دور

[1]-الورثيلاني،ص.24،25.

العلم التي أقاموها بأموالهم الخاصة لخدمة العلم والدين، فعلى هذا نجد ضمن الرحلة بعض الإشارات للعلوم المنتشرة و المغيبة في المنطقة وإن كان جلّها من العلوم الدينية بحكم المؤسسة و هي الزاوية فمن خلال مفهومها مكانا للتعبد و تطبيق الشعائر الدينية و العمل على تلقين النصوص و العلوم الدينية و يوجد بها بعض من العلوم العقلية التي ارتبطت بالعقل و المنطق وعلوم اللغة.

– الشعر الموزون:

انتشر الشعر الملحون المنشود بالأمازيغية وهو عبارة عن قصائد دينية تمدح الرسول و تذكر الناس بأخلاق وصِفات النبي صلى الله عليه وسلم وأصبحت فنا أدبيا منتشرا بالمنطقة يقرأ في أيام الفرح والحزن و بعد إقامة الشعائر الدينية وخاصة الصلاة ،و في حلقات العلم وأثناء عودة الحجاج من الديار المقدسة تقام هذه الحفلات الدينية في المناسبات الدينية مثل عاشوراء، المولد النبوي وغيرها فبها حافظت المنطقة على مقوّماتها و إرثها الديني والحضاري واللغوي والثقافي بصفة عامة، ومن هؤلاء الشعراء المعروفين بالمنطقة المرابط علي بن درار وهو من شعراء الرسول عليه الصلاة والسلام[1]، قال عنه الورثيلاني لو أن شعره دُوِّن بالعربية لكان يُكتب بسواد العين لما فيه من إتقان وعلم لدني.

النحو وعلوم اللغة :

ارتبطت اللغة العربية و علومها بالديانة الإسلامية، وكنتيجة حتمية وجوب فهم الدين يستوجب تعلم اللغة العربية، أقرّ الورثيلاني أن أهل البلدة ليسوا متضلعين في اللغة وعلومها فقلّ فقه الإعراب مستدلا بذلك بحادثة والده بمصر فصعب عليه إعراب احدى الجمل ،وهذا لا ينطبق على عامة العلماء وأهل العلم فمنهم من خاصيته في اللغة فذكر لنا ابن معطي الزواوي صاحب الألفية ،و العالم المتبحر في علوم اللغة "الشيخ محمد العربي" الذي قال عنه" ذلك النحوي اللغوي المحدث المفسر الأديب الفقيه الجامع بين المعقول والمنقول"[2] فهذا تعبير صريح عن وجود أهل اللغة وإن قلّوا.

فجلّ المناطق الجزائرية اهتمت بالمسائل اللغوية فلا نكاد نجد منطقة لا يوجد به أهل النحو و اللغة والفقه والدين، فعند دخوله إلى "الخنقة" وجد أهلها مشتغلين باللغة والفقه منها علوم النحو والحديث وغيرها وبقراءة صحيح البخاري مع تفاسيره المتعددة، فهذه العلوم كلها منتشرة وواظب عليها أهل المذهب المالكي.

---

[1]–الورثيلاني،ص35.

[2]– نفسه،ص.57.

-علم الكلام:

اختصت منطقة الورثيلاني بظهور العديد من أهل العلم الذين اختصوا بدراسة عقيدة الفكر الإسلامي و المعروف أيضا "بعلم التوحيد" وعلم أصول الدين" والذي يتوجّب على الإنسان استعمال عقله للوصول إلى الحقيقة وهذا ما أظهر جليا الخلاف والنزاع بين أهل العقل والنقل في هذا العلم ،فأهل النقل يرَون أن الأمر يجب العودة للكتاب والسنة وفقط ولا يمكن إدخال العقل لتفسير وتحليل هذه المسائل، بخلاف أهل علم الكلام الذين يرون بضرورة استعماله، فهو ذلك العلم القائم على الاستشهاد بالأدلة والحجج للوصول إلى صحة العقائد الإيمانية ،فهذا العلم يتطلب توفر القوة العلمية والدينية وقوة الحجة ما يجعل صاحبها غزير العلم وكثيف العلوم، ومن بين من جردهم الورثيلاني في منطقته الشيخ المسعود بن عبد الرحمان[1] وأولاده أيضا من أهل علم الكلام فقد تعلموا على والدهم و هم الشيخ السعدي وعلي.

هذا العلم شحيح و منبوذ ، نبذه العديد من أهل الدين ما جعله شحيحا، ففي " خنقة الناجي" استفسر الورثيلاني عن سبب عدم وجود أهل علم الكلام بالمنطقة وعدم اهتمامهم بدراسة وتعليم هذا العلم الذي يدعو إلى معرفة الحقيقة الإيمانية بواسطة العقل والمنطق، فكانت إجابة أهل العلم منهم "وهل يحتاج الشمس إلى دليل" [2]وقد استمدوا نبذهم لعلم التوحيد من كلام "ابن أبي جمرة" الذي نهى الخوض في مسائل علم التوحيد حتى وصل الأمر إلى درجة التحريم وليس النهي فقط.

وهذا العلم الذي يرتبط بعلم التوحيد الذي قلّ محقّقوه من مصر إلى الجزائر وانعدم في طرابلس عامة، فالعلم مقرون بالمال والنفقة فمنطقة طرابلس أصابها الفقر والجو وقلّ إنفاق المال على العلم ما جعل بها العلم قليل جدا، ومن ابتغى العلم انتقل إلى مصر أو تونس[3].

-التصوّف :

انتشار التصوف لم يكن بصيغة العلم والتدريس فقط، فكان سلوكا ظاهريا فعليا متجليا في الأخلاق، العبادات والمعاملات بغض النظر عن العلوم المدرّسة فيه، فهو علم قائم بذاته وإن كان منشقا من العلوم الدينية وأضيف عليه كما سماه ابن خلدون "بعلم السلوك" وحذي نفس طريق الورثيلاني فجعله سلوكا، فهذا العلم من أهم العلوم المنتشرة في كل الأمصار لتشبث النّاس بمشايخ الطرق الصوفية ورغبتهم في التقرّب إلى الله والتضرّع إليه ما جعلهم يواظبون على هذا السلوك لما وجدوا فيه من راحة نفسية وروحية ، وتجليات هذا العلم في الكمّ الهائل من المدوّنات

---

[1]-نفسه،ص.65.

[2]-نفسه،ص.117.

[3]-نفسه ،ص،621.

والمصنفات التي أُنتجت فيه وفي عدد الطلبة القادمين إلى مختلف الزوايا والمساجد لأخذه والعمل على نشره في أوطانهم الأصلية، فمن بين أهم متصوفة الجزائر في العهد العثماني والذي أثنى عليه الرحّالة كثيرا نتيجة إسهاماته العلمية والصوفية الكثيرة الشيخ عبد الرحمان الأخضري والذي ذاع صيته في مختلف الأرجاء.

الحساب :

تعد العلوم العقلية موازية للعلوم النقلية وإن طغت هذه الأخيرة بحكم التكوين العلمي للشيوخ والمدرّسين الذين تخرّجوا من الزوايا والكتاتيب، وإن كان هذا حقيقة تاريخية فلا يعني انعدام العلوم الحسابية كالجبر والهندسة، فمخطوطات الزوايا عامرة بها، فالعلوم الدينية تفرض على الطالب التمكّن من الحساب وهو كان بالشكل السطحي لما فيه من علوم متصلة بالرياضيات كعلم المواريث الذي يتطلب عمليات حسابية ذهنية دقيقة[1].

علم الفلك :

انتشر علم الفلك أو الموسوم علم الأوقات في الجزائر، فظهر العديد ممن أتقن هذا العلم وإن كان بعض الشيء بدائي فقط ارتبط كثيرا بظواهر التنجيم والتربيع ،إلا أن هذا لم يغن من وجوب أهل العلم الذي اتخذوا منه علما للاستفادة به في معرفة الأوقات وخاصة المتعلقة بالجانب الديني لإقامة الشعائر الإسلامية كالصلاة ، معرفة الخسوف والكسوف وغيرها و من هؤلاء العلماء من اهتموا بهذا العالم أورد لنا الرحالة العالم عبد الرحمان الأخضري الذي نظم قصيدة في علم الفلك[2].

علم الأوفاق

هو العلم الذي اختص بالحروف والأرقام والأسماء، وقد سماها ابن خلدون بعلم أسرار الحروف، ويطلق عليه باسم المربعات و كثيرا من ارتبط بالطلاسم والشعوذة لدى العامة وإن كان في الأصل مرتبطا بالحساب والرياضيات لارتباطه بالأحرف والأرقام و استقراء الكلمات من الأحرف التي توضع في أشكال هندسية سواء مثلثة أو مربعة الشكل ، و تدعى بالقوة السحرية لأنها تعطي لنا نفس الناتج للأرقام سواء حسبناها أفقيا أو عموديا أو قطريا ، إن هذا العلم شابه الكثير من الحديث حول مدى تحريمه أو مزاولته بحكم أنه يقوم بشرح بعض الصور والأشكال والرموز التي لا توافق الشرع و كثيرا ما يكون استخدامه في أمور نهى عنها الشرع الإسلامي ، فهذا العلم كثير الانتشار لدى المتصوفة و بعضا من الذين امتهنوا من السحر والشعوذة مصدر عيشهم فاستغلوا هذا الأمر في تخدير الناس و إغرائهم باستقراء المستقبل وقراءة الحدس ، فالورثيلاني عُرض عليه تعليم هذا العلم في بلدة "الخنقة"

[1]- مخطوط في الحساب والجبر ،عثرنا عليه بزوايا منطقة بني ورثيلان ، ينظر الملحق رقم 26.
[2]-الورثيلاني، الرحلة، المصدر السابق، ص.87.

من طرف الشيخ "أحمد التليلي" لكن رفضه[1]، ولم يكن سبب رفضه نتيجة إيمانه بتحريم أخذ هذا العلم وإنما لارتباطه بمسألة السفر وكون قلبه مملوء بالخواطر الإيمانية و متشوق لزيارة بيت الله فلا يريد أن يُلهي نفسه بأمور أخرى.

علم الرحلة والتاريخ:

عدّ الورثيلاني فنّ الرحلة من العلوم التي يتوجب الاهتمام بها والعمل على تدوين مختلف الرحلات التي يقوم بها الإنسان وخاصة المرتبطة بالجانب الروحي الصوفي، التي تنير العقول وتشوّق القلوب للوصول إلى بيت الله وزيارة المشاهد المقدسة[2]، فهي من علم التاريخ التي تورد الأخبار وتنقل علوم الأخرين مما يساعد على معرفة الأشياء والأماكن، فارتباط الرحلة بالتنقل ما يضفي على السامع والقارئ معرفته بأمور الطريق وما بها من أمور ويصِف له جميع مالهاه مما يسهّل عليه أتعاب السفر، فارتباط الرحلة بعلم التاريخ انبثق من تدوين سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبه فضلا كبير، فمعرفة الطريق عن طريق النّص الرّحلي تشتاق النفس في الذهاب إلى بيت الله، ومعرفة الاستطاعة والقدرة تكون ببيان مراحل وأصعب الأماكن وأسهلها وبين المسافة بين المعاطن .وعلى هذا جعل الورثيلاني الرحلة من أهم المصادر التي تجب على الوافد لبيت الله الاطّلاع عليها لمعرفة ما يجب أن يكون معه ومالَه عليه من أمور، فحاجة الفرد إلى تهيئة نفسه أهم من سفره و ترحاله، فعلم الرحلة وعلم التاريخ في نظر الورثيلاني عبارة عن مرآة عاكسة لما يواجه المسافر في طريقه، فالمتمعن في رحلة الورثيلاني أنه اهتم كثيرا بتقديم المعلومات السلبية كأماكن السرقة، خبث ومكر الباعة، الجفاف والعطش، أماكن الجور والاعتداء، طريقة المشي ...وغيرها كلها أمور يجب على المسافر أن يقي حذره منها ، ويمكن القول أنه أسّس لمفهوم علم الجغرافيا لما قدمه الرحالة من معلومات جغرافية للبلاد التي زارها.

يُقِرّ الورثيلاني أنّ علم التاريخ والرحلة مرتبطان ببعضهما البعض ولا يمكن الانفراد بأحدهما عن الآخر وإن أنكر هذا العلم أبناء جلدته فلم يهتموا بهما، وأظهر اطلاعه الشديد على هذين العلمين من خلال ما اقتبس من مؤلفات، كتب التاريخ ذكرناها سابقا- وعن كتب الرحلة اعتمد على الرحالة المغاربة "العياشي والناصري" والرحلات الأخرى كابن بطوطة، ابن جبير وغيرهما وإن كان اقتباس هذين الأخيرين غير مباشر بواسطة الرحالة الناصري.

---

[1]-نفسه،ص.119.

[2]-نفسه،ص.143،144.

علم القراءات :

ارتبط هذا العلم بعلوم القرآن الكريم، وقد نُزل القرآن على سبعة أحرف، فيختلف نطق بعض الأقوام عن الأخرين ،فظهرت عدة قراءات إلا أنها لم تختلف في مفهومها ومعانيها، إنما هو علم اختص بعلم الكلمات وكيفية نطقها واستحدث هذا العلم من أجل صيانة كلمات القرآن الكريم من التحريف والتزييف التي يطولها مع الزمن و بازدياد الأمصار التي تدخل الإسلام، فهذه القراءات المختلفة لبعض نصوص القرآن الكريم توحدت في المعنى وان اختلفت في النطق، ومن أهم هذه القراءات نجد: قراءة نافع، ابن كثير، أبي عمرو البصري، ابن عامر الشامي، عاصم، حمزة الكوفي، الكساني.

هذا العلم جدّ منتشر في عديد الأماكن ومها الحواضر العلمية وقد أخذه الورثيلاني هذا العلم على يد الشيخ العالم أبو القاسم الربعي القسنطيني"[1]، ويذكر أيضا أن هذا العلم منتشر بغزارة في مصر بالجامع الأزهر.

2-اهتمام الورثيلاني بالطرق الصوفية

2-1-الطرق الصوفية من خلال رحلة الورثيلاني.

بحكم حديثنا عن شخصية الورثيلاني وحياته ،علومه، زاويته، أسفاره، تصوّفه يستدعى القارئ والباحث أن الورثيلاني متصوفا أبا عن جدّ وهذا لا يخفى عن أي كان ،فالتصوف هو جوهر الورثيلاني وقد دعا إليه والعمل على تثبيته وتوطينه في البلاد، فلا أحد يختلف في مسألة تصوّف الرحّالة ، فالإشكال المطروح هل الورثيلاني انتمى إلى أحدى الطرق الصوفية ؟ هل ساهم في نشر الطرق الصوفية إذا اعتبرنا أنه مريد لاحدى الطرق الصوفية؟ فكما هو معروف وإلى يومنا هذا منطقة بني ورثيلان مسقط رأس الرحالة لا توجد بها طرق صوفية ولم تتواجد من قبل كون أهلها من المرابطين الأشراف ،وحتى زوايا المنطقة تُنسَب إلى زوايا المرابطين وليس إلى زوايا الطرق الصوفية.

من نظرة العمل الصوفي التطبيقي المتمثل في الطرق الصوفية لم يساهم الورثيلاني في نشرها كمعتقد أو كسند، فالورثيلاني شاذلي الطريقة ومنطقة جرجرة وحوض الصومام رحمانية الطريقة، فالتعايش الديني والمذهبي بين الطرق الصوفية كان سائدا بين العلماء والفقهاء وأحيانا تحدث خلافات بين الأتباع والمريدين وإن كان هذا فلا يؤثر على طبيعة التصوف الجوهرية التي تدعو إلى التسامح والمحبة والأخوة.

تطرق إلى الطريقة الشاذلية وذكر بعضا من شيوخها وعلى من أخذ العلوم الصوفية والنهج الشاذلي من خلال الورد الذي أخذه عن الشيخ والخِرقة التي ألبسها إياه شيخ الطريقة بمصر.

[1]- نفسه،ص.299.

الطريقة الشاذلية :

تعد الطريقة الشاذلية بشمال إفريقيا من أمهات الطرق الصوفية بحكم أن منشأها ببلاد المغرب، و التي عرفت انتشارا واسعا في كامل القطر الإسلامي وبالخصوص في القطر الذي تأسست به بين المغرب الأقصى إلى ليبيا، ففي هذه المناطق تحديدا عرفت رواجا كثيرا ومنها تفرّعت طرق صوفية أخرى انبثقت منها وأسست لنفسها زوايا وجعلت أورادا مستقلة عن الطريقة الأم.

تنتسب إلى الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي، الذي ينحدر من قبيلة "غمارة" القريب من مدينة "سبتة" والذي يعود تاريخ ميلاده إلى 593هـ الموافق 1196م/1197م ومنها انتقل إلى منطقة "شاذلة" بتونس، وتقول الكتابات عن هذه الحادثة أن الشيخ عبد السلام بن مشيش من أمره بالذهاب إلى هذه البلدة وأنه سيكون منارة للعلم ومهدٍ للناس في التصوف وسيكون له شأن كبير، وبالفعل قام بما طلبه منه، فانتقل إلى شاذلة فاشتق منه اسم طريقته فأصبح شيخ طريق صوفية تسمى "الشاذلية"[1] فقال له :" «يا علي: ارتحل إلى افريقيا وأسكن بها بلدا تسمى شاذلة فإن الله تعالى يسميك الشاذلي. وبعد ذلك تنتقل إلى بلاد تونس، ويؤتى عليك من قبل السلطنة، وبعد ذلك تنتقل إلى بلاد المشرق وترث فيها القطبانية قال: فقلت له يا سيدي أوصني فقال لي: الله الله والناس. تنزه لسانك عن ذكرهم وقلبك عن التماثيل من قبلهم وعليك بحفظ الجوارح وأداء الفرائض وقد تمت ولاية الله عليك ولا تذكرهم إلا بواجب حق الله عليك وقد تم ورعك.

الشيخ عبد السلام ابن مشيش شيخ أبي الحسن الشاذلي، والشيخ أبي مدين شعيب التلمساني شيخ أبي عبد السلام بن مشيش ،وبهذا تكون الحلقة كاملة أن دخول التصوف لبلاد المغرب كان بفضل جملة من العلماء والمتصوفة وفي مقدمتهم الشيخ أبي مدين شعيب التلمساني الذي التقى بالشيخ عبد القادر الجيلاني بمكة المكرمة ومنها بدأ الفكر الصوفي ينتقل إلى المغرب الإسلامي وينتشر.

فالمدرسة المدِيَنِيَة استمرت وتفرعت بها طرق عديدة جدا ومنها الشاذلية بحكم التوارث العلمي والمشيخي الذي أخذ الشيخ أبا الحسن الشاذلي، ومنها مدّ صاحب الطريقة التصوف في مختلف أرجاء الأمصار و المعروف بكثرة رحلاته و تنقلاته بين المشرق و المغرب من طلب العلم و تدريسه، توفي أبو الحسن الشاذلي في طريق الحج إلى مكة عام 656هـ/1258م بالقرب من "حميزا" بصحراء "عيذاب" وبهذا المكان أُقيم قبره وضريحه[2].

[1] - Depont(O) et Coppolani(X).Les confréries religieuse musulmanes. op.cit. P.444.

[2] -LUIS (R) , Marabouts Et Khouans .op.cit,P.226.

تكاثرت ذرية أبي الحسن الشاذلي وانتقلت إلى عديد الأمصار والقبائل ،فالورثيلاني أورد لنا أحد حفدته الذي انتقل إلى منطقة بني ابراهيم ببني ورثيلان واستقر بها ودأب على نشر العلم والدين بين أواسط أفراد القبيلة وهو الشيخ سيدي علي بن عبد العزيز، الذي يحترمه الجميع ويقدره يعتبرونه مرابطا وله ضريحه معلوم ولازال إلى يومنا يُزار، إلا أن الورثيلاني قدم لنا شجرته العائلية قائلا: "الولي الصالح العلامة الفاضل والمحقق الكامل والنفاد الابريز سيدي علي بن عبد العزيز من ذرية سيدي الحسن الشاذلي كما كان بخط الجم الغفير والعدد الكثير أنه من ذريته وهو نجل الشيخ الولي الصالح سيدي عبد العزيز الخراز، أما قبر سيدي علي فهو في بني ابراهيم وأما ضريح أبيه سيدي عبد العزيز فهو في الزاب أي في الصحراء وهو معلوم في بلد الدوس[1].

تفرعت هذه الطريقة بمختلف أنحاء شمال إفريقيا عامة، فمؤسسها مغربي الأصل وتأسيسها بتونس، وتعود أصول هذه الطريقة إلى المدرسة المدِيَنِيَة الشعيبية التي أقيمت على فكر وذهنية المغاربة مما جعل التقارب الفكري، الصوفي والديني عامة متداخلا مع عقلية المغاربة وهذه من أهم العوامل التي ساعدتها في الانتشار، وانتشارها عبر طريقتين مختلفين الأولى بواسطة الشيخ والزاوية الأم، والطريقة الأخرى عبر الزوايا الفرعية والتلاميذ الذين أصبحوا مع الوقت مدارسا وطرقا صوفية، استلهموا من الطريقة الأولى الأم ومنها أضافوا عليها أورادا خاصة بهم وأصبحت طرقا قائمة بذاتها إلا أنها تعود إلى الأصل الواحد، ومن أهم هذه الطرق المنبثقة عن الطريقة الشاذلية:

الطريقة الجازولية: تأسست بالمغرب الأقصى، من فروع الشاذلية، مؤسسها الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن أبو بكر بن سليمان والذي ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، نُسبت إليه الطريقة نسبة إلى موطن الشيخ بقرية "جزولة" بسوس الأقصى، تعلم بفاس والتقى بالشيخ أحمد بن زروق مؤسس الطريقة الزروقية، وأخذ الشيخ منحى الصوفية وبقي في خلوته لمدة 14 سنة ، ويقدّر أتباع هذا الفرع بالمغرب الأقصى عموما حوالي 12665مريد.

الطريقة الزروقية: مؤسسها الشيخ أبو العباس أحمد بن أحمد بن عيسى البرنسي الفاسي المعروف الزرّوق نسبة لزرقة عينيه، بمنطقة "برناس" بضواحي فاس بالمغرب الأقصى عام 846هـ/1142م، ومنها اشتق لقبه البرنوسي نسبة إلى قبيلته برناس[2].

انتقل إلى بجاية للتدريس وبقي بها مدة طويلة ينشر العلم بين أبناء البلدة[3] ، فعرفت طريقته باتباع الكتاب والسنة وحارب كل مظاهر الشرك والسلوكات المنافية للقيم الإسلامية السمحة، فمع الوقت أصبح اسمه مرتبطا بالعلم

[1]- الحسين الورثيلاني ، الرحلة ،ص،73.

[2] - LUIS (R) , Marabouts Et Khouans .op.cit.P.457.458.

[3] --Bouabdelli (M),Le cheikh Mohamed ben Ali el- kharoubi.R.Af.V.96.(1952).P.331.

والدين وليس بالطريقة فالملاحظ أن أهل المنطقة لم يصبحوا مريدي الطريقة الزروقية الشاذلية فقط، بل جعلوه وليا صالحا مثل المرابط ،وعرف بمؤلفاته الدينية والصوفية وقد استشهد به الورثيلاني كثيرا في المسائل الدينية و الصوفية.

الطريقة الناصرية: تنتسب هذه الطريقة إلى الشيخ "أحمد بن ناصر الدرعي" وهو الرحالة المشهور صاحب الرحلة الناصرية والتي اعتمد عليها الورثيلاني كثيرا وأثنى على الرحالة كثيرا، ترتبط في سلسلة المشايخ إلى الشيخ أحمد المليانى ،مقر الزاوية الأم متواجد بمنطقة "تمقروت" بواد درعا أين يتواجد ضريح الشيخ بحكم أنه مؤسس الطريقة[1]،أتباع الطريقة الناصرية–الشاذلية أقلة وزواياها قليلة جدا، فحسب كابولاني يعد 641 مريدا في القطاع الوهراني وبعضا في الجنوب الشرقي لقسنطينة[2]، ما يعطي لنا إحصاءات أنها غير منتشرة، ومن جهة أخرى نجد أنّ لها بعضا من الأتباع في منطقة القبائل ولكن لم يُسهِموا في نشرها بل جعلوها لأنفسهم فقط –وفي هذا الأمر يجب الإشارة أن العديد من أصحاب الطرق الصوفية الذين دخلوا لمنطقة القبائل تركوا طرقهم وأصبحوا من الأولياء الصالحين والمرابطين فلم ينشروا المبادئ والقواعد والأوراد باسم الطريقة – فهذا ما أورده لنا الورثيلاني عن شيخه سيدي علي بن أحمد تلميذ الشيخ العلامة سيدي محمد العربي الذي استوطن بجبل سيدي الموهوب ،وكان شيخ الورثيلاني على الطريقة الناصرية الشاذلية وقد علمه الألفية وأجازه فيها[3]، وعلى ضوء حديث الورثيلاني نجد أن فروع الشاذلية منتشرة بالجزائر بكثرة ولكن مستترة غير ظاهرة للعيان وحتى الورثيلاني نفسه يقرّ أنه شاذليّ ولكن لم يكرّس نشر الشاذلية ببلدته ظاهريا ومنطقيا يكون قد نشرها بين العامة من خلال سلوكاته وصفاته وفتاويه وأخلاقه أي بطريقة غير مباشرة .

نتوقف عن هذا في التعريف وسرد فروع الطريقة الشاذلية وهذا بحكم تشعبها، فذكرنا هذه العيّنات لأن الرحّالة تطرّق إلى هذه الفروع وإن ذكره عبارة عن كلمة أو توظيف اسم الشيخ أو أحد طلبته، فثبت لنا الورثيلاني حقا أنّ التصوّف منتشر باسم الطرق الصوفية باطنيا وباسم الولاية والصلحاء ظاهريا ، وعن الفروع الأخرى من الطرق التي انبثقت من الشاذلية نجد: اليوسفية، الغازية، الشيخية، الشابية، الطيبية، الحنصالية، الزيانية، الكرزازية، الدرقاوية، المدنية، المكاحلية.

---

[1] -Luis(R), op-cit.P.278.

[2] - Octave Depont et Xavier Coppolani, LES CONFRÉRIES.....,op-cit.P.480.

[3] – الورثيلاني ، الرحلة ، المصدر السابق،ص.58.

2-2- الورثيلاني وعلاقته بالطرق الصوفية:

- الشاذلية:

يعد الورثيلاني من أتباع الطريقة الشاذلية التي أخذ معالمها وأذكارها من الشيخ عبد الوهاب العفيفي ،شيخ الطريقة الشاذلية ومتصدر لتربية المريدين و تلقينهم على الطريقة و السلوك الشاذلي بالديار المصرية، وقد أخذ عنه البركة والخرقة وشاهد الحضرة الصوفية وأخذ عنه طريق الشاذلية ورسم عنده سبيل الحقيقة ولقّن له الأذكار وجددّ عليه العهد الموثوق بين المريد والشيخ[1]، فهي إشارة من الورثيلاني أنه كان شاذليّا قبل أن يذهب للحج في المرة الثالثة أين التقى بالشيخ فتجديد العهد يكون بإبرام العهد الأول.

عائلة الورثيلاني، عائلة علم وتصوّف، استلهموا من الشاذلية طريقا لهم ،فشيخ الورثيلاني شاذلي وشيخ والده يعد شيخ شيوخ الشاذلية وتلميذ الورثيلاني شاذلي ما يوحى لنا أن البيئة التي عاش وتعلم الرحّالة كلهم شاذليون وإن اختلفت فروعهم بين الشاذلية والناصرية-الشاذلية فهي لم تخرج عن الإطار العام للطريقة الأم.

صحب الورثيلاني ولده محمدا، للحج في المرة الثانية وهو طفل صغير وقد لقّنه الشيخ العفيفي ورد الشاذلية وأخذ العهد منه وهو صغير رغبة من والده في توريث السلوك الصوفي الشاذلي في ذريته كما ورّثه والده وجده في أبنائهم وحفدتهم.

أجاز شيخ مريدي الشاذلية بمصر للورثيلاني نشر الطريقة وتلقينها للمريدين في الأمصار التي درّس بها لكن لم يذكر يوما أنه لقّن لأحد أذكار الشاذلية أو دعا الناس إلى الدخول لهذه الطريقة، فكان مؤمنا بالتصوف السني والذي محله القلب وثمرته السلوك.

- الخلواتية:

نهل الورثيلاني من أمهات الطرق الصوفية بمصر، فاتخذ من الشاذلية والخلواتية طرقا له، فهذه الأخيرة التي أخذها عن الطريقة الجنيدية، فهو السائد والمنتشر بشمال إفريقيا "المذهب المالكي، العقيدة الأشعرية، الطريقة الجنيدية"، أخذ الورثيلاني الطريقة الخلواتية على الشيخ الحفناوي ولقّنه الذكر عن أشياخه وأذن له في العطاء وتقديم الذكر والورد للطلبة و المريدين المقبلين على هذه الطريقة [2]، انتشرت هذه الطريقة بكثرة وتعددت فروعها وقد أخذت طريقة النبي صلى الله عليه وسلم ويقول مؤسسها أن طريقته محمدية، وتعد أقرب وأنزه الطرق الصوفية لتتبعها الطريق الإسلامي الصحيح وبُعدها عن الخرافات والشعوذة والشطحات الصوفية وكان لها انتشار في القارة السمراء

[1] -نفسه،ص.288،289.

[2] -نفسه،ص.292.

بالخصوص في إفريقيا جنوب الصحراء فالبرغم من تواجد طريقتين كبيرتين القادرية والتجانية إلا أن أتباع الطريقة الخلواتية متواجدون أيضا بها ويُطلق عليهم بـ" إنْسَلْمَنْ" أي " المسلمون" نتيجة اعتمادهم الشريعة الإسلامية وابتعادهم عن الشبهات[1].

انتشرت الطريقة الخلواتية بمنطقة الورثيلاني "بني ورثيلان" ومنطقة القبائل بصفة عامة بكثرة، وفي مدة وجيزة أصبحت الطريقة الأكثر انتشارا في الجزائر، ممثلة بفرعها "الطريقة الرحمانية التي أدخلها الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري الذي استمد الطريقة من مصر، نفس الشأن بالنسبة للورثيلاني ،الفرق بينهما يمكن الأول لم يعمل على نشرها مثل الشيخ عبد الرحمان الأزهري الملقب بالجرجري، ففي البداية كانت تسمى الطريقة الخلواتية و بعدها أخذت من اسمها "عبد الرحمان" الطريقة الرحمانية.

ساهمت رحلة الورثيلاني الثانية والثالثة إلى الحجاز بنقل الطريقة الشاذلية من المشرق إلى الجزائر وتجلى ذلك في نشرها بين التلاميذ و المشايخ عن طريق الدروس التي كان يلقيها في المساجد والزوايا لطلبته، وإن لم تكن زاويته تحمل نهج الطريقة الشاذلية فهذا لا يعني أن فكره أيضا يكون بمعزل عنها ، فتلاميذه استمدوا من الورثيلاني ، والورثيلاني استمد من مشايخ مصر بعد أن عاد من رحلته واستقر بها مدة تقارب الستة أشهر، ونفس الأمر قام به الشيخ عبد الرحمان الجرجري الذي حذي حذو الورثيلاني ونشرها في منطقة القبائل.

واصلت زاوية الورثيلاني تدريس الطلبة وتلقينهم أصول التصوّف على الطريقة الشاذلية لكن دون إبراز معالم هذه الطريقة وبقاءها محصورة لدى مشايخها وكبار التلاميذ ففي هذا نجد ولده محمد شاذلي، وتلميذه العياضي أيضا شاذلي ولكن لم يعرف عنه يوما أنه ألّف في أوراد وأذكار الشاذلية أو في فضل شيوخ هذه الطريقة وكيفية اتباعها، بل ترك الأمر حرا للعامة وهمه هو إرشاد الناس إلى الطريق الصحيح وإبعادهم عن الظلال والشبهات والمحرمات التي انتشرت بكثرة نتيجة عدم اهتمام النظام القائم بأحوال الناس ما جعل العامة تعيش في فوضى عارمة.

3-اهتمام الورثيلاني بالتصوف :

3-1- المفاهيم الصوفية المتداولة رحلة الورثيلاني :

تناول الورثيلاني في رحلته العديد من المفاهيم الصوفية وتجلت بصفة جدّ مميزة في الحديث عنها وأسهب في الحديث بها :

[1] -Triaud Jean-Louis. Hommes de religion et confréries islamiques dans une société en crise, l'Aïr aux XIXe et XXe siècles. Le cas de la Khalwatiyya.. In: Cahiers d'études africaines, vol. 23, n°91, 1983. P.239.

الزهد: تعد مرتبة الزهد في نظر المتصوفة من أسمى المراتب التي يصل إليها الإنسان، التي بها يتقرب العبد من ربه ولا يكون ذلك التقرب إلا بالحب والطاعة والعمل على تطبيق ما شُرع من الخالق وترويض النفس على حب الخالق وترك حب الخلق، فالورثيلاني جعل مقام الزهد أعلى من العلم، الفضل، الحلم، الإحسان، الأدب، الحياء والبركة، فالوارع الزاهد إن اتصف بهذه الصفة وجب عليه أن يكون حائزا على جميع الصفات والأخلاق التي تدنو من تلك المرتبة، فجعل صفة الورع والزهد من صفات الطريق التي تؤدي إلى سبيل النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فالوصول إلى مرتبة الزهد تجعل العبد يتخلق بمعاني الأسماء والأوصاف الإلهية ظاهرة راغب في الدنيا وباطنه خال منها، فيجب أن يجعل الدنيا أمانة في يده والأمين لا يضيع الأمانة إنما يحفظها أو يردها لصاحبه ،فهؤلاء الزهاد الذين لم يصلوا إلى مرتبة التصوف، فالزهد أولى مراتب التصوف ،فهؤلاء الزهاد استمدوا زهدهم وسلوكهم من زهد وسلوك النبي قبل البعثة اذ بقي متعبدا زاهدا في الغار[1] وحتى في حياته اليومية فجعل منه الأتباع قدوة رغبة في الوصول إلى جزء يسير من أخلاقه وصفاته العليا.

فالزاهد في نظر الورثيلاني ذلك العبد المتّبع للسنة النبوية والشريعة المحمدية وقد قسّم الزهد إلى أقسام حسب درجة إيمان وحب الدنيا، فنجد زهد العامة والخاصة وخاصة الخاصة، فالنوع الأول أوجبه الله تعالى على جميع خلقه فهم لا يفرحون إذا أقبلت ولا يحزنون إذا ذهبت ،وزهد الخاصة يفرحون إذا ذهبت عنهم الدنيا ويحزنون إذا أقبلت عليهم لأنهم يدركون أنها سمّ وتبعدهم عن طاعة الله و تلهيهم بملذاتها وشهواتها مما يجعل تقربهم لله يقلّ، والقسم الثالث والأخير فهم خاصة الخاصة فلا يشاهدونها إطلاقا سواء أقبلت أو أدبرت عنهم وكأنهم في وقت غير وقتهم منقطعين لله ولعبادته وخدمته غير مهتمين بأمور الدنيا إطلاقا وأطلقوا ما في أيديهم رغبة في حب الله والتقرب إليه لنيل أعلى الدرجات [2]، فإذا فرح أو حزن العبد بذهاب أحدهم فهذا يدل أن له مكانة عنده وأنه معظّم ،فالأجدر أن يهتم الإنسان بالخالق ويترك الخلق في شؤونهم .

التصوّف:

يعد مصطلح التصوف في الفكر الصوفي من المصطلحات الجامعة لعديد الصفات والسلوكات، فمن هذا المنطلق اختلف العارفون والباحثون حول مدلوله واشتقاقه. فأهل التصوف والروحانيات يفسرونه بالتفسير الباطني والذي لا يستطيع تفسيره إلا من عايش التصوف والحياة الروحية ،ومن منظور آخر نجد العديد من التعاريف والتي أسهب فيها أهل التاريخ، الأدب ،الأنثروبولوجيا والدين في ضبط مفهوم المصطلح ،فالورثيلاني قدّم لنا تعريفا

[1] -Miguel Cruz Hernandez, Historia del pensamiento en el mundo islamico, desde los origenes hasta el siglo XII en Oriente,edicion Alianza Universidad Textos , Espana,2000.P.133.

[2] – الورثيلاني ، المصدر السابق،ص.180.

خاصا كونه جمع بين التعريف الاصطلاحي واللغوي قائلا: إن التصوّف من صفاء القلوب كون الله صفى قلوبهم من الأكدار ،فصفاء القلب يؤدي إلى صفاء النفس ما يجعلهم لا ينطقون إلا صواب وحق[1]، فصفاء نفوسهم جاءت لزهدهم عن الدنيا وعدم اتباعهم شهوات الحياة الدنيا وقد كان في عهد الدولة الإسلامية الأولى جماعة من فقراء المسلمين يجتمعون في احدى زوايا المسجد ويطلق عليهم "أهل الصفة"[2] نسبة لصفاء سرائرهم من حب الدنيا وتقربهم من الله.

للوصول إلى مرتبة الصوفي وضّح الورثيلاني بعض النقاط الهامة التي تجب في الشخص الذي يعتلي مرتبة الصوفي وليست متاحة للجميع، فالعمل من أجلها شاق والوصول إليها مبتغى الجميع والمثابر من أجلها قليل لصعوبة الدرب ولهذا يجب على الصوفي أن يتحلى بعديد الصفات و السلوكات الحميدة التي تميزه عن الآخرين لأنه من خاصية الله في عباده ويكون منزّهً عن الكذب والافتراء فمن علامات الصّديق أنه لو شهد عليه ألف بأنه زنديق لا يضرّه في ذلك ،وذلك لإيمانه الراسخ علم الباطن الذي يختص به الخالق أعلى منزلة وفضلا من علم الباطن الذي يهتم به الخلق ومنه يحكمون على صدق وجور العبد، ومن صفات الصوفي كثرة أعدائه فأهل الحق والخير يترصد بهم أهل الباطل فهم في كيد معهم ،لأنه يكشفهم ويظهر سرائرهم[3] ،وللمتصوفة مصنفات وطلبة ينشرون بها علم الحق ما يؤدي بهم إلى كشف بطلان الآخرين ونقد أخطائهم وإبعاد الناس عن ضلالهم، متوكلا على الله دون غيره في طلب حاجاته وليس مثلما يعتقد الآخرون أن الخير والبركة يستمدهما العبد من الشيخ.

3-2- نظرته للتصوّف:

يرى الورثيلاني أن التصوف أو كما يسميه علم السلوك متمّ ومكمّل من أجل الوصول إلى الحقيقة الربّانية ولا يمكن الاستغناء عنه، فقد قسّم العلوم إلى صنفين والمبتغى منها هي معرفة الله، ومعرفته لن تكون إلا بالتقرب إليه ومنه ،وهذا التقرّب لن يحدث لدى الإنسان الجاهل كونه غير ملمّ بما يجب عليه القيام لحصول الرغبة، فجملة النّاس تستمد علومهم من الحياة الدنيوية وسمّاها بعلوم الظاهر "علم الظاهر" وهو ما يأخذه الإنسان في حياته من تجارب ومعارف علمية ودينية وكل ما يتعلق بالحِرف الدنيوية وهذا في رأيه غير متمّ وناقص من أجل الوصول إلى الحقيقة التامة إلا بوجود واستحضار "علم الباطن" وهذا الأخير ليس مستوفى لجميع البشر وإنما خُصّص لخاصة من عباد الله فهو العلم المهتم بالروحانيات التي توثق العلاقة بين العبد وربه وهذا علم السلوك أي "التصوف"،

---

[1] -نفسه،ص.638.

[2] - Jasim Alubudi, Sufusmo y Ascetismo, predentacion de Carmen Ruiz Bravo Villasante,Madrid 2005,P.15.

[3] -الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية، المصدر السابق،ص.288.

فالإنسان الآخذ بالعلوم والحِرف(التجارب والخبرات) الدنيوية من دون الأخذ بعلم الباطن فستكون إما زندقة أو دعوى غير محققة(غير تامة) [1]،فتمام المعرفة المطلقة يتطلب معرفة العلوم الدنيوية بالإضافة إلى علم الباطن الذي لا يمكن الاستغناء عنه فهو الموجه الرباني للإنسان.

علم السلوك، علم الحقيقة أو علم الباطن جملة من المصطلحات في رحلته وكلها مرتبطة بالمفهوم الصوفي والمعبر عن الحقيقة غير الظاهرة ،تُستمد بالاتصال بالعالم الروحاني والصوفي، بخلاف علم الشريعة (العلم الديني المكتسب) والذي يبقى ناقصا إن لم يُكمل بعلم الحقيقة، فهذا في شأن أحد رجال الدين ببلدة طرابلس إذ ادعى أنه قطب فبمجرد مجالسة الورثيلاني له ومعه أصحابه أدركوا أنه ليس قطبا بل هو جملة من المؤمنين فلا تبدو عليه إمارات القبطانية من خلال حديثه، وتعكر بعض الحوائج ظاهرا وباطنا، فلم تكن له شريعة فضلا عن الحقيقة، فأدرك أن الشخص مُدّعٍ فقط وليس بأهل لذلك ، فالتصوف الحقيقي يجب أن يقوم على أساس العلم والشرع الديني المستمد من كتاب الله وسنة رسوله وأن لا تكون تعاليم وطرق التصوف مخالفة لما جاء به الشرع الإسلامي. وعلى هذا ربط بين علم الشريعة وعلم الحقيقة فهما متكاملان ومترابطان ،فغياب أحدهما يؤدي إلى فقدان وظيفة الآخر ،يقول الورثيلاني نقلا عن الإمام عز الدين ابن عبد السلام أنّ كلّ حقيقة بدون شريعة فهي باطلة وكل شريعة دون حقيقة فهي عاطلة ،فتمام العلم يكون بتوافر العلم الباطني والظاهري كما رآه الورثيلاني ،وقد سبق في هذا الشرح إمام دار الهجرة و صاحب المذهب المعتمد لدى عامة المغاربة "الإمام مالك بن أنس" الذي قال: من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن جمعهما معا فقد تحقق.

والتصوف اختلف النّاس فيه بين منكر ومحبب له باختلاف الصورة التي رُسمت والتي نُسجت من صفات أعمال المتصوفة وإنما الأصل فيه إخماد البدعة وبطلانها والعمل على إظهار الشريعة وتحقيقها وهذا لن يكون إلا بموافقة السّنة وتطبيقها ،فمذهب الرحّالة واضح بقوله :فما وافق السّنة قبلناه وما كان متشابها طرحناه عن الاعتبار" فهذا أمر قد جزمه أن التصوف الذي يدعيه بعض المنتسبين إليه زورا ونفاقا فهو منهم براء ، وكل من لم يلتزم بالقرآن والسنة النبوية لا يُعد حديثه منطلقا ولا صفاته مأخذا للآخر، لأن العمل الظاهري (الخارجي) والذي يقتدي به النّاس يجب أن يكون شاملا على الحقيقة والشريعة ،فالشريعة هي اعتراض عن المحرمات ودعوة إلى النهي عنها والأمر بالمعروف، والحقيقة هي تسليم وتفويض الأمور إلى خالقها ،ولاكتمال الصفة وجعلها صورة تامة

[1]-نفسه،ص.661.

للإنسان التقي الورع الزاهد الصوفي أن يجعل بينهما فليقم بالسّنة والشريعة ظاهرا بلسانه إن كان عالما أو بيده إن كان سلطانا ويسلم بقلبه لعلم الله بالواقع ،فالاعتقاد بالقلب ولاية[1].

فالتصوف لدى الورثيلاني من العلوم الواجب دراستها والاهتمام بها، وعلى المتضلع في الدين أن يكون ملمّا به ،فالوثاق مترابط بينهما فلا يمكن أن يكون فقيها بدون دراية بالتصوف أو علم السلوك، فهذا ما لاحظه لدى المتصوفة الذين توارثوا التصوف فقط دون علم ودراية (التصوف الوراثي) أنّهم جهلة وينسبون للإسلام صفات لا علاقة بالإسلام والعقيدة المحمدية، فهاجم أنصار الاختلاط والسماع الصوفي المختلط وضرب الخدود والتباكي وجعله ضمن المنكرات وأنها من أعمال الشيطان وأنه حرام باتفاق الجميع ولا يُقال بجوازه مهما كان السبب وإن اختلف، فهي مخالفة للسنّة وباب من أبواب الفتنة[2].

3-3- توظيف الورثيلاني للفكر الصوفي:

إنّ المتمعن في كتاب الرحلة لا يوجد أي أثر صريح للورثيلاني أنه منتمٍ لطريقة صوفية أو ساهم في نشر الطرق الصوفية، فكل ما ذكره عبارة عن إشارات وقمنا بتوضيحها و شرحها واستقرائها ، ومن جهة أخرى نجد أنّه روّج للفكر الصوفي بصفة غير مباشرة كذكره للمتصوفة، الأضرحة، الزوايا، الكرامات، تمجيده للأولياء والصلحاء، تعظيم المرابطين ومشايخ الدين وغيرها من الأمور والصفات التي تبرز اتجاهه، ونجده أيضا روّج للفقه الصوفي في المسائل الدينية المتنازع عليها بين الفقهاء وخاصة بين المذاهب الإسلامية الأربعة وغيرها من الأمور التي تعطي لنا قراءات أنه ساهم في تنوير الرأي المحلي بالفكر الصوفي بعدة أساليب منها :الفتاوي الصوفية ،الاستدلال بأقوال المتصوفة ومصنفاتهم ، تدوين الأولياء والمتصوفة ، التحذير من التقليل من شأن المتصوفة.

أ/الفتاوي الصوفية:

فرّق الورثيلاني في المسائل الدينية بين الفتوى الفقيهة والصوفية(أهل الفضل والذكر) ، باعتباره صوفيا وعالما ،فيحدثنا في ثنايا الرحلة على عديد المسائل الدينية التي تواجه المسلم في حياته اليومية وخاصة الحاج،ففي مسألة الغفران وقبول الأعمال من الله ، أنها تختلف من النظرة الفقهية التي تتعدد مشاربها وأسبابها وخصائصها و النظرة الصوفية التي تُلزم الشرط قبل الحدوث .

تكفير ذنوب الحاج:

فالورثيلاني أوصى بوصايا قبل الذهاب إلى الحج ،فأمر الحجاج أن يردوا ديونهم إن استدانوا من غيرهم ، وأن يخلصوا نيتهم لله وحده خالصة وأن لا يكون رياء في نفس الحاج ،لعلم الورثيلاني بصعوبة طريق الحج وما

[1]- الورثيلاني ،نفسه،ص.641-644.
[2]-نفسه،ص.40،41.

يلاقيه الحاج في طريقه ما يجعله يسرد لأصحابه مع وقع له و الحاكي يضيف وينقص من المشاهد ويدخل ضمن الرياء والتشهير لنفسه بالحج والغالب أنه ينوي الافتخار ليُقال له أنه حجّ ،فأغلب الحجاج يعمدون إلى ذلك وهذا هو الرياء بعينه، فالواصل إلى بيت الله ومشاهدته للأماكن الشريفة وبيت الله الطاهر يغفر الله لعبده لكثرة المستغفرين وإخلاء القلوب من الشر والضرر للآخرين وانشراح للصدور ودعوة أهل الغيب وأهل التصريف كالأقطاب والغواث ومن الأنبياء والرسل والصدّيقين وأهل الخير و الصّلاح وبحضرتهم ودعواتهم يُغفر لجميع المستغفرين وجميع الحاضرين وهذا في مذهب أهل الفضل والغفران ويقصد به السادة الصوفية، وبخلاف ذلك نجد في المذهب الفقهي لدى الشيخ خليل يقول" وصحّ بالحرام وعصى"[1] في هذا الأمر يقصد به الحاج الذي حجّ بأموال من حرام ،فيرى الشارح أن الحجّ بالمال الحرام جائز ولكنه عاص في تصرّفه، فهذا رأي ،فالورثيلاني رأى نظرة أخرى وقدم رأي أهل الفضل والغفران أن الله يغفر للجميع وقد اشترط أن يكون الحج خالصا لله وأنه استوفى أماناته لغيره فهذا هو مضمون الورثيلاني وليس كما أُريد به أن كلّ من حجّ لبيت الله فقد غُفر له ،فالغفران شروط وللحج أركان وجب اتباعها.

أورد لنا قصة عن أنه لما اجتمع بالقطب والعالم الرباني سيدي محمد المغربي الطرابلسي عام 1153هـ أنّ سبعة من الحجاج من تُقبل حجهم والبقية عادوا غائبين وأقبل المقبولون بالدعاء والرجاء وطلب المغفرة لغير المقبولين لمدة عام حتى دخل رمضان تقبّل منهم وغفر لأهل الموسم ،فهنا يريد إرشادنا إلى فائدة دعوة الغيب أن يدعو لك عبدا من عباد الرحمان بدعوة الخير عن ظهر الغيب فهو مستجاب ، ففي فاس حدث أن رجلا من أهل الفضل قصد مكة لطلب الله الغفران لأهل الموسم فلما وصل إلى عرفة قال: والله ما خرجت حتى تغفر لجميع أهل الموسم" فلم يخرج منه حتى تقبّل الله من الجميع ، وقد حضر إلى مكة أشخاص ليسوا قاصدين الحج وإنما للتنزه وقصد الشراء والبيع فقد حلّهم نفس الأمر فغُفر لهم وعلى ضوء هذا قال الورثيلاني أنّ المغفرة للجميع بخلاف المذاهب الإسلامية التي تقول أن الحج يغفر الذنوب ما عدا الكبائر والتي تتطلب التوبة النصوح وردّ المظالم.

التصدق بأموال الظلم والحرام:

شاد الورثيلاني بطرابلس على قائد عمورة كثيرا نظرا لما قدمه من خدمات جليلة لمجتمعه، فقد بنى مدرسة قرآنية ،مسجدا، ومجلسا للتدريس وجعل حدائق من النخل وقفا لأهل طلبة العلم وجلب العلماء والفقهاء للتدريس وتكفّل بأمور الطلبة، فأهل البلدة انزعجوا من ثناء الرحّالة عليه لعلمهم أن الأموال هي أموال المسلمين

[1]- الورثيلاني ،نفسه،ص.30.

وقد اغتصبها ظلما وجورا منهم وتصدّق بها على منافع المسلمين فهل يتم قبول العمل الصالح من المال الباطل[1] ؟ فهو مثل الزانية مقابل المال تزني وتتصدق بالمال، فياليتها لم تزن ولم تتصدق خير لها .

أجاب الورثيلاني على ضوء فقهاء الدين من أهل المذهب المالكي على العقيدة الأشعرية والطريقة الجنيدية، وهو الشيخ عبد الكريم الزواوي على شرح الوغليسية الجامع بين الفقه والتصوف والذي يعدّ هذا المصنف من قواعد التصوف لدى المغاربة عامة وحوض الصومام ببجاية بالخصوص، وبفتواه ردّ على أهل طرابلس ومعارضي قائد عمورة في فعله، بقوله أن المال الحرام نوعان يكون محرما لعينه أو لكسبه ،و يندرج عمل هذا القائد في المال المحرم لعينه ففي الأصل تجب على من أخذ مال الآخر بغير وجه حق أن يرده لأهله وأن يعلن توبته النصوح وهذا الأمر في غالب الأحيان يكون بين الأشخاص ،وإن كان الأمر بين الحكام والسلاطين الذين اغتصبوا أموال العامة من غير وجه حق فيتعذر رده لصاحبه لعدم علمه بأصحابه فيجب عليه انفاق المال في سبل الخيرات والعمل الخيري العام كبناء المدارس، سداد الثغور ، الطرقات، الوقف، ..وغيرها فيم ينفع المسلمين مع التوبة النصوح ،فهذا رأي العالم الفقيه الصوفي صاحب الوغليسية.

وفي طريق العودة من مكة المكرمة مرّ على طرابلس وجالس أهلها وسكانها وأعاد الحديث عن هذه المسألة لما عِلم بوجود من يفتي للنّاس بدون علم وقد سمّاهم بمتفقهة الزمان وصلحاء الأوان فتراهم يتأسّفون على صدور الخير باللسان وقد تثبطت أيديهم عن صنع المعروف وموارد الإحسان فيذمّون الكريم على كرمه ويمدحون اللئيم على تكبره وإعظامه ،وفي هذا الشأن ما جعله يؤكد ويستدل كثيرا بعلماء الدين وفقهائها الموثوق في علومهم ودينهم كالشيخ عبد الرحمان الوغليسي الذي نقل عنه في موضع آخر عن نفس الموضوع قائلا: أنّ المتبرع من الولاة بمال المسلمين الذي جمعه ظلما وعدوانا من غير وجه شرعي ثم صرفه في مصارف الخير لاسيما الدائم نفعه كالقناطر والأوقاف الجارية له أجر الدعاء وبركة النفع من المسلمين وثواب إدخال السرور عليهم وإن لم يكن ماله فترى الظالم يُثاب من جهة ويعاقب من آخر فهو أولى من العقاب المحض والمحرم الصرف فليس لأحد لا ممن لا يعرف أحكام الشريعة ولا أصول الحقيقة أن يقول للظالم إيّاك أن تصرف تلك الأموال في باب الخير فإنه مسدود عنك"[2]. فيئس عن رحمه الله ويقنطه من كرمه فكان الأجدر من صاحب النور أن يعلم من يأتي النور وأن يقدّر الأمور على ماهيتها، فقضايا الحق على عكس أهل العصر ومواطنهم ليست مواطن النصر، فكثر الحمقى والمنتسبين للدين لذا فيجب التشبث بأهل الحقيقة والإيمان وعلماء الشريعة.

---

[1]-نفسه،ص.133.

[2]-الورثيلاني،ص.640.

لخص الورثيلاني هذا الأمر معتمدا على فتاوى علماء الصوفية والفقهاء قائلا: الغالب وجود الوجه الأول وهو تعذّر الردّ لعدم معرفة أربابه وحينئذ يجب شرعه صرفه في مصالح المسلمين فيكون فعل هذا القائد ممدوحا شرعا نعم ،بقي له أمر لابد له من فعله وهو أن ينكف عن الأخذ بهذا الوجه من المسلمين"، فبهذا يكون الورثيلاني قد ساهم في نشر المصنفات والفتاوي الصوفية في الأمصار التي مرّ وعرّف بصوفية الجزائر منهم الشيخ عبد الرحمان الوغليسي من خلال مصنفاته ما جعله معروفا بالمنطقة.

الانتفاع من الحرام :

في رده عن حكم بناء المدارس ومجالس العلم من أموال الباطل التي أُخذت ظلما وجورا من المسلمين، ردّ عليهم الورثيلاني بالجواز عن طريق شروط ، ومن خلال جوابه الذي طرحناه في المسألة الأولى ، سُئل عن حكم الانتفاع بها من طلبة ومعلمين وعامة النّاس وقد استعان بفتاوي ابن خليل وابن ناجي والتتائي وغيرها مستشهدا بالعبر والقصص التي حدثت في زمن الصدر الأول من الإسلام، بجواز أخذ المال وحكمه كحكم بناء المدارس، فالمتعلم والعالم ماله حلال بحكم جهل مصدر المال الذي بُني به ،لأن المال الذي جهُل أربابه وضع في بيت المسلمين لينفق على عامة المسلمين ، وإن كان المال معين لصاحبه فلا يجوز بناء به مرافق علامة ولا الانتفاع بها بل وجب رده لأهله ، وعلى هذا استمد من شيوخه بمصر كالشيخ المقتدي، الشيخ العلامة سيدي عبد الله السوسي وسيدي محمد الغرياني بتونس وغيرهم من علماء الأمصار بالبلدان الإسلامية أنهم يأخذون من الولاة وأهل الحكم على ما يستعينون به في معيشتهم فهذا حق جائز بحكم أنه نصّ صريح أجاز بأخذ المال من بيت المسلمين بحكم أنّ مصدره مجهول وغير مغصوب وغير معيّن[1].

اعتمد الورثيلاني في ردّه عن أهل طرابلس على النصوص الفقهية المالكية وعلماء الصوفية مستشهدا على ذلك من خلال مشايخ مصر وتونس المعروفين لدى العامة والخاصة، فهم أهل علم ومنارة من منارات الإسلام في الأزهر الشريف وجامع الزيتونة المعمور، فالمستمع من أهل طرابلس خاصة والمسلم عامة يُقدر مكانة وعلم هؤلاء العلماء والمتصوفة فيُعد دليلا واقعيّا ومرئيّا على صحة ما يقول ولا يمكن تكذيبه أو التشكيك في فتواه بحكم أن أولئك العلماء لازالوا على قيد الحياة فيعدّ استشهاده دليلا حيّا، وقد أراد أن يوضح هذا الأمر لما لاحظه مما وقع من التباس وغموض بين الطلبة ولكثرة الجهل بين العامة بين من سهّل الأمور وجعلها مباحة ومن حرّمها وشدّد

[1]-الورثيلاني ، نفسه،ص.135.

على أمور المسلمين ومنهم من يجعل الخلاف في كل النّاس وهو أيضا خطأ وغير صائب ومنهم من يجعل الخلاف أيضا فيمن جهل أربابه.

مسألتا القهوة و الدّخان.:

عمدنا في بحثنا على الاعتماد على أقوال، وصف، فتاوي ،تصوّف وأفعال الورثيلاني فقط دون العودة إلى ما استنسخه ونقله من غيره، فكل ما أوردناه خاص بفكر الورثيلاني مع حذف كل ما نقله عن غيره، أما مسألة القهوة و الدّخان ففي حقيقة الأمر هذا الموضوع خاص بالرحالة "أبو سالم العياشي" وقد ذكره في رحلته الموسومة "ماء الموائد" ومنها نقلها الرحالة المغربي أيضا أحمد بن ناصر الدرعي وعليها نقل الورثيلاني إلا أنّه في هذه المسألة أضاف موقفه ورأيه ورأي أهل منطقته في القوة والدخان ما جعلنا ندرج هذه القضية كونه شارك برأيه وفكره في هذه القضية.

القهوة :

اختلف الفقهاء في إباحتها وتحريمها لما لها من فوائد وأضرار على الجسد و تختلف نتائجها باختلاف الغاية من استعمالها ووقت استعمالها، فانحاز فريق من العلماء إلى إباحتها وفريق آخر إلى تحريمها ومال الصوفية إلى إباحتها مما جعل العلماء يميلون إلى إباحتها، فالمسألة إذا كانت ذات قولين ومال الصوفية إلى احدى الفريقين ترجح قولهم لما رُزقوا من قوة الإلهام ونفوذ البصيرة مع تأييد الله لهم عند اشتباه الأمور فيميلون مع الحق أين مال، ما جعل الفقهاء يثقون ويصدّقون أقوال الصوفية فهم لا يقدمون على فعل دون دراية ربانية.

فالقهوة من شراب الصالحين ،فأول من استحدثها من اليمن الشيخ الولي الصالح المتفق على ولايته سيدي علي بن عمر الشاذلي، فأمر أتباعه وطلبته بشربها ليستعينوا بها على السهر، وأنّ أهل اليمن فقراء وضعفاء ويقْدم عليهم الناس من كل الآفاق فمن الواجب استضافتهم وتقديم لهم الشراب والطعام، فأكرمهم الله بالقهوة فهي خفيفة المؤونة والناس عليها راضون[1]، وإن كان في وقت العصور قدم السلاطين والملوك على منعها في الأسواق وفي المنازل فلم يزد من القهوة إلا شهرة وانتشارا، فانتشرت في اليمن ومكة والحجاز وانتقلت إلى إفريقيا وسائر المناطق ، ومن العلماء من حرمها على من طبعه السوداء والصفراء ويحرم من تضره وتسبب له الهلاك ،ومن الشبهات التي جعلتها منبوذة في المجتمع هو تعاطيها في مجالس اللهو والسمر مع الجواري والأغاني والرقص واتباع الأهواء والملذات و اختلاط الرجال بالنساء في أماكن خاصة مما يؤدي بهم إلى ضرر في النفس والعقل فالأقرب إلى تحريمها لا لذات القهوة وإنما لما قارنها، بخلاف العامة الذين يشربونها في منازلهم من غير اختلاط ولا معازف ،

[1] – الناصري، الرحلة الناصرية ،ص،288.

فاستدلّ الصوفية أنّها معينة على السهر لطالب العلم و المتعبِّد في الليل لتعينه على البقاء يقظا، وهي مذهبة للجوع ومقلة للتكلفة وتجعل الفرد نشِطا وخاصة في الصباح الباكر فتزيل الدوخة والغثيان عن النفس[1].

عارض الورثيلاني إسقاط فتوى الدخان والخمر على القهوة، بحكم أنّ الدخان قام الملوك والسلاطين على منعه فلم يزده إلّا انتشارا وشهرة بين العامة مثله مثل القهوة، فرأى بعضهم أن كل ما هو ممنوع مرغوب فالدخان مرغوب لأنه ممنوع ونفس الأمر ينطبق على القهوة، فجعل الورثيلاني هذا الرأي ضعيف واستدلاله غير عقلاني بحكم أن من أحدث القهوة من أولياء الله وصلحائه وصاحب الطريقة و آخذ الشريعة والحقيقة فالله أيّده بنوره ونور الله لا يخطى ولم يذمها أحد من أولياء الله على مدار الزّمن[2] ،فإقبال العلماء والمتصوّفة على شيء ما دليل على إباحته وصدقه ولا يمكن التشكيك في الأمر، فالقهوة أُحدثت للمنفعة العامة وفعله لا يخلو من الفائدة وآثر الاستدلال بقول الشيخ زروق أنها غير مسْكرة ولكن من كان طبعه الصفراء أو السوداء تُحرم عليه شربه لأنه تضره في بدنه وعقله ومن كان طبعه البلغم فإنها توافقه وقد كثر فيها الجدال واختلاف فتاوى العلماء والفقهاء ونظمت فيها القصائد في مدحها وذمها فعلى العاقل أن يتجنبها كليا إلا لضرورة شرعية وفي أصلها الإباحة[3].

الملاحظ في هذه المسألة الفقهية التي اختلف فيها الفقهاء، حكّم الورثيلاني الأمر إلى المتصوفة وجعلهم ميزان الحكم وبهم يهتدي أهل العلم و الفضل لما يشتد بهم الأمر وتختلف عليهم الرؤيا ما جعل لفتاوي أهل التصوّف صدى لدى العامة من النّاس ولدى الخاصة (أهل العلم والدين)، فعمل على نشر فقه المتصوفة وأبرز ذلك جليا بأقوال الشيخ زروق و بأفعال الشيخ علي بن عمر الشاذلي المنتسب للطريقة الشاذلية ،فهذا ما يثبت جلّيا لدور المتصوّفة في المجتمع الإسلامي لما لهم من تأثير على الفكر الديني عامة ،وعلى هذا القول لا يعني أنه انصرف عن الأخذ بأقوال أهل العلم فاستند في أمر هذه الفتوى إلى أقوال علماء مكة ومصر منهم الإمام ابن عرّاق والذي يعد من صدور علماء الحرمين والذي قال في القهوة أنها مباحة إذا لم يضَف إليها من المحظورات ونفس الرأي يراه الإمام صفي الدين القشاشي ، حاصلة الأمر كما يراها الورثيلاني أنها مباحة وأصلها الإباحة وليس التحريم و إباحتها وفق شروط منها غاية شربها والمكان الذي تُشرب فيه.

الدخان :

[1] - Carol Wittwer, WER TRINKT SCHON NICHT GERNE KAFFEE? METHODISCHES VORGEHEN BEI DER INTERPRETATION DER REISEBESCHREIBUNG VON AL-WARTÏLÂNÏ, Universität Bern , P.1091

[2] –الورثيلاني، المصدر السابق،ص.270

[3] الناصري، المصدر السابق ،ص.293.

اختلف الفقهاء بين تحريم وتحليل الدخان لعدم وجود نصّ شرعي في القرآن والسنة والنبوية، ما جعلهم يعتمدون على القياس ،فأكثرهم مال إلى ذمّه وتحريمه لما له من أضرار على صحة الجسد والعقل وما يخلفه من رائحة كريهة لشاربه، وفي هذا الحديث تناول أهل التصوّف هذه المسألة فلم يجزموا في أمر إباحته أو تحريمه فقال فيه أنه من عمل غير الصالحين والأقرب إلى التقوى اجتنابه ،فمذهب الصوفية مال إلى ما أفتى العلماء من تحريم والصوفية كما قيل عنهم أنّ الحق معهم لأن الله يُري لهم من أمور لا تُرى للآخرين وقد اعتمدوا على بعض الرؤى والقصص التي حدثت لبعض الطلبة والأولياء، فيخبرنا الناصري نقلا عن أبي سالم أنّ أحد الرجال جلس تحت زيتونة وبقربها قبر وكان صاحب القبر يجلس تحت تلك الشجرة، فجلس هذا الرجل يتعاطى الدخان وكان من أكابر البلد، وفي الليل جاءه ووقف عنده وضربه، فقال له: ما كان لك أن تجلس في هذا المكان و تجنسه فبعدها أصبح الرجل أعمى"[1]،فهذا ما يدل على قبح وخبث تعاطي الدخان.

تساهل علماء المشرق في حرمة المسجد فكثيرا من يأكلون، يشربون ،يتعاطون الدخان وينامون في المسجد بخلاف المغاربة الذين شدّدوا في هذه الأمور، فمن العلماء الذين أباحوا تعاطيه أبو الحسن الأجهوري وأحمد بابا التنبكتي السودان وقد خالفهم الشيخ أبو بكر السّكتاني وإن كان الفريق لا يملك أدلة على إباحته ونفس الأمر بالنسبة للفرق الثاني الذي لا يملك أدلة على تحريمه ،ما جعل العلماء يؤلفون أكثر من ثلاثين تأليفا ما بين التحريم والإباحة نظرا لعدم وجود نصّ شرعي يفصل بينهما، وقد استدل الشيخ السّكتاني بحادثة وقعت له لما كان طالبا "بدرعة" وهنا ظهرت هذه العشبة، وفي احدى ليالي يوم الخميس وفيه يخلد الطلبة للراحة ،اجتمع الطلبة في ليلة سمر وأحضروا وتناولوه بالتناوب حتى جاء دوره تناوله كسائر أقرانه، فلمّا ناك جاءه في الليل رجلان يضربانه ويعذبانه ويقولان له :لما شربت الدخان؟ وكان يعتذر لهما ويتحجج بعدم علمه عن هذه العشبة هل محرمة أم جائزة، فبقى يضربانه ولم يعيرا الأمر لعذره ولما استيقظ في الصباح وجد آثار الضرب على جسده ومنه أدرك أن الدخان نجاسة وخبث وشرّ ،ولم يشأ أن يخبر الشيح اللقاني الذي أفتى بجوازه خشية أن يعتمدها في التحريم[2].

في هذا الصدد يصرح الورثيلاني برأيه في مسألة الدخان قائلا" فإن الدخان الذي شاع في الآفاق أكثر العلماء على تحريمه وهو الصحيح إن شاء الله لما اشتمل عليه من المفاسد ولا منفعة فيه أصلا" وفي خصم الصّراع بين التحريم وإباحة القهوة والدخان على الرغم من عدم وجود نصّ ديني إلا أنّ الصّوفية مالت إلى باب تحريم الدخان وإباحة القهوة فقال عنهما الورثيلاني: فإذا علمت هذا علمت الفرق بين الدخان والقهوة فإنْ أقبل عليها المتلبّسون بالصّدق والدخان الغالب فيه إقبال أهل الفسق عليه بل لا تجد صديقا عارفا يشمّه أو يشربه فلا تساعد من يشربه ولا تسمع لقوله لما علمت قبل من اتفاق أرباب القلوب على ذمّه.[3]

---

[1]-الناصري، نفسه،ص.666.

[2]- الورثيلاني ، المصدر السابق،ص.638.

[3]-نفسه،ص.271.

خاتمة

خاتمـــــــــــــة

من خلال ما سبق توصلنا إلى النتائج التالية :

1- لم تكن الجزائر في العهد العثماني بعيدة عن الواقع الثقافي والعلمي العالمي بل ساهم أبناؤها في تصدر العديد من المجالس والتفوّق على العديد من علماء العصر بالرغم من التهميش العثماني للجانب الثقافي والعلمي ،إلا أنّ هذا لم يثن من عزيمة الجزائريين، فبرز العديد من العلماء الذين فاقت مؤلفاتهم المائة، و أصبحت متداولة في كامل الأمصار الإسلامية.

2-عرفت الجزائر إبّان العهد العثماني العديد من الرّحالة منهم أحمد البوّني ،أحمد بن عمّار الجزائري، أبو راس الناصري ،ابن حمادوش وأحمد المقّري بالإضافة إلى الورثيلاني. كانت رحلاتهم نثرية وقد بيّنوا فيها العمق الثقافي للجزائر بمكوناتها الاجتماعية، الثقافية والدينية ،وقد صحّحوا المغالط التي تقول بأن الجزائر لم تتوفّر فيها الثقافة والعلوم .فمن خلال مضامين رحلاتهم نجدُ أنّ في كل قرية ،قصر، بادية أو دشرة إلا وبها زاوية أو مركزا للتعليم والتربية.

3-عرفت الجزائر إبان العهد العثماني عديد الرّحالة منهم: عبد الرزاق ابن حمادوش بعلمه الواسع ومكتسباته الخارقة للعادة وبتنوعه الثقافي والعلمي مكانة ضمن علماء المسلمين وخاصة تمكّنه في مجال الطّب وهذا ما أقرّ به علماء الغرب أن ابن حمادوش يعدّ آخر عالمٍ مسلمٍ في مجال الطب ،خاصة بعد أن تراجعت الحركة العلمية للمسلمين ،وتجلّى ضمنيا في مصنفاته العديدة و القيّمة فقد تُرجم العديد منها للغات الأوروبية لما تحمله من فائدة للبشرية عامّةً.

4-تعد الرحلة الورثيلانية من أهم المصادر التي أرّخت للبلدان الإسلامية في العهد العثماني ، وتعدّ من أوثقها ،كونَها مصدرا عينيّا ولم يُظهِر في ثناياه المجاملة .حيث كان عادلاً في أحكامه و يعطي لكل ذي حق حقّه ،فتجده ينتقدُ ويبرزُ العيوبَ و المظالمَ ينهى السلاطين والحكّام وتارة يقدِّم الثّناء والإحسان للعمل الصالح ويُثني على صاحبه ،فيقول للمسيء أسأْتَ للمحسن أحْسنتَ.

5- لا يمكن ربط الورثيلاني في مؤلّفه المشهور "الرّحلة الورثيلانية" فقط ، كما أن عديد المخطوطات المنسوبة إليه بقيت دون تحقيق ومحفوظة لدى العائلات ، تناولت مواضيع كالفقه، التصوّف، اللغة العربيّة منها النّحو، الصّرف والإعراب.

6- المجتمع الإسلامي وإن كان مرتبطا بالإسلام ومؤدّيا للعبادات الدينية إلّا أنّ سلوكه وممارساته تبدو بعيدة عن تعاليم الإسلام ،فطغت الصفات القبيحة في المجتمعات الإسلامية فوصل الأمر إلى نهب وسرقة بل التعدي على حجاج بيت الله الحرام دون الحديث عن الغشّ في الميزان ، وسرقة أموال الحجاج وغيرها.

7-ساهم المتصوّفة في ربط المغرب الإسلامي بالمشرق من خلال رَحلاتهم الحجازيّة الصوفيّة والعلميّة وتجلّى ظاهريّا في العلاقات العلمية التي قاموا بها، فبرزوا كثيرا في تونس، مصر ومكّة المكرّمة بحكم تواجد أكبر المراكز العلمية والثقافية بها.

8- كان لنقصُ الاهتمام في علم التّاريخ أن جعل الورثيلاني يُدوِّن رحلَته ويستذكر فيه جلّ صوفية وأولياء ومرابطي الجزائر رغبة في إظهار الوجه المشرّف العلمي للجزائر العثمانية ،بعدما طُمسَ كلّيا نتيجة عدم وجود حواضر علمية كبرى كالتي وُجدت في الفترة الوسيطة ببجاية وتلمسان وغيرها من المدن ، فعاب على أهل بلده لعدم اهتمامهم بتدوين أعلامهم.

9-بيّن لنا الورثيلاني أن مسالك الرحلة الحجازية متنوّعة و متعدّدة منها البريّ، البحريّ و البريّ بحريّ معا ، فكلّ الرحلات الحجازيّة السابقة كانت بحريّة وبعضا منها تمازجت بين البريّة والبحريّة،انطلاقتها من الجزائر إلى تونس بريّة ثم بحريّة إلى مصر عن طريق البواخر ومنها من يأخذ طريق البرّ. لكنّ الورثيلاني آثر أن يكون مسلكه برّيّا في الذهاب والعودة معا، ليقدِّم لنا صورة واضحة و دقيقة راغبا في تقديم صورة حيّة عن الأحداث ما جعل تأريخه لها أقرب وأوثق بحكم المعاشرة واستخدامه لمنهج الملاحظة.

10-تعد رحلة الورثيلاني رحلة علميّة شاملة جسّد فيها ، الواقع العام للوطن الإسلامي وبالخصوص شمال إفريقيا الذي تميّز عن المشارقة في علومهم وفتاويهم وحتى في نمط المعيشة ،فأظهر تباينًا بينهما من خلال مناظراته للمشارقة وحتى أهل مصر فأدرك قلّة تمكّنهم من العُلوم.

11-ارتبط التصوّف بالكتاب والسّنة فهذا ما دعا إليه الصوفيّة طول حياتهم وما أورثه لمريديهم، فاشتغل بعضهم بحبّ المال والسّلطة ورغبة منهم في استغلال المناصب الدينيّة للمصالح الشخصيّة، فانحرف البعض منهم التابعين للتصوّف فأدخلوا عليه البِدع والخرافات من أجل تشويهه.

12- يعد الورثيلاني من أهل التصوّف حيث دعا إليه وحارب أشباه المتصوّفة الذين ابتدعوا ما لم يكن فيه من أمور لا يتقبلها حتى العقل دون الشرع ،ما جعل العامة ينقسمون إلى مُناصر ومُنكر للتصوّف ،فالدّارس للتصوف حقا منبعه الإسلام القائم على مبادئه وأصوله.

13-تنوّع المكوّن العلمي في مضمون الرحلة ،جعلها عنصرا لنشر التصوّف الإسلامي بإظهار أعلامه، والرفع من مكانتهم والعمل على توجيه العامة إلى الاقتداء بهم من خلال الفتاوى التي أوردها وبيّن أن فتاويهم مقترنة بعلم الباطن وهذا العلم لا يعطيه الله لعامته بل اختص به خاصة أهل الخاصة.

14- ساهم ذِكر المؤلَّفات والمصنّفات الصّوفيّة المنتشرة في سائر الأمصار الإسلامية وجعلها حلقة وصلٍ لتراكم العلوم وخاصة الدينية منها الصوفية، فبفضل الرحلة الورثيلانية تَعرّف أهل المشرق وشمال إفريقيا على المصنّفات الصّوفيّة الجزائرية منها وظيفة سيدي يحي العيدلي و الوغليسية وغيرها، ومن جانب آخر تعرّف أهل الجزائر على العلوم المنتشرة في العالم الإسلامي بحكم أنه ذكر مؤلّفات عُلمائهم ما يسمى بالتبادل الثقافي والعلمي على ضوء الرّحلة الورثيلانية.

15-شخّص الورثيلاني حالة التصوّف في رحلته، فنجده جدّ منتشرٍ ،فانكّب النّاس حوله لما وجدوه من صدق لدى أهله ،وكون الصوفيّة حاملي مشعل العلم والثقافة بعد أن تجاهل الأتراك العثمانيون الجانب الثقافي والديني، فنجد كثرة الأولياء والأضرحة والقباب فلا تخلو منطقة إلا وبها وليّ مقدس يُزار.

16-حاول الورثيلاني إصلاح البلاد والرعيّة، فنصح الحكام والأمراء كما نهاهم ودعاهم إلى العمل بما يخدم العباد والبلاد ويرضي الله ويقرّبهم من الشريعة وفي جانب آخر دعا إلى النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، فحارب العديد من الصفات القبيحة التي تفشّت في مجتمعه كتعطيل صلاة الجمعة، تعطيل ميراث النساء، أكل مال اليتامى ،و الاختلاط بين الرجال والنساء وعدم تسترهنّ . فأسلوب نهيه لم يكن عن طريق القَلم من خلال فتاويه وكتبه فقط بل ،تعدّى إلى الجوارح فنهى عن طريق تقديم الدروس والمواعظ التي كان يلقيها في المساجد حتى أنّه استعمل القوة الجسديّة في تونس بعدما أن وجد النساء والرجال في حمام مختلطٍ.

17-كان الطابع العام للرحلة جدّ ضخم من خلال حجمها وعدد صفحاتها، فظنّ جلّ الدّارسين للرحلة أنها تأليف الورثيلاني إلا أنّ الحقيقة مخالفة لذلك تمامًا ،فيمكن اعتبار نصف صفحات الرحلة مُقتبس من الرّحالة السابقين منهم الناصري هذا الأخير بدوره الذي أخذ من العيّاشي، ما يعني أن العديد من المسائل والأماكن لا

علمَ للورثيلاني بها ،فقام بنقلها مثلا في حديثه عن الإسكندرية دوّن عليها عديد الصفحات لكنه لم يدخلها إطلاقا. فكلامه مقتبس من الرحّالة الناصري ،لكن في عملنا هذا فصّلنا بين النّص المنقول والنّص الأصلي، فاعتمدنا على النّص الأصلي فقط.

18-انطلاق الرحلة وتحديد مسارها لم يكن من بني ورثيلان بقرية "آنو" أين تتواجد زاوية وقبر الرحّالة كما يظن الجميع وحتى الدّارسين لها ، فالأصح بعد التدقيق الجغرافي وحساب المسافات والوقت تبيّن أن الانطلاق الحقيقي كان من قرية أبيه في "بني عشّاش" من زاوية أبيه وخروجه بعد صلاة العصر ووصوله إلى قرية "بني حافظ" عند المغرب فهي أقرب القرى لها .

19-ارتباط اسم الورثيلاني نسبة إلى قبيلته بني ورثيلان، وميلاده بقرية بني عشاش ووفاته بقرية "آنو" التي أسّس زاويته ،فالأصح أنه من قرية بني عشاش وليس من "آنو" التي انتقل إليها وأسس به زاويته، فقبل ذلك درس بزاوية أبيه وجده ببني عشاش.

الملاحق

المـــلاحـق

قائمة الملاحق:

-Ahmad b Muhamad Al-Ruhuni al-Titwani, Al lu'lu' al-jatib bi – ijtisarnafh al-tib (resumen del celebrenaf Al- tib de Al-Maqqari, manuscrito de Historia, en bibliotica municipal de cordoba, P.02. annex N 01

– الحسين الورثيلاني، شرح الرسالة السمرقندية،1165هـ، تحت رقم BA003، محفوظة بخزانة الشيخ الموهوب اولحبيب، تالة وزرار، بني ورثيلان. ورقة رقم :02.

الحسين الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تصحيح محمد بن أبي شنب، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1908، الصفحة الأولى من الرحلة ينظر الملحق رقم 03.

الحسين الورثيلاني، شرح وظيفة سيدي يحي العيدلي، ج1، ورقة 08، محفوظة لدى خرانة الشيخ الموهوب أولحبيب تالة وزرار، بني ورثيلان، تحت رقم TZ009 ،ينظر الملحق رقم 04.

–الحسين الورثيلاني، الكواكب العرفانية وشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية، مخطوطة محفوظة في الزاوية العثمانية بطولقة، ورقة رقم 01، قام بتحقيقها محمد بن عبد الكريم عن دار الخلدونية طبعة 2012، ينظر الملحق رقم 05.

–ابن فرحون، في كتابه الاعتبار وتواريخ الأخبار والتعريف بالنسب إلى النبي المختار صلى الله عليه وسلم ، مخطوطة محفوظة عند اهل بني ورثيلان و نسخة عندي ، ورقة رقم :09 ، ينظر الملحق رقم 06.

مخطوطة في الوقف ، فتاوي مرابطي منطقة بني ورثيلان محمد بن العياضي مختومة بقاضي قسنطينة علي الونيسي، ينظر الملحق رقم 07.

–أبو عبد الله الصنهاجي، الأجرومية ، مخطوطة في علوم اللغة العربية، محفوظة لدى عائلة بن جدو ببني ورثيلان ،ينظر الملحق رقم 08.

المخطوطة وظيفة سيدي يحي العيدلي ، محفوظة في مكتبة الموهوبية للمخطوطات ببجاية تحت رقمTZ009 ، ينظر الملحق 9. ج2.

لتوضيح مسلك الذهاب ، أعددنا خريطة لذلك ،ينظر الملحق رقم 10.

المــلاحـق

لتوضيح مسلك الذهاب ، أعددنا خريطة لذلك ،ينظر الملحق رقم11.

عبد الرحمان الصباغ، شرح عبد الرحمان الصباغ على متن الوغليسية، المخطوطة محفوظة خزانة المخطوطات، مكتبة الشيخ الموهوب أولحبيب- بجاية، تحت رقم F001.ورقة 05، ينظر الملحق رقم 12.

عبد الله الشاطبي، كتاب الجمّان في أخبار الزمّان، مخطوطة محفوظة مكتبة تشستربيتي دبلن. إيرلندا تحت رقم رقم 5009، ينظر الاوراق رقم 254-258،ملحق رقم 13.

تتمة الماحق من الفصل الثالث :

صورة عن ضريح وقبته ،ينظر الملحق رقم 14

صورة الضريح والقبة ،ينظر الملحق رقم 15.

صورة عن المسجد ، المعمرة ، مع مكان تواجد الضريح ، ينظر الملحق رقم :16.

مدّ زكاة الفطر الخاص بالشيخ الحسين الورثيلاني .ينظر الملحق رقم 17.

زاوية ومسجد الشيخ الحسين الورثيلاني و ضريحه ، ينظر الملحق رقم18

صورة المسجد والضريح ،ينظر الملحق رقم 19

الصنهاجي ، مخطوط نور السراج في إعراب مقدمة الصنهاجي، نسخها: محمد البشير بن عبد الرحمان،1334 هجري ،ورقة الاخيرة، ينظر الملحق رقم 20

خليل ابن إسحاق، شرح مختصر خليل ابن إسحاق ، شرحه عبد الباقي بن يوسف الزرقاوي، الجزء الثاني ، نسخه ، محمد الطاهر بن محمد بن الحاج ابن عبدون البجائي، 1189هـ، الورقة الأخيرة، المخطوطة محفوظة لدى حفدة عائلة الشيخ، ينظر الملحق رقم 21

- الجنكي نجل عمر الملقب بطير الجنة، مخطوط السراج في حزب المبين ونوره للقارئين مستنير، نسخ عام 1221هـ، نسخة محفوظة لدى حفدة العائلة، الورقة الأخيرة من المخطوطة، ينظر الملحق رقم 22.

وثيقة تثبت شراء المخطوطة من السيد بن يدير الحاج على شيخ الأزهر عام 1280هـ، ينظر الملحق رقم :23.

– خليل بن إسحاق، شرح مختصر، الشارح عبد الباقي بن يوسف الزرقاوي، ج1، نسخه محمد الطاهر بن محمد الحاج بن عبدون البجائي، في رمضان 1195هـ، الورثة الأخيرة. ينظر أيضا: الورثيلاني ،ص.150،149، ينظر الملحق رقم 24.

مخطوط في الحساب والجبر ،عثرنا عليه بزوايا منطقة بني ورثيلان ، ينظر الملحق رقم 25.

زاوية أجلميم بعرش بني جماتي، الملحق رقم 26 .

الملاحق

الملحق رقم 01:

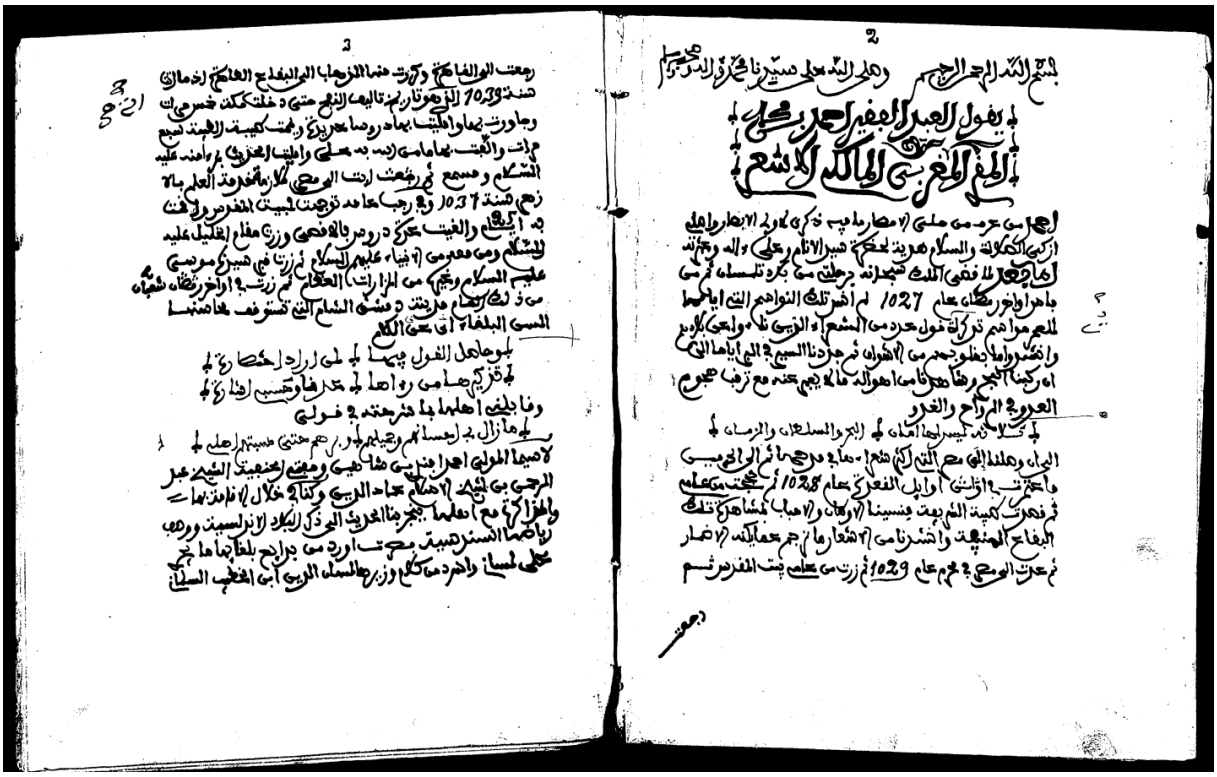

مخطوطة لـــ :أحمد بن محمد بن الحسن الرهّوني التيطواني، اللؤلؤ الحطيب في اختصار نفح الطيب لأحمد بن محمد المقري ، مخطوطة في التاريخ متواجدة بالمكتبة البلدية لقرطبة بإسبانيا، تحت رقم R28430/ 17-5-00H.

الملاحق

الملحق رقم : 2 ،الحسين الورثيلاني، شرح الرسالة السمرقندية، نُسخت عام 1301هـ، أُلفت عام 1165هـ، تحت رقم BA003، محفوظة بخزانة الشيخ الموهوب اولحبيب، تالة وزرار، بني ورثيلان. الورقة الأولى .

الملاحق

الملحق رقم 02 ، الورقة الأخيرة من شرح الرسالة السمرقندية،1165هـ ، للشيخ الحسين الورثيلاني .

Alboridj.blogspot.com

الملاحق

الملحق رقم 03:النسخة التي اعتمدنا عليها في البحث ، الحسين الورثيلاني، نزهة الانظار في فضل علم التاريخ و الاخبار، تصحيح محمد بن ابي شنب ، مطبعة بيير فونتنة الشرقية الجزائر،1908.

وهي نفسها الموجودة بالمكتبة الوطنية تحت رقم 31767.

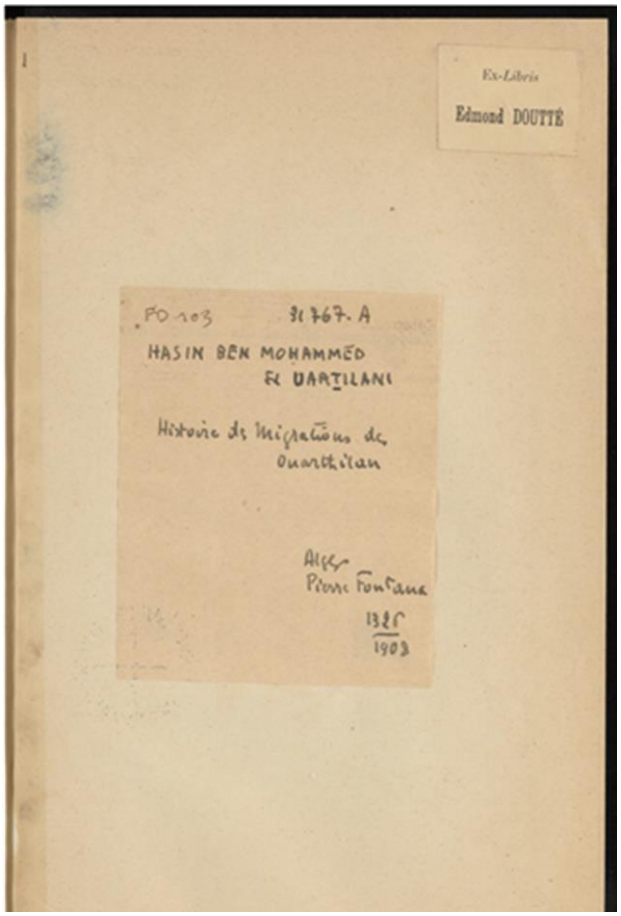

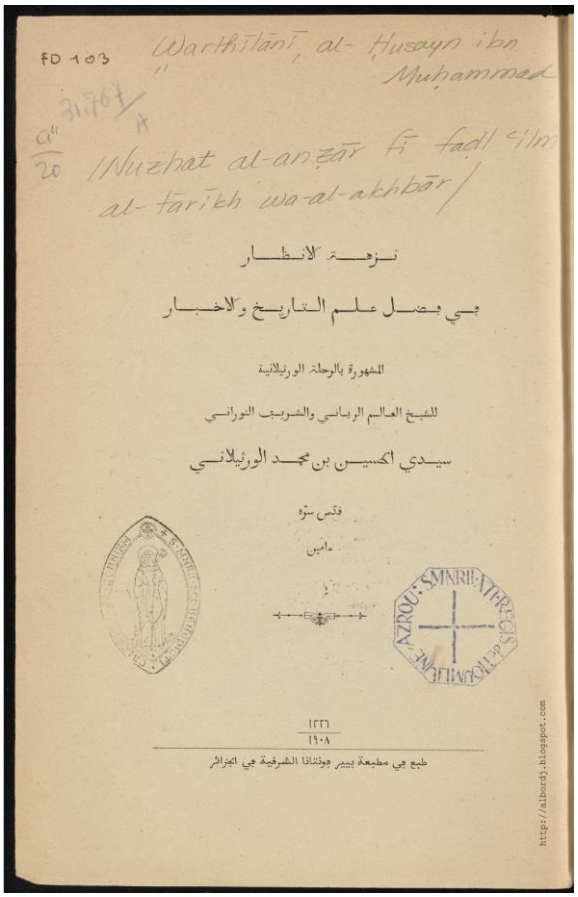

الملاحق

الملحق رقم 04 ، الحسين الورثيلاني، شرح وظيفة سيدي يحي العيدلي، ج1، ورقة 08، محفوظة لدى خزانة الشيخ الموهوب أولحبيب تالة وزرار، بني ورثيلان، تحت رقم TZ009 ، الورقة الأولى .

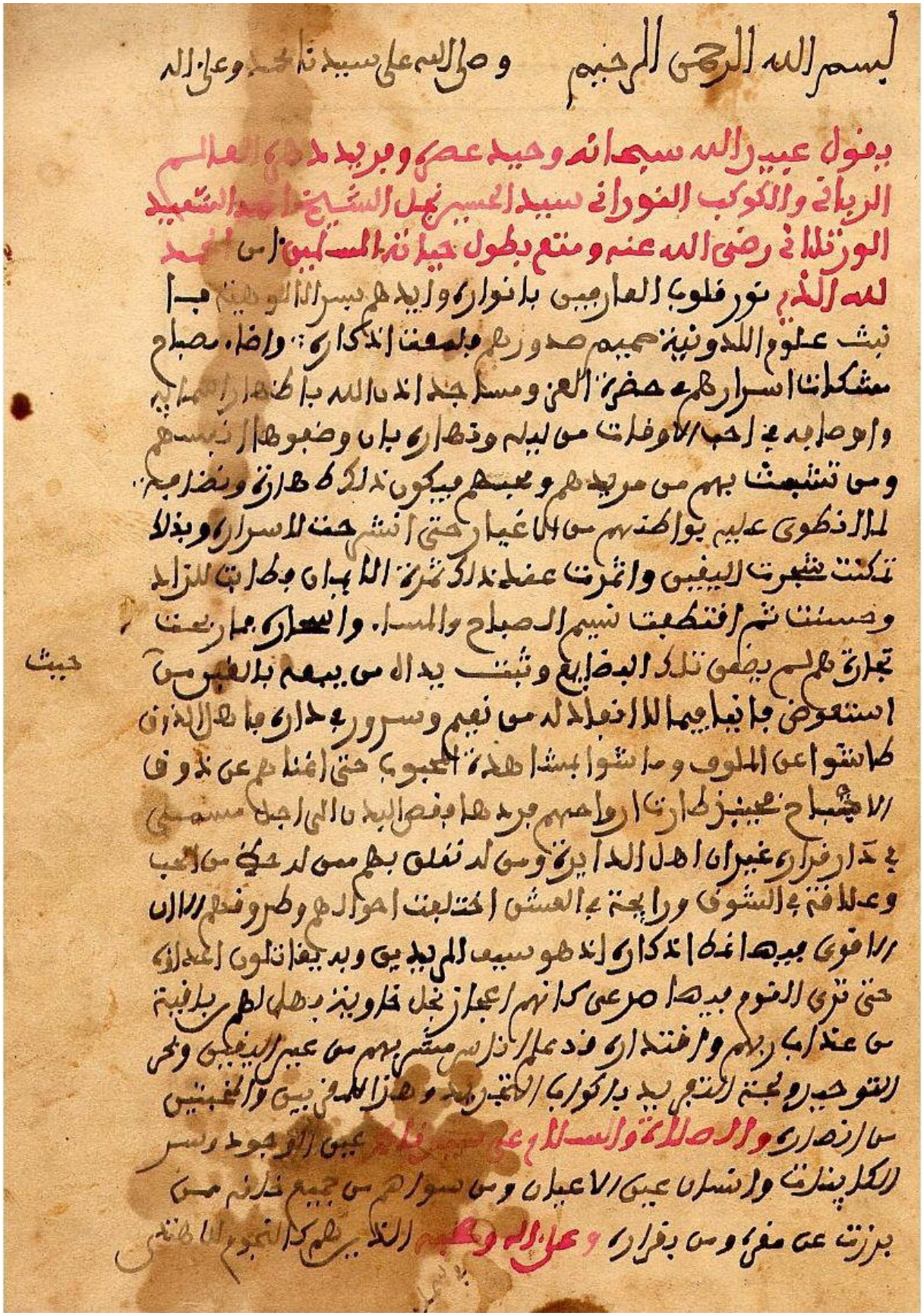

الملاحق

- الملحق رقم 05 ،الحسين الورثيلاني، الكواكب العرفانية وشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية، مخطوطة محفوظة في الزاوية العثمانية بطولقة، ورقة رقم 01، قام بتحقيقها محمد بن عبد الكريم عن دار الخلدونية طبعة 2012.

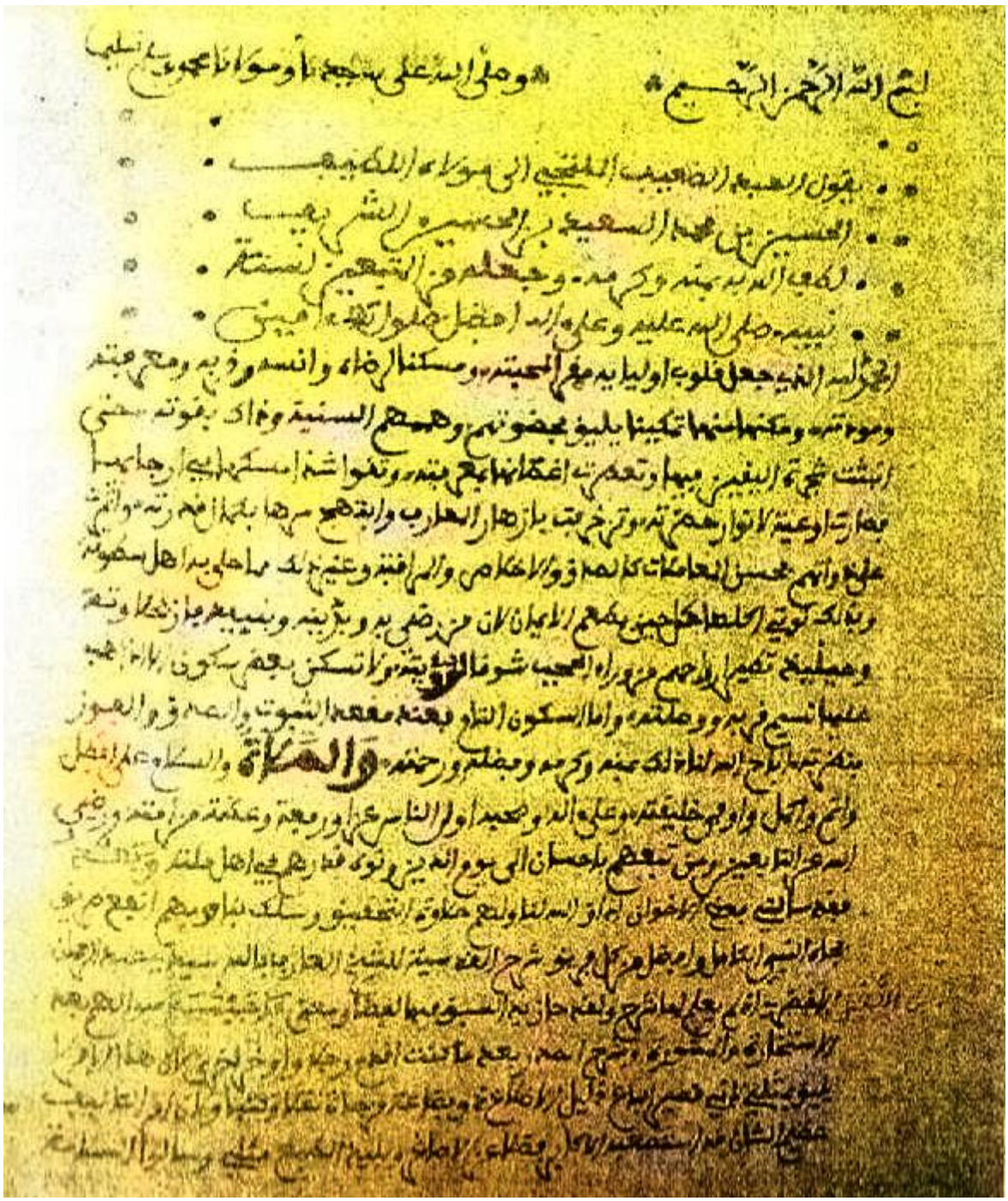

الملاحق

الملحق رقم 06: ابن فرحون، في كتابه الاعتبار وتواريخ الأخبار والتعريف بالنسب إلى النبي المختار صلى الله عليه وسلم ، مخطوطة محفوظة عند اهل بني ورثيلان ، الورقة الأولى :

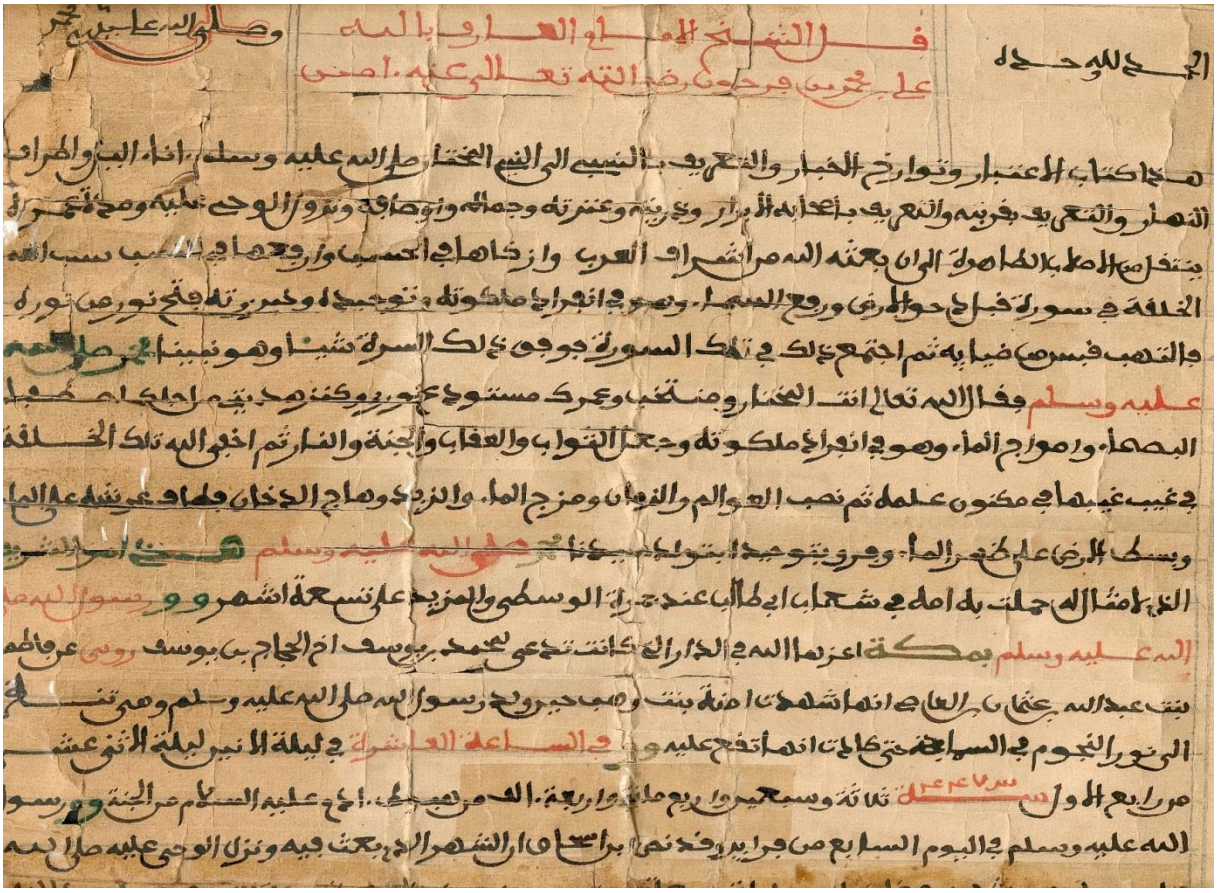

الملاحق

الملحق رقم 06: ابن فرحون، في كتابه الاعتبار وتواريخ الأخبار والتعريف بالنسب إلى النبي المختار صلى الله عليه وسلم ، مخطوطة محفوظة عند اهل بني ورثيلان ، الورقة الأخيرة .

الملاحق

الملحق رقم 07.مخطوطة في الوقف ، فتاوي مرابطي منطقة بني ورثيلان محمد بن العياضي مختومة بقاضي قسنطينة علي الونيسي ، الورقة الأولى يعرض فيها المسألة والتي هي نزاع حول حبوس بقرية ايسمامن لزاوية سيدي الحسين الورثيلاني

الملحق رقم 07 ، رد مرابطي المنطقة على المسألة مع جواب مفتي قسنطينة علي لونيسي مثبتا ذلك بختمه باسم قاضي قسنطينة.

الملاحق

الملاحق

الملحق رقم 08 :ابو عبد الله الصنهاجي، الأجرومية ، مخطوطة في علوم اللغة العربية، نسخه محمد الصغير بن العياضي الورثيلاني، بزاوية سيدي موسى الوغليسي عام 1340هـ. النسخة محفوظة لدى عائلة الشيخ ، الورقة الأولى .

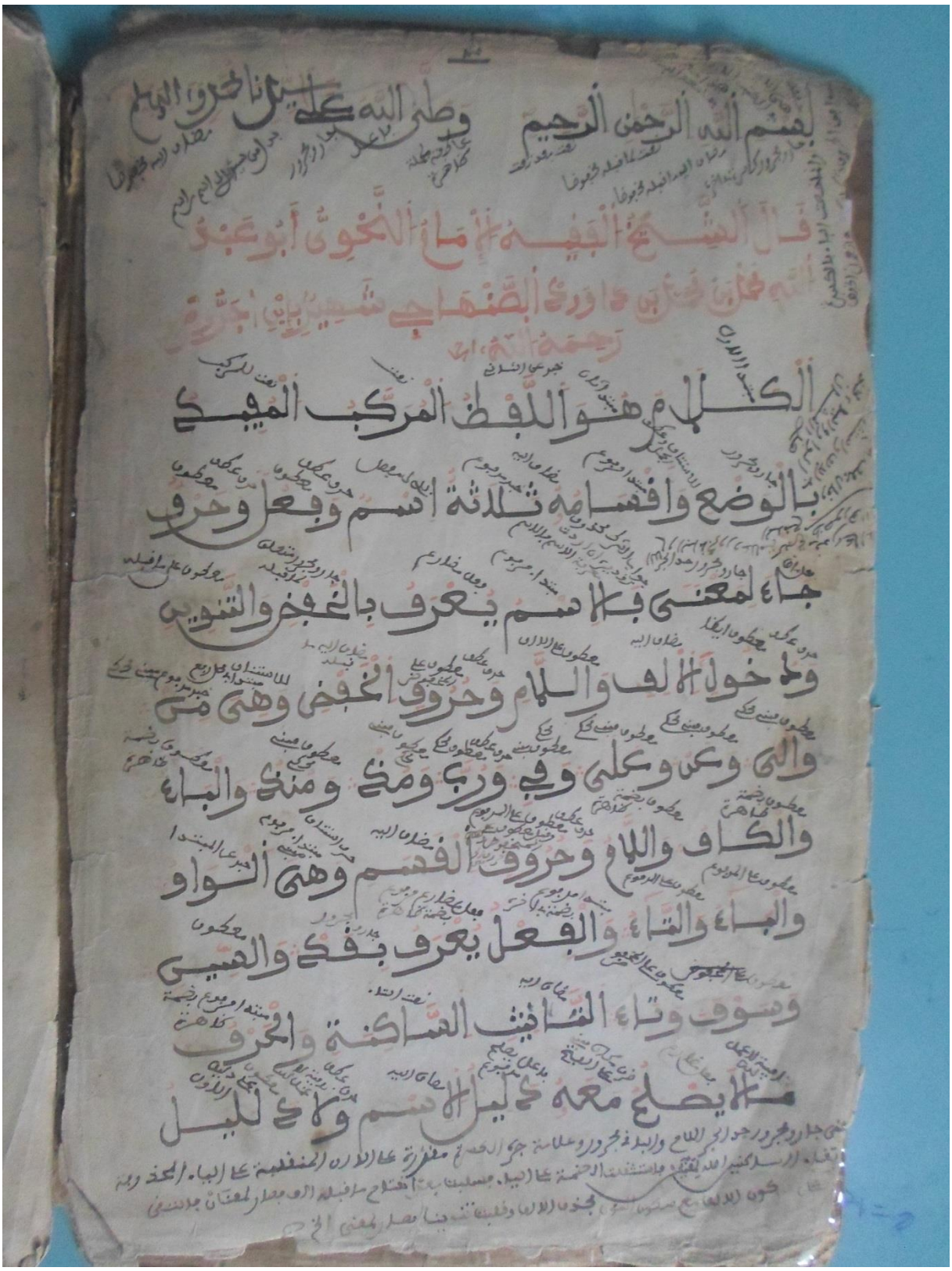

الملاحق

الملحق رقم 08 ، ابو عبد الله الصنهاجي، الأجرومية ، مخطوطة في علوم اللغة العربية، نسخه محمد الصغير بن العياضي الورثيلاني، بزاوية سيدي موسى الوغليسي عام 1340هـ. النسخة محفوظة لدى عائلة الشيخ ، الورقة الأخيرة .

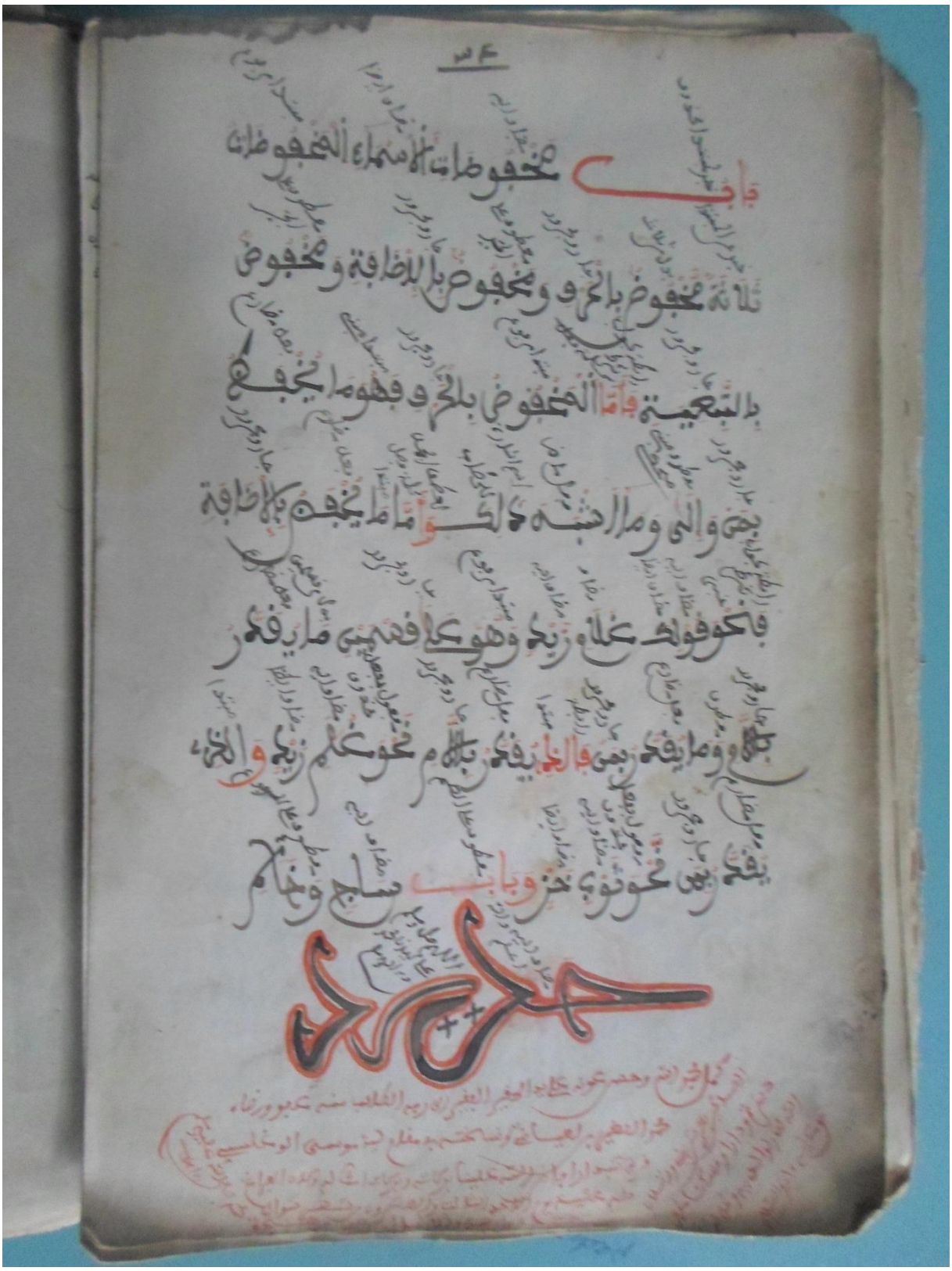

الملاحق

الملحق 9. المخطوطة وظيفة سيدي يحي العيدلي ، محفوظة في مكتبة الموهوبية للمخطوطات ببجاية تحت رقمTZ009 ، الورقة الأخيرة ويتناول فيها مسالة إثبات الشرف .

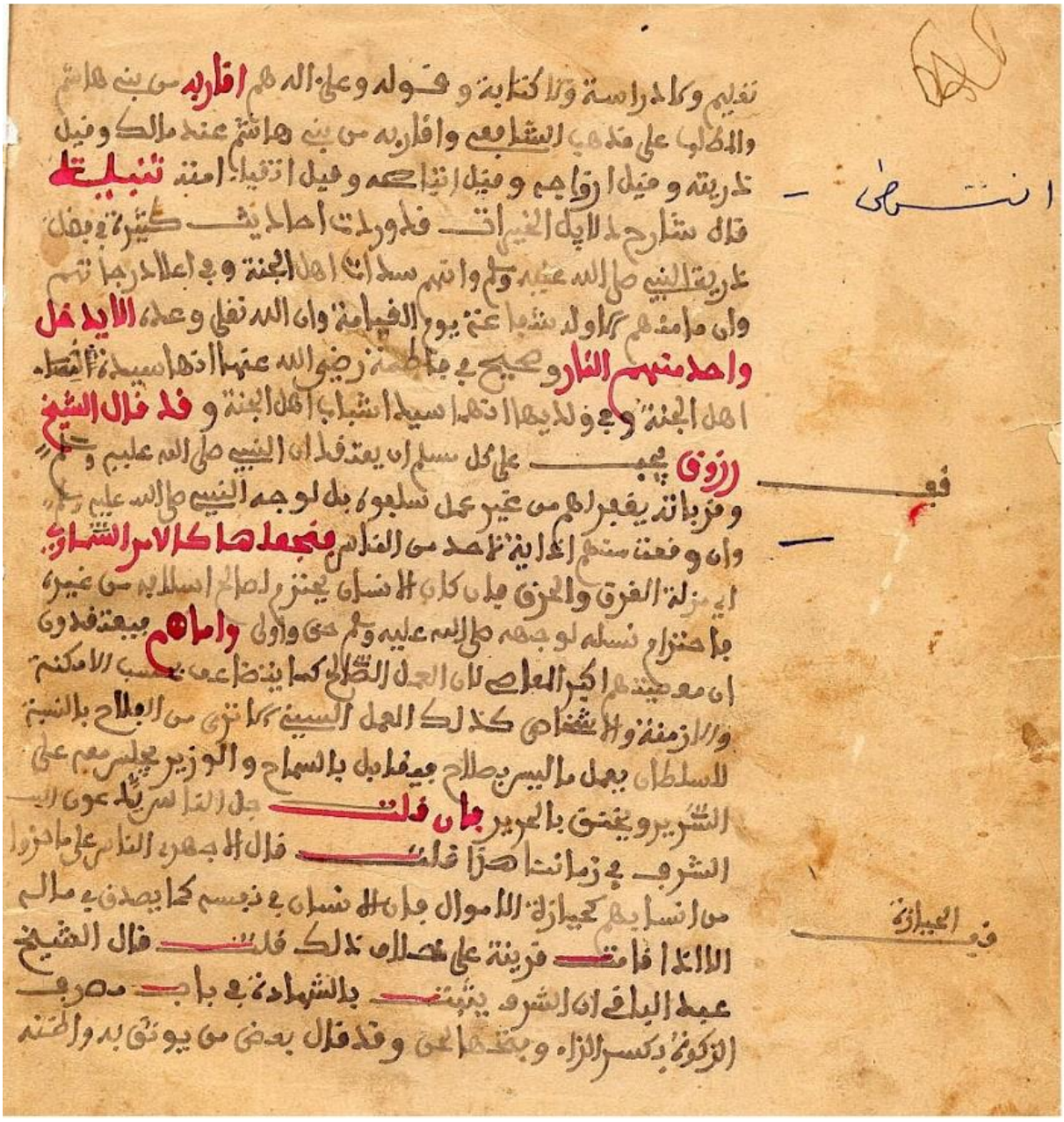

الملاحق

الملحق رقم 10و11 مسلك ذهاب وإياب الرحالة ، اللون الأزرق : ذهاب / اللون الأحمر : العودة.

الملاحق

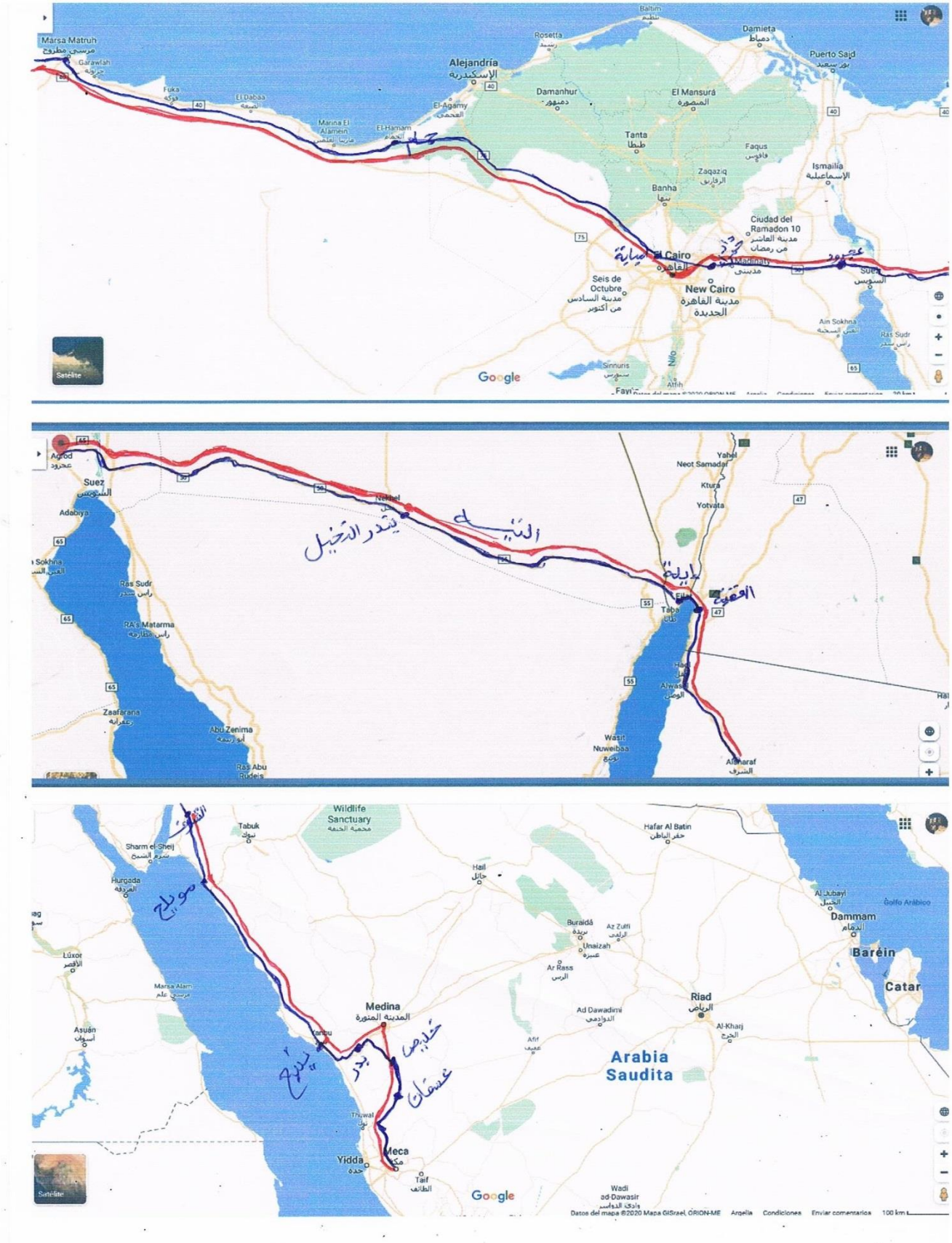

الخرائط اقتباسا من Google Map و أظفنا عليها مسار الرحلة ذهابا و ايابا.

الملاحق

الملحق رقم 12 ، عبد الرحمان الصباغ، شرح عبد الرحمان الصباغ على متن الوغليسية، المخطوطة محفوظة خزانة المخطوطات، مكتبة الشيخ الموهوب أولحبيب- بجاية، تحت رقم F001.نسخت عام 1191/1776هـ. الواجهة مع الورقة الاولى .
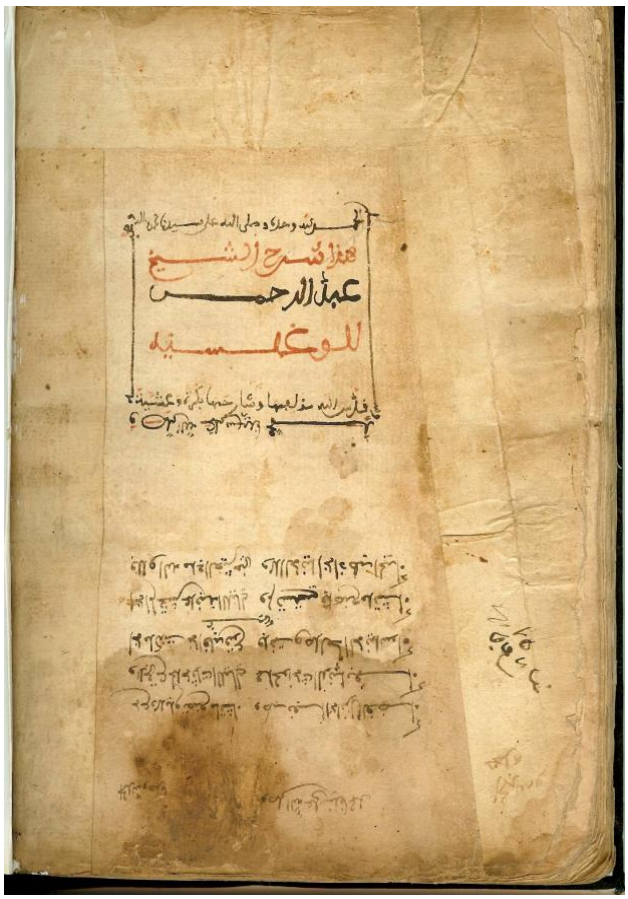
الملاحق

الملحق رقم 12 ، عبد الرحمان الصباغ، شرح عبد الرحمان الصباغ على متن الوغليسية، المخطوطة محفوظة خزانة المخطوطات، مكتبة الشيخ الموهوب أولحبيب- بجاية، تحت رقم F001. الورقة الاخيرة .

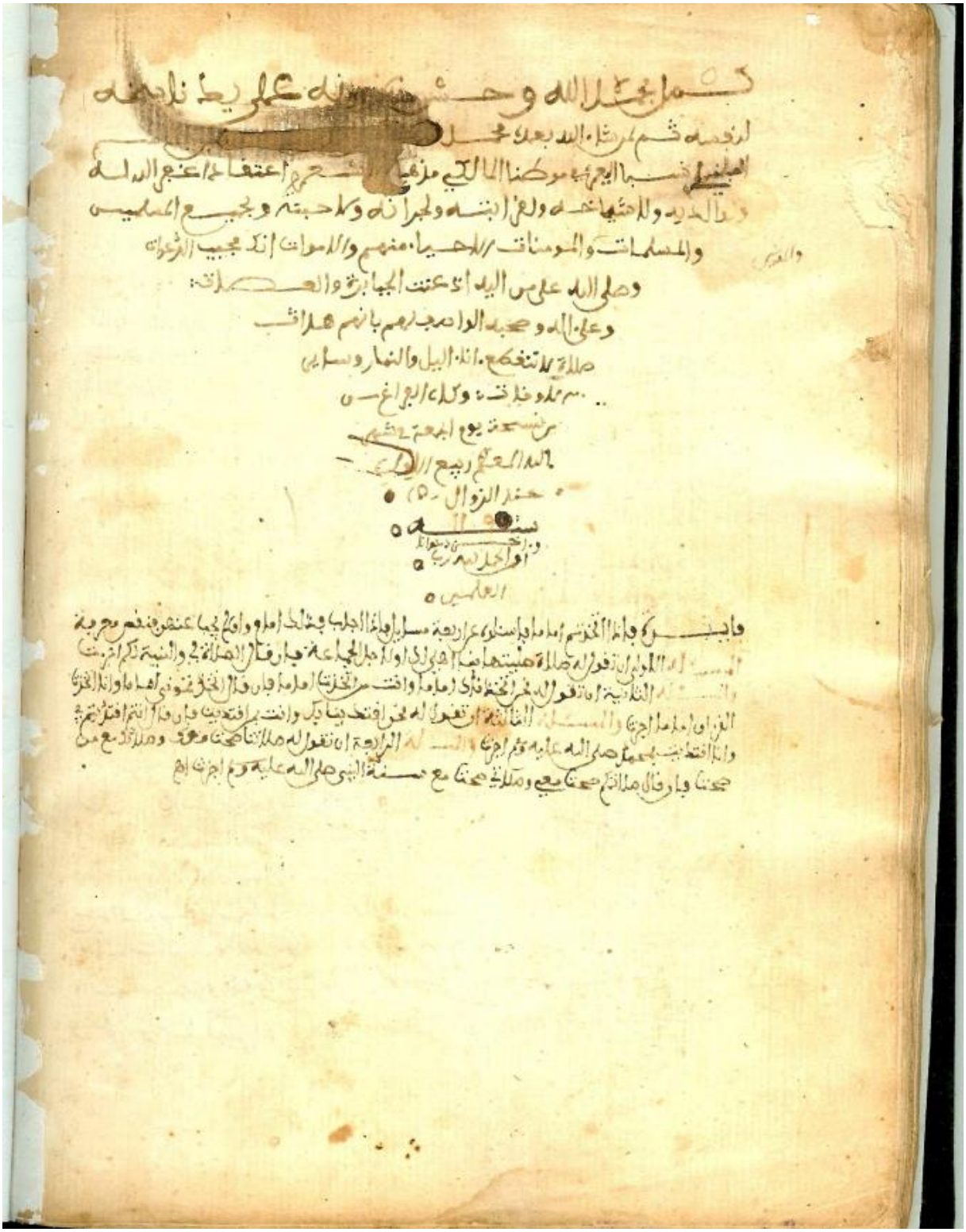

الملاحق

ملحق رقم 13.عبد الله الشاطبي، كتاب الجمّان في أخبار الزمّان، مخطوطة محفوظة مكتبة تشستربيتي دبلن ـ إيرلندا تحت رقم رقم 5009، ينظر الاوراق رقم 254-258.

الملاحق

ملحق رقم 13.عبد الله الشاطبي، كتاب الجمّان في أخبار الزمّان، مخطوطة محفوظة مكتبة تشستربيتي دبلن ـ إيرلندا تحت رقم رقم 5009، الورقة الأخيرة والتي لخّص فيها موضوع المخطوط حول قيام الساعة والذي اقتبس منه الورثيلاني كثيرا.

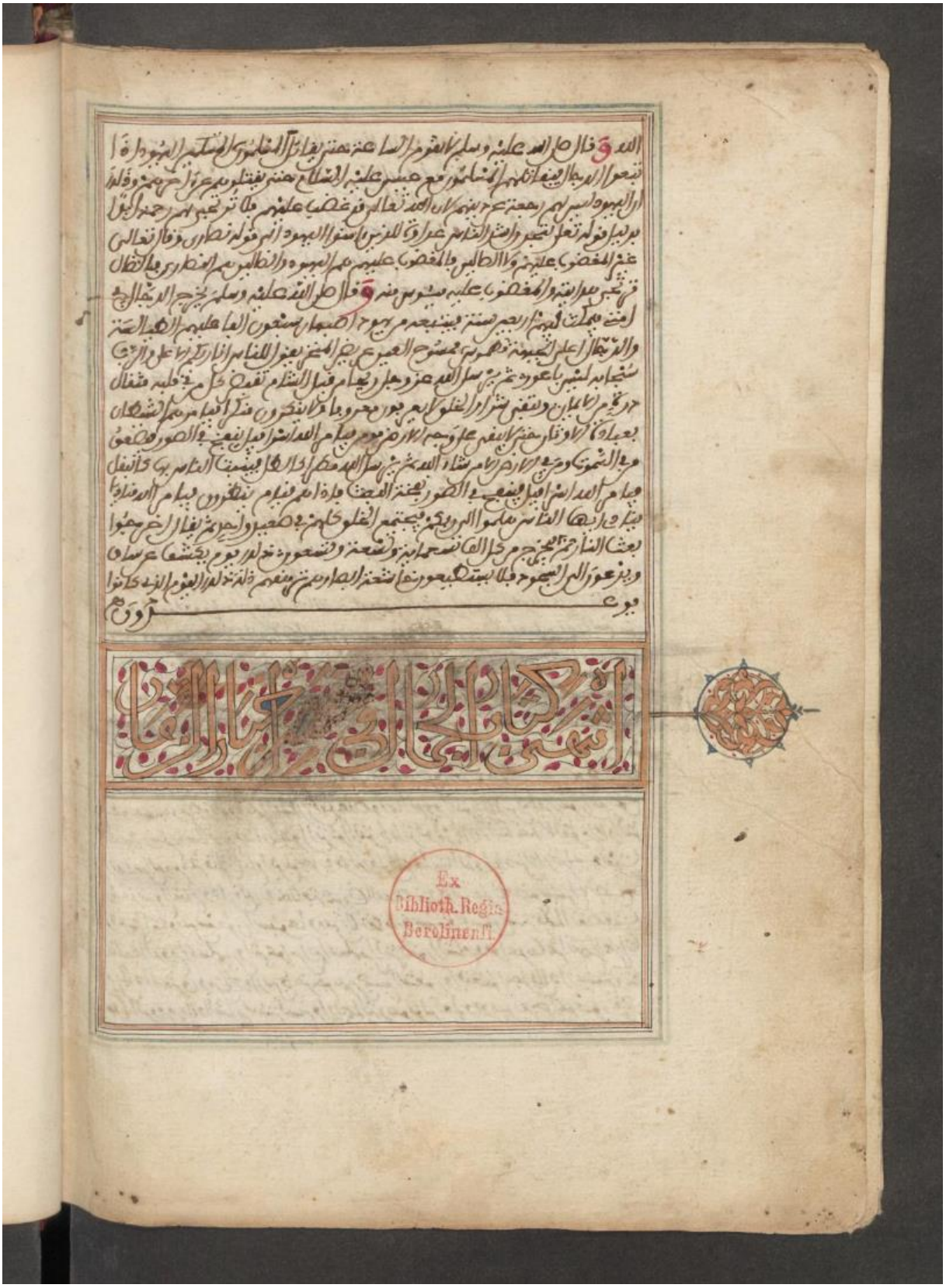

الملاحق

الملحق رقم14 :صورة عن ضريح وقبة سيدي أحمد الشريف بني عشاش .

الضريح متواجد في غابة كثيفة جدا ، وهو مهمل .

سيدي أحمد الشريف ، الجدّ الأول للرحالة .

قرية والد الرحالة بعرش بني عشاش ومنها انتقل إلى قرية "آنو" ببني ورثيلان.

بعدستنا ، مارس 2016.

الاطار في الجهة اليمنى يمثل مكان تواجد قبر سيدي أحمد الشريف الجد الأول للرحالة الذي انتقل إلى أسفل قرية بنو عشاش ، والاطار المتواجد في الجهة اليسرى يمثل القرية التي انتقل إليه أبناؤه ومنهم الحسين الورثيلاني الرحالة وبها وُلد.

الملاحق

الملحق رقم 15 ، صورة ضريح ، مسجد و قبة ، سيدي صادق المعروف ببوقبرين له قبر في قرية لعزيب سيدي صادق و قبر بقرية حيدوس .

مسجد وضريح سيدي صادق

بقرية لعزيب سيدي صادق ، بالقرب

من وادي بوسلام.

ضريح سيدي صادق بمنطقة حيذوس .

بعدسة :جيجيك عبد الرزاق ،

نوفمبر 2010.

الملاحق

الملحق رقم :16.صورة عن مسجد ،ضريح ومعمرة سيدي تواتي بقرية امزين .

مسجد سيدي تولتي بقرية امزين .

بالقرب منه توجد زاويته .

قبر سيدي تواتي البجائي بقرية امزين وسط مقبرة القرية وهو غير معلوم ، أهل القرية يقولون أنه تحت الشجرة مباشرة .

بعدستنا ، جوان ،2010.

الملحق رقم 17. مدّ زكاة الفطر الخاص بالشيخ الحسين الورثيلاني .

الملاحق

الملحق رقم18 ، زاوية ومسجد الشيخ الحسين الورثيلاني بقرية آنو.

منظر عام لقرية الشيخ الحسين الورثيلاني في أعلى الهضبة يوجد مسجد وزاوية الرحالة .

قبر الرحالة في مقبرة القرية و في الأعلى يوجد مسجده وزاويته .

بعدستنا ، ماي 2018.

ضريح الرحالة بقرية آنو .

الملاحق

الملحق رقم 19 ، صورة الزاوية والضريح ، قرية فريحة .

مدخل زاوية سيدي يحي بن موسى

بقرية فريحة .

ضريح سيدي يحي بن موسى بقرية فريحة .

بعدستنا ، بتاريخ أوت 2010.

الملاحق

الملحق رقم 20 : الصنهاجي ، مخطوط نور السراج في إعراب مقدمة الصنهاجي، نسخها: محمد البشير بن عبد الرحمان بن أحمد بن عبد الرحمان بن بلقاسم نجل السيد يذير بن الحاج الورثيلاني ، عام 1334 هجري . الورقة الأولى من المخطوطة ، وهي محفوظة لدى عائلة الشيخ.

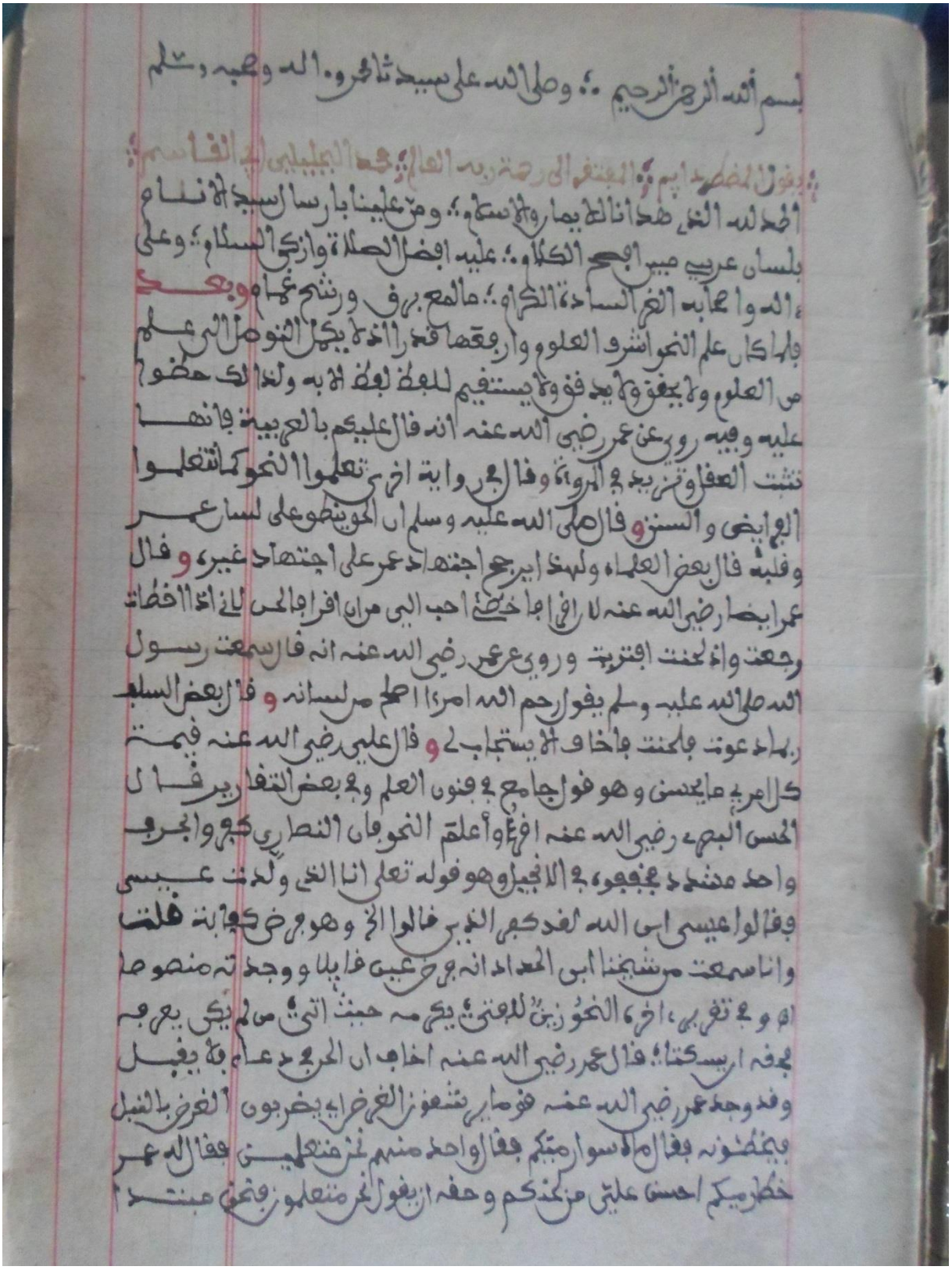

الملاحق

الملحق رقم 20 ، الورقة الأخيرة.

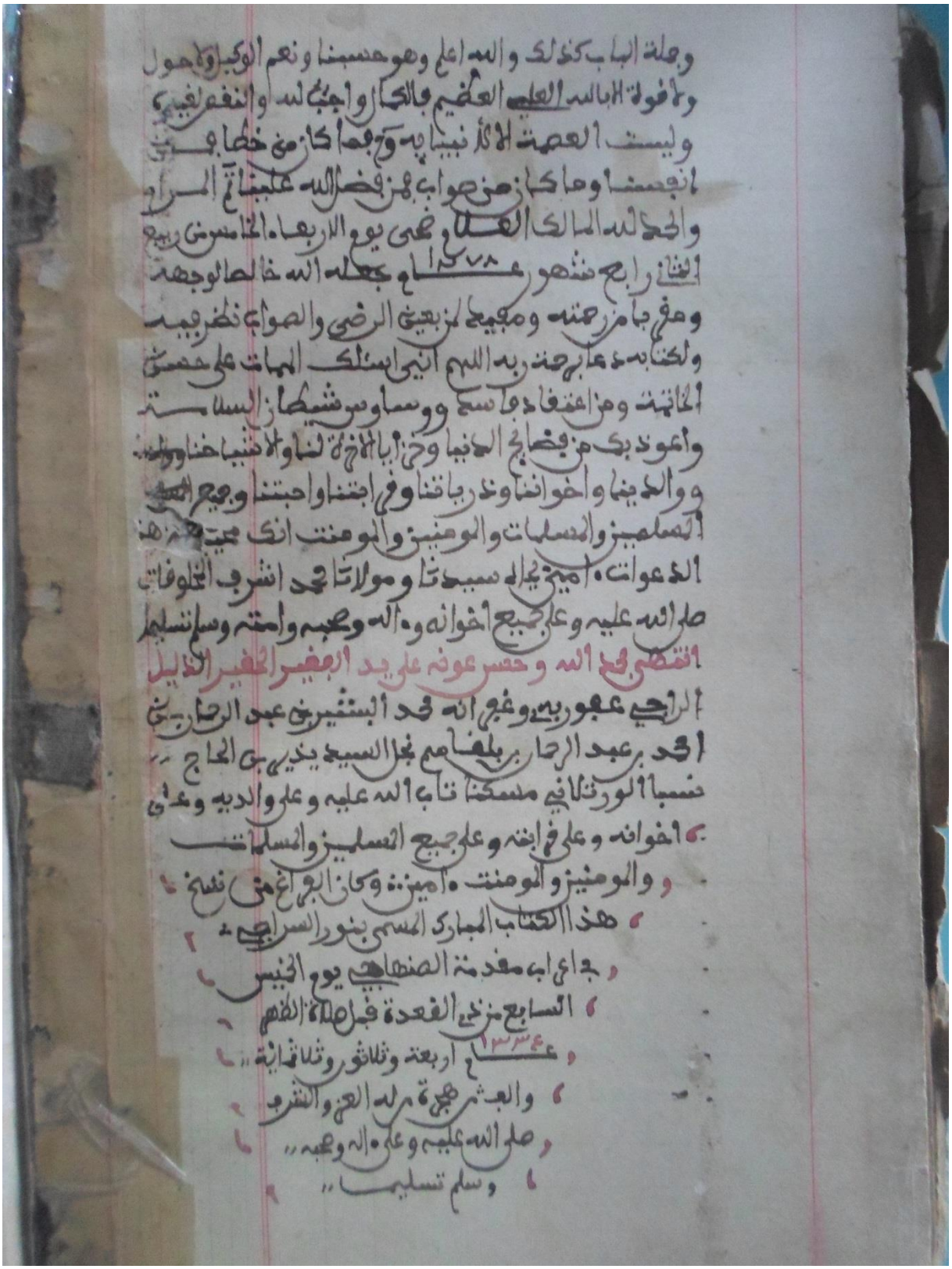
وجلة الباب كذلك والله اعلم وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم فالكمال واجب لله والنقص لغيره
وليست العصمة الا لأنبيائه ورسله فما كان من خطأ فمني
وان صحت وما كان من صواب فمن فضل الله علينا والمرا
والحمد لله المالك القدوس وكان ذلك يوم الاربعاء الخامس من ربيع
الثاني رابع شهور عام ١٢٧٨ هـ جعله الله خالصا لوجهه
وممن جاء من رحمته ومجيبا لمن يبتغي الرضى والصواب نظر فيه
وكتبه عبد ربه راجي رحمة ربه اللهم اني اسئلك الممات على خير
الخاتمة ومن اعتقاد واسع ووسواس شيطان السلامة
واعوذ بك من ضجائع الدنيا ومن آباء الآخرة لنا ولاحبابنا ولوالدينا
ووالدينا واخواننا وذرياتنا وفي ابتنا واحبتنا وجميع المسلمين
المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات انك مجيب الدعوات
الدعوات. امين يا اله سيدنا ومولانا محمد اشرف المخلوقات
صلى الله عليه وعلى جميع اخوانه وآله وصحبه واهله وسلم تسليما
انتهى بحمد الله وحسن عونه على يد العبد الحقير الفقير الذليل
الراجي عفو ربه وغفرانه محمد البشير بن عبد الرحمان بن
احمد بن عبد الرحمان بلقاسم بن السيد يدير بن الحاج
حسبا النورثلاثي مسكنا تاب الله عليه وعلى والديه وعلى
اخوانه وعلى ذريته وعلى جميع المسلمين والمسلمات
والمومنين والمومنات. امين. وكان الفراغ من نسخ
هذا الكتاب المبارك المسمى بنور السراج
في ضحى ابتدا مقدمة الضحى يوم الخميس
السابع من شهر القعدة قبل صلاة الظهر
عام ١٣٣٤ اربعة وثلاثون وثلاثمائة
والعشر هجرة من له العز والشرف
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما

الملاحق

الملحق رقم 21:

خليل ابن إسحاق، شرح مختصر خليل ابن إسحاق ، شرحه عبد الباقي بن يوسف الزرقاوي، الجزء الثاني ، نسخه محمد محمد الطاهر بن محمد بن الحاج ابن عبدون البجائي، 1189هـ، المخطوطة محفوظة لدى حفدة عائلة الشيخ. الورقة الاولى والاخيرة.

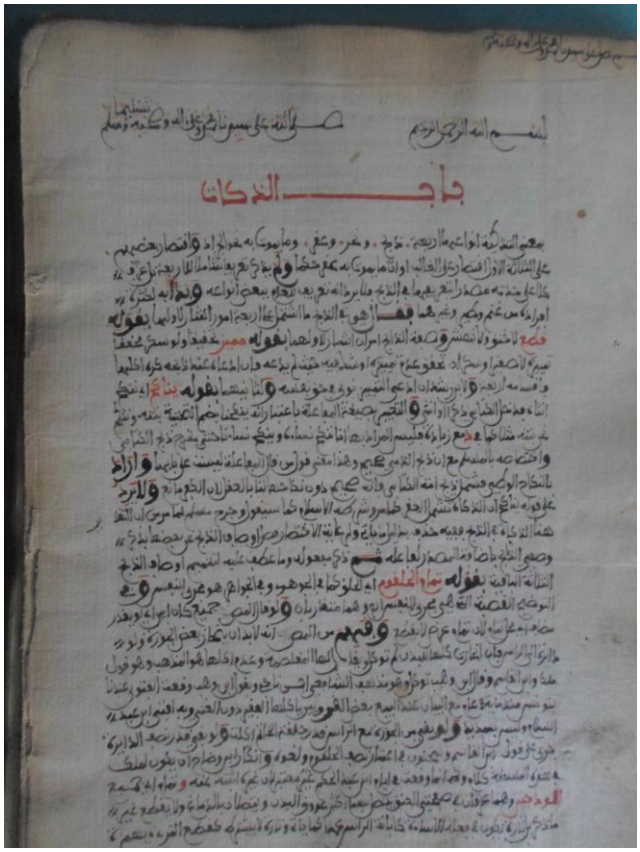

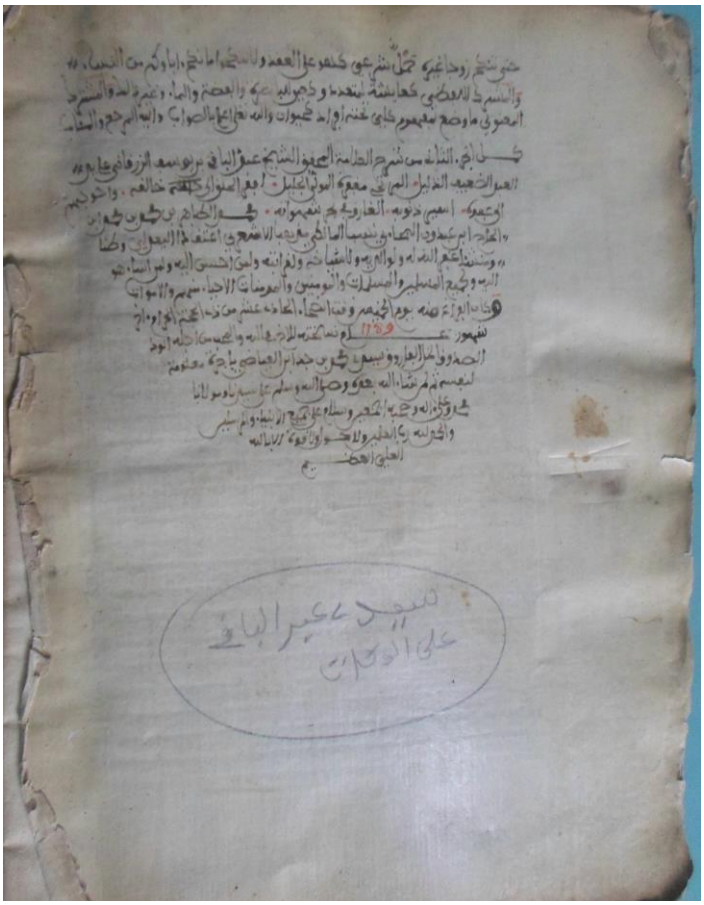

الملاحق

الملحق رقم 22. مخطوط السراج في حزب المبين ونوره للقارئين مستنير الجنكي نجل عمر الملقب بطير الجنة، ، نسخ عام 1221 هـ،

أنجز هذا التعليق محمد ابن الزروق ابن أمحمد ابن المبارك ابن الأحمر الريغي القصر الطيري مسكنا ومنشئا، نسخه لشيخه محمد ابن جدو العياضي

الورقة الأولى والأخيرة من المخطوطة .

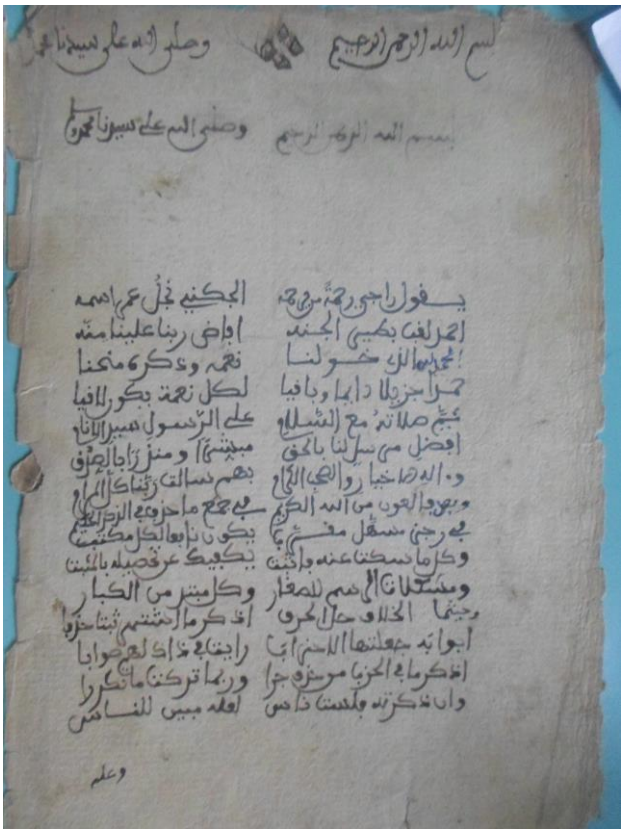

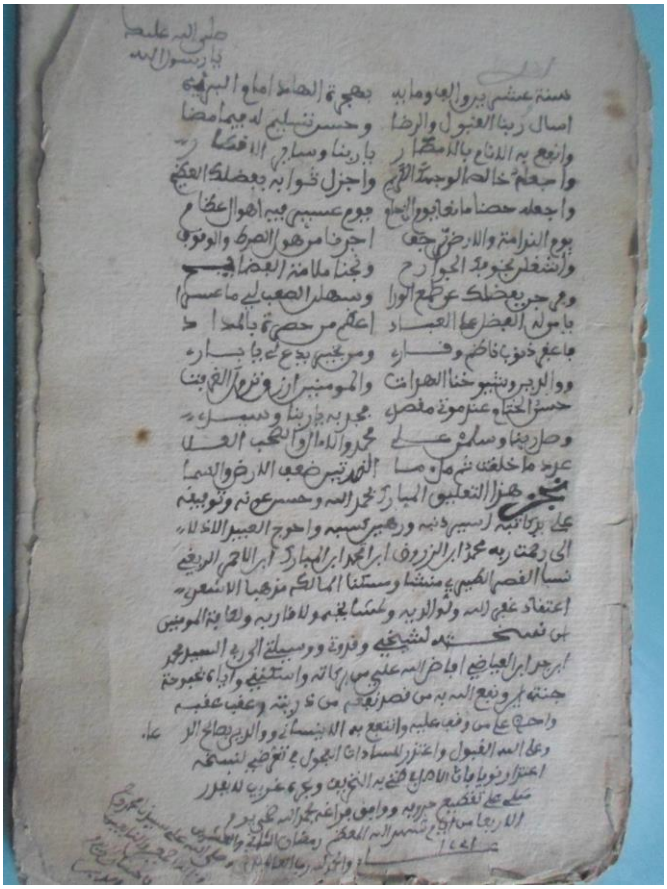

الملاحق

الملحق رقم :23. وثيقة تثبت شراء المخطوطة من السيد بن يدير الحاج على شيخ الأزهر عام 1280هـ.

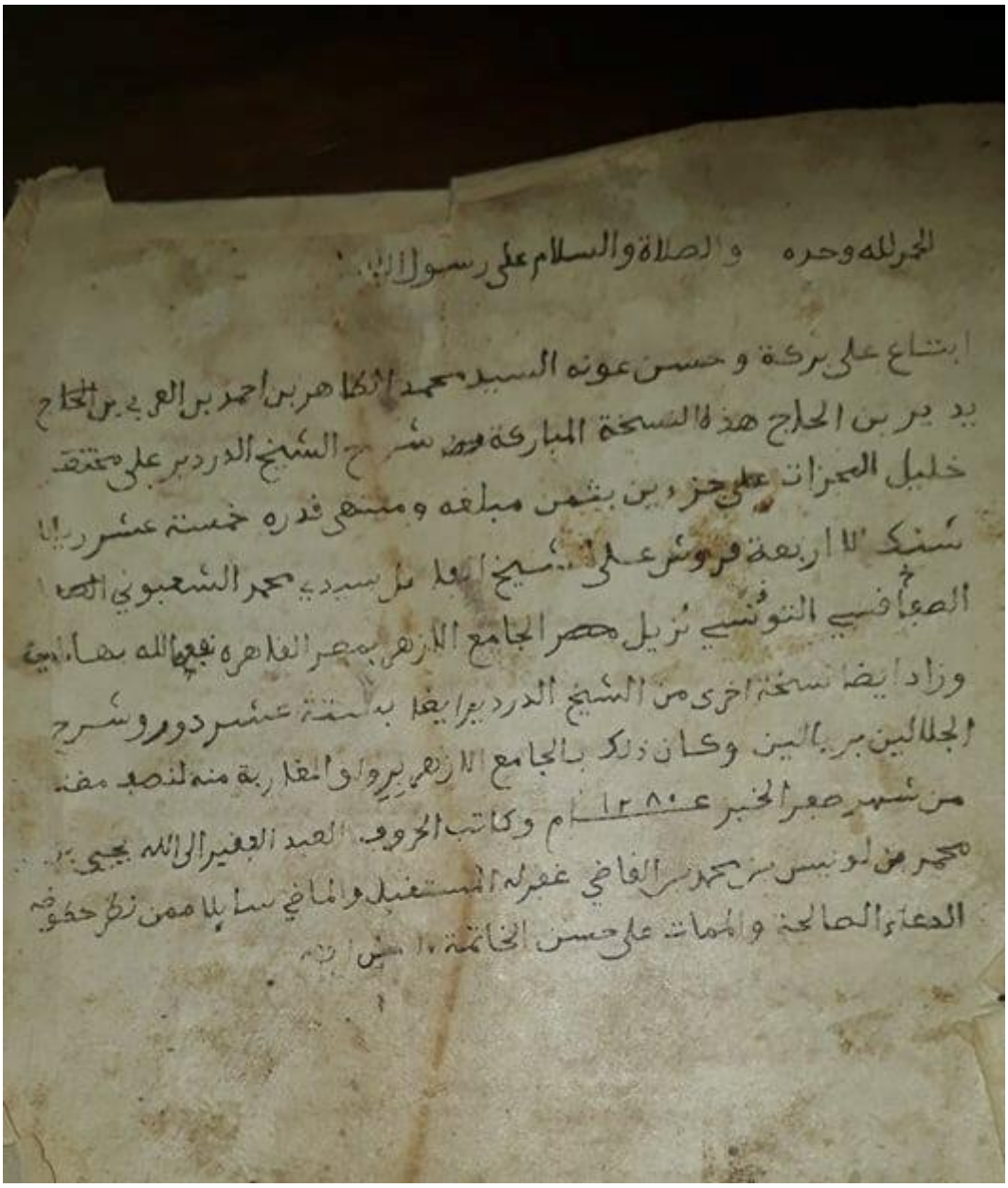

الملاحق

الملحق رقم 24.خليل بن اسحاق، شرح مختصر، الشارح عبد الباقي بن يوسف الزرقاوي،ج1، نسخه محمد الطاهر بن محمد الحاج بن عبدون البجائي، في رمضان 1195هـ. الورقة الاولى والاخيرة للمخطوطة و هي محفوظة لدى عائلة الشيخ.

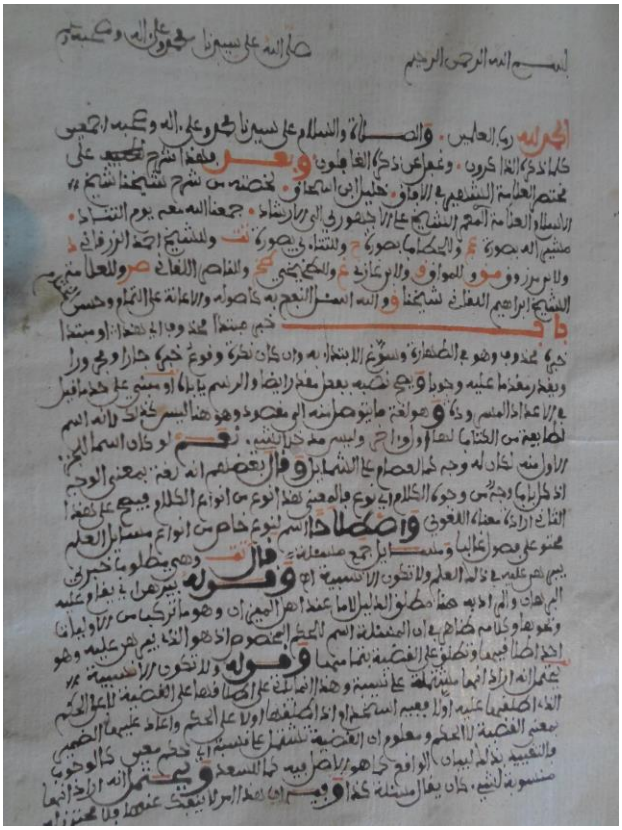

الملاحق

الملحق رقم 25.مخطوط في الحساب والجبر ،عثرنا عليه بزوايا منطقة بني ورثيلان .

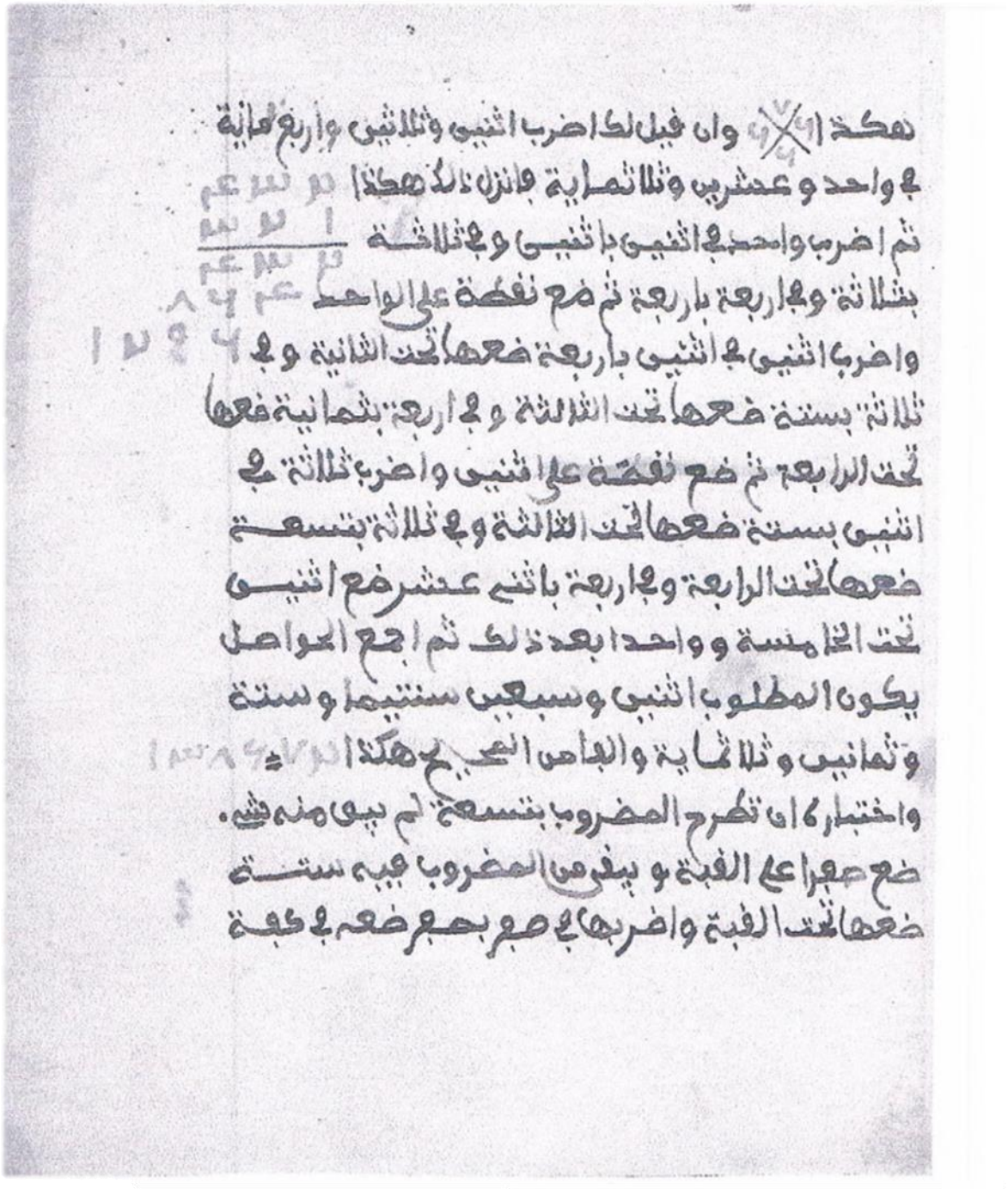

هكذا ان قيل لك اضرب اثنين وثلاثين واربع مائة
في واحد وعشرين وثلاثمائة فانزل ذلك هكذا
ثم اضرب واحدا في اثنين باثنين وفي ثلاثة
بثلاثة وفي اربعة باربعة ثم ضع نقطة على الواحد
واضرب اثنين في اثنين باربعة فضعها تحت الثانية وفي
ثلاثة بستة فضعها تحت الثالثة وفي اربعة بثمانية فضعها
تحت الرابعة ثم ضع نقطة على اثنين واضرب ثلاثة في
اثنين بستة فضعها تحت الثالثة وفي ثلاثة بتسعة
فضعها تحت الرابعة وفي اربعة باثنى عشر مع اثنين
تحت الخامسة وواحدا بعد ذلك ثم اجمع الحواصل
يكون المطلوب اثنين وسبعين سنتيما وستة
وثمانين وثلاثمائة والباقي الصحيح هكذا
واختبارها ان تطرح المضروب بتسعة لم يبق منه شيء.
ضع صفرا على القبة ويقي من المضروب فيه ستة
فضعها تحت القبة واضربها في صفر يصير ضعفه في قبة

الملاحق

الملحق رقم 26 ، زاوية أجلميم بعرش بني جماتي لمؤسسها الشيخ محمد الصالح .

بعدستنا ، نوفمبر 2011.

بيبليوغرافية البحث

البيبليوغرافيا

القرآن الكريم ،رواية ورش عن نافع .

المصادر المخطوطة :

1)ابن عمار ،نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم :2757.

2)ابن فرحون، الاعتبار وتواريخ الأخبار والتعريف بالنسب إلى النبي المختار صلى الله عليه وسلم ، مخطوط لدى احدى العائلات ببني ورثيلان.

3)أبو عبد الله الصنهاجي، الأجرومية ، مخطوطة في علوم اللغة العربية، محفوظة لدى عائلة بن جدو ببني ورثيلان .

4)أحمد البوني، الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، مخطوط تحت رقم HB06 ،بخزانة الشيخ المولود أولحبيب بمنطقة بني ورثيلان.

5)أحمد البوني، كتاب في المواريث، مخطوط تحت رقم F0054، بخزانة الشيخ المولود أولحبيب بمنطقة بني ورثيلان .

6)أحمد الزروق، تعليق على فتوى في الحضانة لأحمد البوني، مخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية الحامة، رقم 2116.

7)الجزولي ، دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار ، ناسخها : محمد الشريف بن محمد بن الموهوب الشريف ، عام 1315هـ ، بقرية الشرفة العليا ،محفوظة بمتحف بني ورثيلان .

8)الجنكي نجل عمر الملقب بطير الجنة، مخطوط السراج في حزب المبين ونوره للقارئين مستنير، نسخ عام 1221هـ، نسخة محفوظة لدى حفدة العائلة.

9)الحسين الورثيلاني، الكواكب العرفانية وشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية، مخطوطة محفوظة في الزاوية العثمانية بطولقة.

10)الحسين الورثيلاني، شرح الرسالة السمرقندية،1165هـ، تحت رقم BA003، محفوظة بخزانة الشيخ الموهوب اولحبيب، تالة وزرار، بني ورثيلان.

11)الحسين الورثيلاني، شرح وظيفة سيدي يحي العيدلي، ج1، ورقة 08، محفوظة لدى خزانة الشيخ الموهوب أولحبيب تالة وزرار، بني ورثيلان.

12)الحسين الورثيلاني ،نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ،مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم 2743.

13)خليل ابن إسحاق، شرح مختصر خليل ابن إسحاق ، شرحه عبد الباقي بن يوسف الزرقاوي، الجزء الثاني ، نسخه ، محمد الطاهر بن محمد بن الحاج ابن عبدون البجائي، 1189هـ، الورقة الأخيرة، المخطوطة محفوظة لدى حفدة عائلة الشيخ.

14)خليل بن إسحاق، شرح مختصر، الشارح عبد الباقي بن يوسف الزرقاوي،ج1، نسخه محمد الطاهر بن محمد الحاج بن عبدون البجائي، في رمضان 1195هـ.

15)داود الصنهاجي، الأجرومية ، نسخها محمد الصغير العياضي ، بتنبذار ،عام 1340هـ ،محفوظة لدى حفدة أولاد العياض.

16)الصنهاجي ، مخطوط نور السراج في إعراب مقدمة الصنهاجي، نسخها: محمد البشير بن عبد الرحمان،1334.

البيبليوغرافيا

17)عبد الرحمان الصباغ، شرح عبد الرحمان الصباغ على متن الوغليسية، الناسخ محمد بن القاسم اليعمري ،المخطوطة محفوظة خزانة المخطوطات. الشيخ الموهوب أولحبيب- بجاية، تحت رقم F001.

18)عبد الرحمان المجاجي ،رحلة المجاجي، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر نسختين : نسخة الأولى رقم 1565، النسخة الثانية رقم 1564.

19)محمد الجليلي أبي القاسم، نور السّراج في إعراب مقدمة الصنهاجي، محمد البشير بن عبد الرحمان بن امحمد بن عبد الرحمان بن بلقاسم نجل السيد يذير بن الحاج، عام 1334هـ، مخطوطة محفوظة لدى عائلة الفقيه.

20)مخطوطة في الوقف ، فتاوي مرابطي منطقة بني ورثيلان محمد بن العياضي مختومة بقاضي قسنطينة علي الونيسي، نسخة محفوظة عندي.

21)-Ahmad b Muhamad Al-Ruhuni al-Titwani, Al lu'lu' al-jatib bi – ijtisarnafh al- tib (resumen del celebrenaf Al- tib de Al-Maqqari, manuscrito de Historia, en bibliotica municipal de cordoba, P.02. annex N 03.

22)-Ahmad Al damanhuri , sharh al-l Risala al- Samarquandiyya fil-isti'ara , manuscrito en literatura, biblioteca municipal del Ayuntamiento de Cordoba.

المصادر المطبوعة والمحققة :

الرحلات:

23)ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المشهورة "برحلة ابن بطوطة"،ط1،المطبعة الخيرية.1322هـ.د

24)ابن حمادوش، عبد الرزاق ابن حمادوش، لسان المقال في النبأ عن النّسب والحسب والحال، تح وتق وتع: أبو القاسم سعد الله ،م وف م،الجزائر ،1983.

25)ابن رشُيد السبتي ،رحلة ابن رشُيد السبتي، دراسة وتحليل، أحمد حدادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية،2003.المملكة المغربية.

26)ابن عمار، نحلة اللبيب أخبار الرحلة إلى الحبيب، تحقيق ابن شنب، مطبعة فونتانة الشرقية، الجزائر 1902.

27)أبي الحسن بن محمد بن جبير، رحلة ابن جبير،ط1، ملتزم الطبع عبد الحميد أحمد حنفي، مصر،2007.

28)أحمد الحضيكي السويسي، الرحلة الحجازية، ضبط وتعليق: عبد العالي المدبر،ط1،دار الأمان للنشر و التوزيع، الرباط، المملكة المغربية، 2011.

29)الحسين الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية، مع تعليقات ابن مهنا القسنطيني، دراسة: محفوظ بوكراع وآخرين،ج2،دار المعرفة الدولية، الجزائر،2001.

30)الحسين الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تصحيح محمد بن أبي شنب، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1908.

البيبليوغرافيا

31)العبّاس المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تح: محمد بن معمر، دار الرشاد للطباعة وللنشر، سيدي بلعباس، الجزائر،2004.

32)أحمد بن محمد المقري التلمساني، رسائل المقري، تحقيق :أسماء القاسم، الجزائر،(د.س).

33)عبد الرزاق ابن حمادوش، لسان المقال في النبأ عن النّسب والحسب والحال، تح وتق وتع: أبو القاسم سعد الله ،م وف م،الجزائر،1983.

34)العبدري، الرحلة المغربية، تح محمد الفاسي،الرباط،1968.

35)محمد أبوراس الناصري ، فتح الاله ومنّته في التحدّث بفضل ربي ونعمته "حياة أبي راس الذاتية والعلمية"، حققه وضبط عليه محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،د.س.

36)الناصري، رحلة الناصري ، تح عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدي ،الإمارات العربية المتحدة،2011.

السير والتراجم

37)ابن تيمية ،الفرقان بين أولياء الرحمان وفرقاء الشيطان، تح: عبد القادر الارناؤوط، مكتبة دار البيان،دمشق،1985.

38)أبو العباس الغبريني ،عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح عادل نويهض،ط2،منشورات دار الأفاق الجديدة،بيروت،1979.

39)أبو القاسم عبد الكريم القشيري ،الرسالة القشيرية ،تح :عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ،ج 2،دار المعارف .دس، القاهرة ،مصر.

40)أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشّماع، كتاب الأدلة السنية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح الطاهر محمد المعموري، الدار العربية للكتاب،تونس.1984.

41)أبوراس الناصر المعسكري، زهر الشماريخ في علم التاريخ، تحقيق حمدادو بن عمر، منشورات مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية،الجزائر،2016.

42)أبوراس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تحقيق: بوركبة محمد،ج1،منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف،الجزائر،2007.

43)أبي العباس احمد بن عبد الحي، مناقب الامام ادريس بن ادريس، تح محمد بوخنيفي،ج2، دار الكتب العلمية،بيروت،1971

44)أبي القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة بيير فونتانة الشرقية،الجزائر،1906.

45)أبي نصر السّراج الطوسي ، اللُمّع ، تح :عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديث ،1960.مصر.

46)أحمد البوني، الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تقديم وتحقيق: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر،2007.

47)أحمد الناصري السلاوي، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، ج07،الدار البيضاء، المغرب،1956.

البيبليوغرافيا

48)أحمد الوغليسي البجائي، المقدمة الوغليسية على مذهب السادة المالكية، تح أمل محمد نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث،ط1،مصر،2007.

49)أحمد بن ابي الضياف، إتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك أهل تونس وعهد الامان،ج2،تح لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، تونس ،1963.

50)أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح :إحسان عباّس، المجلد الخامس، دار صادر بيروت،1988.

51)أحمد بن محمد المقري، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من لقيته من أعلام الحضرتين فاس ومراكش، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور،ط2، المطبعة الملكية الرباط.

52)الاغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق يحي بوعزيز، ج1،دارالبصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،2009.

53)التادلي ،التشوف إلى رجال التصوف وأخبار ابي العبّاس السبتي، تح: أحمد التوفيق، ط2،1997،الدار البيضاء، المغرب.

54)جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح محمد ابو الفضيل ابراهيم،ج2،ط1،دار احياء الكتب العربية،مصر،1968.

55)جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح محمد ابو الفضيل ابراهيم،ج2،ط1،دار احياء الكتب العربية،مصر،1968.

56)السعيد أبهلول، الشيخ السعيد أبهلول الورتلاني في مجموعة من رسائله ومجالسه وفتاويه، تصحيح وتعليق: محمد الطاهر فضلاء، دار هومه، الجزائر ،2004.

57)عبد الرحمان أحمد الوغليسي البجائي، المقدمة الوغليسية على مذهب السادة المالكية، تحقيق: أمل محمد نجيب ،مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث ،ط1،مصر،2007.

58)عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح :أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1987.

59)عبد الرحمان الجبرتي، عجائب الأثار في التراجم والأخبار، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، ج1،مطبعة بولاق، مصر،1998.

60)الكلاباذي، التعرف لمذهب اهل التصوف ، ظبطه: أحمد شمس الدين ،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1993.

61)لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، تح :محمد عبد الله عنّان،ط1، المجلد الثاني، مكتبة الخانجي ،القاهرة،1984.

62)محمد ابوراس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تحقيق محمد غالم،ج1،منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية،الجزائر،2008.

البيبليوغرافيا

63)محمد بن عبدالكريم، المقري وكتابه نفح الطيب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، د.س.

64)المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: مصطفى الشفا، ابراهيم الابياري وآخرون، ج1، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة ، مصر ،1939.

مصادر عامة

65)ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري، المدخل، ج4،مكتبة دار التراث ،القاهرة، مصر. د,س.

66)ابن جردانبة، المسالك والممالك ،مطبعة بريل ،1889،بمدينة ليدن المحروسة.

67)ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر العبر دار العودة ،د.س، بيروت.

68)ابن كثير، تفسير القرآن الكريم ، ج4،ط1،دار الكتاب الحديث ،د.س، الجزائر.

69)احمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي ،البلدان، مطبعة بريل،1890،ليدن المحروسة .

70)أحمد بن عمار، مختارات مجهولة من الشعر العربي، تقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، ط1،دار الغرب الاسلامي،لبنان،1992.

71)أحمد بن محمد القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تح صالح أحمد الشامي،ط2،المكتب الاسلامي،بيروت،2004.

72)شمس الدين الرازي، حدائق الحقائق، تح: سعيد عبد الفتاح،ط2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.

73)الطبري ، مختصر تفسير الطبري "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، تح الشيخ محمد على الصابوني وصالح احمد رضا ، مج 2، ط2،مكتبة رحاب ،1987، الجزائر.

74)عبد الله الشاطبي، كتاب الجمّان في أخبار الزمّان، مخطوطة محفوظة مكتبة تشستربيتي دبلن . إيرلندا تحت رقم 5009.

75)محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق محمد بن عبد الكريم، ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981.

76)محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح المهدي البوعبدلي، دار عالم المعرفة للنشر والتوزيع،الجزائر،2012.

المراجع :

مراجع خاصة:

77)أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1983.

78)أبو القاسم سعد الله ،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج5،دار عالم المعرفة،الجزائر،2009.

79)أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج2،عالم المعرفة، الجزائر،2009.

البيبليوغرافيا

80)أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري: حياته وآثاره، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

81)أبو القاسم سعد الله، رسائل في التراث والثقافة مراسلات الشيخ المهدي البوعبدلي(دراسة وتعليق)،دار عالم المعرفة،الجزائر،2015.

82)أحمد ظريف، قراءة في الرحلة، سياحة في أغوار رحلة الورثيلاني، دار هومه، الجزائر،2005.

83)أنساعد سميرة، الرحلة إلى المشرق، في الأدب الجزائري،دراسة في النشأة والتطور و البيئة،دار الهدى ،عين مليلة،الجزائر،2009.

84)جمال الدين فاتح الكيلاني، الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي دراسة تاريخية، دار الزنبقة،2014.مصر.

85)الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني ،ج1،منشورات عكاظ،1990،الرباط.

86)حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني،ط1،دار الهدى، عين مليلة،الجزائر،2008.

87)سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج3،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1999.

88)عبد الوهاب محمد إسماعيل العمراني، رؤية يمنية في أدب الرحلات مشاهدات وانطباعات من الشرق إلى الغرب ،ط2،مؤسسة الرسالة ناشرون،2013.لبنان.

89)عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية،1996.الرياض.

90)عيسى بخيتي ،أدب الرحلة الجزائري الحديث مكونات السرد، دار هومه،2014.الجزائر.

91)فؤاد قنديل،أدب الرحلة في التراث العربي،ط2،الدار العربية للكتاب،القاهرة،2002،مصر.

92)محمد ماكمان ، الرحلات المغربية ،ق17و18م، ط1، مطبعة الأمنية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،2014.الرباط ، المملكة المغربية.

93)مكحلي محمد، سيدي بلعباس البوزيدي ولي وولاية ، دار القدس العربي، وهران. الجزائر.2018.

94)مختار الطاهر فيلالي، رحلة الورثيلاني، عرض ودراسة، دار الشهاب، باتنة ، الجزائر ،1978.

95)نادية الازمي، الآخر في الرحلة المغربية "الرحلة التطوانية إلى الديار المقدسة" للشيخ عبد الله الصفار "الرحلة الحجازية" للشيخ ماء العينين أنموذجين،ط1،منشورات جمعية النجاح للتنمية الاجتماعية، 2016،مراكش.المملكة المغربية.

96)ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984.

97)ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين، دار البصائر،الجزائر،2013.

98)نزيهة جابري، الرحلة المغربية المكية لأحمد بن محمد الصبيحي السلاوي،ط1،دار الامان،2016، الرباط، المملكة المغربية.

99)نقولا زيادة ،الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، 1987،لبنان

100)نواف عبد العزيز الجحمة، رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن هجري (12-14م)،دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارت .2008.

البيبليوغرافيا

101)هوارد، اشهر الرحلات غلى غرب إفريقيا، تر عبد الرحمان عبد الله الشيخ،ج1،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر.1996.

مراجع عامة

102)أبو القاسم سعد الله، على خطى المسلمين حراك في التناقض، ط1،دار عالم المعرفة،الجزائر،2009.

103)أحمد الهواري، دليل الحج والسياحة،ط1،تقديم عبد الحي الكتاني، المطبعة الرسمية، الرباط، 1935.

104)أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا،1492-1792،دار البعث، م.و.ن.ت، الجزائر، د.س.

105)خيرة بن بلة وآخرون، زوايا ومدارس الجزائر، دراسة أثرية معمارية فنية، منشورا الكراسك، الجزائر،2014.

106)سعيدوني ناصر الدين، في الهوية والانتماء الحضاري، دار البصائر، الجزائر، 2013.

107)صالح فركوس، تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفنيقي إلى غاية الاستقلال،ج1،دار ايدكوم للنشر والتوزيع، الجزائر،2013.

108)صلاح عزام، أقطاب التصوف الثلاث: أحمد البدوي، أحمد الرفاعي، عبد الرحيم القناوي، مؤسسة دار الشعب، مصر، (د.س).

109)عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، دار الأمة،2الجزئر،2010.

110)عبد العزيز بنعبد الله، الرحلات من الغرب وإليه عبر التاريخ، ط1دار نشر المعرفة،2001،الرباط.المملكة المغربية.

111)عبد الغنيم غربي،الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، تر محمد الشريف بن دالي حسين، المؤسسة الوطنية للكتاب،1986.الجزائر.

112)لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثماني،1518-1830،دارسنجاق الدين للكتاب،الجزائر،2009.

113)مأمون غريب، أبو الحسن الشاذلي، حياته، تصوفه، تلاميذه وأوراده، دار غريب للنشر و التوزيع، مصر، 2000.

114)محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر (1) القطاع القسنطيني، دار الأمة، الجزائر، 1999.

115)محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة ،دار هومه،2013.الجزائر.

116)محمد بن حسن بن عقيل بن موسى الشريف، المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة المنورة، المجلد الأول، ط1،دار الأندلس الخضراء،2000 المملكة العربية السعودية.

117)محمد داوود، تاريخ تطوان،ج1،المطبعة المهدية ،تطوان، المملكة المغربية،1995.

118)مزيان وشن، مجانة عاصمة امارة المقرانيين، دار الكتاب العربي، الجزائر،2007.

119)مسعود كواتي، محمد الشريف سيدي موسى، أعلام مدينة الجزائر ومتيجة، ط1،دار الحضارة،الجزائر،2007.

120)المهدي البوعبدلي، جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني من القرن(10هـ إلى 13 هـ)، جمع و إعداد: عبد الرحمان دويب، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع،الجزائر،2013.

121)ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ 4 العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984.

122)يحي أحمد، قسنطينة مدينة العلماء وحاضرة العلم، منشورات دار المعرفة،الجزائر،2016.

البيبليوغرافيا

123)يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة،ج2،دار البصائر للنشر والتوزيع،الجزائر،2009.

124)يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب،ج1،دار الهدى ،الجزائر،2009.

أعمال المؤتمرات:

130)جيجيك زروق ،المسيلة وضواحيها على ضوء رحلة الورثيلاني ، أعمال الملتقى الوطني الخامس حول تاريخ وأعلام المسيلة تحت شعار المسيلة حاضرة التواصل بين المشرق والمغرب ،يومي 6و7 ديسمبر 2016.

131)جيجيك زروق، أعلام الفكر والثقافة بمنطقة بني ورثيلان، محاضرات أعمال الملتقى الدولي حول الشيخ الفضيل الورثيلاني، مديرية الثقافة لولاية سطيف،2015.

132)جيجيك زروق، المسيلة وضواحيها على ضوء رحلة الورثيلاني، أعمال الملتقى الوطني الخامس حول تاريخ وأعلام المسيلة تحت شعار المسيلة حاضرة التواصل بين المشرق والمغرب، المنعقد بجامعة المسيلة ،يومي 06و07 ديسمبر 2016، مديرية الثقافة لولاية المسيلة، 2017،الجزائر.

133)جيجيك زروق، فكروني زاوي، مخطوطات منطقة بني ورثيلان ،أعمال الملتقى الدولي حول تاريخ الجزائر الديني من خلال الكتابات المحلية والأجنبية، مجلة أفاق فكرية، عدد خاص، جامعة سيدي بلعباس،2018.

134)جيجيك زروق،ازدواجية التعليم بمنطقة بني ورثيلان- من الزوايا الدينية إلى مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كتاب جماعي بعنوان التاريخ الثقافي لمنطقة سطيف المجال، الإنسان والتاريخ، دار الوطن، العلمة، الجزائر،2019.

135)عبد الله المرابط الترغي ،الرحلة الفهرسية نموذج للتواصل داخل العالم الإسلامي رحلة أبي سالم العياشي ماء الموائد نموذجا، ضمن كتاب جماعي السفر في العالم العربي الإسلامي – التواصل والحداثة ، تنسيق عبد الرحمان المؤذن وعبد الرحيم بخادة،ط1، منشورات كلية العلوم الإنسانية والآداب ، 2003. الرباط ، المملكة المغربية.

136)عبد المجيد بوجلة، رحلة الورثيلاني إلى مصر، أعمال الملتقى حول الرحالة العرب والمسلمين، اكتشاف الذات والآخر الموسومة الشرق والغرب في مدونات الرحالة العرب والمسلمين، دورة الجزائر،2005. دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارت العربية المتحدة،2005.

137)عمر علوي عمراني، الرحلة كوثيقة من بين اقدم الوثائق المكتوبة في تاريخ المغرب القديم، ضمن كتاب جماعي بعنوان :أدب الرحلة في التواصل الحضاري ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس،1993،المملكة المغربية.

138)مروان العطية، منهج الورثيلاني في رحلته إلى مصر والحجار، أعمال الملتقى حول الرحالة العرب والمسلمين، اكتشاف الذات والآخر الموسومة الشرق والغرب في مدونات الرحالة العرب والمسلمين، دورة الجزائر،2005. دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارت العربية المتحدة،2005.

139)مزيان أوشن، التواصل العلمي والفقهي بين أفراد عائلة يحي الزاوي، أعمال الملتقى الدولي حول أبي زكريا يحي الزواوي، بجاية ،2015.

البيبليوغرافيا

الدوريات :

أ/الوطنية :

140)أحمد العراقي، رحلة محمد أبي راس المعسكري إلى فاس زمان السلطان العلوي المولى سليمان، مجلة دعوة الحق، العدد 412، السنة الرابعة والخمسون، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، يوليو2015.

141)بكاري عبد القادر، الرحلة ودورها في التدوين التاريخي الجزائري، رحلة أبوراس الناصري نموذجا، العدد 19-20، مجلة عصور جديدة، جامعة وهران، 2015.

142)بوركبة محمد، قراءة في وثيقة شمس معارف التكاليف في أسماء ما أنعم الله به علينا من التأليف للشيخ أبي راس الناصري المعسكري الجزائري، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا جامعة وهران ،العدد 10،ديسمبر2013.

143)بوشنافي محمد، أبوراس الناصر المعسكري وقضايا عصره من خلال مؤلفاته، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد الثاني، جامعة سيدي بلعباس،2015.

144)جيجيك زروق، مراكز المخطوطات بالجنوب الجزائري –الأليات والوسائل، مجلة الذاكرة، العدد 04،مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، جامعة ورقلة، ديسمبر 2016.

145)الطاهر بونابي، أبو زيد عبد الرحمان الوغليسي الفقيه الصوفي، مجلة حوليات التراث ، جامعة مستغانم، العدد السابع، 2007.

146)طيبي نور الهدى، قراءة في مخطوط :شرح دعاء القنوت على مذهب مالك وأنه في الصبح من إملاء أبي راس على طلبته، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد09، جامعة وهران.

147)ع/ رضوان،أول جامعة لنساء القرآن في شمال إفريقيا –زاوية سيدي تواتي ببجاية، جردية الخبر ، يوم 30 جوان 2012 ، رابط المقال. https://www.djazairess.com/elkhabar/297220 :

148)عائشة دباح، الرحلة العلمية وتأثيرها على الوضع الثقافي في الجزائر في عهد الدايات–رحلة الحسين الورثيلاني أنموذجا- مجلة قضايا تاريخية، جامعة الجزائر، العدد 08، 2017.

149)عبد القادر بكاري، حسين الورثيلاني والكتابة التاريخية من خلال رحلته الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مجلد 8،عدد الأول، جامعة معسكر، جوان 2017

150)لزغم فوزية، قراءة في مخطوط " ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة لأبي حامد محمد العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي، مجلة الجزائرية للمخطوطات، مجلد 7، العدد6، جامعة وهران ،2010.

151)لطفي بن ميلاد، قافلة الحج المغربي: تحولاتها وأبعادها خلال القرون الأخيرة خلال العصر الوسيط ،العدد 13و14،، مجلة بونة للبحوث والدراسات، ديسمبر 2010.

152)محمد بشير بويجرة، التسامي والعبقرية عند أبي راس قراءة في فتح الاله وفق المنهج النفسي، مجلة قراءات، العدد الأول، كلية الآداب واللغات، جامعة معسكر،2008.

البيبليوغرافيا

153)محمد بن معمر، تجربتي في تحقيق مخطوط "رحلة المقري إلى المغرب والمشرق"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد 08، جامعة وهران 1،2011.

154)محمد سي يوسف، دراسة مخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لابي راس الناصري، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 2،جامعة الجزائر،1986.

155)موصودق خديجة، مخطوط الإبريز في علم التفسير، لابي راس الناصري المعسكري،العدد06،المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران،2009.

156)نفيسة دويودة، المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، مجلة انسانيات، العدد 68،أفريل-جوان 2015، الجزائر.

157)هلايلي حنيفي، الجزائريون والرحلة إلى الحجاز على ضوء رحلتي الورثيلاني و ابو راس الناصري، مجلة الشهاب الجديد، العدد 07، تصدرها مؤسسة الشيخ عبد الحميد بن باديس،30مارس 2008.

158)وانس صلاح الدين، ادعاء النسب الشريف بين التوظيف الديني والاستغلال السياسي، مجلة افاق فكرية، العدد9، المجلد الرابع، مخبر دراسات الفكر الاسلامي، جامعة سيدي بلعباس،أكتوبر،2019.

ب / الدولية :

159)سعيد محيجي، الرحالة أبي سالم العياشي الفيلالي ،مجلة زمان. مارس2017، المملكة المغربية.

160)صبرينة لنوار، مساجد مدينة الجزائر خلال العهد العثماني القرنين(17،18)،مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والانسانية ،العدد34، جامعة بابل، العراق،2017.

161)عبد الحق زريوح، أبوراس الناصري الجزائري ومؤلفاته، مجلة التراث العربي، العدد 98، اتحاد الكتاب العرب دمشق، سوريا ،جوان 2005.

162)عبد الصمد عزوني، الرحلة في المغرب العربي (دوافعها، أنواعها، روادها)، مجلة دراسات أدبية، العدد 08، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، الكويت، نوفمبر 2010.

163)عبد القادر زمامة، قراءة في رحالات لرحالة مغاربة ،مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة فاس، العدد الثامن،1986. المملكة المغربية.

164)فاطمة خليل، من ملامح الرحلة المغربية التفسير في الرحلة الكبرى لمحمد عبد السلام الناصري، مجلة البحث العلمي، العدد 40،يصدرها المعهد الجامعي للبحث العلمي الرباط، المملكة المغربية، 1990-1991.

165)المازوني محمد، رحلة ابن حمادوش، مجلة دراسات، العدد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، المغرب،1987.

166)المازوني محمد، رحلة ابن حمادوش، مجلة دراسات، العدد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، المغرب،1987.

167)يحي بوعزيز، الشيخ أبوراس الناصري وإنتاجه الفكري والأدبي، المجلة التاريخية المغربية،عدد54-55،تونس،1989.

البيبليوغرافيا

الأطاريح والرسائل الجامعية:

أ/ماجستير

168)إكرام بلعباس، صورة الجزائر في الرحلات الجزائرية والمغربية خلال العهد العثماني، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سيد بلعباس.2008-2009.

169)آل السيد الشيخ سعاد، رحلة المجاجي دراسة وتحقيق (1063هـ - 1652م)،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية جامعة وهران.2007-2008.

170)بكاري عبد القادر، منهج الكتابة التاريخية عند أبي راس الناصري من خلال مخطوط زهر الشماريخ في علم التاريخ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران،2008-2009.

171)بوشيبة ذهبية، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني "أبي راس الناصري نموذجا"، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة سيدي بلعباس،2008-2009.

172)بوكعير تقي الدين، دراسة وتحقيق مخطوط للعربي المشرفي في الرد على ابي راس الناصر في قضية نسب أسرة المشارفة، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ تخصص الدولة والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران،2013-2014.

173)جيجيك زروق، المرابطون والطرق الصوفية في الجزائر من خلال كتابات الفرنسيين، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس،2014-2015.

174)حمدادو بن عمر، أبوراس الناصري المعسكري وكتاباته التاريخية(1737-1823)، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران،2002-2003.

175)عبد القادر حليس، المشرق العربي من خلال رحلات المغاربة (رحلة المقري، رحلة العياشي، رحلة الورثيلاني)11-12هـ /17-18م نموذجا، مذكرة لينيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2،2010-2011.

176)عجوط امحمد، دلالة المشتقات في الشعر الجزائري خلال العهد التركي(محمد بن علي وأحمد بن عمار نموذجا) دراسة وصفية تحليلية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، جامعة الشلف، 2007-2008.

177)عماري فضيلة، في مشروع الخطاب القديم في الجزائر في عنوان فن الاجازة عند أحمد المقري التلمساني، مذكرة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية، جامعة وهران.

178)العيدي طويل، الزوايا الريفية بمنطقة بسطيف ،دراسة أثرية نموذجية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الاقار الريفية والصحراوية، جامعة الجزائر2، 2010-2011.

179)ليلى غويني، التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2010-2011.

180)مقدم فاطمة، الخصائص السردية في رحلة ابن حمادوش، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة وهران،2010-2011.

البيبليوغرافيا

181)نادية مفاتيح، آلية الكتابة في الرحلة الورثيلانية مقاربة سيميائية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص أدب قديم، قسم الأدب العربي، جامعة ورقلة،2016-2017.

182)ونوغي صونيا، قرية مزين بمنطقة سطيف، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، في الأثار الريفية والصحراوية، جامعة الجزائر،2011-2012.

183)يسمينة شرابي، الموروث الثقافي في أدب الرحلة نماذج من رحلات القرن العشرين، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي ،كلية الآداب واللغات، جامعة البويرة،2012-2013.

ب/ دكتوراه.

184)رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية 1518-1830، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر2، قسم التاريخ، ،2017- 2018.

185)عبد الجليل شقرون، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب لابي عمار أبي العباس سيدي أحمد دراسة وتحقيق، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تحقيق المخطوطات، جامعة تلمسان،2016-2017.

المعاجم والفهارس :

184)ابن منظور، لسان العرب، مجلد 11، دار صادر بيروت، دس.

185)بطرس البستاني، محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت.1987.

186)حسين الشرقاوي ، معجم الفاظ الصوفية ، ط1،مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ،القاهرة .مصر ، 1987.

187)خير الدين الزركلي ،الأعلام قاموس تراجم لا شهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15،دار العلم للملايين ،ج2002،8.لبنان.

188)خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين من النساء والرجال، مجلد 7،ط5،دار العلم للملايين،بيروت،1980.

189)رفيق لعجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، 1999.لبنان.

190)سعاد الحكيم ، المعجم الصوفي الحكمة في حدود الكلمة ،ط1، دندرة للطباعة والنشر ،1981، بيروت لبنان.

191)عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم و المشيخات والمسلسلات، اعتناء إحسان عبّاس،ج1،ط2،دار الغرب الاسلامي،بيروت،1982.

192)عبد الرزاق الكاشاني ،معجم اصطلاحات الصوفية ،تح عبد العال شاهين ،ط1، دار المنار1992،القاهرة ،مصر.

193)محمد القادري وآخرون، فهرس المخطوطات العربية والامازيغية،ج2،مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية ،الدار البيضاء، المملكة المغربية،1985.185.

194)محمد فؤاد خليل القاسمي، فهرس مخطوطات المكتبة القاسمية زاوية الهامل ببوسعادة ،حاضرة المسيلة، الجزائر، دار الغرب الاسلامي،بيروت،2006.

195)مرتضي الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 14، تح علي شيري ،ط1، دار الفكر بيروت،1414هـ.

196)المنجد في اللغة والأعلام، ط45، دار المشرق، بيروت، 2012.

197)ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1،دار صادر،1977.بيروت.

المصادر والمراجع باللغات الأجنبية : الفرنسية ، الإسبانية، الإنجليزية .

أ/الفرنسية

198) Bosworth (C-E),Van Dozel (E) et autres, Encyclopédie de l'islam,T06,Ed,maison neuve et larose,Paris.1987.

199) Boulifa, le Djurdjura à travers l'histoire depuis l'antiquité jusqu'en 1830 ou l'indépendance des zouaoua, éd j bringo, Alger(1925).

200) Chitour (Chems Eddine).Histoire religieuse de l'Algérie, identité et la religion a face à la modernité .Ed, E.N.A.reghaia.2002.Alger.

201) Daniel Rivet, Histoire du Maroc de Moulay Idrîs à Mohammed VI ,Ed Librairie Arthème Fayard, Rabat, Maroc 2012.

202) Daumas (E), Le Sahara Algérien, études géographiques, statistiques et historiques sur la région au sud des établissements français en Algérie, Ed Dubos frères, rue Bab-Azoun, Alger,1945.

203)DAUMAS (E), Mœurs et coutumes de l'Algérie : Tell, Kabylie, Sahara, Librairie de Hachette et Cie.Paris.1853.

204)DAUMAS, La Grande Kabylie Études Historiques, Libraires De L'université Royale de France ,France. 1847.

205)DELPHIN (G.) les séances d'el-Aouali , journal asiatique recueil et mémoire et de notice relatifs aux études orientales, tome 04 , série 11.Paris.1914.

206) Depont(O) et Coppolani(X).Les confréries religieuse musulmanes .Ed, Adolphe Jourdan .Alger .1897.

207) Djamil (A), Médecine, Botanique et Pharmacopée au Maghreb,en Les Manuscrits Scientifiques du Maghreb, Edition: Département Expositions Ed., Ministère de la Culture, Tlemcen/Alger.2012.

208) Djamil Aissani, La Qal`at n'Ath Abbas, https: //www.academia.edu/ 16389407/La_Qalat _n_Ath_Abbas.

209) Doutte (E) .Note sur l'Islam Magribhen Marabout .Paris .1900.

210) Doutte (E), L'Islam algérien en l'an 1900 , IMPRIMEUR-PHOTOGRAVEUR EUR ,Algérie , 1900.

211) Doutté, Les Aïssâoua à Tlemcen, Imprimeurs Éditeurs, Alger, 1900.

212) Eric Geoffroy, Le soufisme au quotidien ,Ed Universitat Oberta de Catalunya (UOC), España,1989.

213)ERNEST MERCIER, Histoire De Constantine, Imprimeurs-Éditeurs, Constantine , Alger, 1903 .

214) Ernest Mercier, Histoire de l'Afrique septentrionale (berbérié) depuis les temps et les plus recule jusqu'à la conquête française(1830).T 1. Ed, Ernest Leroux.Paris.1888.
215) Ernest Mercier. Histoire de l'Afrique septentrionale (berbérié) depuis les temps et les plus recule jusqu'à la conquête française(1830).T II. Ed, Ernest Leroux.Paris.1888.
216) Fray Diego de Haedo, Histoire des rois d'Alger, Tr par De Grammont(H-D),Ed Adolphe Jordan ,Alger,1881.

217) Gaid(M), L'Algérie sous les turcs, Ed 02, Edition Mimouni ,Alger,1991.

218)GEORGES VOISIN , l'Algérie pour les Algériens, libraires-éditeurs.Paris.1861.
219) Jean(M),L'aures ou le mythe de la montagne rebelle ,Ed l Harmattan .Paris.1992.
220) Jung(E). L'Islam et les musulmans dans l'Afrique du Nord. Éditions de la jeune parque ,Paris.1930.

221)KAMEL FILLALI, Algérie mystique, des marabouts fondateurs, aux khouan insurges 15-19 siècles, Edition publisud, Algérie, 2002.

222) Katia Boissevain. Sainte parmi les saints Sayyda Mannûbiya ou les recompositions culturelles dans la Tunisie contemporaine,Ed, Institut de recherche sur le Maghreb contemporain, Tunisier,2005.

223) Khalil Ben Ishak, Precis de jurisprudence musulmane ou principe de législation musulmane civile et religieuse selon le rite malikite par Khalil ibn ishak, Trad,M. Perron ,T 05,Imp national, Paris.1877 .
224) Djamil (A), Le savant soufi Yahya Zwawi, Livre des résumes, théâtre régional de Bejaia et association de Chouatra Bordj Bou Arreridj, Edition société savante GEHIMAB 07 October2015, Algérie.

225)LÉON ROCHES, Dix ans à travers l'Islam 1834 – 1844 , librairie académique didier .Paris .1884.
226)LOUIS VIGNON , France En Algérie , Librairie Hachette ,Paris.1893.
227) Lucien(L),Histoire de la médecin arabe, T2,Ernest Leroux ,Paris,1876.

228)MASQUERAY(E), Formation Des Cités Chez Les Populations Sédentaires De L'Algérie (Kabyles du Djurdjura, Chaouïa de l'Arouas, Beni Mezâb), ÉDITEUR ERNEST LEROUX, Paris.1986.
229) Mechehed (DJ-E),Une bibliotheque de manuscrits au fin fond de la kabylie collection de Lmuhub Ulahbib , communication presentee au congre international de l'ARIC ,palais de nation, Alger,Mai .2005.
230) Mouloud Gaid, Les berbères dans l'histoire, Les maraboutés d'hier et d'aujourd'hui. T7.Ed ,Mimaune ,Alger 1990.
231)Pâques Viviana. Les fêtes du mwūlūd dans la région de Marrakech. In: Journal de la Société des Africanistes 1971, tome 41, fascicule 1.
232)Pélissier(E), Mémoires historiques et géographiques sur l'Algérie, imprimerie royale, Paris,1844.
233) Petit(L).Les confréries religieuse musulmanes .Imp. Des Orphelins Apprentis .Paris .1902.
234) Rinn(L), Marabout et Khouane. études sur l'islam en Algérie .Jordan. Alger, 1884.
235)ROZET ET CARETTE ,L'Algerie, IMPRIMEURS DE L'INSTITUT.Paris.1850.

236) Salah M'Ghirbi ,Les voyageurs de l'occident musulman de XIIe au XIVe siecles, Publication de la Faculte des lettres –Manouba,Tunesier, 1996.

237) Trumelet (C). l'Algérie légendaire en pèlerinage çà & là aux tombeaux des principaux Thaumaturges de l'Islam (Tell et Sahara). Librairie Adolphe Jourdan imprimeur-libraire-diteur 4, place du gouvernement, Alger. 1892.

238)TRUMELET(C), Saints De L'islam Légendes Hagiologiques & Croyances Algériennes, les saints du tell, librairie académique didier & libraires- éditeurs.Paris.1881.P.XXV.

ب /الاسبانية :

239) Albert Hourani, Historia de los pueblos Árabes, Editorial Ariel, S.A ; Barcelona ,España .1992.

240) Antonio Domínguez Ortiz, Una República andaluza en el Norte de Africa la peripecia de 300000 moriscos expulsados de España, in el libro 'estude sur les Morisques Andalous , Institu national d'Archeologie et d'art ,Tunis ,1983.

241) Antonio Gonzalo Carbo,la teoría de los «centros sutiles» en el sufismo del shaykh ahmad sirhind.

242) Ben Rochd Er Rachid, EL SUFISMO, Ediciones Dechra ,Casablanca. , 2002.

243) Bernabé López García, El mundo Arabo –Islámico contemporáneo una historia política, Editorial Síntesis, Madrid, España, 1997.

244)FELICIANO PÁEZ-CAMINO, Españoles en Argelia: conquistas, migraciones, exilios, Universidad de Mayores de Experiencia Recíproca, Madrid, 2013.

245) Hicham Djait ,Las culturas Magrebíes a través de la Historia ,in las culturas del Magreb, Edición de María Ángels Roque ,Agencia Española de cooperación internacional ,Madrid ,1994.

246) Jasim Alubudi, Sufusmo y Ascetismo, predentacion de Carmen Ruiz Bravo Villasante,Madrid 2005.

247) Luis Fernando Bernabé Pons, Mallorca y El islam en época Morisca, in Mallorca musulmana, Asociación Amigos del Castello de San Carlos « Aula General Weyler », Palma ,(ILLes Baleares),2009.

248) Miguel Cruz Hernandez, Historia del pensamiento en el mundo islamico, desde los origenes hasta el siglo XII en Oriente,edicion Alianza Universidad Textos , Espana,2000.

249) Mohammed Arkoun, Lenguas, sociedad y religión en el Magreb independiente, in las culturas del Magreb, Edición de María- Ángels Roque, Agencia española de cooperación internacional, Madrid.1994.

250) Ricardo González Castrillo, Los manuscritos árabes de la Real Biblioteca de Madrid, At Granada, Volume: Los manuscritos árabes en España y Marruecos. Homenaje de Granada y Fez a IbnJaldun, ISBN 8496395162.Mayo 2015.

251) Rodolfo GIL,Necesidad de unos estudios sobre los Moriscos en Marruecos, in el libro 'estude sur les Morisques Andalous , Institu national d'Archeologie et d'art ,Tunis ,1983.

ج /الانجليزية :

252) Abu Abdullah Muhammad Ibn Abderrahman Ibn Abi Bakr Ibn Suleiman Al-Jazouli Simlali alHassani al-Maghribi, Dalail u'l Khayraat Wa Shawaariq u'l Anwaar Fee Zikri's Salaat Alan Nabiyyi'l Mukhtaar, TRANSLATED BY SIDDI HASSAN ROSOWSKY, Compiled & Edited by ompiled & Edited by Muhammad Sajad Ali Qadiri-Noshahi, Printed in the United States of America, UK, Germany,2005.

253) Stefan Reichmuth ,The World of Murtada Al-Zabidi: 1732-91 Life, Networks and Writings, Ed ,Gibb Memorial Trust,Gratbritain,2009.

المقالات ،الرسائل الجامعية والمواقع الإلكترونية : الإسبانية، الفرنسية، الإنجليزية، الألمانية، الكتالانية والتركية .

أ/ الإسبانية :

254) Ahmed Shafik Roushdy, Miftāḥ al-saʿāda wa-taḥqīq ṭarīq al-saʿāda (La llave de la felicidad y la realización del camino de la felicidad)de Ibn al-ʿArīf (481/1088-536/1141) , Tesis Doctoral, Departamento de Estudios Árabes e Islámicos y Estudios Orientales, Universidad Autónoma de Madrid, 2010.

255)ABDELHAFID EL TAIBI, KITAB YUMAN FI MUJTASAR AJBAR AL ZEMAN, Tesis doctorado .por Dr .EMILIO MOLINA LOPEZ, Facultad de filosofía y letras, Departamento de estudios semíticos, Universidad de Granada .España,2012.

256) Abdelkrim BEN-NAS, Abū l-Ḥasan al-Šuštarī, mucho más que un poeta sufí Abū l-Ḥasan al-Šuštarī, muito mais do que um poeta sufi Abū l-Ḥasan al-Šuštarī, much more than a Sufi poet ,Revista Mirabilia/MedTrans,N 03, Instituto de Estudios Medievales, Universitat Autònoma de Barcelona, Spain 2016.

257) Ahmed SHAFIK, al-saʿāda de Ibn al-ʿArīf (m. 536/1141) , Ilu. Revista de ciencias de las religiones. Anejos,N17, Universidad Complutense de Madrid,España,2012.

258)Ángel Domenech Lafuente , Cofradías religiosas en Ait Ba Aamrán, revista Cuaderno de Estudios Africanos, número 18, Abril/Junio , el Centro de Estudios Políticos y Constitucionales, España 1952.

259) Carlos Gonzalbes Cravioto,Rabita y Zawiya en la Ceuta medieval :Similitudes y diferencias, congressos internacionals de Sant Carles de la Ràpita sobre La Rábita en el Islam : estudios interdisciplinares, Ajuntament de Sant Carles de la Ràpita Universidad de Alicante,2004.

260) Francisco Franco Sánchez, Rabita-s, ribat-es y al-munastïr-es. Bibliografía comentada con una introducción historiográfica, congressos internacionals de Sant Carles de la Ràpita sobre La Rábita en el Islam : estudios interdisciplinares, Ajuntament de Sant Carles de la Ràpita Universidad de Alicante,2004.

261) Francisco Sayáns Gómez , Etnografías en el Protectorado español de Marruecos: una revisión de la labor antropológica de la Intervención Militar, Tesis doctoral, Facultad de Filosofía y Letras ,Departamento de Antropología Social y Cultural , Universidad Autónoma De Madrid, España 2015.

262) Giuseppe Scattolin, LA MUJER EN EL MISTICISMO ISLÁMICO, la revista Encuentro Islamo-Cristiano, editada por el Centro Darek-Nyumba,N 282,Madrid, Octubre,1995

263) Jasim Alubudi, las Rabitas, Zawiyas y takyas Baghdadies e Ibn Said, congressos internacionals de Sant Carles de la Ràpita sobre La Rábita en el Islam : estudios interdisciplinares, Ajuntament de Sant Carles de la Ràpita Universidad de Alicante,2004.

264) Juan Antonio CHAVARRÍA VARGAS, Huellas Sufíes En Al-Andalus: La Toponimia. Murābiṭ, Rubayṭa/Rubayṭ(A) Y Zāwiya, La revista Estudios sobre Patrimonio, Cultura y Ciencias Medievales,N 19,universidad de la Rioja España, 2017.

265) Juan Cañavate Toribio, Algunos morabitos, zawiyas y rábitas en el Reino de Granada, La Revista del Centro de Estudios Históricos de Granada y su Reino,N 28, Universidad de Granada,2016.

266)MIGUEL ÁNGEL MANZANO RODRÍGUEZ, El sufismo en Al-Ándalus Ibn Masarra y los inicios del sufismo, trabajo de fin de grado, grado en estudios Árabes e Islámicos, facultad de Filología, Universidad de Salamanca, España, 2014.

267)MÍKEL DE EPALZA, La espiritualidad militarista del islam medieval el ribat, los ribates, las rabitas y los Almonastires de Al-Andalus, revista Medievalismo ,N3,Universidad de Murcia,España,1993.

268)MOURAD Kacimi,Abū-L-ʿ Abbās A Ḥ Mad Ibn Mu Ḥ Ammad Al-Maqqarī Al-Tilimsānī : Su Vida, Formación Y Obras," Revista Argelina ,N 1,Univrsidad Alicante, España, Otoño 2015

269) Paul Fenton (B),La pratique de la retraite spirituelle (khalwa) chez les judéo-soufis d'Égypte, en livre 'Les mystiques juives, chrétiennes et musulmanes dans l'Égypte médiévale(XII –XIV siècles),sous la direction de Giuseppe cecere, Mariel loubet et autres ,Institué français d'archéologie oriental ,RAPH 35, France

270) Rafael Azuar Ruiz, El ribât en al-Andalus: espacio y función, Ilu. Revista de ciencias de las religiones. Anejos,N10, Universidad Complutense de Madrid,España,2004.

271) Sakina Missoum ,la vivienda tradicional de la medina de Argel en la época Otomana (siglos xvi-xix) y sus antecedentes Hispano-Magrebíes", tesis doctoral, Universidad politécnica de Madrid escuela técnica superior de arquitectura, España, 1997.

272) Bernabe Pons (L.F), la cultural de mudejares y moriscos, https://www.youtube.com/watch?v=uUIqbUsyT-k ,he visto 20/01/2019 a las 23:20.

273)BENAFRI (C), Las relaciones entre España, el imperio Otomano y las regencias Berberiscas en el siglo XVIII (1759 –1792), Tesis doctoral, Departamento de historia moderna , Universidad Complutense de Madrid, 1994.

ب/ الفرنسية :

274)Aïssani (D), Las Relaciones entre Bugia i la Corona d'Arago durant l'estada de Ramon Llull a la Ciutat (1307), In the Book « Ramon Llull i Els Diàlegs Mediterranis», Iemed Ed., Barcelona, 2016.

275)ALPH, MEYER, Origine des habitants de la Kabylie, d'après la tradition locale, Rev.Af.N 03,1858.

276)-Arnaud, Étude sur le soufisme, Rev. Af. N32.Annee 1888.

277)-Aucapitaine(H),Notice sur la tribu des Ait Feraoucen,La revue africaine,Volume 04,Alger,1859-1860.

278) Aucapitaine(M),Origine Arabe des fraction de marabouts dans les tribus kabyles, Revue de nouvelles et mélange, septembre 1958.

279)-Aucapitaine(M).Origines des marabouts de la kabylie,Rev.Af.V.3.(1858).

280)-BALA(S),Soufisme et voyage :l'Algérie du dix-huitième siècle à travers al- rihla al warthilaniyya d'al –Husin al sharif al-warthilani(1125-1713/m.1193ou 1194-1779), thèse de doctorat, spécialité arabe, discipline : étude arabe et islamiques, université Marc Bloch. Strasbourg 2.France.

281) Ben Cheneb (M), Itinéraire de Tlemcen a la Mekke par Ben Messaib(18eme siècle), R.AF.N44.1900.

282)-Bouabdelli (M),Le cheikh Mohamed ben Ali el- kharoubi.R.Af.V.96.(1952).

283)–Boualem Bouahmed, El Hocine El Wartilani ou la quête du spirituel , journal LA DÉPÊCHE DE KABYLIE, 18 septembre 2011, https://www.depechedekabylie.com/culture/100022-el-hocine-el-wartilani-ou-la-quete-du-spirituel.

284)–Boyer Pierre. Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger (XVIe-XIXe siècles). In :Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°1, 1966.

285)-Brosselard (CH),Les inscriptions arabes de Tlemcen, Tombeaux des familles El-Mekkari et El-Okbani,Rev Af, N 5, année, novembre 1864.

286) Brosselard (Ch).Tombeau de l'ouali sidi Boudjemaa, la revue Africaine, Volume04, Alger , 1860

287)BROSSELARD : Inscriptions arabes de Tlemcen,Rev.AF.V04, 1860.

288)CANAN HALAÇOĞLU, Occupation and the colonization of Algeria from 1830 to 1870: a struggle for dominance, a thesis submitted to the graduate school of social sciences of Middle East Technical University, SEPTEMBER 2013.

289)-Delpech(A).La zaouïa de sidi Ali Ben Moussa ou Ali N'foumas (de la vache). Rev.AF , V.18. (1874).

290)-DEVOULX ,Notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieux d'Alger. Rev .Af.N04,Annee1860.

291) Devoulx(A).Les Édifices religieux de l'ancien Alger.Rev.Af.V.7.(1863).

292)-Djamil Aissani et Djamel Eddine Mechhed, Les manuscrits de botanique et de medecine en Kabylie au XIX siecle,revista Annali,N59, institutu universitario oriental, Napoli,Italy,1999.

293) Djamil Aissani, Le Lexique Manuscrit Arabe Dialectal – Kabylee de la Zawiyya Historique de Cheikh Aheddad (19e siècle),revue des etudes berbers,V06,Centre de recherche berber,INALCO,2011.

294)-Fennek(R),Sainteté vécue et contre- modèle religieux des femmes au Maroc, , in livre collective « l'autorité des saints, perspectives historiques et socio-anthropologiques en méditerranée occidental, sous la direction de Mohamed Kerrou,Ed recherche sur la civilisation,Paris.1998.

295)Féraud (Ch) ,conquête de bougié par les espagnols d'après un manuscrit arabe, la revue africaine , volume12,Alger,1868.

296)-Féraud (CH),Mœurs et coutumes Kabiles ,Revue Africaine,v6,1862.

297)FÉRAUD(CH),LES CHORFA DU MAROC,Rev.Af.n21.1877.

298)Féraud(L), Notes sur Bougie, légendes- traditions, Rev .Af,N03,1858.

299)-Genevois(H),légende des rois de koukou, Sidi Amar ou- el kadi, sidi hend le tunisien ,numéro 121 du fichier ,1er trimestre ,imprimer en Algérie, 1974.

300)-GOLVIN (L.) : La Mosquée. Ses origines. Sa morphologie ses diverses fonctions. Son rôle (R. Le Tourneau) ,Rev .Af.N105,Annee 1961.

301)-Hadj Sadok(M),A travers la berbérie orientale du 18 siècle avec le voyageur Al Warthilani, La revue Africaine, Volume95,Alger,1951.

302)-Halima Ferhat, Frugalité soufie et banquets de zaouyas : l'éclairage des sources hagiographiques, revue Médiévales « cultures et nourritures de l'occident musulman », N33, Paris. Automne1997.

303)-Hamadou Boly, Le soufisme au Mali du XIXème siècle à nos jours: religion, politique et société, Thèse de doctorat en histoire, Université de Strasbourg, France, 2013.

304) Hamidou(A),Aperçu sur la poésie vulgaire de Tlemcen les deux poètes populaire de Tlemcen Ibn Amsaib et Ibn triki, R.AF.V 79.T2.1936.

305) Journal Officiel de la république Française N° 189 , Le Dimanche 12 Aout 1934.

306)-Journal Officiel de la république Française N° 196 , Le lundi 20 et Mardi 21 Aout 1928.

307)-Judith SCHEELE et Djamil AÏSSANI,Les sources écrites et orales autour de Yahia al-Idli ,Colloque international Le Savant-Soufi Yahia al-Aydli (m. 881h./1477): Son œuvre, son école et son influence, Béjaia/Tamokra, 19 – 20 Mai 2010.

308)l'Association GEHIMAB Béjaia Site web : http://www.gehimab.org .

309)MANSOURI LAMIA. Mise en valeur d'un élément de permanence cultuelle - la zaouïa El Rahmania de Sidi M'hamed Bou quobrine a Alger, Mémoire pour l'obtention du diplôme de magister. option : préservation du patrimoine architectural, département d'architecture et d'urbanisme, Université de Constantine,2011.

310) Marcel(B).Notice historique sur les arabes soumis en espagnols pendant leur occupation d'Oran par si Abdelkader El Mocherfi.R,AF,V65,1924.

311)-Melliti (I),Espace liturgique et forme de l'autorité chez les femmes Tijaniyya de Tunisie, in livre collective « l'autorité des saints, perspectives historiques et socio-anthropologiques en méditerranée occidental, sous la direction de Mohamed Kerrou,Ed recherche sur la civilisation,Paris.1998

312)-Moncef(H),Culte des saints et culte extatique en islam Maghrébin, in livre collective « l'autorité des saints, perspectives historiques et socio-anthropologiques en méditerranée occidental, sous la direction de Mohamaed Kerrou,Ed recherche sur la civilisation, Paris.1998.

313)-Mustapha (CH),Essai de contrubution a l'etude de l'islam et le concept de les relations humaines, Annales de l'universite d'Alger,N 01, Alger,1987.

البيبليوغرافيا

314)-Oukil(H), Le célèbre savant Soufi Sidi Yahia al-Aydli- Takorabt -Tamokra, dépliants de

315)-Patroni(F), Délibération de l'année 1749 dans la grande Kabylie, Revue Africaine 39, année 1895,Alger.

316) Rachida Chih, « Sainteté, maîtrise spirituelle et patronage : les fondements de l'autorité dans le soufisme », Archives de sciences sociales des religions [En ligne], 125 | janvier - mars 2004, mis en ligne le 22 février 2007, consulter le 01 mai 2019. URL : http://journals.openedition.org/assr/1034 ; DOI :10.4000/assr.103.

317)SIMON (H) , Notes sur le Mausolée de Sidi Okba,Rev.Af.V53.

318) Triaud Jean-Louis. Hommes de religion et confréries islamiques dans une société en crise, l'Aïr aux XIXe et XXe siècles. Le cas de la Khalwatiyya.. In: Cahiers d'études africaines, vol. 23, n°91, 1983.

319)www.berberemultimedia.fr/bibliotheque/auteurs/Aucapitaine2_JA_1859b , le 14/12/2018. À 09h00.

ج/ بالانجليزية

320)-Jean During, What is Sufi Music?, in THE HERITAGE OF SUFISM , The Legacy of Medieval Persian Sufism (1150-1500), Volume 11, Edited byLeonard Lewisohn, University of London, England ,1999.

321)-Mohand Akli Hadibi, from "From fullness" to imptiness :Past realities, reform movements and the future of the zawia in kabylia,On Archaeology of Sainthood and Local Spirituality in Islam: Past and present crossroads of events and ideas, Volume 5, Ed, Georg Stauth, U.S.A ,2004.

د/بالألمانية

322) Carol Wittwer, WER TRINKT SCHON NICHT GERNE KAFFEE? METHODISCHES VORGEHEN BEI DER INTERPRETATION DER REISEBESCHREIBUNG VON AL-WARTÏLÂNÏ, Universität Bern.

ه /بالكتالانية

323)-Manuela Marin, El ribat en Al-Andalus y el norte de Africa, I congres de les Rapites de l'Est Espanyol(7-10 setembre 1989 "La Rapita Islamica : Historia institucional i altres Estudis Religionals, Ajuntament de Sant Carles de la Ràpita Universidad de Alicante,2004.

و /بالتركية

324)-Mahmud Esad Erkaya, Tasavvufî eğitim metodu olarak halvet (Gümüşhânevî örneği), Ijssr International Journal of Social Sciences and Education Research, Volume: 2(4),2016.

الفهارس العامة

فهرس الاعلام

فهرس الاماكن

فهرس السور والايات

فهرس الأعلام

أبا داوود:105/101/

أبا عبد الله:119/

أبا وغثوش:327/210/

ابراهيم :30/

إبراهيم الرياحي:71/

إبراهيم السيالة:82/81/79/

ابراهيم الشبرخيتي224/

ابراهيم الكردي:101/

ابن فرحون:420/409/:392/371/172/

ابن قنفذ:42/

ابن أبي الربيع:128/

ابن البنا :103/

ابن التلمساني: 225/

ابن الحاج العبدري:271/

ابن الدين الأغواطي:41/

ابن الصخري:88/

ابن العاصمي:190/

ابن القاضي:120/

ابن القاضي:327/142/138/133/129/

ابن بطوطة:48/43/33/

ابن تومرت:46/

ابن جبير:35/

ابن حمادوش:76/

ابن حوقل: 32/

ابن خرداذبة :32/

ابن خلدون:149/70/45/23/

ابن رشد :101/

ابن رُشيد:42/

ابن روب:313/

ابن سينا:110/102/101/

ابن عاشر: 419/

ابن عاصم الغرناطي:102/

ابن عبدون البجائي:404/

ابن عثمان:206/

ابن عربي:166/151/101/

ابن عصفور:57/

ابن عطاء الله:183/

ابن علي:60/

ابن علي:111/81

ابن علي:87/

ابن غازي المكناسي:101/

ابن ماجة:105/101

ابن مرزوق:128:/119:/

ابن معشر:102/

ابن معطي:187/

ابن مفيل:261/

ابن هطال التلمساني:43/41/

ابن يونس:215/

أبو الحسن السجلماسي:138/

ابو القاسم بن سودة :131/

أبو حامد العربي الفاسي:131/

ابو عبد الله السراج:131/

أبو عبد الله اليستثيني :131/

أبو عبد الله المقري:123/

أبو علي المسيلي:364/

أبو إسحاق الشاطبي:269/124/

أبو الإرشاد الاجهوري:133/

أبو السعود نجم الدين الغزّي:162/133/

أبو العباس أحمد بن زكريا التلمساني: 218/

أبو الفضل حسن:81/

أبو القاسم الربعي القسنطيني:193/

أبو القاسم الربعي القسنطيني:427/

أبو القاسم الوزير:131/

أبو بكر الشاشي: 46/

أبو حامد العربي المشرفي:68/

أبو حمو موسى الثاني:87/

أبو حمو موسى:87/

أبو راس الناصري: 59/58 /57/56/55/54/53/52/40/
73/72/71/70/69/68/67/66/65/64/63/62/61/60
/239/171/96/89/82/80/76/75/74/

أبو عبد الله الشماع:270/

أبو عثمان سعيد الخياط:150/

أبو محمد عبد الله المحاصي:150/

أبو مدين
شعيب:352/349/188/187/176/151/123/120/42/

أبو مروان :188/

أبو نعيم الغساني:131/129/

أبوز كريا يحي السرّاج:130/

أبوزيد عبد الرحمان الجامعي:87/

أبوعبد الله القيجاطي :124/

أبوعبد الله بن زمرك:124/

أبوعبد الله محمد الحنفي:81/

-أبوعبد الله محمد بن أحمد مياره:139/

أبي الطيب:130/

أبي العباس الصباغ:418/396/392/99/

أبي حنيفة:64/

ابي يعقوب الباديسي:43/

أبي العبّاس أحمد :89/

أبي العباس أحمد بن علي المنجور:130/

أبي العباس المقري:119/

أبي الفضائل النحوي:251/

أبي القاسم التادلي:151/130/

أبي القاسم المسراتي:146/

أبي القاسم بن علي القيسي:129/

أبي الليث أحمد بن عمر الحنفي السمرقندي:215/

أبي بكر الصديق:71/

أبي تاشفين:87/

أبي جعفر بن الزبير:128/

أبي زكريا الزواوي:363/352/336/188/

أبي زيد القيرواني:190/

أبي صابر التلمساني:114/

أبي عبد السلام بن مشيش:218/

أبي عبد الله زيتونة:99/

أبي عبد الله قاسم :91/89/

أبي عبد الله محمد الجنّان:160/

أبي عبد الله محمد بن الهادي:77/

أبي عبد الله محمد بن مرزوق العجيسي:150/

أبي عنّان فارس:159/

أبي لبابة:280/

أبي محمد المرجاني:187/

أبي يوسف اليعقوبي:130/

الاجهوري:415/374/184/88/

أحمد بن بلقاسم : 213/

أحمد بن عبد الرحمان:186/

احمد بن عبد الرحمان :409/

أحمد ابن القاضي:279/130/

أحمد أحمودي: 403/395/355/336/213/180/

أحمد الإشبيلي:193/

أحمد البوني:97/96/95/94/93/92/91/90/89/88/41/

أحمد البوني:74/

أحمد التنبكتي:442/134/130/129/

أحمد الجوهري :67/

أحمد الدبّاغ:96/94/

أحمد الدحلي:81/

أحمد الدمنهوري:216/

أحمد الرفاعي:198/

أحمد الريفي:115/

أحمد الزروق:183:/133/119/99/89/88/

أحمد الزموري:130/

أحمد الزواوي:418/212/

أحمد الزين:177/

أحمد السرائري:114/106/100/

أحمد الشريف : 336/185/

أحمد الشريف: 336/182/172/

أحمد الصباغ الإسكندري:118/

أحمد الصّفار :95/

أحمد الطيب:213/186/

أحمد العباسي :69/

أحمد الغزّال:81/79/77/

أحمد المبارك:116/107/102/100/

أحمد المستنظهر:37/

أحمد الونشريسي:119/

احمد اوغوبة :411/

أحمد باباس :186/

أحمد باشا:325/

أحمد بن الحاج المانوي:63/

أحمد بن الشيخ
زروق:429/420/417/414/392/372/196/

أحمد بن جدو:405

أحمد بن حنبل:105/101

أحمد بن دحمان:95/

أحمد بن عاشر:151/

أحمد بن عبد القادر:61/

أحمد بن عبد الله السويسي:64/

أحمد بن عمار: 79/78/77/76/ 63/69/39/
98/96/90/89/88/87/86/85/84/83/82/81/80/
239/195/171/150/111/109/

أحمد بن محمد الورزي:93/81/

أحمد بن معمر:187/

أحمد بن يوسف الزياني:68/

أحمد بن يوسف الملياني:336/217/188/

أحمد جلول البدوي الجزائري:72/

أحمد زروق البرنوسي:407/386/261/

أحمد زروق بن عمار:78/

أحمد ظريف :236/

أحمد عبد العظيم:177/

أحمد والد الناصري:55/

ادريس الاول:409:/404/381/371/172/

الادريسي:34/32/

أدم:102/30/

ارزقي فراد :381/

الأزهري:57/

اسحاق:70/

الاسكندر المقدوني:31/

الاسكندر اليوناني:61/

آسيا:96/

أفندي رضوان :102/

اقليدس:103/101/

الأمير عبد القادر:68/

الأمين الجريدي:232/

أمين قدور بن محمد:77/

انساعد سميرة:80/

الأنطاكي:101/

الأنطاكي:108/

اوكابيتان :387/382/

أولاد النعمان:389/371/172/

أولاد سيدي أحمد:188/

أولاد عجين:390/

أولاد عنان391/

أولاد عياد:390/

أولاد كريم:390/

اولاد منقلات : 391/

باربيه دي مينار:32/

الباشا علي بن حسين:64/

الباشا علي بن عبد الله:345/117/

باي القلي:211/

الباي حمودة باشا:117/71/

الباي صالح بك:325/

الباي علي باشا بن حسن:82/

الباي محمد الكبير :68/

الباي مصطفى بوشلاغم:90/65

البخاري:136/135/61/

البدالي:60/

البراذعي:223/

بربروس : 172/

بسيدي هدِيَ:77/

البعقلي :102/

البكري:40/

بلاط الملك أحمد المنصور:159/157/

بن تكوك:69/

بن زيدان: 203/202/

بن مهنا:233/

البناني :114/106/100/97/

بني يلمان391/

بوجملين:355/340/

بوخريص:107/

البوصيري:219/218/

بول:101/

بيدرونافارو: 174/172/

البيطار:108/101/

تاج الدين بن أحمد:141/

تاج العارفين العثماني التونسي143/

الترمذي:105/102/101/

ترومليي: 174/

ترومليي:386/382/

التوجاني:57/

الجادري :102/

جعفر السبتي:151/

الجنكي نجل عمر:405/

جورج ديلفان:164/

جوزيف بيتس:239/

جونار: 232/

الجوهري:194/

الجيلي :54/

الحاج بن الأمير:71/69/

الحاج صادوق:235/

حاجي الوهراني:150/

الحباك :103/97/

الحبيب بن البخاري الوهراني:58/

حجر العسقلاني:133/

الحسن الشاذلي:428/198/

الحسن المراكشي:101/

الحسن علي الخزرجي:135/

الحسين البوريني :139/

حسين المغربي:66/

الحسين بن مصباح:206/

الحسين جد الحسين الورثيلاني: 403/355/182/

حسين قرمان:161/153/

الحفني:67/

حمودة بن عبد العزيز:193/79/

الحموي:33/

حنيف الدين ابن المفتي:136/

الخراشفون:389/

الخرشي :223/220/219/88/

الخضر سيدنا:217/

خليل المغربي:221/195/192/81/79/

خوان زاليز:112/93/

خوخيس:378/

خير الدين عروج : 172/

الداي محمد بكداش :91/90/

الدواني :102/

دوتي:366/361/355/

دوسلان 34/

دوماس:389/378/

92: Ricardo Gonzalez Castrillo/

رابعة العدوية:53/

الرافعي التيطواني:239/

الربيع بن سليمان:36/

الرحلة سعيد بن احمد بن يدير القلعي:231/

الرعيني: 36/

روزيت :377/

الزرقاني :88/

الزعتري:184/

زهرة بنت محمد:95/

الزياتي الشافعي:193/

الزياني :59/

زينب بنت الحسين :177/

سالم النفراوي:194/

سبير نغر:32/

سعد الله:112/111/78/76/53/

سعيد السفيري:355/

سعيد الصنهاجي:124/

سعيد العفيفي:401/

السعيد الفرطاس:410/

سعيد المقري:129/128/124/120/

سعيد بن هارون :409/

السعيد عبّاس202/

سعيد لسفري:188/

سكونفسكي:33/

سماء القاسيمي:164/

السنوسي بن عبد الله بن دحو:68/

السيد الناصر:56/

السيدة زينب:55/

السيدة نفيسة:55/

سيدي الصادق: 396/388/355/337/336/178/

سيدي خالد: 186/

سيدي رحاب 177/176/175/

سيدي عبد القادر:369/352/187/151/

سيدي علي بن طالب: 179/

سيدي محمد البهلولي: 406/403/180/

سيدي موفق:408/

سيدي يحي بن الموهوب: 395/363/178/

سيدي أبو عبد الله:401.

سيدي أحمد بن الزين: 197/184/180/

سيدي أحمد بن عبد الله:334/

سيدي السعيد بن الحبيب407/

سيدي المهدي:77/

سيدي أمزال:409/

سيدي ايدير بن الحاج:410:/406/180/

سيدي بركات:176/

سيدي بوبكر:207/

سيدي تواتي:
397/393/388/363/355/341/337/336/179/178
/414/401/

سيدي عبد الرحمان الثعالبي:392/341/336/334/

سيدي علي بن محمد بن علي أبهلول:363/152/

سيدي علي:183/

سيدي علي:207/

سيدي فرج :188/

سيدي محمد السعيد: 180/

سيدي محمد الموهوب:415/414/197/178/

سيدي محمد شريف:355/334/

سيدي محمد:207/

سيدي يحي بن موسى : 403/402/395/355/180/179/

سيدي يحي بن الواثق : 336/178/

سيدي يحي بن حمود: 403/395/336/197/179/

سيدي يخلف:180/

السيوطي:184/102/

الشافعي:60/36/

الشاهيني:155/145/139/127/125/

الشبراوي :67/

الشرقاوي:67/58/

الشريسي:61/

الشريف : 185/

الشريف التلمساني /87/272/

الشقراطسي:42/40/

الشكبي :102/

الشيج الجازولي:429/

الشيح اللقاني:442/

الشيخ ابراهيم الغوث:260/

الشيخ أحمد بن ناصر:430/55/

الشيخ البليدي :195/192/191/

الشيخ البناني:106/99/

الشيخ التتناني:186/

الشيخ الجزولي:416/69/

الشيخ الحسن:184/

الشيخ الحطاب: 220/218/

الشيخ الحفناوي:395/234/212/196/192/

الشيخ الدلائي:163/129/126/125/

الشيخ الرجراجي:143/

الشيخ السبتي:187/

الشيخ السّمان :64/

الشيخ السنوسي:188/

الشيخ الشعراني:225/

الشيخ الصكلاني:261/

الشيخ الصوفي:187/

الشيخ الطاهر:81/

الشيخ العمروسي:416/222/221/195/191/

الشيخ الملوي :195/192/

الشيخ حمدون:70/

الشيخ حنيف الدين:141/138/

الشيخ زين العابدين:141/138/

الشيخ شهاب الدين:130/

الشيخ عبد الباقي:404/374/183/

الشيخ عبد الجليل:57/

الشيخ عبد الحبيب :58

الشيخ عبد الرحمان العمادي:155/139/

الشيخ عبد الله :57/

الشيخ عبد الله: 182/

الشيخ علي:56/

الشيخ علي:71/

الشيخ محمد أبي طالب :63/

الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله ابن زرفة الدحاوي:68/

الشيخ محمد بن إبراهيم259/

الشيخ محمد بن مالك:69/

الشيخ محمد:55/

الشيخ منصور:61/

شيشنق الاول:30/

صادق بالة :236/

الصباغ الإسكندري:193/

الطاهر فيلالي:235/

الطبري :29/

الطيب بن كيران:70/

ظهير الدين الحسنى:127/

عائشة بنت المسعود:176/

عبد الباقي الحنبلي:138/

عبد الجبار الشاذلي:428/

عبد الجليل شقرون:85/

عبد الحق الفجيجي:187/

عبد الحي الكتاني المغربي:72/

عبد الرحمان الاخضري: 422/228/216/194/186/

عبد الرحمان اليلولي:355/335/

عبد الرحمان أبو تاشفين:87/

عبد الرحمان الأزهري:432/

عبد الرحمان التادلي:134/71/66/

عبد الرحمان الجامعي :89/

عبد الرحمان الجيلالي:72/

عبد الرحمان الفاسي:110/

عبد الرحمان المرتضي:78/

عبد الرحمان المرشدي:136/

عبد الرحمان الوغليسي:364/270/

عبد الرحمان:120/

عبد الرزاق ابن
حمادوش:101/100/99/98/97/96/95/94/93/77/41/
140/110/109/108/107/106/105/104/103/102
/239/171/

عبد الرؤوف المناوي:132/

عبد السلام الصفاقسي:114/

عبد السلام القباب:116/

عبد العظيم:56/

عبد الغاني:66/

عبد القادر الراشدي :89/

عبد القادر الفاسي :98/

عبد القادر الفاسي:102/

عبد القادر الهزيل:68/

عبد القادر بن السنوسي بن دحو:68/
عبد القادر بن السنوسي:375/
عبد القادر بن السنوسي:54/
عبد القادر بن دحو:68/
عبد القادر بن كرشال:114/
عبد القادر بن كرشال:114/
عبد القادر بن محمد الصغير:231/226/
عبد القادر تلميذ الورثيلاني :197/
عبد القادر جد الناصري:55/
عبد القادرالمشرفي:65/60/
عبد الكريم الزواوي:419/418/40/
عبد الله الحمزي :269/
عبد الله التنسي:128/
عبد الله الخروبي الطرابلسي:151/134/
عبد الله الشرقاوي الشافعي:71/66/
عبد الله المغراوي:44/
عبد الله المنتوري:133/
عبد الله بن أبي جمرة:183/
عبد الله بن رحّاب، 259/
عبد الله بن سالم البصري:81/
عبد الله سقاط المشرفي:68/
عبد الله محمد المنور التلمساني:63/
عبد الله:100/
عبد المالك الحنفي :71/67/
عبد المجيد بن عبد الوهاب :231/
عبد الملك الشامي:67/66/
عبد الواحد الانصاري:154/
عبد الواحد الحميدي:130/
عبد الواحد المراكشي:46/
عبد الوهاب العفيفي:196/192/
عبد الوهاب أدراق:116/104/102/
عبد الوهاب الحميدي:156/
العبدري:42/
عثمان الحنبلي:66/
عثمان السلسي:129/
عثمان المقري:128/
عثمان الموسوي الهزازي:69/
العربي بن نافلة:63/
العربي بن قيزان:64/
العروضي:131/
عزي عبد الرحمان :236/
العزيزي والعشماوي :67/
عصام الشامي:66/
العقبانين:188/
عقبة بن نافع:352/71/
علي الفيومي :196/192/

علي المبارك:46/
علي بن مبارك:188/
علي الحرار:96/
علي الخفاجي:81/
علي الشنوفي :232/
علي الصعيدي :422/221/220/196/192/
علي الونيسي:69/
علي باي:117/79/
علي بن أحمد191/
علي بن السلكسيني:128/
علي بن الصالح:336/184/
علي بن جاب الله:184/
علي بن درار:409/
علي بن عمران السلاسي:131/
علي عبد القادر بن الأمين 78/
علي عبد القادر بن الأمين:78/
عمارة العلاف الينبعي: 71/66/67/
عمر بن الخطاب:71/
عمر الراشدي:128/
عمر السوداني:261/
عمر الطحلاوي:221/193/
عمر بن أحمد المكي:81/
عمر بن أحمد:81/
عويشة بنت عبد الله177/176/175/
العياشي:171/
العياشي:439/46/
العياضي: 410:/405/404/403/
عيسى الثعالبي:401/45/
عيسى الثعالبي:81/
غابريال كولين:109/
غاليان:101/
الغبريني:420/269/
الغزالي ابي حامد:46/
الفاسي:171/
فاطمة الزهراء:370/
فاطمة بنت سيدي رحاب : 177/176/
–فايست:234/
الفكون عبد الكريم:153/78/69/39/
الفونصو:49/
فيردناند فستنفلدا:33/
القاضي عياض:128:/102/81/
القدياري:125/
القزويني:102/
القلصادي:102/101/
القندوز:69/
كاريت :377/

كالقاضي الحميدي:131/
الكتاني:132/
الكلاعي:106/
لابراهيم الأجدلي،:102/
لابن الكردبوس:118/102/
لابن هشام:189/102/
لأبي جعفر أحمد بن يحي:92/
لسان الدين الخطيب:123/119/
للشبرخيتي:416/
لمحمد خليل المرادي الشامي:81/80/76/
لويس رين:366/359/
ليون روش:380/
ماسكيراي :381/
مالك بن أنس:189/141/135/61/47/
المأمون:160/
مايير:384/
المبارك ابن الأحمر:405/
محمد ابن الشيوخ:69/
محمد ابن مولاي علي بن سحنون:61/
محمد الأمير:67/65/
محمد الجوادي:198/
محمد الحنفي:103/
محمد الدّكالي :414/395/176/
محمد الزرقاني:404/183/
محمد السعدي:94/
محمد السعيد بن طالب :186/
محمد السعيد الورثيلاني:190/188/171/
محمد السعيد:197/184/183/
محمد السلماني المغربي :67/
محمد السويسي:194/
محمد الشافعي:99/
محمد الشريف البلغيثي النوفلي:261/260/
محمد الشعبوني:407/
محمد الصادق بن افغول:63/
محمد الصالح : 394/375/336/198/179/
محمد الصالح :404/394/338/185/
محمد الصالح ابن الصديق:198/
محمد الصغير:185/184/
محمد العربي الشريف:261/
محمد العربي:423/183/
محمد الغرياني:439/194/
محمد الغريسي:127/
محمد الفشتالي:133/130/129/
محمد القسطلاني:271/
محمد القصار القيسي:134/131/
محمد الكبير:43/41/

محمد المسراتي:140/
محمد المعزي:191/
محمد المكي:127/121/
محمد الموهوب بن البشير بن لحبيب: :227/215/
محمد الوجدي:121/
محمد الوجدي:129/
محمد أمقران:328/177/
محمد بابا عمر:77/
محمد باشا:325/
محمد باي بن عثمان:70/
محمد بن ابراهيم:59/
محمد بن أبي شنب:233/232/82/81/
محمد بن أحمد بوقندورة:77/
محمد بن الحاج الشريف: 185/
محمد بن الحسين الورثيلاني : 197/177/176/
محمد بن الحفاف:57/
محمد بن الحفاف:69/
محمد بن الشيخ:77/
محمد بن العربي القسنطيني:64/
محمد بن القاضي:210/187/
محمد بن المحجوب:71/
محمد بن جابر الوادي ءاشي:133/
محمد بن جعدون:63/
محمد بن حسن:70/
محمد بن خروف:198/
محمد بن سالم بن أحمد:67/
محمد بن سعيد السوسي :97/
محمد بن عبد الرحمان التلمساني القاضي:63/
محمد بن عبد الرحمان الوعراني:128/
محمد بن عبد الرحمان بن جلال:124/
محمد بن عبد العزيز:193/
محمد بن عبد القادر القاضي:63/
محمد بن عبد الكريم:127/125/72/
محمد بن عبد الله الرندي:124/
محمد بن عبد الله سقاط:68/
محمد بن عبد الله:198/
محمد بن عبو بن عيني:60/
محمد بن عثمان:261/
محمد بن عزور القاسمي:165/
محمد بن علي :99/97/
محمد بن عمر:234/
محمد بن عوالي الزلماطي :63/
محمد بن مالك:78/
محمد بن محرز:410/
محمد بن مسايب:79/39/
محمد بن معمر:164/127/

محمد بن ميمون:111/108/99/94/78

محمد بن نور الدين الرشيدي:142/

محمد بن نيكرو:78/

محمد بن هني:59/

محمد بن يوسف الزياني:68/

محمد بن يوسف الكريمي:146/

محمد بن يوسف المراكشي:154/

محمد بيرم:64/

محمد ساسي:88/

محمد سليمان السوسي:101/

محمد قاسم:64/

محمود الكردي:64/

محمود بن أحمد العمادي:144/142/

مختار فيلالي:232/

المرتضى الزبيدي:224/89/71/67/65/

المسعودي:32/

مصطفى البكري:67/

المصطفى بن المختار:375/

المصطفى بن المختار:54/

مصطفى بن يونس:59/

المعافري:37/

المغيلي:62/60/

المقري:124/123/122/121/120/119/77/41/40/
134/133/132/131/130/129/128/127/126/125
/143/142/141/140/139/138/137/136/135/
/150/149/148/157/146/145/144

المكناسي :171/

المنداسي ابن سعيد:39/

المنصور السعدي:143/

المنور التلمساني:194/

المهدي البوعبدلي:76/

موسى اللبوخي:54

موسى الوغليسي:406/405:/405/

موسى سيدنا :217/

مولاي اسماعيل116/102

مولاي سليمان العلوي:70/

مولاي عبد الله:117/115/

موهوب اولحبيب:408/

الناصري :212/171/

النسائي:105/101/

نوح :30/

هارون الرشيد :371/

هاشم:72/

الهاشمي المغربي:193/

الهاشمي المغربي:198/

وابن عبد السلام:64/

والإمام ابن زكري:188/

الوالي علي باشا:213/211/

الورززي :117/114/109/106/102/100/98/97/

الوفائين:125/

وليام ميرسي:234/

يحي الشريف:409/

يحي
العيدلي:363/341/229/216/215/187/181/171/
420/410:/404/403/393/392/

يحي اليعلاوي:191/

يحي الشاوي المليانى :88/

يحي المحاسني:144/140/

يحي بن عيسى بن الحبيب:198/

يحي بن قرّي:399/364/340/

يحي بوعزيز:74/

يحي جد الورثيلاني:182/177/174/

يعقوب:70/

اليعقوبي :32/

يوسف التاملي المراكشي:146/

يوسف :30/

يوسف بن بشران:191/

يوسف بن تاشفين:37/

فهرس الأماكن :

أباكدية :244/

أبار السلطان:246/

ابن غازي: 207/

أجلميم : 338/

أذربيجان:32/

اسبانيا:388/387/386/174/173/160/89/88/65/45/

الاسكندرية:264/239/154/135/47/

آسيا الصغرى:34/

إشبيلية:200/

أصيلا:49/

إفريقيا جنوب الصحراء:386/47/39/38/

الاكره:246/

أم عساكر:70/62/60/59/58/

امبابة:245/

أمدون: 336/172/

امزين : 397/388/387/355/337/336/172/

الأناضول:33/

إنجلترا :34/

الأندلس :220/162/49/39/34/33/

أندونيسيا:39/

آنو :413/404/338/336/334/231/197/175/

أوزلاقن:187/

أول المرج الطويل:115/

أولا دراج : 413/336/177/176/175/

أولاد الخلف: 175/

أولاد جلال:186/

أولاد موسى :243/

أولاد يحي :206/

اولاد يعقوب:243/

أولوثن : 403/395/339/336/180/

ايت عيسى:413/187/

آيت يحي:413/:/187/

أيت عباس:410/:328/300/186/

أيت فراوصن:187/

ايت منقلات :413/187/

ايت وغليس:413/406/405/

ايران:98/

ايسمامن :334/

ايماين :411/

بابل:30/

الباجة:88/

بالخرشي الكبير السيد أحمد الدايج:75/

ببوسعادة231/

بجاية173/174/177/187/196/197/200/203/231/
237/355/386/393/394/396/397/399/401/402
/404/406/413/

بدر:246/

برباشة:398/

البرج :63/172/231/342/

برج الملح

برقة :219/285/

البركة :246/

بريكة:121/

بريكة:243/

بزنزور: 211/

بسكرة: 211/283/

بسكرة:243/

بعقبة بابا علي:75/

بغداد:46/

بلاد فارس:36/

البليدة:188/:191/

بن غازي:291/

بن يحي:243/

بندر الأزلم:246/296/

بندر المويلح:246/

بندر النخيل:246/

بندر الوجه:246/

بنزرت: 256/

بني بوشعايب:187/413/

بني جليل: 411/

بني جماتي: 338/355/394/

بني جناد:385/413/

بني عفيف: 202/

بني ابراهيم172/175/355/413/

بني بترون:300/

بني بودرار:385/

بني راشد :59/

بني عامر:55/65/306/

بني
عشاش:171/172/173/175/197/332/336/355/
399/401/

بني عيدل:
172/176/177/189/355/394/403/404/406/410
/

بني قحطان:70/

بني مدرار:38/

بني
ورثيلان:171/172/173/175/176/177/178/184/
187/189/190/196/197/199/200/202/203/204
/205/208/231/237/336/355/387/394/399/
401/402/403/404/406/407/408/413/

بني ورياكل:116/

بني وطاس:70/

بني يعلى: 176/177/182/206/208/336/355/399/

بوجليل :187/413/

بوسعادة:165/

بوطالب : 175/176/

بولاق:213/

بونة:88/89

بئر السلام:187/413/

بئر الصعاليك:246/

بئر حسان :244/

بئر عجرود:246/

بين معطن مقرب والمدار:245/

البينيون: 173/

تاجوراء:244/

تادلس:217/

تافورة:161/

تافيلالت :171/386/

تالاملي ،تيليملي:104/

تالو وزرار: 407/

تبرسق: 290/

تبسة:188/

تركيا:91/94/98/

تستور:290/

تفرج: 198/

تلمسان:39/63/64/70/77/86/:87/119/120/121/
122/123/124/135/149/152/156/158/160/165/
185/200/188/

تمقرة :176/181/183/:186/189/336/355/403/

التميمي:245/

تنس: 173/

التنعيم:247/

توزر:206/

توزر:243/

التوميات:53/

تونس:34/45/64/69/71/74/79/80/88/99/117/
154/156/161/175/176/189/190/196/197/201/
205/207/210/214/215/234/235/239/254/
256/288/297/

تيطاوين:161/

تيطوان:97/99/100/108/113/114/115/117/239/

التيه :246/

تيهرت:38/200/

ثوجة:187/

جبل ابي زريعة:76/

جبل الطليب:116/

جبل طاريق:113/114/

جربة : 201/

الجزائر:34/40/44/47/49/63/65/69/73/76/77/78/
79/80/82/86/88/89/90/91/93/94/96/97/98/
104/108/110/111/112/113/114/117/119/138/
152/156/158/161/164/173/174/185/187/
191/198/199/203/215/231/234/235/239/254/
297/

الجزيرة الابرية : 174/

الجمعة الصهريج:187/

الجنوب الصحراوي:41/43/381/

الجنوب القسنطيني:186/

حامة قابس:244/303/

الحامة:243/

الحامة:82/

الحجاز:33/34/35/44/63/66/69/71/74/79/132/
155/156/157/161/162/164/165/210/215/

الحوراء:246/

حوض الصومام
:176/177/186/187/189/197/198/355/

خراسان :33/

الخضيرة:246/

خليص:247/

الخميس: 182/

الخنقة:243/

دار اقبع:116/

الدار الحمراء:246/

الدانمارك:117/

الدركين :246/

دلّس :186/187/

دمشق
:25/139/143/145/151/152/154/155/156/165/

دوار عرب:116/

رأس إسْلي:243/

راشدية:75/

رباط:151/

الزاب:121/

الزاب:243/

الزاوية الغربية:207/

الزاوية الغربية:244/284/

الزرائب:243/

الزعفران:219/

الزعفران:244/

زليتن:322/

زمورة: 174/206/208/287/413/

زنزور:244/

الزوارة الخالية( )

الزوارة العامرة

زواغة:244/290/

زواوة:336/210/172/

ساحل حامد:291/244/

الساقية الحمراء:402/388/387/386/381/178/174/

سبتة:49/

السبخة

السبخة :244/

سبيل عنتر:296/246/

ستراسبورغ :236/

سجلماسة:38/

سرقسطة : 200/

السروال:245/

سطح العقبة :246/

سطيف:121/

السودان الغربي:123/46/39/33/

سوسة :161/143/

سيدي حموسة : 338/

سيدي فرج:188/

سيدي عقبة:243/

سيدي علي العسر115/

سيدي عيش: 406/

سيعيد بن علي:115/

الشام:124/80/72/69/66/60/46/39/34/33/32/29/
164/164/163/162/160/157/146/145/139/132
/167/

شبه الجزيرة العربية:33/31/

شرشال: 173/

الشرف:246/

الشلف:59/

شمال
افريقيا:336/220/182/174/47/46/45/38/34/32/31
/

الشواثرة: 403/342/336/231/172/

صدوق: 408/

صعدة :245/

صفاقص:289/222/201/

صقلية:34/

صنهاجة:172/

الصويرة:64/

الصين :48/38/33/32/

طرابلس:284/244/

طرابلس:239/214/213/211/210/207/205/188/40/
297/

طنجة: 33/

طولقة:186/

طولقة:243/

العراق :66/60/36/32/

عرام:244/

العرائش:160/72/

عزازقة:335/

عسفان:247/

علي باشا:214/

عمان:33/

عنابة:196/188/91/89/

العوينات :244/

عين الغزالة:245/

غبولة 408/

غرناطة:49/200/113/

غريس :63/61/59/

غزة162/161/

غزران:243/

فاس
124/123/121/120/116/115/100/70/64/39/37:
/151/146/138/135/134/133/129/126/125/
/200/165/160/159/158/157/156/152

فرنسا :236/

فرنسا:109/

فرنسا:34/

فريحة: 402/355/338/336/172/

فلسطين:164/163/156/132/74/72/66/33/30/

فنزات: 208/

قابس:189/

قابس:244/

قاع البزوة:246/

القاهرة 161/154/132/120/45/42/34/

القبائل الصغرى
/328/237/231/210/198/196/189/186/176:
/404/403/402/386/355/336

القدس:165/164/163/156/154/49/44/34/

قديد:246/

قرب السبخة:244/

القروين:158/135/

قريش:122/119/

القسطنطينية: 33/

قسنطينة:210/188/108/103/98/88/73/71/69/39/
/355/288/286/239/211

قصر الطير:288/243/

القصر:264/115/

القليعة:188/

القيروان:71/

القيطنة:62/60/59/

قيقعان:247/

الكاف:290/286/88/

كرسوط:53/

كفر حمام:245/

لعزيب: 337/355/388/396/399/

ليبيا: 215/264/

ما وراء النهر:33/

مازونة:60/63/65/69/

المايه:244/

متيجة:53/59/

مجانة:174/182/186/198/210/328/413/

محلة العبيد:115/

محمد بن عثمان:214/

المدار :245/

مدوكال:243/

مدوكال:259/

المدية:188/

المدينة

المنورة:44/66/135/148/153/154/155/156/163/

264/165/

مراكش:46/120/129/133/134/151/158/159/165/

مستغانم.77/173/

مسراتة :244/256/290/298/

المسيلة:119/120/121/197/340/413/

مصر:30/32/33/34/46/47/57/60/63/65/66/69/

71/72/74/88/89/98/99/109/113/120/124/125/

126/132/136/138/151/154/155/156/162/

163/164/165/167/183/184/189/190/191/193/

/ 264/194/196/207/

210/212/215/218/219/235/254/

معسكر:53/59/62/63/65/68/69/73/

معطن أجدابيا:245/285/291/298/

معطن الأحمر:245/

معطن الزعفران:244/

معطن الشمامة:245/

معطن سلوك:245/

معطن مقرب( ) :245/

مغار شعيب:246/

المغرب الاقصى 34/38/39/45/53/59/ 66/69/

70/79/93 /94/96/97/98/100/106/108/

110/111/

113/114/118/124/126/129/135/138/143/

152/153/154/156/158/164/165/171/174/381/

387/401/

مقام إبراهيم الخليل:71/

مقرة:119/121/

مقطع الكبريت:245/

مكة المكرمة:44/66/67/71/72/79/

80/98/135/136/153/154/155/156/162/165/

189/209/212/264/

مكناس

:98/115/116/117/135/143/156/157/158/

مليانة:188/336/

منزل العقبة:246/

النابعة:246/

النبط :246/

النعيم:245/

نفطة:289/

نقيب علي:210/

نوميديا:30/

النوينيات:115/

الهامل :336/231/

الهند:33/32/31/

هونت:53/

الواد ، وادي بوسلام :336/178/

واد المسيد :244/

الواد:243/

وادي الخروب :115/

وادي الرمل:244/

وادي الرهبان:297/264/245/

وادي المخازن:115/

وادي رابغ :246/

وادي سب:115/

وادي فاطمة:247/

وجدة:70/

وزغت:53/

وسر: 175/

الوليدة : 176/175/

الوليدة:243/

وهران:393/386/173/90/88/70/68/65/62/58/

ينبع النخل:246/

اليعقوبية:54/

اليمن:29/ 70/39/

الينبع:210/

فهرس الآيات والسور

السور والآيات	الصفحة
القران الكريم ، سورة قريش ، الآية 1 إلى 4. رواية ورش عن الإمام نافع.	29
القران الكريم، سورة البقرة،الآية185،رواية ورش عن الإمام نافع.	29
القرآن الكريم ، سورة الأعراف، الآية:24.رواية ورش عن الإمام نافع.	30
القرآن الكريم ، سورة الزخرف ، الآية 13، رواية ورش عن الإمام نافع.	30
القرآن الكريم، سورة الحج ، الآية 29، رواية ورش عن الإمام نافع.	31
القرآن الكريم ،سورة البقرة، الاية:253،رواية ورش عن الامام نافع .	62
القرآن الكريم، سورة التوبة ، الآية 18، رواية ورش عن الامام نافع.	343
القرآن الكريم، سورة الانفطار، الاية:1، رواية ورش عن الامام نافع.	62

فهرس الموضوعات

فهرس المواضيع	الصفحة
مقدمة	**أ_ط**
الباب الأول : التواصل الصوفي	**24**
الفصل الأول : الرحلة ، المصطلح والدلالات.	
أولا :مفاهيم حول الرحلة.	
1-1التعريف اللغوي	**25**
1-2الاصطلاحي	**26**
1-3التعريف الصوفي:	**27**
1-4الديني :في القران الكريم	**29**
ثانيا :نشأة الرحلات في العالم الإسلامي و تدوينها	**30**
2-1أهم رحّالة المشرق و المغرب الإسلامي	**31**
ثالثا : أنواع الرحلات و تقسيماتها	**35**
1- التقسيم الأول الرحلات من حيث الغرض.	**35**
2- التقسيم الثاني الرحلات و طبيعة تدوينها .	**39**
3- التقسيم الثالث الرحلات و مسارها الجغرافي.	**41**
4- التقسيم الرابع الرحلات وزمن تدوينها.	**41**
رابعا : دوافع الرحلة في العهد العثماني	**44**
الفصل الثاني : نماذج عن الرحلات الصوفية الجزائرية في العهد العثماني	
➢أولا: رحلة "فتح الاله و منّته في التحدّث بفضل ربي و نعمته"	**50**
➢1.التعريف بالرحالة أبي راس الناصري :	**50**
مولده ونسبه	**50**
أسرته	**53**

لقبه	**55**
تعلمه ووظائفه	**56**
شيوخه	**59**
اجازاته	**65**
تلاميذه	**66**
رحلاته : داخلية / خارجية	**67**
➢**2**.قراءة في رحلته "فتح الاله ومنّته في التحّدث بفضل ربّي ونعمته":	**70**
أقسام الرحلة	**71**
مؤلفاته	**72**
وفاته	**73**
➢ثانيا : الرّحالة أحمد بن عمّار الجزائري.	**74**
➢1/ التعريف بالرحالة أحمد بن عمار	
مولده ونشأته	**74**
وظائفه	**76**
رحلاته	**77**
شيوخه	**78**
مؤلفاته	**79**
• 2/ قراءة في رحلته	**80**
تسمية المخطوط وأقسامه	**80**
سنة التاليف	**81**
نسبة المخطوط	**82**
محتوى المخطوط	**82**

فهرس الموضوعات

➢ ثالثا :الرحّالة احمد البوني	**86**
➢**1. التعريف بالرحالة**	
مولده ونشأته	**86**
تعلمه ورحلاته	**86**
تدريسه	**87**
مكانته	**88**
مؤلفاته	**89**
➢ **رابعا :الرحّالة ابن حمّادوش الجزائري**	**91**
➢**1 التعريف بالرحالة**	
مولده ونسبه	**91**
وظائفه	**94**
شيوخ وأسفاره	**96**
العلوم التي اخذها	**98**
اجازاته	**102**
تلاميذه	**106**
مؤلفاته	**106**
وفاته	**109**
➢2. رحلة ابن حمادوش : محتواها وقيمتها التاريخية .	**109**
تسمية المخطوط	**110**
سنة التأليف	**111**
أقسام الرحلة ومحتواها	**112**
➢ **خامسا :الرحالّة أحمد المقرّي.**	**117**

فهرس الموضوعات

1.التعريف بالرحالة	**117**
نسبه	**117**
مولده و كنيته	**118**
أسرته	**121**
تعلمه وشيوخه	**125**
اجازاته	**130**
وظائفه	**133**
تلاميذه	**136**
مقري مجيزا	**138**
تصانيفه ومؤلفاته	**145**
تصوف المقري	**148**
مكانته	**150**
رحلاته	**154**
إلى الغرب الاسلامي	**155**
إلى المشرق الاسلامي	**159**
• **2 . رحلته :كتاب رحلة المقري**	**161**
التعريف بالرحلة	**161**
مضمون الرحلة	**163**
وفاته .	**165**
الباب الثاني : الورثيلاني ناظرا و منظورا إليه	**167**
الفصل الأول : جزائر المتصوفة من خلال رحلة الورثيلاني	
➢ **أولا :التعريف** الرحالة الحسين الورثيلاني	

فهرس الموضوعات

1مولده ونسبه	**167**
2زوجاته وأبنائه	**171**
3بيئته : الاجتماعية / الأسرية	**174**
4أسفاره ورحلاته	**182**
5تعلمه وشيوخه	**185**
6اجازاته	**190**
7تلاميذه	**192**
8وظائفه	**194**
9مكانته	**197**
10مؤلفاته مناظراته	**210**
11وفاته	**222**
➢ **ثانيا** :التعريف برحلة الورثيلاني المشهورة بالرحلة الورثيلانية.	**223**
1نسبة الرحلة للمؤلف	**223**
2عنوان الكتاب	**224**
3سنة التأليف	**226**
4الاهتمام برحلة الورثيلاني :	**227**
4-1 الاهتمام بنسخ الرحلة	**227**
4-2 بدايات الاهتمام بدراسة رحلة الورثيلاني.	**229**
5دواعي تأليف الرحلة	**233**
6مسار الرحلة	**234**
6-1المسلك البري	**236**
6-2مسلك الورثيلاني	**238**

فهرس الموضوعات

7أغراض الرحلة وأقسامها	**246**
7-1 أغراض الرحلة	**246**
7-2 أقسام الرحلة	**250**
8مصادر الرحلة الورثيلانية	**263**
9اقتباسات الورثيلاني	**270**
10تدوين الرحلة وأسلوبها	**274**
10-2منهج المؤلف في التدوين	**276**
➢ **ثالثا** :مضمون الرحلة	**278**
• 1الجانب الجغرافي	**278**
1-1وصف العمران	**278**
1-2وصف القرى والمدن	**282**
1-3وصف البيئة	**288**
1-4الحدود الجغرافية	**292**
1-5المسافات	**293**
• 2الجانب الاجتماعي	**293**
2-1الفساد الديني	**294**
2-2الفساد الاخلاقي	**298**
2-3الصفات القبيحة	**302**
2-4الصفات الحميدة	**315**
• 3الجانب السياسي والعسكري	**317**
3-1الاضطهاد السياسي	**318**
3-2الصراعات السياسية	**319**

3-3الحروب السياسية	**320**
3-4 الإمارات المستقلة	**322**
الفصل الثاني : التصوف والرحلة عرض حال	**324**
➢ **أولا :** مظاهر التصوف بالجزائر خلال رحلة الورثيلاني	
1/ العمران الديني	**324**
1-1الزوايا	**325**
1-2المعمرات	**335**
1-3المساجد والجوامع	**336**
1-4الرباطات	**338**
1-5الضريح ،القبّب والمقامات	**340**
1-6الخلوة	**343**
2/الطقوس الصوفية :	**344**
2-1السّماع الصوفي :	**345**
2-2الذكر	**349**
2-3 الكرامة	**351**
2-4الوعدةو الزردة	**358**
2-5الزيارة و التبرك	**359**
3- المقدس لدى الورثيلاني	**362**
3-1 تعظيم الاشراف والمرابطين	
3-1مفهوم الاشراف	**362**
3-2 الورثيلاني ومسألة ادعاء النسب الشريف	**365**

فهرس الموضوعات

ثانيا: مؤثرات التصوف في الجزائر على ضوء الرحلة	**368**
1 انتشار المرابطين .	
1-1مفهوم المرابط	**368**
1-2نسب المرابطين في الجزائر	**371**
-الورثيلاني ونسب المرابطين	**373**
2/المتصوفة والمرابطين في المصادر المحلية	**380**
2-1 المرابطون الأشراف على ضوء مخطوطهم:	**380**
2-2 نبذة عن المرابطين الاشراف في رحلة الورثيلاني (التعريف بالشخصيات)	**382**
➢ **ثالثا : تجليات التصوف في الجزائر العثمانية على ضوء رحلة الورثيلاني .**	**403**
1- الحياة العلمية والصوفية	
• العلوم والمصنفات الصوفية	**403**
• العلوم المنتشرة في الوطن الإسلامي	**412**
2/هتمام الورثيلاني بالطرق الصوفية	**417**
• الطرق الصوفية من خلال رحلة الورثيلاني.	**417**
• الورثيلاني وعلاقته بالطرق الصوفية:	**421**
3/اهتمام الورثيلاني بالتصوف :	**422**
• المفاهيم الصوفية المتداولة رحلة الورثيلاني	**422**
• نظرته للتصوف.	**424**
• توظيف الورثيلاني للفكر الصوفي.	**426**
خاتمة	**434**
الملاحق	**439**
قائمة المصادر والمراجع	**476**

فهرس الموضوعات

فهرس الأعلام	**497**
فهرس الأماكن	**512**
فهرس السور والايات	**520**
فهرس الموضوعات	**521**

الملخص: الرحلات وأثرها في انتشار التصوف في الجزائر العثمانية(16–19م) رحلة الورثيلاني نموذجا.

استطاع الورثيلاني أن يربط بين التصوف و الرحلة من خلال ما تركه من مؤلفات تفيد بذلك ، فكانت رحلاته إلى المشرق بغية أداء مناسك الحج فرصة لتثبيت أواصر التصوف بين المشرق و المغرب ، و أثبت هذا جليا من خلال مؤلفه المشهور بالرحلة الورثيلانية ، وبهذا الصدد عملنا على تقديم نظرته للتصوف و عن إسهامه في نشره و بالخصوص في منطقته بمنطقة القبائل الصغرى و بالجزائر عامة ، ما جعل تلك المناطق تعج بالزوايا و بأهل رجال الدين .

الورثيلاني من المغمورين المشهورين ، فهو عالم، مصلح ، مفتي ومتصوف وبالأحرى رجل دين متميز مشهور وفي نفس الوقت مغمور من طرف أهل العلم والكتابة فأصبح في طيّ النسيان وما يثبت جليا ذلك بقاء جلّ مؤلفاته في رفوف الزوايا و المكتبات و حتى رحلته المشهورة بقيت دون تحقيق إلى يومنا هذا، عملنا في بحثنا على تصحيح عديد المعلومات، المفاهيم حول شخصية وثقافة الورثيلاني بالاطلاع على جلّ مخطوطاته المصححة والمفقودة.

الكلمات المفتاحية : الحسين الورثيلاني ، الرحلة ، التصوف ، الرحلة الورثيلانية ، بني ورثيلان .

Abstract: The journeys and its influence in the spread of sufism in Ottoman ALgeria (XVI-XIX) , The journey of El Wartilani - specimen-.

El Hocine El Wartilani could link between Sufism and the journey, through what he left in his writings. So his trips and journeys to the Middle East for pilgrimage (Hajj) was an occasion to fix and join bands of Sufism between the East and the West, and this was proved clearly throughout his famous writing " Wartilanian journey''. In which he presented his opinion about Sufism and his contribution to spread it especially in his region in small kabylie, and his country Algeria in general. All that made his region full of Zawaya(small mosques) and men of religion. El Wartilani is one of the most famous undistinguished man ; he is an Islamic scholar, peacemaker, Mufti (issue of Fatwas), Sufi, special and famous man of religion.

However, he was forgotten and undistinguished by academia, this is obvious as all his writings were put and left in zawayas and libraries' shelves. Even his famous and remarkable Journey was left without any investigation until present day.

We worked in our research to correct various data and concepts on his personality and his culture by reading most of his revised and missing manuscripts.

Keywords: El Hocine El Wartilani, the journey, Sufism, El Wartilani journey .Beni Ourtilane.

Resumen:

Los viajes y su influencia en la difusión del sufismo en la Argelia otomana (XVI-XIX), Caso de: viaje del Wartilani .

Al Hocie Wartilani pudo vincular el sufismo y el viaje a través de lo que dejó como obras, en efecto, sus viajes hacia al oriente para la peregrinación fueron una oportunidad para consolidar los lazos del sufismo entre el este y el oeste, por tanto, esto se lo afirmó en su obra más destacada "*riħla wartilanija"* o viaje warthilaní. De hecho, a través de sus manuscritos, Al WarƟilani presentó una visión del sufismo, así como contribuyó a difundirlo exactamente en la zona de pequeña Cabilia (baja Cabilia) donde vivió en particular y en Argelia en general, por lo cual, esto repercutió notablemente, por el exceso de los templos y los clérigos de aquel entonces.

Al Wartilani como personaje muy célebre, era un sabio, muftí, sufí y exactamente un clérigo, puesto que el mismo tiempo era una figura muy renombrada por los sabios de aquella época. A pesar de su fama, sus escritos se olvidaron hasta hoy día, y lo que justifica eso que la mayoría de sus libros permanecen en las estanterías de las bibliotecas sin estudio tampoco su viaje más conocido. Así que nació nuestro interés por elegir este tema e intentamos en nuestra investigación presentar Al WarƟilani como personaje famoso, así como hemos corregido muchas informaciones sobre sus manuscritos que están en desuso.

Palabras clave: Al Hocine Al Wartilani- el viaje- el sufismo- viaje wartilaní- Bani Wartilan.